

مثنوى

مولانا جلال الدين الرومي



الكتاب
السادس

ترجمه وشرحه وقدم له: إبراهيم الدسوقي شتا

25/2

مثنوی

المركز القومي للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٢/٢٥

- مثنوى

- مولانا جلال الدين الرومي

- إبراهيم الدسوقي شتا

- الكتاب السادس

- الطبعة الثانية ٢٠٠٨

هذه هي الترجمة الكاملة لكتاب :

مثنوى

مولانا جلال الدين الرومي

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة .

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo

e.Mail:egyptcouncil@yahoo.com Tel.: 27354524 - 27354526 Fax: 27354554

مثنوى

مولانا جلال الدين الرومى

(الكتاب السادس)

تأليف : جلال الدين الرومى
ترجمه وشرحه وقدم له : إبراهيم الدسوقي شتا



٢٠٠٨

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية

جلال الدين الرومى ، محمد بن محمد بن الحسين ، ١٢٠٧-١٢٧٣
مثنوى؛ تأليف: جلال الدين الرومى ؛ ترجمة وشرحه وقدم له :
إبراهيم الدسوقي شتا.

القاهرة ، (المركز القومى للترجمة) ، ٢٠٠٨

٦٨٨ ص ؛ مج ٦ ؛ ٢٤ سم - ط ٢

١ - الشعر الفارسى .

(أ) شتا ، إبراهيم الدسوقي (مترجم وشارح) .

٨٩١,٥٥١

(ب) العنوان

رقم الإيداع ٢٠٠٨/١٦٦٣٣

الترقيم الدولى 5 - 855 - 437 - 977 I.S.B.N.

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة
للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها
فى ثقافتهم ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز .

مثنوی

مولانا جلال الدین الرومی

الكتاب السادس

ترجمه و شرحه و قدم له

دكتور

إبراهيم الدسوقي شتا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

موسى وفرعون

دراسة في ظاهرة الطغيان عند مولانا جلال الدين الرومى

برغم انشغال مولانا بتحرير الإنسان روحياً، والتأكيد على أن حريته تتبع من داخله هو ^(١) لم يهمل مولانا القوى التي تحد من إنطلاق الإنسان نحو عالم التكامل الشخصي والروحي، ومن ثم نلتقي في مستوى جلال الدين بهذا النقد اللاذع للقوى السياسية التي كانت حاکمة في عصره، وغيبة العدالة، وتعرض البشر للقمع، وسقوط مصيره في أيدي فراعين البشر ممن يحولون الإنسان خليفة الله في الأرض وأكرم المخلوقات إلى مجرد سائمة يكون كل همه البحث عن لقمة العيش، والحياة في مستوى أدنى من حياة الحيوان، وليس من المهم أن تكون لهجة الخطاب المولوى مباشرة، فلم يكن بدعاً في أن يتناول كل هذه الموضوعات بشكل رمزي، وإن غلب التصريح أسلوب تعبيره في أحيان كثيرة، وهو في هذا يشترك مع أستاذه الروحي سنائي الغزنوى الذى قدم لنا في موسوعته حديقة الحقيقة مدحاً مبالغاً فيه للحاكم الذى كان يعيش في ظل دولته، كما قدم لنا صورة مثلى للحاكم لم يكن نصيب ممدوحه منها أقل القليل، وقدم صورة للعصر والفساد المتفشي بين الطبقات الحاكمة والظلم الذى يتدرج من أعلى إلى أسفل حتى يكون كله من نصيب المستضعفين ^(٢)

(١) أنظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الخامس .

(٢) أنظر الترجمة العربية لكتاب حديقة الحقيقة وشرعية الطريقة لسنائي الغزنوى ترجمة كاتب هذه السطور البابين الثامن والتاسع وشروحهما - القاهرة - دار الأمين - ١٩٩٥.

ويربط مولانا بين عدم خشية الناس لله وخشيتهم من السلطة ، فهؤلاء
الحكام الجبارون لا يستطيعون إذلال إلا من لا يخاف الله ويخشاهم هم ،
وهم كالباب الذي وضعه موسى عليه السلام على ربض القدس لكي يركع
جبارو بني إسرائيل عند الدخول إليها :
- وكذلك فإن الحق صنع من اللحم والعظام بابا صغيرا " من الملوك " فانتبه
إلى حكمته في هذا .

- هذا ليجعل منهم أهل الدنيا مسجدا لهم ، لأنهم أعداء للسجود لله وحده
سبحانه وتعالى .

- وصنع من المزابيل محاريب لهذه المساجد ، وأسماء هذه المحاريب
الأمير والبطل .

- وهؤلاء الأخسَاء يخضعون لأولئك الكلاب ، وعار على الأسد أن يكون
ميلهم إليه .

- ويكون القط شرطيا لكل من فيه طبيعة الفئران ، ومن يكون الفأر لكي
يخاف من الأسد؟

- فامض إلى لاعق الأطباق يا لاعق القدور ، واكتب عنه أنه سيدك وولي
نعمتك .

- ولأقصر القول ، فإن بسطت في هذا الحديث ، وقدمت شرحا عميقا ،
فسوف يغضب الأمير لأنه يعلم أن الأمر هكذا .^(١)

وفي الكتاب الخامس يقدم مولانا في حكاية لم يتمها صورة الأمير عندما
يغضب ، ويروع وحده بهراوته حيا بأكمله لأن زاهدا كان يسكن في ذلك
الحي تجرا وكسر جرة الخمر التي كان غلامه يحملها إليه ، ويقدم مولانا

(١) مثوى مولانا جلال الدين : ٣/٣٠٠٠ - ٣٠١٠ .

الحي تجراً وكسر جرة الخمر التي كان غلامه يحملها إليه ، ويقدم مولانا صورة حياة لأهل الحي يحيطون بالأمير الغاضب حامل الهراوة يتملقونه ويمدحونه بما ليس فيه لكي يعفو عن الزاهد المجرم "!!" ولأن مولانا لم يتم حكايته ، لا تدرى هل عفا عنه أو نفذ فيه تهديده ووعيده^(١) وتتم المنظومة السياسية عند مولانا بالحديث عن الحاشية ، فكل حاكم حاشية من جنسه ، ويشير إلى دور الوزير في معاونته الحاكم سواء كان خيراً أو كان شريراً ، فأصف هو وزير سليمان عليه السلام ، وهامان هو وزير فرعون عليه اللعنة ، والسلطة العليا تختار معاونيها من جنسها ومن نفس أخلاقها^(٢) يقدم لنا مولانا عالماً لا يمكن أن يقال فيه الحق إلا تحت الغطاء^(٣) وعالماً من الإتهيار الإسلامي التام في صراع الحكام وسفك الدماء وتحطيم المدن من أجل جارية^(٤) ترى كم مرة تكررت في تاريخنا ؟!

وموقف مولانا جلال الدين من الشرطة أو كما يعبر عنها " العسس " نابع من هذا الموقف من الطغيان عموماً ، وفي حكاية العاشق الذي طاردته الشرطة فهرب منها ليلقى محبوبته في البستان ، يلتفت النظر هذا الهجوم الذي شنه مولانا على الشرطة، فها هو العاشق يطلق لسانه بالدعاء للشرطة بأن يخلصهم الله من طبيعة الشرطي فيهم ، وما هي هذه الطبيعة ؟ أنها أكثر توحشاً على الخلق من السلطة التي تقوم بحمايتها ، وأنها لا تريد الخير للناس ، وتفرح إن

(١) مثوى مولانا جلال الدين : ٣٤٤٢/٥ - ٣٥٩٣.

(٢) أنظر الكتاب الرابع حكاية الوزيرين اللذين كان إسم كل منهما أبو الحسن ومع ذلك كان أحدهما جواداً أما الآخر فقد أطلق عليه مولانا لقب جلاد أو سلاخ الفقراء " الكتاب الرابع الأبيات ١١٥٦ وما بعده .

(٣) أنظر الكتاب الخامس الأبيات ٣٤٩٥ وما بعده .

(٤) أنظر الكتاب الخامس الأبيات ٣٨٣٤ - ٣٨٤٥.

ضيق عليهم السلطان ، وتخوفه دائما منهم ليطلق يدها فيهم .^(١) وفي الكتاب الخامس يقدم صورة ساخرة عن الهارب فزعا إلى داخل دار لأنهم يقبضون على الحمير في الخارج ، وعندما يطمئن أنه صاحب الدار بأنه ليس حمارا فلم يخاف ، يجيبه بأن التمييز قد انعدم وحتى يثبت ذلك يكون حكم القضاء قد نفذ^(٢) ويعتمد مولانا هنا على حكاية شعبية وردت في كل الآداب الشعبية في الدول الإسلامية على اختلاف لغاتها . ويصل الأمر بمولانا أن يقول في تعبير شديد الإيحاء : أثمة مشي في الطريق والعسس يملأونه .

وتقوم فلسفة التاريخ عند مولانا على فكرة الصراع المستمر بين الرسل والأنبياء من ناحية والطغاة والفراعين الذين يريدون استعباد الناس من ناحية أخرى ، تتلخص كل أدوار التاريخ وأكواره في رأى مولانا في هذا الصراع ، التاريخ كله صراع مستمر بين القوى الإلهية الممثلة في الأنبياء والأئمة والأولياء ، والقوى الشيطانية ويمثلها الفراعنة والطواغيت وأرباب الجاه والمال والمرشدين المزيفين ، ويبين مولانا حكمة جعل الإنسان خليفة في الأرض ويلخصها في هذا الصراع المستمر :

- ثم إنه جعل خليفة صاحب صدر ، حتى يكون مرآة لملوكيته .
- ثم وهبه صفاء لا حدود له ، وحينذاك جعل له ضدا من الظلمة .
- ولقد رفع علمين أحدهما أبيض والآخر أسود ، أحدهما آدم والآخر إبليس الطريق .

- وبين هذين المعسكرين العظيمين ، نزاع وصراع ، وما جرى قد جرى .

(١) أنظر الكتاب الرابع الأبيات : ٥٢-٦٤ .

(٢) أنظر الكتاب الخامس الأبيات : ٢٥٤١-٢٥٤٧ .

- وكذلك في النوبة الثانية ظهر هاييل ، ثم ظهر قابيل ضدا لنوره الطاهر .

- وهكذا علمان من العدل والجور ، حتى حل دور النمرود في الأدوار .

- صار ضد إبراهيم وخصمـا له ، وصار هناك عسكريان متناحران متقاتلان.

- وعندما لم يرض سبحانه عن طول هذه الحرب ، كانت النار هي الفيصل بين الإثنين .

- فحكم النار وما تأتي به من نكر ، حتى تحل مشكلة هذين الشخصين .

- ونوبة بعد نوبة وقرن بعد قرن لهذين الفريقين ، حتى نوبة فرعون مع موسى الشفيق .

- ولقد دارت الحرب بينهما لعدة سنوات ، وعندما جاوزت الحد وأخذ الملل يزداد .

- جعل الحق من ماء البحر حكما ليرى عن طريقه من يبقى ومن يسبق من هذين الإثنين.

- وهكذا حتى حل دور المصطفى وطوره مع أبي جهل قائد جند الجفاء.(١)

وتتجلى تفصيلات فكرة مولانا في هذا المجال في الصراع بين موسى عليه السلام وفرعون ، وتذكر القصة في أجزاء المثنوى الستة دون أن يكرر مولانا جلال الدين أيا من تفصيلاتها ، ومثل مصور ماهر يقص في كل مجلد جزء من القصة ، وهذه المعركة لا تجرى في التاريخ فحسب ، بل هي حادثة تجرى أيضا في داخل كل إنسان :

(١) الكتاب السادس : الأبيات : ٢١٦٠-٢١٧٢.

- وكل ما هو في فرعون موجود فيك أنت ، لكن أفاعيك حبيسة جب .
- وا أسفاه ، فإن أحوالك كلها سوف تضعها على كاهل فرعون ذاك .
- فلو تحدثوا عنك سوف يتولد لديك الخوف ، ولو تحدثوا عن آخر سوف يبدو الأمر لك وكأنه أسطورة .^(١) ويذكر نفس المعنى في موضع آخر :

- لقد صار ذكر موسى قيّدا على الخواطر ، فكم من قائل : مالنا نحن وهذه الحكايات القديمة ؟

- إن ذكر موسى هنا مجرد دريئة وحجاب ، لكن ليكن لك منه نور موسى أيها الرجل الطيب .

- إن موسى وفرعون في وجودك ، وينبغي أن تبحث عن هذين الخصمين في داخلك .

- وهناك نتاج من موسى حتى القيامة ، وليس نورا آخر، وإن تغير السراج.^(٢)

يقول يوسف بن أحمد المولوى في شرح الأبيات السابقة : "فموسى وفرعون نقدحالك، موجودان فيك ، واللائق أن تطلب هذين الخصمين في نفسك لأنهما حسب حالك ، وتعلم أن المراد من موسى الروح الإنساني ومن هارون عقل المعاد ، ومن العصا القرآن أو العرفان والإيقان والخواطر الرحمانية التي يعبرون عنها بالوحي الإلهامي ، ومن اليد البيضاء نور التوحيد ، ومن فرعون النفس الأمارة ومن هامان عقل المعاش والوساوس الشيطانية ، ومن السحرة الفسق والعصيان وأعوان النفس من الهوى والشهوة وغيرها ، وهذه كلها في

(١) الكتاب الثالث : الأبيات ٩٧١-٩٧٣ .

(٢) الكتاب الثالث : الأبيات : ١٢٥٢-١٢٥٥ .

الأنفس ما دام سالك طريق أهل الله يصادق فرعون نفسه ، ويخاصم روح بدنه وعقل معاده لا يقدر الوصول لربه ، وإذا أردت الحصاة من الآفاق تعلم أن المراد من موسى الدال على الباقيات الصالحات من الوعاظ ، ومن هارون الذى يعاون الناس على الصلاح ومن العصا القرآن لزجر الفساق ، ومن فرعون أصحاب العصيان ، ومن هامان إخوان الشياطين أصحاب الخذلان ، ومن السحرة أهل الدنيا الذين يزينون للناس العصيان والشهوات .^(١) وأغلب الشراح القدامى يتناولون قصص المثوى من المنطلق السابق ، ولا حديث هناك عن الطغيان وتأثيره في المجتمع والأخلاق ، أو تحليل لسلوكيات المبطلين به ، في حين أن مولانا جلال الدين سعى من خلال هذه القصة بالذات إلى بيان كراهيته للطغيان السياسي واستعباد البشر واستحمارهم والاستكبار عليهم ، وفي هذا المجال يقدم نموذجاً عرف طوال عصور التاريخ كنمط للظلم والطغيان ، فلماذا لا نفترض أن مولانا كان يقصد حكام زمانه ، وكان يريد أن يبيث هموم نفسه ؟ وهل يستبعد هذا الموقف عن مولانا جلال الدين الذى احتفظ بذكرىات طفولته في وعيه أو لا وعيه طويلاً ؟ وكان يريد برسمه لهذه الصورة القائمة الساخرة لفرعون أن يصور خوارزمشاه وبطانته . ولم لا وقد صور محمد خوارزمشاه نفسه في إحدى حكايات المثوى كملك سفاح يريد أن يبني مدينة بأكملها ما لم تخرج له " سنيا " من بين أهلها^(٢) وشخصية فرعون في المثوى شخصية حية ذات حضور وذات عدة أبعاد ، وفي تحليل هذه الشخصية هناك تشابه يصل إلى حد المطابقة بين ما ذكره مولانا وذهب إليه في رسم الشخصية وما ذهب إليه الفلاسفة والمفكرون

(١) يوسف بن أحمد المولوى : المنهج القوى لطلاب المثوى - ج ٣ ص ١٨٣ .

(٢) الكتاب الخامس : الأبيات ٨٤٦-٨٧٦ .

القدماء في تحليل شخصية الطاغية وظاهرة الطغيان ، ورسم خصائص الطغيان . والأعجب أن مولانا يصور فرعون في أكثر من موضع بأنه أفعى ، ويتقدم علم المصريين صار معلوما أن فراغة مصر كانوا يحيطون رؤوسهم بشكل يرمز إلى الحية المقدسة والتي تسمى " اوريسوس " وذلك من أجل إلقاء الرعب في قلوب الرعية كما نص كارل فيتوفجل في كتابه عن الاستبداد الشرقي ، هذه الأفعى هي نفسها التي ذكرها الفردوسي في الشاهنامه وأنها كانت تنمو من كل كتف من كتفي الضحاك " رمز الطغيان في الشاهنامه والمأثور الفارسي والعربي فيما بعد " ، ولا يعدم هذا الرمز تشابها مع رمز أفلاطون في هذا الصدد ، إذ يشبهه الطاغية بذئب ، ويضيف أنه عندما يأكل الإنسان قطعة من لحم الإنسان فإنه يتحول إلى ذئب .

ومن خصائص الفرعون سجود الناس له ، كدليل على الخضوع الذي لا نهاية له وخصيصة من خصائص الاستبداد الشرقي ، وهذا هو ما نص عليه مولانا:

- إن سجود الخلق من نساء وأطفال ورجال ، قد وقر في قلب فرعون فجعله مريضا .

- وخطاب كل إنسان له قائلا : أيها الملك الإله ، قد جعله متهتكا من الوهم حتى جرو على ادعاء الألوهية ، صار أفعى ولم يكن يشبع قط .^(١)

ومن صفات الطاغية أيضا والتي يتفق فيها مولانا مع من حللوا ظاهرة الطغيان ، والتي يتفق فيها أيضا الطغاة القدماء مع الطغاة المحدثين ، أن الطاغية يهتم اهتماما فائق الحد بتزيين مظهره ، إنه بتعبير مولانا يرصع

(١) الكتاب الثالث : الأبيات ١٥٥٦-١٥٥٨ .

نفسه ، وهو وإن كان لا يساوى دودة ، إلا أنه يحب أن يتجلى دائما بمظهر الطاووس :

- إن ذلك يشبه أمر فرعون الذى رصع لحيته ، وادعى من حماريته أنه فوق منزلة عيسى .

- وكان بدوره قد ولد من أنثى ابن آوى ، وسقط في دن المال والجاه .

- وكل من رأى ماله وجاهه سجد ، وخدع هو بسجود من انخدعوا فيه .

- ومن سجود الخلق وانبهارهم به ، انتشى ذلك الشحاذ مهلهل الثياب^(١)

ولنمعن النظر ، أو لنرجع البصير إلى بعض الطغاة القدامى والمعاصرين ولنطابق بين أوصافهم وما ذكره مولانا ، وماذا تعنى رصع لحيته غير ارتداء الحلل الفاخرة وأحيانا بعض الأزياء الخاصة والغريبة ، والتحلى بأنواع الحلى والميداليات والأتواط ، ثم الظهور أمام الجياع العراة ، ولا شك أن هذه الزينة المبالغ فيها على الظاهر ، تخفى خرابا بلقع وخواء لا نهاية له في الباطن ، وكل كان الباطن أكثر خرابا وخواء ، كان الظاهر أبهى زينة وأقشبه .

ومعلوم أيضا أن الطاغية - قديما وحديثا - ينأى بنفسه عن الناس ، ويضن بمرآه عليهم، ويجعل من دونه الحرس والحجاب ، لأنه لا ينبغي أن يراهم الناس كثيرا فيبتذلون، وهكذا كان فرعون ، فالיום الذى يلتقى فيه بالناس يوم عيد ، مجرد رؤيته عيد :

- فلم يكن لهؤلاء الأسرى من نصيب إلا الإبعاد ، ولم يكن مسموحا لهم برؤية فرعون .

- ولو كان يصادفهم في الطريق ، كانوا طبقا لذلك القانون ينكبون على وجوههم.

(١) الكتاب الثالث : الأبيات ٧٧٨-٧٨١.

- كان القانون هو ألا يرى أحد من الأسرى وجه فرعون ذاك في وقت أو في غير وقت .

- وعندما كانوا يسمعون أصوات الحرس في الطريق ، كانوا يستديرون إلى الجدران كي لا يروا وجهه .

- ومن يرى وجهه يكون مجرماً ، ويحقيق به أشد أنواع العقاب .^(١)
وقال كل فلاسفة اليونان وبخاصة أفلاطون أن النتيجة المباشرة لهذا أن ينقلب كل الناس إلى عبيد ، فالناس عندما يتحولون إلى عبيد تجد الناحية الألوهية عند الطاغية ماصدقاتها ، لكن من تناقضات شخصية الطاغية ، أنه في نفس الوقت يمتليء رعباً وهلعاً من الناس ، ويظل في انتظار نهايته المحتومة . ولتنظر إلى مولانا يصور فرعون الذي كان يعيش داخل قصره وبين حراسه وحجابه يمتليء رعباً وهلعاً من الناس المحتفلين في الميدان ، ويخرجه صياحهم الذي يصل إلى مسامعه على البعد عن طوره :

- وفي نفس الوقت ، ومن ناحية الميدان ، كانت صيحات 'الخلق تملأ الفضاء وتصل إليهما .

- وخوفاً من تلك الأصوات قفز فرعون في تلك اللحظة حافياً صائحاً : أى ضجيج هذا حذار .

- أى صوت هذا من ناحية الميدان ، وأى ضجيج يهلع الجنى والشيطان خوفاً منه .

- فقال عمران : أطل الله عمر مليكنا ، إن بني إسرائيل مسرورون منك .

- إنهم في مرح وسعادة من عطاء الملك ، فهم يرقصون ويصفقون .

- قال فرعون : ربما يكون الأمر هكذا ، لكن الوهم والفكر قد ملأني تماماً .^(٢)

ويقول أفلاطون ، ومن المشاهدة العينية لكل طاغية أن الطاغية لا يجمع حوله عادة إلا كل منافق ومداهن ، وهم يخافونه ، وهو أشد خوفاً منهم ، وكلهم

(١) الثالث : ٨٤٩-٨٥٣ .

(٢) الكتاب الثالث : الآيات ٨٩٠-٨٩٥ .

بمصطلح مولانا يلعبون نرد الخدمة معكوسا ، وأسوأ خيانة لفرعون ولخطط فرعون تتم على باب مخدع فرعون ، وعلى يد أقرب المقربين إليه ، وهذا يثبت - للمرة المليون - أن الخطر الحقيقي على الطاغية يكمن في أقرب الناس إليه . وتتكرر في التاريخ شخصية بروتوس ، ومن هنا فإن نطفة موسى تتعقد على باب فرعون نفسه ، وموسى نفسه يتربي في أحضان فرعون:-
- لقد احتال الإنسان ، وكانت حيلته شراكا له ، ومن ظنه حبيبا ، كان سافكا لدمه .

- وأغلق الباب والعدو داخل داره ، وكيد فرعون من هذا القبيل .
- فلقد قتل مئات الآلاف من الأطفال ذلك الحقود ، في حين أن من كان يقصده ، كان داخل داره .^(١)

وبتعبير مولانا أن كل ما كان يجري كان سببه عمى قلب فرعون الذى كان يصارع الإرادة الإلهية ، فقد كان يرى نفسه إلها قادرا على كل شيء ، وبالنظر إلى طبيعة الطغيان نرى أن الطاغية يسرع بنفسه إلى نهايته ، ويسعى إلى حتفه بظلفه ، ويجد ويكدح من أجل نهايته ، وكل لحظة يدق مسمارا في نعشه ، إنه هو الذى يربي الثورة ، بفعاله يغذيها بالوقود اللازم ويقوى في زخمها ، وأعدى أعداء الطاغية هو نفس الطاغية :

- مثل فرعون الذى كان قد ترك موسى ، وأخذ في قطع رؤوس أطفال الخلق .
- كان العدو موجودا في منزل ذلك الأعمى القلب ، بينما انهمك هو في قطع رؤوس الأطفال الآخرين .

- وأنت أيضا ساء مع الآخرين في ظاهرك ، وفي باطنك تصالحت مع النفس ثقيلة الحمل

(١) الكتاب الأول : الأبيات ٩٢٢-٩٢٤.

- إنها عدوتك ومع ذلك تقدم لها السكر ، ثم تلقي التهمة على كل إنسان يحيط بك من خارجك .

- إنك كفرعون أعمى البصر وأعمى القلب ، طيب مع عدوك ، مذل للأبرياء .

- فحاتم تقتل البريء يا فرعون ، وتكرم الجسد المليء بالغرم .^(١)
وهذا هو نفس المعنى الذى عبر عنه مولانا في موضع آخر بأن " الطاغية في عين قهره مقهور وفي عين نصره مأسور " .^(٢)

وقد صورت التناقضات الداخلية في نفسية الطاغية والتي تظهر في سلوكياته بإبداع شديد في مثوى مولانا ، فالفرعون الذى كان في ظاهره جبارا سفاكا للدماء متكبرا مليئا بالشر ، وكان يرى نفسه قادرا على كل شيء ، كان في الحقيقة على العكس: واهنا معدوم الكفاية خائفا وجبانا ، بحيث يسخر منه الأذكىاء والمؤمنون :

- لقد رأى فرعون العنود حية موسى ، فأخذ في طلب المهلة وإبداء اللين
- وقال الأذكىاء : كان ينبغي عليه أن يكون أكثر حدة وغضباً ما دام هو رب الدين .

- وسواء كانت المعجزة أفعى أو حية ، ترى ماذا حدث لألوهيته وكبريائه ؟

- لقد كان يهتف : أنا ربكم الأعلى عند جلوسه ، فما هذا الهلع الذى يبدية من أجل دودة ؟^(٣)

(١) الكتاب الرابع : الأبيات ١٩١٧-١٩٢٢ .

(٢) الكتاب الثالث : العنوان السابق للبيت ٤٥٦٤ .

(٣) الكتاب الخامس : الأبيات ٢٤٤٤-٢٤٤٧ .

وفي تحليل شخصية الطاغية في الآداب العالمية - وبخاصة الآداب الروائية - نرى أن الطاغية مهما كان في الظاهر يبدو مظفرا ومنتصرا ، فهو في الحقيقة مهزوم في أعماقه شاك باك ومعذب برؤى تعد انعكاسا نفسيا حتميا لما يرتكبه من آثام ، وتبدو نهاية الطاغية أول ما تبدو له نفسه في صورة رؤى وكوابيس مهولة ومخيفة تحرمة اللذة التي ينالها كل فقير معدم وهي لذة العيش والنوم وراحة البال :

- أحيانا كنت ترى في النوم أن ملابسك تشتعل نارا، وأحيانا كنت ترى أن عينيك وفمك قد خيطا .

- وأحيانا ترى وحشا يهم بسفك دمك ، أو ترى رأسك بين أتياب حيوان مفترس .

- حينما ترى نفسك منقلبا في مرحاض أو غريقا في سيل عرم من الدم .

- وأحيانا يهتف بك هاتف من هذا الفلك النقي : إنك شقي شقي شقي .

- وأحيانا يهتف بك هاتف صراحة من الجبال ، قائلا لك : إمض إنك من أصحاب الشمال.

- وحينما يأتيك النداء من كل جماد هاتفنا : لقد سقط فرعون في الجحيم إلى أبد الآباد .

- وهناك ما هو أسوأ ، ولا أذكره لك حياء ، حتى لا يزداد طبعك المعكوس سوءا .^(١)

ألا تذكرنا كل هذه الكوابيس التي كان فرعون يراها في النوم بنظريات علماء النفس المعاصرين ؟ أليست تعبيرا دقيقا عن هجوم اللاوعي على الوعي ؟ وفي الشطرة الثانية من البيت الأخير توجد إشارة عميقة ، أن النتيجة الحتمية لهذه

(١) الكتاب الرابع : الأبيات ٢٤٩٣-٢٤٩٩.

الكوايس هي أن الطاغية يزداد سوءا ، فضلا عن أن مواجهته بها تجعله أكثر عتوا واستكبارا ، وأكثر تعطشا للدماء واستعبادا للخلق ، وبين هذين الوجهين كحجرى الرعى يطحن الطاغية ويسرع نحو نهايته المحتومة .

وأشوأ تجليات سمات شخصية الطاغية تظهر عند مواجهته للناس أو مواجهة الناس له ، تفتضح مدامنته ونفاقه وضعفه وخوره وتعلن على الملأ ، وفي الأبيات التالية يبين مولانا ببيان معجز كيف أن فرعون الذى استعبد الناس وأذلهم وأفقرهم وأضعفهم يظهر لهم الشفقة ويتحدث باسمهم وآمالهم ، وحتى يجعلهم يثورون على موسى عليه السلام يقدم لهم موسى كمتهم يخدع الخلق ويجرهم إلى الذبح :

- قال له فرعون : لماذا أيها الكليم قتلت الخلق وأوقعت فيهم الرعب ؟
- وعند فرارهم سقط الخلق خوفا منك ، وعند فرارهم قتل الخلق من سقوطهم بعضهم فوق بعض منزلقين .
- فلا جرم أن الناس قد اعتبروك عدوا ، ووقر الحقد عليك في قلوب الرجال والنساء .
- وكنت تدعو الناس ، وانقلب الأمر إلى عكسه ، ولا بد للناس من مخالفتك .
- وأنا أيضا وإن كنت أعانى من شرك ما أعانى ، فإنني عقابا لك ، أدبر لك أمرا .
- فاصرف عن قلبك أنك تستطيع خداعي ، أو أن أحدا سوف يتبعك ، إلا ظلك .
- ولا تغتر بما صنعت ، أو أنك أوقعت الرعب في قلوب الخلق .
- فهات أضعاف ما أتيت به ، وتفتضح ، وتذل ، وتصير أضحوكة للغوغاء .

- فقد كان هناك كثير من المشعوذين والمحتالين أمثالك ، وفي النهاية أفتضحوا في مصرنا .^(١)

ولنر ، كم مرة كرر فرعون لفظ الناس والخلق في هذه الخطبة القصيرة ؟ لكن علينا ألا ننسى أنه فرعون ، وفرعون سرعان ما يرتد إلى طبيعته ، ويسمى نفس هؤلاء الناس الذين يتملقهم بالغوغاء " أو العوام كالأنعام " ، وموسى في رأى فرعون هو المسئول عن قتل الخلق ، والمسئول عن رعبهم وقرارهم ، أما من قتل فرعون ، وسنوات الرعب التي عاشها الخلق تحت ظل حكمه الفرعوني ، فأمور من السهل نسيانها ، فلا بد أن هذا كله كان لمصلحة الشعب الذى اختاره . وهكذا يرى كل فرعون نفسه واجب الوجود ، لازماً لزوم الماء والهواء ، بدونه لا يتم أمر ، ويتوقف الكون عن الدوران ، وهو يعتقد أنه لو انحسر ظله المبارك - لا قدر الله - عن رؤوس الخلق ، قلن يكون بديل له إلا الهرج والمرج والفوضى ، وفرعون الذى بين أيدينا كان يظن أن ماء النيل لا يجرى إلا بأمره وإرادته " ضمن إشارة لسنائي الغزنوى في الحديقة " ومن هنا يوجه فرعون الحديث إلى موسى قائلاً :

- وقد اختارني أهل الدنيا ، فهل أنت أعقل منهم يا هذا ؟! ^(٢)

وفي الشطرة الثانية : موسى النبي وأول نبي مطالب بالحرية وثائر هو في رأى فرعون مجرد هذا أو في النص الفارسي " فلان " يعنى إنسان مغمور بلا إسم فاقد الأهلية لا يستحق أن يجرى إسمه على لسان فرعون العظيم .

ومن التناقضات الأخرى في شخصية الطاغية ، والتي فهمها مولانا فهما جيداً أن أسوأ مظاهر غضب الطاغية تنصب أول ما تنصب على المقربين

(١) الكتاب الثالث : الأبيات ١٠٦٧-١٠٧٥ .

(٢) الكتاب الثالث : البيت ١٠٨٣ .

والمستشارين والمخلصين ، فالطاغية أصلا لا يخطيء ، وإذا خاب وخسر وفشل - وهذا هو ما يحدث في الغالب - فإنه لا يستطيع أن يتحمل مسئولية الفشل والخيبة مهما كان ضليعا فيها - وهو في الحقيقة أصلها وأساسها - ومن ثم ينصب غضبه على أولئك المقربين الذين كانوا أول من خدع به وأول من عاونوه وأعانوه على الباطل ، فسرعان ما يقدمون ككباش ، وعامل تهدة ، ووسيلة تقرب :

- وسمع الملك فقال : أيها الخونة ، لأصلبنكم جميعا بلا إهمال .
- لقد جعلت من نفسي أضحوكة ، وخسرت أموالى " وأنفقتها " على الأعداء .
- حتى ابتعد بنو إسرائيل جميعا عن نسائهم تلك الليلة .
- وضاع المال والكرامة ، ولم يتم الأمر ، أهذا هو العون وأفعال الكرام ؟!
- ولسنوات وأنتم تأخذون الأموال والخلع ، وتهبون الممالك ، وهي مسلمة لكم .
- وهكذا كان رأيكم ، والعلم ، والنجوم ، وأنتم آكلون بالمجان ، مكرة ، مشنومون .
- لأشنتكم ، ولأضرمن فيكم النيران ، ولأقطعن أنوفكم وآذانكم وشفاهكم .
- ولأجعلن منكم حطباً للنيران ، ولأجعلن سروركم السالف مرارة عليكم^(١) .
- والنتيجة أن الطاغية يصبح سيء الظن مليئا بالوساوس بالنسبة للمحيطين به ، يبقى وحيدا تماما ، يرى الكوايبس في النوم ، ويبكي في اليقظة ، وتتجسد أمام عينيه كل جرائمه وآثامه ، ويرى نفسه عيانا بيانا على الباطل :
- وكان موسى شاكيا إلى الله نهارا ، بينما كان فرعون باكيا في جنح الليل .

(١) الكتاب الثالث : الأبيات ٩٢٠ - ٩٢٧ .

- مناجيا : يا إلهي ، أى غل هذا في عنقي ؟ وإن لم يكن ثم غل ، فمن
يجرؤ على قول : ها أنا ذا ؟

- وذلك أنك قد غمرت موسى بالنور ، ومن ذلك جعلتني كدرا هكذا .
- ونجمي لم يكن بأفضل من القمر ، ومادام الخسوف قد حل ، فأية
حيلة لي ؟!

- والدور دورى ، وكوسات السلطنة تدق لي ، ومع ذلك فقد خسف قمرى ،
والناس يدقون على الطسوت .

- إنهم يدقون على الطسوت ويحدثون الضجيج ، ويجعلون القمر مفتضحا بهذا
الدق .

- وويلي ، ويلي أنا الفرعون من الدق على الطسوت التي تتاديني بربي
الأعلى .

- ثم قال فرعون لنفسه : عجبا !! أأست أنا المقيم على المناجاة طوال
الليل ؟!

- إنني في السر أكون مخلوقا من تراب ومترنا ، وعندما ألتقي بموسى ، إلام
أصير ؟! (١)

في الأبيات السابقة ، يصور مولانا فرعون كأحد أبطال التراجيديات القديمة ،
يعلم أن كل ما يصنعه ، يتفرق بددا ، يساق بقوة فوق بشرية ، ولا يستطيع
أن ينجو من مصيره ، ومهما رأى عمله بلا نتيجة ، لا يستطيع أن ينصرف
عنه ، ولا يستطيع أن يفعل سواه ، كأنه يلعب دورا في مسرحية ، ولا
يستطيع أن يتفوه بكلمة واحدة بعيدا عن النص ، وهكذا يعترف فرعون أمام
نفسه :

(١) الكتاب الأول : الأبيات : ٢٤٥٩-٢٤٦١ و ٢٤٦٣-٢٤٦٦ و ٢٤٧١-٢٤٧٢ .

- فإنتي قد انقلبت من انعكاس نار الجحيم على إلى نار ، وصرت غريقا في غضب الله .

- أحيانا من انعكاس غاشية الجحيم على صرت كالحيّة ، ممطرا للسم على أهل الجنة .

- وأحيانا من إنعكاس غليان ماء الحميم ، جعل ماء ظلمي الخلق كالرميم .
- فأنا من انعكاس الزمهرير زمهرير ، أو من انعكاس ذلك السعير على سعير .

- فأنا جهنم على الدرويش والمظلوم الآن ، وويل لذلك الذي أجده ضعيفا فجأة.(١)

والطاغية الذي يسرع نحو مصيره هرولة ، لا يستمع إلى نصيحة الناصح الأمين المخلص ، ويعطيها أذنا بها وقر ، وعلى العكس يستمع إلى مشورة المستشار المنافق ، وهكذا كان فرعون ، ضرب بنصيحة زوجته عرض الحائط ، وقبل نصيحة وزيره هامان ، لماذا ؟ لأن هامان من جنسه ، ولا يمكن أن يكون أحد وزيرا لفرعون إلا هامان ، ويصور مولانا مشورة هامان قائلا :

- لقد تحدث إلى هامان عندما انفرد به ، فقفز هامان وشق جيبه .
- وأخذ يصرخ ويبيكي ذلك اللعين ، وألقى بالعمامة والتاج على الأرض .
- وقال : كيف قال ذلك الوقح كلاما فارغا كهذا في حضور الملك ؟
- لقد أخضعت العالم بأجمعه ، وسويت الأمور بإقبالك الذهبي .
- ودون أى عناد ، يأتي إليك الملوك من المشارق والمغارب ، يؤدون الجزية " عن يد وهم صاغرون " .
- والملوك يمرغون شفاههم على عتبة بابك فرحين أيها الملك العظيم .

(١) الكتاب الرابع : الأبيات ٢٥٢٣-٢٥٢٦.

- وجواد كل متمرّد عندما يرى جياننا ، يحول وجهه ويلوذ بالفرار دون عصا منا .

- وكنت حتى الآن معبودا للدنيا وموضع سجودها ، فتحولت إلى أحقر العبيد .

- إن الدخول في لهيب ألف نار ، أفضل من أن يصير سيد مولى لعبد .

- لا ، أقتلني أولا يا " غالبا " ملك الصين ، حتى لا تبصر عيني هذا الأمر " يجرى على " الملك .

- واضرب عنقي أولا يا سيدى ، حتى لا تبصر عيناى هذه المذلة .

- إن هذا الأمر لم يحدث من قبل ، ولاحدث ولا كان ، أن تتقلب الأرض سماء والسماء أرضا .

- وأن يصير عبيدنا شركاء لنا ، وأن يصير الخائفون منا أذى على قلوبنا .

- وأن تضىء عيون الأعداء فرحا بينما يعمى الأصدقاء ، إذن فقد صارت بطن الأرض لنا خيرا من ظهرها .^(١)

ولقد تحدث هامان من مدخل شخصية فرعون : الكبرياء والكبرياء وحده ، ومن ثم شارك في سوق فرعون إلى مصيره المحتوم .

هل كان مولانا يؤمن بالتغيير الجذرى ؟ الواقع أننا نلمح عند مولانا راديكالية مبكرة استخدمها في معرض تكوين الشخصية ، لكن لماذا نستبعد أنه كان يقصدها بكل أبعادها ؟ فالتغيير لا بد وأن يكون شاملا لا يتوخى التدرج ، وترميم القديم لا يفيد ، بل الواجب أن يقوض البناء من أساسه ويقوم بدلا منه بناء جديد ، وكل واقع جديد لا بد وأن يقوم على أنقاض القديم ، والعالم

(١) الكتاب الرابع : الأبيات ٢٧٢٣-٢٧٣٦.

كله في حالة تهدم وبناء ، قديم يمضي وجديد يأتي ، وكل شيء هالك إلا وجهه :

- لقد جاء أحدهم وأخذ يحرق الأرض ، فصاح أحد البلهاء ، ولم يستطع صبرا؛

- قائلا : لماذا تقوم بتخريب الأرض وكشفها وتحدث فيها كل هذا الإضطراب ؟

- فقال له : إمض أيها الأبله ، ولا تحمل عليّ ، وميزز أولا بين العمارة والخراب .

- فمتى ينبت منها حقل حنطة أو تتبثق منها روضة ما لم تصر قبيحة ومخربة هذه الأرض ؟

- ومتى يمكن أن تتحول إلى بستان وفروع وأوراق وثمار ، ما لم تقلب ظهرا لبطن ويصير عاليها سافلها ؟

- وما لم تشق بالمبضع الجرح الذي إلّام على تقيح ، فمتى يشفى ومتى يصير موضعه ناعما ؟

- وما لم تغسل أخلاطك بالدواء ، متى يذهب التهيح ويأتي الشفاء ؟

- إن الخياط يمزق الثوب إربا ، فهل يقوم أحد بضرب هذا الخياط الماهر ؟

- قائلا له : لماذا مزقت هذا الأطلس الفاخر ؟ وماذا أفعل أنا بهذه القطع الممزقة ؟

- وعندما يراد ببناء قديم أن يعمر ، ألا يقومون في البداية بهدم البناء القديم ؟

- وهكذا ألا يقوم النجار والحداد والقصّاب بهدم قبل البناء والتعمير ؟

- وألا يكون من دق النباتات الطيبة وسحقها الدواء الذي جعلوا منه عمارة الجسد ؟

- وما لم يطحن القمح ويدق في الطاحون ، متى يمكن لموائدنا أن تزدان به؟^(١)

وتكثر هذه الإشارات في مثوى مولانا ، مما يثبت أنه لم يكن ذلك الصوفي الهائم بين وحدة الوجود ووحدة الشهود ، بل كان مفكرا عظيما ، عينه على الأرض ، يريد أم يجعل من الإنسان مخلوقا سماويا ، ومن ثم ضمن به أن تستعبده نفسه فضلا عن أن يستعبده جبار في الأرض ، يريد أن يشارك الله رداء كبريائه .

(١) الكتاب الرابع : الأبيات ٢٣٤١-٢٣٥٣ .

بسم الله الرحمن الرحيم

مثنوى

مولانا جلال الدين الرومي

الكتاب السادس

الترجمة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا هو المجلد السادس من دفاتر المثوى والبيانات المعنوية التي هي مصباح " يقشع " ظلام الوهم والشبهة وخيالات الشك والريبة ، وهذا المصباح لا يمكن إدراكه بالحس الحيواني لأن المقام الحيواني في أسفل سافلين إذ خلق من أجل عمارة الصورة السفلى ، وحصرته حواسه ومداركه في دائرة لا يتجاوزها - ذلك تقدير العزيز العليم - أى بمقدار مدى عملها ومنتهى نظرها، لأن لكل نجم قدراً وعملاً على الفلك ، ويصل عمله إلى ذلك الحد ، ومثله مثل حاكم المدينة الذي يكون حكمه نافذاً في تلك المدينة، ومن ثم يكون حاكماً لما يكون وراء توابع تلك المدينة . عصمنا الله من حبسه وختمه وما حجب به المحجوبين . آمين يارب العالمين .

النص

- يا حياة القلب ، يا حسام الدين ، إن الميل ليغلب كثيراً إلى " نظم " قسم سادس .
- لقد صار من جذب علامة مثلك ، طوافاً في الدنيا باسم حسامى نامه^(١) .
- وسوف أقدم لك هدية أيها المعنوى ، قسماً سادساً هو تمام المثنوى .
- فافتح النور للجهات الستة من هذه الصحف الستة ، " كى يطوف حوله من لم يطف " ^(٢) .

٥ - وليس للعشق أمر مع " الحواس " الخمسة " و " الجهات " الستة ، وليس له من مقصد سوى جذب الحبيب .

- ولعل أمراً يصل فيما بعد ، فيتم البوح بالأسرار التى ينبغى أن تقال .
- وذلك ببيان يكون أقرب من هذه الكنايات الدقيقة المستترة .
- وليس للسر من شريك إلا العالم بالسر ، والسر فى أذن المنكر لا يكون سراً .
- لكن الدعوة واردة من الخالق ، وأى شأن له - جل وعلا - بالقبول أو عدم القبول .

١٠ - لقد أخذ نوح يدعو لتسعمائة سنة ، وكان إنكار قومه يزيد لحظة بعد لحظة .

- فهل تراه لوى العنان عن القول قط ؟! وهل تراه رقد قط فى غار الصمت ؟!
- وقال : أمن نباح الكلاب وأصواتهم عادت قافلة قط عن الطريق ؟!
- أو وهن البدر فى مسيره فى ليلة مقمرة من نباح الكلاب ؟!

(١) نسخة جعفرى (يرمز إليها بعد ذلك بالحرف ج) بيت زائد هو :

- إننى أقدم من أجل رضاك قسماً سادساً من المثنوى كهدية لك .

(محمد تقي جعفرى : تفسير ونقد وتحليل مثنوى جلال الدين محمد ، ج ١٣ ، ص ٦٠ ، ط ١٠ ، ١٣٦٩) .

(٢) بالعربية فى المتن .

- إن القمر يلقي بالنور والكلب ينبح ، وكل أمرئ يعكف على ما تمليه عليه خلقته .

١٥- لقد أعطى القضاء كل أمرئ خدمة ما ، وجوهره مناسب لها عند الابتلاء .
- ومادام الكلب لا يقلع عن نباحه السقيم ذاك ، فمتى أترك أنا سيرى وأنا القمر ؟!

- وإذا كان الخل يزيد في طبيعة " الخلية " ، فمن الواجب إذن أن يزداد السكر .
- إن القهر خل واللفظ بمثابة العسل ، ومنهما معاً يكون أساس كل عقار مكون من الخل والعسل !!

- فإذا قلَّ العسل في كميته عن الخل ، فقد اختل ذلك العقار .
٢٠- ولأن القوم أخذوا يصبون عليه ألوان " الخل " ، فإن البحر أخذ يصب على نوح كثيراً من السكر .

- وكان المدد لسكره من بحر الجود ، ومن ثم كان يظل في زيادة عن خل كل أهل العالم .

- فمن هو الواحد الذي يساوى ألفاً ؟! إنه ذلك الولي ، بل إن عبد العلى يساوى " أهل " مائة قرن .

- والدن الذي يكون من البحر طريق إليه ، تركع الأنهار ، التي تشبه جيحون على ركبها أمامه .

- خاصة ذلك البحر الذي عندما استمعت كل البحار لهديره وجيشانه ؛
٢٥- تمررت أفواهاها حياة وخجلاً ، إذ كيف صار الاسم الأعظم مقترناً بما هو أقل منه ؟!!

- وعندما تقارن هذه الدنيا بتلك الدنيا ، فإن هذه الدنيا تصير قافزة من الخجل .

- إن هذه العبارة قاصرة دنية في رتبته وإلا فأى نسبة للخسيس مع الأخص ؟!
- وعندما ينطق الغراب في الكرم نعيق الغربان ، متى يجعل البلبل يقلل من
تغريده العذب ؟!

- ومن ثم فكل شار على حدة ، في هذا السوق الذي فيه " يفعل ما يشاء " .
٣٠- فإن ما يُحصد من أجمة الشوك يكون غذاءً للنيران ، ورائحة الورد قوتاً
لأنف المنتشى .

- وإذا كانت القذارة بغير قيمة بالنسبة لنا ، فهي للخنزير والكلب " في حلاوة"
السكر .

- وإذا كان الأقدار يكثر من هذا القدر ، فإن المياه تعكف على التطهير^(١) .
- وإذا كانت الحيات تنفث السم ، وإذا كان الممرورون يبعثون فينا الفرقة ؛
- فإن النحل على الجبل وعلى الشجر وفي خلاياه يصنع من الشهد مخزناً
للسكر .

٣٥- ومهما تقوم أنواع السم بتسميم " الخلق " ، فإن أنواع الترياق منها تمحو
السم سريعاً .

- وهذه الدنيا عندما تنتظر إليها ، حرب شاملة ، بين كل ذرة وذرة " كالحرب "
بين الكفر والدين .

- فتلك الذرة آخذة في الطيران نحو اليسار ، وانظر إلى الحرب الفعلية بينهما في
ميلهما وانحرافهما .

- والحرب الفعلية هي هذه الحرب الخفية ، ومن هذا التضاد ، اعلم ذلك التضاد .

(١) ج ١٣ / ٦١ : وإذا امتلأت الدنيا بالقذى ، فإن النار تمحوها في لحظة واحدة .

٤٠- أما الذرة التى انمحت في الشمس ، فان الحرب " التى تخوضها " ، خرجت عن الوصف والحساب .

- وعندما انمحي عنها النفس والنفس ، صارت حربها حرب للشمس فحسب .
- لقد انتفت عنها بالطبع الحركة والسكون ، من أى شئ ؟! من « إنا إليه راجعون » !!

- إتنا راجعون من أنفسنا إلى بحرك ، صرنا طالين للرضاع من رضاع الأصل .

- ويا من بقيت في شعب الطريق من " إضلال " الغول ، كفاك نفاجاً عن الأصول يا عديم الأصل .

٤٥- وإن حربنا وصلحنا في نور عين الوجود ، ليس من لدنا ، إنه " بين إصبعين " !!

- وهناك حرب الطبع وحرب الفعل وحرب القول ، هناك حروب ضروس بين الأجزاء .

- وهذه الدنيا قائمة على هذه الحرب ، فانظر إلى العناصر حتى يحل لك هذا " المشكل " .

- فالعناصر الأربعة أربعة من العمد القوية ، يستوى بها سقف الدنيا .

- وكل عمود محطم للعمود الآخر ، فعمود الماء محطم لذلك الشرر .

٥٠- ومن ثم فبناء الخلق قائم على الأضداد ، فلا جرم أننا مقاتلون من أجل الضر والنفع .

- وهناك أحوال يخالف كل منها الآخر ، وكل منها يخالف الآخر في أثره .

- ومادمت أقطع الطريق على نفسى في كل لحظة ، فكيف أتوافق مع شخص آخر ؟!

- فانظر إلى أمواج جند أحوالى ، كل منها مع الآخر في حرب وخصومة .
- وانظر في نفسك إلى مثل هذه الحرب الشعواء ، فما انشغالك إذن بقتال الآخرين .

٥٥- فربما يشترك الحق من هذه الحرب ، ويحملك إلى عالم السلام ذى اللون الواحد .

- فتلك الدار ليست إلا باقية وعامرة ، ذلك لأن تركيبها غير قائم على الأضداد .
- وهذا الفناء إنما يتأتى للضد من ضده ، وعندما لا تكون أضداد ، فليس إلا البقاء .

- لقد نفى ذلك الذي لا نظير له الضد عن الجنة ، فلا يصح أن تكون شمس " مع ضدها " أى " الزمهرير " .

- فإن انعدام اللون هو أصل الألوان ، وإن أنواع الصلح هى أصول الحرب .
٦٠- وذلك العالم هو أصل هذه الدار الممتلئة حزنا ، والوصل هو أصل كل هجر وفراق .

- فمن أى شئ هذا الخلاف عندنا ... يا سيدنا !!؟ ومن أى شئ أدت الوحدة إلى هذه الأعداد !!؟

- ذلك أننا فروع والأضداد الأربعة هى الأصل ، والأصل نقل طبعه إلى الفروع .

- وجوهر الروح لما كان وراء أنواع الفصل ، فليس هذا طبعه ، بل هو في طبع الكبرياء .

- فانظر إلى الحروب فهي أصول السلام ، مثل النبی ، كانت حروبه من أجل الله^(١) .

٦٥- فهو غالب ومظفر في الدارين ، وشرح هذا الغالب مما لا تستوعبه الأقواء .

- وإذا كان تجرع ماء نهر جيحون غير ممكن ، فإنه لا يمكن الامتناع عما يطفىء الظمأ .

- فإذا ما صرت ظامناً إلى البحر المعنوي ، فقم بنزهة في جزيرة المثوى .

- تنزه فيه بحيث ترى في كل نفس ، أن المثوى " كتاب " معنوي فحسب .

- وعندما تفصل الرياح القذى عن ماء الجدول ، يكتشف الماء لونه المتوحد !!

٧٠- وأنظر إذن إلى أغصان المرجان النضرة ، وانظر إلى الثمار التي نمت من جدول الروح .

- فعندما يتوحد عن الحرف والصوت والنفس ، يترك هذا كله ويصير بحراً .

- صار المتحدث والسامع والكلام نفسه روحاً في النهاية .

- وعاطى الخبز وأخذ الخبز والخبر الطاهر ، يتجردون عن الصور ، ويصبحون تراباً .

- لكن معانيها تكون في ثلاث مقامات ، وفي المراتب تتميز على الدوام .

٧٥- لقد صارت الصورة تراباً لكن المعنى لم يصير ، وهناك من يقول لك : بل صار ، قل له لا ... لم يصير .

- وفي عالم الروح ، الثلاثة منتظرون ، حيناً هاربون من الصورة وحيناً آخر مستقرون فيها .

(١) ج ٦٢/١٣ :

- فما أعجبها من حرب تكون أصلاً للسلام ، وسعد ذلك الذي تكون حربه من أجل الله .

- ويأتيها الأمر : امض في صور ، فتمضي ، ثم تصير أيضاً مجردة بأمره .
- فاعلم إذن أن ﴿ له الخلق والأمر ﴾ ، والخلق هو الصورة والأمر هو الروح
التي تعطيها .

- والراكب والمركوب " خاضعان " لأمر المليك ، والجسد على العتبة ، والروح
في البلاط .

٨٠- وعندما يريد للماء أن يوضع في القدر ، يأمر المليك جيش الروح
بالركوب .

- ثم إنه عندما يدعو الأرواح إلى الصعود ، يأتي الأمر من النقباء بالنزول .
- وبعد هذا سوف يصير الكلام دقيقاً ، فقل " ضرام " النار ولا ترد في حطبها .
- حتى لا تغلى القدور الصغيرة سريعاً ، وذلك أن قدر الإدراك صغيرة ودنية .
- فتقدس سبحانه ، إنه يغرس مزرعة تفاح ، ثم يخفيها في غمام الكلمات .
٨٥- " ويضع " حجاباً من غمام الصوت والحرف والقليل والقال بحيث لا يبدو من
التفاح سوى رائحته .

- فاجذب مرة هذه الرائحة بوعيك حتى تحيلك إلى أصلك ، جارة إياك من
أذنك .

- فاحفظ هذه الرائحة ، وحاذر الزكام ، وغط جسدك من الريح ، ووجود العاصي
الغث .

- حتى لا يسد مشامك عن الأثر ، من هواهم أكثر برودة من الشتاء .
- فلأنهم جماد متجمدون عظام الأجسام ، فإن أنفاسهم تتطلق من تل من الثلج .

٩٠- وعندما تكتسى الأرض بكفن من هذا البرد ، فاضرب بسيف شمس حسام الدين .

- هيا واستل من الشرق سيف الله ، وأدفيء من مشرقها هذه العتبة .
- فإن تلك الشمس تطعن ذلك البرد بخنجرها ، فتتصب السيول من الجبال على التراب .

- ذلك أنها لا شرقية ولا غربية ، وهى في حرب مع المنجم صباح مساء .
- قائلة له : لماذا جعلت من دونى نجوماً بلا هدى قبلة من اللؤم والعمى ؟!
٩٥- بحيث لا يعجبك مقال ذلك الأمين، حين قال في القرآن ﴿ لا أحب الآفلين ﴾
- ومن قوس قزح عقدت الحزام أمام القمر ، ومن هنا فلازلت في ضيق من قوله ﴿ وانشق القمر ﴾ .

- وأنت منكر للآية ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ ، لأن الشمس عندك في أعلى مرتبة .

- لقد رأيت أن تصريح الأثير يكون من النجم ، ومن ثم لا تعجبك آية ﴿ إذا النجم هوى ﴾ .

- إن قرص القمر في حد ذاته لا يكون أكثر تأثيراً من قرص الخبز ، فما أكثر الخبز الذي يقطع عرق الروح .

١٠٠- وليست الزهرة في حد ذاتها بأكثر تأثيراً من الماء ، فما أكثر الماء الذي جعل الجسد خراباً .

- إن حبها " كامن " في روحك ، ونصيحة الصديق ، تدق على أذنك ، لكن خارج الجلد !!

- ونصيحتنا لا تؤثر فيك يا فلان ، فاعلم أيضاً أن نصيحتك لا تؤثر فينا .
- اللهم إلا أن يأتي مفتاح خاص من الحبيب ، لأن في يده مقاليد السموات .
- إن هذا الكلام كأنه النجم وكأنه القمر ، لكنه لا يؤثر دون أمر من الحق .
- ١٠٥- وهذا النجم الذي لا اتجاه له ، يدق تأثيره على الآذان التي تبحث عن الوحي .
- قائلاً لها : تعالوا من المكان إلى اللامكان ، حتى لا يمزقنكم الذئب وأنتم ذاهلون .
- ولمعه النائرة للدر ، شمس الدنيا بالنسبة لها كالخفاش .
- والأفلاك السبعة الزرقاء في رقة ، ورسول القمر في حمى وسل منه .
- والزهرة مدت إليه يد السؤال ، والمشتري تقدم إليه باذلاً الروح .
- ١١٠- وزحل في هوى تقبيل يديه ، لكنه لا يرى نفسه أهلاً لذلك .
- ويد المريخ وقدمه مثخنة بالجراح منه ، وعطارد ذلك حطم مائة قلم منه .
- وكل هذه النجوم في قتال مع المنجم ، قائلة له : يا من تركت الروح واخترت اللون .
- إنه هو الروح ونحن جميعاً ألوان وحروف ، إنه كوكب كل فكر وروح النجوم .
- وأين الفكر هناك ؟! إنه كله نور طاهر ، إن لفظ الفكر من أجلك أنت أيها المفكر .
- ١١٥- ولكل نجم برج في العلى ، لكن نجمنا لا يسعه برج قط .

- فكيف يمضى محرق المكان في مكان !!؟ ومتى يكون للنور غير المحدود حد !!؟

- لكن الأمر يساق على سبيل المثال ويصور ، وذلك حتى يفهم الضعيف العاشق !!

- إنه ليس مثلاً لكنه مثال ، وذلك حتى يتحرك ذلك العقل المتجمد !!
- فالعقل حاد الرأس لكنه واهى القدم ، وذلك أن القلب قد خرب ، والجسد صحيح .

١٢٠- إن عقولهم ملتفة حول ما تقدمه الدنيا، وأفكارهم في ترك الشهوة هباءً وغيثاً .

- وصدورهم في وقت الدعوى كأنها الشرق ، وصبرهم في وقت التقوى كأنه البرق !!

- وعالمٌ مظهر نفسه في الفضائل ، كأنه العالم بلا وفاء حين ينبغي الوفاء .
- وعند رؤية الذات لا تسعه الدنيا ، لقد ضاع في الحلق والمعدة كأنه الخبز .
١٢٥- وإذا كانت الأتية عفة كأنها المنى ، فإنها تجد النور عندما تتصل بالروح .

- وكل جماد يتجه إلى نبات ، تنبثق من شجرة إقباله الحياة .
- وكل نبات يتجه نحو الروح ، يشرب من عين الحيوان كأنه الخضر .
- ثم إن الروح عندما تتجه نحو الأحبة ، تلقى عصاها في العمر الذي لا نهاية له .

**سؤال سائل عن طائر حط على ربض المدينة
أرأسه أفضل وأعز وأشرف وأكرم؟ أم ذنبه!!؟**

وجواب واعظ عليه بقدر فهمه

- سأل سائل ذات يوم أحد الوعاظ قائلاً : يا من أنت لائق بالمنبر الأسنى ؛
١٣٠- إن لدى سؤالاً يا ذا اللباب ، فأجبنى عليه في هذا المجلس :
- على رأس البرج حط طائرٌ ، فهل رأسه أفضل أو ذيله !!؟
- قال : إذا كانت رأسه إلى المدينة وذيله إلى القرية ، فاعلم أن رأسه أفضل من
ذيله .
- وإذا كان ذيله ناحية المدينة ورأسه ناحية القرية ، فكن تراباً لذلك الذيل ،
ودعك من رأسه !!
- إن الطائر يطير بجناحه نحو عشه ، وجناح الإنسان هو الهمة أيها الناس .
١٣٥- والعاشق الذي لوث بالخير والشر ، لا تنظر إلى خيره وشره ، بل أنظر
إلى همته .
- والبازي حتى وإن كان أبيض بلا نظير ، إذا كان صيده الفأر فقد صار
حقيراً .
- وإذا كان بومة وميله إلى الملك ، فهو فوق البازي ، ولا تنظر إلى العرف^(١) .
- والإنسان وهو على قدر طست من الخمير ، قد سما على السموات وعلى
الآثير .
- فهل سمعت السماء قط آية ﴿ كرمنا ﴾ تلك التي سمعها الإنسان كثير الأحران .

(١) ج ١٣ / ٩٣ :

- ولو جنبل الكلب النمر والذئب ، فهو أسد الميدان بلا ريب ولا شك . إن الأسمى معجون من
قبضة طين ، وجاوز الفلك والكواكب بقلبه .

١٤٠- وهل عرض أحدهم على الأرض والفلك الحسب والعقل والعبارات والهوس !!؟

- فهل تجليت قط على السموات ... يا جمال الوجه وأيتها الإصابة في الظن ؟!
- وهل عرضت قط أيها الولد أمام صور الحمام جسديك الفضى !!؟
- فهل تمر على هذه النقوش التي تشبه الحور ، وتتجلى أمام عجوز نصف عمياء !!؟

- فما الذي في العجوز ولم يكن فيها ، بحيث اختطفتك من هذه النقوش !!؟
١٤٥- إنك لا تقول ، لكني أقول لك مبيناً ، إنه العقل والحس والإدراك والتدبير والروح .

- إن في العجوز روحاً قائمة بالامتزاج ، وليس في صورة الحمام روح .
- ولو تحركت صورة الحمام ، فأنها تفصلك عن العجوز في التو واللحظة .
- وماذا تكون الروح ، إنها العالمة بالخير والشر ، وهي الفرحة من الإحسان والباكية من الضرر .
- ولما كان الوعي هو سر الروح وماهيتها ، فكل من هو أكثر وعياً أقوى روحاً .

١٥٠- وتأثير الروح هو الوعي ، وكل من لديه وعى أكثر فهو إلهي .
- ولما كان الوعي هو لازمة الروح أيها القلب ، فكل من هو أكثر وعياً أقوى روحاً .

- وعالم الروح بأسره عالم من الوعي ، وكل من لا روح له فهو فارغ من العلم .

- ولو كانت العلوم خارج هذا الأصل ، لكانت تلك الأرواح جماداً في ذلك الميدان .

- لقد كانت الروح الأولى مظهراً للبلاط ، أما روح الروح فقد صارت مظهراً لله .

١٥٥- لقد كان أولئك الملائكة بأجمعهم عقلاً وروحاً ، ثم خلقت الروح الجديدة ، وكانوا جسداً لها .

- وعندما وقعوا على تلك الروح صاروا من سعادتهم خدماً لها كأنهم الجسد .
- إن إبليس ذاك قد عصى تلك الروح لأنه لم يتوحد بالروح وكان عضواً ميتاً .
- ولما لم تكن له روح لم يصر فداءً لها ، ولم يطع الروح ذلك المبتور اليد .
- والروح لم تنقص بانفصال ذلك العضو عنها ، وذلك أنها تستطيع بيدها أن تقوم بالوجود .

١٦٠- وهناك سر آخر فأين أذن أخرى ؟!! وأين البيغاء المستعد لذلك السكر ؟!
- ولخواص البيغافات سكر كثير ، وعوام البيغافات نالت نصيباً من ذلك الطعام !!

- ومتى يتذوق درويش الصورة من تلك الزكاة ، إنها معنى وليست بحراً من الشعر !!

- وليس السكر بممنوع من حمار عيسى ، لكن الحمار بطبعه محب للتبن .
- ولو كان السكر مزيداً لطرب الحمار ، لصب أمام الحمار قنطاراً من السكر !!
١٦٥- فاعلم أن هذا هو معنى ﴿ نختم على أفواههم ﴾ ، وهذا أمرٌ مهم بالنسبة للسالك .

- حتى عن طريق خاتم الأنبياء ، ربما يرفع عن الشفة ذلك الختم الثقيل .
- وذلك أن الأختام التي تركها الأنبياء قد رفعت بالدين الأحمدي .

- كانت قد بقيت عنهم أختام لم تفتح ، فكنها فتحت بكف من نزلت فيه ﴿ إنا فتحنا ﴾ !! .

- فهو شفيع لهذه الدنيا وتلك الدنيا ، " يوجه هذه " الدنيا صوب الدين ، والأخرى صوب الجنان !!

١٧٠- وتقول هذه الدنيا : أبدي لهم الطريق ، وتقول تلك الدنيا : أبدي لهم القمر !!
- وإن عمله في الظهور وفي الكمون ، مصداقاً لقوله : { اهد قومي إنهم لا يعلمون } .

- وب نفسه انفتح كلا البابين ، ودعوته في الدارين مستجابة .
- ومن هنا صار " الخاتم " ، فما كان له مثيل في الجود ولن يكون .
- وعندما يبرز أستاذ في صناعته ، ألسنت تقول له : ختمت الصنعة بك .
١٧٥- إنك " الخاتم " في فتح الأختام ، وأنت " حاتم " في عالم واهبي الروح .
- إن إشارات محمد ﷺ هي المراد ، إنها فتح كلي في فتح في فتح .
- فمئات الآلاف من الثناء على روحه ، وعلى قدومه وعلى نوبة أبنائه .
- سواء كانوا من بغداد أو هراة أو الري ، هم أبنائه دون امتزاج الأجساد .
١٨٠- وحيثما ينبت غصن الورد يكون ورداً ، وحيثما يغلي دن الخمر يكون خمراً !!

- ولو أن عين الشمس تطل من المغرب ، فهي عين الشمس وليست شيئاً آخر .
- فاجعل الباحثين عن الغيب عمياناً عن هذا النفس بستر ك يا الله .
- قال الله : لقد أغلقت عين الخفاش سئ الخصال عن الشمس التي بلا مثال .
- بل إن أنجم تلك الشمس في خفاء عن أنظار الخفاش الوضيع^(١) .

(١) ج ٩٥/١٣ :

- إن الأنجم كأنها المرید والشمس هي الشيخ ، والشمس في يقينها كالبدن المنير .

ذم النظم العتيقة التي تمنع لذة الإيمان وهي دليل على ضعف الصدق وقاطعة
لطريق ألف أبه ، كما قطعت الخراف طريق ذلك المخنث ولم يستطع العبور وسؤال
المخنث الراعي : عجباً هل خرافك تعض ؟! فأجاب : إذا كنت رجلاً وفيك عرق الرجولة
فكلها فداءً لك وإذا كنت مخنثاً فكل واحد منها أفعى بالنسبة لك ... وهناك
مخنث آخر عندما يرى الخراف يعود في الحال عن الطريق ولا يجروا على السؤال
ويخاف ... ويقول : ربما لو سألت تقع في الخراف وتعضني

١٨٥- يا ضياء الحق يا حسام الدين تعال ، يا جلاء الروح ويا سلطان الهدى .
- وامنح المشوى ساحة مفصلة ، وانفث الروح في صورة أمثاله .
- حتى تصير حروفه بأجمعها عقلاً وروحاً ، وتصير حلقة نحو خلد الروح .
- فهي بسعيك أيضاً جاءت من الأرواح ، نحو شرك الحروف ، وأضمرت
فيها .

- وليكن عمرك في الدنيا " كعمر " الخضر ، مزيداً للروح ومعيناً ودائماً .
١٩٠- وتبقى في الدنيا كالخضر وإلياس ، وحتى تصبح الأرض من لطفك
كالسما .

- ولو لم تكن تلك الجلبة التي يقيمها حسادك ، لتحدثت عن لطفك جزءاً من مائة
جزء .

- لكن من أولئك الحاسدين ذوى الأنفاس الصفراوية ، قد تلقيت طعنات محطمة
للروح .

- ولن أتحدث عن أحوالك في بياني إلا رمزاً عند ذكرى لأحوال الآخرين .
- ولعل هذه حجة من حيل القلب ، خاصة عندما تكون أقدام القلب مغروسة في
الطين .

١٩٥- لقد صار أحدهم عاشقاً للصانع بمائة قلب وروح ، لكن عين السوء وأذن السوء صارت مانعا في طريقه .

- وحتى أبو الطالب الذي كان عم الرسول ﷺ ، كانت تبدو له شناعة الأعراب شيئا مهولاً .

- وقال : ماذا يقول العرب عني ؟ يقولون : لقد صبا عن ديننا بتأثير ولده ؟!(١)

- قال له : يا عم : انطق بالشهادة مرة واحدة ، حتى أدافع عنك أمام الحق .

- قال : لكنهم يسمعون بها وتشيع ، وكل سر جاوز الاثنين شاع .

٢٠٠- وأبقى أنا على السنة العرب ، وأذل أمامهم لهذا السبب .

- لكن لو كان قد كتبها له في سابق لطفه ، فمتى كان هذا الجبن مع جذبات الحق ؟!

- فالغياث يا غياث المستغيث ، من التردد في الاختيار الخبيث .

- إنني من حيل القلب ومكره ، قد ذهلت حتى عجزت عن الصراخ .

- ومن أكون أنا ؟! والفلك بكل هيلمانه ، صرخ من مكمته " رافضاً " الاختيار .

٢٠٥- قائلاً أيها الإله الكريم الحليم ، أنقذني من التردد في الاختيار .

- إن الجذب إلى الطريق المستقيم مباشرة ، أفضل من التردد بين طريقين أيها الكريم .

- وبالرغم من أن المقصد كله من هذين الطريقين هو أنت ، لكن نزع الروح يتأتى من هذه الإثنية .

(١) ج ١٢٩/١٣ :

- لقد بقي في منصب آبائه وأجداده ، لكنه فيما يخص أحمد ساق هذا الضلال وتائبه ذلك الرسول الطاهر المجتبي ، من أجل أن يخلصه وينجيّه .

- ومن هذين الطريقين بالرغم من أن العزم ليس إلا إليك ، لكن القتال ليس كاللهو على آية حال .

- فاستمع في القرآن بيان " هذه النقطة " من الله في آية ﴿ أشفقن أن يحملنها ﴾ .

٢١٠- وهذا التردد في القلب كأنه الوغى ، فالمرء يتساءل : ترى أهذا أفضل أم ذاك بالنسبة لحالي ؟!!

- فكلاهما يصطدم بالآخر في هذا التردد ، فالخوف ورجاء الخير في كر وفر^(١) .

مناجاة ، والتجاء إلى الله من فتنة الاختيار وفتنة أسباب الاختيار ،

فإن السموات والأرضين جأرت بالشكوى من الاختيار وأسباب

الاختيار ، وخافت ثم جاءت خلقة آدمى مولعة بطلب الاختيار

وأسباب الاختيار عنده ، كما يكون مريضاً ويرى لنفسه اختياراً

فليلاً فيريد الصحة وهي سبب الاختيار حتى يزيح اختباره ،

ويريد المنصب حتى يزيده اختباره ، ومهبط القمر في الأمم الماضية

كان فرط الاختيار وأسباب الاختيار ، فلم ير أحد فرعون متضرعاً قط

- إن هذا^(٢) الجزر والمد قد وصل إلى في البداية منك ، وإلا فإن هذا البحر كان ساكناً أيها المجيد !!

(١) ج ١٣ / ١٣٠ :

- ومن هذا التردد لتكن عاقبتنا خيراً ، فاجعل أرواحنا سعيدة يا الله .

(٢) ج ١٣ / ١٤١ :

- يَا أَيُّهَا الْكَرِيمُ ذَا الْجَلَالِ الرَّؤُوفُ ، يَا دَائِمَ الْمَعْرُوفِ وَيَا مَلِكَ الدُّنْيَا

- يَا كَرِيمَ الْعَفْوِ حَتَّى لَمْ يَزَلْ ، يَا كَثِيرَ الْخَيْرِ ، يَا مَلِكاً بَلَا بَدِيل .

- وأيضاً فلأنك أعطيتني هذا التردد ، اجعلني بكرمك خالياً من التردد .
- أم تراك تبتليني ؟ الغياث ، يا من الذكور من بلاتك كالإناث .
- ٢١٥- فحتم هذا الابتلاء ؟ لا تفعل يا إلهي ، امنحني ديناً واحداً ولا تجعلني أتبع عشرة أديان !!
- إني بعير نحيل جريح الظهر ، ومن الاختيار أصبح شكلي كالسرج .
- فهذا العدل يصير حيناً ثقيلاً من هذه الناحية ، وذلك العدل حيناً يصير جاراً (إياي) من تلك الناحية .
- فالق من فوقى الحمل غير المتوازن ، حتى أرى روضة الأبرار .
- ومثل أصحاب الكهف أرعى من بستان الجود ، وهم ليسوا بأيقاظ بل هم رقود .
- ٢٢٠- أكون نائماً على اليمين أو على اليسار ، ولا أصير إلا مثل كرة بلا اختيار .
- وأصير بتقليبك ذات الشمال أو ذات اليمين يارب الدين .
- كنت آلاف السنين في طيران ، مثل الذرات في الهواء بلا اختيار .
- فإذا كنت نسيت ذلك الوقت والحال ، فعندى منه تذكّار هو الارتحال في النوم .
- فأنجو من هذا الصليب ذى الفروع الأربعة ، ومن هذا المناخ "المضيق" ارتع في ساحة الروح .
- ٢٢٥- وإني أتذوق لبن الأيام الماضية من حاضنة النوم أيها الصمد .
- وكل الناس يهربون من اختيارهم ووجودهم في رؤوسهم المنتشية الثملة .
- ولكي يتحرروا لحظة من الوعي ، يضعون على أنفسهم عار الخمر والزمر .

- فلقد علموا جميعهم أن هذا الوجد فخ ، وأن التفكير في الاختيار وتذكره من قبيل جهنم .

- فهم يهربون من الذات إلى التجرد عن الذات ، إما بالسكر أو بالعمل ... أيها المهتدى .

٢٣٠- وإنك لتجذب النفس من ذلك العدم ، ذلك لأنها صارت في انعدام الوعي معدومة السلطة^(١) .

- " ليس للجن ولا للإنس أن ، ينفذوا من حبس أقطار الزمن

- " لا نفوذ إلا بسلطان الهدى ، من تجاوىف السموات العلى

- لا هدى إلا بسلطان يقى ، من حراس الشهب روح المتقى " ^(٢) .

- وليس لأحد طريق إلى حظيرة الكبرياء إلا عندما يكون فانياً .

٢٣٥- فما هو معراج الفلك ؟! إنه هذا العدم ، والعدم هو مذهب العشاق ودينهم .

- إن السترة الحلبية والحذاء الريفى هما محراب اياز من ضراعتة في طريق العشق .

- بالرغم من أنه كان محبوباً للملك ، وكان لطيفاً جميلاً ظاهراً وباطناً .

- لقد صار خالياً من الكبرياء والرياء والحق ، وصار وجهه مرآة لحسن السلطان .

- وعندما ابتعد عن وجوده ، كان منتهى أمره محموداً .

٢٤٠- ومن هنا كان تمكين اياز أكثر قوة ، لأنه كان يحترز خوفاً من الكبر .

^(١) ج ١٤٢/١٣ : وينبغى العدم إذ أنه من الحق ، حتى يرى فيه حسن الأحد .

^(٢) بالعربية في المتن .

- كان قد تَهذب وصار مقداما ، وقطع رقبتي الكبر والنفس .
- فإما أنه كان يقوم بهذه الأمور من أجل التعليم ، أو من أجل حكمة بعيدة عن العقول .
- أو أنه أحب رؤية حذاءه الريفى ، فان للوجود عُلقة بنسيم العدم .
- فما دام يفتح ذلك القبر الذي يفضى إلى العدم ، يجد نسيم السرور والحياة^(١) .
- ٢٤٥- إن الأفلاك والأموال والثياب الفاخرة في هذا المرحلة ، هى بمثابة السلاسل على الروح خفيفة السير .
- لقد رأت الروح السلسلة الذهبية وأصابها الغرور ، فبقيت في قعر جب محرومة من الوادى .
- إن صورتها جنة ، لكنها جحيم بالمعنى ، إنها أفعى ممثلة سما وصورتها صورة حسناء .
- وبالرغم من أن سقر لا تضر المؤمن ، لكن من الأفضل له أن يتجاوزها .
- وبالرغم من أن الجحيم يبعد عنه النكال ، لكن الجنة أفضل له على كل حال .
- ٢٥٠- فالحذر أيها الناقصين من هذه الحسناء ، التى تكون جحيماً عند الصلبة^(٢) .

(١) ج ١٣/١٤٢ : وما لم يخلق القبر على هؤلاء الموتى ، تلتى رائحة سرور تلك الدنيا .

(٢) ج ١٣/١٤٢-١٤٣ :

- الفرار أيها الغافلون من هذه الروضة ، فهى في الحقيقة أسوأ من مستودع القمامة - وحذار أيها الجهال من ذلك الورد بالسكر ، الذي يحرق الفم كالشرر - وحتام أقول لك أن هذا العسل ، زهر " قتال ، فابتعد عنه - لكن قولى بدى لك مسررا ، وأخذ النوم يغلبك من موعظتى - فافق لحظة واحدة آخر أيها المسيد ، وانتفع بحياتك هذه - هيا اسلك الطريق واترك اللحيمة ، وفبش في الفناء والعدم

حكاية الغلام الهندي الذي أحب ابنة سيده في السر

وعندما عقدوا للفتاة علي ابن عظيم وعلم الغلام مرض وأخذ يذوب ،

ولم يكن للطبيب قط أن يعرف علته ولم تكن له جرأة علي الحديث

- كان لأحد السادة عبد هندي ، قام بتربيته وتنشئته وحياته .
- علمه العلم والأدب علي خير وجه ، وأشعل في قلبه شموع الفضل .
- ورباه منذ طفولته علي العز ... في كنف لطفه ... ذلك المكرم .
- وكان للسيد أيضاً ابنة جميلة فضيلة القوام حسناء حسنة الجوهر .
- ومن طرف كل الكبراء كان يأتي خاطب للبنت لحظة بلحظة .
- قال السيد : ليس للمال ثبات ، إنه يأتي نهاراً ويمضي بديلاً ليلاً .
- وحسن الصورة أيضاً ليس له اعتبار ، فان الوجه يصفر من وخزة شوكة .
- ومن السهل أيضاً بالنسبة لطيب الأصل أن يكون مغترا بماله وخيله .
- ٢٦٠- ورب ابن لعظيم صار من فتنته وشره وفعله السيئ عارا علي أبيه .
- وكثير الفضل وإن كان نفيساً ، فهو قليل العبادة ، واعتبر من إبليس .
- كان عنده العلم ، لكن لما كان خالياً من العشق ، لم ير من آدم إلا صورة الطين .
- فبالرغم من أنك تعلم العلم بدقة أيها الأمين ، إلا أنه لا تفتح منك عينان ناظرتان إلى الغيب .
- انه لا يرى سوى عمامة ولحية ، لكنه يسأل عمن يعرفه بأحواله كثيرها وقليلها .
- ٢٦٥- ويا أيها العارف إنك فارغٌ ممن يعرفك ، فأنت ترى بنفسك لأنك نور بازغ .

- وأمر التقوى والدين والصلاح الذي يكون منه له في الدارين الفلاح .
- فاختار زوجا صالحا كان فخر أهل وعشيرته .
- ثم قال النسوة : لا مال له ... ولا عظمة عنده ... ولا حسن ... ولا استقلال .
- قال : إنها أمور تابعة للزهد والدين ، وهو بلا ذهب كنز فوق الأرض .
- ٢٧٠- وعندما شاعت جدية أمر تزويج الفتاة ، وجهاز العرس والعلامات والقماش .
- سرعان ما صار الغلام الصغير الذي في الدار مريضا ونحيلا .
- أخذ يذوب كمريض السل ، وقليل ما عرف طبيب علة .
- كان العقل يقول أن علة من القلب ، ودواء الجسد باطل في غم القلب .
- ولم يتحدث ذلك الغلام الصغير عن حاله ، ومن أي شيء كان يأتيه الوخز في صدره !!
- ٢٧٥- فقال الزوج لزوجته ذات ليلة : استفسري " منه " عن حاله في خلوة .
- فأنت منه في منزلة أمه ، ولذلك قد يبثك همه .
- وعندما سمعت السيدة هذا الكلام ، اقتربت في اليوم التالي من الغلام .
- وأخذت تلك السيدة تمشط شعره بحنان شديد وبرفق وود .
- ولاطفته كما تفعل الأمهات الحنون ، حتى تحدث قائلاً :
- ٢٨٠- لم يكن أملى منك أن تزوجى الفتاة لغريب معتد .
- إنها ابنة سيدي ، وكبدى ممزق من أجلها . وأليس من الخسارة أن تمضى إلى مكان آخر ؟!
- فهت تلك السيدة بضربه وإلقائه من فوق السطح نتيجة لما اعترأها من غضب .

- فمن يكون هو ؟! هندی ابن زانية يطمع في بنت سيده ؟!
- لكنها قالت لنفسها : الصبر أولى ، وضبطت نفسها ، ثم قالت للسيد : اسمع هذه العجيبة .

٢٨٥- إن مثل هذا العبيد خائن" بينما كنا نظنه ثقة^(١) .

أمر السيد لأم الفتاة بالصبر قائلاً :

لا تنهري الغلام فسوف أردّه عن هذا الطمع دون عقاب

بحيث لا يحترق السفود ولا يبقى الشواء نيئاً

- قال السيد : اصبري وقولي له ... إننا سوف نفصل بينها وبين " الزوج المرتقب " ونعطيها لك .
- فربما أخرج هذا " الأمر " من قلبه ... وشاهدي أنت كيف سأصرفه عنه .
- اجعليه راضياً وقولي له : اعلم حقيقة أن ابنتنا هي يقينا زوجتك .
- ونحن لم نكن نعلم أيها الخاطب الطيب ، ومادمنّا قد علمنا فأنت أولى " بها " .
- ٢٩٠- و" لتبق " نارنا في تتورنا ، إن ليلي عندنا وعندنا أيضاً المجنون بها .
- حتى يطيب خياله ويطيب فكره ، إن الأفكار الحلوة تجعل المرء سميناً .
- إن الحيوان إنما يسمن بحسن مرعاه ، أما الإنسان فيسمن من العز والشرف .
- إن الإنسان يسمن عن طريق الأذن ، والحيوان يسمن عن طريق الحلق وحلو الطعام " .

- فقالت تلك السيدة : متى يتحرك فمي بهذا العار المهين ؟!

^(١) ج ١٣ / ١٦١ :

- لقد حدثني عن أحواله وقال كذا

وأردت من غضبي أن أقتله

٢٩٥- وكيف ألوك هذا الهذر من أجله ، قل له فليمت هذا الخائن المتطبع بطبع إبليس .

- قال السيد : لا ، لا تخافى بل خادعيه بلطف القول ، حتى تذهب العلة منه من هذا اللطف الطيب .

- ولك العهد بأن صده على أنا أيتها المحبوبة ، واتركى الأمر حتى يشفى ذلك الذي يجدل برقه !!

- وعندما تحدثت السيدة إلى المريض هكذا ، لم تكن الأرض تسعه من الفرح .

- سمن وامتلأ واحمر وتفتح كالوردة الحمراء ، وأمطرها بآلاف من الشكر .

٣٠٠- لكنه كان يقول بين الآن والآخر : لا كان هذا يا سيدتى احتيالا وخدعة^(١) .

- وأقام السيد احتفالا ووليمة ، ليعلن فيها : إتنى سوف أصاهر " فرجاً " !!

- حتى يقوم المدعوون بالخداع والهرج قائلين : بارك الله في هذه المصاهرة يا فرج !!

- حتى ازداد فرج يقينا من هذا الكلام ، وذهبت عنه العلة كلية من الأساس .

- وبعد ذلك في ليلة العرس ، خضب أحد المُرَد بالحناء مخادعاً وكأنه امرأة .

٣٠٥- وملاً ساعده بالزينة والحلى كالعروس ، لقد أبدى له دجاجة لكنه أعطاه ديكاً .

- وألبس ذلك الجلف الأمرد حجاباً وحلة عروس غالية .

- وفي الخلوة قام بإطفاء الشمع سريعاً ، وبقي الهندى مع مثل ذلك السوقى الفظ.

(١) ج ١٦٤/١٣ :

- لكن السيدة كانت تؤكد له قائلة : إننا ننجز هذا الأمر فطب نفساً !وعندما رأى السيد أنه قد سمن واحمر وذهبت عنه العلة وأفاق ،أخذ يقوى قلبه بالخداع والكلام المعسول ، حتى يزداد سروره وكأنه الديك .

- وأخذ الهندي المسكين يصرخ ويستغيث ، لكن أحداً في الخارج لم يكن يسمع من نقر الدفوف .
- فإن ضرب الدفوف والتهليل من الرجال والنساء ، أخفت صياح ذلك المستغيث.
- ٣١٠- ظل " ذلك الأمر " حتى الصباح يلوط بذلك الهندي المسكين ، فكيف يكون خرج من الدقيق أمام كلب؟!
 - وفي الصباح جاءوا بالطاس والزمير الكبير ، وذهب فرج إلى الحمام كعادة العرسان .
 - ذهب إلى الحمام مريض الروح ، ممزق الدبر كملابس الوقادين .
 - وجاء من الحمام إلى المخدع ، و" ليتم " الخداع جلست الفتاة أمامه " على أنها " العروس .
 - وجلست أمها هناك للمراقبة ، إذ لا ينبغي أن يقوم بامتحان " الأمر " نهراً .
 - ٣١٥- ونظر إليها برهة مستكراً ، ثم أخذ يفرد أصابع يديه كليتهما في وجههما معترضاً .
 - وقال : لا كان لاحد اتصال بمثلك عروساً قبيحة سيئة الفعال .
 - إن وجهك في النهار هو وجه السيدات النضر ، وذكرك القبيح ليلاً أسوأ من ذكر الحمار !!
 - وكذلك يكون كل نعيم هذه الدنيا ، يبدو جميلاً على البعد وقبل الامتحان .
 - إنه يبدو للنظر على البعد ماءً ، حتى إذا جنّته وجدته سراياً بقيعة .
 - ٣٢٠- إنها عجوز نتنة ، ومن شدة نفاقها وخداعها ، تبدى نفسها كالصبيبة العروس .

- فانتبه ، ولا يغرنك خضابها ، ولا تتذوق من عسلها الممزوج بالوخز .
- واصبر فالصبر مفتاح الفرج ، حتى لا تسقط مثل " فرج " في مائة حرج .
- إنها واضحة " الحب " لكنها خفية الفخ ، يبدو لك إنعامها حلوا في أوله .

في بيان أن هذا الغرور لم يكن عند هذا الهندي وحده

بل إن كل إنسان مبتلى بهذا الغرور في

كل مرحلة إلا من عصمه الله

- وعندما تتصل بها ... يا ويلتاه ، يشتد أنينك ونواحك ندماً !!
- ٣٢٥- إنها إمارة ووزارة وملوكية ... بالاسم ، وفي باطنها الموت والألم والاحتضار !!
- فكن عبداً " لله " وسر على الأرض كالجواد ، لا كالنحش الذي يحمل على الأعناق !!
- وإن الكفور يريد جميع " الناس " حمالين له ، يأتون به إلى القبر كالفرس الميت .
- إن كل من تراه في النوم في هيئة الفارس على الركاب ، " تعبيره " أنه يكون في جنازة .
- إن ذلك التابوت يكون حملاً على كواهل الخلق ، وهؤلاء الكبار ألقوا بأحمالهم على الخلق .
- ٣٣٠- فلا تضع حملك على أحد وضعه في نفسك ، وكفاك طلباً للرئاسة ، فالدرويش أفضل .
- ولا تعتل أعناق الخلق متخذاً منها مركباً ، حتى لا تصاب بالنقرس في كلتا قدميك .

- والمركب الذي تعترض عليه في النهاية ، عندما تعجز في مدينة خربة أو قرية خربة .
- اعترض عليه الآن ما دامت المدينة " العامرة " قد ظهرت لك ، وحتى لا يلزمك أن تلقى عصاك في الخراب !!
- اعترض عليه الآن فلك مائة بستان ، حتى لا تصير عاجزاً عابداً للخراب .
- ٣٣٥- قال الرسول ﷺ : إذا كنت تريد الجنة من الإله فلا تطلب شيئاً من أحد .
- وعندما لا تريد شيئاً من أحد فأنا كفيل لك بجنة المأوى ولقاء الله .
- وذلك الصحابي صار طامعاً في هذه الكفالة ، وكان قد ركب ذات يوم .
- فوق سوطه من كفه ، فنزل هو بنفسه ، ولم يطلبه من أحد .
- وذلك الذي لا يتأتى من عطائه أي سوء ، يعمل ويعطى دون طلب .
- ٣٤٠- وإذا أردت بأمر الحق فهذا جائز لك ، ومثل هذا الطلب هو طريق الأنبياء .
- ولا يبقى سوء مادام الحبيب قد أشار ، لقد صار الكفر إيماناً مادام الكفر من أجله .
- وإن كل سوء يقدمه أمره ، يجب كل حسنات العالم .
- وإذا كان الجلد يتألم من ذلك الصدق ، فلا تعترض ... ففيه مئات الآلاف من الدرر .
- وهذا الكلام لا نهاية له فعد صوب الملك وكما يعود البازي .
- ٣٤٥- وعد إلى المنجم الذي يحتوى على الذهب الخالص ، حتى تتحرر يداك من " استخدامهما " في الاعتراض !!

- فعندما يعطى عابد لصورة الطريق إلى القلب ، فإنه من ندمه يقوم في النهاية بالاعتراض .

- واللص الذي يفيض مرارة عند القطع ، إنما يشنع " بيديه " على لذة السرقة ... وكأنه امرأة !!

- لقد رأيت حركة تشنيع واعتراض " باليد " من حزين ، انظر إلى التشنيع من هذا المبتور اليد .

- وأيضاً فالمزور والمجرم والفاسق ، عند تجرع المرارة يقومون بالتشنيع على اللهو واللذة .

٣٥٠- وانهم ليتوبون ، لكن كتوبة الفراش ، ويجرهم النسيان ثانية نحو نفس العمل .

- وكتلك الفراشة ، رأت النار نوراً من بعيد ، فعقدت إليها الأحمال .

- وعندما جاءت وأحرق جناحها ، هربت ، ثم سقطت ثانية كالأطفال وسكبت الدموع .

- ومرة ثانية على الظن وطمعا في النفع ، ألقت بنفسها على نار ذلك الشمع سريعا .

- فاحترقت ثانية أيضاً، وتقهقرت، ثم جعلها حرص القلب مرة ثانية ناسية ثملة !!

٣٥٥- وفي ذلك الوقت الذي كانت تتقهقر فيه من الاحتراق ، كانت كالهندي " إياه " يعترض على الشمع بحركة يده !!

- قائلة له : يا منير الوجه كقمر يضيء بالليل ، ويلاه من الصحبة الكاذبة التي تحرق المغرور .

- ثم تمضي عن ذاكرتها مرة ثانية التوبة والأثين ، مصداقاً لـ « أوهن الله كيد الكائدين » .

في عموم تأويل هذه الآية : **(كلما أوقدوا ناراً للحرب)**

- " كلما هم أوقدوا نار الوغى ، أطفأ الله نارهم حتى انطفى " (١) .
- لقد عزم قائلاً : أيها القلب لا تتوقف في ذلك المكان ، ثم صار ناسياً لأنه ليس من أولى العزم !!

- ٣٦٠- ولأنه لم تكن لديه بذور الصدق مغروسة ، سلط الله عليه نسيان ذلك .
- فبالرغم من أنه يقدر زناد القلب ، فان كف الحق تقوم بإطفاء شعلته تلك !!

قصة في تقرير هذا المعنى أيضاً

- (٢) سمع أحد السادة ليلاً وقع أقدام ، فأمسك الزند ليشعل النار (٣) .
- وجاء اللص في تلك اللحظة وجلس أمامه ، وعندما أمسك " صاحب الدار " بالذبالة ، أخذ يخفضها !!
- وكان يضع طرف إصبعه على اللهب ، حتى يقضى على لهب النار .
- ٣٦٥- وكان السيد يظن أنها تنطفى من تلقاء نفسها ، ولم يكن يرى أن اللص يطفئها .
- وقال السيد " لنفسه " إن هذه الذبالة رطبة ، ومن رطوبتها ينطفى اللهب سريعاً .
- ومن شدة الظلمة والدجى من أمامه ، لم يكن يرى من يطفى النار وهو أمامه .
- إن مثل هذا المطفى للنار يوجد في قلب الكافر ولا يراه ، من عماه !!
- وكيف لا يعلم قلب العالم ، أن مع المتحول محولاً .

(١) بالعربية في المتن .

(٢) ج ١٧٨/١٣ : - ذهب لص ذات ليلة إلى منزل عظيم ودخل من طريق خفى كالذئب

(٣) ج ١٧٨/٣١ : - وسمع صاحب الدار الصوت ليلاً ، فأمسك بالزند ليشغل به ذلك الوحيد أن يقدر الزند لإشعال شمعة ، حتى يعرف سر هذا الصوت عياناً .

٣٧٠- وكيف لا تقول أن النهار والليل يأتیان من تلقاء نفسيهما ويمضيان دون

رب ؟!

- أتطوف حول المعقولات ؟! أنظر إلى إنعدام عقلك أيها المهين .

- أیكون المنزل مع " وجود " البناء أكثر معقولية أو بغير وجوده ؟! قل يا قليل الفضل (١) .

- وهل يكون الخط بوجود الكاتب أكثر معقولية أو بغير وجوده ؟! فكر يا بني !!

- وكيف تكون جيم الأذن وعین العین ومیم الفم بلا كاتب ... أيها المتهم !!

٣٧٥- وهل الشمع يكون مضيئاً دون مُشعل أو بمشعل عالم ؟!

- والصنعة الحسنة أتكون أولى من كف مشلول ضرير أو من صانع بصير ؟!

- إذن فما دمت قد علمت أنه يقهرک ، وأنه يدق رأسك بمقامع الفتنة ؟!

- فادفعه إذن كالنمرود بالحرب ، وأطلق السهم من القوس نحوه في الفضاء .

- وكجيش من المغول داوم على إطلاق سهامك نحو السماء درءاً لنزع الروح !!

٣٨٠- أو اهرب منه لو استطعت ، وامض ... وكيف تمضي وأنت رهينة في

كفه .

- لقد كنت في العدم ولم تتج من كفه ، وكيف تتجو من كفه يا خفيف اليد !!

- إن رغبة البحث عن الفرار تكون أمام عدله سفكاً لدماء التقوى .

- وهذه الدنيا فخ وحبها الشهوة ، فاهرب من الفخاخ واتجه إليه سريعاً .

- وعندما تمضي هكذا ترى مائة فتح ، وعندما تمضي إلى الناحية المضادة ترى

الفساد (٢) .

(١) ج ١٣/ ١٧٨ :ومنزله بهذه العظمة والأبهة كيف يكون ذون استاذ مجيد

(٢) ج ١٣ / ١٧٩: وعندما تمضي إلى الضد فتك تعرف ضده ، فالصند يعرف من ضده أيها الشاب .

٣٨٥- ومن ثم قال الرسول ﷺ : استفتوا القلوب ، وإن كان مفتوكم من الخارج يحدثونكم بالخطوب^(١) .

- واترك رغبتك لتأتيه الرحمة لك ، وقد جربت أن هذا هو ما ينبغي له .
- وما لا تستطيع الهرب فاخدمه ، حتى تمضي من سجنه إلى روضته .
- ومادمت مراقبا لحظة بلحظة ، فإنك ترى العدل والحكم أيها الغوى .
- وإذا أغلقت عينيك من الاحتجاب ، فمتى تترك الشمس عملها^(٢) .

إظهار الملك للأمراء والمتعصبين بالنسبة لإياز

سبب فضله ومرتبته وقربه وراتبه عليهم ،

على وجه لا تبقى معه حجة أو اعتراض عندهم

- ٣٩٠- وعندها هاج الأمراء من الحسد ، طعنوا في الملك نفسه .
- قائلين : إن إياز هذا ليس له ثلاثون عقل ، فكيف يأخذ راتب ثلاثين أمير !!؟
 - فخرج الملك مع أولئك الأمراء الثلاثين إلى الخلاء والجبل من أجل الصيد .
 - ورأى الملك قافلة من بعيد ، فقال لأحد الأمراء : إمض أيها المتحدث بالإفك ؛
 - امض وأسأل تلك القافلة الموجودة على الرصد ... من أي مدينة هي قادمة ؟!
- ٣٩٥- فذهب وسأل وعاد قائلاً : " من الرى " ، فقال الملك : إلى أين هي ذاهبة ؟! فعجز عن الجواب ؟!
- فقال لآخر : امضى يا أبا العلا ... وسل القافلة إلى أين هي ذاهبة .

(١) ج ١٨٦/١٣ :

- واستمع إلى استفت قلبك من الرسول وإن كان المفتى الخارجى يحدثك بالفصول

(٢) ج ١٨٦/١٣ :

سق ثانية نحو إياز ورتبته وتلك الفضيلة في كمال رفعة

- فذهب وعاد وقال : إلى اليمن ، فسأله : وما بضاعتها أيها المؤتمن !!!
- فحار جوابا ، فقال لثالث : امض وأسأل عن بضاعة هذا النفر .
- فعاد وقال : من كل صنف ، وأغلبها من أواني الرى .
- ٤٠٠- فسأل : متى خرجوا من مدينة الرى ، فتحير ذلك الأمير واهن الخطي^(١) .
- وهكذا حتى ثلاثين أمير وأكثر ، كانوا واهنى الرأى ناقصين في الكر والفر^(٢) .
- فقال للأمراء : لقد قمت ذات يوم بامتحان " إيازى " هذا وحده .
- وقلت له : فمضى وسأل عن كل هذه الأشياء .
- ودون توصية أو أمر عرف أحوالهم بالتفصيل حالا حالا .
- ٤٠٥- وكل ما كشف من هؤلاء الأمراء الثلاثين في ثلاثين مرة ، كشف منه بأجمعه في لحظة واحدة .

احتجاج الأمراء بشبهة جبرية

وجواب الملك عليهم

- ثم قال أولئك الأمراء : إن هذه المهارة من العناية ، وليست بحوله وطوله .

(١) ج : ١٨٢/١٣ :

- فقال لرابع : اذهب واستفسر متى كانت حركة القافلة ؟
 - فعاد وقال : السابع من رجب فسأل : ترى ما هى أسعار بضائعها ؟
 - ولما لم يكن يعلم لم ينبس أرسل الملك أميراً آخر من الجماعة

(٢) ج : ١٨٢/١٣ :

- كل واحد ذهب من أجل سؤال واحد كانوا ناقصين عاجزين عن إدراك الكمال

- إنها قسمة الحق ، أن يكون للقمر وجه لطيف ، وعطاء الإقبال أن يكون للورد رائحة زكية^(١) .

- قال السلطان : بل إن ما تولد من النفس ، هو من دخل الإجهاد ، ومن نتائج التقصير .

- وإلا فمتى كان آدم يحدث الله قائلاً : « ربنا إنا ظلمنا أنفسنا » ؟!

٤١٠- ولكان قد قال : إن هذا هو عيب الحظ ، ما دام القضاء كان هكذا فما فائدة الحزم ربنا ؟!

- مثل إبليس الذي قال « أغويتني » ، فهل تكسر أنت الكأس ثم تضربنا نحن ؟!

- بل إن القضاء حق وجهد العبد حق ، هيا ولا تكن أعور مثل إبليس الخلق .

- لقد بقينا مترددين بين أمرين ... فمتى يكون هذا التردد دون اختيار ؟!

- ومتى يقول مقيد اليدين والقدمين : أفعل هذا ؟! أم أفعل ذاك ؟!

٤١٥- فهل يعترى رأسى هذا التردد بين أن أمشى على الماء في البحر أو أطيّر

في الهواء ؟!

^(١) ج : ١٩٠/١٣ :

- بل إن عناية السلطان عندما تسبغ عليه يضرب من الفخر خيمته فوق القمر

- لكنى قد أتردد بين أن أمضى إلى الموصل أو أمضى إلى بابل من أجل تعلم
السحر !!

- إذن ، تتبغى قدرة من أجل التردد ، وإلا كان الأمر ضحكاً على الشوارب .
- فقلل التعلل بالقضاء أيها الشاب ، فكيف تضع جرمك على كواهل الآخرين .
- فهل يسفك زيدٌ الدم ويكون القصاص على عمرو ؟!! ؛ أيشرب عمرو الخمر
ويكون على أحمد حد الخمر ؟!

٤٢٠- ففتش في نفسك ، وانظر إلى جرمك ، وانظر إلى الحركة من نفسك لا
من الظل !!

- فإن جزاء الأمير لن يكون خطأ ، ذلك أنه يعرف الخصم ، ذلك الأمير
البصير .

- وما دمت قد أكلت العسل فإن الحمى لم تصب سواك ، وأجر " عمك " نهار لا
يصل إلى سواك ليلاً !!

- ففى أى شئ قمت بجهد ولم يعد إليك ؟! وماذا زرعت ولم يأتك ريع من
زراعته ؟!

- إن فعلك الذي يتولد من روحك وجسدك ، هو مثل ولدك يأخذ بطرف ثوبك .
٤٢٥- وهم في الغيب يصورون الفعل ، ومن أجل جرم السرقة ألا ينصبون
المشنقة ؟!

- فمتى تشبه المشنقة السرقة ؟! لكن ذلك هو تصوير الله عالم الغيب .

- إلا أن الحق عندما وضع الإلهام في قلب الشرطى ، قال له : صورها هكذا
من أجل العدل !!

- حتى تكون أنت عالماً والقضاء عادلاً ، فكيف يعطى العدل والجزاء " بشكل "
غير مناسب !!؟

- ولما كان الحاكم يفعل هذه الأمور باختياره ، فما بالك بفعل أحكم الحاكمين .
٤٣٠- فعندما تزرع الشعير لا ينمو إلا الشعير ، وأنت اقترضت فممن يطلب
الرهن !؟

- فلا تضع جرمك على شخص آخر ، وعاقب أذنك ولبك به !!
- ضع الجرم على نفسك ، فأنت الذي زرعت ، وأرض بجزاء الحق وعدله .
- قلل سبب ، هو فعل السوء ، فاعلم أن السوء من فعلك وليس من الحظ .
- إن ذلك النظر في الحظ يجعل العين حولاء ، ويجعل الكلب كسولا ملازما
للحظيرة .

٤٣٥- فقم باتهام نفسك أيها الفتى ، وقلل اتهام الجزاء العدل .
- وتب ، واتجه إلى الطريق برجولة ، إذ أنه : ﴿ من يعمل ثقال ذرة خيراً يره ﴾
- وقلل اغترارك بوساوس النفس ، فإن شمس الحق لا تخفيها ذرة !!
- إن هذه الذرات الجسمية أيها المفيد ، ظاهرة أمام هذه الشمس الجسمانية !!
- لكن ذرات الخواطر والأفكار ، تكون واضحة ظاهرة أمام شمس الحقائق^(١) .

^(١) ج ١٣/١٩١ :

إنها من أسرار الغيب فلا تفكر فيها

- إنها ظاهرة للحق خفى عنك

حكاية ذلك الصياد الذي كان قد لف نفسه في العشب

ووضع باقة ورد وشقائق كالقنسوة فوق رأسه حتى تظنه الطيور عشباً ،

وذلك الطائر الذكي فهم بعض الفهم أنه إنسان وقال في نفسه :

لم أر نباتاً على هذا الشكل ، لكن لأنه لم يكن تام الفهم اغتر بوسوسته

ذلك أنه لم يكن يقطع في البداية الإدراك الأول ، وقطع بإدراك المكر

الثاني هو العزم والطمع لا سيما عند فرط الحاجة والفقر ،

قال النبي ﷺ : كاد الفقر أن يكون كفراً !!

٤٤٠ - ذهب طائر إلى وسط المرج ، وكان هناك فخ من أجل الصيد .

- وبضع حبات ملقاة على الأرض ، وذلك الصياد كمن مترصداً .

- كان قد لف نفسه في الأوراق والأعشاب ، حتى يسقط الطائر المسكين من طريقه !!

- وتقدم الطائر الصغير منه وكأنه يجهله ، ودار دورة ثم تقدم من الرجل سريعاً

- وقال له : من أنت يا لابس الأخضر ، يا " مقيما " في الصحراء بين هذه الوحوش .

٤٤٥ - قال له : إننى رجل زاهد ، صرت منقطعاً وقائعاً هنا بالعشب .

- وقد اخترت الزهد والتقوى ديناً ومذهباً ، ذلك أننى كنت أرى الأجل " ماثلاً " أمامى .

- لقد وعظنى موت الجار ، وحطم كسبى وحانوتى .

- ومادمت سابقي آخر الأمر فرداً ، لا ينبغي أن أعاشر كل رجل وامرأة .

- ومادمت سأته في آخر الأمر إلى اللحد ، فمن الأفضل أن يكون الفتى مع الأحد .

٤٥٠ - وما داموا سيقومون بربط ذقنى أيها الجميل ، فمن الأفضل أن اقلل من حركة الذقن " في الحديث " !!

- ويا من ألفت الملابس والأحزمة المذهبة ، أليست نهايتك الكفن ؟!!
- لنتجه إلى التراب ما دمنا قد نبتنا منه ، فلماذا تعلق القلب بمن لا وفاء عندهم ؟!!

- إن جدودنا وأقاربنا الأقدمين هم الطباع الأربعة ، ونحن قد طمعنا في قرابة مستعارة .

- وإن جسم الإنسان قد صحب العناصر واقترن بها لسنوات عديدة .
٤٥٥ - وروحه في حد ذاتها من النفوس والعقول ، لكنه تكص عن روجه الأصيلة
- ومن النفوس والعقول المليئة بالصفاء ، يأتيه خطاب إلى الروح قائلاً : يا عديمة الوفاء !!

- لقد وجدت أصحاباً لا قيمة لهم يستمرون معك خمسة أيام ، فهل أشحت بالوجه عن الرفاق القدماء ؟!!

- والأطفال وإن كانوا سعداء باللعب ، إلا أن ذويهم يجرونهم ليلاً نحو الدار !!
- لقد خلع الطفل الصغير ملابسه عند اللعب ، فسلب اللص خفية قبائه ونعله .
٤٦٠ - لقد انهمك في اللعب حتى نسى تلك القلنسوة وذلك القميص .

- وحل الليل وصار لعبه بلا لذة ، ولا وجه لديه حتى يعود إلى الدار .
- وألم تسمع « إنما الدنيا لعب » ، وأضعت بضاعتك أدراج الريح وصرت هلعاً ؟!

- فابحث عن الثوب قبل أن يحل الليل ، ولا تضيع النهار في القيل والقال .
- ولقد اخترت " أنا " خلوة في الصحراء ، إذ رأيت الخلق سارقين للثياب .

٤٦٥- ونصف العمر ضاع في طلب المحبوب ، ونصفه الآخر في الأحزان التي يسببها الأعداء .

- لقد سرق هذا الجبة وسرق ذاك القنسوة ، ونحن غارقون في اللعب كالأطفال الصغار .

- والآن ، وقد حل ليل الأجل ، خل هذا اللعب ، كفاك ، لاتعد !!^(١) .

- هيا واركب " مركب " التوبة والحق باللص ، وخذ ثيابك منه وعد .

- ومركب التوبة مركب عجيب ، إنه يصل من الحضيض إلى الفلك في لحظة واحدة .

٤٧٠- لكن داوم على حفظ مركبك من ذلك الذي سرق قبائك خفية .

- حتى لا يسرق مركبك أيضا ، فاحفظ مركبك هذا لحظة بلحظة .

حكاية ذلك الشخص الذي سرق اللصوص كبشه

ولم يكتفوا بذلك بل سرقوا ثيابه أيضاً بالحيلة

- كان لأحدهم كبش ، وكان يسحبه من ورائه ، فقطع اللص الحبل وسرق الكبش .

- وعندما انتبه ، أخذ يجرى ذات اليمين وذات اليسار حتى يجد سارق الكبش .

- فرأى ذلك اللص على حافة البئر ، وقد أخذ يصرخ قائلاً ووايلتاه !!

٤٧٥- فقال له : لماذا تصرخ أيها الاستاذ ؟! فقال : لقد سقط كيس ذهبي في البئر .

- فلو استطعت النزول واستخراجه ، أعطيك خمسة عن طيب خاطر .

(١) الشطرة الثانية بالعربية في النص .

- تأخذ خمس المائة دينار في يدك ، فقال في نفسه : إن هذا المبلغ ثمن عشرة كباش !!

- فإذا كان بابٌ قد أغلق فقد فتح بدلاً منه عشرة أبواب ، وإذا كان كبشٌ قد فُقد ، فقد عوضني عنه الله بجمل

- وخلع ملابسه ونزل إلى البئر ، فحمل ذلك اللص الملابس سريعاً .
٤٨٠- فينبغي حازمٌ حتى يطوى الطريق إلى القرية ، وإن لم يكن حزم فإن الطمع يأتي بالطاعون .

- إنه لص ديدنه الفتنة ، وهو كالخيال ، له صورة مختلفة في كل لحظة .

- ولا يعلم مكره إلا الله ، ففر إلى الله ، وانج من ذلك المحتال .

مناظرة الطائر مع الصياد عن الترهّب ومعنى الترهّب

وأن المصطفى ﷺ نهى عنه قائلاً : « لا رهبانية في الإسلام »

- قال له الطائر : أيها السيد ، لا تتوقف في الخلوة ، فليس الترهّب طيباً في دين أحمد !!

- لقد نهى عن الترهّب ذلك الرسول ، فكيف تعلقت ببدعة أيها الفضولي !!؟

٤٨٥- إن الجمعة شرط والجماعة في الصلاة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

- وتحمل أيام الأشرار بصبر ، ونفع الناس كالسحاب !!

- إن خير الناس أنفعهم للناس أيها الأب ، وإن لم تكن حجراً قلم تصاحب المدر !!؟

- فعش بين الأمة المرحومة ، ولا تترك سنة أحمد ، واخضع للحكم .

- قال : إن عقل من لا رسوخ له ، هو في رأى العاقل بمنزلة الحجر والمدر .

- ٤٩٠- مثل الحمار خبزه أمنية ، وصحبته هي عين الرهبانية .
- ذلك أن كل ما هو غير الحق يصير رفات ، كل آت بعد حين فهو آت^(١) .
- (٢) وحكمه هو نفس حكم قبلته ، فسمه ميتاً مادام باحثاً عن الميئة .
- فكل من يكون مع هؤلاء القوم يكون راهباً ، والحجر والمدر رفيقان له^(٣) .
- حتى الحجر والمدر لم يقطعا الطريق على أحد ، ومن " هؤلاء الخلق " كالمدر يحدث مئات الآلاف من الأذى .
- ٤٩٥- قال له الطائر : إذن فالجهاد فرض عندما يقف مثل قاطع الطريق هذا في وسط الطريق .
- ومن أجل الحفظ والعون والنزال ، يأتي الرجل الشجاع إلى الطريق غير الآمن .
- ويظهر عرق الرجولة في ذلك الوقت الذي يلتقى فيه المسافرين بالأعداء في الطريق .

(١) الشطرة الثانية بالعربية في المتن .

(٢) ج : ٢٠٨ / ١٣ :

- وكل شيء هالك إلا نك الوجّه فالملك والملكوت انعكاسان لذلك المالك
- وبالرغم من أن الظل انعكاس للمرء يا بني إلا أنك لن تستطيع أن تستفيد من ظل قط المالك
- ولا ظل يكون سائراً دون صاحبه فامض إلى أصل الظل يا رفيق القافلة
- انتبه ولا تطلب من ظل المرء ودعك من السبب وامض إلى المسبب
- فالصديق الجسماني صائر إلى الموت وصحبة شوم ، يجسب تركها

(٣) ج : ٢٠٩ / ١٣ :

- ودعك من الحجر والمدر اللذين لا وجود (حقيقي) لهما ، وامض صوب ذلك المنجم من أجل الجود

- ولما كان ذلك الرسول هو نبي السيف ، فإن أمته " تتكون " من شاقى الصفوف والفحول .

- فالمصلحة في ديننا هي الحرب والمعمعة ، والمصلحة في دين عيسى هي الغار والجبل^(١) .

٥٠٠- قال " الصياد " : نعم إن كان هناك مثونة وقوة ، حتى يهجم بقوته على الشر والفتنة^(٢) .

- وعندما لا تكون قوة ، فمن الأفضل التوخي فتعلق آنذاك بيسر بقوله " الفرار مما لا يطاق " (من سنن المرسلين) !!^(٣) .

- قال : " ينبغي صدق القلب في الأمور ، وإلا فإن الأصدقاء ليسوا بقليلين بالنسبة لصديقهم " !!

- فكن صديقاً حتى ترى الأصدقاء بلا عدد ، ومن لا أصدقاء له يبقى بلا مدد .

- إن الشيطان بمثابة الذئب وأنت كيوسف ، فلا تترك جوار يعقوب أيها الصفي .

٥٠٥- والذئب في الأغلب أخذ لتلك الشاة التي تثبت عن القطيع وتسير وحدها .

- وذلك الذي ترك السنة مع الجماعة ، ألم يسفك دمه في هذا المكان الملى بالوحوش !!!

(١) ج : ٢٠٩/١٣ :

- لقد أعطى لكل إنسان مصلحته على حدة ، فابحث عن المصلحة إن كنت رجل الله

(٢) ج : ٢٠٩ / ١٣ :

- فتنبغي قوة في هذا الطريق كالرجل ، وينبغي صديق في هذا المكان نسيج وحده

(٣) ج : ٢٠٩/١٣ :

- والصنعة هنا أيها العزيز الشهير ، وفكر وانظر إلى عاقبة الأمور

- فالسنة هي الطريق ، والجماعة هي الرفيق ، وتسقط في المضيق دون طريق ودون رفيق !!^(١) .

- وليس برفيق طريق الذي يكون خصماً للعقل ، فهو يهتبل الفرصة لكي يسلبك ثوبك .

- إنه يسير معك حتى يجد مكاناً خالياً يستطيع فيه أن ينهبك^(٢) .

٥١- أو يكون جبان القلب عندما يرى الخوف ، يلقي الدروس من أجل الرجوع .

- انه من جبن قلبه يخوف الرفيق ، فاعلم أن مثل هذا الرفيق عدو وليس ولياً^(٣) .

- إن الطريق هو تضحية بالروح وفي كل دغل ، آفة تدفع كل هلع هش الروح^(٤) .

- ومن هنا فطريق الدين ملئ بالمخاطر والفتن ، وهو ليس طريق كل مخنث الأصل .

^(١) ج : ١٣ / ٢٠٩ :

- وأفضل طريق هو طريق السنة والجماعة ، والجواد يسير جيداً مع الخيل .
- لكن لا تعتبر كل ضال رفيقاً لك في السير ، ولا تعتبر الغافلين النيام أيقاظاً .

^(٢) ج : ٢١٠ / ١٣ :

- وبأحث عن رفيق طريق تجد منه الممدد ، مشارك في القلب وفي الألم بأحث عن الأحد
(٣)- انه يمضي معك من أجل نفعه ، حذار ولا تشرب من عسله فهو وخز

^(٤) ج : ٢١٠ / ١٣ :

- والصديق السيء حية فاهرب منه ، حتى لا يصب عليك السم ذلك السيء الطوية
- انه يضل الرفيق عن الطريق ذلك القاطع للطريق ، ولا يكون رجلاً ذلك الذي يقع تحت أمره

- وفي الطريق ، هذا الخوف امتحانات للنفوس ، يكون كالمنخل في تمييز النخالة .

٥١٥- فما هو الطريق ؟ إنه الملى بأثار الأقدام ، ومن هو الرفيق ؟ إنه سلم الآراء .

- ولأفرض أن الذئب لم يلحق بك لأنك احتطت له ، إنك بدون الجماعة لن تجد هذا السرور^(١) .

- إن ذلك الذي يسير وحيداً وسعيداً في الطريق ، يكون مسيره مع الرفاق أضعاف مسيره " وحده " .

- والحمار مع غلظته أيها الفقير ، ينشط من رفاقه ويصير قابلاً للقوة .

- وكل حمار يسير منبتاً عن القافلة ، يكون ذلك الطريق عليه مائة ضعف من التعب .

٥٢٠- فهو يتعرض كثيراً للوخز والضرب بالعصا حتى يقطع وحيداً هذه الصحراء .

- وذلك الحمار يحدثك فاستمع جيداً ، يقول لك : إن لم تكن حمار لا تسر وحدك هكذا .

- وذلك الذي يسير سعيداً وحيداً في مفترق الطرق ، هو مع الرفاق يسير أكثر سعادة بلا شك .

- وكل نبي في هذا الطريق الصحيح ، أبدى المعجزة وبحث عن أصحاب .

- وإن لم تكن رفقة للجدران ، فمتى تقوم المنازل والمخازن .

(١) ج : ٢١٠/١٣ :

- ومتى يسير كل ضال في طريق الدين ، ينبغي حزم يكون رجل طريق .

٥٢٥- وإذا كان كل جدار قد انتصب وحيداً ، فكيف يكون السقف ؟! أيكون معلقاً في الهواء ؟!

- وإن لم تكن رقعة بين المحبرة والقلم ، متى كانت الحروف تكتب على الأوراق ؟!

- وذلك الحصير الذي يبسطه إنسان ، إن لم يتصل ببعضه تحمله الريح .
- وعندما خلق الحق من كل جنس زوجين ، ظهرت الجماعة من نتائجهما .
- لقد قال هذا " الصياد " وقال هذا " الطائر " جدلاً ، وطالت مناقشتها في هذا المعنى .

٥٣٠- فاجعل " المثنوى " خفيفاً ومرغوباً ، وأوجز ما حدث وأقصر في " قصه " (١) .

- قال " الطائر " بعد ذلك " لمن هذا القمح " ، قال : إنه أمانة من يتيم بلا وصي .

- إنه مال أيتام وأمانة عندي ، ذلك لأنهم يتوسمون في الأمانة .
- قال : إني مضطر وسئ الحال ، والميتة في هذه الحال لي حلال .
- هيا : لآكل من هذا القمح بإذنك أيها الأمين والزاهد المحترم !!
٥٣٥- قال : إنك الذي أفتيت بالضرورة ، وإذا أكلت بلا ضرورة صرت مجرمًا !!

- وحتى وأن وجدت الضرورة فالعفاف أولى أيضاً ، وأن أكلت فلعلك تؤدي ضمانه .

(١) ج : ٢١١ / ١٣ :

- عندما وقعت أنظار الطائر على القمح ، نفذ صبر نفسه وفتحت

- فغاص الطائر في نفسه تلك اللحظة كثيرا ، وسحب جواده رأسه من جذب العنان .

- وعندما أكل ذلك القمح سقط في الفخ ، وقرأ سورتي " يس " و " الأنعام " عدة مرات .

- وبعد العجز والسقوط ما الأسف وما الآه ؟ كان هذا التفجع واجبا قبل الآن .
٥٤٠- وفي ذلك الزمان الذي يتحرك فيه الحرص والهوس ، داوم على الدعاء قائلا : يا مغيث !!^(١) .

- في تلك اللحظة ، أي قبل خراب البصرة ، ربما كانت البصرة تتجو من تلك الهزيمة .

- " ابك لي يا باكي يا ثاكلي ، قبل هدم البصرة والموصل .
- نح على قبل موتى واغتفر ، لا تتح لي بعد موتى واصطبر
- ابك لي قبل ثبوري في النوى ، بعد طوفان النوى حل البكا "^(٢) .
٥٤٥- وفي ذلك الزمان الذي يصبح فيه الشيطان قاطع طريق ، ينبغي أن تقرأ يس .

- وقبل أن تصير القافلة بددا ، دق عصيك ذلك الزمان أيها الحارس .

**حكاية ذلك الحارس الذي صمت حتى سلب اللصوص بضائع التجار تماما
وبعد ذلك أخذ يطلق الصيحات ويقوم بواجب الحراسة**

^(١) ج : ٢١١/١٣ :

- قبل أن تجرح الحبة حلقك ، تصبح حرارة حرصك كالثلج

- تفجع وتألّم في تلك اللحظة ، وشرّد الحرص أيها الذكي .

^(٢) بالعربية في المتن .

- (١) نام حارس "فسرق اللص المتاع ، ودفن البضائع تحت كل تل .
- وطلع النهار واستيقظت تلك القافلة ، فرأت أن البضائع والمال والإبل قد ضاعت (٢) .
- ثم قالوا له : قل أيها الحارس ، ماذا حدث لهذه البضائع وأين هذا المتاع !!؟
- ٥٥- فقال : لقد جاء اللصوص منقيين ، وسلبوا البضائع وأسرعوا من أمامي .
- فقال له القوم : يا من أنت مثل تل الرمل ، ماذا كنت تفعل ومن تكون إذن أيها الميتة !!؟
- قال : كنت شخصا واحدا وكانوا جماعة مسلحة شجاعة ذات هبة !!
- قالوا : إذا كان أملك في الحرب ضيلاً ، فصح صيحة قاتلاً استيقظوا أيها الكرماء !!
- قال : لأبدوا في تلك اللحظة الخناجر والسيوف قائلين اصمت وإلا قتلناك دون إهمال .
- ٥٥٥- ففي تلك اللحظة أغلقت فمي من الخوف ، وفي هذه اللحظة الاستغاثة والصراخ والعيويل .
- في تلك اللحظة انقطع مني النفس فلا أنبس ، والآن لأتبه بالقدر الذي تريدون .
- وعندما يسلب عمرك شيطان الاقتضاح ، تكون الفاتحة والمعوذتان بلا طعم .
- وإذا كان الصراخ الآن بلا طعم ، فاعلم يقينا أن الغفلة أكثر غثاثة منه !!

(١) ج : ٢٢٥/١٣ :

- كان هناك حارس في إحدى القوافل ، كان حارسا على أموال ومتاع أولئك العظماء

(٢) ج : ٢٢٥ / ١٣ :

- والحارس أخذ في الصياح والتنبيه ، وقد تحمس وكأنه من قطاع الطرق

- وهكذا دوام على النواح أيها الغث ، قائلاً : أنظر إلى الأذلاء أيها العزيز .
- ٥٦٠- فأنت قادر في وقت أو في غير وقت ، ومتى فأتك شئ أيها الإله !!
- إنه ملكٌ " قائل " (لا تأسوا على ما فاتكم) ، فمتى يصير المطلوب في غير متناول قدرته !!؟

تحويل الطائر وقوعه في الفخ إلى فعل الزاهد

ومكره واحتياله ، وجواب الزاهد على الطائر

- قال ذلك الطائر ، هذا جزاء من يستمع إلى وسوسة الزهاد .
- قال الزاهد : لا بل هو جزاء ذلك الأحمق ، الذي يأكل أموال اليتامى ظلماً .
- ثم أخذ في النواح بحيث ارتعد الفخ والصياد ألماً .
- ٥٦٥- وأخذ يقول : لقد أنقصم ظهري من تناقضات القلب ، فتعال أيها الحبيب واربت على رأسي .
- وتحت يدك تستريح رأسي ، فيدك آية في عطاء الشكر .
- ولا تحسر ظلك عن رأسي ، فأنا مضطرب وشديد الاضطراب !!
- فلقد جفا النوم عيني ، حزنا عليك ، يا من يحسدك السرو والياسمين .
- فان لم أكن جديراً فماذا يكون لو أنك للحظة واحدة سألت عمن لا يستحق في حزنه !!؟
- ٥٧٠- وأي استحقاق كان للعدم في حد ذاته ، حتى فتح لطفك مثل هذه الأبواب ؟!
- فهل أذى الكرم التراب الأجرب ؟ لقد وضع في جيبه عشرة جواهر من نور الحس .
- خمسة حواس ظاهرة وخمسة باطنة ، منها صارت النطفة الميتة بشراً .

- والتوبة دون توفيق منك أيها النور السامي ، ماذا تكون إلا سخرية من لحيّة التوبة !!

- وأنتك لتقتلع شوارب التوبة شعرة شعرة ، والتوبة ظل وأنت قمر مضى .
٥٧٥- فيا من منك خرب حانوتى ومنزلى ، كيف لا أنوح عندما تضغط على قلبي !!

- (١) وكيف أهرب ؟! ولا حى هناك بدونك ، ولا وجود لعبد دون ألوهيتك .
- فاقبض روحى يا من أنت أصل للروح ، ذلك أنى بدونك صرت ملولا من الروح .

- اننى عاشق لفن الجنون ، وصرت ملولا من الفضل والذكاء .
- ومادام الخجل يمزقتنى فلأبج بسرى على الملأ ، وكفى من هذا الصبر والاضطراب والارتعاد !!

٥٨٠- كنت مختفيا في الحياء ، كالسجاف ، ولأقفز فجأة من تحت اللحاف !!
- أيها الرفاق ، لقد سد الحبيب الطريق ، ونحن غزلان عرجاء وهو أسد الشرى !!

- فما الحل سوى التسليم والرضا في كف الهزبر الورد سافك الدماء ؟!
- إنه لا يأكل ولا ينام وكأنه الشمس ، ويجعل الأرواح دون طعام أو نوم .
- قائلا : تعال ... وكن أنا أو تخلق بخلقى ، حتى ترى وجهى في التجلى .
٥٨٥- وإن لم تكن رأيته فكيف صرت مفتونا هكذا ؟! وكنت ترابا فأصبحت طالبا للأحياء !!

(١) ج : ٢٢٨/١٣ :

- ما دامت أمورى لا تنتظم بدونك : متى يكون للأمور تمامها ؟!

- وإن لم يكن قد أعطاك القوت من حيث لا جهة ، فلماذا بقيت عين روحك " مركزة " على تلك الناحية ؟!

- إن القط عكف على الجحر ، لأنه صار مطعوما من ذلك الجحر .

- وقط آخر لا يزال يطوف على السطح ، لأنه وجد الطعام من صيد الطير .

- وصارت مهنة " النسيج " قبلة لهذا ، وذلك الآخر يعمل حارسا من أجل الراتب .

٥٩٠- وثالث لا عمل له ، ووجهته اللامكان ، لأنك أعطيته القوت من تلك الناحية .

- إن عمله أنه صار مريدا للحق ، فقطعه عن كل عمل آخر من أجل عمله هذا .

- والآخرين كالأطفال يقومون باللعب هذه الأيام المعدودة حتى ليلة الترحال .

- والنؤوم الذي يهرب من اليقظة ، تغريه حاضنة الوسواس " الخناس " .

- قائلة له : امض فتم أيها الحبيب قلن نسمح أن يفرعك أحد من النوم .

٥٩٥- وأنت تقتلع نفسك من جذور النوم ، مثل ظمآن استمع إلى خرير الماء .

- وأنا خرير الماء أصل إلى أسماع الظامئين كالمطر من السماء .

- فانهض أيها الفاسق ، وأبد لهفتك ، فهذا خرير الماء وأنت ظمآن .. ثم تنام !!؟

حكاية ذلك العاشق الذي جاء ذات ليلة إلى تلك الحجرة

على أمل وعد المعشوق إذ واعدته فيما ، وانتظر شطرا من الليل

ثم غلبه النوم ، وجاءت المعشوقة لإنجاز وعدها فوجدته نائما

فملأت جيبه بالجوز وتركته نائما ومضت

- كان هناك عاشق فيما مضى من أيام ، كان في زمنه حافظا للعهد .

- وظل سنوات على أمل وصار قمره ، مهزوما ومغلوبا من مليكه .

- ٦٠٠- وفي النهاية ... من جد وجد ، والفرج يتولد من الصبر .
- قالت له محبوبته ذات يوم ، تعال الليلة ، فقط طبخت من أجلك لوبياء .
- واجلس في الحجرة كذا حتى منتصف الليل ، وأوافيك آنذاك دون طلب منك .
- فذبح الرجل أضحية ووزع الخبز ، عندما أطل قمره مما وراء الغمام .
- وفي الليل جلس في تلك الحجرة ذلك المحزون ، على أمل وعد ذلك الحبيب الحميم .

- ٦٠٥- وعند منتصف الليل جاءت فائتته تلك بصدق وعد تلك الحبيبة.
- فوجدت عاشقها ممددا ونائما ، فمزقت جزءا من كم ثوبه .
- ووضعت عدة جوزات في جيبه ، قائلة : إنك طفل ، خذها والعب به النرد .
- وعندما استيقظ العاشق من النوم في الفجر ، رأى الكم والجوز .
- فقال : إن مليكنا كله صدق ووفاء ، أما ما يحدث لنا فهو منا .
- ٦١٠- فيا أيها القلب الذي لا ينام ، نحن آمنون من هذا " المصير " ، ونحن كالحرس ندق عصى الحراسة على السطوح !!
- وجوزنا قد تحطم في هذا المطحن ، وكل ما نقوله عن أحزاننا قليل !!
- ويا أيها العاذل كفاك دعوة لنا إلى أشغال العالم ، وبعد هذا قلل من نصح المجنون .

- إننى لن أسمع بعد إغواء الهجران ، لقد جربته ، فحتام أجربه !!
- وكل ما هو سوى الفتنة والجنون ، يعد غربة في هذا الطريق .
- ٦١٥- هيا وضع على قدمي هذا القيد ، فلقد حطمت سلسلة التدبير .
- وغير تلك الجداول التى هى لحبيبي صاحب الإقبال ، لو أتيت بمائة غل حديدى أحطمها .

- أعشق ونخوة !!؟ لا يتفقان أيها الأخ ، ولا تقف أيها العاشق على باب
الكبرياء والنخوة !!

- لقد حان الوقت الذي أصير فيه عريانا ، أترك الصورة وأصير بأجمعي روحاً .
- فتعال ، يا عدو الحياء والفكر ، فلقد مزقت حجب الخجل والحياء .
٦٢٠- ويا من عقدت بالسحر نوم الروح ، إنك قاسى القلب أيها الرفيق ، لأنك
في هذا العالم .

- فهيا وأمسك بحلق الصبر واضغط عليه ، حتى يسعد قلب العشق ، أيها
الفارس !!

- ومتى يسعد قلبه ما لم احترق ؟! يا من قلوبنا أهله ومنزله .
- إنك تحرق منازلنا ، فاحرقها ، فمن هذا الشخص الذي يقول : لا يجوز .
- احرقها تماما هذه الدار ، أيها الأسد الثمل ، فهكذا أولى بمنزل العاشق .
٦٢٥- وبعدها أجعل من هذا الحريق قبلة ، وذلك لأتني شمع أضئ بالاحتراق .
- واترك النوم الليلة أيها الأب ، ومر ليلة بحى الذين لا ينامون .
- وأنظر إليهم فقد صاروا مجانين ، وقتلوا بالوصل كالقراش .
- وانظر إلى سفينة الخلق هذه قد غرقت في العشق ، وحلق العشق تخاله قد
صار أفعى !!

- أفعى غير مرئية سالبة للقلب ، والعقل كالجبل وهى " كالمغناطيس " !!
٦٣٠- وعقل كل عطار صار منتبها إليها ، أراق كل جعبة في النهر .
- قائلا : امض ، إنك لن تأتى من هذا النهر إلى الأبد ، " لم يكن حقاً له كفوا
أحد " .

- ويا أيها المزور ، افتح عينيك وانظر ، حتام تقول : لا اعلم هذا وذاك !!

- واخرج من وباء الاحتياي والحرمان ، وادخل في عالم الحي القيوم .
- حتى تصبح عدم رؤيتك رؤية مستمرة ، وتصبح كل عدم معرفتك معرفة دائمة .

٦٣٥- واعبر مرحلة السكر ، وكن واهبا للسكر ، وانتقل من هذا التلون إلى الاستواء معه !!

- فحتام تفخر بهذا السكر كفاك ، إن على باب كل حي كثيرا من السكارى .
- وإذا امتلأ العالمان بسكارى الحبيب ، لكانوا جميعا واحدا ، وهذا الواحد ليس بالهين .

- إن هذا من كثرته لا يجد ذلة ، ومن يكون الذليل ؟! عابد الجسد ، السائر إلى النار !

- (١) وإذا صارت الدنيا مليئة بنور الشمس ، متى تكون ذليلة تلك الحرارة حسنة السطوع ؟

٦٤٠- لكن اعلُ مع هذه الجماعة وتبخر ، ما دامت أرض الله واسعة ومهيأة .
- وهذا السكر وإن كان كالبازي الأشهب ، فهناك ما هو أسمى منه في الأرض المقدسة !!

- (٢) فاذهب وكن اسرافيل في تميزه ، واهبا للروح ثملا صانعا للسكارى .
- وعندما صار قلب الثمل ميالا إلى المزاح ، صار ديدنه أن يقول : لا أعلم هذا ، ولا أعلم ذاك !!

(١) ج : ١٣ / ٢٣٨ :

- وإذا كان العالم مغطى بضوء القمر ، متى يكون كاسدا أمام صاحب القلب .

(٢) ج : ١٣ / ٢٣٩ :

- والثل من الأبرار المقرب أفضل منه ، واسده بالنسبة للمقرب كالثعلب .

- فمن أي شيء قوله هذا، لا أعلم ولا أعلم ، حتى تقول من هو هذا الذي نعلمه ؟!
٦٤٥- إنه نفى من أجل الإثبات هذا الكلام ، اترك النفي وابدأ بما ثبت .
- انتبه ودعك من قول " ليس هذا " ، و " ليس ذاك " ، وقدم ما هو موجود بالفعل .

- واترك النفي ، وابتعد نفس ذلك الوجود ، وتعلم هذا أيها الأب من ذلك التركي التمثيل .

استدعاء الأمير التركي المخمور للمطرب وقت الصبوم وتفسير هذا الحديث :
{إن لله تعالى شراباً أعده لأوليائه إذا شربوا سكروا وإذا سكروا طابوا}...
إلى أخوه: إن الخمر لتجيش في دن الأسرار .: ليشرّب كل مجرد من تلك الخمر
قال تعالى : (إن الأبرار يشربون ...) هذه الخمر التي تشربها أنت
حرام .: ونحن لا نشرب إلا الخمر الحلال جاهد حتى تصير وجوداً من
العدم .: وتصير ثمة بـشراب الله

- انتبه أعجمي تركي وقت السحر ، ومن خمار الخمر ، طلب مطرباً .
- إن مطرب الروح هو مؤنس السكرى ، ويكون نقلاً وقوتاً وقوة للتمثيل .
٦٥٠- فإن المطرب يجرهم نحو السكر ، ثم يتذوق السكر من نفس المطرب .
- وذاك يحمل شراب الحق بذاك المطرب ، وهذا يتجرع شراب الجسد من هذا المطرب !!

- هذا وإن كان كلاهما عند الحديث يحمل لقباً واحداً ، لكن شتان بين " حسن " هذا و " حسن ذاك " !!

- وهناك لبس في اللفظ عند البيان ، لكن أين السماء من الحبل^(١) .

(١) هنا تلاعب لفظي بين حبل " ريسمان " ؛ وسماء " آسمان " .

- والاشتراك في اللفظ دائما ما يقطع الطريق ، كاشتراك المؤمن والمجوسى في الجسد .

٦٥٥- والأجساد كالجرار مغلقة الفوهة ، ولكى تعلم ما في الجرة انظر إليها !!

- فجرة ذلك الجسد مليئة بماء الحياة ، وقدر هذا الجسد ملئ بالسم القاتل .

- فإذا نظرت إلى المحتوى فأنت ملك ، وإذا نظرت إلى الغلاف فأنت ضال .

- فاعلم أن اللفظ شبيه بهذا الجسد ، ومعناه في داخله شبيه بالروح .

- وعين الجسد دائما ما تكون ناظرة إلى الجسد ، وعين الروح ناظرة إلى الروح المليئة بالفنون !!

٦٦٠- ومن ثم فمن صورة ألفاظ المثوى.. يكون العاكف على الصورة ضالا ، أما المعنوى فهو مهتدى!!

- وقد قال في القرآن ... إن هذا القرآن يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا .

- وبالله ، عندما ينطق العارف كلمة خمر ، متى تكون شيئا معدوما في رأيه ؟!

- ولما كان فهمك أن المقصود هو خمر الشيطان ، متى يمكن أن تتخيل خمر الرحمن ؟!

- إنهما شريكان : المطرب والشارب ، ذاك يأتى بذا وذا يأتى بذاك على وجه السرعة .

٦٦٥- إن من يعانون الخمار يشربون من نفس المطرب ، ويحملهم المطربون صوب الحان .

- ذاك رأس الميدان ، وهذه خاتمته ، وقد صار القلب كالكرة في صولجانه .

- والأذن إنما تمضى حيثما تمضى الرأس ، وإن كان في الرأس صفراء تنهوس بها .

- ثم يمضى هذان كلاهما إلى فقدان الوعي ، ويصير الوالد والمولود هناك واحدا .

- وعندما تصالحا معا السرور والألم ، أيقظ " تركينا " المطرب !!
- ٦٧٠- وبدأ المطرب ببيت وهو نعيان ، قائلا " أنلني الكأس يا من لا أراك !!
- أنت وجهي لا عجب ألا أراه ، غاية القرب حجاب الاشتباه .
- أنت عقلي لا عجب إن لم أرك ، من وقور الالتباس المشتبك .
- جئت اقرب أنت من حبل الوريد ، كم أقل يا يا نداء للبعيد ؟
- بل اغالطهم ... أنادى في القفار ، كي اكنتم ما معي ممن أغار (١) (٢) .

دخول ضرير إلى منزل المصطفى ﷺ

وهرب عائشة رضي الله عنها من أمام الضرير ...

وقول الرسول ﷺ : لماذا تفريين ... إنه لا يراك ،

وجواب عائشة رضي الله عنها على الرسول ﷺ

- ٦٧٥- دخل ضرير" على الرسول ﷺ قائلا : يا واهب الزاد لتتور كل عجين .
- ويا أمير الماء ، إنتى طالب السقيا ، المستغاث المستغاث يا ساقبي .
- وعندما دخل الضرير ، أسرع عائشة من الباب على عجل من أجل الاحتجاب .
- ذلك أن تلك السيدة الطاهرة ، كانت تدرك أن الرسول يغار غيرة شديدة .

(١) بالعربية في المتن .

(٢) ج : ١٣ / ٢٤٨ :

- هذا الكلام لا نهاية له أيها العزيز ، فاستمع إلى نقطة دقيقة يا صاحب التمييز .

- وكل من كان أكثر جمالاً فغيرته أشد ، ذلك أن الغيرة تحدث من الجمال أيها الأبناء .
- ٦٨٠- وعجائز النساء يهدين الزوج مخطية ، لأنهن عارفات بقبحه وشيخوخته وعجزه .
- ولما كان الجمال الأحمدي في الكونين ، " يستمد " من البهاء الإلهي العون .
- كان تنعم الدارين يصل إليه ، فكانت تلك الشمس المضاعفة تصاب بالغيرة .
- قائلة : لقد أقيت الكرة في عطار د ، فخبثوا أيها النجوم وجوهكم .
- وافنوا في شعاعى الذي لا نظير له ، وإلا افتضحت أمام نورى .
- ٦٨٥- إننى أغيب كل ليلة كرما ، ومتى أمضى ؟! إلا أنتى أبدى أنتى أمضى !!
- حتى تطيروا بدونى ليلا كالخفاش حول هذه الساحة .
- وحتى تعرضوا أجنتكم كالطواويس ، وتصبحون ثملين معجبين بأنفسكم متمردين .
- ولا تنظرون إلى أقدامكم التى تصنع القبح ، مثل الحذاء الريفى الذى كان شمعا لإياز .
- ثم أبدى وجهى صباحا من أجل العقاب ، حتى لا تصيروا من " الأثية " من أهل الشمال .
- ٦٩٠- أترك هذا " الموضوع " فالكلام فيه يطول ، وقد نهى عن التطويل أمر " كن " .

امتحان المصطفى ﷺ لعائشة رضو الله عنها قائلا لها :

لماذا تحتجبين ؟! لا تحتجبى فهو أعمى لا يراك ، حتى يظهر له :

هل تفهم عائشة ضمير الرسول ﷺ أو أنما تقلد القول الظاهر

- قال الرسول ﷺ امتحانا لها ، إنه لا يراك ، فلا تحتجبي .
- فأشارت عائشة بيديها بما معناه : " إنه لا يراني ولكني أراه " .
- إن غيرة العقل على جمال الروح ، ملئ بالتشبيهات والأمثال عند هذا الكتاب الملى بالموعظة .
- فمع كل هذا الخفاء الموجود للروح ، لماذا يكون العقل غيورا عليها إلى هذا الحد ؟!

- ٦٩٥- فممن تختفى أيها الغيور ، ذلك الذي نوره حجاب وجهه ؟!
- إن هذه الشمس تمضي دون نقاب ، وفرط نورها هو نقاب لوجهها .
- فممن تخفيها إذن أيها الغيور ، إن الشمس نفسها لا ترى منه أثراً !!
- إن الغيرة تزدد في جسد إلى حد أنني أريد أن أختفى من نفسي !!
- ومن نار الغيرة الشديدة التي تهاجمني ، أكون في حرب على عيني وأذني .
- ٧٠٠- فما دامت عندك هذه الغيرة أيتها الروح والقلب ، اغلق فمك إذن واترك القول !!

- وإنني أخشى إن صمت أن تمزق تلك الشمس الحجاب من ناحية أخرى !!
- إن قولنا هذا يكون أكثر ظهوراً في الصمت ، فمن منعه يكون الميل إليه في ازدياد .

- فان جاش البحر يصير جيشانه زبدا ، ويصير غليانا لقوله جلا وعلا " أحببت أن أعرف " !!

- والحديث هو إغلاق لتلك الكوة ، وعين إبداء الكلام هو إخفاؤه !!
- ٧٠٥- فاصرخ كالبلابل مغرداً على وجه الوردية ، حتى تشغلهم عن شذى تلك الوردية !

- وحتى تتشغل آذانهم بالكلام ، ولا يتجه وعيهم إلى أريج الورود .
- وأمام تلك الشمس التى هى شديدة الضياء ، يكون كل دليل فى الحقيقة قاطع طريق !!

حكاية ذلك المطرب الذى بدأ فى مجلس الأمير التركى بهذا الغزل :

أنت وردة أو سوسنة أو سروة أو قمر لا أدري

وماذا تريد من هذا الموله مسلوب القلب لا أدري

وصيام الأمير التركى له : قل ما تدريه ...

وجواب المطرب على الأمير

- وبدأ المطرب أمام التركى التمل ، يغنى فى إطار النغمات أسرار " ألت " -
- لست أدري أنت قمر أو وثن ، ولست أدري ماذا تريد منى
- ٧١٠ - لست أدري أي شئ أقوم به من أجلك هل أصمت أو أعبر عنك ؟!!
- والعجيب أنك لست منفصلة عني ولست أدري أين أنا وأين أنت .
- ولست أدري كيف تقومين بجذبي ، كيف تجذبينى حيناً إلى صدرك وحيناً تمرغيننى فى الدم .
- وهكذا فقد بدأ القول بـ " لست أدري " ، وجعل من " لست أدري ... لست أدري " لحناً !!
- وعندما جاوزت " لست أدري " الحد بشكل عجيب ، اجتاحت قلب " تركينا " الحرارة !!
- ٧١٥ - فقفز ذلك التركى وسحب هراوة ، حتى ينزل بها على رأس المطرب .
- فأمسك أحد قواده بالهراوة بيده ، وقال : لا ... إن قتل المطرب فى هذه اللحظة أمر سئ .

– قال : إن تكراره هذا الذي لا حد له ولا طعم له ، بوخ لذتى فلأدق رأسه !!
– أيها الديوث ، لا تدري ، إخساً ، وأن كنت تعلم فادخل في الموضوع مباشرة.
– وقل أيها الأحمق ما تعلمه ، ولا تزد في " لست أدري ... لست أدري " !!
٧٢٠- وأنا أسألك من أين أنت ، أيها العنيد ، وأنت تقول : لا من بلخ ولا من هراة .

– (١) لا من بغداد ولا من الموصل ولا من طراز ، وتمط في " لا " ولا طريقها طويل !!

– قل إذن : أنا من ذلك المكان " واخلص " ، فإن تفصيل المقصود هنا من البله.
– أو أسألك : ماذا أكلت على الإفطار ، فنقول لى : لا شراب ولا شواء !!
– (٢) لا قديد ولا ثريد ولا عدس ، قل إذن ما أكلته فحسب .

٧٢٥- فلماذا هذه الثثرة الطويلة ؟! قال المطرب : لأن مقصودى خفى !!
– إن الإثبات ليفر من أمام نفيك ، فنفييت حتى تشم رائحة عن الإثبات .
– إننى أجعل هذا اللحن قائماً على النفى ، وعندما تموت يحدثك الموت بالسر .

تفسير قوله ﷺ : موتوا قبل أن تموتوا

مت أيما الصديق قبل الموت إن كنت تريد الحياة

فإن إدريس من مثل هذا الموت صار إلى الجنة قبلنا

– لقد عانيت كثيراً ولا زلت في حجاب ، ذلك أنك لم تمت الموت الذي هو أصل الوجود .

(١) ج : ١٣ / ٢٦٨ :

– لا من الهند ولا من الروم ولا من الحبش ، ولا من الشام ولا العراق ولا بلدين

(٢) ج : ١٣ / ٢٦٩ :

– لا بقول ولا جبن ولا بصل ، لا لبن ولا سكر ولا عسل

- وما لم تمت ، لا يكون المعاناة تامة ، وبدون أن تتم السلم لا تأتي إلى السطح .

٧٣٠- وعندما تكون درجتان ناقصتين من مائتي درجة ، يكون الساعى غير مسموح له بالسطح .

- وعندما ينقص الحبل الذي يبلغ مائة ذراع ذراعا واحدا ، متى يأتى ماء البئر في الدلو ؟

- إنك لن تجد الغرق في هذه السفينة أيها الأمير ، إلا عندما تضع فيها "المن " الأخير .

- فاعلم أن " المن " الأخير أصل فهو " طارق " ، وهو الذي يغرق سفينة الوسواس والغى .

- وتسطع شمس الفلك الأزرق ، عندما تقوم بإغراق سفينة الوعى .

٧٣٥- ومادمت لم تمت فقد صار نزع الروح طويلا ، فانطفئ في الصباح يا شمع طراز .

- فاعلم أن شمس الدنيا مختفية ، حتى لا تختفى نجوم " ذواتنا "

- واضرب نفسك بالهراوة ، وحطم " الأنية " ، ذلك أن عين الجسد هى قطنة في الأذن .

- إنك تضرب نفسك بالهراوة أيها الدنى ، وهذه الأنية هى انعكاس صورتك في فعالى .

- - قد رأيت صورتك في صورتى ، ونهضت لقتال نفسك .

٧٤٠- مثل ذلك الأسد الذي سقط في البئر ، لقد ظن أن خياله خصم له !!

- والنفى هو ضد الوجود بلا شك ، حتى تعلم من الضد قليلا عن الضد .

- ولا إعلان في هذا الزمان إلا لنفى الضد ، وفي هذه النشأة لا توجد لحظة بلا فخاخ .

- وإذا أردت أن تكون بلا حجاب يا ذا اللباب ، اختر الموت إذن ومزق الحجاب .

- ليس ذلك الموت الذي تمضى منه إلى القبر ، بل الموت التبديلى الذي تمضى منه في النور .

٧٤٥- لقد صار منه رجلا بالغاً وماتت تلك الطفولة ، وصار " في بياض " الرومى ومحيت عنه صبغة الزنجى .

- وانقلب التراب إلى ذهب ، ولم تبق له الهيئة الترايية ، وانقلب الحزن إلى فرح ، ولم تبق أشواك الحزن .

- ومن هنا قال المصطفى ﷺ : يا باحثاً عن الأسرار ، هل تريد أن ترى ميتاً حيثاً ؟!

- تراه حياً يمضى على الأرض كالأحياء ، وهو ميت ، سعدت روحه إلى السماء .

- ولروحه مسكن في الأعلى ، وإن يمت فلا انتقال لروحه .

٧٥٠- ذلك أنه قد انتقل قبل الموت ، وهذا يصبح مفهوماً بالموت لا بالعقل .

- انه يكون نقلاً ، لا كانتقال العوام ، لكنه انتقال من مقام إلى مقام .

- وكل من يريد أن يرى ميتاً يمشى على الأرض عياناً هكذا ؛

- قل له انظر إلى أبى بكر النقى ، صار من صدقه أمير المحشرين .

- وانظر إلى الصديق في هذه النشأة ، حتى يزداد اعتقادك في الحشر .

٧٥٥- ومن ثم كان محمد مائة قيامة حاضرة ، ذلك أن حله وعقده ذابا في
الفناء.

- إن أحمد هو المولود ثانية في الدنيا ، وكان هو مائة قيامة عيانا .
- وكانوا يسألونه عن القيامة قائلين : أيتها القيامة ، كم الطريق إلى القيامة .
- فكان يرد عليهم كثيرا بلسان الحال ، قائلا : أيسال إنسان من المحشر عن
الحشر !!؟

- ومن هنا قال ذلك الرسول ﷺ حسن الرسالة سر { موتوا قبل الموت
يا كرام } !!

- ٧٦٠- مثلما مت أنا قبل الموت ، وأتيت من ذلك الطرف بالصيت والصوت .
- فصر قيامة إذن ، ثم انظر إلى القيامة ، وهذا هو شرط رؤية كل شئ .
- فما لم تصر إياه ، لا تعلمه تماما ، سواء كان ذلك " الشئ " أنوارا أو ظلما !!
- تصير عقلا ، فتعرف العقل بالتمام ، وتصير عشقا فتعلم ذبالة من العشق !!
- ولو كان هناك جدير " بالقول ، لقلت برهان هذه الدعوى بوضوح !!
- ٧٦٥- إن التين في هذا الناحية كثير جدا ورخيص ، إذا وصل طائر " آكل للتين
و "تزل" ضيفا !!

- وفي كل العالم الناس جميعا من رجال ونساء لحظة بلحظة في نزع وموت .
- فاعتبر كلامهم هذا من قبيل الوصايا التي يقولها الأب لابنه تلك اللحظة .
- حتى تتأتى منه العبرة والرحمة ، وحتى تقتلع جذور البغضاء والحقد والحسد.
- فانظر بهذه النية إلى أقربائك ، حتى لا تحترق قلبك عند " معاناتهم " النزع
وعند فقدهم .

٧٧٠- وكل آت آت ، فاعتبره حاضرا ، واعلم أن الحبيب في فقد وفي نزع !!

- وإذا صارت الأغراض حجابا لهذه النظرة ، فالق بهذه الأغراض خارجا من جيبك .

- وإن لم تستطع ، فلا تتوقف جامدا عند العجز ، واعمل أن مع العاجز معجزا قويا !!

- فالعجز قيدٌ قيدك ، فضع العين على القيد ، إذ ينبغي حله .

- ثم تضرع قائلا : يا هادي الحياة ، كنت طليقا ، فصرت مقيدا فمن أي شيء هذا ؟!

٧٧٥- أتراني جعلت القدم أكثر ثباتا في الشر ؟! بحيث أنتى في خسر من قهرك لحظة بلحظة !!

- وهل كنت أصم عن نصائحك ؟! هل كنت أدعى أنتى كاسر الأصنام وأنا صانعها ؟!

- وهل ذكر صنعك أوجب أو ذكر الموت ؟ والموت كالخريف وأنت أصل الأوراق !!

- إن هذا الموت يدق الطبول لسنوات ، لكن أذنك تتحرك فجأة .

- وتتحدث الروح عند النزاع : آه ... الموت ... فهل في هذه اللحظة فحسب يعرفك الموت بنفسه ؟!

٧٨٠- لقد أمسك الموت بحلقة عند الصياح ، وقد مزق طبلته من ضربه إياها بشدة !!

- لقد ألزمت نفسك دقائق الأمور ، أتراك أدركت سر الموت هذه اللحظة فحسب ؟!

**تشبيه المغفل الذي يضيع العمر ، وعند الموت
في تلك الشدة يأخذ في التوبة والاستغفار ، بقيام
شيعة حلب بالتعزية كل سنة في أيام عاشوراء
على بوابة إنطاكية ، ووصول شاعر غريب من
السفر وسؤاله قائلاً : هذه الضجة أي تعزية تكون ؟!**

- في يوم عاشوراء ، يكون كل أهل حلب على باب أنطاكية حتى الليل .
- يتجمع جمع عظيم من الرجال والنساء ، ويقيم مأتم تلك الأسرة " من آل البيت " .

- ويصرخ الشيعة وينوحون باكين ، في عاشوراء ، ذكرى كربلاء .
- ويعددون ذلك الظلم والبلاء الذي لقيه آل البيت من شمر ويزيد .
٧٨٥- وتمضى صياحتهم و " تهديداتهم " بالويل والثبور ، حتى تمتلئ بها
الصحراء والوادي .

- فوصل شاعر غريب من الطريق يوم عاشوراء وسمع تلك الضجة .
- فترك المدينة واتجه إلى تلك الناحية ، بهدف البحث والتفتيش عن " سر " هذه
الضجة .

- أخذ يمضى متسائلاً بامعان : ما هذا الحزن ؟ وعلى من أقيم هذا المأتم ؟!
٧٩٠- أهو رئيس عظيم ذلك الذي مات ؟ إن مثل هذا التجمع لا يكون بالشئ
الهيّن !!

- حدثوني عن اسمه وعن ألقابه ، فأنا غريب ، وأنتم أهل هذا البلد !!
- ما اسمه ؟! وما عمله ؟! وما هي أوصافه ؟! حتى أنظم مرثية في مناقبه .
- ولأنظم مرثية ، فأنا رجل شاعر ، حتى أحصل من هنا على الزاد والعطاء .

– فقال له أحدهم ... ماذا؟! هل أنت مجنون ، إنك لست من الشيعة ، بل عدو لآل البيت .

٧٩٥- ألا تعلم أن اليوم عاشوراء ، وهو مآتم لروح تفضل " رجال " قرن بأجمعهم .

– وبالنسبة للمؤمن ، متى يكون هذا الحزن هينا ، أ يكون عشق القرط بقدر عشق الأذن؟!

– وبالنسبة للمؤمن فإن مآتم طاهر الروح ذاك ، أكثر شهرة من مائة طوفان لنوح .

قول الشاعر لنقطة دقيقة طعنا لشيعة حلب

– قال : نعم ... لكن أين عهد يزيد؟! ومتى كان هذا الحزن؟! ولماذا وصل هنا متأخرا؟!

– لقد رأت عيون العميان هذه الخسارة وسمعت بها آذان الصم .

٨٠٠- فهل كنتم نائمين حتى الآن ، بحث تمزقون ثيابكم حدادا!!

– إذن فاقيموا العزاء على أنفسكم أيها النائمون ، ذلك أنه موت سيء هذا النوم الثقيل!!

– إن روح سلطان من السلاطين قد فرت من السجن ، فلماذا تمزق الثياب ، ولماذا نعص البنان؟!

– ولما كان سيذا للدين ، يكون وقت سرور ذلك الوقت الذي كسر فيه القيد .

– لقد أسرع نحو سراق الإقبال ، وألقى بالنير والغل .

٨٠٥- إنه يوم الملك والسرور والسلطان ، لو كان علمك بهم متقال ذرة .

– وإن لم تكن عالما فامض وابك على نفسك ، ذلك أنك منكر للانتقال والمحشر

- ونح على قلبك ودينك الخريين ، الذي لا يرى إلا هذا التراب القديم .
- وإن كان يرى ، فلماذا لا يكون شجاعا مؤزرا مضحيا بالروح شبع العين ؟!
- فأين في وجهك النضرة من خمر الدين ، وإذا كنت قد رأيت البحر فأين الكف السخى ؟!

٨١٠- إن من رأى الجدول لا ييخل بالماء ، خاصة ذلك الذي رأى البحر والسحاب !!

تمثيل الرجل الحريص الذي لا يروى رزق الحق وخزائن الرحمة

بنملة تكدم من أجل حبة وهي في بيدر عظيم

وتسعى وترتعد وتسحبها بعجلة

ولا ترى سعة ذلك البيدر

- إعلم أن النملة تكون مرتعدة من أجل حبة ، لأنها تكون عمياء عن البيادر الحلوة .

- أنها تسحب تلك الحبة بحرص وخوف ، إذا أنها لا ترى ذلك البيدر الكريم .

- ويقول لها صاحب البيدر : انتبهى .. يا من بسبب عماك انعدم الشئ أمامك

- لقد رأيت ذلك من بيادرنا ، بحيث تعلقت الروح بتلك الحبة

٨١٥- فيا من أنت في صورتك ذرة ، انظري إلى عطارده ، وأنت نملة عرجاء ،

فامض إلى سليمان !!

- إنك لست ذلك الجسم الذي رأيته ، وتتجو من الجسم إذا كنت قد رأيت

الروح !!

- إن الإنسان رؤية والباقي لحم وجلد ، وكل ما رأيته عيناه هو ذلك " المرئى "

- وإن دنا واحدا نغرق الجبل من القطر ، إذا كانت عين هذا الدن مفتوحة
صوب البحر !!

- وعندما تكون روح الدن متصلة بالبحر ، فإن الدن يزرى بجيخون .
٨٢٠- ولهذا السبب ، يكون نطقه كنطق البحر ، كل من يكون متحدًا بالنطق
الأحمدى .

- تكون كل أقواله درر بحر ، وذلك أن قلبه متصل بالبحر .
- وعطية البحر لما كانت من دننا ، فأى عجب أن يستوعب البحر في سمكة ؟!
- إن عين الحس قد تجمدت على الممر ، إنك تراه ممرا لكنه يراه مستقرا !!
- إن هذه الأثنينية من أوصاف رؤية الأحوال ، وإلا فإن الأول آخر ... والآخر
أول !!

٨٢٥- (١) انتبه !! من أى شئ يكون هذا معلوما ؟! من البحث ، فابحث عن
البعث ، وكفاك جدلا في البحث!!

ج : ١٢ / ٣٢٦ ودعك من صورة الدن وانظر في الدن
انه طاهر من البداية والنهاية تلك المياه العذبة
فاعلم أن هذا الدن هو البحر يقينا
وصار بحرا ثانيا في عين الوصال
بل صارت له الوحدة من الوصال
وبعد ذلك يقول أنا الحق كالمنصور
وحتى يظهر مثل ذلك السر في الدنيا
وحتى يزيد في جهاده وسعيه
وأما التقى حرون داخله كجدول

ففيه بحر دون بداية ونهاية
ومن قهرها المحرومون في عذاب
تحيا منه سواء الأرض والسما
وصار من الجهة إلى لا جهة في عين الوصال
وصار خطابه هو خطاب ذي الجلال
حتى يصبح منتظما مشنقة الشهرة
ويصبح المقبل مائرا في البحث
حتى يتيسر له رؤية " هو "
وبلا اثينية صار واحدا في بحر الروح

- وشرط يوم البعث ، هو الموت في البداية ، ذلك أن البعث هو إحياء الميت .
- ومن هنا أخطأ كل العالم الطريق ، إنهم يخافون العدم ، والعدم هو الملاذ .
- من أين نبحت عن العلم ؟! من ترك العلم ، ومن أين نبحت عن السلم ؟ من ترك السلم !!
- ومن أين نبحت عن الوجود ؟! من ترك الوجود ... ومن أين نبحت عن التفاح ؟! من ترك اليد !!
- ٨٣٠- وهو أنت يا نعم المعين ، الذي تستطيع أن تجعل البصيرة الناضرة إلى المعدوم ، مبصرة للموجود !!
- والبصيرة التي أبدعت من العدم ، رأت المعدوم كله ذات الوجود !!
- وتصير هذه الدنيا المتسعة محشرا ، إذا بدلت العيان وصارتا أكثر نورا .
- ومن هنا تبدو هذه الحقائق غير تامة ، إذ أن فهمها حرام على هؤلاء السذج .
- ونعمة الجنان الحلوة صارت محرمة على نزيل جهنم بالرغم من أن الحق سخي .
- ٨٣٥- فان شهد الجنان يكون مرا في فمه ، لأنه لم يكن من الأوفياء لعهد الخلد .
- ألسنهم يقومون بنفس الأمر في التجارة ؟! ومتى تتحرك اليد إن لم يكن ثم مشتر ؟!!
- ومتى تكون نظرة أهل الشراء مثل نظرة أولئك الذين يتجولون من أجل الخداع ؟!
- أولئك الذين يلحون في السؤال ... بكم هذا وبكم ذاك ؟! من أجل تمضية الوقت والسخرية " من الخلق " ؟!

- إن " أحدهم " ليطلب منك البضاعة من مله ، وليس ذلك الشخص بالمشتري الباحث عن البضاعة .

٨٤٠- لقد رأى السلعة وردها ، فمتى قاس الثوب ، لقد قاس الريح ؟!

- فأين حماس المشتري وحركته وإقدامه من مزاج الهازل العابث ؟!

- ومادام لا يملك حبة واحدة " من الذهب " ، فأى طلب منه " لشراء " حبة إلا من أجل الهزل.

- وليس له في التجارة رأس مال ... ومن ثم فسواء شخصه الكريه والظل .

- والمال في سوق هذه الدنيا هو الذهب ، والمال هناك هو العشق وعينان دامعتان .

٨٤٥- وكل من ذهب إلى السوق بلا مال ، أضاع العمر ، وعاد منه سريعاً وهو ساذج .

- " وعندما تسأله " : هيا أيها الأخ ... أين كنت ؟! فيقول : لا في مكان قط ، هيا ، ماذا طبخت من أجل الطعام ؟ لا شئ !!

- فصر مشترياً حتى تتحرك يدي ، وينتج الياقوت منجمي الحامل " بالجواهر " .

- ومهما كان المشتري واهنا غثاً ، ادع إلى الدين ، فالدعوة واردة .

- وطير البازي ، وصد حمام الروح ، وتوخ في الدعوة أسلوب نوح .

٨٥٠- وداوم على الخدمة من أجل الله ، فما شأنك بقبول الخلق أوردتهم ؟!

قصة ذلك الشخص الذي كان يدق للسحور على باب قصر في منتصف الليل ...

فقال له الجار : إن الوقت هو منتصف الليل آخر الأمر ، وليس وقت السحر ،

وثانية فإنه لا أحد في القصر ، من أجل من تدق ، وجواب " المطرب " عليه !!

- كان أحدهم يدق للسحور على باب ، كان عتبة عظيم ورواقه .

- أخذ يدق للجسور في منتصف الليل بجد ، فقال له قائل : يا طالب المدد ؛
- أولاً : دق من أجل هذا السحور عند السحر ، ولا تكون هذه الضجة والجلبة عند منتصف الليل ؛
- وثانياً افهم أيها المتهوس ، أثمة أحد يوجد داخل هذه الدار .
- ٨٥٥- فلا أحد هنا إلا الجن والشياطين ، فلماذا تضيع أيامك عبثاً ؟!
- إنك تتقر الدف من أجل أذن ، فأين الأذان ؟ وينبغي ذهن حتى يعلم ... وأين " ذلك " الذهن ؟!
- قال " تحدثت ؟! فاسمع من تابعك الجواب ، حتى لا تبقى في حيرة واضطراب .
- إذا كان الوقت بالنسبة لك هو منتصف الليل ، فان الصبح بالنسبة لى قد اقترب .
- إن كل هزيمة بالنسبة لى صارت نصراً ، وكل الليالى صارت أمام عيني نهراً !!
- ٨٦٠- إن ماء النيل هو دم بالنسبة لك ، وهو عندى ليس دماً بل ماء ، أيها النيل .
- وذلك في رأيك حديد ورخام ، لكنه عند داود النبي شمع يلين .
- وأمامك الجبل ثقيل جداً وجماد ، لكنه أمام داود مطربٌ واستاذ .
- وفي رأيك أن ذلك الحصى ساكت ، لكنه أمام أحمد فصيحٌ وقانت .
- وأمامك جذع المسجد من قبيل الميتة ، لكنه أمام أحمد عاشق مسلوب الفؤاد .
- ٨٦٥- وكل أجزاء الدنيا أمام العوام ميتة ، لكنها أمام الله عالمة منقادة .
- وما قلته أنه لا يوجد أحد في هذه الدار ، فلماذا تدق هذا الطبل ؟!

– إن الناس من أجل الحق يهبون هذه الأموال ، ويضعون أسس المئات من
أبنية الخير والمساجد .

– ويضحون بأموالهم وأجسادهم في طريق الحج الطويل بسعاده كالعشاق
الثلمين .

– فهل " سمعتهم " يقولون قط إن هذا البيت فارغ ؟! بل إن صاحب الدار حبيب
خفى كالروح " لا تدركه الأبصار " !!

٨٧٠- إنه يرى دار الحبيب مليئة ، ذلك الذي له ضياء من نور الإله .

– ومن ثم فالدار المزدهمة المليئة بالناس ، تكون فارغة أمام الناظرين إلى
العواقب .

– وكل من تريده ، يبحث عنه في الكعبة ، يطلع أمام وجهك في التو واللحظة .

– والصورة التي تكون فاخرة وعالية ، متى تكون خالية من بيت الله ؟

– إنه يكون حاضرا متزها عن الإقصاء ، وبقية الناس محتاجون إليه .

٨٧٥- " وهل سمعتهم " قط يقولون أن قولنا لبيك ، لماذا نقوم به آخر دون أن
يناديننا أحد ؟!

– بل التوفيق الذي يأتي بـ " لبيك " هو في كل لحظة نداء من الأحد !!

– وأنا أعلم بالشم " والفراسة " أن هذا القصر ... هو ملهى للروح وترا به
كيمياء .

– وإننى أعرض نحاسى على كيميائه حتى الأبد عن طريق " وترى " الجهير
والخفيض .

– حتى يغلى من دق هكذا من أجل السحور ، في نثر الدر وعطاء البحور .

٨٨٠- والخلق في صف القتال ومعمة ، لا يزالون يضحون بالأرواح من أجل الخالق .

- وأحدهم في البلاء كأنه أيوب ، وآخر في الصبر كأنه يعقوب .
- (١) ومئات الآلاف من الخلق الظالمين المحتاجين يجاهدون طمعا من أجل الحق .

- وأنا أيضاً من أجل الرب الغفور ، أدق على الباب للسحور رجاء فيه .
- إنك تريد مشترى تأخذ منه الذهب ، ومن يكون - أيها القلب أفضل من الحق مشترى .

٨٨٥- إنه يشتري مما تملك كيسا نجسا ، ويعطيك نورا مضمرا فيك يقتبس " من نوره " !!

- ويأخذ هذا الجسد الفاني كالثلج ، ويعطيك ملكا خارجا عن أذهانتنا .
- ويأخذ عدة قطرات من الدمع ، ويعطى كوثرًا يزرى بالشهد .
- ويأخذ آهة حرة مليئة بالرغبة والحزن ، ويعطى من أجل كل آهة مائة من جاه النفع !!

- (٢) وأليست ربح الآهة التي ساقط الدمع من سحاب العين هي التي سمت الخليل أواها ؟!

(١) ج : ٣٣٧ / ١٣ :

- وأحدهم كنوح في غم وكرب ، وآخر كاحمد في صف الحرب
- وهذا من الدنيا على حذر كأنه أبو نر ، وآخر في استقامته كأنه عمر .

(٢) ج : ٣٣٧ / ١٣ :

- فهات النقد حتى تربح منه ، واترك النسيئة حتى لا تخسر .

٨٩٠- فهنا في هذا السوق الرائج الذي لا نظير له ، بع الأشياء القديمة ، وخذ الملك الحاضر .

- وإن قطع عليك الطريق ريب وشك ، فاجعل التجار الأنبياء مسنداً " لك " .
- ومن كثرة ما زاد ذلك المليك إقبالهم ، لا يستطيع الجبل أن يتحمل متاعهم ..

قصة قول بلال ؓ أحد أحد في حر الحجاز

محبة للمصطفى ﷺ في تلك الظهيرات إذ كان

سيده خلالها يضربه من تعصبه اليهودي بفروع الشوك

تحت شمس الحجاز ، ومن الجرام كان الدم يخور من جسد بلال

وكان يصيح أحد أحد بلا قصد كما يخرج الأنين

من المتألمين الآخرين بلا قصد لأنه كان ممتلئاً بألم العشق

ولم يكن هناك اهتمام بدفع ألم الشوك مثل سحرة فرعون

ومثل جرجيس عليه السلام وغيرهم لا يعد ولا يحصى

- كان بلال ذاك - يجعل الجسد فداء للشوك ، وكان سيده يضربه " به " عقاباً .

- قائلاً له : لماذا تقوم بذكر أحمد ، فهل أنت منكر لديني يا عبد سوء ؟!

٨٩٥- كان يضربه في هجير الشمس بالشوك ، وكان يقول " أحد ... أحد "

مباهاً !!

- حتى حدث أن " الصديق " كان يمر من تلك الناحية ، فبلغت سامعه صيحات

أحد ... أحد .

- فدمعت عيناه ، وتألم قلبه ، فقد كان من " أحد " تلك يجد رائحة مألوفة لديه .

- ثم رآه بعدها في خلوة فنصحه قائلاً : اعتقد ما شئت لكن خفية عن اليهود .

- وهو عالم السر ، فاخف خطوك ... قال : تبت أمامك أيها الهمام .
٩٠٠- وفي اليوم التالي كان الصديق يمر فجرا مسرعا في تلك الناحية من أجل
عمل ما ؛

- فسمع ثانية كلمة " أحد " من الضرب بالشوك ، فاندلع من قلبه اللهب والشرر
- ونصحه ثانية ، وكرر بلال توبته ، وحل العشق وابتلع توبته هذه .
- وكثرت توبته على هذا النمط ، وفي النهاية ضاق من التوبة .
- وأعلن " اعتقاده " واسلم جسده للبلاء ، صائحا : يا محمد ياعدو التوبات .
٩٠٥- يا من جسدى وعروقى مملوءة بك ، فأى مكان فيه بعدها يسع التوبة !!؟
- فأخرج التوبة من الآن فصاعدا من القلب ، فكيف أتوب إذن عن حياة الخلد ؟
- إن العشق قهار وأنا مقهور للعشق ، لقد صرت حلوا كالسكر من مرارة
العشق .

- إننى قشة أمامك أيها الإعصار ، فأى علم لى إذن أين أسقط !!؟
- فسواء كنت هلالا أو كنت بلالا فإننى أسرع ، واصير تابعا لك ،
٩١٠- وأى شأن للقمر مع السمنة والنحول ، إنه يسرع في أثر الشمس كالظل .
- فإن كل من يفر مع القضاء ، إنما يكون ساخرا من نفسه .
- أقشة في مهب الريح ثم قرار ؟! أقيامة ثم عزم على العمل !!؟
- إننى فى يد العشق قط في جوال ، لحظة في علو وأخرى في انخفاض من
العشق !!

- وهو يديرني حول رأسه ، فلا راحة لى إن كنت أسفل ولا راحة لى إن كنت أعلى !!

٩١٥- لقد سقط العشاق في سيل مندفع ، وانتظروا ما يفعله بهم قضاء العشق .
- وكأنهم حجر طاحون في دوار ، دائرون ليل نهار ، نائحون بلا قرار .
ودورانه شاهد على الجدول الكلى " جدول الجداول " ، حتى لا يقول أحد إن ذلك الجدول راكد .

- فإن كنت لا ترى الجدول المختفى ، فانظر إلى ساقية الفلك في دوران .
- فإن لم يكن للفلك قرار فيه ، فلا تبحث أيها القلب عن الاستقرار كالكوكب .
٩٢٠- فإن تسببت بخصن في يدك متى يتركه " العشق " ؟! وحيثما تقيم صلة يحطمها " العشق " .

- وإن لم تكن ترى تدوير القدر ، فانظر إلى العناصر في فوران ودوران .
- ذلك أن دوران ذلك القذى والزبد ، يكون من جيشان البحر ذى الشرف .
- وانظر إلى الرياح الحائرة في هزيم ، وانظر إلى موج البحر في جيشان أمام أمرها .

- والشمس والقمر ، ثورا طاحون ، يدوران ويقومان بالحراسة .
٩٢٥- والكواكب لا تزال تسرع من منزل إلى منزل ، وتصير مركبا لكل سعد ونحس .

- فإذا كانت كواكب الفلك بعيدة وحواسك هذه كسول واهنة ضعيفة .
- فأين تكون كواكب أعيننا وآذاننا ووعينا ليلا ؟ وأين تكون عند اليقظة ؟!

- فهي حيناً في سعد ووصال وهناء ، وحيناً في نحس والفراق وانعدام الوعي !!
- ولما كان قمر الفلك في هذا الدوران ، يكون حيناً مظلماً وحيناً مضيئاً .
٩٣٠- وأحياناً ربيع وصيف كالشهد واللبن ، وأحياناً دار عقاب البرد
والزمهرير .

- فإذا كانت الكليات أمامه كأنها الكرة مسخرة لصولجانه وساجدة له ؛
- فيا أيها القلب الذي تعتبر جزءاً من مائة ألف جزء منها ، لماذا لا تكون أمام
حكمة ساكناً ؟

- كن كالداية تحت حكم الأمير ، حيناً محبوسة في الإصطبل ، وحيناً في مسير
_ وعندما يربطك إلى الودد كن مربوطاً ، وعندما يحل عنك القيد ، امض ...
وكن مسرعاً .

٩٣٥- والشمس في الفلك عندما تمضي باعوجاج ، يعاقبها بالكسوف وسواد
الوجه .

- قائلاً لها : تجنبي الذنب ، انتبهي ، حذار ، حتى لا تصيري سوداء الوجه
كالقدر .

- كما أنه يضرب السحاب بسوط ناري ، قائلاً له : سر على ذلك النسق لا على
هذا النسق .

- أمطر على وادي كذا ولا تمطر على هذه الناحية ، وينزل عليه العقاب قائلاً
له : استمع .

- وليس عقلك بأعظم من الشمس ، فلا تقف عند هذه الفكرة التى ورد فيها
النهى .

٩٤٠- ولا تضع خطوك في الضلال أيضاً أيها العقل ، حتى لا يحدث لك أيضاً
ذلك الكسوف .

- وعندما يكون الذنب أقل ترى نصف الشمس في كسوف ونصفها الآخر مشعاً
بالضياء .

- قائلاً لها : إننى آخذك بقدر جرمك ، وهذا هو المقرر في العطاء والجزاء .
- وسواءً كنت طيباً أو شريراً ، فاشياً أو مستوراً ، فإننى سميع وبصير بكل
الأشياء .

- ودعك من هذا أيها الأب فقد حل النوروز ، وصار الخلق من الخلق ...
حلوى الفم .

٩٤٥- ولقد عاد ماء الروح في جدولنا ، وعاد مليكنا إلى حيننا .
- والإقبال يتبختر ويبسط رداءه ، ويدق نوبة النكوص عن التوبة .
- لقد جرف السيل التوبة مرة أخرى ، وحانت الفرصة ، فقد غلب الحارس
النوم .

- وكل ساقى للخمر ثمل ، معافر للخمر ، والليلة سوف نرهن متاعنا .
- ومن ذلك الشراب الياقوتى الذي ينعش روح الروح ، نحن ياقوتٌ في ياقوتٍ
في ياقوت !!

٩٥٠- وثانية ، أصبح المجلس المضىء للقلب سعيداً ، فانهض واحرق العود
دفعاً لعين السوء .

- وإن عريدة السكارى تقع منى وقعا حسنا ، فليدم لى هذا الأبد - كما ينبغي أيها الحبيب .
- لقد صار هلال حبيبا لبلال ، فصارت جراح " عصى " الشوك منه وردا وزهر رمان .
- فإذا كان الجسد قد صار من وخز الشوك غربالا ، فقد صارت روحى وجسدى روضتى إقبال .
- إن الجسد " موجود " أمام طعنات شوك ذلك اليهودى ، وروحى ثملة مهدمة بذلك الودود .

- ٩٥٥- إن رائحة حبيب تصل صوب روحى ، وتصل رائحة الحبيب الحنون ..
- ومن صوب المعراج ، اقبل المصطفى ... إلى بلاله ، ، حبذا لى حبذا .
- وعندما سمع الصديق من بلال صادق النفس هذا القول ؛ نفض اليد من توبته.

رؤية الصديق ﷺ واقعة بلال ﷺ

وجور " اليهود " عليه وقوله " أحد أحد " وازدياء حقد اليهود عليه

ورواية هذا الأمر للمصطفى ﷺ واستئذانه في شرائه من اليهود !!

- ثم إن الصديق قص للمصطفى ﷺ عن أحوال بلال الوفى .
- و " قال له " إن ذلك الذي قطع الأفلاك ، ميمون القوادم ، الجلد ، هو هذه اللحظة في فخك ، وعاشق لك .
- ٩٦٠- وبازى السلطان في عناء من ذلك اليوم ، وذلك الكنز العظيم صار مدفونا في الغائط .

- إن اليوم يجور على البازى ، ويقوم باقتلاع جناحه وقوادمه دون ذنب .

- وجرمه هو أنه بازى فحسب ، فماذا كان جرم يوسف ^(١) غير الحسن ؟ .
- إن موطن البوم ، ومسكنه هو الخراب ، ومن هنا فلديهم على البازى غضبُ
اليهود .

- ^(١) قائله له : لماذا تذكر تلك الديار ، أو تذكر القصر وساعد السلطان .
٩٦٥- إنك تقوم بالفضول في ديار البوم ، وتثير الفتنة والاضطراب .
- ومسكننا الذي أزرى بالآثير ، تدعوه بالخرابة ، وبالإسم الحقيق .
- إنك تقوم بالمكر لعل بومنا يجعل منك ملكا وإماماً .
- إنك تلقى فيهم بالهموم والسوداء ، وتسمى هذا الفردوس خرابة .
- فلنضربك على رأسك بضع ضربات يا سئ الصفات ، حتى تقلع عن المكر
والترهات .

٩٧٠- إنهم يصلبونه أمام الشمس ، ويضربونه بفروع الشوك وهو عارى الجسد
- وينبثق الدم من مائة موضع من جسده ، وهو يقول " أحد ... أحد " ويطأطئ
رأسه .

- وقد نصحته كثيرا وقلت له : اكتم دينك ، واخف شرك عن أولئك اليهود
الملعونين .

- إلا أنه عاشق ، حلت به القيامة ، حتى أغلق باب التوبة أمامه .
- أعشقُ وتوبة وإمكان الصبر ، إن هذا محالٌ أيها الحبيب وصعبٌ جداً .
٩٧٥- إن التوبة بمثابة الدودة والعشق كالأفعى ، إن التوبة وصف للخلق ، أما
العشق فهو وصف لله .

^(١) ج : ٣٨٨/١٣ :

- قائلة له لماذا تذكر مرزعة الشقائق والروضة ومجرى النهر

- إن العشق من أوصاف الله الغنى ، أما العشق لغيره فيكون مجازاً .
- لأن ذلك الغير حسنه مطلق بالذهب ، إن ظاهره نور لكن باطنه دخان .
- وعندما يمضى النور ويصير الدخان ظاهراً ، يبوخ العشق المجازى ذلك الزمان .
- (١) يعود ذلك الحسن صوب أصله ، ويبقى الجسد بدونه نتناً مفتضحا سيئاً .
- ٩٨٠- ويمضى نور القمر صوب القمر ، ويمضى انعكاسه عن الجدار الأسود .
- ويبقى الماء والطين دون هذه الزينة ، ويصير ذلك الجدار بدون القمر كالشيطان .
- والزيف الذي فر الذهب من وجهه ، وعاد وقبع في منجمه .
- يبقى نحاساً مفتضحا كالدخان ، ويبقى عاشقه أكثر افتضاحاً منه .
- إن عشق المبصرين يكون لمنجم الذهب ، فلا جرم أنه يزداد يوماً بعد يوم .
- ٩٨٥- ذلك أن منجم الذهب لا شريك له في احتوائه عليه ، فمرحباً يا منجم الذهب الذي لا شك فيه .
- وكل من يجعل الزيف شريكاً للمنجم ، فإن الذهب يمضى عنه إلى منجم اللامكان .
- والعاشق والمعشوق ماتا دهشة واضطراباً ، كسمكة بقيت بعد أن ذهب الماء عن النبع .
- أما العشق الربانى فهو شمس الكمال ، والأمر هو نوره والخلق كالظلال. (٢)

(١) ج : ١٣ / ٣٨٩ :

- وعندما يظهر الدخان الذي يزيد الغم ، ينوح ، فلا عشق يبقى ولا هوى !!

(٢) من هنا في نسخة جعفرى بعد العنوان التالى .

- وعندما تهلل المصطفى من هذه القصة سعيداً ، ازدادت الرغبة عند الصديق في الحديث .

٩٩٠- وعندما وجد مستمعا كالمصطفى ﷺ ، صارت كل شعرة فيه لسانا ، على حدة .

- وقال له المصطفى ﷺ : والآن ، ما الحل ؟ ، قال " الصديق " : إن عبد الله المائل أمامكم سوف يشتريه .

- سأشتريه مهما طلب سيده من ثمن ، ولن أنظر في الخسارة والغبن الظاهرين .
- فهو أسير الله في الأرض ، وغضب عدو الله مسلط عليه .

وصية المصطفى ﷺ للصديق ﷺ

قائلا : عندما تصبح مشتريا لبلال مهما زادوا من غضبهم في الثمن ،

فاجعلني شريكك في هذا الفضل وكن وكيلى وخذ منى نصف الثمن

- قال له المصطفى ﷺ يا باحثا عن الإقبال ، سوف أصير شريكا لك في هذا الأمر .

٩٩٥- وكن وكيلى ، فالنصف على ، واشتره ، واقبض منى الثمن .

- قال : سمعا وطاعة ، وذهب في التو واللحظة ، إلى منزل ذلك اليهودى الذي لا أمان له .

- وقال لنفسه : إن شراء الجواهر من أيدي الأطفال أمر بالغ السهولة أيها الأب - إن الشيطان الغول يشتري العقل والإيمان بملك الدنيا من هؤلاء الأطفال المخدوعين .

- إنه يزين الجيفة بحيث يأخذ منهم في مقابلها مائتى بستان .

١٠٠٠- إنه يقيس ضوء القمر بسحره ، ويختطف من الأخساء مائة كيس في مقابله .

- فعلمهم الأنبياء التجارة ، واشعلوا أمامهم شمع الدين .
- والشيطان ، والغول الساحر من سحرهما وحيلهما ، قاما بتقبيح الأنبياء في نظرهم .
- إن العدو يقبح " الأمور " بسحره ، حتى يقع الطلاق بين الزوج وزوجه .
- لقد خالطوا عيونهم بسحر ما ، حتى باعوا ذلك الجوهر بالغثاء .
- ١٠٠٥- إن هذا الجوهر أسمى من العالمين ، هيا اشتره من هذا الطفل الجاهل ، فهو حمار .
- فأمام الحمار ، يستوى الجوهر وخرز الحمار ، فهذا الحمار يشك في الدر والبحر .
- إنه ينكر البحر وما فيه من جوهر ، فمتى يكون الحيوان باحثا عن الدر والحلى ؟!
- إن الله لم يضع في خلقة الحيوان ، أن يكون مفكرا في الياقوت أو عابدا للجوهر .
- فهل رأيت قط قرطا عند الحُمُر ؟! بل إن أذنه وعينه كله منصرفان إلى المرجى .
- ١٠١٠- فاقراً " أحسن التقويم " في سبورة التّين ، فهي جوهر عزيز تلك الروح ، أيها الصديق .
- إن أحسن التقويم هذه تعلو على العرش ، " وأحسن التقويم " خارج ما يعن لفكرك .
- ولو قلت قيمة ذلك الذي يمتنع " عن التّقييم " ، لاحترقت أنا كما يحترق المستمع .

- فاصمت هنا ، ولا تسق حمار " فكرك " إلى هذه الناحية ، لقد ذهب الصديق إلى أولئك الحمير .

- ودق حلقة الباب ، وعندما فتح الباب ، دخل بلا وعى دار ذلك اليهودى .
١٠١٥- وجلس فاقد الوعي ثمل الرأس ممثلاً بنار " الغضب " ، وانطلق من فمه كلام شديد الإيلام .

- قال : كيف تضرب ولى الله هذا ؟! ما هذا الحقد ، يا عدو الضياء .
- فإن كنت صادقاً في دينك ، كيف يطاوعك قلبك على ضرب " هذا " الصادق
- فيا من أنت " أنثى " في دين اليهود ، بحيث تظن نفس هذا الظن في أحد أمراء " الدين " .

- فلا تنظر إلى جميع " الناس " بمرآتك التى تجعل " الأمور " معوجة ، أيها المردود ، والملعون إلى الأبد .

١٠٢٠- وإن ما صدر في تلك اللحظة من فم الصديق ، لو أننى قلته لعقدت أنت اليد والقدم .

- إن ينابيع الحكم تلك كأنها الفرات ، منطلقة من فيه ، من حيث لا جهات .
- مثلما انبثق ماءٌ من صخرة ، فلا هو يستمد من جانبها ، ولا من قلبها ووسطها .

- لقد جعل الحق تلك الصخرة درعا أمامه ، ففجرت الماء السماوى اللون .
- مثلما سير من نبع عينيك النور دون بخل أو فتور .
١٠٢٥- ولا هذا " النور " يستمد من شحمة " العين " ولا من جلدها ، لكن الحبيب عند الإبداع يضع دريئة ما!!

- وفي خلاء الاذن ، تدرك ريحه الجاذبة ، صدق الكلام وكاذبه .
- فأية ريح هذه في تلك العظمة الصغيرة ، بحيث تقبل كلمات الراوى وصوته ؟

- إن العظم والريح دريئة فحسب ، وليس في الدارين غير الله .
- إنه هو المستمع وهو القائل بلا احتجاب ، ذلك أن " الأذنين من الرأس " أيها المثاب .
- ١٠٣٠- قال " اليهودى " : إذا كنت تشفق عليه ، فادفع الذهب وخذ ، يا من طبعك الكرم .
- اشتريه منى ، مادام قلبك في حرقه من أجله ، وبلا إنفاق ، لا حل هناك لمشكلتك .
- قال : حبا وكرامة ، وخمسائة سجود " شكرا لله " ، إن عندي عبدا أبيض البشرة ، لكنه يهودى .
- إنه أبيض البشرة ، وأسود القلب فخذ ، واعطنى قى مقابله صاحب البشرة السوداء والقلب المنير .
- ثم أرسل في طلبه وأحضره ذلك الهمام ، وكان ذلك العبد في الحقيقة شديد الجمال .
- ١٠٣٥- بحيث صار ذلك اليهودى حائرا والها ، وتحرك قلبه الحجرى من مكانه سريعا .
- وهكذا تكون حالة عباد الصورة ، تصوير " قلوبهم " الحجرية " في ليونة " الشمع من صورة .
- لكنه عاد إلى العناد ولم يرض وقال : لابد أن تزيد على هذا .
- فاضاف عليه نصابا من الفضة ، حتى شبع حرص ذلك اليهودى .^(١)

^(١) ج : ٣٩٧/١٣ :

- فباع ... واتم الصفقة دون غرض ، وأعطى جوهرة أخذ في مقابلها حجرا .
- على ظن أنه قد كسب ، إذ أعطى أسود وأخذ في مقابله أبيض .
- وعندما تمت الصفقة بينهما ، وجدت الإيجاب والقبول عند الطرفين .

ضحك اليهودي وظنه أن الصديق

مغبون في هذه الصفة

- وقهقه ذلك اليهودي قاسى القلب ، سخرية واستهزاء وغشا وغلا .
١٠٤٠- فقال له الصديق : ما هذا الضحك ؟ فأجاب على سؤاله بأن زاد في ضحكه .

- ثم قال : لو لم تكن جادا مغرما بشراء هذا الغلام الأسود ؛
- لما غليتُ أنا عناداً ، ولبعته لك بعشر هذا الثمن .
- فإنه بالنسبة لى لا يساوى نصف دائق ، وأنت رفعت ثمنه بجلبتك .
- فأجاب عليه الصديق قائلاً : أيها الغبى ، لقد أعطيت جوهرة في مقابل جوزة وكأنك الصبى .

١٠٤٥- فإنه عندى يساوى الكونين ، فأنا ناظر إلى روحه وأنت ناظر إلى لونه.
- إنه ذهبٌ أحمر ، اسود في لونه ، من أجل " نجاته " من هذا الموطن للحمقى.
- إن بصيرة هذه الأجسام ذات الألوان السبعة ، لا تدرك تلك الروح من " تحت " هذا النقاب .

- ولو أنك فاصلت في البيع أكثر ، لأعطيت كل أموالى وأملاكى .
- ولو زدت أكثر في المفاصلة ، لاقترضت - من اهتمامى بالأمر - حجراً من ذهب من آخر .

١٠٥٠- لقد فرطت فيه بسهولة ، ذلك أنك اشتريته بيسر ، ولم تر الدر ، لأنك لم تفتح الصندوق .

- لقد أعطى جهلك الصندوق مغلقاً ، وسريعاً ما ترى كيف غُبت .

- لقد أعطيت صندوقاً مليئاً بالياقوت في مقابل هباء ، فأنت كالزنجى سعيدٌ في سواد الوجه .

- وكم ستطلق الحشرات في النهاية ، فهل يبيع أحد دولته وإقباله ؟!

- لقد وصل الإقبال في ثوب عبيد ، وعينيك التعسة لم تر سوى الظاهر .

١٠٥٥- لقد أبدى لك " الإقبال " عبوديته ، لكن طبعك القبيح تصرف معه بمكر وحيلة .

- فخذ هذا الأسود الباطن الأبيض الجسد ، كما يفعل عباد الأوثان ، أيها المخرف .

- فهذا لك ، وذلك لى ، وقد كسبنا معاً ، هيا ، لكم دينكم ولى دينى أيها اليهودى .

- فهذا هو الجدير حقاً بعبدة الأوثان ، إن جواده خشبى وإن كان غطاء سرجه من الأطلس .

- كأنه قبر الكفار ملئ بالدخان والنار ، وخارجة مائة نقش وصورة وزينة .

١٠٦٠- ومثل أموال الظلمة ، ظاهرها جمال ، وباطنها دماء المظلوم والوبال .

- وكالمنافق ، ظاهره الصوم والصلاة ، وفي الباطن تراب أسود لا نبات فيه .

- وكسحابة خالية " من المطر " كثيرة الإرعاد ، فلا فيها نفعٌ للأرض ولا قوتٌ للبر .

- مثل الوعد الماكر والقول الكاذب ، أوله ذو ضياء ، وآخره افتضاح .

- ثم أمسك بعد ذلك بيد بلال ، ذلك الذي جعلته ضربات أجراس المحنة " في نحول " عود الخلّة .

١٠٦٥- صار كعود خلّة في فم واتخذ طريقه ، وأخذ يسرع نحو حلو اللسان .

- (١) وعندما رأى ذلك وجه المصطفى ﷺ ، خر مغشياً عليه ، وسقط على ظهره .
- وظل فترة طويلة فاقد الوعي ، وعندما عاد إلى الوعي ، ذرف الدموع من الفرح .
- ثم إن المصطفى ﷺ أجلسه إلى جواره ، وماذا يدري أحد عما وصله من عطاء ؟!!
- فكيف يكون نحاسٌ "عُرض على الأكسير" ، "وكيف" يكون مفلس قد وقع على كنز غني ؟!!
- ١٠٧٠ – وسمكة ذابلة سقطت " ثانية " في البحر ، وقافلة ضائعة عثرت على سبيل الرشاد .
- وذلك الكلام الذي تفضل به النبي ﷺ في ذلك الوقت ، لو وقع على الليل لخرج عن طبيعته .
- ولتحول ذلك الليل إلى نهار مضى كأنه الصباح ، إنتى لا أستطيع أن أكرر ثانية ما قيل .
- فأنت نفسك تعلم ماذا تقول الشمس حين تكون في برج الحمل للنبات والعشب – وتعلم أنت نفسك أيضاً ماذا يقوله ذلك الماء الزلال للرياحين والأغصان .
- ١٠٧٥ – وصنع الحق مع كل أجزاء الدنيا ، كأنه حديث السحرة وتعاويذهم .
- وجذب الله للآثار والأسباب ، يتحدث في السر بمئات الكلمات دون كلام ودون شفة .

(١) ج : ٤١٢/١٣ :

– وأتى به حتى الرسول ، ذلك الذي كان قد آمن بدينه بروحه

— إنه ليس معهودا لكنه من تأثير القدرة ، مهما كان تأثيره من قبله تعالى لا يدرك بالعقل .

— وعندما يكون العقل مقلدا في الأصول ، اعلم أنه أيضاً مقلد في الفروع أيها الفضولي .

— وإن سأل العقل كيف يكون الهدف ؟! قل له : بشكل لا تعرفه والسلام . (١)

عتاب المصطفى ﷺ للصديق ﷺ قائلاً :

ألم أوصك أن تشتريه مشاركة بيننا ،

فلماذا اشتريته من أجلك وحدك؟! واعتذاره

١٠٨٠- قال : أيها الصديق : ألم أقل لك اجعلني شريكا لك في هذه المكرمة ؟!

— (٢) قال : إننا كلانا عبيد حبك ، ولقد اعتنقته لوجهك .

— فاجعلني أنا عبداً لك وصديقا حميما ، لا أريد حرية قط ، حذار .

— فمن عبوديتي لك أظفر أنا بالحرية ، وبدونك كم " يلحق بي " من ظلم ومحنة

— فيا من أحبيت الدنيا من الاصطفاء ، وجعلت العامى من الخواص ، وبخاصة

أنا !!

١٠٨٥- كانت روى ترى في الأحلام في الشباب ، أن قرص الشمس يلقي على بالسلام .

— وأنه سحبني من فوق الأرض إلى عنان السماء ، وإنني قد صرت رفيقا له ،

في ارتقاء وسمو !

(١) ج : ١٣ / ٤١٢ :

— وسيد الكونين سلطان الزمان ، أخذ يعاتب " الصديق " فترة بعد ذلك .

(٢) ج : ١٣ / ٤٢٧ :

— فلماذا اشتريته وحيدا من أجل نفسك ؟! تحدث بما حدث يا طاهر الدين .

- قلت ، إن هذا لماليخوليا ، ولأمر محال ، ولا يصير مستحيل أبداً وصفا للحال.

- وعندما رأيتك ، رأيت نفسي ، فالتثاء على تلك المرأة طيبة الدين .

- وعندما رأيتك صار محالى حالا ، وصارت روى مستغرقة في الإجلال .

١٠٩٠- وعندما رأيتك بنفسى يا روح البلاد ، سقط حب تلك الشمس من ناظرى!!

- صارت عيناي منك عالية الهمة ، ولا تنظر إلى الرياض إلا باحتقار .

- لقد بحثت عن النور ، فرأيت بنفسى نور النور ، وبحثت عن الحور فوجدت من يزرى بالحور !!

- وبحثت عن " مثيل " ليوسف ... جميل ... فضى الجسد ، فرأيت فيك ارضا مليئة بأمثال يوسف .

- وكنت في بحث وتفتيش من أجل الجنة ، فأبدى لى كل جزء منك على حدة جنة " وارقة " .

١٠٩٥- إن هذا بالنسبة لى بأجمعه مدح وثناء ، لكنه بالنسبة لك قدح و هجاء .

- مثل مدح ذلك الرجل الراعى الساذج لله أمام موسى الكليم .

- عندما قال له : أفليك من القمل وأسقيك اللبن ، وأخصف نعلك وأضعه أمامك

- لقد اعتبر الله تعالى قدحه مدحا ، ومن ثم لا عجب في أن ترحم أنت .

- فلترحم قصور الأفهام ، يا من أنت وراء العقول والأوهام .

١١٠٠- أيها العشاق إن إقبالا جديدا قد وصل من الدنيا التى تقوم دائما بالتجديد

- ومن تلك الدنيا هو العلاج الباحث عن المساكين ، وهناك الآلاف من عجائب الدنيا فيه .

- " أبشروا يا قوم إذ جاء الفرج ، افرحوا يا قوم قد زال الحرج " (١) .
- لقد ذهب شمس إلى منزل الهلال ، طالبة قائلة " أرحنا يا بلال " .
- أتهمس بها من خوف العدو ؟! اصعد إلى المئذنة إذن وناد بها برغم أنفه .
- ١١٠٥- فينفت البشير في أذن كل محزون ، قائلاً له : انهض أيها المدبر ،
وأسلك طريق الإقبال .
- يا من أنت في هذا السجن وفي هذا القدر والقمل ، انتبه حتى لا يسمع احد ،
نجوت ، صمتاً .
- فكيف تصمت الآن ؟ يا حبيبي ، فمن أساس كل شعرة هناك قارع لطبل .
- بحيث صار العدو الحاقداً أصم ، متسائلاً : أين صوت هذه الطبول العديدة ؟
- إنها " عبير " يدق على مثال الريحان الندى ، وهو من عماه يقول : ما هذا
الأذى .
- ١١١٠- إنه يتعذب ، فالحور تأخذ بيده ، والأعمى حائر يتساءل : لماذا يقومون
بتعذيبى ؟!
- ما هذا الشد والجذب على يدي وجسدى ؟! لقد نمت ، فدعنى أحلم .
- إنه هو من تبحث عنه في الحلم ، افتح عينيك فهو هذا القمر جميل الخطى .
- وهناك من تلك البلايا الكثير على الأعراء ، فإن الحبيب يزيد من هذا الدلال
مع الحسان .
- إنه يأتس مع الحسان بكل طريقة ، كما أنه يثير العميان في بعض الأحيان .
- ١١١٥- إنه يعطى نفسه لحظة لهؤلاء العميان ، حتى ترتفع الضجة من حى
العميان .

(١) بالعربية في المتن .

**قصة هلال الذي كان عبدا مخلصا لله صاحب بصيرة ، غير مقلد ،
اختلف في عبودية البشر للمصلحة لا للعجز مثل يوسف ولقمان وغيرهما في
الظاهر ، وذلك أنه كان عبدا سائسا عند أحد الأمراء ، وكان ذلك الأمير مسلما
إلا أنه كان أعمى :**

**يعلم الأعمى أن له أما . . لكنه لا يستطيع أن يتصور كيف تكون
فإن قام بتعظيم هذه الأم على أساس هذا العلم ربما نجا من العمى : مصداقا
لقوله ﷺ : إذا أراد بعبد خيرا فتم عيني قلبه ليبصره بما الغيب^(١)**

— ما دمت قد سمعت بعض أوصاف بلال ، فاستمع الآن إلى قصة ضعف هلال
— كان متقدما في السلوك عن بلال ، كان قد قتل خصال السوء في نفسه بما
يفوقه .

— وليس مثلك متقهقر كل لحظة أكثر تقهقرا ، وتمضي من الجوهر
نحو حجر .

— مثل ذلك السيد الذي نزل به ضيف ، فسأله السيد عن عمره .
١١٢٠ — وقال له : كم عمرك يا بني ؟! هيا قل ، ولا تنقص منه وعده لى عدأ .
— فقال : ثمانى عشرة أو سبع عشرة أو ست عشرة أو خمس عشرة يا أخى
بالروح .

— قال : إلى الخلف ، إلى الخلف يا دائر الرأس ، داوم حتى التقهقر حتى تصل
إلى فرج أمك .

(١) ج : ١٣ / ٤٣٧ : بيت زائد في العنوان هو :

— احصل على هذا الطريق من حياة القلب ، فحياة الجسد صفة حيوانية

حكاية في تقرير هذا الكلام

- طلب أحدهم جوادا من الأمير ، فقال له : امض وخذ ذلك الجواد الأشهب .
- قال " لا أريده !! " قال " لم " ؟ قال : انه يمشى إلى الخلف كما انه حرون جداً .
- ١١٢٥- إنه يسير القهقري بسرعة شديدة وحتى البداية ، قال : اجعل ذيله اذن ناحية الدار .
- إن ذيل دابة نفسك هو الشهوة ، ومن هنا فإنها تتقهقر دائما تلك التي تعبد نفسها .
- وهي شهوانية ، فهي ذيل من البداية ، فيا أيها المبدل اجعل شهوتها العقبى .
- وعندما تسد شهوتها برغيف ، يطل من تلك الشهوة العقل الشريف .
- مثل غصن تقطعه من شجرة ، تطل القوة من ذلك الغصن المقبل .
- ١١٣٠- وعندما تجعل ذيله إلى تلك الناحية ، فإنه إن تقهقر يمضي حتى الهدف .
- وما أحسنها تلك الجياد المروضة التي تتقدم ، لا التي تتقهقر ، وتكون حرونة دائما .
- إنها سائرة بحماس كجسد موسى الكليم ، فحتى مجمع البحرين بالنسبة له ، كان في سعة الكليم .
- إن طريق تلك الحقب التي عزم على سيرها بحب مسيرة سبعمائة سنة .
- ولما كانت همة سير جسده على هذا النحو ، فإن سير روحه يكون حتى عليين .
- ١١٣٥ - إن الفرسان العظام قد تسابقوا في العدو ، فالتقوا بالحمقى السمان تحت الأقدام .

مثل

- إن هذا يشبه مسافرا ، اقترب من قرية ودخلها فرأى بابا مفتوحاً .

- فقال ذلك الرجل : لنلق الرجل هنا بضعة أيام في هذا البرد الشديد .
- فهتف به هاتف : " ألق رحلك في الخارج ، وتعال أنت حينذاك إلي الداخل .
- وألق خارجا بكل ما يلقي ، ولا تدخل به ، فهذا مجلس سني .
- ١١٤٠- كان هلال استاذ مستير القلب والروح ، كان سائسا وعيدا عند أمير مؤمن .
- كان يقوم بالخدمة في الاصطبل ذلك الغلام ، لكنه كان سلطانا على السلاطين وأن كان عبدا بالاسم .
- (١) وكان ذلك الأمير جاهلا بحال الغلام ، فلم يكن عنده سوى نظر إبليس .
- كان يراه ماءً أو طينا لا كنز في داخله ، كان يراه " حواسا " خمسة " و"جهات ستة ، لا أصل الخمسة.
- إن لون الطين ظاهر ونور الدين خفي ، وهكذا كان كل نبي في هذه الدنيا .
- ١١٤٥- لقد رأى تلك المنارة ولا طائر فيها ، وفوق المنارة بازى ملكى ، شديد المهارة .
- وآخر كان يرى طائرا خافقا بجناحيه ، لكن لا شعرة هناك في منقار الطائر .
- وذلك الذي ينظر بنور الله ، يكون عارفا بالطائر وبالشعرة .
- قال : انظر إلى الشعرة آخر الأمر ، فما لم تر الشعرة لا تحل العقدة !
- رأى أحدهم طينا مصورا في الوصل ، ورأى أحدهم طينا مليئا بالعلم والعمل (٢) .

(١) ج : ٤٣٩/١٣ :- كان يروض الخيل ويروض نفسه ، وسبق كثيرا من الناس .

(٢) ج : ٤٤٠ / ١٣ :

- وعندما يعجن العلم بالنور ، يجد من حلمك النور القوم اللد
- والشيخ النوراني عالم بالطريق ، وبكلامه يجعل حتى النور رفيقا له .
- وهذا في حد ذاته هو روح كل المعجزات ، التي تمنح الميت الروح الأبدية .

١١٥- إن الجسد هو المنارة ، والعلم والطاعة بمثابة الطائر ، وسواء افترضت أنها ثلاثمائة طائر ، أو طائران .

- إن الرجل الأوسط ناظر إلى الطائر فحسب ، فلا يرى غير الطائر من قدامه ومن ورائه .

- والشعرة هي ذلك النور الخفى عند الطائر ، بها تكون روح الطائر ثابتة .

- والطائر الذي تكون تلك الشعرة في منقاره ، لا يكون عمله أبداً على سبيل العارية .

- فإن علمه يفور من روحه على الروح ، لا هو عنده على سبيل العارية أو القرض .

مرض هلال هذا ، وعدم معرفة سيده بمرضه احتقارا لشأنه وجماله ،

ووقوف قلب المصطفى ﷺ على مرضه وحاله ، واقتقاده له ،

وعيادة الرسول ﷺ لهلال هذا

١١٥٥- وشاء القضاء أن مرض هلال وأصبح عليلاً ، فنقل الوحي الأحوال إلى المصطفى .

- لم يكن سيده على علم بمرضه ، فقد كان في نظره معدوم القيمة لا خطر له.

- لقد رقد تسعة أيام في الاصطبل ذلك المحسن ، ولا يعلم أحد ماذا جرى له .

- وذلك الذي كان بشرا وملكاً على البشر ، كان عقله الذي يساوى مائة قلزم واصلاً إلى كل مكان .

- نزل عليه الوحي ، صارت رحمة الحق مواسية ، قائلاً : إن فلانا المشتاق لك قد مرض .

١١٦٠- وذهب المصطفى ﷺ إلى تلك الناحية من أجل عيادة هلال ذى الشرف .

— وذلك القمر مسرع في أثر شمس الوحي ، وأولئك الصاحبة في أثره كالنجوم
— والقمر يقول : إن أصحابي كالنجوم ، هم للسرى قدوة وللطاغي رجوم^(١) .
— وقالوا للأمير : لقد وصل ذلك السلطان ، فقفز من السرور مسلوب القلب
والروح .

— وضرب كفيه فرحاً ظناً بأن ذلك الملك قد جاء من أجل زيارة ذلك الأمير .
١١٦٥— وعندما نزل ذلك الأمير من غرفته ، كان ينثر روحه ضيافةً لذلك
البشير .

— وقبل الأرض بين يديه وسلم ، وتهلل وجهه كالورد طرباً .
— وقال : بسم الله شرف دارك وموطنك ، حتى يكون هذا المحفل فردوساً .
— وحتى يزيد قصرى علواً عن السماء ، إذ رأيت قطب هذا الزمان .
— قال له معاتباً ذلك المحترم ، إننى لم آت من أجل رؤيتك .
١١٧٠— قال : روحى لك ، وما الروح في حد ذاتها ، هيا ، تفضل بالقول من
أجل من هذا التنازل ؟.

— حتى أصير تراباً لقدم ذلك الشخص ، الذي يكون له غراس في بستان لطفك .
— وعندما تحدث هكذا وترك الكبرياء ، أثر المصطفى أن يترك معاتبته .
— ثم قال له : أين هلال العرش ذاك ، أين من يشبه ضوء القمر وهو من
تواضعه على الأرض ؟!

— ذلك الملك الذي تخفى في العبودية ، وجاء إلى هذه الدنيا لتفقد أمورها .
١١٧٥— فلا تقل أنه عبدنا وسائس خيلنا ، واعلم أن الكنوز في الخرابات .
— واعجبا ، كيف هو من السقم هلال هذا ، وآلاف البذور تحت قدميه .

(١) بالعربية في المتن .

- قال : لا علم لي بمرضه ، لكنه لم يظهر على العتبة منذ بضعة أيام .
- إن صحبته مع الدواب والبغال ، فهو سائس ومنزله ذلك الاصطبل .

دخول المصطفى ﷺ إلى اصطبل ذلك الأمير

من أجل عيادة هلال ، وملاطفة المصطفى ﷺ لهلال ﷺ

- ذهب النبي ﷺ برغبته من أجله إلى الاصطبل ، وأخذ يبحث عنه .
- ١١٨٠- كان الاصطبل مظلماً قبيحاً قذراً ، لكن هذا كله انتفى عندما حلت المحبة .

- وشم ذلك الأسد الهصور عبير الرسول ، مثلما شم يعقوب ريح يوسف .
- إن المعجزات لا تكون سبباً للإيمان ، لكن التجانس هو الذي يقوم بجذب الصفات .

- إن المعجزات تكون من أجل قهر العدو ، أما رائحة التجانس فتكون من أجل سلب القلوب .

- إن العدو يقهر أما الصديق فلا ، فكيف يكون صديقاً بتقييد الرقبة ؟!
- ١١٨٥- لقد استيقظ " هلال " من النوم على هذه الرائحة ، وقال " في نفسه " :
أمثل هذا الشذى في موضع البعر ؟

- ومن بين أقدام الدواب ، رأى الطرف الطاهر لرداء المصطفى ﷺ الذي لا ند له .

- فجاء من ركن الاصطبل زاحفاً ، ووضع وجهه على قدم " المصطفى ﷺ " ذلك البطل .

- فوضع المصطفى وجهه على وجهه وقبل رأسه وعينييه ووجهه .
- وقال : يا رب أي كنز خفي !! كيف أنت يا غريب العرش ، أأست أحسن ؟

١١٩٠- قال : كيف يكون ذلك الذي يكون نائماً مولها فتدخل شمس في فمه ؟!
- وكيف يكون ذلك الظمآن الذي يرعى الطين ، ويصب الماء على رأسه ،
فياخذه سعيداً !!

في بيان أن المصطفى ﷺ سمع أن عيسى عليه السلام

سار فوق الماء ؛ فقال : لو ازداد يقينه لمشي على الهواء

- مثل عيسى كان الفرات يحمله على سطحه ، إذ كان آمناً من الغرق في ماء الحياة .

- قال أحمد : لو ازداد يقينا لكان الهواء نفسه مركبه المأمون .

- مثلى أنا الذي صرت راكباً للهواء ، وكنت مصحوباً ليلة المعراج .

١١٩٥- قال " هلال " : كيف يكون كلب أعمى قذر ، نهض من النوم فوجد نفسه أسداً .

- ليس مثل ذلك الأسد الذي يضميه أحدٌ بسهم ، بل من خوفه تتكسر السيوف والسنان .

- " أو مثل " أعمى زاحف على بطنه كالحية ، فتح عينيه على البستان والربيع

- كيف يكون ذلك الذي تحرر من الكيفية ، ووصل إلى موضع الحياة التي لا كيفية فيها !!

- صار واهباً للكيفية في اللامكان ، وحول مائدته كل الكيفيات كالكلاب .

١٢٠٠- وهو من اللاكيفية يقذف لها بالعظام ، إنك جنب ، فاصمت ، ولا تقرأ هذه السورة .

- فما لم تغتسل تماماً من الكيفية ، لا تضع كفك على هذا المصحف أيها الغلام.

- وسواء كنت نجساً أو طاهراً أيها الملك ، ولا أقرأ هذا ، فماذا أقرأ في الدنيا.

- وأنت تقول لى: من أجل الصواب ، لا تمض غير مغتسل إلى حوض الماء .
- وخارج الحوض لا يوجد إلا التراب ، وكل من لا يدخل الحوض لا يكون طاهراً .

١٢٠٥- وإن لم يكن للمياه ذلك الكرم ، متى تقبل الخبيث لحظة بلحظة .
- فويلاه على المشتاق ، وويلاه على أمله ، وواحسرتاه على حسرتة الأبدية .
- إن لدى الماء مائة من الكرم ومائة من الاحتشام ، لكى يقبل الأتجاس ، و السلام .

- يا ضياء الحق يا حسام الدين ، إن النور حارس لك من شر الطيور .
- إن حارسك هو النور وارتقاؤه ، يا من أنت شمس مخفى عن الخفاش .
١٢١٠- وماذا يكون الحجاب أمام وجه الشمس ، إلا زيادة التألق وحدة الضوء .
- إن حجاب الشمس هو أيضاً نور الرب ، وكلاهما بلا نصيب منه ، الخفاش والليل .

- وكلاهما ، ما داما قد بقيا في بعد وحجاب ، إما أنهما بقيا أسودى الوجه أو متجمدين .

- وما دمت قد كتبت جزءاً من قصة هلال ، فها تحدث عن قصة البدر .
- فهناك بين هلال ذلك وبين البدر اتحاد ، كلاهما بعيد عن الاثينية وعن النقص والفساد .

١٢١٥- فهلال ذاك برئ من نقص الباطن ، لكن الهلال الآخر في نقص بالتدريج .

- إنه يلقي الدرس ليلة بعد ليلة ، بشئ من التدريج ، إنه يعطى الفرج في التانى

- وهو يقول بتآن ، أيها العجول الساذج ، إنما يمكن الذهاب إلى السطح درجة بعد درجة .

- فأغل القدر بالتدريج وبأستاذية ، فإن " القلية " التي غليت بجنون لا تتفع .

- ألم يكن الحق قادرا على خلق الفلك بأمر واحد هو " كن " بغير شك ؟!

١٢٢٠- إذن فكيف صورته في ستة أيام ، وكل يوم هو ألف عام أيها المستفيد .

- ولماذا تتم خلقة الطفل في تسعة شهور ؟! ذلك أن التدريج هو شعار ذلك الملك .

- ولماذا كانت خلقة آدم في أربعين صباحاً ، كان يزيد في هذا الطين قليلاً قليلاً

- (١) وليست مثلك أيها الساذج الذي عدوت الآن ، وأنت طفل وجعلت من نفسك شيخاً .

- أسرعت كثمرة القرع فوق الجميع ، فمتى كان لك ثبات الجهاد والملحمة ؟!

١٢٢٥- واستندت على الأشجار والجدران ، وصرت كالقرعة أيها الأقيرع .

- فإذا كان السرو الممشوق هو مركبك في البداية ، إلا أنك في النهاية جاف خال فارغ من اللب .

- ويصفر لونك الأخضر سريعاً أيها الاقرع ، وذلك لأنه كان من الخضاب ولم يكن أصيلاً .

قصة تلك العجوز التي كانت تخضب وجهها

بالخضاب والأحمر ، ولم يكن ينغم فيه أو يكون مقبولة

(١) ج : ٤٥٦/١٣ :

- فمن هذا الفجر إلى ذاك الفجر بعض العام ، حتى استقرت هذه الصورة على ما هي عليه

- كان هناك عجوز في التسعين ضخمة ، وجهها ملئ بالتجاعيد ، ولونها كالزعفران .

- كان وجهها طيات وكأنه وجه مفرش السفرة ، لكن عشق الزوج كان قد تبقى عندها !!

١٢٣٠- تساقطت أسنانها وصار شعرها في بياض اللبن ، وتقوس قوامها ، وتغير كل حس فيها .

- لكن عشق الزوج والشهوة والحرص كانت عندها كاملة ، فهي في عشق الصيد وقد تمزقت الشبكة إرباً !

- إنها طائر يصيح في غير أوانه ، وطريق لا يسلكه أحد - ونار متأججة تحت قدر فارغ . .

- عاشق للميدان ولا جواد ولا قدم ، وعاشق للزمر ولا شفة ولا مزمار .

- فلا كان حرص الشيخوخة حتى عند اليهود ، وما أشقى ذلك الذي ابتلاه الله بهذا الحرص .

١٢٣٥- لقد تساقطت أسنان الكلب عندما شاخ ، فترك " عقر " الناس ، وصار أخذاً للبعر .

- فانظر إلى هؤلاء الكلاب الذين بلغوا سنين خريفاً ، أسنانهم الكليية أكثر حدة لحظة بعد لحظة .

- لقد تساقط شعر الكلب العجوز من جلده ، فانظر إلى هذه الكلاب العجوز التي ترتدى الأطلس .

- عقولهم وحرصهم على المال والفروج ، انظر إليهم يزدادون عدداً لحظة بعد لحظة كنسل الكلاب .

- إن مثل هذا العمر هو مادة الجحيم ، وهو مسلخ لقصابي الغضب .
- ١٢٤٠- وعندما تقول له : أطل الله عمرك ، يسعد ، وينفرج فمه عن ابتسامة .
- إنه يظن مثل هذا اللعن دعاء ولا يفتح عينيه ويطل إطلالة !!.
- لو أنه رأى مقدار طرف شعرة من المعاد ، لقال " لهذا الداعى " : ليكن لك مثل هذا العمر الطويل !!

قصة ذلك الدرويش الذي دعا لذلك الجيلانى

قائلاً : رددك الله إلى أهلك ودارك سالماً !!

- قال ذات يوم أحد عبدة الخبز والشحاذين الملحاحين حملة المخالى لسيد جيلانى :
- أيها المستعان رده سعيداً إلى أهله وداره ، وذلك عندما أعطاه السيد خبزاً .
- ١٢٤٥- فقال : إذا كان الأهل هم أولئك الذين رأيتهم ، فأوصلك الله إليهم أيها الشرير .

- إن الأخساء يجعلون كل محدث جباناً ، ولو كان كلامه سامياً ينزلون به .
- ذلك أن النبأ يأتى على قدر المستمع ، وعلى قوام السيد يفصل الخياط القباء .

وصف تلك العجوز

- لما كان هذا المجلس لا يخلو من مثل هذا التهمك ، لا مناص إذن من الحديث الدنى .
- استرد هذا الكلام إذن ممن رهنته عنده ، وعد صوب حكاية تلك العجوز .
- ١٢٥٠- عندما طعنت في السن ، وليست " رجلاً " ، في هذا الطريق ، سمها إذن عجوزاً طاعنة في السن .
- فلا راس مال عندها ، ولا أساس ، ولا هي قابلة لقبول قيمة ما .

- فلا هي معطية للسعادة واللذة ولا قابلة لها ، ولا معنى لها ولا جذبا للمعنى .
- ولا لسان ولا اذن ولا عقل ولا بصر ، ولا لباب ولا غياب ، ولا فكر .
- ولا ضراعة ولا جمال تدل به ، إنها طيات من العفن كأنها البصلة .
- ١٢٥٥- ولا هي قطعت طريقا ، ولا قدرة لها على الطريق ، ولا حرارة عند تلك البغى ولا حرقة ولا آهة !!^(١) .

قصة الدرويش الذي كان كلما طلب شيئا

من تلك الدار قيل له : لا يوجد!

- جاء سائل إلى منزل فطلب لقمة من الخبز القديد أو الطرى ،
- فقال له صاحب المنزل ، من أين لهذا المكان الخبز ، هل أنت ذاهل ؟ متى كان هنا دكان خباز ؟!
- قال : ربما تجد لى قطعة من الشحم ، قال : ليس هذا المكان آخرا بـدكان قصاب !!
- قال : اعطني بعض الدقيق أيها الوجيه ، قال : تظن أن هنا مطحنا ؟!
- ١٢٦٠- فقال : اعطني جرعة ماء إذن من الجرة ، فقال : ليس هنا آخر الأمر بالجدول أو المشرعة !!
- وهكذا فكل ما طلبه منه من خبز أو نخالة ، كان يرده خائبا ويسخر منه .
- فدخل ذلك الشحاذ الدار وشمر ثوبه ، وهم بالتبرز في تلك الدار .
- صاح : انتبه انتبه ، فقال : أصمت أيها الشرير ، حتى أفرغ نفسي في هذه الخرابة !!
- فإذا لم يكن هنا وجه للمعاش ، ينبغي التغوط في مثل هذه الدار .

^(١) ج : ٤٦٧/١٣ : لا تعصب ، لا فلاح عندها ، ولا حتى في قلبها عزم على السلامة .

١٢٦٥- فما دمت لست بازياً مدرباً مُعلماً من أجل صيد الملك ، وتقوم بالصيد .

- ولست طاووساً بمئات من النقوش التي تسعد العيون .

- ولست أيضاً ببيغاء بحيث تُعطى السكر تنصت الأذان لقولك الحلو .

- ولست أيضاً بالبلبل تغرد تغريدا حلوا مثل العاشق المتميم في الرياض وشقائق النعمان .

- ولست أيضاً هدهدا تؤدي الرسائل ، ولست كطير اللقلق تتخذ وطنك في الأعلى .

١٢٧٠- (١) فلأى عمل أنت ، ومن أجل ماذا تشتري ، وأى طائر أنت ومع ماذا تُؤكل ؟!

- فاسم على هذا الدكان الذي فيه من يبعون بالمكس ، إلى دكان الفضل مصداقاً لـ «إن الله اشترى» .

- والبضاعة التي لم ينظر إليها أحد من الخلق ، من قدمها واهترائها اشتراها ذلك الكريم .

- وليس أى زيف قط مردوداً عنده ، لأن قصده من الشراء ليس الربح (٢)

عودة إلى قصة تلك العجوز

- (٣) عندما أرادت صاحبتنا أن تمضي إلى العرس ، أزالَت شعر حاجبيها تلك الخفيفة العقل !!

١٢٧٥- ووقفت أمام المرأة تلك العجوز ، حتى ترين الوجه والوجنة والفم .

(١) ج: ١٣ / ٤٦٨ : تمضي في الصيف إلى الهند ، وفي الربيع تمضي إلى تركستان .

(٢) ج: ١٣ / ٤٦٨ :

- إن أفضله بلا حد فلا تلبس ، وعد ثنية إلى قصة العجوز .

(٣) ج: ١٣ / ٤٧١ :

- لأعد إلى قصة العجوز ، ذلك أنها بلا نهاية هذه الرموز

- كان عند جيرانها حفل عجيب ، ودعوها إلى الحفل من القضاء !!

- دهنتها ببضعة أصباغ بطراً ، لكن السفرة التي في وجهها لم تزد خفاء .
- فأخذ تقطع علامات الأعشار من المصحف وتلصقها على وجهها تلك الدنسة .
- حتى تختفى سفرة وجهها ، وحتى تصير فصا في خاتم الحسان .
- كانت تلصق علامات الأعشار في كل موضع ، لكنها عندما كانت تعقد حجابها كانت تسقط .
- ١٢٨٠- فكانت تلصق ثانياً تلك العلامات بلعابها على أطراف وجهها .
- ثم كانت تعيد إصلاح ملاءتها تلك الهمامة فتسقط علامات الأعشار على الأرض .
- وعندما أخذ تقوم بكثير من الحيل ومع ذلك تسقط تلك العلامات ، قالت : لعن الله إبليس مائة لعنة .
- تمثل لها إبليس في التو واللحظة ، وقال : أيتها البغي المتييسة الشقية .
- إننى لم أفكر في هذا طوال عمري ، ولم أر هذا من سواك بغي .
- ١٢٨٥- لقد زرعت بذورا نادرة في الفضيحة ، ولم تتركى مصحفا في العالم .
- إنك مائة إبليس ، بل خميس في خميس " من الأبالسة " ، فاتركينى أيتها العجوز الدرديس .
- فحاتم تسرقين علامات الأشعار من علم الكتاب ، حتى يصير وجهك ملونا كأنه التفاحة .
- وحاتم تسرقين كلام رجال الله ، حتى تبيعين وتشترين لا مرحبا بك .
- إن اللون المعقود عليك لم يجعلك وردية اللون ، والحيلة لم تجعل الغصن كثير العقد عرجوناً .

١٢٩٠- وفي النهاية عندما تحط عليك ملاءة الموت ، تقع علامات الأعشار هذه
عن وجهك .

- وعندما ترتفع أصوات تهيأوا للرحيل ، تضع من ذلك الوقت فصاعدا فنون
القال والقليل .

- ويتقدم منك عالم الصمت ، فقف ، وويل لذلك الذي لا يكون أنسه من داخله .

- فقم بجلاء الصدر يوما أو يومين ، وأجعل تلك المرأة كتابك لك .

- فإنه من ظل يوسف صاحب القران ، صارت زليخا العجوز شابة من جديد .

١٢٩٥- ويتبدل إلى شمس تموز ، ذلك المزاج البارد كأنه برد العجوز .

- ويتبدل بحرقه مريم ، الغصن المتيس إلى نخلة نضرة .

- أيتها العجوز ، حتام تجاهدين مع القضاء ، ابحتي عن الحاضر الآن واتركي
ما مضى .

- وما لم يكن لوجهك أمل في الحسن ، فسواء وضعت عليه الخضاب أو
وضعت عليه المداد .

حكاية ذلك المريض الذي لم ير فيه الطبيب أمل الصحة

- ذهب أحد المرضى إلى طبيب ، وقال له : جس نبضى أيها اللبيب .

١٣٠٠- فمن النبض أصبح عالما بأحوالى ، فإن عرق اليد متصل بالقلب .

- فإذا كان القلب غيباً وأردت مثالا عنه ، فابحث فيها ، فإن لها اتصالا بالقلب .

- والريح مختفية عن العين أيها الأمين ، لكن أنظر إليها في الغبار وحركة
الأوراق .

- أهى تهب من اليمين أو تهب من الشمال ، تقول لك حركة الأوراق وصف
الحال .

– ألسنت تعلم أين يكون سكر القلب؟! ابحث عن وضعه من النرجس المخمور .
١٣٠٥- وإذا كنت بعيدا عن الحق فإنك تعلم وصف الذات من الرسول ومن
المعجزات .

– ومن المرشدين الأصفياء تطرق المعجزات والكرامات الخفية على القلب .
– فإن في بواطنهم مائة قيامة حاضرة ، أقلها يكون جارهم منها ثملاً .
– ومن ثم صار ذلك المقبل جليسا لله ، ذلك أنه جاور سعيداً .
– والمعجزة التي أثرت في الجماد ، سواء كانت عصا أو بحرا أو شقا للقمر .
١٣١٠- لو أثرت في روحك دون واسطة ، فإنها تكون متصلة برابطة خفية .
– إن تلك الآثار من قبيل العارية على الجمادات ، إنها متوارية خلف روح
حلوة.

– حتى يتأثر الضمير بذلك الجماد ، وحبذا ذلك الخبز دون مادة الخمير .
– وحبذا مائدة المسيح التي لا تنقص ، وحبذا فاكهة مريم التي طلعت دون
حديقة .

– والمعجزات تطرق كأنها الحياة ، ضمير روح الطالب من الروح الكاملة .
١٣١٥- إن المعجزة بحر وطائر التراب ناقص ، والطائر المائي آمن فيها من
الهلاك .

– والعجز هو عطية روح من لم يؤذن له ، لكن القدرة نصيب لروح النجى .
– وما دمت لا تجد هذه السعادة في الضمير ، فاستدل كل لحظة من الظاهر .
– فإن الآثار ظاهرة على المشاعر ، وهذه الآثار مخبرة عن المؤثر .
– إن معنى كل دواء خفى ، كأنه السحر وصنعة كل ساحر .
١٣٢٠- وعندما تنظر إلى فعله وآثاره ، مهما كان خفيا فإنك تظهره .
– والقوة التي تكون مضمرة داخله ، عندما تأتي إلى الفعل تصير ظاهرة عياناً .

- وإذا كان هذا كله ظاهرا لك بآثاره ، كيف لا يكون الله ظاهرا لك من تأثيره؟!
- أليست الأسباب والآثار كلها كالباب والقشر ؟ إنك عندما تبحث فهي كلها آثاره
- إنك تحب الأشياء من آثارها ، فكيف تكون غافلا عن الذي يمنح الآثار ؟
- ١٣٢٥- إنك تحب الخلق من خيال ، فكيف لا تحب ملك الشرق والغرب ؟
- إن هذا الكلام لا نهاية له أيها العظيم ، فلا كان لحرصنا فيه نهاية .

عودة إلى قصة المريض

- عد واذكر قصة المريض مع الطبيب العالم المتصف بالستر و " الكتمان " .
- لقد جس نبضه وصار واقفا على الحال ، وعلى أن الأمل في صحته أمر محال .
- فقال له : افعل كل ما يحلو لك ، حتى يذهب عن جسدك هذا الداء القديم .
- ١٣٣٠- وكل ما يعن لخاطرِكَ لا تقاومه ، فإن الصبر والتوقي مضران بالنسبة لك .
- اعلم أن الصبر والتوقي ضرر بالنسبة لهذا المرض ، فكل ما يميل إليه قلبك ، نفذه .
- وهكذا قال لمثل هذا المريض ، أيها العم ، لقد قال تعالى ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ .
- فقال : اذهب هيا ، يا روح عمك ، إنتى ذاهب للنزهة على شاطئ النهر .
- أخذ ينتزه على شاطئ النهر وفق هواه ، حتى يفتح الباب إلى الصحة .
- ١٣٣٥- وعلى شاطئ النهر ، كان أحد الصوفية جالسا يغسل يديه وقدميه ويزيد في طهارته .

- وأبصر قفاه ، ولما كان رجلا ذا خيال ، اشتاق إلى صفعه .
- وأخذ يمد يده نحو قفا الصوفي آكل الجرجير من أجل صفعه .

- وقال في نفسه : إني إن لم أحقق مشتهاي ، فإن الطبيب قال لي إن الأمر ينقلب إلى علة عندي .

- فلأصفه صفعة واحدة في معركة ، تطبيقاً لقوله تعالى ﴿ لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ .

١٣٤٠- إن هذا الصبر تهلكة يا فلان ، اضربه جيداً ، ولا تسكت كالآخرين .

- وعندما صفعه الصفعة طرقت ، فقال الصوفي ، آه ... آه أيها القواد العاق .

- وأراد الصوفي أن يضربه لكتبتين أو ثلاث لكتات ، وأن يقتلع شاربته ولحيته شعرة شعرة .

- ^(١) إن الخلق مرضى بالسل ومساكين ، لكنهم من خداع الشيطان عشاق لصفع الآخرين " .

- إنهم جميعاً حريصون على إيذاء الأبرياء ، وكل منهم باحث عن النقائص من خلف ظهر أخيه .

١٣٤٥- فيا من أنت صانع لأفقية الأبرياء ، ألن ترى الجزاء في قفاك ؟

- ويا من ظننت أن الهوى طب لك ، وعكفت على صفع الضعفاء .

- لقد ضحك عليك الذي قال لك أن هذا دواء ، إنه هو الدليل لآدم إلى القمح .

- قائلًا لهما : كلا هذه الحبة أيها العظيمان ، علاجاً لكما حتى تكونا خالدين .

- لقد جعله يتعثّر وينزلق ثم ضربه على قفاه ، وردت تلك الصفعة وصارت جزاءً له .

^(١) ج : ١٣ / ٤٨٣ :

- لكنه رآه متعباً مريضاً ، وضعيفاً جداً ونحيفاً وشاحباً ومهدماً !!

- ففكر في ضعفه وقال في نفسه ، لو ضربته لكمة واحدة لهلك .

- إن مرض السل قد أوردته موارد الهلاك ، لقد رآه نحيفاً جداً ومريضاً .

- ١٣٥٠- لقد جعله ينزلق بقسوة في المنزلق ، لكن الحق كان ظهيره ومعينه .
- كان آدم جبلا وإن صار مليئا بالحيات ، فصار منجم ترياق خاليا من الإضرار والإيذاء .
- وأنت الذي لا تملك ذرة من الترياق ، لماذا أنت مغرور بخلاصك ؟
- وأين ذلك التوكل الخليلي عندك ، حتى لا يقطع سيفك " حلق " إسماعيل .
- وأين لك تلك الكرامة كالكلیم ؟ حتى تجعل قاع اليم طريقا معبداً .
- ١٣٥٥- ولو أن فاضلا سقط من فوق مئذنة ، لمألت الريح ثوبه ونجا .
- وإذا لم يكن عندك يقين في ذلك الحظ ، أيها الحسن ، فكيف أذهبت نفسك أدراج الرياح .
- ومن هذه المنارة مئات الآلاف مثل عاد ، سقطوا ، وذرت الرياح رؤوسهم وأسرارهم .
- فداوم على النظر إلى من سقطوا منقلبين من هذه المنارة تجدهم مئات الآلاف في آف .
- وأنت يقينا لا تعرف المشى على الحبال ، فاشكر القدمين وداوم السير على الأرض .
- ١٣٦٠- ولا تصنع جناحا من الورق ولا تطر من فوق الجبل ، فكثير هي تلك الرؤوس التي ضاعت بسبب هذه الشهوة .
- وبالرغم من أن ذلك الصوفى قد استشاط غضبا ، إلا أنه ألقى نظرة على العاقبة .
- ذلك أنه يبقى أول الصف وفق هواه ، الذي لا يلتقط الحبة بل يرى جبل الفخ .
- وحبذا عينان عظيمتان تريان العاقبة، إنهما اللتان تحفظان الجسد من الفساد .

- وكان أحمد من الناظرين إلى العاقبة ، فقد رأى الجحيم في نفس هذا المكان ،
بكل تفصيلاتها .

١٣٦٥- ورأى العرش والكرسى والجنان ، حتى مزق حجب كل ألوان الغفلة .
- وإذا كنت تريد السلامة من الضرر ، أغمض عينيك عن البدايات وانظر إلى
عواقب الأمور .

- حتى ترى كل ألوان العدم وجودا ، وترى كل أنواع الوجود المحسوسة دنية .
- وانظر مرة إلى كل من له عقل ، هو في بحث عن العدم ليل نهار .
- فهو في الكدية ليس طالبا للوجود ، وليس طالبا للنفع في الحوائث .

١٣٧٠- وليس طالبا للدخل في المزارع ، وليس طالبا للنخل في المغارس .
- وليس طالبا للعلم في المدارس ، وليس طالبا للحلم في الصوامع .

- لقد القوا بأنواع الوجود خلف ظهورهم ، فهم طلاب لألوان العدم عبيد لها .
- ذلك أن منجم صنع الحق ومخزنه ، ليس إلا العدم في تجليه .
- لقد تحدثنا بيسر عن هذا الموضوع من قبل ، فانظر إلى هذا وذاك على أنهما
موضوع واحد ، ولا تنتظر إليهما كموضوعين .

١٣٧٥- إن كل صانع يز " أقرانه " ، بحث في صنعته عن موطن العدم .
- فالبناء بحث عن موضوع لا بناء فيه ، قد تهدم وانهارت سقوفه .
- وبحث السقاء عن جرة لا ماء فيها ، وذلك النجار " بحث " عن منزل لا باب
له .

- فعند الصيد كان هجومهم كله على العدم ، ثم آنذاك كلهم هاربون من العدم .
- فإذا كان أملك عدما فأى توق لك منه ؟! وأى خصومة لك مع أنيس طمعك ؟!
١٣٨٠- ومادام أنيس طمعك هو هذا العدم ، فأى توق لك من الفناء والعدم ؟!

– فإن لم تكن أنيسا للعدم أيها الابن الحبيب ، لماذا أنت مترصد في كمين العدم؟

– لقد صرفت قلبك عن كل ما لديك ، وألقيت بشخص القلب في بحر العدم .

– ولماذا إذن الهرب من بحر المراد هذا ، الذي أعطى لشصك مئات الآلاف من

الصيد ؟!

– ومن أى شئ سميت الزاد بالموت ؟ فانظر إلى السحر الذي أبدى لك الزاد

موتا .

١٣٨٥– لقد أغلق كلتي عينيك سحر صنعته ، حتى رغبت الروح في السقوط

في البئر .

– وفي خياله من مكر الإله ، كل الخلاء خارج البئر سم وأفاع .

– فلا جرم انه اتخذ من البئر ملاذا ، حتى ألقى به الموت في البئر .

– إن كل ما قلته من أخطائك أيها العزيز ، فاسمع في نفسى هذا الموضوع أيضاً

قولا من " العطار " .

قصة السلطان محمود والغلام الهندي

– لقد تحدث في هذا الموضوع رحمة الله عليه عن السلطان محمود وثقب در

ذكره .

١٣٩٠– إنه في إحدى غزواته في الهند وقع له من الغنيمة أحد الغلمان .

– فجعله عاملا له وأجلسه على العرش ، واجتباها على الجيش وتبناه .

– وطول القصة وعرضها ووصفها بتفصيلاتها ، اطلبه في كلام هذا العظيم من

عظماء الدين .

– الخلاصة أن ذلك الصبي جلس على هذا العرش الذهبي إلى جوار الملك

العظيم .

- فأخذ يبكي ويذرف الدمع بحرقة ، فقال له الملك : يا منصور الأيام :
- ١٣٩٥- لماذا تبكي ؟! ألم ترضك الدولة ؟ إنك فوق الأفلاك قرين للملك !!
- إنك على هذا العرش والوزراء والقواد أمام عرشك قد اصطفوا كالنجوم حول القمر .
- قال الطفل : إنتى أبكى هكذا بحرقة لأن لى أما فى تلك المدينة .
- كانت تهددنى بك فى كل لحظة قاتلة : أراك فى يد السلطان محمود الشجاع!!
- فكان أبى يتشاجر معها قائلاً : أى غضب هذا وأى عذاب .
- ١٤٠٠- ألسنت تجدين لعنة أخرى أقل من هذه اللعنة المهلكة ؟
- إنك شديدة القسوة بل فظة وغليلة إذ تقومين بقتله بمائة سيف .
- وكنت أحرار من قولها ، وكان الحزن والخوف يسكنان قلبى .
- أى جهنمى الطبع محمود" هذا ويا للعجب ، لقد صار مثلاً فى الويلات والكرب .
- كنت فى رعدة دائمة خوفاً منك ، غافلاً عن إكرامك وتعظيمك
- ١٤٠٥- فأين أمى حتى ترانى الآن على العرش يا ملك الدنيا !!
- إن الفقر هو كمحمود بالنسبة لك أيها المعوز ، يخوفك الطبع منه على الدوام .
- ولو علمت رحمة هذا الـ " محمود " العظيم ، لقلت سعيداً ، ليجعل الله العاقبة " محمودة " .
- إن الفقر ، هو " محمود " بالنسبة لك يا خائف القلب ، فقلل الاستماع إلى أم الطبع المضللة تلك .

- وعندما تصبح صيداً للفقير ، فإن من المتيقن أنك تذرف الدمع كالطفل ، يوم الدين " فرحاً " .

١٤١٠- وإذا كان الجسد أما بالنسبة للتربية ، إلا أنه أعدى لك من مائة عدو .

- وعندما يمرض الجسد يجعلك باحثاً عن الدواء ، وعندما يقوى يجعلك طاغوتاً

- فاعلم أن هذا الجسد الظلوم بمثابة الدرع ، لا يصلح لشتاء أو لصيف .

- ورفيق السوء يطيب من أجل الصبر ، وذلك أن الصبر يشرح الصدر .

- وصبر القمر على ظلمة الليل يجعله مضيئاً ، وصبر الورد على الشوك يجعله مسكاً أذفر .

١٤١٥- والصبر لبن من بين الفرث والدم ، تجعله مغذية الناقة الحلوب .

- وصبر كل الأنبياء على المنكرين ، جعلهم من خواص الحق وأصحاب السلطان .

- وكل من ترى أنه قد اكتسب جيداً ، اعلم أنه كان له بالصبر والكسب .

- وكل من تراه عارياً فقيراً ، اعلم أن هذا دليل على عدم صبره .

- وكل من يكون مكتئباً ملئ الروح بالحزن ، فإنه يكون قد اقترن بماكر .

١٤٢٠- فلو كان قد صبر على الأليف الوفي ، لما تلقى هذه الصفحة من فراقه .

- ولكان قد ائتمف مع الحق ، كالعسل واللبن ، مصداقاً لقوله « لا أحب الآفلين » .

- ولما بقي وحيداً على هذا الحال ، كنار بقيت من القافلة على الطريق .

- وعندما صار من انعدام صبره قريناً للغير ، صار في فراقه شديد الحزن

محروماً من الخير .

- ومادام الذهب النضار قد صار مصاحباً لك ، فكيف تضعه أمانة لدى خائن ؟

- ١٤٢٥- فلتكن ألفتك معه ، فإن أماناتك معه ، آمنة من الأفول ومن العتو .
- لتكن ألفتك معه ، فهو الذي خلق الطبع ، وربى في الأنبياء طباعهم .
- إنك تعطى حملاً فيرده عليك قطعاً ، وهو يربى كل صفة لأنه الرب .
- وأنت تضع الحمل أمانة لدى الذئب ، فلا تسمح بصحبة الذئب ويوسف .
- فالذئب وإن أبدى لك صفات الثعلب ، انتبه ، لا تصدقه ، فلا يتأتى منه بهاء .
- ١٤٣٠- والجاهل وإن يبدى لك الود ، فإنه في النهاية يصيبك بالجراح من جهله
- إن له عضوين فهو خنثى ، ويبدو منه فعل الاثنين بلا شك " الذكر والأنثى " .
- إنه يخفى ذكره عن النساء ، لكى يبدى نفسه أختاً لهن .
- ويخفى عورته الأخرى عن الرجال بكفه ، حتى يبدى نفسه من جنس أولئك الرجال .
- وقد قال الله عن فرجه ذلك المكتوم : ﴿ سنسمه على الخرطوم ﴾ .
- ١٤٣٥- حتى لا يخدع المبصرون لدنيا من ذى الدلال ذاك ، ومن حيلته .
- والخلاصة أنه ليس من كل ذكر تتأتى الرجولة ، فانتبه وخف من الجاهل إن كنت عالماً .
- وصداقة الجاهل ذرب اللسان ، لا تعول عليها كثيراً فهي سم معتق .
- إنه يقول لك : " يا روح أمك ، يا نور العين " ، ومن ذلك لا يزيدك إلا حزناً وحسرة .
- أليست هذه الأم تقول للأب صراحة : " إن طفلى قد حار من المكتب نحيلاً جداً " ؛
- ١٤٤٠- ولو أنك كنت قد أنجبته من امرأة أخرى ، لكان جورك وقسوتك عليه أقل .

- انتبه ، وفر من هذه الأم وإغوائها ، إن صفقة الأب خير من حلوها .
- إن الأم هي النفس ، والأب هو العقل العظيم ، أوله ضيق وآخره مائة فتوح .
- ويا من أعطيت العقول ، الغوث ، ما لم ترد أنت ، لا يريد أحد قط .
- ١٤٤٥- والطلب أيضا منك وأيضاً ذلك الإحسان ، فمن نكون نحن ؟! أنت الأول ، وأنت الآخر .
- وقل أنت أيضا ، واسمع أنت ، وكنت أنت موجودا ، فنحن جميعا لا شيء ، مع العديد من الزخرف .
- فمن تحولنا عنك ، زد عندنا الرغبة في السجود لك ، ولا ترسل " إلينا " كسل الجبر وخموده .
- إن الجبر يكون جناحا وقوادم للكاملين ، وهو أيضاً سجن وغل للكسالى .
- فاعلم أن هذا الجبر مثل ماء النيل ، هو ماء بالنسبة للمؤمن و " دم " بالنسبة للمجوسى .
- ١٤٥٠- وإن القوادم تحمل البزاة نحو السلطان ، كما تحمل الغربان أيضاً نحو القبور .
- فعد الآن نحو شرح العدم ، فهو كالترىاق لكنك تظنه سماً .
- ومثل الغلام الهندي ، انتبه ، أيها الرفيق ، وامض ، لا تكن خائفاً من " محمود " العدم .
- وخف من الوجود الذي أنت فيه الآن ، فخيالك هذا لا شيء وأنت لا شيء .
- وقد عشق اللاشيء اللاشيء ، وقطع هباءً الطريق على هباء .
- ١٤٥٥- وعندما تنعدم هذه الخيالات ، تظهر لا معقوليتك عياناً .

ليس للماضين هم الموت إنما لهم حسرة الفوت

- لقد صدق ما قاله ذلك القائد للبشر ، إن : كل من غادر الدنيا ؛
— ليس لديه ألم أو حسرة أو غبن من الموت ، لكن مائة حسرة عنده تكون من
الفوت ^(١)
- إنه يتساءل : لماذا لم أجعل الموت قبلة ؟! وهو خزانة كل إقبال وكل زاد !!
— وجعلت من جراء الحول قبلة طوال عمري ، تلك الخيالات التي ضاعت في
الأجل .
- ١٤٦٠ — إن حسرة أولئك الموتى ليست من الموت ، لكنها " حسب قولهم " لأننا
توقفنا عند هذه النقوش !
- ونحن لم نر إلا هذه النقوش ، وهذا الزبد ، مع أن الزبد يتحرك من البحر
ويجد المدد .
- وكما أن البحر يلقي بالزبد على البر ، فإذهب أنت إلى المقابر وانظر إلى ذلك
الزبد .
- وسله : أين حركتك وصولاتك ؟ وهل ألقى بك البحر في بحران ؟!
— حتى يتحدث إليك لا بشفة بل بلسان الحال ، ويقول : أسأل البحر ولا تسألنا
نحن .
- ١٤٦٥ — والصورة التي كالزبد متى تتحرك دون موج ، ومتى يصعد التراب
إلى الأوج دون ريح ؟!
— ومادمت قد رأيت غبار الصورة فانظر إلى الريح ، ومادمت قد رأيت الزبد ،
فانظر إلى بحر الإيجاد " والخلق " .

^(١) ج: ٥٠٦/١٣ :

— قال : ليس للماضين هم الموت ، تلك أنهم قرناء حسرة الفوت .

- هيا ، انظر فإن ما ينفع منك هو النظر ، وما تبقى منك شحم ولحم وسدى
ولحمة .

- وشحمك لا يزيد الضياء في الشموع ، ولحمك لا يكون شواء لمخمور .

- أذب كل هذا الجسد " وركزه " في البصر ، امض ناظرا ، امض ناظرا ،
امض ... ناظرا !!

١٤٧٠- إن نظرة ترى ذراعين من الطريق ، ونظرة رأت الكونين ووجه المليك

- وبين هاتين النظرتين فرق لا حد له ، فابحث عن الكحل والله أعلم بالسرار .

- وما دمت قد سمعت شرحا عن بحر العدم ، فجاهد دائما حتى تقف على هذا
البحر .

- وما دام أصل الصنع هو ذاك العدم ، الذي هو خلاء ودخان ولا أمرة له .

- فإن كل الأساتذة من أجل إظهار عملهم ، يبحثون عن العدم وموضع الإنكسار

١٤٧٥- فلا جرم أن أستاذ الأساتذة أي " الإله " الصمد ، مصنعه هو العدم
والفناء .

- وحيثما يكون هذا العدم أكثر ، يكون فعل الحق ومصنعه .

- ولما كان العدم هو الطبقة العليا للوجود ، فلا غرو أن الفقراء حازوا قصب
السبق على الجميع .

- وخاصة ذلك الدرويش الذي صار دون جسد أو مال ، ويكون مشغولا بأمر
فقر الجسم ، لا السؤال .

- إن السائل هو ذلك الذي أذاب ماله ، والقانع هو ذلك الذي قامر بجسده .

١٤٨٠- إذن فلا ترفع " صوتك " بالشكوى الآن من الألم ، فهو جواد مسرع
نحو العدم .

- وكفانا هذا القدر من القول ، وفكر أنت في الباقي ، وإذا كان الفكر جامدا ،
فاذهب ، و " قم " بذكر الله .

- إن الذكر هو الذي يجعل الفكر في حركة ، واجعل من الذكر شمسا لهذا
المتجمد!!

- والأصل في حد ذاته هو جذبة الحق لكنى يا أخى ، إعمل ... ولا تكن موقوفا
على تلك الجذبة .

- ولما كان ترك العمل هو من قبيل التمتع ، متى يكون المتمتع جديرا بالمقامرة
بالروح !!

١٤٨٥- ولا تفكر في القبول أو في الرد أيها الغلام ، ولكن انظر إلى الأمر
والنهي على الدوام !!

- وعلى حين غرة ، يطير طائر جذبة " الحق " من عشه ، وما دمت قد رأيت
الصباح ، فأطفئ الشمع آنذاك .

- وعندما صارت العيون نفاذة بنوره ، ترى الباب في عين القشور !!

- وترى في الذرة شمس البقاء ، وترى في القطر البحر بأجمعه .

العودة مرة أخرى إلى قصة الصوفي والقاضي

- قال الصوفي : إن قصاص صفة في القفا ، لا يجوز أن يكون التضحية
بالرأس بعمى !!

١٤٩٠- وإن خرقة التسليم حول عنقى ، سهلت على التعرض لصفة !!

- لقد رأى الصوفي خصمه شديد النحول ، وقال : لو أننى لكمته كما ينبغي
للخصم .

- فإنه ينهار من لكمتى الوحيدة كالرصاص ، وسوف يأمر الملك بالعقاب
والقصاص .

- إن الخيمة خربة محطمة الأوتاد ، وهى تتعلل لكى تسقط !!
- وخسارة شديدة أن يقع على القصاص تحت حد السيف من أجل هذا الميت !!
- ١٤٩٥- ولما لم يكن قادرا على صفع خصمه ، عزم على حمله إلى القاضى .
- فهو ميزان الحق ومكيا له ، وهو المخلص من مكر الشيطان وحيلته .
- وهو مقراض الأحقاد والخصومات ، وهو قاتل للشجار بين الخصمين والقييل والقال .
- وإن رُقيته تُدخل الشيطان الزجاجة ، وقانونه يجعل الفتنة ساكنة .
- وعندما يرى الخصم شديد الطمع الميزان ، يترك العناد ويتبع " الحق " .
- ١٥٠٠- وإن لم يكن ميزان ، مهما تردد له من القسمة ، لا يرضى عقله .
- إن القاضى رحمة ودفع للخصومة ، وهو قطرة من بحر عدل القيامة .
- والقطرة بالرغم من أنها صغيرة واهية الخطى ، فإن لطف ماء البحر يبدو منها .
- وأنت إن نظفت رأسك من الغبار ، فإنك ترى دجلة من قطرة واحدة !!
- إن الأجزاء شاهدة على أحوال الكليات ، حتى إن الشفق ينبئ عن الشمس .
- ١٥٠٥- وذلك القسم قصد به الحق جسم أحمد ، عندما قال تعالى : ﴿ كلا والشفق ﴾ .
- فلماذا تكون النملة مرتعدة " حرصا " على الحبة ، إذا كانت من تلك الحبة عالمة بالبيدر .
- فتعال إلى اصل الموضوع ، فإن الصوفى المسلوب القلب متعجل إلى جزاء " ما حاق به " من قسوة .
- فيا من قمت بكثير من الظلم ، كيف تكون سعيد القلب ؟! وكيف تكون غافلا عن طلب المجازى ؟!

- أو تراك نسييت أفعالك ، أو أن الغفلة أسدلت حجبها عليك !!
١٥١٠- وإن لم يكن الخصوم يجدون في طلبك ، لحسدك جرمُ الفلك على صفائك .

- لكنك محبوس من تلك الحقوق ، فاطلب العذر قليلاً قليلاً عن هذا الحقوق .
- حتى لا يأخذك المحتسب دفعة واحدة ، فصف ماء " جدولك " الآن مع المحب .

- وقد ذهب الصوفي نحو صافعه هذا وأمسك بخنائه كما يفعل المدعى .
- وأتى به إلى القاضي جاراً إياه ، قائلاً للقاضي : طف بحمار الإديار هذا على الحمار " مشهراً " به .

١٥١٥- أو جازه بضرب الدرة ، أو افعل ما يراه رأيك من جزاء .
- فكل من يموت تحت عقابك ذهب هدرًا ، ولا دية عليك ، فقد ذهب جباراً .
- (١) فكل من مات في حد القاضي أو تعزيره ، لا ضمان على القاضي فهو ليس بالصغير .

- إنه نائب الحق وظل لعدل الحق ، إنه مرآة لكل صاحب حق ، ولكل من عليه الحق .

- فهو يقوم بالتأديب من أجل المظلوم ، لا من أجل عرضه أو " شفاء " لغضبه ، أو لدخل " يأتيه " !

١٥٢٠- لما كان من أجل الحق ومن أجل الآخرة ، فإنه إن أخطأ ، تكون الدية على العاقلة .

(١) ج : ٥٣٧/١٣ :

- وكل من يرى أن موته هو من طعنة منك ، فقد برئ من النار وتقدم إلى الخلد .

- إن من يضرب من أجل نفسه يكون هو الضامن ، لكن من يضرب من أجل الحق يكون آمنا .

- فلو أن أبا ضرب ابنه ومات ، ينبغي أن تحسب الفدية على ذلك الأب .

- ذلك لأنه ضربه من أجل عمل له ، وخدمته واجبة على الولد .

- وعندما يضرب المعلم صبيا ويهلك الصبي ، فلا شيء على المعلم ، ولا خوف!!

١٥٢٥- فإن ذلك المعلم نائب " للحق " وأمين ، وكل أمين حكمه هكذا .

- وليست خدمة الأستاذ واجبة عليه ، ومن ثم لا يكون ضرب الأستاذ إياه من أجل عمل له .

- لكن الأب إذا ضربه فقد ضربه من أجل نفسه ، فلا جرّم أنه لم ينج من دفع الفدية .

- إذن فاقطع رأس " الذاتية " يا ذا الفقار ، وصر متجردا عن الذات فانيا كالدرويش .

- وما دمت قد صرت متجرداً عن الذات فكل ما تفعله تكون آمنا من " جرائمه " مصداقاً لـ " ما رميت إذ رميت " !!

١٥٣٠- وذلك الضمان يكون على الحق لا على الأمين ، وتفصيل هذا الأمر بين في " كتب " الفقه .

- ولكل حانوت تجارة والمثوى هو حانوت الفقر يا بني !!

- وفي دكان الحذاء جلد جيد ، وقالب للحذاء وإن تراه من خشب .

- وعند البزازين يوجد الخز والأدكن ، وإن وجد حديد فمن أجل القياس .

- وكتابنا المثوى هو حانوت الوحدة ، وكل ما تراه غير الواحد فهو صنم .

١٥٣٥- (١) ومدح الصنم إنما يكون شراكا للعامة ، واعلم أن الأمر هو أشبه بما روى في قصة " الغرائيق العلى " !!

- لقد قرأها سريعا في سورة النجم ، لكن الأمر كان فتنة ، ولم تكن السورة هي السبب .

- لقد سجد كل الكفار في ذلك الوقت ، وقد ظنوا أنفسهم شركاء في السر ، أولئك الذين دقوا الأبواب برؤوسهم !!

- وبعد هذا هناك كلام شديد الغموض بعيد الغور ، فكن مع سليمان ، ولا تهيج الشياطين .

- وهيا ، هات حديث الصوفى والقاضى ، وذلك الظالم الضعيف شديد النحول .
١٥٤٠- قال القاضى : ثبت العرش ، أى بنى ، حتى أقوم بالنقش عليه .، خيرا كان أو شرا !!

- أين الضارب ؟! وأين موضع الانتقام ؟! أهذا هو الذي صار خيالا من المرض والسقم ؟!

- إن الشرع من أجل الأحياء والأغنياء ، فمن أين يكون الشرع من أجل أهل القبور ؟!

- وتلك الفئة التى هى من الفقر بلا رؤوس ، هى أكثر فناء من موتى " الجسد " من جهات عديدة .

- إن الميت أصبح فانيا في حرض من جهة واحدة ، لكن الصوفية فانون من مائة جهة .

(١) ج : ١٣ : ٥٣٨ :

- وكل ما تراه فيه غير الواحد ، اعلم أنه كله من قبيل الصنم .

١٥٤٥- إن الموت قتلٌ واحد ، وهذا " موته " ثلاثمائة ألف ، ولكل واحد منها دية لا تعد ولا تحصى !!

- فإذا كان الحق قد قتل هؤلاء القوم عدة مرات ، فقد صب عليهم الخزائن دية لهم .

- كل منهم مثل جرجيس في باطنه ، قُتل ثم صار حيا ، ثم قتل ستين مرة .

- إنه قتل من لذة سنان العادل ، وهو يحترق قائلاً : اطعن طعنة أخرى !!

- فوالله ، إنه من عشق الوجود العابد للحبيب ، يكون القتل أكثر عشقاً للقتل الثاني !!

١٥٥٠- قال القاضي : إني صاحب القضاء بين الأحياء ، ومتى أكون حكما بين أصحاب القبور ؟!

- وهذا " المتهم " بالرغم من أنه سوريا ليس في حفرة القبر ، إلا أن أهله جاءوا من أجله إلى المقبرة !!

- لقد رأيت كثيرا أمواتا في قبور ، فانظر الآن إلى قبر في ميت أيها الأعمى .

- فإن سقطت لبنة من قبر عليك ، متى يطلب العقلاء القصاص من مقبرة ؟!

- فلا تغضب على ميت ولا تحقد عليه ، انتبه واحذر من قتال صورة في حمام !!

١٥٥٥- واشكر الله أن حيا لم يضربك ، فمن يرده الحى ، فقد رده الحق !!

- إن غضب الأحياء هو غضب الحق وطعنه ، فهو حى بالحق ذلك الطاهر الجلد .

- لقد قتل الحق " أحدهم " ونفخ في ساقه ، ثم سلخ جلده سريعا كالقصابين .

- وبقي فيه النفخ حتى المآب ، ونفخة الحق لا تكون كنفخة ذلك القصاب .

- وهناك فرق كبير بين النفختين ، فكل هذه النفخة زين وتلك " أي نفخة القصاب " كلها شين .

١٥٦٠- إن هذه النفخة أي نفخة القصاب قد جعلت الحياة تنتفى عنه وصار مضرورا ، لكن الحياة قد استمرت واستقرت من نفخة الحق .

- إن هذه النفخة ليست تلك النفخة التي تتأتى في شرح ، فيها اصعد من قاع الجب إلى أعلى الصرح .

- فلا اجتهد هناك من أجل التشهير " بهذا المريض " على حمار ، فهل يضع أحد صورة حطب على حمار؟!

- إنه ليس جديرا بالوضع على ظهر حمار ، وأولى به أن يوضع على ظهر تابوت .

- فما هو الظلم ؟ إنه وضع الشئ في غير موضعه ، فانتبه ولا تضيع " الأمر " بوضعه في غير موضعه .

١٥٦٥- قال الصوفي : إذن فأنت تجوز له أن يقوم بصفى دون تعزيز ودون " أن يدفع " شروى نقير ؟!

- فهل يجوز إذن أن يصفع قدم ضخمة^(١) محتال الصوفية بالمجان ؟!

- ^(٢) قال القاضي ماذا لديك من مال قل أو كثر ؟! قال " المريض " أملك من حطام الدنيا ستة دراهم !!

(١) حرفيا : دب ضخمة .

(٢) ج : ٥٤٣/١٣ :

- قال الصوفي وما جدوى الصفع ، انهض ، وكفكك جدلا مع مثل هذا المريض .

– قال القاضي : انفق على نفسك إذن ثلاثة دراهم ، وأعطه الثلاثة الأخرى دون أن تتبس !!

– إنه نحيل وفقير وضعيف ، وتلزمه ثلاثة دراهم من أجل رغيف وبعض الفجل.

١٥٧٠ – (١) فوق نظر " المريض " على قفا القاضي ، فبدى له أعرض من قفا الصوفى !!

– فأخذ يمد يده من أجل صفعه ، قائلاً " في نفسه " ، لقد صار قصاص صفعى رخيصاً .

– وتقدم من أذن القاضي وكأنه " يريد " أن يفضى إليه بسر ، وصفعه صفعة قوية .

– وقال : خذا الدراهم الستة كلها أيها الخصمين ، وبهذا أصبح أنا حراً من هذا الجدل العقيم ومن العقوبة !!

غضب القاضي من صفع الدرويش

ولوم الصوفى للقاضي

– وغضب القاضي فقال الصوفى : انتبه ، فحكمك عدل ، وليس من الهوى بلا شك .

١٥٧٥ – وما لا تقبله لنفسك يا شيخ الدين ، كيف تقبله على أخيك أيها الأمين؟!

– ألا تعلم أنك تحفر من أجلى بئراً ، ثم تلقى بنفسك فيه في النهاية؟!

(١) ج : ٥٤٣/١٣ :

– واشتبك القاضي والصوفى معاً في قيل وقال ، لكن ذلك المريض كان ضعيفاً في حال شديدة !

- ألم تقرأ في الخبر " من حفر بئراً " ؟! اعمل إذن بما قرأت يا روح أبيك !!
- فإن كان هذا هو حكمك في القضاء ، الذي أتى لك بصفعة على قفاك .
- فويلاه من أحكامك الأخرى ، ترى ماذا تجلب لرأسك ولقدميك ؟!
١٥٨٠- وهل تشفق على ظالم كرما منك ، وتقول له : احتفظ بثلاثة دراهم
لنفقتك .

- ابتر يد الظالم ، فأى موضع هذا الذي تسلم إليه الحكم والزام ؟!
- وما أشبهك بتلك الماعز يا مجهول العدل ، التي أرضعت من لبنها جرو
ذئب!!

جواب القاضي على الصوفي

- قال القاضي : ينبغي علينا الرضا بكل صفقة على القفا وكل جفاء يأتي به
القضاء .

- إننى راض في باطنى بحكم الكتاب ، بالرغم من عبوس وجهى ، فالحق مر .
١٥٨٥- إن قلبى هذا كالبلستان وعينى كالسحاب ، فالسحاب ييكى ، والبلستان
يضحك سعيداً نضراً .

- والسنة القحط من الشمس الضاحكة خبط عشواء ، تكون البساتين في موت
وفي نزع .

- ولقد قرأت في كلام الله " فابكوا كثيراً " ، فلماذا بقيت هكذا ضاحكاً كأنك
رأس " حمل " مشوى ؟!

- وتكون ضياءً للدار كأنك الشمع ، وذلك إذا ذرفت الدمع كالشمع .
- وذلك العبوس من الأم أو الأب ، صار حافظاً للآل من كل ضرر .
١٥٩٠- لقد رأيت لذة الضحك يا ضاحكاً كيفما اتفق ، فانظر إلى لذة البكاء فهو

منجم سكر .

- وما دام ذكر جهنم يجلب البكاء ، فإن جهنم إذن تجمل عن الجنان .

- إن الضحكات مختفية في البكاء ، وابحث عن الكنوز في الخرابات أيها الساذج .

- لقد فقدوا الخطى إلى اللذة " الكامنة " في الأحزان ، وأخفوا ماء الحياة في الظلمات .

- إن النعال مقلوبة في الطريق حتى الرباط ، فافتح عينيك عن آخرهما على سبيل الإحتياط .

١٥٩٥- وافتح عينيك عن آخرهما اعتبارا ، واجعل عيني صديق عونا لعينيك .

- وأقرأ في الكتاب « أمرهم شورى » ، فكن للصديق ، ولا تتدل عليه ولا تتأفف منه .

- فالصديق للطريق يكون ظهيرا وملجأ ، وعندما تنظر جيدا فالصديق هو الطريق .

- وعندما تصل إلى الأصدقاء اجلس صامتا . ولا تجعل نفسك فصا في تلك الحلقة .

- وأمعن النظر في صلاة الجمعة بذكاء ، فالجميع مجتمعون وذوو فكر واحد ، وصامتون .

١٦٠٠- وجر أمتعتك نحو الصمت ، وإن كنت تبحث عن هدف ، فلا تجعل نفسك هدفا .

- إذ قال الرسول ﷺ : في بحر الهموم ، اعلم أن الصحابة في الدلالة كأنهم النجوم .

- فضع عينيك على النجوم وابحث عن الطريق ، فالنطق يكون باعثا على اضطراب النظر ، فلا تنطق .

- فإذا تحدثت بكلمتي صدق يا فلان ، فإنما يتبعهما انهماك الكلام الغث !!

- ألم تقرأ يا مستهام أن الكلام ذو شجون ، وأنه يجر بعضه بعضاً !!

١٦٠٥- فانتبه ، ولا تبدأ بهذا الكلام الرشيد ، فإن الكلام يجر بعضه بعضاً .

- فليس الفم طوع أمرك عندما تفتح فمك من أجل أن تقول كلاما ضافيا ، فسرعان ما يصير الزلال كدراً .

- وذلك المعصوم عن طريق الوحي الإلهي ، يجوز له أن يتحدث ، لأن كل " قوله " صاف ..

- ذلك أن الرسول ﷺ ﴿ ما ينطق عن الهوى ﴾ ، فمتى يتولد الهوى ممن عصمه الله .

- فاجعل نفسك بليغا عن طريق الحال ، حتى لا تصبح مثلي مسخرا للمقال !!

سؤال الصوفي للقاضي

١٦١٠- قال الصوفي : إذا كان الذهب من منجم واحد ، فلماذا يكون هذا نفعا وذلك ضرراً .

- وإذا كان الناس جميعا قد خلقوا من يد " صنع " واحدة ، فلماذا يكون هذا يقظا وذاك ثملاً ؟!

- وإذا كانت كل هذه الجداول جارية من بحر واحد ، لماذا هذا " الجدول " كالعسل والآخر سم في الأفواه ؟!

- وإذا كانت كل الأنوار من شمس البقاء ، فمن أين ظهر الصبح الصادق والصبح الكاذب ؟!

- وإذا كان الناظر مكتحلاً من كحل واحد ، فمن أي شيء تتأتى الرؤية الصحيحة والحوّل ؟!

١٦١٥- وإذا كان سلطان دار السكة هو الله ، فلماذا يكون بعض النقد صحيحاً والآخر زائفاً ؟

- وإذا كان الله قد أمر بأن الطريق طريقه ، فمن أي شيء يكون هذا خفيراً " في الطريق " وذاك قاطعاً للطريق ؟!

- وكيف يولد من بطن واحدة العاقل والسفيه ، مادام قد تيقن أن الولد سر أبيه ؟
- فمن الذي رأى وحدة واحدة مع عدة آلاف " من الصور " ، ومئات الآلاف من أنواع الحركة من مستقر واحد ؟!

جواب ذلك القاضي على الصوفي

- قال القاضي : أيها الصوفي ، لا تتحير ، واستمع إلى مثال في هذا الأمر .
١٦٢٠- (١) كما أن اضطراب العشاق ، قد حدث من اطمئنان المعشوق وثباته ؛

- فهو - أي المعشوق - ثابت في الدلال كالجبل ، والعشاق كأنهم الأوراق مرتعدون .

- وضحكه قد أثار " فيهم " البكاء ، وعزه وكرامته اراقت ماء الوجوه .
- وكل هذه التساؤلات عن سبب هذا الأمر وكيفية كالزبد ، تتموج على سطح البحر الذي لا كيفية له .

- فلا ضد ولا ند له في الذات والعلم ، ومن هنا تكسى الموجودات بالحلل .

(١) ج : ٥٦١ / ١٣ :

- انظر إلى هذا واعلم حال ذاك جيداً ، وإن لم تر الحال ، فاقراً جيداً

١٦٢٥- ومتى يعطى الضد ضده الوجود والقوام ، بل إنه يهرب منه ويقفز نافرًا!!

- وماذا يكون الند ؟! إنه مثل ، مثل في الخيز أو الشر ، ومتى يجعل المثل مثيلاً له ؟!

- فإذا كانا مثيلين أيها المتقى ، فكيف يكون هذا أولى من ذاك بالخلق !!
- وهناك أضداد وأنداد بعدد أوراق البستان ، كلها كالزبد على سطح البحر الذي لا ضد له ولا ند .

- فانظر إلى مد البحر وجزره على أساس أنه بلا كيفية ، وكيف تستوعب الكيفية في ذات البحر ؟!

١٦٣٠- وأن أقل لعبة من لعبه هي روحك ، ومتى صحت كيفية الروح وأحوالها؟!

- إذن ، فمثل ذلك البحر الذي في كل قطرة منه ، يصير العقل والروح أكثر بدائية من البدن .

- متى يستوعب في مضيق الكم والكيف ، والعقل الكل فيه ممن " لا يعلمون "!!
- ويقول العقل للجسد ، أيها الجماد ، ألم تشم رائحة قط من بحر المعاد ذلك ؟!
- فيرد الجسم ، إننى يقينا ظل لك ، ومن الذي يبحث عن العون من ظل يا روح عمك !!

١٦٣٥- فيقول العقل : ليس لهذه الحيرة نهاية ، فإن المستحق يكون أكثر جرأة من غير المستحق .

- فالشمس الأكثر بهاء هنا ، تقوم بخدمة الذرة وكأنها التابع !!
والأسد هنا يطأطئ رأسه أمام الغزال ، والبارى هنا يخفض الجناح أمام طائر

السلوى !!

- أتراك لا تصدق إذن أن المصطفى ﷺ كان يطلب من المساكين الدعاء .
- فإن قلت : إنه من أجل التعليم ، فعلى أى وجه يكون عين التجهيل تفهيماً ؟!
- ١٦٤٠- بل إنه كان يعلم أن الكنز الملكى ، يضعه في الخرابات ذلك الملك .
- إن سوء الظن " في الأولياء " ناتجٌ من فعله المعكوس هذا ، وإلا فإن كل جزء منه منبىءٌ عنه .

- بل إن الحقيقة غارقة في الحقيقة ، ومن هنا صار " الناس " سبعين فرقة بل مائة فرقة .

- وسوف أقول لك وأحدثك عما تشاء ، فانتبه أيها الصوفى وافتح أذن الروح عن آخرها .

- أأست من كل بلاء ينزل عليك من السماء ، تنتظر خلعة تأتيك من بعده ؟!
- ١٦٤٥- لقد ذقت صفة القفا فانظر بعدها إلى الصفاء ، " إن القصاب " يبيع ما حول الفخذ مع ما حول الرقبة

- فهو ليس ذلك الملك الذي يصفحك ثم لا يهبك التاج والعرش الذي تركن إليه!!

- ولدنيا كاملة ثمنٌ هو جناح بعوضة ، ولصفة عطاءٌ لا ينتهى .
- فاسحب عنقك بمهارة من هذا الطوق الذهبى للدنيا ، وتلق الصفعات من الحق!!

- تلك الصفعات التى تلقاها الأنبياء ، ومن ذلك البلاء رفعوا الرؤوس .

١٦٥٠- لكن ، كن حاضرا في ذاتك أيها الفتى ، حتى يجدر حاضراً في المنزل!!

- وإلا حمل الخلعة واستردها قائلاً : لم أجد أحدا في الدار .

سؤال الصوفي ذلك القاضي ثانية

- قال الصوفي : ماذا كان يحدث لو أن " وجه " هذه الدنيا تهلل بالرحمة على الدوام ؟!

- ولو لم تقدم فتنة في كل لحظة ، ولو لم تجلب الوخر من تلويينها .

- ولو لم يسرق الليل مصباح النهار ، ولو لم يسلب الشتاء " رونق " البستان الذي يغري باللهو .

١٦٥٥- ولو لم يحطم حجر الحمى كأس الصحة ، ولو لم يجلب الخوف الكرب للأمن ؟!

- ما الذي كان ينقص من جوده ورحمته ، إن لم يكن هناك غصة خلال نعمته ؟! (١)

جواب القاضي على سؤال الصوفي

وضربه المثل بقصة التركي والخياط

- قال القاضي : يا لك من صفيق وجه أيها الصوفي ، وخال من الفطنة كالكاف في الخط الكوفي .

- ألم تسمع أن ذلك الملى الشفة بالشهد ، كان يتحدث عن غدر الخياطين بليل .

- وكان يروي للخلق الحكايات السالفة عن غدر تلك الطائفة .

١٦٦٠- كان يروي الحكايات مع هذا وذاك ، عن سرقة قطع القماش عند تفصيلها .

(١) ج : ٣١ ظ ٥٣٦ :

- لكان الحال طيبا وسعيدا على الجميع ، ولقل كدر أرواح الأس والجن .

- ولكان حضور اللذة الحلوة دائما ، ولكان الشوق الدائم في الروح حلوا .

– وعندما وجد المستمع من بين أولئك الناس ، صار كل عضو منه " قاصا " للحكاية .

قال النبي ﷺ : { إن الله تعالى يلقي الحكمة على لسان الواعظين بقدر

هم المستمعين }

– إنه جذب الاستماع ، إن كانت للمرء طلاوة في الشفة ، وإن حماس المعلم وجده من التلميذ .

– وعازف الصنج الذي يعزف " المقامات " العشرين والأربع ، عندما لا يجد مستمعا ، يكون الصنج حملا عليه !!

١٦٦٥- فلا ألحان يذكرها ولا غزل ، ولا تتحرك أصابعه العشرة عند العمل !!

– وإن لم تكن هناك آذان متلقية للغيب ، لما جاء الوحي من الفلك ببشرى واحدة.

– وإن لم تكن هناك أبصار ناظرة إلى الصنع ، لما دار الفلك ولما ضحكت الأرض .

– إن هذا النفس القائل " لولاك " يعنى أن العلم من أجل العين الحادة ومن أجل النظارة " إليه " .

– والعامى من عشقه للضجيج والطعام ، متى يكون مهتما بعشق صنع الحق .

١٦٧٠- وإنك لا تصب ماء النخالة في الطبق ، إن لم يكن هناك عدد من الكلاب آكلة له !!

– فامض ، وكن كلب كهفه الإلهي ، حتى يخلصك اصطفاؤه من هذا الطبق .

– وعندما تحدث عن هذه السرقات القاسية ، التي يقوم بها هؤلاء الخياطون في الخفاء .

— كان في هذا الجمع تركي من الخطا ، غضب أشد الغضب لاكتشافه هذه الأمور

— لقد كان " ذلك الراوى " يقوم ليلاً بكشف هذه الأسرار وكأنها نهار القيامة من أجل أولى النهى !!

١٦٧٥-— وحيثما تقترب من معركة ما ، وترى عدوين ، كلاهما يجاهد في كشف أسرار الآخر .

— فاعلم أن تلك اللحظة هي المحشر المذكور ، واعلم أن ذلك الحلق الناطق بالأسرار هو الصور .

— وأن الله تعالى قد هيا أسباب الغضب ، بحيث تنتشر تلك الفضائح في الطريق — ومن كثرة ما تحدث " الراوى " عن خيانة الخياطين ، أحس التركي بالغبن وتآلم وغضب .

— فقال : يا أيها الراوى ، من أمهر الناس في مدينتكم في هذا المكر والاحتيال؟!

إدعاء التركي ومراهنته على أن التروى

لا يستطيع أن يسرق منه شيئاً

١٦٨٠- قال : إنه خياط يدعى بورشش ، إنه في خفة اليد هذه عند السرقة قاتل للخلق .

— قال " التركي " : إننى متأكد إنه مهما فعل من ضوضاء ، لن يستطيع أن يسرق منى خيطاً واحداً .

— فقالوا له : إن من هو أكثر مهارة منك قد هزم منه ، فلا تبالغ في الادعاء .

— فامض ولا تغتر بعقلك هذا ، فإنك سوف تحار في حيله .

- فازداد التركي حماسا وراهن على أنه لن يستطيع أن يسرق منه قديماً أو جديداً .

١٦٨٥- فزاد المطمعون في حماسه سريعاً ، فقدم المراهنة وفتح الرهان قائلاً :
- إن الرهان هو جوادى العربى هذا ، سوف أعطيه لكم إن سرق منى قماشاً باحتياله .

- وإن لم يستطع السرقة ، آخذ منكم جواداً في مقابل رهانى الذي بدأت به .
- ولم يزر النوم التركى تلك الليلة من قلقه ، وذلك أنه كان يتقاتل مع خيال اللص .

- وفي الصباح الباكر وضع تحت ابطه قماشاً من الأطلس ، ومضى إلى السوق ، قاصداً حانوت ذلك المحتال .

١٦٩٠- وألقى عليه السلام بحرارة ، وهب " الأستاذ " من مكانه مرحباً به .
- وسأله بحرارة مما يزيد على عادة الترك ، حتى ألقى في قلبه بمحبته .
- وعندما سمع منه " التركى " هذا التخرید البلبلى ، ألقى أمامه بالأطلس الاستتابولى .

- قائلاً له : فصل لى هذا القماش قباءً ليوم القتال ، واسعا تحت سرتى ضيقاً من أعلى .

- ضيق من أعلى ليكون زينة للعين ، وواسع من أسفل حتى لا يعوق القدم .
١٦٩٥- فقال : سمعا وطاعة يا ذو الوداد ، ووضع يده على عينه علامة القبول .

- ثم قاسه ، ونظر إلى ظاهر الأمر ، وانطلق بعدها في " النخع " .

- عن حكايات الأمراء الآخرين ، وعن جود أولئك النفر وعطائهم .
- وعن البخلاء وطفيليتهم ، وقدم العلامات والامارات وذلك لكى يثير الضحك.
- وكالنار أخرج مقصا وأخذ يقص ، وشفته مليئة بالحكايات والملح .

قول الخياط للفكاهات ، وإغماض التركى لعينييه من

شدة الضحك واهتبال الخياط للفرصة

١٧٠٠- أخذ التركى في الضحك من الحكايات ، واغمضت عيناها الضيقتان في تلك اللحظة .

- فسرق قطعة من القماش وأخفاها تحت فخذة خفية عن كل الأحياء ولم يره إلا الله .

- كان الحق يرى ذلك ، لكنه الستار ، وهو أيضاً الفضح إذ زاد الأمر عن حده
- ومن لذة الحكايات وحلاوتها ، ذهبت عن قلب التركى كل ادعاءاته السابقة .
- فما الأطلس ؟! وما الإدعاء ؟! وما الرهان ؟! إن التركى ثمل الرأس من هذا الأخ الكبير .

١٧٠٥- وتضرع إليه التركى قائلاً : بالله ، داوم على هذرك وفكاهاتك فإنها صارت غذاءً لى .

- فقال طرفة مضحكة ذلك المحتال ، بحيث استلقى التركى على قفاه من القهقهة
- فوضع قطعة من الأطلس سريعاً تحت تكة السروال ، والتركى الغافل لايزال يستمرى الحكايات اللطيفة .

- وهكذا وللمرة الثالثة قال التركى الخطائى ، قل فكاهة بالله .
- فقال فكاهة أكثر إضحاكاً من الأولين ، صاد بها ذلك التركى بكليته .

- ١٧١٠- وثمل التركى المدعى من القهقهة ، وصار مغلق العين طائر اللب مولها
- ثم سرق من القباء قطعة ثالثة ، فمن قهقهته وجد الميدان متسعاً .
- وعندما طلب ذلك التركى الخطائى فكاهة رابعة من ذلك " الأسطى " .
- أشفق عليه ذلك الأستاذ ، ومن أن يقوم فيما تبقى بالاحتتيال والظلم .
- وقال " في نفسه " ، لقد صار هذا المفتون مولعا بهذا الأمر ، وهو غافل عن
غبنه وخسارته في هذا الأمر !
١٧١٥- فقبل التركى الأسطى قائلا : ارو لى ملحّة أخرى بالله .
- فيا من صرت أحدىثة وممحوا من الوجود ، حتام تريد تجربة الخرافة
والهباء ؟
- وليست هناك خرافة أكثر إضحাকা منك ، فقف على حافة لحدك الخرب !
- ويا من سقطت في قبر الجهل والشك ، حتام تبحث عن قصص الفلك
وفكاهاته ؟
- وحتام تتجرع إغراء هذه الدنيا ، فلا عقلك بقى على نسقه ولا روحك .
١٧٢٠- إن هزل هذا الفك النديم التافه ، أراق ماء وجه الآلاف من أمثالك !!
- إنه يفصل ويخيط هذا الخياط العام ، ثياب الأطفال السذج الذين يبلغون من
العمر مائة عام .
- وبالرغم من أن مزاحه أعطى العطايا للبساتين ، إلا أنه عندما حل الشتاء
ذرى عطاياہ أدراج الرياح .
- وقد جلس الشيوخ الأطفال أمامه متكدين ، حتى يمزحون " متحدثين " عن
سعدده ونحسه !!

قول الخياط للتركي : انتبه واصمت فلو

قلت فكاهة أخرى لضاق قباؤك

- قال الخياط : أيها الخصي دعك من هذا ، فالويل لك لو قلت لك فكاهة أخرى!

١٧٢٥- إذن لضاق قباؤك تماما ، ولا يفعل بنفسه هذا أحد قط !!

- أي ضحك هذا ؟! إنك لو عرفت السر ، لبكيت بدلا من الضحك دماً^(١) .

بيان أن العاطلين وطلابي المزاح مثل ذلك التركي ،

والدنيا الغرورة الغادرة مثل ذلك الخياط

والشهووات والنساء هي مزاح هذه الدنيا ،

والعمر مثل ذلك الأطلس أمام ذلك الخياط

من أجل منع قباء البكاء ولباس التقوى

- إن خياط الدهور قد مزق أطلس عمرك قطعة قطعة بمقراض الشهور !!

- وأنت لا زلت تتمنى أن يمازحك الفلك على الدوام ، ويكون سعدا عليك إلى

الأبد .

- وتهلع كثيرا من ترييعاته ، ومن دلاله وبغضه وآفاته .

١٧٣٠- وتتألم كثيرا من صمته ومن نحوسه وقبضه وسعيه في الانتقام .

(١) ج : ١٣ : ٥٨١ :

- فترك الضحك أيها التركي الثمل ، ذلك أن عمرك قد نفذ وسوف تنقلب .

- وعندما ترك الخياط القباء من يده ، كان ذلك التركي الثمل قد أضاع الجواد .

- واستمع إلى خلاصتها : إنك ذلك التركي المخدوع ، والدنيا الغادرة هي الغول .

- والأطلس الذي كان ينبغي أن تخطيه للتقوى والصلاح انفقته على المزاح .

- والعمر هو إطلسك والمزاح هو الشهرة ، والنهار والليل هما القراض والضحك هو الغفلة .

- والجواد هو الإيمان ، والشيطان كامن لك ، فانتبه واقنع عن هذا المزاح .

- قائلًا : لماذا لا تكون زهرة الطرب مستمرة في الرقص ، لا تتوقف أنت على سعودها ورقص سعدها .

- فيقول لك الفلك : إتنى لو زدت في مزاحك لجعلتك شديد الغبن .

- فلا تنظر إلى زيف تلك الكواكب ، وانظر إلى عشقك مبذولا للزيف أيها المهان !!

مثل

- كان أحدهم يمضى في الطريق صوب حانوته ، فرأى الطريق أمامه غاصا بالنساء .

١٧٣٥- كانت قدمه تحترق من عجلته ، والطريق مسدود بجماعات من النسوة كأنهن الأقمار.

- فاتجه إلى امرأة وقال : أيتها الضعيفة ، كم أنتن كثيرات أيتها الصبايا .
- فالتفت إليه تلك المرأة وقالت : أيها الأمين لا تنظر إلى كثرتنا بإنكار .
- وانظر أنه على كثرتنا على وجه الأديم ، فإن مجال التمتع قد ضاق بكم .
- فتسقطون في اللواط من قلة النسوة ، والفاعل والمفعول هما فضيحة الزمن !!
١٧٤٠- فلا تنظر إلى حوادث الدهر ، إذ أنها تتحول من الفلك هنا إلى نوائب .
- ولا تنظر إلى ضيق الرزق والمعاش ، ولا تنظر إلى هذا القحط والخوف والارتعاد .

- بل انظر أنه مع كل مراراته ، إنكم موتى عشقا فيه وفي عدم اهتمامه بكم .
- فاعلم أن الامتحان المر من قبيل الرحمة ، واعلم أن ملك بلخ ومرو نقمة .
- فلم يهرب إبراهيم ذاك من التلف وصمد فيه ، وهرب إبراهيم هذا من العز وانطلق .

١٧٤٥- وذلك لا يحترق وهذا يحترق ويا للعجب ، إن الأمور معكوسة في طريق الطلب !!

تكرار الصوفي للسؤال

- قال الصوفي : إن ذلك المستعان قادر على أن يجعل تجارتنا بلا خسارة .
- وذلك الذي يجعل النار ورد وشجرا ، قادر أيضاً على أن يجعل هذه " النار " بلا ضرر .
- وذلك الذي يخرج الورد من نفس الشوك ، يستطيع أن يجعل الشتاء ربيعاً .
- وذلك الذي يجعل كل شجرة سرو ممشوقة القوام ، قادر على تحويل الحزن إلى سرور .
- ١٧٥٠- وذلك الذي صار كل عدم موجوداً منه ، ماذا ينقص " من ملكه " إذا تركه باقياً ؟!
- وذلك الذي يعطى الجسد روحاً من أجله أن يحيا ، إن لم يمته ما الذي يحقق به من ضرر ؟!
- وماذا يكون لو يهب ذلك الجواد العبد مقصوده دون أي اجتهاد .
- ويبعد عن الضعفاء مكر النفس وفتنة الشيطان اللعين التي تترصد لهم^(١) .

جواب القاضي على الصوفي

- قال القاضي : إن لم يوجد الأمر المر ، وإن لم يكن الجميل والقييح والحجر والدر !!

(١) ج : ١٣ : ٥٨٦ :

- ويجعل وقت الطالب قليل التفرقة ، ويجعل مرآة القلب مثل كلس جمشيد

١٧٥٥- وإن لم توجد النفس والشيطان والهوى ، وإن لم يحدث الطغيان والخصومة والوغي .

- فباى اسم إذن كان الملك يتقب عبده أيها المتهتك ؟!

- وكيف كان يقول أيها الصبور وأيها الحليم ، وكيف كان يقول أيها الشجاع وأيها الحكيم !!

- وكيف كان الصابرون والصادقون والمنفقون يوجدون دون وجود لقاطع طريق وشيطان لعين .

- ولاستوى من " في شجاعة " رستم وحمزه والمخنث ، ولبطل العلم " واختفت . " الحكمة وهما !!

١٧٦٠- فالعلم والحكمة " من أجل التفرقة " بين الطريق واللاطريق ، وعندما يكون " الوجود كله " طريقا ، فتلك الحكمة لا جدوى منها .

- ومن أجل حانوت الطبع هذا الذي يشبه الماء المالح هل تجيز أن يكون العالمان خرابا ؟!

- إننى أعلم أنك طاهر ولست بالساذج ، وسؤالك هذا من أجل العوام .

- إن جور الزمان وكل أمل يكون ، أسهل من الغفلة والبعد عن الحق .

- ذلك أنها أمور تمر ، لكن هذا الأمر لا يمر ، وإنما يكون مقبلا ذا دولة من يكون ذا روح واعية .

حكاية في بيان أن الصبر على الشدة

أيسر من الصبر على فراق المحبوب

١٧٦٥- قالت امرأة لزوجها ، انتبه يا من طويت طريق المروعة دفعة واحدة .

- إنك لا تقوم برعايتي أبداً فلماذا؟! وحتام ابقى على هذه المذلة ؟
- قال الزوج : إننى احتال على النفقة ، وبالرغم من أننى خالى الوفاض ، إلا أننى أسعى بيدي وقدمى .
- إن النفقة والكسوة واجبتان على أيتها الحسنة ، وهما لك منى بلا زيادة أو نقصان .
- فأبدت المرأة كم ثوبها ، وكان الثوب شديد الخشونة مليئاً بالقذارة .
- ١٧٧٠- وقالت : إنه يخز جسدى من خشونته ، فهل يكسو أحدٌ أحداً على هذا النمط؟!
- فقال : أيتها المرأة لأسألك سؤالاً ، إننى رجل فقير ، وهذا هو قصارى جهدى
- إنه - حقيقة - خشن وغلظ وغير مقبول ، لكن فكرى أيتها المرأة الذكية .
- أهو أكثر خشونة وقبحاً أو الطلاق؟! هل تكرهينه أكثر أو تكرهين الفراق ؟
- وكذلك أيها السيد الذي تقوم بالتشجيع على البلاء والفقر والآلام والمحن .
- ١٧٧٥- ولاشك أن ترك الهوى يصيب بالمرارة ، لكنه أفضل من مرارة البعد عن الحق .
- وإذا كان الجهاد والصيام صعبين قاسيين ، لكنهما أفضل من أن يمتحن المرء بالبعد .
- ومتى يبقى الألم في تلك اللحظة التى يقول لك فيها ذو المنن كيف أنت يا مريضى ؟
- وإن لم يتحدث إليك ، لأنك لا تملك ذلك الفهم والقدرة ، لكن لذتك - حين المرض - هى هذا السؤال .
- وأولئك الحسان ، أى أطباء القلوب ، يميلون على المرضى سائلين إياهم .

١٧٨٠- وإذا توخوا الحذر توقيا للشهرة ، فإنهم يحتالون ويرسلون الرسائل ؛
- وإلا فإن في قلوبهم ذلك الذي يفكرون فيه ، فلا معشوق قط غافل عن عاشقه!
- فيا باحثاً عن نواذر الحكايات ، اقرأ أيضاً أسطورة المقامرین بالعشق !
- ولطالما غليت في هذا العهد المديد ، ولم تصبح حتى مغلياً على طريقة الترك ،
أيها القديد !!

- ولقد شاهدت عمرا العدل والحكم ، ولازلت أكثر فجاجة ممن لم يشاهده .
١٧٨٥- إن كل من اتخذته تلميذا قد صار أستاذا ، وأنت قد سرت القهقري أيها
الأعمى العنيد .

- وإن لم يكن لديك من والديك اختبار ، ألم يكن لك اعتبار من الليل والنهار ؟

مثل

- سأل أحد العارفين ذلك القسيس الشيخ ، أنت اسن أيها السيد أو لحييتك ؟!
- قال : لا لقد ولدت قبلها ، وعشت كثيرا دون لحية ،
- قال : لقد ابيضت لحييتك وتغير حالها ، لكن طوييتك القبيحة لم تطب .
١٧٩٠- لقد ولدت بعدك لكنها سبقتك ، وأنت جاف هكذا من شهوة الثريد .
- وأنت على نفس اللون الذي ولدت به ، ولم تتقدم بعده خطوة واحدة .
- وأنت كالدوغ حامض من أصله ، ولم تقم باستخلاص الزيت منه .
- وأنت خمير خمرت طينته ، بالرغم من أنك قضيت عمرا في موقد نار .
- وكعشبة جذورها في طين على تل ، بالرغم من أنها ميالة الرأس من رياح
الهوس .

١٧٩٥- ومثل قوم موسى في حر التيه ، بقيت في مكانك أربعين سنة .
- إنك تمشي مهرولا كل يوم حتى الليل ، لكنك ترى نفسك في أول مرحلة .

- ولن تعبر بُعدك هذا الذي استمر ثلاثمائة سنة ، مادمت عاشقا لذلك العجل .
- فمادام خيال العجل لم يغادر قلوبهم ، كان التيه عليهم كالدوامة الفظيعة .
- ولرأيت غير ذلك العجل الذي وجدته منه ، لطفا ونعمة لا نهاية لهما !!
- ١٨٠٠- فيا بقرى الطبع ، إن هذه النعم الجزيلة ، قد ذهبت عن قلبك في عشق هذا العجل .
- فاسأل مرة كل عضو من أعضائك ، فإن هذه الأعضاء الخرساء ذات مائة لسان .
- واذكر نعم رزاق الدنيا ، التي اختفت بين طيات اللسان .
- انك جلدٌ ليل نهار في طلب الخرافات ، وأعضاؤك عضوا عضوا متحدثة عن كونك خرافة .
- وحتى نبّت أعضاؤك عضوا عضوا من العدم ، شاهدت كثيرا من ألوان السرور وكثيرا من الأحزان .
- ١٨٠٥- ذلك أنه بلا لذة لا ينمو عضو قط ، بل إن كل عضو يصير نحिला من أى ضغط أو التواء .
- لقد بقي العضو ، وذهبت تلك اللذة من الذاكرة ، لا ، إنها لم تمض بل اختفت عن " الحواس " الخمسة و " الأفلاك " السبعة !!
- مثل الصيف الذي " نتج " فيه محصول القطن ، وبقي القطن ، وذهب الصيف من الذاكرة .
- أو كالثلج الذي ينتج في الشتاء ، واختفى الشتاء ، بينما بقي ذلك الثلج أمامنا .

– فالتلج تذكّار عن قسوته تلك ، وتذكّار الصيف عندما يحل الشتاء^(١) هو تلك الثمار .

١٨١٠ – وهكذا كل أعضائك عضوا عضوا أيها الفتى ، منبئة عن نعمة ما في جسدك .

– كامرأة لها عشرون ابنا ، كل واحد منهم حاك عن حال لذة .

– فالحمل لا يكون دون نشوة ومداعبة ، ومتى تكون الحديقة منتجة دون ربيع؟!

– فالحوامل واولاء الذين يحملن أطفالهن ، صرن دليلا على ممارسة الحب في الربيع .

– وكل شجرة في رضاع للأطفال ، كمریم حامل من ملك في السر .

١٨١٥ – وبالرغم من أن نارا قد اختفت في الماء ، فإن مئات الآلاف من الحباب متموجة عليه .

– وبالرغم من أن النار تقوم بعملها في السر ، فإن الزبد يشير إليها بوضوح تام!!^(٢)

– مثل ذلك أعضاء المنتشين بالوصال ، حامل لصور الحال والمقال .

– وفي جمال الحال عجزت الأفواه ، وذهلت الأبصار عن صور الدنيا .

– وتلك المواليد ليست من رحم هذه " العناصر " الأربعة ، فلا جرم أن هذه الأبصار لا تشاهدها .

(١) حرفيا : في شهر دى .

(٢) حر : بإصابعه العشرة .

١٨٢٠- لقد ولدت هذه المواليد من التجلى ، فلا جرم أنها مستورة بحجاب لطيف .

- لقد قلت " مولودا " والحقيقة أنه لا ولادة هناك ، وليست هذه العبارة إلا من أجل الإرشاد .

- هيا ، واصمت ، حتى يتحدث عليك المقال ، ولا تعرض طباع البلبلى على هذا الصنف من الورود .

- إن هذا الورد ناطق ممتلى وجذا وهياما ، فهيا أيها البلبلى اترك اللسان ، وتحول إلى أذن !!

- وكلا هذين الصنفين تمثال طاهر المثال ، وهما شاهدا عدل على سر الوصال .
١٨٢٥- وكلا هذين الصنفين من الحسن اللطيف المرتضى ، شاهدان على أنواع الحمل والحشر فيما مضى!!

- مثل الثلج الموجود فى تموز الذى حل ، يتحدث فى كل لحظة عن أسطورة الشتاء .

- ويذكر تلك الرياح الباردة والزمهرير ، فى تلك الأزمان والأيام العسيرة .
- ومثل تلك الفاكهة فى وقت الشتاء ، تتحدث عن حكاية اللطف الإلهى .
- وعن قصة أوان بسمات الشمس ، وملامستها ومجامعتها لتلك العرائس فى الرياض .

١٨٣٠- لقد ذهب الحال وبقي العضو منك تذكارا ، فقم بسؤاله أو تذكر أنت بنفسك .

- وعندما يهدأ حزنك إن كنت ماهراً ، فإنك تتجو من تلك اللحظة المؤيسة .
- ولقلت له : أيها الحزن الذى تتكر الآن رواتب الانعام من ذاك الكمال .

- فان لم يكن لك فى كل لحظة ربيع ونضرة ، فمخزن ماذا جسدك ؟! وكأنه الورد المتراكم .

- إن الجسد ورد متراكم وفكرك هو ماء الورد ، فهل ينكر ماء الورد الورد ، إن هذا لشيء عجاب .

١٨٣٥- إن من فيهم طبع قردة الكفران حرام عليهم التبن ، وعلى من لهم وجوه كالأنبياء نثار الشمس والسحاب .

- وعناد الكفر هذا هو قانون القردة ، وذلك الحمد والشكر هو منهاج النبى .

- فماذا فعل التهلك مع من فيهم طباع القردة ؟! وماذا فعل التمسك مع من لهم وجوه الأنبياء ؟!

- ففى العمران توجد الكلاب العقور ، وفي الخرابات كنوز العز والنور !!
- وإن لم يكن هذا البروغ " مطويا " في الخسوف ، لما ضل العديد من الفلاسفة طريقهم !!

١٨٤٠- والأذكىاء العقلاء وجدوا من الضلال ، وسم البله على الخرطوم .

بقية قصة الفقير طالب الرزق

دون واسطة الكسب

- كان أحدهم مسكينا ومفلسا ، تجرع من الإملاق آلاف السموم .
- ومن ألمه دأب على الضراعة فى الصلاة وفى الدعاء ، قائلاً : يا الله ، يا حارسا للرعاء !!

- لقد خلقتنى معدوم الجهد فارزقتى بلا احتيال منى فى هذه الدار .
- لقد أعطيتنى جواهر خمسة فى درج الرأس ، وخمسة حواس أخرى مستترة .
١٨٤٥- وهذا العطاء لا يعد ولا يحصى منك ، وأنا كليل فى بيانه خجل الوجه .

- ولما كنت فرداً في خلقى ، فاجعل أنت أمر رزقى مستويًا .
- وكثر منه هذا الدعاء لسنوات عديدة ، وفي النهاية فعلت ضراعتَه فعلها .
- مثل ذلك الشخص الذي طفق يطلب من الله رزقا حلالا دون كسب أو جهد .
- فاتى له ثور" بالسعادة آخر الأمر ، وذلك في عهد داود الذي كان عدله من لدن " حكيم خبير " .
- ١٨٥٠- وهذا المتيّم أبدى أيضاً ضراعاته ، واختطف هو بدوره كرة الاستجابة من الميدان .
- أحيانا كان يسئ الظن في الدعاء ، وذلك من أجل تأخر المكافأة وتأخر الجزاء.
- ثم كان إرجاء الإله الكريم ، يصير بشيرا في قلبه وزعيما .
- وعندما كان يقنط في الجهد من الكلال ، كان يسمع من جناب الحق نداء :
تعال !!
- فإن هذا الخالق خافض ورافع ، وبلا هذين لا يتأتى أى عمل .
- ١٨٥٥- فانظر إلى خفض الأرض وإلى رفع السماء ، فلا دوران " للكون " بلا هذين يا فلان .
- وخفض هذه الأرض ورفعها من نوع آخر ، فهي نصف العام بور ونصفه الآخر خضراء نضرة !!
- وخفض الأيام ذات الكرب ورفعها من نوع آخر ، إذ أن نصفها نهار ونصفها ليل .
- وخفض هذا المزاج الممتزج ورفعهُ ، حيناً بالصحة وحيناً بالمرض الذي يسبب الاستغاثة .

- وهكذا فاعلم كل أحوال الدنيا ، قحط وخصوبة وحرب وسلم من أجل الابتلاء.

١٨٦٠- وهذه الدنيا " محلقة " في الأثير بهذين الجناحين ، والأرواح منهما مواطن للخوف والرجاء .

- حتى تصبح الدنيا مرتعدة كأنها ورقة شجرة ، في " رياح " الشمال وفي سموم البعث والموت .

- وحتى يصبح الدن ذو اللون العبسانا ، يروى بقيمه الدنان التي تحتوى مائة لون .

- فإن تلك الدنيا كأنها أرض ملح ، كل من ذهب إليها ، نجا من التلوين .

- فانظر إلى التراب ، إنه يجعل الخلق ذوى الألوان المتعددة على لون واحد في القبور .

١٨٦٥- وهذه هي أرض ملح الجسوم ، أما أرض ملح المعانى فهي مختلفة .

- وأرض ملح المعانى معنوية ، وهى في تجدد من الأزل إلى الأبد .

- وهذه الجده هنا ضدها القدم ، أما تلك الجدة فهي بلا ضد ولا ند ولا عدد !!

- كما أنه من جلاء نور المصطفى ، تحولت مئات الآلاف من الظلم إلى ضياء .

- فاليهودى والمشرى والمسيحى والمجوسى ، صاروا جميعا في لون واحد ، من " تأثير " ذلك العظيم .

١٨٧٠- ومئات الآلاف من الإطلال القصيرة والممتدة ، صارت واحدة في نور شمس السر تلك !!

- فلا طول بقى ، ولا قصر ، ولا عرض ، فان تنوع الظلال رهن بالشمس .

- لكن اتحاد اللون الذي يوجد في الحشر ، مكشوف وظاهر للصالح والطالح .

- فإن المعانى ، تتحول في ذلك العالم إلى صور ، وكل صورنا تصير جديرة
بخصله من الخصال .

- ويصبح الفكر آنذاك صوراً على الكتب ، وتصير هذه البطانة على ظاهر
الثوب .

١٨٧٥- والبواطن في هذا الزمان كأنها الثور الأبلق ، ومغزل النطق عند الأمم
غازل بمائة لون .

- فالدور هو دور مائة لون ومائة قلب ، فمتى يتجلى عالم اللون الواحد !!

- والدور دور الزنجى ، واختفى الرومى ، هذا هو الليل والشمس رهن
" موضع آخر " .

- الدور دور الذئب ويوسف فى البئر ، نوبة آل فرعون ، وفرعون هو المليك . .

- حتى تكون لهذه الكلاب بضعة أيام من الرزق الذى لا يتقطع ويضحك
مستهزئاً !!

١٨٨٠- والأسد مترصد داخل الغابة ، وذلك حتى يصدر الأمر بـ " تعالوا " !!

- ثم تخرج تلك الأسود من المروج ، ويبدى الحق بلا حجاب السر والعلن .

- ويستولى جوهر الإنسان على البر والبحر ، وتذبح الثيران البلقاء يوم النحر .

- ويوم النحر هو يوم البعث المهول ، هو عيد للمؤمنين وهلاك للثيران .

- وكل الطيور المائية في يوم النحر ذاك ، طافية كأنها السفن على سطح البحر .

١٨٨٥- حتى يهلك من هلك عن بينة ، وحتى ينجو من نجا واستيقنه^(١) .

- وحتى تذهب البزاة نحو السلطان ، وتمضى الغربان نحو القبور .

(١) بالعربية فى المتن .

- فالعظام وأجزاء البعر ، كأنها الخبز ، قوت شهى للغربان في الدنيا .
- فأين سكر الحكمة من الغراب ، وأين دودة البعر من البستان .
- فلا يليق غزو النفس والرجل الغرير ، ولا يتفق العود والمسك ومؤخرة الحمار .
- ١٨٩٠- وإذا كان لم يعط النساء أية قدرة على الغزو ، فمتى يعطين ذلك " الجهاد " وهو الجهاد الأكبر ؟!
- ولا يحدث إلا نادراً أن يكون " بطل " كرستم ، مخفياً داخل جسد امرأة ، مثلما حدث لمريم .
- مثلما تكون هناك نساء مختفيات بين جوانح بعض الرجال ، فهم إناث من ضعف الجنان .
- وفي ذلك العالم تتصور تلك الأثوثة ، في كل من لم " ير في نفسه " استعداداً للرجولة .
- إنه يوم العدل ، والعدل إعطاء المستحق ، فالنعل للقدم ، والقلنسوة للرأس .
- ١٨٩٥- وحتى يصل كل طالب إلى مطلوبه ، وحتى يمضي كل غارب إلى غربه .
- فلا مطلوب هناك يمنع عن طالبه ، فالشمس قرينة للحرارة والسحاب قرين للمطر .
- والدنيا هي موضع قهر الله ، فذق القهر ما دمت قد اخترت القهر .
- وانظر إلى عظام المقهورين وشعورهم ، وقد عمل سيف القهر في البر والبحر .
- وانظر إلى جناح الطائر وقدمه حول الفخ ، شارحة لقهر الله دون كلام .
- ١٩٠٠- لقد مضى عن الدنيا ، وعلامة لحد محدوب الظهر ، وذلك الذي مات من زمن لم يبق له حتى هذا اللحد .

- لقد أعطى عدل الحق لكل امرئ قرينه ، فالفيل مع الفيل ، والبق من جنس البق .

- وأنس أحمد في مجلسه كان مع الصحابة الأربعة ، ومؤنس أبى جهل كان عتبه ، وذو الخمار .

- والسدرة هي كعبة جبريل والأرواح ، أما المائدة فهي قبلة عبد بطنه .

- وقبلة العارف هي نور الوصال ، وقبلة عقل المتفلسف ، هو الخيال .

١٩٠٥- وقبلة الزاهد هو البر الرحيم ، وقبلة الطامع كيس الذهب .

- (١) وقبلة أهل المعنى الصبر والاحتمال ، وقبلة عباد الصورة الصورة المنقوشة على الحجارة .

- وقبلة المنصرفين إلى بواطنهم ذو المنن ، وقبلة عباد الظاهر وجوه النساء .

- (٢) وهكذا فعدد من قديم وجديد ، وإن كنت قد مللت فانصرف إلى عملك .

- لقد صار العقار رزقا لنا في الكأس الذهبية ، وتلك الكلاب بها ماء النخالة في طبق الفخار .

١٩١٠- لقد أرسلنا الرزق مناسبا لما جُبل عليه من طبع وجديرا به .

- (٣) ولقد جعلنا طبع ذاك مجبولا على عشق الخبز ، وجعلنا طبع هذا ثملا بعشق الأحبة !!

(١) ج : ١٣ / ٦٠٤ :

- وقبلة رجال الحق الأعمال الطيبة ، وقبل غير المستحق الجهل الحقير .

(٢) ج : ١٣ / ٦٠٤ :

- وقبلة العاشق هو الحق يا بنى ، وقبلة الباطل هو إبليس أيها الأب .

- وقبلة فرعون الدنيا برمتها ، وقبلة الحمار ماذا تكون ؟! مؤخرة الحمار !!

(٣) ج : ١٣ / ٦٠٥ :

- لقد جعلنا ذلك السيد عاشقا للخبز ، وجعلنا هذا شعبا للروح .. لم ؟!

– وما دمت سعيدا وراضيا بطبعك لماذا تتفر إذن مما هو جدير بطبعك ؟!
– فإذا كانت الأنوثة قد أعجبتك ؟! خذ الطراحة ، وإذا كانت البطولة قد
أعجبتك.. احمل الخنجر .

– ^(١) إن هذا الكلام لا نهاية له ، وذلك الفقير ، صار صارخا من طعن الفقر .

قصة تلك الخريطة للكنز التي تقول : قف إلى جوار القبة

متجها إلى القبلة وضع سهمها في القوس .. وألقه

وحيثما يسقط.... هناك كنز !!

١٩١٥ – رأى في النوم ذات ليلة وأين منه النوم ، إن الوقائع تظهر بلا نوم
للصوفي الصادق .

– " رأى " هاتفا قال له : يا من عانيت التعب ، أطلب رقعة مما يتمرن فيه
الوراقون .

– خفية من ذلك الوراق الذي هو جارك ، مد يدك إلى جذاذات أوراقه .

– فهناك رقعة شكلها كذا ولونها كذا ، فاقرأها في خلوة أيها الحزين .

– وعندما تسرقها من الوراق يا بني ، أخرج من الزحام والضوضاء والضجيج.

١٩٢٠ – ثم اقرأها أنت في خلوة ، انتبه ، ولا تطلب شريكا في قراءتها !!

– وإن انتشر أمرها أيضاً لا تحزن ، فلن يجد سواك منه متقال ذرة .

– وإن استغرق الأمر طويلا ، انتبه ، وحذار ، " من اليأس " واجعل وردك

لحظة بعد لحظة " لا تقنطوا " !!

– قال هذا " الكلام " ووضع ذلك البشير يده على قلبه قائلا له " امض وجاهد " .

^(٣) ج : ١٣ / ٦٠٥ :

– وإذا كنت ميالا للغزو البس الدرع ، وإن كنت ميالا للأبنة فاعرض مؤخرتك .

- وعندما عاد إلى وعيه من غيبته ذلك الشاب ، كانت الدنيا لا تسعه من الفرح .
١٩٢٥- كانت مرارته تكاد تتمزق من القلق ، لو لم يكن هناك رفيق الحق به
وحفظه ولطفه !!

- كان فرحه إنه من وراء ستمائة حجاب ، سمعت أذنه من الحضرة الجواب .
- (١) وعندما اخترق حس سمعه الحجب ، صار رافع الرأس ، وجاوز الفلك . .
- فلعل حس بصره اعتبارا على هذا الأمر ، يكون له نفاذٌ من حجب الغيب .
- وعندما تصبح حواسه نافذة من الحجاب ، تحدث له الرؤية والخطاب بشكل
مستمر .

١٩٣٠- (٢) وجاء صوب دكان الوراق ، وأخذ يبحث في أوراق تدريبه من
ناحية إلى أخرى .

- ووضعت عينه سريعا على ذلك المكتوب ذي العلامات التي كان الهاتف قد
وضفها له .

- فأخفاه تحت إبطه ، وقال " سعدت أيها السيد " سوف أعود بعد لحظة أيها
الاستاذ .

- ومضى إلى ركن خال ، وقرأها ، ومن الحيرة بقي مندهشا والهيا .

(١) ج : ١٣ : ٦١٨ :

- كان فرحه أنه قد تخلص من السؤال ، وسوف يحصل على ذلك الكنز الخاص .

(٢) ج : ١٣ / ٦١٨ :

- وعندما اختفى الزنجي الأسود من الوري ، والقت الشمس بسيفها وظهرت المخلوقات .

- فرح فرحة أن دعاءه لم يرد ، وأنه قد أستجيب لدعائه في النهاية .

- متسائلاً : كيف أن خريطة كنز لا تقدر بثمن ، قد سقطت هكذا بين نماذج " الوراق " ؟!

- ١٩٣٥ - ثم قفزت تلك الفكرة إلى خاطره ، إن الله تعالى حافظ لكل شئ .
- وكيف يترك الحافظ لكل شئ في كنفه أن يأخذ أحد شيئاً ما اعتباطاً !!
- فإذا كانت الصحراء ممتلئة بالذهب والنقود ، لا يمكن لأحد أن يختطف حبة منها دون رضا الحق .
- وإذا قرأت مائة صفحة دون توقف ، فإن نكتة واحدة لا تبقى - دون قدر - في ذاكرتك .
- وإن قمت بالخدمة دون أن تقرأ أي كتاب ، فإنك تجد في حوزتك العلوم النادرة .

١٩٤٠ - لقد صارت كف موسى مشعة بالضوء من جيبه ، بحيث فاقت في ضوئها قمر السماء .

- أي أن ذلك الذي كنت تبحث عنه من الفلك الم هول ، قد أطل برأسه يا موسى من جيبك !!

- حتى تعلم أن السموات السامية ، هي انعكاسات لمدرجات الإنسان .
 - أليست يد الله المجيد هي التي خلقت العقل قبل أن " يخلق " العالمان ؟!
 - إن هذا الكلام واضح لكنه شديد الخفاء ، فلا تكون الذبابة مأذونة للعنقاء !
- ١٩٤٥ - وعد ثانية إلى القصة يا بني ، وواصل حكاية الكنز والفقير .

بقية قصة ذلك الفقير

وعامة مكان ذلك الكنز

- كان مكتوباً في تلك الرقعة ، اعلم أنه في خارج المدينة يوجد كنز مدفون .

- وهناك قبة كذا ويوجد فيها مزار ، ظهره إلى المدينة وبابه إلى الخلاء .
- فاجعل ظهرك إليه ووجهك إلى القبلة ، ثم أطلق سهمًا من القوس .
- وعندما يسقط السهم من القوس أيها المسعود ، إحفر في ذلك الموضع الذي سقط فيه السهم .
- ١٩٥٠- فأحضر الفتى قوسًا قويًا ، وأطلق السهم في قلب الفضاء .
- وجاء بطير وفأس سريعاً وهو في غاية السرور ، وحفر ذلك الموضع الذي سقط فيه السهم .
- وخارت قواه وقل الطير والفأس ، لكنه لم ير أثراً للكنز المختفي .
- وهكذا أخذ كل يوم يطلق سهمًا ، لكنه لم يكتشف مكان الكنز .
- وما داوم على هذا العمل ، انتشر اللغط في المدينة وبين العوام .

شيوع خبر هذا الكنز

وبلوغه سمع الملك

- ١٩٥٥- (١) ثم أخبروا السلطان بهذا الأمر ، تلك الجماعة التي كانت تراقب في السر .
- وعرض الأتباع هذا القول ، " وأسروا إليه " أن غلامًا وجد خريطة كنز .
- وعندما سمع ذلك الشخص أن الأمر وصل إلى الملك ، لم يجد بدا من التسليم والرضا .

(١) ج : ١٣ / ٦٢٧ :

- وتحدث بهذا الأمر كل إنسان ، فمثل هذه اللعبة لا تبقى في الخفاء .
- وكل شخص يتحدث عن فساد ما ، ومن كل الأطراف نهض حاسد

- وقبل أن يتعرض للعذاب من ذلك الملك ، وضع ذلك الشخص الخريطة أمامه .

- وقال : منذ أن وجدت هذه الرقعة ، عانيت مشقة لا حد لها ولا كنز هناك.

١٩٦٠- ولم تظهر حبة واحدة من الكنز ، لكنى تلويت كثيرا وكأني ثعبان .

- ولمدة شهر وأنا هكذا خائب المسعى ، بحيث حرم على نفعه وضره !!

- فربما يكشف إقبالك الغطاء عن هذا المنجم ، أيها الملك المظفر في الوغى والفتاح للقلاع .

- ولمدة ستة شهور أو يزيد ، أخذ الملك يطلق السهام ويحفر الآبار .

- وحيثما كان قوس قوى وضع فيه السهم سريعا وأطلقه وبحث عن الكنز في كل موضع .

١٩٦٥- ولم يكن هناك غير الجنبه والحزن والانشغال ، كان الأمر كأمر العنقاء ، الاسم مشهور ، ولا ذات هناك !!

يأس ذلك الملك من العثور على الكنز

وملله من طلبه

- وعندما تأخر الأمر طولا وعرضا ، باخ حماس الملك بالنسبة لذلك الكنز ومل الأمر .

- لقد حفر ذلك الملك الصحارى آبارا ذراعا بذراع ، ثم القى إليه بالرقعة غاضباً^(١) .

- وقال له : خذ هذه الرقعة فلا آثار لها ، وأنت أولى بها اذ لا عمل لها .

- وليس هذا بعمل من لديه عمل ، أن يحرق الورد ويمضى في أثر الشوك .

(١) ج : ١٣ / ٦٢٧ :

- لقد حفر ذلك الملك الصحارى آبارا ذراعا بذراع ، ولم يجد من الكنز إلا السخرية .

- ثم طلب ذلك الفقير المتائم ، وألقى إليه بالرقعة غاضباً .

- وهذا أمر نادر الحدوث ... وأهل هذه المايخوليا ينتظرون أن ينبت من الحديد نبات .

- وينبغي لهذا الأمر إنسان مصطبر مثلك ، ولك أنت مثل هذه الروح الثقيلة ، فابحث عن هذا " الكنز " .

- وإن لم تجده ، فلا حزن يحيق بك ، وإن وجدته فقد وهبته لك حلالا .

- فمتى يمضى العقل في طريق اليأس ؟ ينبغي عشق ، حتى يسرع إلى تلك الناحية على رأسه .

- فاللامبالاة للعشق وليست للعقل ، إن العقل يبحث عما يستفيد منه .

١٩٧٥- إنه مهاجم كالتركي ومذيب للجسد ولا يرعوى وهو في البلاء كحجر تحت طاحونة .

- إنه جري صفيق الوجه لا ظهر له قط ، وقد قتل الانتفاع داخل نفسه .

- وهو يقامر بطهر ولا يكون باحثا عن الأجر ، ذلك أنه يأخذ بطهر منه هو ؛

- فإن الحق يعطيه الوجود بلا علة ، فإنه يرد عليه بلا علة وهذه هي الفتوة !!

- فالفتوة هي العطاء بلا علة ، واللعب بطهر خارج كل ملة .

١٩٨٠- ذلك أن الملة تبحث عن الفضل أو الخلاص ، واللاعبون بطهر ضحايا مخصوصون .

- فلا هم بالذين يمتحنون ربهم ، ولا هم يقرعون أبواب النفع والخسارة .

رد الملك خريطة الكنز للفقير قائلة : خذها

لقد انصرفنا عن هذا الأمر

- عندما سلم الملك خريطة الكنز المليئة بالفتنة لذلك المكروب .

- صار آمنا من الخصوم ومن لمزهم ، فمضى وهو يطوى رغبته العارمة .

- وصادق" هو العشق الذي يفكر في الألم ، ذلك أن الكلب يلحق جراح نفسه .
- ١٩٨٥ - وليس للعشق في التفافه رفيق ، وليس في القرية من هو مسموح له به .
- وليس هناك من هو أكثر جنونا من العاشق ، والعقل من رغبته فيه أعمى وأصم .

- ذلك أن هذه الأمر ليس جنونا عاما ، وليس للطب إرشاد إلى هذه الأحكام .
- فلو أن طبيبا أصيب بهذا النوع من الجنون ، لمحا كتب الطب بالدم .
- فطب جملة العقول من نقشه ، ووجود كل الحسان قناع لوجهه .
- ١٩٩٠ - فاتجه إلى نفسك يا متمذهبا بالعشق ، فليس لك من قريب أيها المفتون سوى نفسك .

- لقد جعل " ذلك الفقير " من القلب قبة ثم أخذ في الدعاء ، إذ ليس للإنسان إلا ما سعى .

- ذلك أنه قبل أن يستمع إلى جواب ، كان قد عكف سنوات على الدعاء .
- كان يعكف على الدعاء بلا اجابة ، وكان يسمع خفية لبيك من الكرم .
- وعندما كان يرقص بلا دف ذلك العليل ، اعتمادا على جود الخلاق الجليل .
- ١٩٩٥ - ولم يتجه إليه هاتف" أو رسول ، لكن أذن رجائه كانت مليئة بقول لبيك .
- كان رجاءه يقول له بلا لسان : تعال ، وكانت تلك الدعوة تطرد من قلبه الملل .

- وتلك الحمامة التي ألقت سطح " منزلك " ، لا تدعها ، وازجرها دائما فجناحها مخيط .

- ويا ضياء الحق يا حسام الدين ، ازجرها ، فقد نمت روحها من ملاقاتك .
- وإنك إن زجرت طائر الروح عبثا ، فإنه يطوف أيضاً حول سطح منزلك .

٢٠٠٠- إن طعامه ونقله دائما فوق سطح منزل ، وهو مرفرف بجناحه على
الأوج الثمل لفحك !!

- وإن أنكرت الروح لحظة أداء شكرك خلسة أيها الفتح والفتوح ؛
- فإن شرطة العشق يعاقبها على الدوام ، ويضع طستًا مليئًا بالنار على
صدرها.

- قائلًا لها : تعالى صوب القمر ودعك من التراب ، إن ملكك عشقك ليستدعيك
فعودي سريعاً .

- وحول هذا السطح وبرج الحمام ، لازلت أنا اخفق كالحمامة بجناحي كما يفعل
الثل .

٢٠٠٥- وأنا جبريل العشق وأنت سدرة منتهى ، وأنا سقيم وأنت لى عيسى بن
مريم .

- فاجعل هذا البحر الملى بالجواهر يغلى ، وسلّ جيذا اليوم عن هذا المريض !!
- فما دمت قد صرت له ، فالبحر له ، بالرغم من أن هذه اللحظة هي أوان
بحرانه .

- فهذا الأئين في حد ذاته هو الذي أظهر ما هو خفى ، فالأمان ... يا رب .
- إن لنا كالنأى فمين فصيحين ، وهناك فم آخر مختف في شفتيه .

٢٠١٠- فقمّ يجار باشكوى تجاهك ، ألقى بصيحات وجدّه في الهواء .
- لكن كل من عنده نظر يعلم أن الصراخ وإن كان من هذه الناحية هو أيضاً
من تلك الناحية.

- وإن أئين هذا النأى هو أيضاً من أنفاسه ، وضجيج الروح من ضجته .
- وإن لم يكن للنأى سمر مع شفتيه ، لماملأ النأى بوح الدنيا بالسكر .

- ترى مع من نمت وعلى أى جنب قمت ؟! فأنت ملئ بالجيشان به هكذا
كالبحر ؟!

٢٠١٥- أو أنك قرأت " أبيت عند ربى " فسقت النار في قلب البحر .

- ونداء " يا نار كونى برداً " صار عصمة لروحك أيها المقتدى .

- فيا ضياء الحق يا حسام الدين والقلب متى يمكن دهان الشمس بالطين ؟!

- فقد قصدت هذه القطع من الطين إخفاء شمسك .

- وفي قلب الجبل ألوان الياقوت دلالة لك ، والبساتين من ضحكها ملأى بك .

٢٠٢٠- فاين رستم ليكون مسموحاً له برجولتك ، حتى أتحدث عن حبة واحدة

من بيدرك ؟!

- وعندما أريد أن اطلق آهة واحدة عن سرك ، أطأطئ برأسى في بئر مثل

على !!

- ومادام للإخوان قلوب حاقدة ، فأولى بيوسفى " أن يظل " في قاع البئر .

- لقد صرت ثملاً ، فلألق بنفسى بين الغوغاء ، وماذا يكون البئر ؟ لأضرب

خيمنى في الخلاء .

- فضع الشراب النارى على كفى ، وانظر آنذاك إلى كر السكارى وفرهم .

٢٠٢٥- وقل لهذا الفقير أن يظل بلا كنز ، فإننا غارقون هذه اللحظة في عصير

" الكرم " .

- وأطلب الملجأ من الله هذه اللحظة أيها الفقير ، ولا تطلب منى أنا الغريق

العون .

- فلا اهتمام عندى بهذا الاستاذ ، ولا أنا حتى أذكر شاربى أو لحيتى .

- فمتى تستوعب العنجهية والكرامة في ذلك الشراب الذي لا يسع شعرة واحدة.

- فقدم أيها الساقى رطلاً ثقيلاً ، وخلص السيد لحظة واحدة من العنجهية والكبرياء .

٢٠٣٠- إن كبرياءه لا يزال يتنفج علينا ، لكنه " في الواقع " يفتلح لحيته حسداً لنا .

- ألا قليخساً ... وليخساً ... فإتنا ندرك تماماً تزويره واحتياله .

- وما يتأتى منه ولو بعد مائة عام ، يراه الشيخ عياناً بحذاقيره .

- وما الذى يراه العامى فى المرآه ، ولا يراه الشيخ فى مدرة خالصة !!

- وما لا يبصره الملتحى فى منزله ، ظاهر بتفصيلاته للأجرد .

٢٠٣٥- فامض إلى بحر ما فانت وليد حوته ، فكيف سقطت هكذا فى اللحي كأنك القذى !!

- ولست بالقذى ، لا سمح الله ، إنك ترى بالجواهر ، وأولى بك أن تكون فى البحر وسط الأمواج .

- والبحر هو الوجدانية ، لا زوج فيه ولا شريك ، جوهره وسمكة ليس إلا الموج .

- ومحال ثم محال الإشراف به ، ليكن هذا بعيداً عن ذلك البحر وموجه الطاهر .

- فليس فى البحر شرك والتواء ، لكن ماذا أقول للأحول؟! لاشئ قط .

٢٠٤٠- وما دمنا نعاشر الحول يا عابد الصنم ، ينبغى أن نتحدث كما يتحدث المشركون .

- إن تلك الأحدية من تلك الجهة وصف وحال ، ولا يأتى إلا الاثنينية إلى ميدان المقال .

- فإما أن تتجرع كالأحول هذه الإثنينية ، أو خط فمك واصمت تماماً .

- أو كل بدوره ، حينما صمت وخينا كلام ، داوم على قرع الطبول كما يفعل الأحول ، والسلام .
- وعندما ترى مأذوناً له تحدث عن سر الروح ، وعندما ترى الورد غرد كالبلابل .
- ٢٠٤٥- وعندما ترى القرية مليئة بالمكر والمجاز ، ضم شفتيك واجعل نفسك دنا .
- إنه عدو للماء فلا تتحرك أمامه ، وإلا كسرت حجارة جهله الدن !!
- واصبر على العقوبات التي ينزلها بك الجاهل ، ودار جيداً بعقل لدنى !!
- والصبر على الخسيس جلاء" لمن هم أهل ، والصبر يصفى القلب فى كل موضع .
- ونار التمرود كانت لابراهيم فى صقلها كصفاء المرأة .
- ٢٠٥٠- وجور كفر قوم نوح وصبر نوح ، صاراً لنوح جلاء لمرأة الروح .
- حكاية مريد الشيخ أبى الحسن الخرقانى قدس الله سره**
- ذهب درويش من مدينة الطالقان ، على صيت أبى الحسن الخرقانى .
- قطع الجبال والأودية الشاسعة ، من أجل رؤية الشيخ ذى الصدق والضراعة .
- وما رآه فى الطريق من جهد وعنت بالرغم من أنه جدير بالذكر إلا أنه اختصره .
- وعندما وصل من الطريق إلى مقصده ذلك الشاب ، بحث عن عنوان منزل ذلك السلطان "للعارفين"
- ٢٠٥٥- وعندما قرع حلقة باب داره بكل احترام ، أخرجت امرأة رأسها من "خوخة" الباب .

- قائلة : ماذا تريد ؟ قل ياذا الكرم ، قال : جئت قاصداً الزيارة .
- فضحكت المرأة قائلة : مرحى .. مرحى .. أنظر إلى هذه اللحية .. وانظر إلى هذا الشعر .. وهذه المشقة !!
- ففعل عملاً لا يشغلك في موطنك ذاك ، حتى عزمت على السفر في سبيل لا شيء !!
- أو لعل اشتهاؤك لى تخدع قد راودك ، أو غلب عليك الملل من وطنك !!
- ٢٠٦٠- أو أن الشيطان وضع في فمك خطاما ، ووسوس لك بالسفر .
- وقالت ما لا يليق من فحش وسب ، مما لا أستطيع أن أعيده "على مسامعكم" !!
- وسأقت من الأمثال الساخرة ما لا يدخل في حساب ، فسقط ذلك المرید من الغم في حفرة (من اليأس) !!

سؤال ذلك القادم حرم الشيخ ، أين الشيخ؟

وأين أطلبه ؟ وجواب الزوجة بغاحش القول

- وطفرت الدموع من عينيه وقال ، مع كل هذا ، أين ذلك السلطان حلو الاسم ؟!
- قالت : ذلك المزور المحتال الفارغ ، شبكة الحمقى ، ووهق الضلالة ؟!
- ٢٠٦٥- إن مئات الآلاف من أمثالك من السذج ، قد سقطوا من جرائه في مائة عتو !!
- فلو لم تره وعدت في أمان الله ، يكون خيرا لك ، ولا تضل وتغوى من جرائه .
- إنه يتفنج بالدين ، لابعق للأطباق آكل بالمجان ، وصيت طبله قد مضى إلى أطراف الديار .
- أهؤلاء القوم من قوم موسى عبدة العجل ، وإلا فلماذا يتحسسون بأيديهم هذا

الثور ؟!

- إنه جيفة الليل وبطل النهار ، كل من اغتر بهذا الشره الأكل !!
- ٢٠٧٠- لقد ترك هؤلاء القوم مائة علم وكمال ، وتمسكوا بالمكر والتزوير ، فما هذا الحال ؟!

- فأين آل موسى ؟! أسفى عليهم ، حتى يسفكون الآن دماء عبدة العجل !!
- لقد ألقوا بالشرع والتقوى وراء ظهورهم ، فأين عمر ؟ وأين الأمر الحازم بالمعروف ؟

- لقد تفشت الإباحية من هذه الجماعة ، وصارت رخصة لكل مفسد محتال !!
- فأين طريق الرسول وصحابته ؟! وأين صلاته وتسييحه وآدابه ؟!

جواب المريد وزجره لتلك الشتامة عن الكفر وعابث القول

- ٢٠٧٥- فصاح بها الشاب ، وقال ، كفى ، إننا فى ضوء النهار فمن أين جاء العسس ؟!

- إن نور الرجال ملأ طباق الشرق والغرب ، فسجدت السموات له دهشة .
- وشمس الحق سطعت من الحمل ، فتوارت شمس "الفلك" بالحجاب خجلاً .
- ومتى تحولنى ترهات شيطانة مثلك عن تراب هذه الدار ؟!
- فأنا لم آت بريح كائننى سحاب ، حتى أعود من جراء غبار عن هذا الجنب .
- ٢٠٨٠- إن العجل مع ذلك النور صار قبلة للكرم ، والقبلة بدون ذلك النور صارت كفراً ووثناً .

- إن الإباحة التى جاءت من الهوى تكون ضلالاً ، والإباحة التى جاءت من الهدى صارت كمالاً !!

- لقد صار الكفر إيماناً وأسلم الشيطان ، فى تلك الناحية التى سطع فيها النور

الذى بلا حد .

- إنه مظهر العزة والمحسوب بحق ، وحاز على كل الملائكة المقربين قصب السبق .

- والسجود لآدم بيان عن سبقه ، والقشر دائماً ما يسجد للرب !!
٢٠٨٥- إنك تتفخين فى الشمع الإلهى أيتها العجوز ، وتحترقين أنت وباطنك يا ننتة الفم .

- فمتى يصير البحر نجساً من فم كلب ، ومتى تغيب الشمس من نفخة ؟!
- وحتى أن كنت تحكمين بالظاهر ، أى شئ أظهر من ذلك النور ؟! هيا ، قولى
- وكل الظواهر أمام هذا الظهور ، تكون فى غاية النقص ومنتهى القصور
- وكل من ينفخ فى الشمع الإلهى ، متى ينطفئ هذا الشمع ؟ إنه يحرق فمه !!
٢٠٩٠- وهناك خفافيش مثلك ترى كثيراً فى النوم أن الدنيا قد تيّمت من الشمس !!

- والأمواج المتلاطمة لبحار الروح ، هى مائة ضعف لما كان عليه طوفان نوح.

- لكن الشعر كان قد نبت فى عيني كنعان ، فترك نوحاً وسفينته ، وآوى إلى الجبل .

- وجرفت نصف موجة الجبل وكنعان فى تلك اللحظة حتى قاع المهانة .
- إن القمر يبسط نوره والكلاب تتبح ، ومتى يرتع الكلب فى نور القمر ؟!
٢٠٩٥- والسراة يرافقون القمر فى سيرهم ، ومتى يتركون سيرهم من نباح الكلاب ؟!

- والجزء مسرع نحو الكل إسراع السهم ، وحتى يتوقف من أجل عجوز فى

الغابرين؟!!

- والعارف هو روح الشرع وهو روح التقوى ، والمعرفة هي محصول ما سلف من زهد .

- والزهد هو السعى فى الزرع ، والمعرفة هي النمو لذلك الغراس .

- إذن فما دام الجهاد والاعتقاد بمثابة الجسد ، فإن روح هذا الغراس هو النمو والحصاد .

٢١٠٠- إنه هو المعروف وهو الأمر بالمعروف ، إنه كاشف الأسرار ، وهو الأسرار التى تكشف !

- إنه ملكنا اليوم وملكنا غدا ، والقشر عبد للبه العظيم دائماً .

- وعندما قال الشيخ : أنا الحق ، وفرض كلامه ، ضغط على حلق كل العميان .

- وعندما فنيت أنية العبد عن الوجود ، ما الذى يبقى إذن؟! فكر أيها الجحود .

- وإن كانت لك عين ، افتحها وانظر ، ما الذى يتبقى بعد "لا" آخر الأمر؟!!

٢١٠٥- ألا فلتقطع تلك الشفة والحلق والفم ، التى تبصق على القمر أو على السماء .

- فإن البصقة تعود إلى وجهها دون شك ، إذ لا تجد البصقة سبيلاً إلى الفلك .

- وحتى القيامة تنهمر عليها البصقات من الرب ، مثل "تبت" على روح أبى لهب.

- إن الطبول والرايات هي ملك السلطان ، وكلب ذلك الذى يدعو شرها أكولاً .

- والسموات عبيد لقمره ، والمشرق والمغرب كلاهما ، منقوت منه .

٢١١٠- ذلك أن " لولاك " موجودة على توقيعه ، والناس جميعاً فى انعامه

وتوزيعه .

- ولو لم يكن موجوداً لما دار الفلك ، ولما وجد النور ، ولما صار موضعاً للملائكة .

- ولو لم يكن موجوداً لما وجدت البحار الهيبة والأسماك والدر الملكي .

- ولو لم يوجد لما وجدت الأرض الكنوز في باطنها ، والياسمين على ظهرها ^(١)

- فالأرزاق نفسها طاعمة لرزقه ، والثمار ظمأى الشفاه لمطره .

٢١١٥- انتبه فهذه العقدة معكوسة في أمرها ، إنه معط الصدقة لمن يهبه الصدقة .

- إن لك من الفقير كل هذا الذهب والحرير ، هيا أيها الفقير واعط الزكاة للغنى .

- أكون عار مثلك زوجاً لمقبول الروح ، مثل تلك الزوجة الكافرة تحت نوح .

- ولو لم تكونى منسوبة إلى هذه الدار ، لمزقتك إرباً في التو واللحظة .

٢١٢٠- لكنى مع أهل "منزل" سلطان الزمن ، لا يتأتى هذا التعدى منى .

- اذهبى ، وداومى الدعاء ، فأنت كلبة في هذا الموطن ، وإلا لفعلت الآن ما ينبغى أن يفعل!!

عودة المريد من منزل الشيخ وسؤاله الناس

حتى دلوه على أن الشيخ ذهب إلى غابة كذا

- وبعد ذلك صار سائلاً كل إنسان ، وأخذ يبحث عن الشيخ كثيراً في كل صوب .

- ثم قال أحدهم "إن قطب الديار ، قد ذهب يحتطب في الجبل .

(١) ج ٥٠/١٤ :- ولو لم يكن موجوداً لما وجدت الجبال ، الذهب والياقوت والعقاقير دون سؤال .

- ولو لم يكن موجوداً لما وجدت الدنيا ، دون طلب منها الأرزاق التى لا حد لها .

- فذهب ذلك المرید ماض الفكر كذی الفقار سريعاً نحو الآجام فی هوی الشيخ .
٢١٢٥- إن الشیطان لا یزال یوسوس فی لب المرء حتی یختفی القمر فی
الغبار .

- "أخذ یتساءل" لماذا یتخذ شیخ الدین هذا مثل هذه المرأة رفیقاً وجلیساً فی
الدار ؟!

- ومن أين یكون إئتساض الضد مع الضد ؟! ومن أين یكون التسناس مع إمام
الناس ؟!

- ثم أخذ یردد الحولقة سریعاً قائلاً : اعتراضی علیه من قبل الكفر والحد !!
- فمن أكون أنا مع تصاریف الحق ؟ بحیث تأتي نفسی بالإشكالات
والاعتراضات ؟!

- وسريعاً ما كانت نفسه تهاجمه ، فیکون فی قلبه مما عرف كدخان القش .
- قائلة : أية نسبة للشیطان مع جبریل ، بحیث یصیر معه صاحباً ورفیقاً فی
القیلولة ؟!

- وكيف یستطیع الخلیل أن یألف مع النار ؟! وكيف یستطیع الدلیل أن ینسجم مع
قاطع الطریق ؟!

بلوغ المرید المراء ولقاؤه مع الشيخ بالقرب من تلك الأجمة

- كان مستغرقاً فی هذه الأفكار عندما ظهر الشيخ الشهیر سریعاً وقد امتطی
أسداً .

- كان الأسد الهصور یحمل عنه حطبه ، وفوق الحطب ركب ذلك السعید .

٢١٣٥- ومن شرفه كان سوطه ثعبان ، وقد أمسك به فی یده كالخیزران .

- فاعلم دائماً على سبیل الیقین أن كل شیخ موجود یمتطی الأسد الهائج !!

- فبالرغم من أن الأمر كان محسوساً عند ذاك وليس محسوساً عند هذا ، لكن هذا الأمر لا يلتبس على عين الروح .

- وهناك مئات الآلاف من الأسود تحت أفخاذهم ، ناظرة الى المستقبل عالمة بالغيب حاملة للحطب.

- لكن الله جعل الأمر محسوساً لواحد بعد واحد ، حتى يراه أيضاً من ليس برجل "الطريق"

٢١٤٠- وراه من على البعد وضحك ذلك العظيم وقال : لا تستمع إليها يامفتونا بالشیطان .

- لقد علم ضميره أيضاً ذلك الجليل، ومن نور القلب، إنه نعم الدليل !!

- تلا عليه ذو الفضائل ذاك ، ما حدث له بالتفصيل فى الطريق وحتى تلك اللحظة .

- ثم انطلق فى الحديث ذلك المتغنى بطلاوة ، عن مشكلة إنكاره للزوجة .

- وأن هذا التحمل ليس من هوى النفس ، هذا خيال نفسك أنت ، فلا تتوقف عنده .

٢١٤٥- وان لم يكن صبرى يتحمل ثقل امرأة ، فمتى كان الأسد الهصور يكون مسخراً لى ؟!

- إتنا جمال ذات سنامين فى سباق ، سكارى مجردون عن الذات تحت أثقال الحق !!

- ولست أنا فيما يتصل بأمر الله وقضائه بنصف ساذج حتى أفكر فى شناعة العوام .

- فأمره هو العام والخاص بالنسبة لنا ، وأرواحنا مسرعة على وجوها باحثة

عنه (١)

- وانفردنا واقتربنا ليس من الهوى ، وأرواحنا ككعب النرد فى يد الله
٢١٥٠- إننا نتحمل دلال تلك البلهاء ومائة مثلها ، لا عشقاً للونها ولا هياماً فى
رائحتها

- إن هذا القدر فى حد ذاته درس لمريدنا ، فإلى أى مدى يكون كر ملحمتنا
وفرها ؟!

- إلى أين ؟! إلى الموضع الذى لا طريق له ، فليس ثم إلا سنا قمر برق الله !!

- انه بعيد عن كل الأوهام والتصورات ، إنه نور فى نور فى نور .

- وان كنت قد نزلت "بمستوى" القول من أجلك ، حتى تأتلف مع الرفيق سيئ
الطبع .

٢١٥٥- حتى تحمل ضاحكاً وسعيداً أحمال الحرج ، من أجل "الصبر مفتاح
الفرج" !!

- وعندما تأتلف مع خسة هؤلاء الأخساء ، تصبح واصلاً فى نور السنن .

- فكثيراً ما ذاق الأنبياء إيذاء الأخساء ، وكثيراً ما تألموا من أمثال هذه
الأفاعى .

- ولما كان مراد الإله الغفور وحكمه فى القدم هو التجلى والظهور !!

- فلا يمكن اظهار الضد دون ضده ، ولم يكن هناك ضد لذلك المليك الذى لا
نظير له .

حكمة :

(١) ج ٦٨/١٤ :

- إننى بعيد عن استحسان الجميع وتشجيعهم ومفارق تكذيب الجميع وتصديقهم !!

إنى جاعل فى الأرض خليفة

- ٢١٦٠- ثم إنه جعل خليفة صاحب صدر ، حتى يكون مرآة لملوكيته
- ثم وهبه صفاء لا حدود له ، وحينذاك جعل له ضدا من الظلمة
- لقد رفع علمين ، أحدهما أبيض والآخر أسود ، أحدهما آدم والآخر ابليس الطريق .
- وبين هذين المعسكرين العظيمين ، نزاع وصراع ، وما جرى قد جرى .
- وكذلك فى النوبة الثانية ظهر هابيل ، ثم ظهر قابيل ضدا لنوره الطاهر .
- ٢١٦٥- وهكذا علما من العدل والجور ، حتى حل دور النمروذ فى الأدوار .
- صار ضدا لإبراهيم وخصما له ، وصار هناك عسكران متناحران متقاتلان .
- وعندما لم يرض سبحانه عن طول هذه الحرب ، كانت النار هى الفاصل بين هذين .
- فحكم النار وما تأتى من نكر ، حتى تحل مشكلة هذين الشخصين .
- ونوبة بعد نوبة وقرن بعد قرن لهذين الفريقين ، حتى نوبة فرعون مع موسى الشفيق .
- ٢١٧٠- لقد دارت الحرب بينهما لعدة سنوات ، وعندما جاوزت الحد ، وأخذ الملل يزداد .
- جعل الحق من ماء البحر حكما ، ليرى عن طريقه من يبقى ، ومن يسبق من هذين .
- وهكذا حتى دور المصطفى وطوره مع أبى جهل ، قائد جند الجفاء .
- كما جعل نكرا من أجل قوم ثمود ، الصيحة التى اختطفت أرواحهم .
- كما جعل نكرا من أجل قوم عاد ، الصرصر العاتية أى الريح .

٢١٧٥- كما جعل نكراً لقارون من حقه ، وأخفى غضبه فى حلم هذه الأرض .
- حتى صار حلم الأرض بأجمعه غضباً ، فحملت قارون وكنزه حتى القاع .
- واللقة التى هى عماد هذا الجسد ، والخبز الذى هو دفع لسيف الجوع كالمجن ،

- عندما يضع الحق قهراً فى خبزك ، يقف ذلك الخبز فى الحلقة كالخناق .
- وهذا اللباس الذى صار مجيراً من البرد ، يعطيه الحق مزاج الزمهرير .
٢١٨٠- حتى تصير تلك الجبة الثقيلة على جسدك باردة كالثلج واخرة كالبرد .
- حتى تهرب من الفراء وأيضاً من الحرير ، وتلجأ "هرباً" منها إلى الزمهرير .
- إنك لست بجرتى ماء ، إنك جرة واحدة ، وأنت غافل عن عذاب الظلة !
- لقد نزل أمر الحق إلى الدور والجدران فى المدن والقرى: لا تمنحوا ظلاً !
- لا تكونوا موانع للمطر والشمس ، حتى أهرعت الأمة إلى ذلك الرسول .
٢١٨٥- "صائحين" : لقد هلك أغلبنا ، الأمان ، أيها العظيم ، واقرأ بقيتها من كتب التفاسير .

- وكيف حول العصا إلى أفعى ذلك الماهر اليد ، وإن كان لك عقل تكفيك هذه النقطة .

- إن لك نظراً ، لكن لا إمعان فيه ، عين متجمدة وتوقفت !!
- ومن هنا يقول مصور الفكر ، أمعن النظر أيها العبد !!
- إنه لا يقصد قم بدق الحديد البارد ، لكنه يقصد القول : أيها الفولاذ طف حول داود .

٢١٩٠- فهل مات جسدك ؟! سقه نحو اسرافيل ، وهل تجمد قلبك ؟! سقه نحو شمس الروح !!

- إنك من كثرة ما اكتسيت من خيال ، تصل الآن إلى السوفسطائي سيء
الظن !!

- لقد كان هو نفسه معزولاً عن لب العقل ، فصار محروماً من الحس ، معزولاً
عن الوجود .

-- هيا ، واهزل في الكلام ، فهذا أوان الهزل ، وإن تحدثت إلى الخلق ، فهذه
فضيحة !!

- فما هو الإمعان ؟! إنه جعل العين تجرى ، وعندما تخرج الروح من البدن
تسمى بالفارسية "روان" أى جارية !!

٢١٩٥- وذلك الحكيم الذى نجت روحه من قيد البدن ، وصارت منتزهة في
الرياض ؛

- وضع إسمين لهذين للتفريق بينهما ، ليكن الثناء على روحه .
- وذلك عندما أراد أن يبين أن من يسير "مطيعاً" للأمر ، لو أراد الشوك ورداً ،
يكون له .

معجزة هود عليه السلام في تخليص مؤمنى الأمة

عند نزول الريح

- إن المؤمنين في سطوة الريح العاتية ، جلسوا جميعاً في دائرة^(١) .
- كانت الريح طوفاناً والسفينة لطفه ، فإن له إذن مثل هذه السفينة ومثل هذا
الطوفان^(٢) .

(١) ج : ٨٧/١٤ : - لقد رسم هود خطأً حول المؤمنين ، حتى لا يصيبهم أذى من الريح .

(٢) ج : ٨٧/١٤ : - كانت الريح طوفاناً وهو سفينة الرجاء ، فهناك الكثير من أمثال هذا الطوفان وهذه

السفينة !!

٢٢٠٠- إن الله سبحانه وتعالى يجعل من الملك سفينة ، حتى تصطف الجنود بناءً على حرصه .

- وليس قصد الملك أن يكون الخلق آمنين ، بل إن قصده أن يكون الملك راسخاً .

- إن حمار الطاحون يسرع وقصده الخلاص ، وحتى يجد في تلك اللحظة مهرباً من الضرب .

- وليس قصده أن يسحب الماء ، أو أن يجعل السمسم بذلك "الاسراع" زيتاً .

- والثور يسرع خوفاً من الضرب الموجه ، وليس من أجل "جر" العربة وحمل المتاع .

٢٢٠٥- لكن الحق وهبها مثل ذلك الخوف من الألم ، حتى تتم المنافع تبعاً لذلك .

- وهكذا كل كاسب في حانوته ، أنه يسعى من أجل نفسه لا من أجل إصلاح العالم .

- إن كل ملئ بالألم يبحث عن مرهم ما ، ومن هنا قام هذا العالم تبعاً لذلك .

- لقد جعل الله عماد هذا العالم من الخوف ، وانهمك كل واحد في عمل ما خوفاً على روحه !!

- والحمد لله أنه جعل من الخوف معماراً أو إصلاحاً للأرض على هذا النسق .

٢٢١٠- إن هؤلاء جميعاً خائفون من صالح وطالح ، ولا خائف قط يكون خائفاً من نفسه .

- إذن فهناك حاكم في الحقيقة على الجميع ، هو قريب وإن لم يكن محسوساً .

- إنه محسوس لا في مكان ، لكنه ليس محسوساً بحس هذه الدنيا بل هو حس

آخر .

- ولو كان حس الحيوان يرى هذه الصور ، لكان الثور وكان الحمار با يزيد

العصر والأوان !!

٢٢١٥- وذلك الذى جعل الجسد مظهراً لكل روح ، وجعل السفينة براقاً لنوح ،

- لو يشاء لجعل نفس السفينة وبطبعها طوفاناً لك يا باحثاً عن النور !!

- فلك فى كل لحظة طوفان وسفينة أيها المقل ، جعلها متصلة بحزنك

وسرورك .

- فان لم تر السفينة والبحر أمامك ، فانظر إلى الارتعاشات فى كل أعضائك !!

- وما دامت العيون لا ترى أصل خوفه ، فانها تخاف من خيال متلون .

٢٢٢٠- لقد لكم جلف ثمل أحد العميان ، ويظن الأعمى أن جملاً رفسه .

- ذلك أنه فى تلك اللحظة كان يسمع صوت بعير ، فالأذن مرآة الأعمى ،

وليست العين .

- ثم يقول الأعمى : لا ، لقد كان ذاك حجراً ، أو ربما كان من قبة مليئة

بالصدى !!

- وما كان الأمر ذاك ولا هذا ولا ذاك ، كلها أمور خلقها من الخوف .

- فالخوف والرعدة يكونان من الغير يقيناً ، ولا يخاف أحدٌ من نفسه أيها

الحزين !!

٢٢٢٥- وذلك الذى يدعو نفسه حكيماً يسمى الخوف وهماً ، لقد فهم هذا الدرس

فهماً سقيماً

- ومتى يكون وهم قط دون حقيقة؟! ومتى يصرف زيف قط دون صحيح؟!

- ومتى تكون للكذب قيمة دون صدق؟! إن كل كذب فى الدارين ظهر من

صدق!!

- لقد رأى للصدق رواجاً وضياءً ، وعلى أمل فى " الرواج والضياء " ساق الكذب .

- فيا أيها الكذاب الذى يكون له من الصدق ذلك الزاد ، أشكر النعمة ولا تكن منكراً للصدق .

٢٢٣٠- فهل أتحدث عن المفلس ونزوته ، أم أتحدث عن سفنه - تعالى - وعن بحاره ؟!

- بل عن سفنه ، فهى موعظة للقلب ، لأتحدث عن الكل ، والجزء داخل فى الكل .

- فاعلم أن كل ولى هو نوح والربان ، واعلم أن صحبة هؤلاء الخلق هى الطوفان .

- فلا تهرب من الأسد ، أو من الأفاعى الضخمة ، لكن كن على حذر من الأقارب والأصدقاء .

- فانهم يضيعون أيامك فى لقائهم ، ويلوكون سيرتك فى غيابك .

٢٢٣٥- وكل واحد منهم كالحمار الظمآن ، يمتصون الفكر كالشراب من إبريق الجسد .

- وخیال أولئك الوشاة قد جفف منك تلك القطرة التى لك من بحر الحياة .

- ان دليل جفاف الماء فى الغصون ، أنها لا تتحرك وتكون فى ركون .

- والعضو الحر غصن نضر ندى تجذبه ، فينجذب إلى كل صوب .

- فإذا أردته سلة تستطيع أن تجعل منه ذلك ، وان أردت منه قوساً استطعت أن تفعل ذلك .

٢٢٤٠- وعندما يصير جافاً ، فمن جفاف جذره ، لا يميل إلى تلك الناحية التي يجذبه إليها الأمر .

- فاقراً إذن من القرآن ﴿ قاموا كسالى ﴾ ، عندما لا يجد الغصن من جذره علاجاً .

- إن هذا الدليل ناري ، فلا أقصر فيه ، ولأتحدث عن الفقير وأحواله والكنز !!
- هل رأيت النار التي تحرق كل غصن ؟ أنظر إلى نار الروح فمناها يحترق الخيال!!^(١)

- فلا للحقيقة ولا للخيال منجاة في مثل هذه النار التي اندلع لهيبها من الروح .

٢٢٤٥- إنها خصم لكل أسد ولكل ثعلب ، ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ .

- فأنفق نفسك ، لوجهه ، وانمح ، مثلاً تدرج الالف في كلمة "بسم" .

- وهكذا فكل الحروف أصبحت مذهولة ، عند حذف الحرف من أجل الوصل .

- إنه وصل ، ومنه وجدت الباء والسين الوصل ، ووصل الباء والسين لم يتحمل الألف .

٢٢٥٠- وإذا كان حرف لا يتحمل هذا الوصال ، فمن الواجب أن أقصر في القول .

- وإذا كان من حرف فراق الباء والسين ، فأهم واجب هنا هو الصمت .

- وعندما صارت الألف من تلقاء نفسها في كنف الفناء ، فإن الباء والسين بدونها ينطقان الألف .

- و ﴿ ما رميت إذ رميت ﴾ ان قلتها ، دون أن تذكره ، فكأنك قلت ضمنها ، قال الله .

(١) ج : ٨٩/١٤ : إن الروح والقلب محترقان في نار العشق ، ولكن منها الروح والقلب في أنوار .

- والدواء ما دام قائماً لا عمل له ، فإن فنى ، يدفع العلل .
- ٢٢٥٥- فلو صارت الغابة أقلاماً والبحر مداداً ، فلا أمل هناك فى إتمام
المشوى !!
- فما دام ضارب الطوب يضع التراب فى القالب ، فإن كتابنا المشوى يقوم
بتقطيع الشعر .
- وان لم يبق تراب ، وجف منه الوجود ، فان بحرہ يصنع التراب عندما يزيد !!
- وعندما لا تبقى الغابة ، وتتمحى ، فان الغابات تطل من ذات البحر !!
- ومن هنا قال إله الفرج ، " حدثوا عن بحرنا إذ لا حرج " .
- ٢٢٦٠- فعد عن البحر واتجه إلى البر ، وتحدث عن اللعبة فهذا أفضل للطفل !!
- ومن اللعبة تصبح روحه فى الصبا ، عارفة قليلاً قليلاً ببحر العقل .
- فإن الصبى يجد العقل فى تلك اللعبة ، بالرغم من أنها فى الظاهر تناقض
العقل .

- ومتى يلعب الطفل المجنون؟! ينبغى أن يوجد الجزء ، حتى يفى إلى الكل .

عودة إلى قصة القبة والكنز

- والآن فإن خيال فقيرنا هذا الذى بلا رياء ، أصبح عاجزاً من قوله لى ، تعال ،
تعال ، "إلى قصتى" !!
- ٢٢٦٥- إنك لا تسمع صوته لكنى اسمعه ، ذلك لأتنبى نجيته فى الأسرار .
- فلا تنتظر إليه كطالب كنز بل أنظر إليه ككنز ، ومتى يكون الحبيب فى معناه
غير المحبوب ؟!
- إنه يسجد لنفسه فى كل لحظة ، والسجود أمام المرأة يكون من أجل الوجه!!
- ولو رأى من المرأة جزءاً صغيراً دون خيال ، لما بقى منه شئ قط .
- ولفنى هو ولفنيت كل خيالاته ، ولمحيث معرفته فى الجهل .

- ٢٢٧٠- وهناك معرفة أخرى تطل من جهلنا عياناً قائلة ، إني "إني أنا" (الله)!
- لقد كان النداء يجي دائماً : اسجدوا لآدم ، وأنتم آدم وترونه في أنفسكم لحظة ما .
- لقد أبعد الحُول عن عيونهم ، حتى صارت الأرض هي عين الفلك اللازوردى !!
- لقد قال "لااله" وقال "إلا الله" فصارت "لا إله إلا الله" وتفتحت الوحدة .
- وذلك الحبيب وذاك الخليل ذو الرشد ، حان الوقت كي يجرنا من آذاننا .
- ٢٢٧٥- "آخذاً إيانا" نحو العين قائلاً : اغسل فمك من هذه الأمور ولا تتحدث بما أخفيناه عن الخلق .
- حتى ولو تحدثت فلن تصير معلنة واضحة ، وتدان أنت وتجرم لأنك نويت الكشف .
- لكنني الآن أطوف حولها "متحدثاً بها" فأنا القائل ، وأنا أيضاً السامع !!
- وتحدث عن صورة الدرويش ، وصورة الكنز ، ان هذه الجماعة تدين بالآلم ، فتحدث عن الآلم .
- لقد صارت عين الراحة حراماً عليهم ، فهم يشربون من السم القاتل كأساً بعد كأس .
- ٢٢٨٠- فهم يجرون حجورهم وهي ملأى بالتراب ، حتى يجعلوا تلك العيون سداً جافاً .
- ومتى تصير هذه العين التي تستمد من البحر مطمورة من هذه القبضة من التراب الصالحة أو الطالحة؟!
- لكنها تقول "لقد ارتبطت بكم ، وأنا متصلة به" حتى الأبد بدونكم !!
- والقوم معكوسون في اشتهاهم ، صاروا آكلين للتراب تاركين للماء .
- وهؤلاء الخلق يناقضون طبع الأنبياء ، وهم يستندون على الأفاعي ، هؤلاء الخلق .
- ٢٢٨٥- فما دمت قد عرفت أن الختم رباط على العين ، فهل تعلم قط من أى شئ أغمضت عينيك ؟!

- وعلى أى شئ فتحت هذه العيون "واتخذته" بديلاً ، اعلم أنها واحدة بنس البديل لك .

- لكن شمس العناية قد أشرق ، فأدركت اليائسين من الكرم .
- ولعبت نرداً نادراً جداً من الرحمة ، فجعلت من عين الكفران إنابة!!
- ومن نفس ذلك الشقاء عند الخلق ، فجر ذلك الجواد مائتي عين للوداد !!
٢٢٩٠- ليعطى البرعمة مدداً من الشوك ، ويجعل فى قرن الحية "وسيلة" لجلب المحبة .

- ومن سواد الليل يخرج النهار ، ومن كف المعسر ينبت اليسار .
- ويجعل الرمل طحيناً من أجل الخليل ، ويجعل الجبل أواباً مع داود .
- وذلك الجبل المهول "المتلفع" بحجب الظلم ، يتغنى بصوب الرباب جهيراً وخفيضاً !!

- فانهض يا داود أيها النافر من الخلق ، لقد تركتهم فخذ العوض منا .

إنابة طالب الكنز إلى الحق بعد طلب شديد وعجز

واضطراب قائلاً : يا ولي الإظهار اكشف عن هذه الأسرار

٢٢٩٥- قال ذلك الدرويش : يا عالماً بالسر ، لقد سعيت سعياً لا طائل من ورائه فى سبيل هذا الكنز

- وشيطان الحرص والطمع والعجلة ، لا هو باحث عن التانى ولا عن التودة .
- إننى لم أحصل من القدر على لقمة واحدة ، وسودت كفى ، وأحرقت فمى .
- أننى لم أتحدث "عن الكنز" من نفسى ، فأنا غير موقن "بوجوده" ، ولا حل لهذه العقدة إلا من عاقدتها .

- وابحث عن تفسير قول الحق من الحق ، وانتبه لا تهزل من ظنك يا صفيق الوجه .

٢٣٠٠- إن الذى عقد هذه العقدة هو الذى يحلها ، ومن ألقى بكعب النرد هو الذى يخطفها .

- ولو بدى لك هذا الكلام سهلاً ، متى تكون الأسرار اللدنية سهلة ؟!

- قال : يارب لقد تبت عن هذه العجلة ، ومادمت قد أغلقت الأبواب ، فقم بفتحها .

- وها أنا قد عدت إلى فرقة "الفقر" مرة أخرى ، ولقد كنت في الدعاء أيضاً قليل الفضل .

- أين الفضل ؟ وأين أنا ؟! وأين القلب السليم ؟! هذا كله انعكاس لك ، بل هو أنت !!

٢٣٠٥- إن تديرى وعلمى كل ليلة في نوم مثل سفينة تغرق في الماء .
- فلا أنا أبقي ولا هذا الفضل ، والجسد قد ارتمى فاقد الوعي مثل جيفة .
- وطوال الليل وحتى الفجر ذلك المليك الأعلى ، يتحدث إلى قائل : ألسنت وبلى !!

- فأين القائل بلى ، ان كل شئ قد حملة السيل ، أو أن تمساحاً أكل كل شئ بدداً .

- وعند تنفس الصباح ، عندما يشرع سيفه المهند من غلاف ظلمة الليل .
٢٣١٠- وتطوى شمس المشرق الليل ، يقيء ذلك التمساح كل ما أكله .
- وتتجو - مثل يونس - من بطن ذلك الحوت ، وتنتشر في "عالم" الروائح والألوان .

- ويسبح الخلق كأنهم يونس ، عليه السلام ، فقد كانوا في تلك الظلمات في غاية الراحة .

- وكل واحد منهم يقول عند السحر ، عندما يخرج من بطن حوت الليل :
- يا أيها الكريم ، إنك في ذلك الليل الموحش تضع كنز الرحمة وعديدا من اللذات .

٢٣١٥- فالعين حادة والأذن واعية والجسد خفيف ، من الليل ذى الطرق الذى هو كالتمساح .

- ومن المقامات ذات الوجه الكريمه ، من الآن فصاعدا لن نهرب أبدا ، مع وجود مثلك .

- لقد رآها موسى عليه السلام ناراً وكانت نوراً ، ورأينا الليل زنجياً ، وكان من الحور .

- ومن بعد ، لن نطلب بصرأ إلا منك ، حتى لا يغطى البحر القذى والغثاء .
- وعندما نجت عيون سحرة "قرعون" من العمى ، كانوا مصفقين بدون هذه الأيدي والأقدام .

٢٣٢٠- فلا كمامة على عيون الخلق إلا الأسباب ، وكل من يرتعد من أجل السبب ليس من الأصحاب .

- لكن الحق - يا أصحابنا - فتح الباب للأصحاب وحملهم إلى صدر القصر .

- ومن كفه ، المستحق وغير المستحق ، عتقاء الرحمة من قيد الرق .
- فمتى كنا مستحقين فى العدم ؟ حتى عثرنا على هذه الروح وعلى هذه المعرفة^(١).

- ويا من جعلت كل الأغيار صحاباً ، ويا من أعطيت الشوك خلعة الورد .
٢٣٢٥- اجعل ترابنا مزرعة ثانية ، ومرة ثانية ، اجعل اللاشئ شيئاً .
- إنك أمرت بهذا الدعاء من البداية ، وإلا فمتى كانت للتراب جرأة عليه ؟ !
- وما دمت قد أمرتنا بالدعاء ، واعجبنا من هذا الأمر ، اجعل دعاءنا هذا مجاباً .
- إن سفينة الفهم والحواس كسيرة فى الليل ، فلا أمل بقى ولا خوف ولا يأس .
- وحملنى إلهى فى بحار الرحمة ، حتى يملأنى بكل فن ، ثم يرسلنى .
٢٣٣٠- ولقد جعل أحدهم مليوناً بنور الجلال ، وجعل آخر مليوناً بالوهم والخيال .
- ولو كان عندى أى رأى أو أى فضل ، لكان رأى وتديبرى فى حكمى .
- ولما ذهب عني وعيى ليلاً دون أمر منى ، وظلت طيورى تحت شباكى .
- ولكنت عالماً بمنازل الروح عند النوم ، وانعدام الوعى ، والامتحان .
- وما دامت كفى فارغة من حله وعقده ، عجباً !! ممن يكون اعجابى هذا بنفسى ؟

٢٣٣٥- لقد تجاهلت كل ما رأيته ، وحملت ثانية زنبيل الدعاء .
- اننى كالألف ، لا أملك شيئاً أيها الكريم ، كالألف ليس لى إلا قلب أضيق من عين الميم .
- وان هذه الألف وهذه الميم هى أم وجودنا ، فميم الأم ضيقة ، والألف منها شحاذ ملحاح .
- وتلك الألف التى لا تملك شيئاً هى الغفلة ، والميم الضيقة فى ذلك الزمان هى العقل .
- وفى زمان انعدام السوعى ، أنا نفسى لا شئ ، وفى زمان الوعى أنا فى التواء .
٢٣٤٠- فلا تضع شيئاً آخر قط على مثل هذا الهباء ، ولا تسم هذا الالتواء بالدولة .
- فأنا فى حد ذاتى لا أملك شيئاً يجعلنى حسناً ، مادمت أملك من هذا الوهم مائة عناد .

(١) ج : ١١٢/١٤ : وائ استحقاق كان لنا فى العدم ، حتى ظهر لنا مثل هذا العقل ومثل هذه الروح .

- ففي املاقي هذا اجعلني مالكا ، ولقد عانيت الألم ، فزد في راحتى .
- لقد وقفت عارياً على بابك فى دمع عيني ، إذ لا عين لى .
- فامتح دمع عين الذى لا بصيرة له ، خضرة ونباتاً فى هذا المرعى .
- ٢٣٤٥- وان لم يبق لى دمع فامنحنى الدمع من العين ، كعيني النبى الهطالتين .
- وعندما طلب - عليه السلام - دمع العين من الحق ، مع مثل ذلك الاقبال والإجلال والسبق.

- فكيف لا أكون أنا قريناً للدمع الدموى نحىلاً ، أنا الفارغ اليد القاصر لاقق الاطباق .

- وما دامت مثل تلك العين مفتونة بالدمع ، ينبغي أن يكون دمعى أنا مثل مائة نهر من أمثال جيجون .

- بل أن قطرة منه أفضل من مائتى جيجون ، فالإنس والجن قد نجوا بتلك القطرة .

٢٣٥٠- وما دامت تلك الروضة من رياض الجنة قد بحثت عن المطر ، فكيف لا تطلب الأرض البور القبيحة الماء ؟!

- ويا أخى لا تقلع عن رفع يديك بالدعاء ، فما شأنك أنت باجابته "جل وعلا" أو برده ؟!

- والخبز الذى يكون سداً ومائناً لهذا الماء ، ينبغي أن تنفض اليد من ذلك الخبز سريعاً .

- فاجعل نفسك مترناً وجلداً وصلباً ومؤثلاً ، وانضج خبزك من دمع العين .

نداء الماتخ لطالب الكنز وإعلامه بحقيقة أسرارهِ

- وبينما كان "مستغرقاً" فى هذا الأمر ، إذ أتاه الالهام ، وكشف له من الهمة عن هذه المشكلات .

٢٣٥٥- لقد قال لك ضع سهماً فى القوس ، ومتى قيل لك : شد وتر القوس .

- إنه لم يقل لك : شد القوس جيداً ، قال لك : ضعه فى القوس ، ولم يقل : أطلقه من القوس .

- ومن فضولك شددت القوس تماماً ، ومارست صنعة القواس .

- فاترك شد القوس وامض ، وقل : ضع السهم فى القوس ، ولا تطلقه .
- وعندما يسقط ، احفر ، واطلب من ذلك المكان ، واترك القوة وابحث عن الذهب بالضراعة.
- ٢٣٦٠- فما هو حق أقرب إليك من حبل الوريد ، وأنت القيت بسهام الفكر بعيداً بعيداً .
- وانت أعددت القوس والسهم ، والصيد قريب وأنت أطلقتته بعيداً^(١) .
- وكل من أطلقه أكثر بعداً يكون هو نفسه أكثر بعداً ، ويكون مهجوراً أكثر من ذلك الكنز .
- لقد قتل المتفلسف نفسه من الفكر ، فقل له أسرع ، والأعمى ظهره دائماً إلى الكنز .
- قل له "أسرع" وكلما زادت سرعته ، ازداد بعداً عن مراد القلب .
- ٢٣٦٥- لقد قال ذلك المليك "جاهدوا فينا" ولم يقل "جاهدوا عنا" أيها القلق .
- مثل كنعان الذى غادر "ما اعتبره" عاراً من نوح، نحو قمة ذلك الجبل المهيّب.
- وكلما جاهد أكثر فى الخلاص "سعيًا" صوب الجبل ، كان يصير أكثر بعداً عن الملجأ والمناص .
- مثل ذلك الدرويش ، من أجل الذهب ، كان كل صباح يبحث عن قوس أشد .
- وكلما نال قوساً أكثر شدة ، كان يصير أبعد وأكثر حرماناً من الكنز وأماراته .
- ٢٣٧٠- أن هذا المثل حيوى فى زماننا ، وهو أن التعب رخيص على روح الجاهل .
- ذلك أن الجاهل يشعر بالعار من "محضر" الأستاذ ، فلا جرم أنه ذهب ، واستقل بحانوت .
- وهذا الحانوت الذى يعلو على الأستاذ أيها الجميل (!!) نتن وملئ بالعقارب وملئ بالحيات.
- هيا ، أغلق هذا الحانوت سريعاً وعد ، نحو الحضرة وأيكات الورد ونبع الماء .
- لا مثل كنعان ، الذى من الكبر والجهل ، جعل من الجبل العاصم سفينة فوز .
- ٢٣٧٥- فكان علمه بالرمى حجاباً عليه ، وكان مراده ذاك حاضراً فى جيبه !!.

(١) ج : ١٢٧/١٤ - وكل من هو بعيد بعيد عن وجهه ، انما يجرب قوة ساعده .

- ورب علم وذكاء وقطن ، صارت للسالك كأنها الغول وقاطع الطريق .
- وأكثر أصحاب الجنة هم البله ، ذلك أنهم يتخلصون من شر التفلسف .
- فاجعل نفسك عريانا من الفضل والفضول ، حتى تنزل عليك الرحمة في كل لحظة .

- واعلم أن التذاكي هو ضد الاتكسار والضراعة ، فاترك التذاكي ، وتعود على البله .

٢٣٨٠- فاعلم أن التذاكي هو شبكة الكسب والطمع والعض "بالنواجذ" ، فحتام يطلب المقامر بطهر ، الذكاء.

- لقد قنع الأذكىاء بصنعة ما ، أما البلهاء فقد انتقلوا من الصنع إلى الصانع .
- ذلك أن الأم تكون للطفل الصغير نهراً ، يداً وقدماً وتضعه في أحضانها !! .

حكاية المسافرين الثلاثة المسلم والمسيحي واليهودي

الذين تلقوا صدقة بأحد المنازل ، وكان المسيحي واليهودي شبعين ،

فقالا : لنأكل هذه الصدقة غداً ، وكان المسلم جائعاً فبقى جائعاً ،

إذ كان مضطراً !!

- استمع إلى حكاية هنا يا بني ، حتى لا تصبح في ادعائك الفضل ممتحنا .
- لقد ترافق يهودي ومؤمن ومسيحي في سفر .
- ٢٣٨٥- كان المؤمن رفيقاً في الطريق لضالين ، مثلما يكون العقل مع النفس ومع الشيطان .
- لقد تصادف أن مروزيأ ورازياً ترافقا وتأكلا من جراء السفر .
- وحبس غراب وبومة وبازي في قفص واحد ، واقترن الطاهر مع النجس في السجن .
- ونزلوا في منزل ما ذات ليلة ، أهل الشرق وأهل الغرب وما وراءهما .
- وبقي في المنزل الصغير والعظيم ، لعدة أيام "محبوسين" من البرد والبرد .
- ٢٣٩٠- وعندما انفتح الطريق ، ويسرت الصعاب ، تفرقوا وذهبت كل جماعة إلى مكان .
- وعندما يكسر عليك العقل القفص ، تطير جماعة الطيور ، كل نحو صوب ما .

- ويبسط "كل طائر" الجناح ، وقبل الجناح الشوق والذكرى ، فى هوى جنسه . صوب المعاد .
- يبسط الجناح كل لحظة مع الدمعة والآهة ، لكن لا وجهة له ولا وجه للطيران .
- وعندما يفتح الطريق يطير كل سرب مثل الريح ، نحو ذلك الذى كان يبسط الجناح على ذكراه .
- ٢٣٩٥- وتلك الناحية التى كانت دمعه وآهته متوجهة إليها ، تكون طريقه عندما يجد الفرصة.
- فانظر فى جسدك إلى أعضاء الجسد ، من أى الأماكن قد تجمعت فى البدن .
- فهى مائية وترابية وهوائية ونارية وعرشية وأرضية ورومية وكشية^(١) .
- وعلى أمل العودة ، اتخذ منها ركناً فى هذا الخان خوفاً من البرد .
- والبرد متنوع ، وجمود كل جماد ، فى شتاء البعد عن شمس العطاء تلك .
- ٢٤٠٠- وعند تسطح حرارة شمس الغضب تلك ، يصير الجبل حيناً كالرمل وحيناً كالعهن.
- وتأخذ الجمادات الثقيلة فى الذوبان ، مثل ذوبان الجسد عند انتقال الروح .
- وعندما وصل هؤلاء الرفاق الثلاثة إلى منزل ، أحضر لهم جواد هدية من الحلوى.
- حمل محسن الحلوى لهؤلاء الغرباء الثلاثة من المطبخ الإلهى القريب .
- جاء لهم بخبز ساخن وطبق من الحلوى بالعسل ، حملها إليهم ذلك الذى كان آملاً فى الثواب .
- ٢٤٠٥- "الكياسة والأدب لأهل المدر ، والضيافة والقرى لأهل الوبر .
- الضيافة للغريب والقرى ، أودع الرحمن فى أهل القرى .
- كل يوم فى القرى ضيف حديث ، ماله غير الإله من مغيث .
- كل ليل فى القرى وفد جديد ، ماله ثم سوى الله محيد^(٢)!!

(١) من كش فى تركستان

(٢) ما بين القوسين بالعربية فى المتن .

- كان هذان الغريبان متخمين من الطعام ، ولعل ذلك المؤمن كان صائماً ذلك اليوم .

٢٤١- وعندما وصلت تلك الحلوى عند صلاة المغرب ، كان المؤمن قد بقي في جوع شديد .

- وقال هذان الشخصان : إننا ممثلتان من الطعام ، فلندخره الليلة ، ولنأكله في الغد .

- لنصبر الليلة ، ولنمتنع الليلة عن الطعام ، ولندخر هذا الطعام الطيب للغد .

- قال المؤمن : لنأكل هذا الطعام الليلة ، ولندخر الصبر إلى الغد .

- فقالا له : إن هدفك في هذه الحكمة هو أن تأكل وحدك .

٢٤١٥- فقال : أيها الرفيقان ، ألسنا ثلاثة؟! فما دام الخلاف قد قوع بيننا ، لنقتسم .

- ومن أراد أن يأكل نصيبه ليأكله ، ومن أراد أن يدخره إلى الغد ليدخره .

- فقالا له : دعك من القسمة ، واستمع إلى ما جاء في الخبر من أن القسام في النار .

- قال : إن القسام هو ذلك الذي قسم نفسه بين الهوى وبين الله .

- فالملك للحق ، وكل شيء له ، وإن أعطيت نصيباً لآخر فانت تئوى .

٢٤٢٠- وكان لهذا الأسد أن يتغلب على الكلاب ، لو لم تكن النوبة ، نوبة هذين الخبيثين .

- كان هدفهما ، أن يتجرع ذلك المسلم الحزن ، وإن يمر عليه الليل وهو جائع .

- فكان مغلوباً لهما ، فقال بتسليم ورضا : سمعاً وطاعة أصحابنا .

- فناموا تلك الليلة ، ثم استيقظوا في الصباح ، واتخذوا زينتهم .

- غسلوا وجوههم وأقفاههم ، وكل واحد منهم ، كان له في ورده طريق ومسلك .

٢٤٢٥- وكل منهم يمم بوجهه فترة ما ، إلى ورده ، طالبا فضل الحق .

- فالمؤمن والمسيحي واليهودي والجبري والمجوسى ، كلهم متجهون لذلك السلطان العظيم^(١)

(١) ج : ١٤/١٣٥ : - والمؤمن واليهودي والمسيحي والطيب والشرير ، كلهم متجهون صوب الأحد .

- بل إن الحصى والتراب والجبل والماء ، لها عودة خفية إلى الله .
- وهذا الكلام لا نهاية له ، فهؤلاء الثلاثة التفوا حول بعضهم البعض تلك اللحظة كما يفعل الأصدقاء .
- قال أحدهم : ليقص كل منكم ما رآه ليلة أمس في النوم على الآخرين .
- ٢٤٣- وكل من رؤياه أفضل من الآخرين يأخذ هذه الحلوى ، والأفضل يأخذ نصيب كل مفضول .
- وكل من يمضى في "مدارج" العقل أعلى ، يكون طعام الجميع طعاماً له .
- فان روحه المليئة بالأنوار تفوق الجميع ، وحسب الباقيين أن يقوموا برعايته .
- وإذا كان البقاء للأبد "تصيباً" للعقلاء ، إذن فهذه الدنيا تكون باقية ، ببقاء المعنى .
- ثم روى اليهودي ما رآه ، وإلى أى مدى تجولت روحه في الليل .
- ٢٤٣٥- وقال : "لقد تقدمنى موسى في الطريق" ، أجل فإن القط يحلم بالشحمة .
- وسرت خلف موسى حتى جبل طور ، وصرنا ثلاثتنا مختلفين في النور .
- وكل هذه الظلال الثلاثة محيت في الشمس ، وبعد ذلك صار من ذلك النور فتح الباب.
- وبزغ نور آخر من قلب ذلك النور ، وطلب ذلك النور الحائر السمو على الفور .
- وضاع ثلاثتنا ، موسى ، وأنا ، والطور من ذلك الاشرار للنور .
- ٢٤٤- ثم رأيت الجبل قد انشق إلى ثلاثة فروع ، عندما نفخ فيه نور الحق.
- وعندما تجلى عليه بصفة الهيبة ، أخذ يتفسخ عن نفسه ويمضى نحو كل صوب .
- فذهب فرع منه إلى اليم ، فصار الماء المالح كالسم ، حلوا .
- وذلك الفرع الذى غاص فى الأرض ، انبتت منه عين دواء معينة .
- بحيث صار الماء شفاء لكل المرضى ، من عظمة الوحي المستطاب .
- ٢٤٤٥- وذلك الفرع الثالث طار سريعاً ، حتى صار إلى جوار الكعبة وأصبح جبل عرفات .

- ثم إننى عندما أفقت من هذه الصعقة ، كان الطور فى موضعه دون زيادة أو نقصان .
- لكنه كان تحت قدم موسى يذوب كالتلج ، لم تبق له أصول أو فروع .
- إو أن الجبل من رعبه صار أرضاً مستوية ، أو صار ارتفاعه من الهيبة انخفاضاً .
- ثم اننى عدت إلى وعيى من هذه التفرقة ، فرأيت الطور وموسى مستقرين .
- ٢٤٥٠- وتلك الصحراء الموجودة فى سفح الجبل ، مليئة بالخلق ، وجوههم تشبه وجه موسى .
- وعصيتهم كعصاه وخرقتهم كخرقته ، وجميعهم يسرعون صوب الطور مشمري الثياب .
- وكلهم رفعوا أكفهم بالدعاء ، وأخذوا جميعاً يتغنون بنغمة "أرنى" .
- ثم اننى عندما أفقت من هذه الغشية سريعاً ، ظهر لى وجه كل منهم على شكل آخر .
- كانوا جميعاً من الأنبياء ، من أهل الود ، وفهمت "معنى" اتحاد الانبياء .
- ٢٤٥٥- ثم أخذت أرى ملائكة عظام ، كانت صورهم من أجرام البرد .
- وفى حلقة أخرى ملائكة آخرون يطلبون العون "من الله" ، وجوههم جميعاً نارية .
- وعلى هذا النسق أخذ ذلك اليهودى يتحدث ، إذن فقد كان يهودياً محمود العاقبة .
- فلا تنتظر إلى أى كافر قط باحتقار ، فهناك أمل فى أن يموت مسلماً .
- فان علم لك بختام عمره ، حتى تحول عنه الوجه تماماً .
- ٢٢٦٠- ثم بدأ المسيحى فى الكلام ، قائلاً ، لقد أبدى لى المسيح وجهه فى المنام .
- ومضيت معه حتى السماء الرابعة ، مركز شمس الدنيا ومثواها .
- وقلاع السموات فى حد ذاتها من العجائب ، ولا نسبة لها بآيات الدنيا .
- وكل انسان يعلم يا فخر البنين ، ان فنون الفلك تزيد عن "فنون" الأرضيين .

حكاية الجمل والثور والكبش

الذين وجدوا في الطريق بعض العشب ،

وأخذ كل منهم يقول : أنا آكله

- كان جمل وثور وكبش يسرون معاً ، ووجدوا في طريقهم حزمة من العشب .
- ٢٤٦٥- فقال الكبش ، لو أننا قسمنا هذا يقيناً ، فلن يشبع منه أحد .
- لكن من كان منا أكبر سناً من الآخرين ، فله أن يأكل هذا العشب .
- ذاك أن تقديم الشيوخ ، ورد في سنن المصطفى عليه السلام .
- بالرغم من أن الشيوخ في عصر اللئام هذا ، يقدمهم العوام في موضعين :
- إما في الطعام الذي يكون ساخناً ، أو على ذلك الجسر الذي يكون مهدماً من الخلل .

- ٢٤٧٠- فالعامي لا يخدم شيخاً أو عظيماً أو قائداً ، إلا بقرينة فاسدة .
- وهذا خيرهم ، فما بالك بشرهم ، واعلم قبحهم "بالقياس" إلى جمالهم .

مثل

- كان أحد الملوك يتقدم نحو المسجد ، وكان النقيب والمطرق يضربان الناس .
- كان المطرق يشج رأس أحدهم ، وكان النقيب يمزق ثوب آخر .
- ومن بينهم كان هناك محزون تلقى عشرة ضربات من العصا دون ذنب إلا أن يتتحي عن الطريق .

٢٤٧٥- فاتجه إلى الملك ودمه يسيل قائلاً ، انظر إلى الظلم الظاهر ، فما بالك بالخفي ؟

- وهذا خيرك وأنت ماض إلى المسجد أيها الغوى ، فما بالك بشرك ووزرك .
- ولا يسمع شيخ سلاماً من خسيس ، دون أن يلتوى "ألماً" منه في النهاية .
- وان يظفر الذئب بالولى أفضل له من أن تظفر به النفس الأمارة .
- لأنه مهما كان الذئب ظالماً ، لكن ليس عنده حيلة أو مكر أو كيد .
- ٢٤٨٠- وإلا متى كان يسقط في الفخ ، لكن المكر عند الانسان شديد .^(١)
- قال الكبش للثور والجمل ، يا رفيقى ، ما دمنا قد اتفقنا على هذا ،

(١) ج: ١٤٦/١٤ - ومكره أنه يظن أنه صاحب الكرم يسمع صوت "المتظلم" ويقول أنا الكرم .

- فليذكر كل واحد منا عمره ، والأكبر سناً أولى "بالعشب" وعلى الباقين الرضا .
- قال الكبش ، إن المرج الذى كنت أرعى فيه فى تلك العهود كان نفس مرج الكبش الذى فدى اسماعيل .
- وقال الثور أنا أسن منك ، فأنا زوج تلك البقرة التى زوجها آدم .
- ٢٤٨٥- أنا زوج تلك البقرة التى كان آدم جد البشر يحرق بها الأرض .
- وعندما سمع الجمل ذلك من الكبش والثور تعجب ، مد رأسه إلى الأرض وحمل العشب .
- ورفع إلى الهواء تلك الحزمة من القصيل ، ذلك الجمل الأصيل سريعاً بلا قال أو قيل .
- قائلاً : لا حاجة بى إلى التاريخ ، وأنا لى هذا الجسد "العظيم" والرقبة العالية .
- وكل انسان يعلم يا روح أبيكما ، أنتى لست بالأصغر منكما .
- ٢٤٩٠- كما يعلم كل أصحاب النهى ، أن وجودى وأصلى زائد عما لكما .
- والناس جميعاً يعلمون أن هذا الملك العالى ، هو مائة ضعف قدر هذا التراب الذليل .

- فأين فسحة رقاع السماء من أصل بقاع المتربة ؟!

جواب المسلم بما رآه على رفاقه اليهودى والمسيحي

وحسرتهما على الطعام

- ثم قال المسلم : يا رفيقى ، لقد جاء الى المصطفى سلطانى. (١)
- وقال لى : لقد أسرع ذاك الى الطور ومع كليم الحق لعب نرد العشق .
- ٢٤٩٥- وذلك الآخر حمله عيسى صاحب القران إلى أوج السماء الرابعة .
- فانهض أيها العاجز المضروب ، وكل هذه الحلوى .
- إن هذين الفاضلين الممثلين بالفضل قد انطلقا ، وقرأ كتاب الإقبال والمنصب .

(١) ج: ١٦٥/١٤ - سيد السادات سلطان الرسل ، مفخر الكونين هادى السبل .

- وأدرك هذان الفاضلان فضليهما ، واشتبكا مع الملائكة فى الفضل .
- فهيا أيها السليم المخدوع المتروك فى المؤخرة ، انهض واجلس الى طبق الحلوى .

٢٥٠٠- فقالا له : إذن وأنت الحريص ، أكلت ويا للعجب تلك الحلوى ؟
- قال : ما دام قد أمر ذلك الملك المطاع ، من أكون أنا حتى امتنع عن تلك "الحلوى" ؟

- فهل تعصى أيها اليهودى أمر موسى إذا دعاك إلى خير أو شر ؟
- وأنت أيها المسيحي اتجرؤ على الإشاحة بوجهك عن أمر المسيح فى خير أو شر ؟

- فكيف أعصى أنا فخر الانبياء ؟ لقد أكلت الحلوى ، وأنا سعيد بهذا الآن .
٢٥٠٥- فقالا له : والله إنها رؤيا صادقة ، التى رأيتها أنت وهى أفضل من مائة رؤيا عندنا .

- إن حلمك يقظة يا صاحب السعادة ، فآثره واضح للعيان عند اليقظة^(١) .
- فدعك من الفضل والمهارة والفن ، فان هذا الامر يحتاج الخدمة والوجه الحسن .

- ومن أجل هذا خلقنا الله تعالى ، إذ «ما خلقت الانس الا ليعبدون» .
- فماذا أفاد السامرى ذلك الفضل ، إلا أنه رده عن باب الله .
٢٥١٠- وماذا استفاد قارون من الكيمياء ، أنظر إلى الأرض وقد ابتلعتة فى قاعها ؟

- وماذا كسب أبو جهل فى النهاية من حيلته؟ ، ذهب منقلباً من الكفران الى سقر .

- فاعلم أن فضله ذاك هو أنه رأى النار عياناً ، لا "كما دل على النار الدخان" .
- ويا من دليلك اكثر نتنا عند اللبيب ، فى الحقيقة من دليل ذلك الطبيب .

(١) ج: ١٦٥/١٤ - ان حلمك يقظة يا حسن الأصل ، فقد وصلت فى منامك إلى المراد

- وحلمك يقظة يا حسن الطوية ، فمن نومك جاعك الأمر بـ "كلوا"

- وحلمك يقظة أيها الرجل الطيب ، فمن حلمك هذا اصفر وجهانا

- وحلمك يقظة يا شبع الروح ، فقد رأيت عياناً بياناً

- وحلمك مثل حلم الانبياء ، صار حقيقة نون تعبير .

- فان لم يكن دليلك سوى هذا يابنى ، كل الغائط وداوم النظر الى البول .
- ٢٥٢٥- ويا من دليلك مثل تلك العصا فى كفك دل على عيب العمى^(١)
- فتمة ضجة وقعقة وهرج ومرج وخذ وقيد ، وأنت قائل ، اننى لا أرى ، فاعذرنى .

نداء سيد ملك ترند أن كل من يذهب إلى سمرقند في ثلاثة أو أربعة أيام في مهمة كذا أعطيه خلعة وجواداً وعلماً وجارية وذهباً كثيراً ، وسماع المهرج خبر هذا المنادى في القرية ومجيئه في خيل البريد إلى الملك قائلاً : أنا لا أستطيع الذهاب

- كان عند سيد ملك ترند مهرج على وعى .
- وكان لدى الملك أمر مهم في سمرقند ، فبحث عن رسول ينجزه .
- فأمر بالنداء بأن كل من يأتينى بخبر من هناك في خمسة أيام ، أهبه الكنوز .
- ٢٥٢٠- كان المهرج في القرية وسمع بذلك ، فركب وأخذ يجد في السير إلى ترند .

- ونفق جوادان في ذلك الطريق ، من سوق الجياد على ذلك النمط .
- ودخل إلى الديوان مسرعاً بتراب الطريق ، في وقت غير مناسب واتخذ طريقه إلى الملك .
- ووقع اللغط في كل الديوان ، ووقر القلق في قلب ذلك السلطان .
- وهلعت قلوب كل الخواص والعوام في المدينة ، ترى أى اضطراب حدث وأى بلاء نزل .

- ٢٥٢٥- ترى ، أهاجم عدو قاهر علينا؟! أو هل نزل بنا بلاء مهلك من الغيب؟!
- بحيث دفع المهرج إلى السير الجاد ، بحيث قتل عدة جياد عربية في الطريق؟
- واجتمع الخلق على قصر الملك متسائلين ، لماذا جاء ذلك المهرج سريعاً هكذا؟

- فمن سرعته هذه ومبالغته في الجهد ، وقعت الضجة والاضطراب في ترند .
- فهذا ضارب بيديه على ركبتيه ، وذاك من الخوف صارخ وا ويلاه .

(١) ج: ١٦٦/١٤ - إن دليلنا مثل فكرنا قليل ، وكثرتنا عند العلماء قليلة .

- ٢٥٣٠- ومن الرعب والفتنة وخوف النكال ، ذهب كل قلب إلى مائة حى من أحياء الخيال .
- وأخذ كل انسان يحدث حدساً من القياس ، ترى أى نار وقعت فى الغطاء ؟!
- طلب المثل ، وأعطاه الملك الإذن على الفور ، وعندما قبل الأرض بين يديه ، سأله : هه ، ماذا حدث ؟
- كان كل من يسأل عن الحال من ذلك العبوس ، كان يضع يده على شفيه بما يعنى : صمتاً .
- فكان الخوف يزداد من وقاره ذاك ، وصار الجميع من القلق محمقين فيه .
- ٢٥٣٥- وأشار المهرج ، قائلاً : يا مليك الكرم ، أمهلنى لحظة حتى التقط أنفاسى .
- وحتى يعود إلى عقلى لحظة ، فقد سقطت فى عالم عجيب .
- وبعد برهة ، تمرر فيها خلق الملك وفوه من الوهم والظن .
- إذ لم يكن قد رأى المهرج على هذه الحال ، فلم يكن هناك جليس أكثر منه مرحاً .
- كان دائماً ما ينشر المزح والقصص ، كان يجعل الملك ضاحكاً سعيداً .
- ٢٥٤٠- وكان يجعله ضاحكاً فى مجلسه بحيث يمسك الملك بطنه بكلتا يديه .
- حتى لا يهن جسده من قوة الضحك ، ويسقط على وجهه .
- ثم هو اليوم شاحب عبوس إلى هذا الحد ، يضع يده على شفته بما يعنى صمتاً أيها الملك .
- كان هناك وهم فى وهم وخيال فى خيال ، تطوف بالملك، ترى ماذا يأتى من نكال ؟!
- فقد كان الملك مهموماً خائفاً ، ذلك أن خوارزم شاه كان ممعناً فى سفك الدماء.
- ٢٥٤٥- وكان قد قتل كثيراً من ملوك تلك الناحية ، إما حيلة ، وإما سطوة ، ذلك العنود .

- و ملك ترمذ كان أيضاً يخشاه ، وزاد وهمه هذا من ألعيب المهرج .
- فقال ، هيا ، أسرع قل ما حدث ، فمم اضطرا بك وقلقك هذا ؟
- قال : لقد سمعت فى القرية ان الملك ، وضع منادياً على مفترق كل طريق .
- هاتفاً ، أريد شخصاً يسوق لثلاثة أيام حتى سمرقند وأعطيه الكنوز .
- ٢٥٥٠ - أعطيه الكنوز فى المقابل ، عندما يتم الغرض من أداء الرسالة .
- وأنا أسرعت إليك ، من أجل أن أقول لك ، إننى لا أستطيع هذا .
- إن مثل هذه المهارة لا تتأتى من مثلى ، فلا تأمل هذا فى .
- قال الملك : اللعنة على سرعتك هذه ، التى أحدثت مائة ضجة فى المدينة .
- أمن أجل هذا القدر أيها الساذج الغفل أضرمت النار فى المرج والعشب ؟!
- ٢٥٥٥ - مثل أولئك السذج نوى الطبول والأعلام ، يصيحون نحن الرسل المسرعون فى الفقر والعدم .
- لقد القوا بنفاج المشيخة فى العالم ، وجعلوا من أنفسهم أمثال "با يزيد" .
- صار كل منهم سالكاً من ذاته واصلاً فى ذاته ، وأقام محفلاً فى موضع الدعوى .
- مثلما يكون منزل العريس مليئاً بالفتنة والشر ، وقوم "العروس" لا علم لهم بهذا الأمر .
- وثمة ضجة بأن الأمر قد تم نصفه فحسب ، والشروط التى كان ينبغى ان تقوم بها قد تمت .
- ٢٥٦٠ - لقد كنسنا المنازل وزيناها ، ونهضنا سكارى منتشيين من هذا الهوس .
- فهل ثم رسالة جاءت من تلك الناحية ؟ ابدأ ، وهل جاء طائر إلى هذه الناحية من ذلك السطح ؟! اطلاقاً .
- وعلى هذه الرسائل المتتالية ، هل وصل إليكم جواب من تلك الأنحاء ؟

- لا ، لكن حبيبنا عالم بهذا الأمر ، ذلك لأنه لابد أن يكون هناك طريق من القلب إلى القلب .
- إذن ، لماذا يكون الطريق خالياً من جواب خطاب من ذلك الحبيب الذى هو أملككم ؟!
- ٢٥٦٥- وهناك مائة دليل فى السر والعلن ، لكن ، أقصر ولا تكشف الستار عن هذا الباب .
- وعد نحو قصة ذلك المهرج الأحمق ، الذى جلب البلاء على نفسه من ذلك الفضول .
- إذ قال وزيره : ياعمد الحق ، استمع من أقل عبادك إلى عبارة واحدة .
- إن المهرج قد أتى من القرية لأمر ما ، إلا أن رأيه قد تغير ، وندم .
- إنه يقوم بتجديد الحيل القديمة ، ويقوم بالخروج من هذا الأمر عن طريق التهريج .
- ٢٥٧٠- لقد أبدى الغمد وأخفى السيف ، وينبغى تعذيبه بلا توقف .
- فإنك ان لم تكسر الفساد أو الجوز ، لا هو يبدى لبه ولا هو يعطى الزيت .
- لا تستمع إلى دفاعه وانكاره وذلاقة لسانه ، بل أنظر إلى رعشته ولونه .
- لقد قال الحق "سيماهم فى وجوههم" ، ذلك أن السيماء منبئه ومنمة .
- إن هذا العيان ضد ذلك الخبر ، فإن هذا الانسان قد خلق معجوناً فى الشر .
- ٢٥٧٥- فقال المهرج صارخاً باكياً ، أيها الصاحب ، لا تسع فى دم هذا هذا المسكين .
- فكثير من الظن والوهم يأتيان فى الضمير ، لا تكون صادقة أو حقيقية أيها الأمير .
- «إن بعض الظن اثم» أيها الوزير ، وليس الظلم بالحق وبخاصة على الفقير .

- إن الملك يعاقب من يضايقه ، فمن أى شئ يعاقب من يضحكه ؟
- لكن قول الوزير أثر فى الملك ، وصار كاشفاً لهذا المكر ولهذا التزوير .
- ٢٥٨٠ فقال "خذوا " المهرج إلى السجن ، وإياكم أن تغتروا بنفاقة أو احتياله .
- واضربوه كما تضرب الطبول الجوفاء ، حتى يخبرنا "بالأمور" مثلما تخبرنا الطبول .
- إن الطبله قد تكون مرتخية أو مشدودة مليئة أو فارغة وصوتها ينبؤنا بكل هذه الأمور .
- وحتى يضطر إلى البوح بسر ، بحيث تطمئن هذه القلوب .
- فمادام القول الصادق ذو الضياء طمأنينته ، فإن القلب لا يستريح إلى القول الكاذب .
- ٢٥٨٥ - فالكذب كالقذى والقلب كالقم ، ولا يخفى القذى فى القم أبداً .
- وما دام فيه يتحرك اللسان حتى يدركه ويخرجه من القم .
- وخاصة عندما تسقط قشة من الريح فى العين ، تأخذ العين فى "سكب" الدموع ، والانغلاق والانفتاح .
- إننا نركض الآن فى أثر هذه القشة ، حتى يتخلص القم وتتخلص العين من تلك القشة .
- قال المهرج ، أيها الملك ، تريث ، ولا تخمش وجه الحلم والعفو !!
- ٢٥٩٠ - ما هذا التعجيل فى الانتقام إلى هذا الحد ؟! ، إننى لن أطير فأنا فى يدك.
- وذلك التأديب الذى يكون من أجل الله ، لا تجوز العجلة فيه .
- وذلك الذى يكون من الطبع ومن الغضب العارض ، يكون الإسراع فيه ،

حتى لا يسترضيه أحد .

- ويخشى أن يأتيه الرضا فيسكن الغضب ، ويفوته الانتقام ولذته منه .

- والشهية الكاذبة تسرع في الطعام ، خوف فوت اللذة ، وهذا في حد ذاته سقم .

٢٥٩٥- وفي الشهية الصادقة يكون التمهّل أولى ، حتى يصير "الطعام" مستساغاً دون ضرر .

- إنك تضربني من أجل رفع البلاء ، حتى ترى الفجوة ، وتقوم بسدها .

- حتى لا يخرج البلاء من هذه الفجوة ، وغيرها ، القضاء لديه الكثير .

- ووسيلة دفع البلاء لا تكون الظلم ، بل الوسيلة هي الإحسان والعفو والكرم .

- لقد قال ﷺ : الصدقة مراد للبلاء ، وداو مرضاك بالصدقة ، أيها الغنى .

٢٦٠٠- وليس من قبيل الصدقة إحراق الفقير ، وإصابة العين التي تفكر في الحلم بالعمى .

- قال الملك : إن الخير طيب وموقعه طيب ؛ لكن عندما تقوم بالخير في موضعه !!

- إنك إن وضعت الملك في موضع "الرخ" فهذا خراب ، ووضع " الحصان " في مكان "الملك" جهل .

- وفي الشريعة هناك العطاء وهناك أيضاً العقاب ، فللملك الصدر ، وللفرس العتبة .

- فما هو العدل ؟! إنه وضع الشئ في موضعه ، وما هو الظلم ؟! إنه وضع الشئ في غير موضعه !!^(١)

^(١) ج : ١٤ / ١٧١ :

- وما هو العدل إنه رى الأشجار ، وما هو الظلم : إنه رى الأشواك .

٢٦٠٥- وليس باطلا كل ما خلقه الله سبحانه وتعالى ، من غضب ومن حلم
ومن نصيح ومن كيد .

- ولا يوجد شئ منها خير مطلق ، كما أنه لا يوجد شئ منها شر مطلق .
- ونفع كل منها وضره في موضعه ، والعلم على هذا الوجه واجب ونافع .
- ورب عقاب يقع على المسكين ، ويكون في ثوابه أفضل من الخبز والحلوى!!
- ذلك أن الحلوى في غير أوانها تسبب الصفراء ، والصفع الذي يقع على
"المرء" يخلصه من خبثه .

٢٦١٠- فاصفع المسكين لكن حينما يجب الصفع ، فإنه يخلصه من ضرب
العنق.

- إن الضرب في معناه إنما يقع على الطوية السيئة ، والعصا تقع على التراب
لا على اللباد .

- فكل سلطان "مجلس" لهو وسجن ، فاللهو للمخلص والسجن للفقير غير
الناصح.

- وينبغي أن يشق الجرح لكي تضع عليه المرهم ، وإلا جعلت الصديد متمكناً
من الجرح .

- حتى يأكل اللحم من تحته ، ففي "تركة" نصف نفع وخمسون ضرر !!

٢٦١٥- قال المهرج : أنا لا أقول اعفُ ، لكني أقول : تحر الأمر .

- وانتبه ، ولا تغلق طريق الصبر والتأني ، واصبر وفكر عدة أيام .

- فإنك بالتأني تصل إلى اليقين ، وتقوم بعقابي على اليقين .

- فلماذا تحقق في مشيك "قوله تعالى" ﴿ يمشى مكباً ﴾ ، بينما يجوز لك أن تمشى
مستوياً مستقيماً .

- واستشر جماعة من الصالحين ، واعلم أن الأمر بـ " شاورهم " ، نزل على الرسول .
- ٢٦٢٠- ومن هنا كانت الآية الكريمة ﴿ أمرهم شورى بينهم ﴾ ، فمن الشورى يقل السهو ويقل الضلال .
- وهذه العقول مثل المصابيح المضيئة ، وعشرون مصباح أكثر نوراً من مصباح واحد !!
- فلعل مصباحاً بينها ، يكون مضيئاً بنور السماء .
- وإن غيرة الحق قد وضعت حجاباً ، ومزجت العلوى والسفلى معاً !!
- فقال "سيروا" وداوموا على الطلب في الدنيا ، واعكفوا على امتحان الحظ والرزق .
- ٢٦٢٥- وفي المجالس داوم على البحث في العقول ، عن مثل ذلك العقل الذي كان للرسول .
- ذلك أن هذا هو ميراث الرسول فحسب ، إذ يرى الغيوب من قدام ومن وراء .
- واطلب في البصائر هذا البصر ، الذي لا يتحمل شرحه هذا المختصر .
- ومن هنا منع ذلك العظيم الترهّب والخلوّة في الجبل .
- حتّى لا يفوت هذا النوع من اللقاء ، فهو نظرة الإقبال واكسير البقاء .
- ٢٦٣٠- ومن بين الصالحين هناك من هو أصلح ، وعلى رأس توقيعه تصديق السلطان .
- وقد صار دعاؤه مقروناً بالاجابة ، ولا يكون كفواً له كبار الإنس والجن .
- وفي مرآته سواء الصالح والطالح ، تكون حجته داحضة .
- فما دما قد رفعناه إلى أنفسنا ، قد قضينا على العذر وقضينا على الحجة .

— وما دام الحق قد جعل القبلة عياناً ، إعلم أن التحرى بعدها مردود .
٢٦٣٥- فهيا حول الوجه والرأس عن التحرى ، فقد ظهر المعاد وظهر
المستقر .

— فإنك إذا ذهلت لحظة واحدة عن هذه القبلة ، تصير مسخراً لكل قبلة باطلة .
— وعندما تصير جاحداً لمن يهيك التمييز ، فإنما ينفر منك خاطر العارف
بالقبلة .

— فان كنت تريد البر والبر من هذا المخزن ، لا تبتعد لحظة عن يشاركوك
الألم .

— ففي تلك اللحظة التي تفرقها من المعين ، فانك تبلى ببئس القرين .
**حكاية تعلق الفأر بالضفدعة . وربطها لرجليهما معاً بخيط طويل
واختطاف الغراب للفأر وبقاء الضفدع معلقاً في الفضاء
وعويلها وتدلها على تعلقها بمن هو من غير جنسها ،**

وعدم تجانسها مع من هم من جنسها

٢٦٤٠- شاء القضاء أن يتعارف فأر وضفدع على حاقة جدول .
— واتفقا على موعد كل صباح ، يلتقيان في ركن ما .
— فكان كل منهما يلعب نرد القلب مع الآخر ، ويصفى كل ما في صدره من
وساوس للآخر .

— كان لقلب كل منهما متسع وفسحة من اللقاء ، كان كل منهما يبوح للآخر
ويستمع إليه .

كانا يتحدثان بالأسرار بلسان وغير لسان ، فاعلم اذن تفسير الجماعة رحمة .
٢٦٤٥- وعندما اقترن ذلك الفرح بذلك السعيد لخمس سنوات كان يتعلم قصصه

- وجيشان النطق من القلب هو علامة المحبة ، وفقدان النطق يكون من عدم الألفة .
- والقلب الذي رأى الحبيب متى يبقى عبوساً ، والببل الذي رأى الورد متى يبقى صامتاً .
- إن السمكة المشوية عادت إلى الحياة بلمسة من الخضر واتخذت سبيلها إلى البحر :
- وعندما جلس الحبيب مع الحبيب ، صارت مئات الآلاف من ألواح الأسرار معلومة !!
- ٢٦٥- واللوح المحفوظ هو جبهة الحبيب ، يبدى "للحبيب" سر الكونين عياناً .
- والحبيب في قدومه هو هادى الطريق ، ومن هنا قال المصطفى ﷺ أصحابى نجوم .
- والنجم هادى في الصحراء وفي البحر ، فركز بصرك على النجم فهو مقتدى .
- واجعل العين دوماً قرينة لوجهه ، ولا تثر الغبار عن طريق الجدل والحديث .
- ذلك أن النجم يصبح مختلفاً من هذا الغبار ، فالعين افضل من لسان ذى عثار .
- ٢٦٥٥- حتى يتحدث ذلك الذى شعاره الوحي ، فهو الذى يهدى التراب ولا يثير الغبار .
- وعندما صار آدم مظهراً للوحي والوداد ، انطلقت ناطقته مصداقاً لـ ﴿ علم آدم الأسماء ﴾ .
- ومن صحيفة القلب جرى على لسانه اسم كل شئ كما هو عليه .
- كان اللسان يتحدث جهاراً عند رؤيته بكل خواصه وماهيته .
- بنفس ذلك الاسم الجدير بالشئ ، لا مثلاً يطلق على المختب اسم أسد .

٢٦٦٠- كان نوح "ماضيا" في الطريق السوى لتسعمائة سنة ، وفي كل يوم كان له تذكير جديد .

- وربما كان ياقوته من ياقوت القلوب ، ولا قرأ الرسالة ولا قوت القلوب .
 - ولم يتعلم الوعظ قط من الشروح ، بل من ينبوع الكشف وشرح الروح .
 - من تلك الخمر التي عندما تحتسى ، يفور ماء النطق حتى من الأخرس .
 - ويصير الطفل الوليد حبراً فصيحاً ، ويقرأ الحكمة البالغة كأنه المسيح .
- ٢٦٦٥- ومن الجبل الذي وجد حلاوة الشفة من تلك الخمر ، تعلم داود النبي مائة غزل .

- وتركت كل الطيور شقشقتها ، وصارت متحدثة مع الملك داود ، رفيقة له !!
- وأى عجب أن يصير الطير ثملاً به ؟! ما دام الحديد قد سمع نداء يده !!
- وريح الصرصر التي صارت قاتلة لعاد ، كيف صارت حمالة لسليمان .
- وريح أخرى كانت تحمل على رأسها عرش الملك كل صباح ومساء على طريق مسيرته شهر .

- ٢٦٧٠- صارت حمالة له ، وجاسوسة له ، جاعلة قول الغائب محسوسا له
- كانت الريح عندما تجد همسا تسر به نحو أذن الملك .
 - قائلة : إن فلانا قال كذا ، في هذه اللحظة يا سليمان العظيم ، يا صاحب قران " السعدين " .

تدبير الفأر مع الضفدع وقوله :

**إننى لا أستطيع أن أجد إليك في الماء عندما أريدك ، فينبغى أن تكون
بيننا صلة بحيث أستطيع عندما أجد إلى حافة الجدول أن أخبرك
بقدومى كما تستطيع أنت أن تخبرنى عندما تجئ إلى فوهة الحجرإلى
آخره**

— وهذا الكلام لا نهاية له : اذ قال الفأر للضفدع ذات يوم ، يا مصباح الوعى .
— هناك أوقات أود فيها أن أفضى إليك بسر ، وأنت آنذاك تجول في الماء
جولان التركى .

٢٦٧٥- وأكون على حافة الجدول مناديا إياك ، لكنك لا تستمع في الماء إلى
أنين العاشقين .

— وفي هذا الوقت المحدد أيها الهمام ، لا أشبع أنا من الحديث معك .
— إن للصلاة والهداية خمسة أوقات ، والعشاق في صلاتهم دائمون .
— وذلك الخمار الذي في تلك الرؤوس ، لا يهدأ بخمسة أوقات ولا بخمسة
الف .

— وليست عبارة "زر غبا" من عادة العشاق ، وأرواح الصادقين شديدة
الاستسقاء .

٢٦٨٠- وليست زرغبا من عادة الأسماك ، فلا أنس لأرواحها بعيداً عن البحر .
— إن ماء هذا البحر على عظمته وهوله ، هو جرعة واحدة بالنسبة لخمارة
الأسماك .

— ولحظة واحدة من الهجران بالنسبة للعاشق كأنها عام ، ووصل عام متصل
عنده كأنه الخيال .

— إن العشق مستيق يطلب المستسقى ، وكلاهما في أثر الآخر كالليل والنهار .
— فالنهار عاشقٌ لليل منجذب إليه ، وعندما تمنع النظر " تدرك " أن الليل أكثر
عشقا له !!

٢٦٨٥- لا يتوقفان لحظة عن البحث والطلب ، ولا يتوقف أحدهما لحظة عن السعى في أثر الآخر .

- هذا آخذ بقدم ذاك وذاك آخذ بأذن هذا ، هذا مدهوش أمام ذاك وذاك غائب الوعى أمام هذا .

- وفي قلب المعشوق العاشق بكلية ، وفي قلب "عذرا" دائما ما يوجد وامق !!

- وليس في قلب العاشق إلا المعشوق ، وليس بينها هاجر أو مهجور .

- إن هذين الجرسين "موجودان" على بعير واحد ، فكيف تصلح بينهما نصيحة "زر غبا" .

٢٦٩٠- فهل زار أحدهم نفسه غيباً ؟! وهل أحب أحدهم نفسه بالتوبة ؟!

- إن هذا الاتحاد مما لا يفهمه العقل ، وفهمه متوقف على موت المرء^(١) .

- وإذا كان هذا واجبا بالعقل ، فمن أى شئ أوجب قهر النفس ؟!

- ومع مثل تلك الرحمة الموجودة عند ملك اللب ، متى كان يقول دون ضرورة : أقتل نفسك !!

إسراف الفأر في التضرع والعجز

وطلب الاتصال بالخدم المائى

- قال : أيها الحبيب العزيز الحنون ، إنتى لا استريح دون وجهك لحظة واحدة!!

٢٦٩٥- فأنت في النهار نورى وكسبى وسعى ، وفي الليل أنت قرارى وسلواى ونومى !!

(١) ج : ١٤ / ١٨٧ :

- اللهم إلا لرجل مات قبل الموت ، وحمل متاع الوجود إلى الحبيب .

— فمن المروءة أن تجعلني سعيداً ، وتذكرني في وقت وفي غير وقت من كرمك .

— لقد جعلت اللقاء عند الاقطار هو الموعد اليومي يا حسن النوايا !!

— ولست أنا بالقانع بهذه المرة الوحيدة ، فأنتى في هواك مخلوق عجيب .

— وهناك استسقاء شديد في كبدى ، وكل استسقاء يكون مقرونا بالجوع الشديد^(١) .

٢٧٠٠— وأنت في غنى عن حزنى أيها الأمير ، فجد بركة الجاه وانظر إلى الفقير .

— إن هذا الفقير المجرد من الأدب غير مستحق ، لكن لطفك العام أعلى من ذلك .

— ولطفك العام لا يبحث عن سند ، فأنتك شمس ، تطل حتى على الحدث .

— وليس لنورها من هذا ضرر ، وتلك القاذورات "التي تطل عليها" صارت حطباً .

— وعندما مضت القمامة إلى المستوقد ووجدت النور ، بعثت اشعاعها في أبواب الحمام وفي جدارته .

٢٧٠٥— كانت نجسا وصارت الآن زينة عندما تلت عليها الشمس رقيتها .

— كما أدفأت الشمس معدة الأرض ، حتى ابتعلت الأرض بقية القمامة .

— وصارت جزءا من التربة ونما فيها النبات ، " هكذا يمحو الإله السيئات "^(٢) .

—^(٣) فإذا كانت تفعل هذا بالغائط ، وهو أسوأ شئ فتجعل منه نباتاً ، ونرجسا ونسريناً ،

(١) حرفياً: في الشطرة الأولى خمسمائة استسقاء وفي الثانية جوع البقر .

(٢) ما بين القوسين بالعربية في المتن .

- ترى ماذا يمنحه الحق من الجزاء ومن العطاء لتسرين الطاعات .
٢٧١٠- وإذا كان يمنح الخبيثين هذه الخلعة ، فما بالك بما ينتظر الطيبين من عطايا .

- إن الحق يعطيهم ما لا عين رأت ، وما لا يستوعبه لسان أو بيان .
- وما نحن وهذا ؟! تعال يا حبيبي ، واجعل نهاري مضيئاً بالخلق الحسن .
- فلا تنتظر إلى قبحي وإلى أنني مكروه ، وإلى أنني ملئ بالسم كحية الجبل .
- فيا أنا ، إنني قبيح وكل خصالي قبيحة ، فكيف أصير ورداً وقد خلقتني الله شوكاً .

٢٧١٥- ويا مطلع ربيع الحسن هب الشوك ورداً ، ولطفك في نهاية الفضل والفن .

- فاعط حاجة الذي هو غاية (القبح) من ذاك الكمال ، يا من تزرى بالسرو المشوق .

- فعندما أموت سوف يبكي فضلك ، من الكرم ، برغم أنه برئ من الحاجة .
- وسوف يجلس طويلاً على قبري ، وسوف يذرف الدمع من عينه الجميلة .
٢٧٢٠- وسوف ينوح على حرماتي ، وسوف يغمض العين "تدماً" على ظلمه إياي .

- فقدم قليلاً من أطفائك الآن ، واجعل في أذني حلقة من ذلك الكلام :-
- وما سوف تتحدث به مع قبري ، انثره على إدراكي الحزين^(١) .

^(٦) ج : ١٤ / ١٩١ :

- صار جزءاً من التربة وصار مليناً بالنور ، " هكذا يغفر لمن يعطي الغفور " .
- صار جزءاً من التربة سعيداً بثماره ، " هكذا يرحم الله العباد "

^(١) ج : ١٤ / ١٩٢ :

خذ بيدي في مثل هذه المسكنة ، وأدخل السرور على في هذا الحزن .

تضرع الفأر للضفدع قائلاً : لا تتعجل ولا
تؤجل انجام هذه الحاجة ، ففي التأخير
آفات ، والصوفي ابن الوقت والابن لا
يكف يده عن طرف ثوب أبيه ، والاب
المشفق للصوفي وهو وقته لا يحوجه إلى
الانتظار للغد مهما يجعله مستغرقاً في
روضته سريعة الحساب ، لا كالعوام
ينتظر المستقبل ، إنه نهرى وليس
دهرياً فلا صياح عنده ولا مساء ولا ماض
ولا مستقبل ولا أزل ولا أبد هناك ، لا
يكون آدم السابق ولا الدجال المسبوق
فهذه الرسوم في خطة العقل الجزئي
والروح الحيوانية ، وفي عالم الزمان
والأماكن لا توجد هذه الرسوم إذن فهو
ابن الوقت أي لا يفهم منه إلا نفس
تفرقة الأزمنة كما يفهم من أن الله
واحد نفس الإثنينية لا حقيقة الواحدية

— قال أحد السادة الذين يهبون الفضة لأحد الصوفية ، يا من روى وطاء
لقدميك ،

— هل تريد درهما الآن يا سلطاني ، أو أعطيك غدا في الضحى ثلاثة دارهم ؟

٢٧٢٥- قال : إننى أكثر رضا بنصف درهم بالأمس ، عما تريد اعطاءه إياى اليوم ، وعن مائة درهم في الغد .

- إن الصفة نقدا أفضل من العطاء نسيئة ، وها هو قفاى أقدمه لك ، فاعطنى النقد .

- خاصة تلك الصفة التى تكون من يدك ، فالصفة وموضع الصفة ثملان بك .

- فهيا ، تعال ، يا روحاً للروح ولمائة عالم ، اغتتم سعيداً النقد ، هذه اللحظة .
- ولا تسرق وجه القمر ذاك من السراة ، ولا تعص هذا الجدول أيها الماء الجارى .

٢٧٣٠- حتى يضحك شاطئ الجدول من الماء المعين ، ويطل الياسمين إلى جوار شاطئ الجداول .

- وعندما ترى الخضرة ثملة على شاطئ الجدول ، اعلم من على البعد إذن أن هناك ماءً .

- لقد قال الله ﴿ سيماهم في وجوههم ﴾ ، والمرج ينبئ عن المطر .
- حتى ولو أمطر ليلا ولم يره أى شخص ، عندما تكون كل نفس ونفس غارقين في النوم .

- ونضرة كل روضة جميلة ، دليل على المطر الخفى !!

٢٧٣٥- يا أخى ، إننى برى وأنت بحرى ، لكنك ملك الرحمة والعطاء .
- فقدم العطاء والأنصبة إلى ، بحيث أصل إلى محضرك في وقت وفي غير وقت .

- إننى على شاطئ الجدول أناديك بالروح ، لكنى لا أرى تلطفاً بالإجابة .

- فقد أغلق أمامي "سبيل" النزول إلى الماء ، ذلك أن جسدي شكل من تراب .
- فاجعل مددا من رسول أو من علامة ، حتى يخبرك بندايتي .
- ٢٧٤٠- وتباحثا في هذا الأمر هذان الحبيبان ، ثم استقرا في آخر الأمر ؛
- على أن يحصلوا على خيط طويل ، حتى ينكشف السر من جذب الخيط .
- على أن يكون طرفه معقوداً على قدم هذا العبد المنحني ، وطرفه الآخر "معقوداً" على قدمك .
- حتى يلتقي جسدانا بهذه الوسيلة ، ونمتزج امتزاج الروح بالبدن .
- والجسد كأنه الحبل على الروح ، يجذبها إلى الأرض من السماء .
- ٢٧٤٥- وضفدع الروح في ماء نوم انعدام الوعي ، نجت من فأر الجسد ، وتسعد بهذه النجاة .
- وفأر الجسد يجذبها بذلك الحبل ، وكم من أنواع الممرارة تتحملها الروح من هذا الجذب .
- وإن لم يكن جذب الفأر نتن اللب ، لسعد الضفدع أيما سعادة داخل الماء .
- وباقيته ، تسمعه من هبة الشمس للنور عندما يستيقظ من النوم نهائياً .
- لقد عقدت أحد طرفي الخيط على قدمي ، فاعقد ذلك الطرف الآخر على قدمك .
- ٢٧٥٠- فاستطيع أن أجذبك إلى هذه اليابسة ، فقط ظهر لك طرف الخيط الآن .
- وأحس قلب الضفدع بالممرارة من هذا الحديث ، وقال في نفسه ، إن هذا الخبيث يوقعني في المشاكل .
- وكل كراهة يحس بها الرجل البهي في قلبه "معناها" أن الأمر لا يخلو من حيلة ما .

- فاعتبر هذه القراسة وحيا من الحق وليست وهما ، وأن نور القلب قدم "قهم"
"الأمر" من اللوح الكلى .

- وامتاع "الفيل" عن الهجوم على البيت ، مع جهد هذا الفيل وصياحه به .
٢٧٥٥- لم تكن قدم الفيل تتجه نحو الكعبة ، مع كل الضرب الذي تلقاه ، اذ لم
يجد فتىلا قل أو كثر .

- وكان قدميه قد تيبسا ، أو أن روحه زائدة الصولة قد ماتت^(١) .
- وعندما كانوا يوجهونه نحو اليمن ، كان الفيل الهائج يسرع "فى قوة" مائة
جواد .

- كان احساس الفيل عالماً بطعنات الغيب ، فما بالك إذن باحساس الولى المتفهم؟
- وأليس يعقوب النبى عليه السلام ذلك الطاهر الطوية ، كان هكذا مع يوسف
وكل اخوته .

٢٧٦٠- عندما طلب اخوته الكبار "من أبيهم" أن يأخذهم إلى الخلاء برهة من
الزمان .

- قالو له جميعا : لا تفكر فى الضرر ، وأمهلنا ، يا أبانا ، يوماً أو يومين .

- قائلين : ﴿ مالك لا تأمنا على يوسف ﴾ ، فى السير والظعن ؟

- حتى نلعب معاً فى المروج ، ونحن فى هذه الدعوة أمناء محسنون .

- قال : إن ما أعلمه أن نقله من جوارى ، يزيد فى قلبى الألم والسقم .

٢٧٦٥- وقلبى هذا لا يكذبنى أبداً ، فإن فيه ضياء من نور العرش .

- كان هذا الدليل هو القاطع على فساد "الإخوة" وشاء القضاء ألا يعتد به .

- وفاتته علامة مثل هذه ، لأن القضاء كان يتفلسف فى ذلك الزمان .

(١) ج : ١٤ / ٢٠٠ :

- إن الحق قد أخبر روح الفيل ، وأضل أولئك الأخساء ومكر بهم .

- فليس من العجيب أن يسقط الأعمى فى البر ، لكن العجب العجاب أن يسقط فيه مبصر الطريق .

- ولهذا القضاء تصاريف متنوعة ، وختمه "يفعل الله ما يشاء" .

٢٧٧٠- وسواء علم انقلب بفنه أو لم يعلم به ، فان حديده يصير شمعاً من أجل هذا الختم .

- وهذا يشبه أن يقول انقلب : ما دامت هذه هى ارادته فقل : ليكن ما يكون .

- انه يجعل نفسه أيضاً غافلاً عن هذا الأمر ، وفى عقاله يقيد الروح !! .

- فإذا صار ذاهلاً فى هذا الأمر ذلك العظيم ، فهذا ليس ذهولاً ، إنه ابتلاء .

- إن بلاء واحدا يشتريه فى مائة بلاء ، وهبوط واحد يحمله على المعارج .

٢٧٧٥- والساذج المتجرى الذى تخلصه الخمر ، من خمار مئات الآلاف من القبحاء السذج .

- صار فى النهاية أستاذ وناضجاً ، ونجا من رق الدنيا وصار حراً .

- وصار ثملاً من الشراب الأزلى ، وصار مميزاً ، ونجا من الخلق .

- ومن اعتقاداتهم الواهنة المليئة بالتقليد ، ومن الخيالات التى تراها عيونهم التى لا تبصر .

- فوا عجباً ، أى فن تقوم به مداركهم ، أمام جزر البحر الذى لا علامة له ومده؟

٢٧٨٠- فمن تلك الصحراء وصلت تلك العمارات ، ووصل الملك والسلطان والوزارة!!

- ومن صحراء العدم تلك ، يصل المشتاقون إلى الشوق إلى عالم الشهادة فوجاً فوجاً .

- ومن هذه البادية تصل قافلة بعد قافلة فى كل مساء وصباح .

- تأتي ، وتبقى رهينة لمنازلنا ، قاتلة : لقد وصلنا هذا دورنا ، امض أنت .
- وعندما فتح الابن عين العقل ، وضع الأب سريعاً متاعه على العربة !! وتهيأ
للرحيل .

٢٧٨٥- هي جادة المليك ، سائرون من هذه الناحية ، ثم من تلك الناحية
صادررون وواردون .

- انظر جيداً ، إننا نمضي جالسين ، ألسنت ترى أننا نقصد موضعاً جيداً ؟
- إنك لا تأخذ رأس مال من أجل الحاضر ، ولكن من أجل الأمتعة في المال .
- إذن فهكذا يكون المسافر يا عابد الطريق ، فإن مسيره وسيره في المستقبل .
- كما أنه من حجاب القلب يصل خيل الخيال لحظة بعد أخرى بلا كلال .
٢٧٩٠- فإن لم تكن تلك التصورات من متبع واحد ، فكيف تصل في أثر بعضها
إلى القلب ؟!

- فإن جيوش تصوراتنا تسرع من الظماً فوجاً فوجاً نحو عين القلب .
- تملأ الجرار ثم تمضي ، تظهر دائماً ثم تختفي .
- فاعتبر الافكار كواكب الفلك ، دائرة في الفلك الآخر للسماء .
- فإن رأيت سعداً ، أشكر وأثر ، وإن رأيت نحساً تصدق واستغفر .
٢٧٩٥- ومن نكون نحن وهذا؟ تعال هنا يا مليكى ، واجعل طالعى مقبلاً ، ودر
دورة .

- واجعل الروح مضيئة من أنوار القمر ، فمن ضرر الذنب اسودت الروح .
- وحررها ثانية من الخيال والوهم والظن ، وخلصها ثانية من البئر وجور
الرسن .

- حتى يجد قلب من مواساتك الطيبة جناحاً ويحلق خارج الماء والطين .
- يا عزيز مصر ، ويا صادق العهد ، إن يوسف المظلوم في سجنك .

- ٢٨٠٠- فشهد سريعاً إحدى الرؤى لخلاصه، قالله يحب المحسنين .
- فهناك سبع بقرات عجاف شديدة الأذى ، تأكل البقرات السمان السبع .
- والسنبلات السبع المبكروهاات اليابسات ، ترعى سنبلاته النضرات .
- وقد ظهر القحط فى مصر أيها العزيز ، فهيا ولا تجز هذا أيها الملك .
- فضع يوسفى فى حبسك أيها الملك ، وهيا ، وخلصنى من أيدي النسوة !!
- ٢٨٠٥- إن شهوة الأم قد ألفت بى من ناحية العرش الذى كنت عاكفاً عليه قائلة :
- اهبطوا .
- فسقطت من ذلك الكمال التام ، من حيلة امرأة عجوز ، فى سجن الرحم .
- إنها تأتى بالروح من العرش إلى الأرض ، لا جرم فى ذلك فالنساء كيدهن عظيم .
- فأول هبوط لى وآخر هبوط لى من امرأة ، عندما كنت روحاً ، وعندما تحولت إلى بدن !!
- فاستمع إلى نواح يوسف هذا فى عشاره ، أو ارحم يعقوب ذاك من ضرب القلب .
- ٢٨١٠- فيا ترى أشكو من الإخوان أو من النسوة ؟! الذين أكرأ بى كئام من الجنان .
- ومن ذلك فأنا ذابل كأوراق الشتاء ، ذلك أننى أكلت انحنطة من جنة الوصل .
- وعندما رأيت لطفك واکرامك ، وذلك السلام المواسى منك ، ورسالتك .
- اكتشفت بخوراً من أجل عين السوء ، وأصابتنى عين السوء حتى وأنا فى البخور .
- إن دافع عين السوء من قدام ومن وراء ، هى عينك الوسنى فحسب .
- ٢٨١٥- إن عينك الطيبة أيها الملك ، هى القاضية على عين السوء ، المستأصلة لها ، نعم الدواء .

- بل إن من عينك تصل أنواع الكيمياء ، تجعل عين السوء عيناً للحسن .
- لقد وقعت عين المليك على عين بازى القلب ، فصارت عين بازيه فى منتهى
علو الهمة.

- فمن شدة الهمة التى وجدها من هذه النظرة ، لا يصيد بازى المليك إلا الأسود.
- وما الأسد؟! فإن هذا الصقر الملكى المعنوى ، هو صيد لك وأنت أيضاً صيد
له .

٢٨٢٠- وقد صار صفير بازى الروح فى مرج الدين ، صيحات ﴿ لا أحب
الآفلين ﴾ .

- وبازى القلب الذى طار فى أثرك ، وصلته نظرة من عطائك الذى لا حد له .
- فوجدت الأنف منك الرائحة والأذن السماع ، وصار لكل حس قسمة مشاعة .
- وعندما تعطى كل حس طريقاً إلى الغيب ، لا يكون لهذا الحس فتور الموت
والشيب .

- إنك مالك الملك تعطى الحس شيئاً ، حتى يقوم ذلك الحس بالملوكية على
الحواس (١) .

حكاية لصوص الليل الذين وقع بينهم السلطان محمود ذات ليلة ،

وقال لهم : أنا واحد منكم ، وإطلاعه على أحوالهم ، إلى آخره

٢٨٢٥- عندما كان السلطان محمود يطوف وحيداً ليلاً ، إلتقى بجماعة من
اللصوص .

- فقالوا له : من أنت يا ذا الوفا ؟ ، قال لهم : أنا واحد منكم .
- وقال أحدهم : أيتها الجماعة التى تحترف المكر ، فليقل كل واحد منكم موضع
فنه .

(١) ج : ٢٠٢/١٤ - فجاهد حتى تسمو حواسك ، حتى يسمو أمر الحس من ذلك .

- ليتحدث مع أصدقائه على سبيل السمر ، عما هو موجود في جبلته من الفن .
- فقال أحدهم أيتها الجماعة التي تتاجر في الفن والحيل ، إن خاصيتي في أذني .
٢٨٣٠- بحيث أعلم ماذا يقوله الكلب من نباحه ، فقال له رفاقه "هذا شيء هين"
كدانقين من دينار .

- فقال آخر : يا جماعة عابدة للذهب ، إن كل خاصيتي في عيني ،
- وإن كل ماأراه في الليل الداجي ، أعرفه في النهار بلا شك .
- وقال آخر : إن خاصيتي في ساعدي ، بحيث أحدث النقب بقوة من يدي .
- وقال آخر : إن خاصيتي في أنفي ، وعملى هو التشمم في التراب .
٢٨٣٥- لقد أعطتني سر "الناس معادن" القدرة ، ومن أي شيء إذن قالها
الرسول؟

- أننى أعلم من تراب الجسد كم فيه من نقد ، وكم لديه من ذهب المنجم .
- ففي أحدهم أدرج منجم ذهب بلا حد ، وآخر دخله أقل من نفقاته .
- انتى أشم رائحة التراب كالمجنون ، وأجد تراب ليلي بلا خطأ .
- اننى أشم وأعلم من كل قميص ، أفى داخله يوسف أو شيطان .
٢٨٤٠- مثل أحمد الذى شم رائحة فى اليمن ، ووجدت أنفى نصيباً من تلك
"القوة".

- "أعلم" أى تراب يكون مجاوراً للذهب ، وأى تراب يكون صفراً وأبتر .
- قال آخر : إن خاصيتي فى قبضتي ، بحيث أرمى وهقاً فى ارتفاع العلم .
- مثل أحمد الذى ألقت روحه وهقاً ، وحمله ذلك الوهق حتى السماء .
- وقال له الحق ، يا رامى وهق البيت ، أعلم أن ذاك منى ، ﴿ ما رميت إذ
رمىته ﴾ .

٢٨٤٥- ثم سألوا الملك ، أيها السند ، فى أى شيء يا ترى تكمن قوتك
وخاصيتك؟

- قال إن خاصيتي في لحيتي ، بحيث أخلص المجرمين من النقم .
- فعندما يسلم المجرمون للجلادين ، وتتحرك لحيتي يطلقون سراهم .
- وعندما أحرك لحيتي برحمة ، يطوى أمر ذلك القتل والتعذيب .
- فقال القوم : أنت قطبنا ، وأنت خلاصنا في يوم محتنتنا .
- ٢٨٥- ثم خرجوا جميعاً وانطلقوا معاً نحو قصر ذلك الملك الميمون .
- وعندما نبج كلب من الناحية اليمنى ، قال "قائلهم" إنه يقول إن السلطان معكم .
- وحمل ذاك تراباً من ربوة ، "وشمه" فقال : إنه من منزل أرملة .
- ثم ألقى استاذ الوهق بالوهق ، حتى أصبحوا في الناحية الأخرى من الجدار .
- وعندما شم التراب من مكان آخر ، قال أنه تراب مخزن ملك لا نظير له .
- ٢٨٥٥- ونقب النقاب فجوة في المخزن ، وحمل كل منهم متاعاً من المخزن .
- وحمل القوم كثيراً من الذهب والثياب المطرزة بالذهب والجواهر الغالية ، وأخفوها سريعاً .
- وقد رأى الملك مقرهم عياناً ، وشاهد سماتهم وعلم اسماءهم وملجأهم وطرقهم.
- وتسلسل من بينهم وعاد ، وفي النهار روى في الديوان ما حدث .
- فاسرع القواد وهم في هياج ، وأمسكوا باللصوص ، وقيدوهم .
- ٢٨٦- وأتوا بهم نحو الديوان مقيدين مرتعدين خوفاً على أرواحهم .
- وعندما وقفوا أمام عرش الملك ، "أدركوا" أن صديق الليل هو ذلك الملك الذي كالبدر .
- وذلك الذي كان يعرف بلا شك في النهار كل من يلقي عليه نظرة في الليل ؛
- رأى الملك على المرش وقال في نفسه ، كان هذا معنا ليلة أمس جوالاً

- ذلك الذى عنده خواص عديدة فى لحيته ، إن هذا القبض علينا من سعيه .
٢٨٦٥- كانت عينه عارفة بالملك ، لا جرم ، ومن معرفته أطلق لسانه على
الحشم .

- وقال ان هذا الملك تصدق فيه "وهو معكم" ، كان يرى أفعالنا ويسمع أسرارنا .
- لقد طوت عينى الطريق ليلاً وعرفت الملك ، وزاولت العشق طوال الليل مع
وجهه القمرى .

- فلأطلب إذن أمنى منه ، فهو لا يشيح بوجهه عن العارف قط .
- فاعلم ان عين العارف أمان فى الكونين ، فمنه وجد كل بطل العون .
٢٨٧٠- ذاك أن محمداً كان شفيحاً لكل جرح ، فإن عينه ما زاغت إلا عما سوى
الحق .

- وفى ليل الدنيا حيث يكون النور محجوباً ، كان ناظراً إلى الحق راجياً فيه .
- ومن «ألم نشرح» وجدت عينه الكحل ، ورأى ما لم يتحمل جبريل رؤيته .
- واليتيم الذى يكحله الله ، يصير درأً يتيماً ذا رشد .
- ويصير نوره غالباً على الدرر ، ويصير طالباً لمثل ذلك المطلوب .
٢٨٧٥- كانت عنده وفى نظره مقامات العباد ، فلا جرم أن الله قد سماه شاهداً .
- وعدة الشاهد هى اللسان والعين الحادة ، بحيث لا يهرب منه سر "رأه" فى قيام
الليل .

- فلو ظهر آلاف فى المدعين ، تكون أذن القاضى متجهة نحو الشاهد .
- وعند القضاة فى الأحكام هذا الفن ، هو أن الشاهد بالنسبة لهم عينان
مبصرتان .

- ومن هنا فقول الشاهد فى حكم البصر ، فقد شاهد السر بعين لا غرض فيها .
٢٨٨٠- والمدعى قد رآه لكن بغرض ، والغرض يكون حجاباً على الخلق .

- وان الحق يريد منك أن تكون زاهداً ، حتى تترك الغرض وتصير شاهداً^(١) .
- فان الغرض كان حجاباً على العين ، ويكون ملتقاً على النظر كأنه الستار!!
- فلا يرى الأشياء بضججها وضجيجها ، إن "حبك الأشياء يعمى ويصم" .
- وعندما وضعت الشمس نوراً في قلبه ، لم تبق للفلك عنده قيمة .
- ٢٨٨٥- فرأى الأسرار بلا حجاب ، ومسيرة أرواح المؤمنين والكفار .
- وفي الحقيقة "لا يوجد" في الأرض وفي الفلك العالى ما هو أكثر خفاء من روح الإنسان .
- فعد ، لقد طوى الحق الروح عن الرطب واليابس ، وختمها بخاتم ﴿ من أمر ربى ﴾ .
- ثم إن عين العزيز عندما رأت تلك الروح ، لم يبق إذن شئ مخفياً عنها .
- فتكون شاهداً مطلقاً فى كل نزاع ، ويزيل قوله خمار كل صداع .
- ٢٨٩٠- واسم الحق هو العدل والشاهد من أجله ، ومن هنا فشاهد العدل هو عين الحبيب .
- والقلب هو موضع تجلى الحق فى الدارين ، فإن المليك ينظر إلى الشاهد "والى الحسناء" .
- وعشق الحق وسر ملاعبة الشاهد "والحسان" عنده كانت أساس كل صنعة للحجب .
- ومن هنا فى ليلة المعراج قال عاشق الحسان الذى لنا : لولاك عند اللقاء .
- وهذا القضاء يكون حاكماً على الخير والشر ، ولا يصير الشاهد حاكماً على القضاء .

(١) ج : ٢١٦/١٤ - ويقول لك الحق أترك الغرض ، حتى يكون كلامك مقبولاً عندنا .

٢٨٩٥- لقد صار أمير القضاء أسيراً لذلك القضاء ، فهنيئاً لك يا عين المرتضى الحادة .

- وكثيراً ما طلب العارف من المعروف قائلاً : يا من أنت رقيب علينا فى حلو "الحياة" ومرها .

- ويا مشيرنا فى الخير والشر ، وقلوبنا غافلة عن اشارتك .
- يا من يرانا ولا نراه فى الليل والنهار ، وصارت رؤيتنا للأسباب كمامة على وجوهنا .

- لقد اصطفت عيني عن الأعين ، حتى شوهدت لى الشمس ليلاً .
٢٩٠٠ - وكان ذلك من لطفك المعروف أيها البهى ، "إذ" - "كمال البر فى إتمامه" .

- "يارب اتمم نورنا فى الساهرة ، واتجنا من مفضحات قاهرة" (١)
- ولا تجعل حبيب الليل مهجوراً فى النهار ، ولا تبطل بالبعد الروح التى شاهدت القرب .

- فالبعد عنك موت ذو ألم ونكال ، وبخاصة البعد الذى يكون بعد الوصال .
- ولا تتجاهل ذلك الذى قد رآك ، وارو خضرته النامية السامقة .
٢٩٠٥- انتى لم أظهر لا مبالاة فى المسير ، فلا تقدم أنت أيضاً اللامبالاة عند التعذيب والأذى .

- هيا ولا تسقه بعيداً عن وجهك ، ذلك الذى رأى وجهك مرة .
- فان رؤية وجه سواك صارت غلا فى الحلق ، لأن "كل شئ ما خلا الله باطل" .

- أنها أشياء باطلة وتبدى لى الرشد ، وذلك لأن الباطل يجذب الباطل .

(١) ما بين القومين بالعربية فى المتن

- وذرة نرة مما هو موجود في الأرض والسماء ، "جاذبة" لجنسها ، كل منها ، كأنها الكهرمان .

٢٩١٠- والمعدة تجذب الخبز حتى يستقر ، أما حرارة الكبد فتجذب الماء .

- والعين منجذبة إلى الحسان في الطرقات ، والمخ باحث عن الروائح في الرياض .

- ذلك أن حس العين خلق منجذباً إلى الألوان ، والمخ والأنف تجذبهما الروائح الطيبة.

- ومن هذه الجاذبات ، أيها الإله العالم بالأسرار ، نجنا ، وذلك بجذب لطفك .

- إنك غالب على كل الجاذبين أيها المشتري ، وجدير بك أن تشتري العاجزين.

٢٩١٥- واتجه إلى الملك كما يتجه الظمان إلى السحاب ، ذلك الذي كان في ليلة القدر صاحباً للبدر .

- ولما كانت روحه ولسانه ملكاً له ، كان وقته معه ، فكان جريئاً في الحديث .

- فقال : لقد صرنا كالأرواح في أسر الطين ، وأنت شمس الروح في يوم الدين .

- وقد حان الوقت يا ملكاً خفي السير ، أن تحرك من كرمك لحيتك نحو الخير .

-- لقد أهدى كل واحد خاصيته ، وتلك "الفضائل" كلها زادت في الشقاء .

٢٩٢٠- لقد قيدت تلك "الفضائل" رقابنا ، ومن تلك "المناصب" نحن منقلبون أذلاء .

- إن هذا "الفن" يشبه من "قى جيدها حبل من مسد" ، وليس من هذه الفنون يوم الموت مدد .

- اللهم إلا نفس تلك الخاصية لذلك الطيب الحواس ، الذي كانت عينه في الليل عارفة بالسلطان .

- كانت كل تلك "الفضائل" غولا في الطريق ، اللهم إلا العين التي كانت عارفة بالملك .

- لقد استحيى منه الملك يوم البلاط ، لأن عينه كانت ناظرة في الليل إلى الملك!!

٢٩٢٥- وذلك الكلب العارف بملك الوداد ، ينبغي أن يطلق عليه اسم كلب الكهف .

- والخاصية في الأذن تكون أيضاً طيبة ، إذ أنها من نباح الكلب تكون عارفة بالأسد .

- وعندما يكون الكلب ساهرا في الليل كالحارس ، لا يكون غافلا عن قيام الملوك .

- انتبه ، إذ لا ينبغي الشعور بالعار من أصحاب السمعة السيئة ، بل ينبغي أن يتكلف اللب "بتتبع" أسرارهم .

- وكل من صار مرة واحدة سئ السمعة ، لا ينبغي عليه أن يصير ساذجاً ويبحث عن السمعة !!

٢٩٣٠- وما أكثر الذهب الذي يُسَوّد بالحرارة ، حتى يصير آمنا من السلب والنهب^(١) .

قصة ذلك الثور البحري الذي أخرج لؤلؤة شاهانية من قاع البحر ...
وكان يضعها ليلا على ساحل البحر ويرعى في ضوئها وإشعاعها ،
والتاجر الذي يخرج من مكنه فيخفي الجوهرة بالطمي الأسود والطين
الكدر ويهرب أعلى شجرة ... إلى آخر القصة ، والتقرير

(١) ج : ٢١٨ / ١٤ :

- وكل من يخطو خطوة في أسرارنا ، افتح كلتا عينيك وتعال صوبنا .

- أخرج ثور بحرى لأولوة من البحر ، ووضعها في مرج وأخذ يرعى حولها .
- وفي شعاع نور الجوهرة ، كان الثور البحري يرعى السنبل والسوسن مسرعاً .

- ومن هنا فإن فضلات ذلك الثور من العنبر ، لأن غذاءه النرجس والنيلوفر !!
- وكل من يكون قوته نور الجلال ، كيف لا يتولد من شفثيه السحر الحلال ؟ .
٢٩٣٥- وكل من كان له مثل النحل نفلا من الوحي ، كيف لا يكون منزله مليئاً بالعسل ؟!

- إنه يرعى في نور الجوهرة ذلك الثور ، ثم يبتعد عن الجوهرة فجأة .
- فيضع أحد التجار الطمي الأسود على اللؤلؤة ، حتى يصير المرج وموضع الخضرة مظلاً .

- ويهرب التاجر فوق شجرة ، والثور باحث عنه بقرنه الحاد الشديد .
- ويطوف ذلك الثور مسرعاً عشرين مرة حول المرج ، حتى يطعن ذلك الخصم بقرنه .

٢٩٤٠- وعندما يئأس "من العثور عليه" ذلك الثور ، يعود إلى حيث كان قد وضع الجوهرة !! .

- فيرى الطمي فوق الدرة الملكية ، فيهرب من الطين وكأنه إبليس .
- فإبليس ذلك كان أعمى وأصم عما في داخل الطين ، ومتى يعلم الثور أن في الطين جوهرة ؟!

- إن الأمر بـ "اهبطوا" ألقى الروح في الحضيض ، وجعل من تلك الحائض محرومة من الصلاة !!

- فيا أيها الرفاق ... " اتقوا ذاك المقييل وهذا المقال ، فإن الهوى حيض الرجال" (١) .

٢٩٤٥- لقد ألقى الأمر بـ "اهبطوا" بالروح في البدن ، حتى خبئت في الطين الدرة العذنية .

- فالتاجر يعرفها لكن الثور لا يعرفها ، يعرفها أصحاب القلوب وليس كل منقب في الطين .

- وكل طين يكون في داخله جوهر ، يكون جوهره منبئاً عن طين آخر .
- وذلك الطين الذي لم يجد نورا من رش الحق ، لم يتحمل صحبة أنواع الطين المليئة بالدر .

- إن هذا الكلام لا نهاية له وفارنا ، على شاطئ الجدول ينتظرنا منتبهاً !!

العودة إلى قصة طلب ذلك الفأر لذلك الضفدع

على شاطئ الجدول وجر طرف الخيط حتى يعلم الضفدع

وهو في الماء أنه يطلبه

٢٩٥٠- إن ذلك المعجون بالعشق يشد الخيط على أمل وصل الضفدع ذي الرشد .

- إنه ينسج حول خيط القلب لحظة بلحظة قائلاً : لقد حصلت على بداية الخيط
أى " أول المقصود " !!

- والقلب والروح صارا كالخيط في الشهود ، منذ أن أبدى أول الخيط وجهه لى !!

- فجاء غراب البين فجأة لصيد الفأر وحمله من ذلك المكان .

(١) بالعربية في المتن .

— وعندما حلق الغراب بالفأر في طباق الجو ، انسحب الضفدع أيضاً من قاع الماء .

٢٩٥٥— والفأر في منقار الغراب ، والضفدع أيضاً معلق في الهواء قدمه في الخيط .

— وأخذ الناس يقولون : كيف صاد الغراب ضفدعاً مائياً من مكره ومن كيده .
— وكيف غطس في الماء ؟! وكيف اختطفه ؟! ومتى يكون الضفدع المائي صيدا لغراب ؟!

— وأجاب الضفدع : هذا جزاء من يكون قرينا لخسيس مثل من لا كرامة لهم .
— فالغياث من الرفيق من غير الجنس الغياث ، فابحثوا عن جليس طيب أيها العظماء .

٢٩٦٠— والعقل مستغيث من النفس كثيرة العيوب ، مثل أنف قبيحة على وجه جميل .

— فكان العقل يقول للضفدع: إن التجانس يقينا عن طريق المعنى وليس عن طريق الماء والطين .

— انتبه ولا تصر عابدا للصورة ولا تقل هذا القول ، ولا تبحث في الصورة عن سر التجانس .

— فالصورة شأنها شأن الجمد وشأن الحجر ، وليس لجامد خبر عن التجانس .
— والروح كالنملة والجسد كحبة القمح ، تجذبها من ناحية إلى أخرى كل لحظة.
٢٩٦٥— وتعلم النملة أن هذه الحبة التي تحملها ، سوف تتحلل وتصبح من جنسها .

– ونملة أخرى التقت حبة شعير من الطريق ، ونملة ثالثة حملت حبة قمح مسرعة .

– والشعير لا يسرع نحو القمح ، لكن النملة تسرع نحو النملة بلا جدال .

– وذهاب الشعير نحو القمح تابع لهذا "الذهاب" ، فانظر إلى النملة تعود إلى مَنْ من جنسها .

– فلا تقل أنت : لماذا جنحت حبة الشعير نحو حبة القمح ، ضع عينيك على الخصم لا على الرهينة !!

٢٩٧٠– إن النملة السوداء على طريق أسود ، النملة مخفية والحبة ظاهرة ، تتقدم الطريق .

– ويقول العقل للعين انظري جيداً ، متى تسير الحبة قط دون حامل للحبة ؟!

– ومن هنا جاء الكلب نحو أصحاب الكلب "الكهف" ، فالحبوب هي الصور والنملة هي القلب .

– ومن هنا يتجه عيسى عليه السلام نحو أطهار القلب ، فالأقفاص مختلفة والأفراخ من جنس واحد .

– إن هذا القفص ظاهر وفرخه خفي ، ومتى يكون القفص سائراً دون حامل للقفص ؟!

٢٩٧٥– وما أسعد تلك العين التي يكون العقل أميراً عليها ، تكون ناظرة للعواقب عالمة مستقرة !!

– فاستببطوا الفرق بين القبيح والطيب من العقل ، لا من العين التي تحدثت عن الأبيض والأسود .

– لقد خدعت العين بخضراء الدمن ، ويقول العقل : اعرضها على محكنا .

— وآفة الطائر العين التي ترى الشهوة ، ونجاة الطائر من العقل الذي يرى الشبكة .

— وكانت هناك شبكة أخرى لم يدركها العقل ، فانظر إلى وحى الغيب ، من هنا أسرع ذلك الصوب !!

٢٩٨٠— وتستطيع أن تعرف المتجانس من غير المتجانس عن طريق العقل ، ولا ينبغي الهجوم سريعاً نحو الصور !!

— وليس التجانس بالصورة لى أو لك ، خلق عيسى عليه السلام بشراً ، لكنه كان من جنس الملائكة !!

— فجذبه إلى ما فوق هذه القلعة الزرقاء ، ذلك الطائر الفلكى ، كما جذب الغراب الضفدع .

قصة عبد الغوث واختطاف الجن له وإقامته سنوات بين الجن

ومجيئه إلى بلده وأهله بعد سنين ثم عدم تعجبه من الجان

تحكم بحكم التجانس في المعنى واتحاد قلبه معهم

— كان عبد الغوث من جنس الجان ، إذ كان كالجن ، بقى تسع سنوات في طيران خفى .

— لقد أنجبت زوجته من زوج آخر ، وتحدث ورثته في مجالسهم عن موته .

٢٩٨٥— وتساءلوا : ترى هل اقترسه ذئب أو قاطع طريق ؟! أترأه سقط في بئر أو في كمين ؟!

— وانشغل أبناؤه بأمورهم ، ولم يكونوا حتى يتحدثون بأنه كان لهم أب .

— وبعد تسع سنوات جاء لكن كالعارية ، ظهر ثم توارى مرة ثانية .

— نزل ضيفاً على أولاده لمدة شهر ، وبعد ذلك لم ير له أحد وجهاً !!

- لقد حمّله من هم من جنسه من الجان ، مثلما يسلب الروح طعن السنّان .
- ٢٩٩٠- ولما كان من كتبت له الجنة من جنس الجنة ، صار من هذا التجانس عابداً لله .
- ألم يقل الرسول ﷺ : اعلم أن الجود والمحمدة هما غصنان من الجنة نزلا إلى الدنيا ؟!
- فاعلم أن كل ألوان الرحمة هي من جنس الرحمة ، واعلم أن كل أنواع القهر من جنس القهر .
- واللامبالاة تجلب اللامبالاة ، ذلك أنها من جنس واحد بمقياس العقل .
- كان في إدريس عليه السلام تجانس مع النجوم ، فظل مصاحباً لرحل ثمانى سنوات .
- ٢٩٩٥- كان رفيقاً له في المشارق والمغارب ، كان نجيه وموضع أسرارِهِ .
- وعندما جاء بعد الغيبة ، أخذ على الأرض يلقي الدروس عن النجوم !!
- وكانت النجوم مصطفة صفّا حسناً أمامه ، وكانت الكواكب حاضرة في درسه.
- حتّى أن الخلق من خواص وعوام ، كانوا يسمعون أسرار النجوم .
- وجذب التجانس جذب النجوم حتّى الأرض ، وجعلها أمامه تفصح وتبين .
- ٣٠٠٠- وكل واحد منها باح له باسمه وأحواله كما يشرح المرصد .
- ما هو التجانس ؟! إنه نوع من النظر ، به يجد كل منهما طريقه إلى الآخر !
- وذلك النظر الذي أخفاه الحق فيه ، عندما يضعه فيك تصوير متجانساً معه .
- فما الذي يجذب الجسد نحو كل صوب ؟! إنه النظر ، ومن الذي يجذب الغافل ؟! إنه العالم .
- وعندما يضع في الرجل طبع المرأة ، يصير مخنثاً ، يُنكح !!

٣٠٠٥- وعندما يضع الله في المرأة طبع ذكر ، تصير طالبة للمرأة ، تلك المرأة المساحقة !!

- وعندما يضع فيك صفات جبريل ، تبحث عن الطريق إلى الهواء كفرخ الطير !!

- تركز بصرك على الهواء منتظراً ، تصير غريباً عن الأرض عاشقاً للسماء .
- وعندما يضع فيك الصفات الحمارية ، فأنت مكتظ "بالطعام" في الاصطبل ، ولو كان لك مائة جناح .

- إن الفأر لم يحقر من أجل صورته ، لقد صار من خبثه مستضعفاً للهرة !! .
٣٠١٠- إنه باحث عن الطعام اللذيذ وخائن وعابد للظلمة ، وهو ثمل من الجبن والفسدق والدبس .

- وعندما يكون طبع الفأر في البازي الأشهب ، يكون عاراً على القنران وعاراً على الوحوش .

- وطبع هاروت وماروت يا بني ، عندما بدل وأعطاهما طبع البشر ؛
- سقطا مما قيل في شأنه ﴿ لنحن الصافون ﴾ ، منكسين مقيدتين في بئر بابل .
- وابتعد اللوح المحفوظ عن أنظارهما ، وصار لوحاً لهما الساحر والمسحور !!
٣٠١٥- هذا والجناح لم يتغير والرأس لم يتغير والجسد لم يتغير ، ومع ذلك فموسى عليه السلام على العرش وفرعون مهان !!

- فاسع في أثر الطبع وجالس حسن الطبع ، وانظر إلى تقبل زيت الورد للطبع .
- وإن تراب القبر ليجد من المرء الشرف ، حتى يضع القلب على قبره والوجه ، والكف !!

- فإذا كان التراب من جيرة الجسد الطاهر قد شرف وحاز الإقبال !!

– فقل أنت أيضاً : الجار ثم الدار ، فإن كان لك قلب، اذهب وابحث عن صاحب قلب .

٣٠٢- إن ترابه ليصبح في نفس سيرة الروح ، وبصير كحلا في أعين الأعراء .

– ورب ثاو في قبره كأنه التراب ، أفضل من مائة حى في نفعه وانتشاره !!
– لقد انحسر ظله ، وترابه ذو ظلال ، ومئات الآلاف من الأحياء تحت ظله.

**قصة ذلك الرجل الذي كان يتقاضى راتبا من محتسب تبريز
واقترض كثيرا على أمل ذلك الراتب دون أن يعلم بوفاته ...
والنتيجة أن ديونه لم يقضها حتى قط
ولم تقض إلا من المحتسب المتوفى
كما قيل:**

ليس من مات فاستراح بميت * إنما الميت ميت الأحياء

– جاء أحد الدراويش من أطراف الديار إلى تبريز مدينا .
– كان مدينا بتسعة آلاف دينار ذهبى ، على أمل أن بدر الدين عمر موجود في تبريز .

٣٠٢٥- كان محتسبا قلبه كالبحر ، وكل طرف شعرة منه موضع "لجواد" كحاتم.

– ولو كان حاتم موجوداً لكان قد تسول منه ، ولطأ رأسه ولصار ترابا تحت قدمه .

- ولو كان يعطى الظمان البحر الزلال ، لكان خجلا في كرمه من ذلك النوال! .

- ولو أعطى إحدى الذرات شمسا ، لكان ذلك غير جدير بهمته .

- جاء ذلك الغريب على رجائه ، فقد كان للغرباء قريب ونسيب .

٣٠٣- كان ذلك الغريب معتادا على بابه ، وكان قد قضى ديونا لا حد لها من عطائه.

- ولقد استدان أيضاً معتمدا على ذلك الكريم ، فقد كان الرجل واثقا من عطاياه.

- واعتمادا عليه صار لا مباليا مدينا ، على أمل البحر المتطبع بالكرم .

- فالمدينون عبوسون وهو متهلل الوجه ، ضاحك كالورد من ذاك الذي هو روض الكرام .

- ومن صارت له شمس العرب ظهيرا قويا ، أي حزن له من شوارب أبي لهب.

٣٠٣٥- فما دام عنده عهد السحاب وعلى صلة به ، متى يمنع عنه السقاة الماء؟! .

- والسحرة المتفهمون لقدرة الله ، متى يبدون لهذه الأيدي والأقدام اهتماماً؟! .

- والثعلب الذي يكون له عون من ذلك الأسد ، يكسر جماجم النمر بقبضته.

مجنو جعفر رضي الله عنه للاستيلاء على قلعة وحده

واستشارة ملك تلك القلعة وزيره في دفعه

وقول ذلك الوزير للملك: احذر وسالم ولا تتهور جهلا

فهذا الرجل مؤيد وله من الحق جمع عظيم في روحه ... إلى آخره ...

- عندما ذهب جعفر نحو إحدى القلاع ، والقلعة أمام فمه الظمان جرعة واحدة.

- وهاجم وهو راكب وحده القلعة كارًا ، حتى أغلقوا أبواب القلعة من الحذر .
٣٠٤٠- ولم تكن لأحد الجرأة على أن يتقدم لمنازلته ، فأين جرأة لراكب السفينة على التمساح ؟!!

- واتجه ذلك الملك إلى الوزير قائلاً : ما الحل الآن أيها المشير ؟!
- قال : "الحل" هو أن تترك الكبرياء والحيلة ، وأن تتقدم إليه بالسيف والكفن .
- قال : أليس رجلاً واحداً آخر الأمر ؟ ، قال "الوزير" لا تنتظر باستهانة الى فردية المرء .

- فافتح عينك وانظر جيداً إلى القلعة ، إنها مرتعدة مثل الزئبق أمامه !!
٣٠٤٥- وهو متربع على سرجه ثابت الجأش ذاك ، وكان الشرق والغرب معه .
- ولقد انطلق عدد من الأشخاص بفدائية مهاجمين إياه وألقوا بأنفسهم عليه .
- فكان يضرب كل واحد منهم بمقمعه ، ويجندله تحت أقدام جواده .
- كان صنع الحق قد أعطاه جماعة ، بحيث كان يهجم وحده على أمة .
- وعندما أبصرت عيني وجه ذلك العظيم ، سقطت كثرة الأعداد من عيني .
٣٠٥٠- وبالرغم من أن النجوم كثيرة والشمس واحدة ، إلا أن بناء النجوم منذك أمامها .

- وإذا أطلت آلاف الفئران من جحورها ، فليس عند القط خوفٌ منها ولا حذر .
- وإن صاحوا أن الفئران تتقدم يا فلان ، فليس هناك جماعة داخل أرواحها .
- بل هي جماعة مجتمعة بالصور ، فاطلب جمع المعنى من الخالق .
- وليست الجماعة من كثرة الأجسام ، فالأجسام قائمة على الرياح كالأسماء .
٣٠٥٥- ولو كانت هناك جماعة في قلوب الفئران ، لاجتمع عددٌ من الفئران حمية ؛

- ولهجت بحملة فدائية ملقبت بأنفها على القط دون إمهال .
- ولاقتل ذاك عينه بمخلبه ، ولمزق هذا أذنه بنابه .
- ولتقب ذلك جنبه ، ولقل خروجه عليه ، من تجمعهم .
- لكن أرواح الفئران لا جماعة فيها ، فيهرب الوعي من أرواحها عندما يموء القط .
- ٣٠٦٠- ويتجمد الفأر في مكانه من ذلك القط العيار ولو بلغت الفئران مئات الآلاف عدداً .
- وأى حزن لدى القصاب من القطيع الكبير ، وهل يمكن للوعي الكثير أن يسد طريق النوم ؟ .
- إن مالك الملك يعطى الجماعة للأسد ، بحيث يهجم على جماعة من حمر الوحش .
- فكيف تصير مئات الآلاف من حمر الوحش ذات القرون العشرة عدما أمام صولة الأسد ؟!
- وإن مالك الملك ليعطى ليوسف عليه السلام ملك الحسن ، حتى يصير مثل ماء المزن .
- ٣٠٦٥- ويضع في وجه ما ضياء كوكب ، بحيث يصبح أحد الملوك غلاما لفتاة.
- ويهب نوره لوجه آخر ، بحيث يرى في منتصف الليل كل خير وكل شر .
- ولقد استمد يوسف وموسى عليهما السلام النور من الحق ، في الوجه والوجهة وفي ذات الصدور .
- كان وجه موسى عليه السلام يلقى بالضياء ، فعلق حجابا أمام وجهه !!

- كان نور وجهه يعشى بالبصر ، مثلما يفعل الزمرد بقوته بعين الحية .
- ٣٠٧٠- وطلب من الله حتى يصبح ذلك الحجاب ساترا لذلك النور القوى .
- فقال : اصنع هذا الحجاب من خرقتك ، فهي لباس أمين بالنسبة للعارف .
- فإن ذلك الكساء وجد صبرا على النور ، إذ تألق نور الروح في سداه ولحمته.
- ولن يصبح وجاءا سوى مثل هذه الخرفة ، ولن يتحمل نورنا سواها .
- ولو أن جبل قاف تقدم ليمنع ذلك النور ، لدكه النور كما دك جبل الطور .
- ٣٠٧٥- ومن كمال القدرة أن أبدان الرجال ، وجدت الاحتمال للنور الذي لا مثيل له .

- وإن ما لا يتحمل الطور ذرة منه ، تجعل قدرته زجاجة مكانا له^(١) .
- صارت المشكاة والزجاجة مكانا للنور ، الذي يندك من نوره ذاك قاف والطور .

- فاعلم أن أجسادهم هي المشكاة وقلوبهم الزجاجة ، وقد أضاء هذا السراج فوق العرش والأفلاك .

- فكان نورهم حائرا ممحوا في هذا النور ، وفنى فيه كالنجم في هذا الضحى .
- ٣٠٨٠- ومن هنا روى خاتم المرسلين ، عن ذلك المليك الأزلى الأبدى ؛
- إذ قال : لا يسعنى فلك ولا خلاء ، ولا عقول ولا نفوس عالية ؛
- ويسعنى كالضيف قلب المؤمن ، بلا شكل وبلا كيف وبلا كيفية .
- حتى أنه بوساطة هذا القلب ، يجد الفوق ويجد التحت أنواع الملك والإقبال .
- وبدون مثل هذه المرآة ، لا الزمان ولا المكان يتألقان من حسنى .

(١) ج : ١٤ : ٢٤٦ :

- وذلك الذي لا يتحملة الطور ذرة منه أيها العظيم ، اتخذ مكانا له من زجاجة.

- ٣٠٨٥- ولقد سقنا جواد الرحمة على الكونين ، وصنعنا مرآة شديدة الاتساع .
- وهناك من هذه المرأة في كل لحظة خمسون عرس ، فاستمع إلى المرأة ، لكن لا تسأل عن تفسير " ما تسمع " .
- الخلاصة أن "موسى" صنع حجابا من خرقة ، فقد كان يعلم نفوذ ذلك القمر .
- ولو كان هذا الحجاب من غير لباسه ، لتحطم ، حتى ولو كان الجبل الأشم .
- ولنفذ من الجدران الحديدية ، وماذا كان الحجاب يفعل من فيه مع نور الحق ؟
- ٣٠٩٠- كان ذلك الحجاب قد صار صاحب نور ، إذ كان عند الوجد خرقة عارف^(١) .
- ومن هنا تصير النار منقادة عند المحترق الذي جرب النار من قبل .
- ومن الهوى وعشق نور الرشاد ذاك ، أذهبت " صافورا " كلتا عينيها أدراج الرياح .
- لقد فتحت عينا واحدة في البداية ورأت نور وجهه فضاعت تلك العين .
- ثم لم يبق لها بعدها صبر ، وفتحت العين الأخرى ، وضحت بها من أجل ذلك القمر .
- ٣٠٩٥- مثل ذلك الرجل المجاهد يهب الخبز ، وعندما يسطع عليه نور الطاعة يبذل الروح .
- فقالت لها امرأة : أمن أجل تلك العين الجميلة التى ضاعت منك تتحسرين ؟!
- قال إننى أتحسر على أنه لو كانت لى ألف عين لكنت ضحيت بها كلها .

(١) ج : ١٤ / ٢٤٧ :

- كان ذلك الحجاب قد صار ساترا للنور ، إذ كان من خرقة صاحب حضور .

- لقد خربت كوة عيني من القمر ، لكن القمر قبع في الخرابات كالكنز .
- فمتى يسمح الكنز أن تذكر خراباتي هذه رواقى ومنزلى !!
- ٣١٠٠- وكان نور وجه يوسف ~~عليه السلام~~ عند سيره ينفذ من نوافذ كل القصور .
- فكانوا يتهامسون داخل الدور قائلين ، ها هو يوسف هنا في جولانه ومروره!!
- ذلك أنهم كانوا يرون على الجدار ذلك الشعاع ، فكانوا يفهمون ، سكان تلك البقاع .
- والمنزل الذي يكون له كوة على تلك الناحية ، يكون له الشرف من طواف يوسف ذاك .
- فانتبه ، وافتح كوة ناحية يوسف ، وابدأ في المشاهدة من فرجتها .
- ٣١٠٥- وإن مزاولة العشق هى صنع تلك الكوة ، فمن جمال الحبيب يكون الصدر منوراً .
- إذن فانظر إلى وجه المحبوبة دائما ، وهذا في يدك ، فاسمع أيها الأب .
- واجعل طريقا متجها نحو بواطنك ، وأبعد الإدراك الذي يفكر في الغير .
- وعندك كيمياء اجعلها دواءً للفشور ، واجعل الأعداء بهذه الصنعة أصدقاء .
- وعندما تصير جميلا تصل إلى ذلك الجميل الذي يخلص الروح من العزلة والوحدة .
- ٣١١٠- فإن ظله تربية لبستان الأرواح ، ونفسه إحياء لقتيل الغم .
- أليس هو الذي يهب كل ملك الدنيا الدون ، ويمنح مئات الآلاف من أنواع الملك المختلفة ؟
- وفوق ملك جماله أعطاه الحق ملكة التعبير دون درس أو تمرين !!

- وملك الحسن جره نحو السجن ، أما ملك العلم فقد سما به إلى عطار .
- صار الملك غلاما له لعلمه وفضله ، ذلك أن ملك العلم محمود عن ملك الحسن !!

عودة إلى حكاية ذلك الشخص المدين

ومجيئه إلى تبريز علو أمل عناية ذلك المحتسب

٣١١٥- لقد جد ذلك الغريب الممتحن خوفا من الدين في الطريق نحو دار سلامه .

- ذهب صوب تبريز وحى كلستان ، وقد استرخى أمله فوق محفة من الورد .
- وطرقه نور فوق نور من تبريز دار الملك السنية ، على أمله .
- فضحكت روحه من روضة الرجال ، ومن نسيم يوسف ومصر الوصال .
- قال : " يا حادى أنخ لى ناقتى ، جاء إسعادى وطارت فاقتى ؛
- ٣١٢٠- ابركى يا ناقتى طاب الأمور .: إن تبريز مناخات الصدور
- إسرحي يا ناقتى حول الرياض ، إن تبريزا لنا نعم الوفاض " (١) .
- أيها الجمال ، أنزل الأحمال من فوق الجمال ، فهذه هى مدينة تبريز وهذا هو حى كلستان .

- إن لهذه المزرعة بهاء الفردوس ، ولتبريز هذه نور العرش .
- وفي كل لحظة نور للروح ، مثير للروح ، من فوق العرش ، على أهل تبريز .

٣١٢٥- وعندما طلب منزل المحتسب ذلك الغريب ، قال له الناس لقد توفى ذلك الحبيب .

(١) ما بين القوسين بالعربية في المتن .

– لقد انتقل أول أمس من دار الدنيا ، والرجال والنساء في حزن على وفاته .
– لقد مضى ذلك الطاووس العرشي نحو العرش ، عندما وصلتته من الهاتفين
رائحة العرش .

– وبالرغم من أن ظله كان ملجأ للخلق ، إلا أن الشمس سرعان ما طوته !! .
– لقد ساق سفينته من هذا الساحل أول أمس ، فقد مل هذا السيد من دار الحزن
هذه !! .

٣١٣٠- فصاح الرجل وخر مغشيا عليه ، وكأنه هو الآخر قد أسلم الروح في
أثره .

– فرشوا وجهه بماء الورد والماء ، وبكى رفاقه على أحواله .
– وظل مغشيا عليه حتى الليل ، ثم عادت روحه من الغيب بين الحياة والموت .

علم ذلك الغريب بوقاة المحتسب

واستغفاره عن الاعتماد على المخلوق

وتعويله على عطاء المخلوق وتذكره للنعم التي أنعم الله بها عليه

وإنابته إلى الحق من جرمه ﴿ ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ﴾

– وعندما أفاق ، قال : أيها الإله : لقد كنت مجرما إذ كنت آملا في الخلق .
– وبالرغم من أن "السيد" كان قد أبدى من السخاء الكثير ، إلا أن سخاءه ذاك لم
يكن قط كفو عطائك .

٣١٣٥- لقد وهب قلنسوة بينما وهبت أنت رأسا مليئة بالعقل ، وهو وهب قباء
وأنت وهبت القوام .

– لقد أعطاني الذهب وأعطيتني أنت اليد التي تعد الذهب ، لقد أعطاني الدابة ،
وأعطيتني أنت العقل الذي يسوسها !! .

- لقد أعطاني السيد شمعا وأنت أعطيتني العين القريرة ، وأعطاني السيد
النُّقْل" ، وأعطيتني أنت شهية الطعام .
- لقد أعطاني الراتب ، وأنت أعطيتني العمر والحياة ، ووعدته بالذهب ،
ووعده أنت بالطيبات .
- لقد أعطاني المنزل ، وأنت أعطيتني الفلك والأرض ، وفي مأواك هو ومائة
من العظام أمثاله^(١) .
- ٣١٤٠- والذهب أيضاً منك وهو لم يخلق الذهب ، والخبز ملك لك ، وهو
موصل له .
- وذلك السخاء وتلك الرحمة أنت أيضاً وهبتها إياه ، فقد كنت تزيد سروراً من
سخائه .
- ثم جعلته هو قبلة لى ، وتركت صانع تلك القبلة في الأصل .
- وأين كنا نحن ، عندما كان ديان الدين يزرع العقل في الماء والطين ؟!
- عندما كان يبدع الفلك من العدم ، وعندما كان يمد هذا البساط الترابى .
- ٣١٤٥- وعندما كان يضع مصابيح من الكواكب ، وعندما كان يصنع من
الطبائع أقفالاً ذات مفاتيح .
- وما أكثر الأبنية الظاهرة والخفية ، التى أدرجها في هذا السقف وفي هذا
الفراش .
- وآدم الطَّيِّب هو اصطرلاب أوصاف العلو ، ووصف آدم هو مظهر لآياته .
- وكل ما يبدو فيه انعكاس له ، مثل انعكاس ضوء القمر في ماء النهر .

(١) ج : ١٤ : ٢٦٣ :

— كل ما أعطاه أيها الملك أعطاه منك ، إذ خلقت قلبه ويده عظيمين !!

- وعلى اصطرلابه نقوش العنكبوت ، ذات إثبات لأوصاف الأزل .
٣١٥٠- حتى يلقي عنكبوته بالدروس من الشروح ، عن فلك الغيب وعن شمس
الروح .

- والعنكبوت وهذا الاصطرلاب للرشاد ، سقطا بلا منجم في أيدي العوام .
- لكنه أعطى الأنبياء حق التنجيم هذا ، إذ ينبغي للغيب عين ترى الغيب .
- وقد سقط "أهل" القرون في بئر الدنيا ، ورأى كل منهم صورته داخل البئر .
- رأوا صورهم في البئر ولم يروها خارجه ، وكالأسد المخدوع انطلقوا داخل
البئر .

٣١٥٥- فاعلم أنه من الخارج ذلك الذي ظهر لك في البئر ، وإلا فأنت ذلك
الأسد الذي سقط في البئر .

- أضله أرنب عن طريقه قائلاً له : يا فلان ، إنه في قاع البئر ذلك الأسد
الهصور .

- فامض داخل البئر وانتقم منه ، واقطع رأسه ما دمت أكثر قوة منه .
- إن ذلك المقلد صار مسخراً للأرنب ، وصار شديد الغضب من خياله هو .
- إنه لم يقل ، ليست هذه صورة من عطاء الماء ، وليست إلا غشا من ذلك
الغشاش .

٣١٦٠- وأنت أيضاً عندما تنتقم من العدو يا عبد "الجهات" الستة ، فأنت شديد
الخطأ بالنسبة للجهات الستة .

- إن تلك العداوة فيه انعكاس للحق ، فهي مشتقة من صفات القهر هناك .
- وذلك الذنب فيه من جنس جرمك ، فينبغي أن تغسل هذه الخصلة من طبعك .
- لقد بدى خلقك القبيح فيه ، فقد كان لك مثل صفحة المرأة .

– فما دمت قد رأيت قبحك أيها الجميل (!!) في المرأة ، فلاتهجم على المرأة !!
٣١٦٥ – إن نجمة سنية تتعكس على الماء ، وأنت تحثو التراب على انعكاس
النجمة ؛

– قائلاً : إن هذه نجمة نحس ظهرت في الماء حتى تجعل سعدنا دنيا .
– وتحثو تراب الغضب على رأسها ، ما دمت تظنها من خطئك نجمة .
– واختفت الصورة وسيقت نحو الغيب ، وأنت تظن أن تلك النجمة لم تبق .
– إن نجمة النحس تلك موجودة في السماء ، وينبغي أن تعالجها من تلك الجهة .
٣١٧٠ – بل ينبغي أن يعلق القلب بحيث لا جهة ، إن النحس هنا هو انعكاس
النحس الذي لا جهة له .

– فاعلم أن العطية هي عطية الحق وهبته هي انعكاس ذلك العطاء في "الحواس"
الخمس وفي "الجهات" الستة !!

– وإذا كانت عطايا الأخساء أكثر عددا من الرمل ، فإنك تموت وتبقى هي
ميراثا من بعدك !!

– فحتام يمكن ناظر ك في انعكاس "الأمر" ، اشتغل برؤية الأصل يا ضال
الرؤية .

– فعندما جاد الحق على أهل الضراعة ، وهبهم مع العطاء العمر الطويل .
٣١٧٥ – لقد صارت النعمة خالدة والمنعم عليه ، وهو محيي الموتى فاجتازوا
إليه .

– إن عطية الحق تمتزج بك كالروح ، بحيث تصير هي أنت وأنت هي .
– ولو لم يبق الاشتهااء للخبز والماء ، فإنه يعطيك بلا هذين القوت المستطاب .

- وإن ذهبت عنك السَّمنة فإن الحق يعطيك في النحول سمنة مختفية من ذلك الصوب !!

- فما دام يعطى الجنى قوتا من الرائحة ، ويعطى لكل ملك قوت الروح .
٣١٨٠- فماذا تكون الروح حتى تتخذ منها أنت سنداً ، إن الحق يبيئك حيا بعشقه.

- فاطلب منه حياة العشق ولا تطلب الروح ، أطلب منه ذلك الرزق ولا تطلب الخبز .

- واعلم أن الخلق كالماء الصافي الزلال ، تتألق فيه صفات ذى الجلال .
- وعلمهم وعدلهم ولطفهم بمثابة "انعكاس" نجمة الفلك في الماء الجارى .
- والملوك هم مظهر لملوكية الحق ، والفضلاء مرآة لمعرفة الحق .
٣١٨٥- لقد مرت القرون ، وهذا قرن جديد ، والقمر هو القمر لكن هذا الماء ليس ذاك الماء .

- والعدل هو ذلك العدل ، والفضل هو ذلك الفضل ، لكن هذا القرن وهذه الأمم قد استبدلت .

- وتوالت القرون وراء القرون أيها الهمام ، وهذه المعانى مستقرة ودائمة !!
- لقد تبدل الماء في هذا الجدول عدة مرات ، وانعكاس القمر وانعكاس النجم دأمان .

- إذن فليس أساسها هو الماء الجارى ، بل على أقطار عرض السموات .
٣١٩٠- وهذه الصفات مثل النجوم المعنوية ، اعلم أنها مستندة على فلك معنوى.

- والحسان مرآة لحسنه ، وعشقهم صورة لطلبه .

- وهذا الخد والخال يمضيان إلى أصلهما ، فمتى يبقى الخيال في الماء دائماً ؟!
- إن كل الصور انعكاس لماء النهر ، وعندما تحك عينك فكل الأشياء هي هو .
- ثم قال له عقله : أترك هذا الحول ، فإن الخل هو الدبس والدبس هو الخل .
٣١٩٥- فكيف قلت أن السيد كغيره من القصور ، اخجل أيها الأحول من الملك
الغيور .

- ولا تعتبر ذلك السيد الذي جاوز الأثير من جنس فئران الظلام هذه .
- فانظر إلى السيد الروح ، ولا تنتظر إلى الجسد الثقيل ، انظر إليه كلب ولا
تنتظر إليه كعظام .

- ولا تنتظر إلى السيد بعين إبليس اللعين ، ولا تتسبه إلى الطين .
- ولا تسم رفيق الشمس خفاشاً ، ومن صار مسجوداً له لا تعتبره ساجداً .
٣٢٠٠- إن هذا يشبه الصور وليس بصورة ، فليس للحق ظهور على مثال
الصورة .

- لقد رأى شمساً ، ولم يبق جامداً ، وزيت الورد لا يشبه زيت السمسم .
- وعندما بدلهم إيدال الحق ، " لم يعودوا " من الخلق فدعك من هذا .
- وكيف تصير قبلة الوجدانية اثنتين ؟! وكيف يصير التراب مسجوداً للملائكة ؟
- ولما كان ما رآه المرء في هذا الجدول خيال تفاحة ، وملأت هذه الرؤية
حجره بالتفاح ؛

٣٢٠٥- فمتى كان ما رآه في الجدول خيالاً ، وقد امتلأت من رؤيته مائة
جوال ؟! (١)

(١) ج : ١٤ / ٢٦٦ :

- إن هذا يشبه الصور وليس بصورة ، والمعنى في الحقيقة يكون عكس الصورة .

— فلا تنظر إلى الجسد ، ولا تفعل ما فعله أولئك الصم والبكم ، إذ ﴿ كذبوا بالحق لما جاءهم ﴾ !!

— إن "أحمد" هو مصداق ﴿ ما رميت إذ رميت ﴾ ، ومن ثم صارت رؤيته هي رؤية الخالق^(١) .

— وخدمته هي خدمة الحق ، ورؤية النهار هي رؤية هذه الكوة .

— وبخاصة تلك الكوة المتألقة من ذاتها ، ليست تلك التي تكون رهنا بالشمس والفرقد .

٣٢١٠— وأيضاً من تلك الشمس التي طرقت الكوة ، لكن ليس عن الطريق والصوب المعهود .

— فبين الشمس وهذه الكوة طريق ، ليس للكوات علم به .

— هذه حتى انه عندما يأتي سحاب ويغطي الفلك ، يكون نورها جياشاً في هذه الكوة .

— فهو غير طريق هذا الجو والجهات الستة ، هناك ألفة بين هذه الكوة والشمس .

— إن مدحه وتسبيحه هو تسبيح الحق ، فإن الثمار تثبت من نفس هذا الطبق .

٣٢١٥— فالتفاح ينبت من هذه السلة بوفرة ، وليس عيباً إذا سميتها شجرة ،

— فسم تلك السلة شجرة تفاح ، فبينهما ، امتد طريق في الخفاء .

— وأن ما ينمو من الشجرة المثمرة ، ينمو من تلك السلة نفس ذلك النوع من الثمر . .

— فانظر إلى السلة على أنها شجرة الإقبال ، واجلس سعيداً في ظل هذه السلة .

(١) ج : ٢٦٦ / ١٤ :

— وقد اصطفاه الحق من بين الإنس والجان - ومن هنا سماه رحمة للعالمين !!

- وما دام الخبز قد سبب لك الإسهال ، لا تسمه خبزاً بل سمه عقار المحموده .
٣٢٢٠- وإذا أضاء تراب الطريق الروح والبصر ، انظر إلى ترابه ككحل
وسمه كحلا .

- وما دام الشروق يسطع من فوق هذه الأرض ، لماذا أرفع وجهي إذن إلى
العيوق ؟!

- لقد صار فناءً فلا تسمه وجوداً أيها الوقح ، ومتى يبقى المدر جافاً في مثل
هذا النهر ؟

- ومتى يطلع الهلال أمام هذه الشمس ، ومع ذلك البطل^(١) ، ماذا تكون قوة
العجوز ..

- إن ذلك الإله طالب وغالب ، حتى يدمر هذه الموجودات بأجمعها .
٣٢٢٥- فلا تتطق بالاثنين ، ولا تعتبره اثنتين ، ولا تسمه اثنين ، بل اعتبر
العبد فانياً في سيده .

- ولقد فنى السيد في نور خالق السيد ، ومات وانتهى ودفن .
- فكيف تعتبر هذا السيد منفصلاً عن الحق ، فتفقد المتن والديباجة على السواء؟
- وهيا ، واعبر بالعين والقلب من هذا الطين ، إن هذه قبلة واحدة ، فلا تعتبرها
قبليتين .

- فما دمت قد رأيتهما اثنين ، فقد عجزت من كل ناحية ، لقد اندلعت النار في
المرخ ، وذهب المرخ .

مثل الأحول مثل ذلك الغريب في مدينة كاشان المسمى بعمر ،

ولهذا السبب حولوه من هذا الدكان إلى ذلك الدكان

(١) حرثياً : يسم .

ولم يفهم أن كل الحوانيت واحدة في أنها لا تباع لمن يسمى عمر ،
فقال في نفسه : لأتدارك الأمر في التو واللحظة وأقول : لقد أخطأت ،
ليس اسمي عمر ، وعندما أتوب وأتدارك الأمر أمام هذا الحانوت
فإنى أحصل على الخبز من كل حوانيت هذه المدينة ،
وإذا لم أتدارك الأمر وأظل اسمي بعمر ، أمر من هذا الحانوت محروماً ،
وأكون أحول إذ اعتبرت كل هذه الحوانيت مختلفة عن بعضها !!

٣٢٣٠- إذا كان اسمك عمر وتكون في مدينة كاشان ، فإن أحداً لن يبيعك
فطيرة واحدة ولو بمائة دانيق !!

- وعندما تقول أمام حانوت : اسمي عمر ، فيخبروا لعمر هذا الخبز كرماء .
- يقول لك : امض إلى ذلك الحانوت الآخر ، فإن رغباً واحداً منه أفضل من
خمسین رغيف من هذا الحانوت .

- ولو لم يكن أحول في رؤيته ، لقال : ليس هناك حانوت آخر .
- ولأصاب إشراق عدم الحول قلب الكاشاني ، ولصار عمر علياً .
٣٢٣٥- ومن هنا يقول لذلك الخباز ، بَع الخبز لعمر هذا أيها الخباز .
- وعندما سمع هو أيضاً اسم عمر سحب الخبز ، ثم أرسلك إلى حانوت بعيد .
- قائلاً : أعط عمر هذا الخبز يا شريكى ، ومعناه افهم السر من صوتي .
- وسوف يحولك هو أيضاً من ناحيته ، صائحاً : انتبهوا لقد جاء عمر ليحصل
على الخبز .

- وإذا كنت عمر في حانوت واحد فامض ، وصر محروماً من الخبز في كل
كاشان .

٣٢٤٠- وإذا قلت أن اسمك "على" في حانوت واحد ، فهيا خذ الخبز من هذا الحانوت ، دون تحويل ، ودون مشقة .

- وما دام الأحول ذو النظرتين قد حرم من الشرب ، فما بالك أنت وأنت ترى الشيء عشرة يا بائع أمك!!

- وفي كاشان الدنيا هذه داوم على الطواف من حولك كعمر ، ما دمت لست عليا .

- فلأحول في هذا الدير الخرب انتقل مستمر من ناحية إلى أخرى ، لعل خيرا يقع .

- ولو كان لك عينان عارفتان بالحق ، فانظر إلى ساحة الدارين مليئة بالحبيب.

٣٢٤٥- ولنجوت من التقل من مكان إلى آخر ، في كاشان هذه المليئة بالخوف والرجاء .

- وانك إن رأيت في هذا الجدول برعمة أو شجرة ، فلا تتخيل أن كل جدول يشبهه .

- وأن يكون لك من نفس هذه الصور حق حقيقى وبيع للثمار !!

- فالعين من هذا الماء تتحرر من هذا الحول ، فترى الصور ، وتمتلئ السلة .

- ومن ثم يكون هذا بالمعنى بستاناً ليس نهراً ، إذن فلا تخف كبلقيس من الصرح الممرد !!

٣٢٥٠- إن الأحمال متنوعة على ظهور الحمر ، فانتبه ولا تسق كل هذه الحمر بعصا واحدة .

- فعلى ظهر حمار حمل من الياقوت والجوهر ، وعلى ظهر حمار آخر حمل من الحجر والمرمر .

— فلا تسق هذه الحكمة على كل الجداول ، وانظر إلى القمر في هذه الجداول ،
ولا تعتبره صورته .

— إن هذا هو ماء الخضر ليس ماء الوجود والفخاخ ، وكل ما يظهر فيه يكون
حقيقة .

— فمن قاع هذا الجدول يقول القمر أنا القمر ، لست صورة قمر ، أنا محادثك
ورفيقك

٣٢٥٥— إن ما هو أعلى موجود في هذا الجدول ، فاحصل عليه سواء من عل
أو من الجدول .

— ولا تعتبر هذا الجدول مثل بقية الجداول ، واعتبره قمرا ذلك الشعاع من
قمرى الوجه^(١) .

— إن هذا الكلام لا نهاية له وذلك الغريب ، بكى كثيرا من ألمه على السيد ،
وصار كئيبا .

طواف رجل شهم بكل مدينة تبريز

وجمعه لشئ قليل وذهب ذلك الغريب إلى قبر المحتسب زائرا

وروايته لقصته على قبره نائحا ... إلى آخره

— لقد اشتهرت واقعة دينه هذا ، فتألم رجل شهم لألمه .

— ومن أجل جمع المال له طاف بكل المدينة ، كان يروى في كل مكان قصته
طامعا .

(١) ج : ١٤ : ٢٨١ :

— وانظر إلى كل ما تريده في هذا الجدول من نعيم وتاج وإقبال بل ومن دين .

— ففي هذا الجدول كل ما تريده ، انظر إليه ثانية واشكر من أجل الزيادة

— وكل ما يطلبه الخلق في الكونين ، صار موجودا فيه دون بعد أو بون !!

٣٢٦٠- لكن ذلك العابد للكديّة لم يجمع عن طريق الكديّة سوى مائة دينار .
- فجاءه الرجل الشهم وأخذ بيده ، وذهب به إلى قبر ذلك الكريم العجيب "فى
كرمه" .

- وقال : إذا وفق الله العبد إلى النزول على أحد السعداء ؛
- ثم يؤثره بماله ، ويقدم جاه "ضيفه" على جاهه؛
- فإن شكره يكون شكر للإله يقينا ، إذ وفقه إلى أن يكون للإحسان قرينا .
٣٢٦٥- فترك شكره ترك لشكر الحق ، وحقه بلا شك ملحق بحق الحق .
- فداوم على شكر الله تعالى في النعم ، وأيضاً داوم على شكر السيد وذكره .
- ورحمة الأم وأن كانت من الله ، إلا أن خدمتها أيضاً فريضة واجبة .
- ولهذا السبب قال الله تعالى : ﴿ صلوا عليه ﴾ ، ذلك أن محمداً ﷺ تحال إليه
"أحوال أمته" .

- ويوم القيامة يقول الله للعبد : هه ... ماذا فعلت بما أعطيتك إياه ؟
٣٢٧٠- يقول : يارب : قمت بشكرك بالروح ، إذ كان منك أصل ذلك الرزق
والخبز .

- يقول له الحق : لا ... لم تقم بشكرى ، عندما لم تشكر ذلك الذي ديدنه الكرم .
- لقد ارتكبت الظلم والجور في حق كريم ، ألم تصنك نعمتى من يده ؟!
- وعندما وصل إلى قبر ولى النعم ذاك ، بكى في حرقة وبدأ في الرثاء .
- وقال : يا ظهيرا لكل نبيل وملجأ له ، ويا أيها المرتجى والغوث لأبناء السبيل .
٣٢٧٥- يا من هم أرزاقنا في خاطرك ، ويا من إحسانك وبرك كالرزق العام .
- ويا من أنت للفقراء الوالدان والعشيرة ، في الخراج وفي النفقة وفي إيفاء
الدين .

—ويا من أنت كالبحر ، أعطيت الجوهر للقريبين منك ، واتحفت البعيدين بالمطر .

—كانت ظهورنا محمية بك أيتها الشمس ، يا رونقا لكل قصر وكنزا في كل خرابة.

—يا من لم ير أحد على حاجبك عبوس قط ، ويا من أنت عظيم كميكائيل ، موزع للرزق .

٣٢٨٠- ويا من قلبك متصل ببحر الغيب ، ويا من أنت عنقاء الغيب في قاف المكرمة .

— انك لم تذكر لى قط ولم تسألنى ، ماذا ذهب من مالك ؟! يا من لم ينشق سقف همتك قط .

—ويا من أنا ومائة مثلى صاروا لشهور وسنين عيالا عليك كأنهم من نسلك .

—يا نقدنا ويا متاعنا ويا ثيابنا ، ويا سمعتنا وفخرنا وإقبالنا .

—إنك لم تمت ، بل مات عزنا وإقبالنا ، ومات سرورنا ورزقنا المستوفى^(١) .

٣٢٨٥- إنك واحد كالآلف في القتال والكرم ، وأنت مائة من أمثال حاتم عند الإيثار بالنعم .

—وإذا كان حاتم يهب ميتا لميت ، فإنه يعطى مجرد جوزات معدودة .

—وانك لتهب في كل نفس حياة لا يستوعبها من نفاستها نفس .

—إنك تعطى حياة باقية جداً ، وتعطى الذهب نقدا لا يكسد ولا يعد .

—يا من لا وارث لخصلة من خصالك ، يا من لا يزال الفلك ساجداً في حيك !!

(١) ج : ١٤ : ٢٨٨ :

— كان هذا كله من الحق وأنت الواسطة ، وكنت الرابط بيننا وبين الحق .

٣٢٩٠- إن لطفك هو راعي الخلق "حارسهم" من ذئب الغم ، وأنت مثل كليم الله، أنت راعي حنون^(١) .

- لقد هرب كبش من كليم الله ، "ومن أجله" امتلأت قدم موسى بالبثور ، واهترا نعله .

- وظل في أثره طوال الليل في بحث وتقيب ، وذلك القطيع غائب عن نظره .
- ووهن الكبش من التخلف " عن القطيع " وعجز ، فنفض كليم الله التراب عن جسده .

- وأخذ يمسح براحة يده على ظهره ورأسه ، وأخذ يدلله حبا كأنه أمه .
٣٢٩٥- ولم تكن عنده ولا نصف ذرة من الحدة والغضب ، فلا شئ عنده إلا الحب والشفقة ودمع العين .

- وقال : لا فرض أن إحساسا بالرحمة لم يبدر مني عليك ، فلماذا أبدى طبعك الظلم عليك ؟!

- فقال الله تعالى للملائكة في تلك اللحظة ، إن فلانا جدير بالنبوة .
- وحتى المصطفى نفسه قال : إن كل نبي قام بالرعى في صباه أو في شبابه .
- وبدون الرعى وامتحانه به لم يعطه الحق إمامة الدنيا .
٣٣٠٠- وسأله أحدهم : حتى أنت أيها الهمام ؟! فقال : لقد قمت بالرعى حيناً من الدهر .

- وليس هذا إلا لكي يظهر صبرهم ووقارهم ، قد جعلهم الله رعاة قبل نبوتهم .
- وكل أمير يقوم برعاية البشر بالطريقة التي أمر بها .
- ويقوم برعيه بحلم كحلم كموسى عليه السلام ، وبتدبير وعقل .

^(١) في " ج " (٢٩٣/١٤) : عنوان : هروب خروف من كليم الله وشفقته عليه وحديه به .

- فلا جرم أن الله تعالى يهبه الرعى الروحانى على قمة فلك القمر !!
- ٣٣٠٥- مثلما سحب الأنبياء من ذلك الرعى ، وأعطاهم رعى الأصفياء
- ولعلك - أيها السيد - قمت في رعيك هذا بما يعنى شأنك .
- فإننى أعلم أن الله كافأك هناك ، ومنحك الرئاسة الأزلية .
- وعلى أمل كفك الذي هو كالبحر ، وجودك الذي لا ينقطع ، وإيفائك ؛
- استندت تسعة آلاف من الدنانير الذهبية جزافا ، فأين أنت حتى يصير هذا الكدر صافياً .
- ٣٣١٠- أين أنت ؟! حتى تقول وأنت ضاحك كالرياض ، خذ هذا منى وعشرة أضعافه ،
- أين أنت ؟! حتى تجعلنى ضاحكاً وتجعلنى بلطفك وإحسانك كأرباب "الأموال".
- أين أنت ؟! حتى تحملنى إلى خزانتك وتجعلنى آمناً من الدين والفاقة .
- وأنا أقول لك ، كفى وأنت المتفضل على تقول لى : خذ هذا أيضاً من أجل خاطرى .
- فكيف يسع ما تحت الطين عالماً ؟! وكيف تستوعب سماء في "بطن" الأرض ؟!
- ٣٣١٥- حاشا لله ، إنك خارج هذا العالم ، سواء حين حياتك ، وسواء الآن .
- إن طائراً يخفق بجناحيه محلقاً في هوى الغيب ، لكن ظله "لايزال" منعكساً على الأرض .
- والجسم هو ظل ظل القلب ، ومتى يكون الجسم جديراً برتبة القلب ؟!
- إن الرجل يكون نائماً وروحه كالشمس ، متألئة في الفلك ، والجسد نائم في الرداء .

- والروح مختفية في الخلاء كأنها في سجاد ، والجسد لا يزال يتقلب تحت اللحاف .

٣٣٢٠- والروح ما زالت خفية "مصادقا لقوله أنها" ﴿ من أمر ربى ﴾ ، وكل مثال أقوله ينتقى !!

- فوا عجا أين ياقوتك الذي كان ينثر السكر ؟! وأين إجاباتك الحلوة وأسرارك ؟!

- وواعجا ، أين ذلك العقيق القاضم للسكر ، وذلك المفتاح لقفل المشاكل عندنا ؟!

- وواعجا ، أين ذلك النفس "الماضى" كذى الفقار ، ذلك الذي يجعل العقول بلا قرار ؟!

- وحتام كالفاختة الباحثة عن عشا ، أظل أصيح كوكو كوكو ، أين ؟... أين ؟... أين ؟!

٣٣٢٥- أين نفس ذلك الموضع الذي كان يحتوى على صفات الرحمة والقدرة والنزاهة والفتنة ؟!

- أين نفس ذلك الموضع الذي قلبه وفكره ، كانا دائما هناك كالأسد وعرينه ؟
- أين نفس ذلك الموضع الذي كان رجاء الرجال والنساء يمضى إليه وقت الحزن والهم ؟!

- أين نفس ذلك المكان الذي في وقت العلة ، تفر إليه العين على أمل الصحة ؟!

- ذلك المكان الذي كان دائما من أجل دفع القبح ، باحثا عن الريح للزرع والسفينة ؟!

٣٣٣- إنه من ذلك الطرف الذي يشير إليه القلب عندما يصيح اللسان : يا هو !!

- إنه مع الله فيما وراء المكان ذلك الذي كنت أقول من أجله "ماكو" كالنساج^(١) .

- وأين عقولنا حتى ترى الغرب والشرق ، وتطرق الأرواح مائة نوع من البروق .

- كان جزره ومده في بحر ذى زبد ، وانتهى الجزر ، وبقي المد !!
- وأنا مدين بتسعة آلاف ولا معين ، وهناك مائة دينار من كل هذا الجمع ...
فحسب !!

٣٣٣٥- ولقد سحبك الحق وبقيت أنا في محنة ، وسأمضى قانطاً يا حلو المثنوى .
- فداوم على أعمال الهمة في شديد الحسرة عليك ، يا ميمون الوجه واليد والهمة .

- فلقد جئت إلى العين وأصل العيون ، فوجدت فيها دماً بدلاً من الماء .
- والفلك هو الفلك ، لكن ضوء القمر ليس موجوداً ، والجدول هو الجدول وليس ذلك الماء هو الماء .

- والمحسنون موجودون وأين ذلك المستطاب ، والكواكب موجودة وأين تلك الشمس ؟!

٣٣٤- لقد صرت إلى الله أيها المحترم ، وعلى أنا أيضاً أن أمضى صوب الحق !!

- فهو مجمع العلم وماوى القرون ، وهى حق ﴿ كل لدينا محضرون ﴾ .

(١) تلاعب لفظي بين "ماكو" أى مكوك النساج ، وكو بمعنى أين .

— فالصور سواءً علمت أو لم تعلم ، تكون مختصرة في كف انتقاش .
— ولحظة بلحظة تكون في صفحات تفكيرهم ، تثبت وتمحي دون إمارة أو دليل .
— يثبت الغضب فيمحو الرضا ، ويثبت البخل فيمحو السخاء^(١) .
٣٣٤٥— ومدركاتي في الغدوالأصال ليست خالية للحظة واحدة من هذا الإثبات والمحو .

— إن الفخارى يكون صانعا للإناء ، ومتى يكون الإناء من نفسه عريضا أو طويلاً ؟!

— والخشب رهن بيد النجار ، وإلا فكيف يصير مقطوعا ومتسقاً ؟
— والثوب يكون في يد الخياط ، وإلا فكيف يخاط أو يفصل من نفسه ؟!
— والقربة تكون في يد السقاء أيها المنتهى ، وإلا فكيف تصير من نفسها ملأى أو فارغة ؟!

٣٣٥٠— وأنت في كل لحظة تمتلئ وتفرغ ، إذن فاعلم أنك في كف صنعه !!
— فمتى تذهب كمامة العين يوماً عن العين ، ومتى يصير الصنع مفتوناً من الصانع ؟!

— إن لك عينا فانظر بعينك ، ولا تنتظر بعين سفيه جلف .
— ولك أذن فاسمع بأذنك ، فلماذا تصير مرتها بأذان المخدوعين ؟!
— واحترف النظر دون تقليد ، وفكر أيضاً من أجل عقلك^(٢) .

(١) ج : ١٤ / ٢٩٥ :

— أحياناً يمحى الحقد ويثبت الصفاء ، يحصد العجز ويزرع العطاء

(٢) ج : ١٤ : ٢٩٥ :

— واستمع إلى حكاية منى نظير "هذه الأفكار" ، حتى تبقى خبيراً بسر قولى .

**رؤية خوارزمشاه رحمه الله وهو في موكب
لجواد نادر جداً وتعلق قلب الملك بحسن ذلك الجواد وخفته ،
وتسخيف عماد الملك لذلك الجواد في قلب الملك
واختيار الملك قوله على رؤيته مصداقا لما قاله الحكيم عليه الرحمة
في " المي نامه " :**

**عندما يصير لسان الحسد نخاساً * تجدد مثيل يوسف بذراع من الكرباس
فمن دلالة إخوة يوسف بحسد خفي ذلك الحسد الشديد
في قلوب المشتريين وأخذ القبح في الظهور مصداقا لقوله تعالى :
﴿ وكانوا فيه من الزاهدين ﴾**

٣٣٥٥- كان لأحد الأمراء جواد أصيل ، لم يكن له قرين في قطيع السلطان .
- وعندما ركب خوارزمشاه في الموكب صباحا ، وقعت أنظاره فجأة على
الجواد .

- اختطف لونه وبهاؤه نظر الملك ، وحتى العودة كانت عينه عليه .
- وكل عضو كان يلقي عليه نظرة ، كان يبدو له أجمل من العضو الآخر .
- وغير الخفة والجمال والجاذبية ، كان الحق قد ألقى عليه صفات نادرة .
٣٣٦٠- وقد بحث عقل الملك كثيرا في هذا الذي يقطع الطريق على العقل .
- "وتساءل" : إن عيني شبعي وملئمة وغنية ، ولها من مائتي شمس الضياء .
- ويا من فيلة الملوك بيدق بالنسبة لي ، هل يختطفني نصف "حصان" دون
حق؟! .

- لقد قام بسحر خالق السحر ، إن هذه جذبة وليست خاصية فيه .
- وقرأ الفاتحة وحوقل كثيرا ، وكانت الفاتحة تزيد الألم في صدره .
٣٣٦٥- ذلك أن الفاتحة في حد ذاتها كانت تجذبه ، فإن الفاتحة فريدة "التأثير"
في جذب "الخير" ودفع "الشر" .

— فإن يبذُ الغير فمن تمويهه ، وإن يمضى الغير عن النظر فمن تنبيهه !
— فيتيقن أن انجذابه إليه من ذلك الصوب ، وأمر الحق في كل لحظة يأتي
بالنواذر .

— والجواد الحجرى والثور الحجرى من الابتلاء ، يصيران من مكر الله
معبودين .

— وعند الكافر لا ثنى للصنم ، وليس للصنم بهاء أو روحانية .
٣٣٧٠— فما هو ذلك الجاذب ؟! خفاءٌ في خفاء ، قد سطع على الدنيا من العالم
الأخر .

— إن العقل محجوب والروح أيضاً محجوبة عن هذا الكمين ، وأنا لا أراه ، وإن
كنت تستطيع ، انظر .

— وعندما عاد خوارزمشاه من موكبهِ ، باح بالسر لخواص ملكه .
— ثم أمر القواد على الفور أن يأتوا بالجواد من "أصحابه" وهم أسرة من
الأمراء .

— فوصلوا وكأنهم النار ، وصار الأمير الذي كالجبل كأنه العهن .
٣٣٧٥— وبلغت روحه من الألم والغبن الحلقوم ، ولم ير من غياث إلا في عماد
الملك .

— فقد كان عماد الملك قاعدة العلم ، لكل مظلوم ولكل قتيل للغم .
— ولم يكن هناك رئيس أكثر احتراماً منه ، كان عند السلطان كنبى !!
— كان خالياً من الطمع أصيلاً زاهداً متقياً ، قائماً بالليل ذا رياضة و"مثيلاً" لحاتم
في السخاء .

— كان مبارك الرأى عظيماً ذا تدبير ، ورأيه مجرب في كل مراد .
٣٣٨٠— فهو سخي في بذل الروح والمال ، وهو طالب لشمس الغيب كهلال .

- كان في الإمارة غريباً وحيساً ، ومرتدياً للباس الفقر والخلة .
- كان لكل محتاج كالأب ، وكان شفيعاً أمام السلطان ودافعاً للضرر .
- وكان سترًا على الأشرار كالحلم الإلهي ، وكان خلقه على عكس الخلق منفصلاً عنهم .

- كان يمضي مرات وحيداً نحو الجبل ، وكان الملك يمنعه بإلحاح شديد .
٣٣٨٥- ولو كان يتشفع في كل لحظة لمائة جرم ، لكانت عين السلطان تستحي منه .

- لقد ذهب "الأمير" إلى عماد الملك العظيم عارى الرأس وسقط على التراب ...
- قائلاً : قل له أن يأخذ جوارى ... أن يأخذ كل ما لدى ، بل أن يأمر بكل ما لدى لكل مغير .

- وهذا الجواد ، روى متعلقة به ، فلو أخذه مت يقيناً يا محباً للخير .
- وإذا سلب هذا الجواد من يدي ، فإنني لن أعيش يقيناً .
٣٣٩٠- ومادام الله قد منحك الصلة به ، فامسح بيدك أيها المسيح على رأسي سريعاً .

- فهناك صبر على نسائي وذهبي وأملاكي ، وليس هذا بالتكلف أو بالتزوير .
- وإن لم تكن تصدقتي في هذا الحماس ، فامتحن ، امتحن قوتي وحماسي !!
- فأسرع عماد الملك باكياً حاكاً عينيه مضطرب الحال إلى السلطان .
- وعقد شفتيه ووقف أمام السلطان ، متحدثاً بالسر مع الله رب العباد .
٣٣٩٥- وكان يستمع إلى سر السلطان واقفاً ، وفي داخله كان فكره يمر .
- قائلاً : يا الله ، إذا كان ذلك الشاب قد ضل الطريق ، فلا يجوز الالتجاء إلى سواك .

- فعامله بالرحمة ، ولا تعامله بما فيه ، وإن أراد الخلاص عن طريقى ، أنا الأسير "لفضلك " .

- ذلك أن هؤلاء الخلق محتاجون جميعا ، من الشحاذ فصاعداً وحتى السلطان .

- ومع حضور الشمس ذات الكمال ، أئمة بحث عن الهداية من الشمع والفتيل!!؟

٣٤٠٠- ومع حضور الشمس عذبة المساغ ، أبحثُ عن النور من الشمس والمصباح!؟

- فإن ذلك يكون بلا جدال تركا منا للأدب ، يكون كفرانا بالنعمة وفعلا عن الهوى .

- لكن أغلب الألباب عندما تفكر ، تكون كالخفافيش محبة للظلام .

- وإن أكل الخفاش دودة بليل ، فإن الشمس هذه هى التى رتبت روح تلك الدودة!

- وإن ثمل الخفاش من دودة بليل ، فقد صارت الدودة متحركة من الشمس .

٣٤٠٥- ذلك أن الشمس التى ينبثق منها الضياء ، تعطى عدوها قوالبها .

- لكن الصقر الملكى الذى ليس بخفاش ، عينيه المفتوحة ناظرة إلى الحقيقة وذات ضياء .

- فإن بحث عن النمو كالخفاش بليل ، فإن الشمس تؤدبه عاركة أذنيه .

- قائلة له : لأفرض أن ذلك الخفاش الضال مصاب بعلة فماذا حدث لك!؟

- فلاؤدبك بشدة من حزنى "عليك" ، حتى لا تولى وجهك ثانية عن الشمس .

عقاب يوسف الصديق طلوات الله عليه بالحبس بضع سنين

بسبب طلبه العون من غير الحق وقوله

﴿ أذكرنى عند ربك ﴾ وشرحه

٣٤١٠- مثل يوسف عليه السلام الذي طلب العون من سجين بضراعة وخضوع وتذلل ؛

- طلب العون ، وقال : عندما تخرج وتستوى أمورك عند الملك ،

- أذكرني أمام عرش ذلك العزيز ، حتى يخلصني أيضاً من هذا السجن.

- ومتى يخلص سجين" في الأسر سجيناً آخر ؟!!

- وأهل الدنيا برمتهم سجناء ، وهم في انتظار الموت في الدنيا الفانية .

٣٤١٥- اللهم إلا شخص شديد الندرة ، جسده في السجن وروحه في عطارد .

- ومن ثم فعقاباً على أنه رأى فيه معينا ، لبث يوسف في السجن بضع سنين .

- لقد محا الشيطان ذكر يوسف من خاطره ، ومحا الشيطان من قلبه هذه الوصية .

- ومن ذلك الذنب الذي بدر من حسن الخصال ذاك ، بقى في السجن - بحكم الله - بضع سنين .

- كان الأمر يعنى : أي تقصير بدر من شمس العدل ، حتى تسقط كالخفاش في الظلمة ؟

٣٤٢٠- انتبه ، أي تقصير بدر من البحر والسحاب ، حتى تطلب العون من الرمل والسراب ؟

- فإذا كان العوام في طبع الخفاش ويجوز لهم هذا ، فيا يوسف ، إن لديك في النهاية عينا مبصرة .

- فإذا كان خفاش قد مضى في العمى والظلمة ، فماذا حدث لبصيرة بازى السلطان ؟!

- ومن ثم أدبه الأستاذ لهذا الجرم ، قائلاً له : لا تجعل لك عمادا من خشب مهترئ .

- لكنه شغل يوسف بنفسه، حتى يحس بألم في قلبه من ذلك الحبس .
- ٣٤٢٥- فأعطاه الحق الأتس "به" والسكر ، بحيث لا السجن بقى أمامه ولا الظلام .
- فليس هناك سجن أشد وحشة من سجن الرحم ، فهو سيء ومظلم وملئ بالدم، ووخم !!
- وعندما فتح لك الحق فيه كوة إليه ، يزيد جسدك كل لحظة في الرحم .
- وفي ذلك السجن من اللذة لا حد لها ، تفتحت الحواس سعيدة من غراس جسدك .
- ومن هنا كان الخروج من الرحم صعباً عليك ، فأنت هاربٌ من رحمها نحو الظهر .
- ٣٤٣٠- فاعلم أن طريق اللذة من الداخل لا من الخارج ، واعلم انه من البلاءة البحث عن القصور والحصون !!
- فاحدهم في زاوية المسجد في نشوة وسعادة ، وذاك في البستان عبوس ومكتئب .
- فالقصر ليس شيئاً ، فدمر البدن ، فالكنز في الخرائب يا أميرى .
- ألسنت ترى انه في مجلس الشراب ، يسعد الثمل عندما يتهدم تماماً ؟!
- فبالرغم من أن الدار مليئة بالرسوم فاهدمها ، وابحث عن الكنز ثم عمرها بهذا الكنز .
- ٣٤٣٥- فالدار المليئة بنقوش التصوير والخيال ، تكون صورها ونقوشها كالحجاب على كنز الوصال !!
- إن شعاع الكنز وبريق الذهب ، هي التي تجعل الصور تغلى في هذا الصدر!!

— وأيضاً من اللطف وصورة الماء ذى الشرف ، صارت أجزاء الزبد حجاباً على وجه الماء ! .

— وأيضاً من لطف الروح القيمة وجيشانها ، صار شخص الجسد حجاباً على وجه الروح .

— فاستمع إذن إلى مثل تتداوله الأفواه ، هَوَ: إن ما حاق بنا أيها الأخ ... منا .
٣٤٤٠— ومن هذا الحجاب فإن هؤلاء الظالمين عبدة الزبد ، وقعوا بعيداً عن الماء الصافى .

— أيتها الشمس مع مثلك قبلة وإماما ، نقوم بعبادة الليل ، وطبع الخفاش .
— فاجعلى إلى نفسك طيراناً لهذه الخفايش ، واشتريهم من طبعهم الخفاشى ، يا مجيرة "الحيارى" .

— إن هذا الشاب ضال من هذا الجرم ومعتد إذ جاء إلى أنا ، لكن لا تأخذه بذنبه .

— كانت هذه الأفكار تغلى في عماد الملك كأنها الأسد في الآجام .
٣٤٤٥— كان ظاهره واقفاً أمام السلطان ، وكانت روحه محلقة في رياض الغيب .

— كان كالملائكة في إقليم "ألت" ، يثمل كل لحظة بشراب جديد .
— ولما كان باطنه في محفل وظاهره مليئاً بالحزن ، وفي جسده كأنه اللحد عالم عظيم .

— كان في هذه الحيرة وهذا الانتظار ، منتظراً ماذا يتأتى من الغيب والأسرار .
— وجاء القواد في تلك اللحظة جارين الجواد أمام خوارزمشاه .
٣٤٥٠— والحق أنه تحت هذا الفلك الأزرق ، لم يكن هناك مهر في قده ، وخطوه .

- كان لونه يخطف كل بصر ، مرحبا بهذا الذي ولد من البرق والقمر !!
- كان كالقمر وكعطارد حاد السير ، لم يكن طعامه من الشعير بل من الرياح
الصرصر !!

- فهو قمر يقطع مساحة السماء في ليلة ، في مسيره وذهابه .
- وإذا كان القمر قد قطع الأبراج في ليلة واحدة ، فمن أي شيء تصير منكرا
للمعراج !!؟

٣٤٥٥- إنه كمائة قمر ذلك الدر اليتيم العجيب ، فبإشارة واحدة منه انشق القمر .
- وذلك العجب الذي أبداه في شق القمر ، كان بقدر ضعف حس الخلق .
- إن أعمال الأنبياء والمرسلين وشئونهم خارجة عن الأفلاك والكواكب .
- وأنت أيضاً أخرج عن الأفلاك ودورانها ، ثم انظر آنذاك إلى هذه الأعمال
والشئون .

- ذلك وأنت داخل البيضة كالأفراخ ، لا تستمع إلى تسبيح طيور الهواء .
٣٤٦٠- إن المعجزات لن تصير مشروحة هنا ، فتحدث عن الجواد
وخوارزمشاه ، وقصتهما .

- إن شمس لطف الحق في كل ما سطعت عليه من كلب أو جواد قد وجد مجد
الكهف .

- فلا تعتبر إشراق لطفها ، على نسق واحد ، لقد أعطى أمانة "لنا" الحجر
والياقوت .

- فالياقوت منها كنز مقتبس ، وللحجر الحرارة والدفع فحسب !!
- وأن تشرق الشمس على جدار ، لا يكون مثلما تشرق على الماء وتحدث
الاضطراب .

٣٤٦٥- عندما تحير منه لحظة ذلك الملك الفريد ، التفت نحو عماد الملك قائلاً :
- أيها الأخ ... أليس هذا جوادا في غاية العظمة ، أياكون من الجنة وليس من
الأرض !!؟

- فقال له عماد الملك : أيها السيد : إن الشيطان من ميلك ينقلب إلى ملك .

- إن كل ما يقع عليه خطر ك يصير جميلاً ، وهذه المطية جميلة جداً وفاتنة لكن ؛

- لكن تلك الرأس موضع نقص في قوامه ، فإنك تخال رأسه هذه رأس ثور .

٣٤٧٠- وأثر ذلك القول في قلب خوارزمشاه ، وحقر الجواد في نظر الملك .

- وعندما صار الغرض دلالاً وواصفاً ، تجد يوسف بقيمة مجرد ثلاثة أذرع من الكرباس .

- وعندما يصير الشيطان دلال درُ الإيمان ، عند فراق الروح ؛

- يبيع الأبله الإيمان سريعاً في تلك الشدة بإبريق ماء .

- ويكون ذاك خيالاً وليس إيقاً ، ولا يكون قصد ذلك الدلال إلا الشعوذة .

٣٤٧٥- وفي ذلك الزمان الذي تكون فيه صحيحاً سمينا ، تهب الصدق في مقابل خيال .

- وتبيع في كل لحظة در المنجم ، وكطفل تأخذ في مقابلة حبات الجوز .

- إذن ففي كرب يوم الأجل ، ليس بالمستبعد أن يكون هذا عملك .

- إن صورة ما تغلّي في خيالك ، لكنها مهترئة كجوزة عند دقها .

- إن ذلك الخيال في البداية مثل البدر ، لكنه في النهاية يصير مثل الهلال .

٣٤٨٠- فإذا نظرت إلى أوله كما تنتظر إلى آخره ، فإنك تفرغ من خداعه السخيف .

- إن الجوز المتحلل هو الدنيا أيها الأمين ، فامتحنها قليلاً وانظر إليها عن بعد .

- لقد رأى الملك ذلك الجواد بعين الحال ، بينما رآه عماد الملك بعين المآل !!

- كانت عين الملك ترى ذراعين من اللغز ، وعين ذلك الناظر إلى العواقب ترى "خمس ذراعاً !!

- فأى كحل هذا ؟! إنه هو الذي يضعه الله ، بحيث ترى الروح الرشيد من خلف مائة حجاب .

٣٤٨٥- ولما كانت عين السيد مقترنة بالعاقبة ، سمى بهذه الرؤية الدنيا جيفة .

- ومن ذلك الذم الوحيد الذي سمعه الملك فحسب ، برد في قلبه حب الجواد .
- لقد ترك عينه هو واختار عين الوزير ، وترك وعيه هو ، وسمع قول الوزير .
- كانت هذه مجرد ذريعة ، وذلك الديان الفرد من الضراعة ، برده في قلب الملك .
- لقد أغلق باباً على حسنه أمام البصر ، وذلك الكلام كان موجوداً كصرير الباب .
- ٣٤٩٠- ووضعت تلك النقطة حجاباً أمام عين الملك ، بحيث يبدو القمر أسود من ذلك الحجاب .
- فتقدس من بناء يقيم الحصون في عالم الغيب من القول والرقى .
- اعلم أن القول هو صوت الباب من قصر السر ، فهل هو صوت فتح يا ترى أو إغلاق ؟
- إن صوت الباب محسوس والباب خارج عن الحس ، إنكم تسمعون هذا الصوت ولا ترون الباب !!
- ولما كان صنع الحكمة حسن الصوت ، فأى باب قد فتح من روض الجنان .
- ٣٤٩٥- وصوت قول الشر ... عندما يفتح بابه ، فأى باب يفتح من سقر على أثره !!؟
- فاستمع إلى صوت الباب ما دمت بعيداً عن بابه ، وما أسعده ذاك الذي تفتح له شرفه !
- وما دمت ترى أنك تفعل الخير ، فأنت تطرق على الحياة وعلى الراحة !!
- وعندما يحدث تقصير أو فساد ، تختفى تلك الحياة ، وتزول تلك اللذة .
- فلا تترك نظرك من أجل نظر الأخساء ، فإن هذه النور تجذبك نحو جيفة .
- ٣٥٠٠- فيغمض عيناً كأنها النرجس قائلاً : ماذا حدث ... هيا ... اعطني أخذاً باليد ، فأنا أعمى أيها الأخ !!

- وذلك الآخذ باليد الذي اخترته في السفر ، ترى أنت نفسك أنه أكثر عمى منك!!

- فاستمسك بيدك بحبل الله كما يفعل العميان ، ولا تطف إلا حول الأمر والنهي الإلهيين .

- فما هو حبل الله ؟! إنه ترك الهوى ، فإنه هذا الهوى صار صرصرًا من أجل عاد .

- والخلق قد قبعوا في السجن من الهوى ، وقيدت أجنحة الطيور من الهوى .
٣٥٠٥- والسمة في لهيب المقلاة من الهوى ، والحياء قد انتفى عن المحصنات من الهوى .

- وغضب الشرطي شعله نار من الهوى ، والصليب وهول المشنقة من الهوى .
- لقد رأيت شرطة الأجساد على الأرض ، فانظر أيضاً إلى شرطة أحكام الروح .

- وللروح في الغيب أنواع من التعذيب ، لكن ما لم تهرب ، فالتعذيب في الخفاء.

- وعندما تتجو ، ترى التعذيب والدمار ، ذلك أن الضد يظهر من ضده .
٣٥١٠- وذلك الذي ولد في جب وفي ماء أسود ، أي علم له بالفرق بين لطف الوادي وألم الجب ؟!

- وعندما تتخلص من الهوى خوفاً من الحق ، تصل إليك كأس من تسنيم الحق .
- " لا تطرق في هواك سل سبيلاً من جناب الله نحو السلسيل .
- " لا تكن طوع الهوى مثل الحشيش ، إن ظل العرش أولى من عريش " (١) .
- قال السلطان : ردوا الجواد سريعاً ، واشتروني ثانية من هذه المظلمة .

(١) ما بين القوسين بالعربية في المتن .

- ٣٥١٥- ولم يحدث الملك قلبه قائلاً : لا تخدعوا الأسد برأس البقر .
- إنك تدخل قدم الثور فيما بيننا إدعاءً ، فامض ، لا يضع الحق على جواد قرن ثور !!
- فهل تراها صنعة مناسبة تماماً لهذا الأستاذ العظيم ، أن يضع على جسد جواد عضواً من ثور ؟!
- ذلك أن الأستاذ قد صنع الأبدان متناسبة ، وبني قصورا متحركة !!
- وبين القصور تخريجات وصهاريج من هذه الناحية إلى تلك الناحية .
- ٣٥٢٠- ومن داخلها عالم بلا انتهاء ، ومن بين خيام المعسكر فضاءً واسع .
- وأحياناً يبدى القمر وكأنه الكابوس ، وأحياناً يبدى قعر الجب كالروضة !!
- وقبض عين القلب وبسطها من ذى الجلال ، ما دام يقوم في كل لحظة بالسحر الحلال.
- لهذا السبب طلب المصطفى ﷺ من الحق قائلاً : أرني القبيح قبيحاً والحق حقاً !!
- حتى لا أسقط من الندم والقلق عندما تتغير الأمور في النهاية .
- ٣٥٢٥- وذلك المكر الذي قام به عماد الملك الفريد ، أرشده إليه مالك الملك .
- إن مكر الحق هو منبع ألوان المكر هذه ، والقلب بين إصبعي الكبرياء .
- إن من يضع في قلبك المكر والقياس ، يستطيع أن يضرم النار في الغطاء .
- العودة إلى قصة ذلك الرجل الشهم**
- وذلك الغريب المدين وعودتهما من قبر السيد**
- ورؤية الرجل الشهم للسيد في النوم إلى آخره**
- لقد بقيت هذه القصة اللطيفة بلا نهاية ، وعندما عاد الغريب من قبر السيد ؛
- اصطحبه الرجل الشهم إلى منزله ، وأودعه مائة دينار مختومة .

٣٥٣- أحضر له لذيذ الطعام وسامره ، بحيث تفتحت في قلبه من الأمل مائة
وردة .

- كان قد رأى يسراً من بعد العسر ، وتحدث مع الغيب عن قصة هذا الأمر .
- و مر منتصف الليل ، عندما حمل النوم المتسامرين إلى مرعى الروح .
- رأى الرجل الشهم ذلك السيد الميمون في المنام تلك الليلة "واقفا" في صدر
القصر .

- وقال له السيد : أيها الرجل الشهم المليح ، لقد سمعت كل ما قلته بتفصيلاته .
٣٥٣٥- لكن لم يكن عندي الأمر بالجواب ، وأنا لا أجرؤ على فتح فمي دون أن
يصدر إلى أمر بذلك .

- ذلك أننا ما دمنا قد صرنا واقفين على الكم والكيف ، فقد وضعت أختام على
شفاهنا .

- حتى لا تنتشر أسرار الغيب ، وحتى لا ينهدم العيش والمعاش .
- وحتى لا تتمزق حجب الغفلة تماماً ، وحتى لا يبقى قدر المحنة فجاً نصف
مطبوخ^(١) .

- فنحن كلنا آذان وإن ذهب صورة الأذن ، ونحن كلنا نطق وإن صمتت
الشفاه^(٢) .

(١) ج : ١٤ : ٣٣٥ :

- حتى لا يقع عن الطبق غطاء الغيب ، ولا ترى عين الريب ما ينبغي أن يرى .

(٢) ج : ١٤ / ٣٣٥ :

- ونحن كلنا عيون وإن ذهب صورة العين ، نعم كلنا عيون لا محاب أمامها ولا غين

- ونحن غرق في البحر وإن كنا قطرة ، وكلنا في عبوس وإن كنا ذرة .

- ونحن كلنا في صفاء دون حجاب الطين ، وقد صرنا معافين في دار الخلود

٣٥٤٠- وكل ما أعطيناه رأيناه هذه اللحظة ، هذه الدنيا حجاب ، والآخرة هي العين .

- إن يوم الغراس هو يوم الإخفاء ، وهو يوم بذار البذور في التراب .
- أما الحصاد ، فهو وقت استخدام المناجل ، وهو يوم الجزاء والظهور .

قول السيد في النوم لذلك الرجل الشهم

من أي موضع تقضى ديون ذلك الصديق

ودلالته لمكان دفن ذلك المال ورسالة إلى ورثته قائلاً :

لا تنظروا إليه على أنه كثير إطلاقاً ، ولا تمنعوا منه شيئاً

وحتى إن لم يقبله أو يقبل بعضه دعوه في مكانه يأخذه من يريده

إذ نذرت لله ألا تعود حبة من هذه الفضة إلى أو إلى ورثتي

- انظر الآن إلى عطية الضيف الجديد ، كنت أرى انه سوف يصل .
 - لقد سمعت خبراً عن ديته ، فادخرت من أجله جوهرتين أو ثلاثة .
- ٣٥٤٥- بحيث تكون وفاءً لدينه أو تريد ، حتى لا يعود ضيفي وفي صدره جرح .
- إن عليه دينا تسعة آلاف دينار ذهبي ، فقل له اقض دينك من بعض هذه "الجواهر" .

- وسوف يتبقى من ثمنها الكثير فانفقه ، واذكرني من دعائك .
 - لقد أردت أن أسلمها لك بيدي ، وقد أدرجت في دفتر كذا كيفية توزيعها .
 - لكن الأجل لم يمهلني ، حتى أسلمه خفية هذه الدرر العذنية .
- ٣٥٥٠- فهناك عقيق وياقوت موجود في جرة عليها اسمه من أجل قضاء دينه .
- وقد دفنتها في طاق كذا ، ذلك أن هم هذا الصديق القديم أهمني .
 - ولا يعرف قيمتها سوى الملوك ، "فاجتهد بالبيع ألا يخدعوك" .

- وفي البيوع ، خوفا من الخداع افعل كما علمك الرسول ، ثلاثة أيام من الاختيار !!

- ولا تخشى كسادها ، ولا تقع 'في الخسارة' فإن رواجها لن يضيع أبداً .
- ٣٥٥٥- وأبلغ ورثتي منى السلام ، وانقل إليهم هذه الوصية بحذافيرها .
- حتى لا يتهيبوا من كثرة ذلك الذهب ، ويسلموه بلا تباطؤا لهذا الضيف .
- وإن قال هو : لا أحتاج إلى هذا القدر ، فقل له خذه وأعطه لمن تشاء .
- فإنني لن استرد نقيراً مما أعطيت ، فلا يعود لبن قط إلى الثدي .
- فإن مسترد النحلة في قول لرسول ﷺ كأنه الكلب يأكل ما تقيأ .
- ٣٥٦٠- وحتى إن أغلق الباب كيلا يأخذ الذهب ، عليهم أن يصبوا ذلك العطاء على الباب .

- بحيث يأخذ كل من يمر من هذا الذهب ، فإن هدية المخلصين لا ترد .
- لقد ادخرتها من أجله منذ عامين ، ونذرت النذور لله تعالى .
- ولو أنهم سمحوا لأنفسهم بأن يأخذوا منها شيئاً فإن الخسارة سوف تحيق بهم ،
- عشرين ضعفاً !!

- ولو أنهم أصابوا روحى بالذبول، فسريعاً ما ستفتح أمامهم مائة باب من المحنة .

- ٣٥٦٥- إنني أدعو الله بكل "لسان" لبق ، أن يوصل الحق سريعاً للمستحق .
- ثم تحدث عن مسألتين أخريين ، لن أتطرق إليهما أنا بالحديث .
- حتى تبقى القضيتان سرا مكتوماً ، ولا يطول المثوى بذكرهما !.
- فقفز من النوم مطرقاً بأصابعه ، حيناً متغنياً بالغزل وحيناً نائحاً .
- قال الضيف ، ترى ما حل بك من ماليخوليا أيها الرجل الشهم بحيث نهضت ثملاً سعيداً .

٣٧٥٠- وماذا رأيت في النوم ليلة أمس يا أبا العلاء، بحيث لا تسعك مدينة أو فلاة ؟!

- هل رأى فيلك الهند في النوم ؟! بحيث ابتعدت عن حلقة الأصدقاء ؟!
- قال : لقد رأيت رؤيا شديدة النفع ، وفي قلبي رأت شمساً .
- لقد رأيت السيد اليقظ في النوم ، ذلك الذي اسلم الروح من أجل رؤية " الحبيب " .

- لقد رأيت في النوم السيد الذي يعطى المنى ، " وواحد كالألف إن أمر عني" (١) .

٣٧٥٧- وظل يعدد "الأوصاف" ثملاً فاقد الوعي على هذا المنوال حتى سلب السكر عقله ولبه .

- وسقط ممدداً في صحن الدار ، وتجمع حوله خلق كثار .
- وعاد إلى وعيه فقال : يا بحر السور ، يا من وضعت الأبواب في انعدام الأبواب .

- ووضعت اليقظة في النوم ، ووضعت العزاء في استلاب القلب !!
- فإنك تخفى الغنى في ذل الفقر ، وعقدت طوق الدولة في غل الفقر .
٣٥٨٠- إن الضد مندرج خفية في الضد ، فالنار مندرجة في الماء المغلى .
- والروضة مضمرة في نار النمرود ، والدخول نامية من النفقات والبذل .
- حتى قال المصطفى ﷺ ملك النجاح : " السماح يا أولى النعمى رباح " .
- ما نقص مال من الصدقات قط ، إنما الخيرات نعم المرتبط " (٢) .
- إن زيادة الذهب ورباه في الزكاة ، والعصمة من الفحشاء والمنكر في الصلاة .

(١) ما بين القوسين بالعربية في المتن .

(٢) ما بين القوسين بالعربية في المتن .

٣٥٨٥- إن زكائك هذه حارسه على كيسك ، وصلاتك هذه راعيتك من الذئب .
- والفاكهة الحلوة مخفية بين الغصون والأوراق ، والحياة الخالدة تحت الموت .
- لقد صارت القمامة قوة للتراب من العطاء ، ومن التغذى عليها أنتجت الأرض الثمر .

- والوجود خبي في العدم ، وفي طينة الساجد ، مسجود له .
- والحديد والحجر مظلومان من الخارج ، وفي الداخل نور وشمع للعالم .
٣٥٩٠- وآلاف من أنواع الأمن مضمرة في الخوف ، وفي سواد العين نور كثير .

- وداخل نور الجسد يوجد أمير ، وهناك كنز مخفى في خرابه .
- بحيث يهرب حمار عجوز من ذلك النفيس ، ويراه ثوراً وليس ملكاً ، وأعنى " بالحمار " إيليس !!

حكاية ذلك الملك ووصيته لأولاده الثلاثة قائلاً :

في سفركم هذا إلى ممالك ،

رتبوا مكان كذا على هذا النسق

ومكان كذا نصبوا النواب على هذا النسق ،

لكن بالله عليكم لا تذهبوا إلى قلعة كذا ولا تحوموا حولها

- كان هناك ملك وكان له ثلاثة أبناء ، كلهم من أصحاب الفطنة ومن أصحاب النظر .

- كان كل واحد منهم خليفاً بالمدح أكثر من الآخر ، في السخاء وفي الوغى وفي الكر والفر .

٣٥٩٥- ووقف هؤلاء الأمراء مجتمعين أمام الملك ، فهم قرّة العين للملك كأنهم الشموع .

- فعن طريق خفى يستمد نخيل ذلك الأب ماءً من عيني ابنه .
- وماء هذه العين يسرع من الابن جارياً نحو رياض الأم والأب .
- فتجدد رياض الوالدين ، وتجرى عيناها من هاتين العينين .
- وعندما تصير العين عليلة من المرض ، تجف أوراق ذلك النخيل وفروعه .
- ٣٦٠٠- وتتحدث ييوسة النخل إلى العين قائلة : إن ذلك الشجر يأخذ طله من الابن .

- وما أكثر القنوات الخفية على هذا النسق ، والمتصلة بأرواحكم أيها الغافلين .
- ويا من جذبت المواد من السماء والأرض حتى صار جسدك سميناً .
- لقد سرقت الجسد من أجزاء العالم ، اقتطعتها جزءاً جزءاً من هذا وذاك .
- ومن الأرض والشمس والسماء ، خطت الرقع على الجسد والروح .
- ٣٦٠٥- فلعلك تظن أنك أخذتها بالمجان ، ولن يستردها منك هذا وذاك ؟!
- إن البضاعة المسروقة لا تستمر على حال ، لكنها تأتي باللص حتى أسفل المشنقة .

- إن هذه كلها عارية ينبغي ألا تتمسك بها ، فإن عليك أن تؤدي ما أخذت .
- اللهم إلا " النفخة " التي أنت من الوهاب ، فكن للروح ، فما عداها باطل وعبث .

- أقول أنها باطل وعبث بالنسبة للروح ، لكن ليس بالنسبة إلى صنعه المحكم .

**بيان استمداد العارف من نبع الحياة الأبدية
واستغناؤه عن الاستمداد والجذب من عيون الماء**

التى لا وفاء لها. وأن أمانة ذلك التجافى عن دار الغرور

إذ أن الإنسان عندما يعتمد على إمدادات تلك العيون

يهن فى قلب العين الباقية الدائمة :

ينبغي أن يكون العمل من داخل روحك بحيث لا يفتح أمامك باب على سبيل العارية

فان نبعاً واحداً من الماء فى داخل الدار أفضل من ذلك النهر الذى يأتى من الخارج

٣٦١٠- حبذا القناة التى هى أصل الأشياء ، إنها تجعلك فارغاً من هذه القنوات .
- إنك تجذب شرابك من مائة نبع ، وإن قل من هذه المائة نبع واحد ، قلت سعادتك.

- وعندما تفور من الداخل عين سنية ، تصير غنياً عن اختلاس الينابيع.
- وعندما تكون قرة عينك من الماء والطين ، يكون راتب هذه القرة من ألم القلب .

- وعندما يأتى الماء للقلعة من الخارج ، يكون فى ازدياد فى أوقات السلم .
٣٦١٥- لكن العدو عندما يحيط بها ويحاصرها ، وذلك حتى يغرق "أهلها" فى دمهم .

- يقطع ذلك الجيش الماء من الخارج ، حتى لا يكون للقلعة ملجأ منهم .
- وفى ذلك الوقت يكون بئر مالح من الداخل ، أفضل من مائة بئر حلو كجيحون من الخارج.

- إن قاطع الأسباب وجيوش الموت ، تأتى مثل الشتاء قاطعة للفروع والأوراق .
- ولا يكون لها مدد فى الدنيا من الربيع ، اللهم إلا إذا كان فى الروح ربيع وجه الحبيب.

٣٦٢٠- ومن هنا لقيت الأرض بدار الغرور ، فإنها تجذب القدم إلى الوراء يوم العبور .

- ومن قبل كانت تسرع حولك ذات اليمين وذات اليسار قائلة : لأزل عنك الألم ، ولم تزل شيئاً .

- وكانت تحدثك قائلة عند الأحزان ، ليبعد عنك الألم وليكن بينك وبينه عشرة جبال .

- وعندما هجم جيش الألم ، لم تتبس ، حتى ولا تقول لك "لقد رأيتك من قبل" .
- وقد ضرب الحق مثلاً بالشيطان على هذا النسق ، إنه يلتبى بك إلى القتال بحيلة^(١) .

٣٦٢٥- ويقول لك : سأقدم لك العون ، أنا معك ، وفي الأخطار سوف أسرع أمامك .

- أكون لك درعاً عند إطلاق السهام ، وسأكون منقذاً لك عند الضيق .
- وسوف أضحي في سبيلك بروحي متعشاً إياك ، فيا رستم ، أيها الأسد ، كن كما يكون الرجال .

- وبهذه الإغراءات أتى به إلى الكفر ، ذلك الجوال في الخداع والمكر والدهاء .
- وعندما خطا خطوة واحدة سقط في الخندق ، ففتح ذاك فمه ضاحكاً مقهقهاً .

٣٦٣٠- فيناديه ، تعال ، إنى أنتظر منك الكثير ، فيقول له : امض امض أنا ضائق بك .

- إنك لم تخف من عدل الإله ، لكنى أخاف ، فامض عني .

(١) ج : ٣٥٣/١٤ : - إنه يقول لك أنا ظهير لك ، في البلاء والجفاء والعناد.

- قال الحق ، انه نفسه قد فصل بالرغم من "سابق" خيره ، ومتى تتجو أنت بهذا التزوير ؟

- والفاعل والمفعول عند الحساب مفتضحان ومعرضان للرجم .
- وقاطع الطريق ، ومن قطع عليه الطريق في الحكم والعدل ، في بئر البعد وفي بئس المهاد .

٣٦٣٥- والمخدوع ، والغول الذي خدعه ، مما يدعو إلى العجب إن فازا وإن نجيا .

- والحمار وأخذ الحمار كلاهما هنا في الطين ، هما هنا غافلان وهناك آفلان .
- اللهم إلا أولئك الذين يتوبون عن ذلك ، وينتقلون من الخريف إلى ربيع الفضل.

- يتوبون ، والله يقبل التوب ، يتلقون أوامره ، وهو نعم الأمير .
- وعندما يثنون ندمسا ، فإن العرش يهتز من أنين المذنبين .
٣٦٤٠- تهتز مثلما تهتز الأم من أجل وليدها ، يأخذ بأيديهم ، ويرفعهم إلى أعلى^(١) .

- ويقول لهم : يا من اشتراكم الله من الغرور ، هذه هي رياض الفضل وهذا هو الرب الغفور .

- ومن بعد هذا يكون لكم الزاد والرزق الخالد ، من هوى الحق ، لا من القناة .
- وعندما يبدي البحر غيرته على الوسائط ، يكون الظامئ كالسمكة ، تترك القربة .

سير الأمراء في الممالك بعد توديعهم للملك

(١) ج : ٣٥٤/١٤ : - فقم قصة الأمراء ، فإن هذا الحديث يزيد عن حد الامكان .

وإعادة الملك لوصيته عند الوداع

- لقد عزم هؤلاء الأبناء الثلاثة على الطريق ، نحو أملاك أبيهم برسم السفر .
- "قائمين" بالطواف حول مدنه وقلاعته ، من أجل تدبير الديوان و "أمور" المعاش^(١) .
- وقبلوا يد الملك وودعوه ، فقال لهم ذلك الملك المطاع :
- حيثما تجذبكم قلوبكم امضوا فى أمان الله ، وسيروا خفافاً .
- إلا ، إلى تلك القلعة المسماة "هش رُبا: سالية اللب" ، فإنها تضيق القباء على لابسى التيجان .
- ناشدتم الله من تلك القلعة ذات الصور ، ابتعدوا عنها ، وخفوا من الخطر .
- ٣٦٥٠- فان واجهات أبراجها وظهورها وسقفها وأرضها كلها تماثيل ورسوم وصور .
- مثل تلك الحجرة التى كانت لزيخا ، كانت مليئة بالصور ، حتى تضطر يوسف إلى النظر إليها .
- ولما كان يوسف عليه السلام لا ينظر نحوها ، جعلت منزلها مليئاً بصورها من الكيد .
- حتى يجد ذلك الحسن العذار وجهها حيثما ينظر ، برغم أنفه .
- إن الإله الفرد جعل الجهات الستة مظهراً للآيات ، من أجل ذوى الأبصار المستتيرة .
- ٣٦٥٥- وحتى يرعى أولئك الناس من رياض الحسن الربانى ، عندما ينظرون إلى كل حى ونبات !! .

(١) ج : ٣٦١/١٤ : - طلبوا من الملك الآن عند العزم ، فسمح لهم عندما رأى نيتهم صادقة.

- ومن هنا خاطب هذا الجمع قائلاً : حيث وليتم فثم وجهه .
- وإن كنتم من العطش تشربون الماء من القدح ، فأنتم ناظرون إلى الحق داخل الماء .
- ومن ليس عاشقاً يرى صورته هو في الماء يا صاحب النظر .
- وعندما تفنى صورة العاشق فيه ، قل لي من يرى آنذاك في الماء ؟!
- ٣٦٦- إنه يرى حسن الحق في وجوه الحور ، مثل القمر في الماء ، من صنع الغيور .
- وأن غيرته تكون على العاشق والصادق ، وليست غيرته على الشيطان وعلى الدابة .
- وحتى إن صار الشيطان عاشقاً ، يكون قد اختطف "كرة" السبق ، يصبح مثل جبريل ، وتموت فيه الشيطانية .
- ومن هنا نفسر "أسلم شيطاني" وبحيث يصير من هو كيزيد في فضل أبي اليزيد .
- وهذا الحديث لا نهاية له أيها الجمع ، انتبهوا وقوا وجوهكم من تلك القلعة .
- ٣٦٦٥- وحذار أن يقطع عليكم هوسكم الطريق ، بحيث تسقطون في الشقاء إلى الأبد .
- إن التوقى من الخطر فرض ، فاسمعوا مني حديثاً بلا غرض .
- من الأفضل أن يكون للعقل رأس حادة في البحث عن الفرج ، والابتعاد عن مكنن البلاء أفضل !!
- ولو لم يكن الأب قد قال هذا الكلام ، ولو لم يكن قد أمر بتجنب تلك القلعة ؛

- لما ذهب خيولهم أصلاً إلى تلك القلعة ، ولما مالوا إلى الذهاب إلى تلك الناحية .

٣٦٧- فلم تكن معروفة ، بل كانت مهجورة تماماً ، وكانت بعيدة عن القلاع والمسالك .

- وعندما منعهم عنها ، من مقاله ذاك ، سقطت قلوبهم في الهوس وفي حى الخيال .

- لقد نبتت الرغبة من هذا المنع في قلوبهم ، وأنه ينبغي التفحص عن سرها .

- فمن الذي يمتنع عن الممنوع !! لأن " الإنسان حريص على ما منع " .

- إن النهى لأهل التقى صار تبغيضاً ، والنهى لأهل الهوى صار تحريضاً .

٣٦٧٥- ومن هنا فانه " يغوى به قوماً كثيراً " ومن هنا " يهدى به قلباً خبيراً " (١) .

- فمتى يهرب من هذا البوص الحمام الأليف ، بل يجفل من ذلك البوص حمام الهواء .

- ثم قالوا له ، لك ألف احترام ، ونحن ملتزمون بالسمع والطاعة .

- ولن نحول وجوهنا عن أمرك ، فمن الكفر الغفلة عن إحسانك .

- لكن الاستثناء وتسبيح الله ، كان بعيداً عنهم من تقتهم في أنفسهم .

٣٦٨٠- ولقد تحدثنا عن الاستثناء والحزم الملتوى في بداية المثوى .

- وإذا كان هناك مائة كتاب فهي ليست سوى باب واحد ، وإذا كان هناك قصد

لمائة جهة فليس ثم إلا محراب واحد .

- وهذه الطرق تفضى جميعاً إلى منزل واحد ، وهذه الآلاف من السنايل من حبة واحدة .

(١) ما بين الأقواس بالعربية في المتن .

- وأنواع المأكّل تبلغ مئات الآلاف ، ولكنها كلها تعتبر شيئاً واحداً .
- وعندما تشبع من أحدها تماماً ، يبوخ في قلبك خمسون نوع من الطعام .
٣٦٨٥- وعندما تكون جائعاً تكون أحول البصر ، بحيث ترى الصنف الواحد .
آلاف الأصناف .

- كنا قد تحدثنا عن مرض تلك الجارية ، وعن الأطباء وعن قصور فهمهم .
- كان أولئك الأطباء كالخيول مفلوثة الزمام ، غافلة غير مستفيدة من الفارس .
- كانت أفواههم مليئة بالجراح من قرع اللجام ، وكانت حوافرها جريحة من تحويل الخطى !.

- ولم تفهم أنه إنما يقف على ظهرها الآن سائس ماهر مظهر للأستاذية .
٣٦٩- وأن حيرتها ليست من هذا الزمان ، وليست إلا من تصارييف الفارس
المحب !.

- وأنها كانت تمضي من أجل الورد نحو البساتين ، وأنه أبدى الورد وكان
شوكاً !.

- ولم تكن لها قط أن تقول بتأثير العقل ، ترى من الذي يقوم بركلنا في
حلقنا ؟!

- إن أولئك الأطباء كانوا عبيداً للسبب بحيث احتجبوا عن مكر الله .
- وإذا كنت قد ربطت ثورا في اصطبل ، ثم وجدت حمارا في مكان الثور .
٣٦٩٥- فمن الحمارية أن تتجاهل الأمر كالنائم ولا تبحث متى تم هذا العمل
خفية !!

- ولا تتساءل قط من يكون هذا المبدل ؟ إنه ليس ظاهراً فلعله من الأفلاك !!
- لقد أطلقت سهما ناحية اليمين ، فذهب سهمك صوب اليسار ، هل رأيت ؟!

- وهاجمت صوب غزال من أجل أن تصيده ، فجعلت نفسك صيداً لخنزير .
- وأسرعت في أثر صفقة من أجل الكسب ، ثم رأيت نفسك واقعا في سجن !
- ٣٧٠٠- وحفرت الآبار من أجل الآخرين ، ثم رأيت نفسك ساقطا فيها
- ولما ردك الله خائبا برغم أخذك بالأسباب ، فلماذا لا تسعى الظن بالأسباب ؟
- وكثيرٌ من الناس صاروا سادة عظاما من مصدر كسب ما ، ومن نفس المصدر ، صار آخر عريانا .
- وكثير من الناس من زيجة ما صاروا في غنى قارون ، وكثيرٌ من الناس من زيجتهم صاروا مدينين !!
- ومن هنا فما دامت الأسباب في تحولها مثل ذيل الحمار ، فمن الأفضل أن تقلل اعتمادك عليها .
- ٣٧٠٥- وإن أخذت بالسبب ، لا تأخذ به هكذا بجرأة ، فإن كثيراً من الآفات مخفية وراءه !!
- وسر الاستثناء هو الحزم والحذر ، ذلك أن القدر يبدى الحمار ماعزاً^(١) .
- وذلك الذي أغمض عينيه وإن كان ماهرا ، فمن حوله يكون الحمار ماعزا في عينيه..
- ولما كان الحق هو مقلب الأبصار ، فهو أيضاً يقلب القلوب والأفكار .
- فترى البئر منزلا لطيفا ، وترى الفخ حبة ظريفة .
- ٣٧١٠- وهذه ليست سفسطة ، إنها تقليب الله ، هو يبدى أين تكون الحقائق .

(١) ج : ١٤ : ٣٦٣ :

- لقد أبدى المشركين في أعين أهل بدر قلة ... حتى لا يعطوهم أي وزن !!

- وذلك الذي ينكر الحقائق ، يطوف بأجمعه حول خيالات ؛
- لا يقول إن تصور الخيال يكون لك أيضاً خيال ، فحك عينيك !!

ذهاب أبناء السلطان بحكم أن الإنسان حريص على ما منع

نحو تلك القلعة الملعونة :

**لقد أبدينا عبوديتنا .. لكن طبعك السيئ لم يعرف شراء العبيد
لقد أهملوا كل وصايا والدهم ونصائحه حتى سقطوا
في بئر البلاء وأخذت النفوس اللوامة تقول لهم
«ألم يأتكم نذير» ، فأخذوا يقولون بآكين دامعين :
«لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير» !!**

- إن هذا الكلام لا نهاية له ، وهذه الجماعة ، اتخذت طريقها نحو هذه القلعة !
- لقد وقعوا على شجرة الحنطة المنهى عنها ، فخرجوا من حظيرة المخلصين .
- ٣٧١٥- وعندما صاروا أكثر حماساً من منعه ونهيه ، اتجهوا نحو تلك القلعة
- وخلفاً لقول الملك المجتبى ، اتجهوا إلى القلعة محرقّة الصبر سالبة اللب .
- وبرغم العقل الناصح ، جاءوا إلى الليل المظلم ، وانقلبوا عن النهار .
- وفي تلك القلعة الجميلة ذات الصور ، هناك خمسة أبواب على البحر وخمسة أخرى إلى البر .

- خمسة منها كالحواس " الظاهرة " عاكفة على اللون والرائحة ، وخمسة منها كالحواس الباطنة باحثة عن السر .

٣٧٢٠- وبين تلك الآلاف من الصور والنقوش والزخارف ، أخذوا يتقلون من جهة إلى أخرى ، بلا قرار .

- قلل السكر من أقذاح الصور هذه ، حتى لا تصير ناحتاً للأصنام عابداً لها .

-ودع عنك أقداح الصور ولا تتوقف عندها ، فالخمر في الكأس ، وليست من الكأس .

-واقف فمك عن آخره نحو واهب الخمر ، فعندما تصل الخمر لا يعز الكأس^(١) .

-ويا أيها الإنسان ابحث عن معنای الثابت في القلب ، واترك قشر القمح وصورتہ .

- ٣٧٢٥- وما دام الرمل قد صار طحيناً من أجل الخليل ، اعلم أن القمح معزول أيها الجليل .

- والصورة تأتي إلى الوجود من اللصورة ، كما أن الدخان قد تولد من النار .
- وأقل عيوب الشيء المصور وخصاله ، أنك عندما تراه باستمرار يأتيك الملل .
- وانعدام الصورة يأتيك بالحيرة المحضة ، ومئات الأنواع من الآلات تولدت من انعدام الآلة !!

- وبانعدام الأيدي ، تقوم الأيدي دائماً بالتسييح ، والإنسان يصور روح الروح!!
٣٧٣٠- كما تتسج خيالات متنوعة في القلب من تأثير الهجر والوصال .
- فهل يشبه هذا المؤثر الأثر أبداً؟! وهل يشبه الصراخ والعويل الضرر؟!
- فللنواح صورة والضرر بلا صورة ، "والناس" تعض بنان الندم من الضرر الذي لا يد له .

- وهذا المثل لا يليق بطالب الدليل ، وهو جهد المقل احتيالا على الإفهام !!
- إن الصنع الذي بلا صورة يزرع صورة ، وينمو جسد منها ذو حواس وآلة .
٣٧٣٥- ومثلما تكون الصورة ، يأتي وفقا لها بالجسد إلى الخير وإلى الشر .

(١) ج : ١٤ / ٣٧٠ :

- وعندما تصل الخمر لا يعز الكأس ، وما دام لك أذن يأتيك الصوت باستمرار .

- فعندما تكون صورة نعمة يكون شاكراً ، وعندما تكون صورة مهلة يكون صابراً .

- وعندما تكون صورة الرحمة يصير نامياً ، وعندما تكون صورة الجرح يصير شاكياً .

- وعندما تكون صورة الحَضَر تأخذ في السفر ، وعندما تكون صورة السهم يأخذ المجن .

- وعندما تكون صورة الحسان ، يلهو ، وعندما تكون صورة الغيب ، يقوم بالخلوة^(١) .

٣٧٤٠- وعندما تكون صورة الحاجة يأتى به نحو الكسب ، وعندما تكون صورة قوة الساعد يأتى بالغضب !!

- وهذا خارج عن الحد وعن الحصر ، داعى الفعل من تنوع الخيال .

- والمذاهب والحرف بلا نهاية ، وكلها ظلال لصورة الأفكار .

- والقوم قد وقفوا على سطح ما سعداء ، فانظر إلى ظل كل واحد منهم على الأرض .

- إن صورة الفكر على السطح المشيد ، وذلك العمل كالظل ظاهر على الأركان.

٣٧٤٥- والفعل على الأركان والفكرة مكتومة ، ولكنهما يكونان معا عند التأثير والاتصال .

- وتلك الصور في مجلس اللهو التى تكون من كأس السرور ، فائدتها الانسلاخ عن الذات وفقدان الوعي .

^(١) ج : ١٤ / ٣٧٠ :

- وعندما تكون صورة الخير يتدل ، وعندما تكون صورة الصنع يأتى بالالمان !!

— وصورة الرجل والمرأة والملاعبة والجماع ، فائدتها فقدان الوعي عند المواقعة !

— وصورة الخبز والملح وهما نعمة ، فائدتها القوة التي لا صورة لها .

— وفي الحرب تكون تلك الصورة للسيف والدرع ذات فائدة لصورة هي الظفر !!
٣٧٥٠ — والمدرسة وخط التعليق وصورهما ، عندما اتصلت بالمعرفة صارت مطوية .

— وإذا كانت هذه الصور عبيدا لما لا صورة له ، لماذا هي إذن تتكرر صاحب النعمة .

— إن هذه الصور ذات وجود مما لا صورة له ، فأى جحود هذا تقدمه لموجدتها؟!

— إنها نفسها تجد منه إيداء هذا الإنكار ، وهذا ليس إلا عمل معكوس !!

— فاعلم أن صورة الجدار والسقف في كل مكان هي ظل فكر المعمار .

٣٧٥٥ — وبالرغم من انه في محل الفكر في حد ذاته ، لا حجر ولا خشب ولا طوب ظاهر .

— والفاعل المطلق يقينا بلا صورة ، والضورة في يده كأنها الآلة .

— وذلك الذي لا صورة له يبدى أحيانا الصور من كتم العدم كرما منه .

— حتى تجد كل صورة المدد منه ، من الكمال والجمال والقدرة .

— ثم إن من لا صورة له عندما أخفى وجهه ، جاء من أجل الكدية إلى اللون والرائحة .

٣٧٦٠ — وإذا بحثت صورة من صورة أخرى عن الكمال ، فهذا هو عين الضلال .

- إذن فأى عرض لك يا عديم الأصل لاحتياجك على محتاج آخر ؟!
- فما دامت الصور عبيداً ، لا تقل إنها إله ، ولا تظن أنه صورة ولا تبحث عن تشبيه له .
- وابحث عنه في التضرع وفي إقناء نفسك ، فمن الفكر لا تأتى أمامك إلا الصور !!
- وإن لم يكن يأتينك البهاء إلا من الصور ، فإن الصورة التى تتولد فيك بدونك تكون أفضل لك !!
- ٣٧٦٥- إن صورة المدينة التى تمضى إليها ، تجرك إلى لذة لا صورة لها أيها السالك .
- فأنت إذن تمضى في المعنى إلى اللامكان ، فإن اللذة غير المكان والزمان .
- وصورة الرفيق الذي تمضى إليه ، أنك تمضى إليه من أجل أنسه .
- فأنت بالمعنى مضيت إلى ما لا صورة له ، مهما كنت غافلاً عن هذا القصد .
- والحقيقة إذن أن الحق هو المعبود الكلى ، ففى سبيل اللذة يكون السير في السبل .
- ٣٧٧٠- لكن بعضهم اتجهوا إلى الذيل ، وبالرغم من أن الرأس هى الأصل ، فقد فقدوا الرأس .
- لكن تلك الرأس أمام أولئك الضالين ، سوف تقتص لحق الرأس عن طريق الذيل !!
- فذاك يجد الجزاء من الرأس وذاك من الذيل ، وقوم آخرون فقدوا القدم والرأس .
- وعندما فنوا بكليتهم ، وجدوا كليةً ، ومن القلة أسرعوا نحو الكل .

رؤيتهم في هذه القلعة ذات الصور صورة وجه

بنت ملك الصين وفقدان الثلاثة للوعي

وافتنانهم وبحثهم عن صورة من هذه !!

- إن هذا الكلام لا نتيجة له ، لقد رأت تلك الجماعة صورة ذات حسن وبهاء .
٣٧٧٥- كانت هذه الجماعة قد رأت أجمل منها بكثير ، لكنهم جميعاً غاصوا في
بحر عميق .

- لك أن مخدرهم وصل من هذه الكأس ، إن الكئوس محسوسة والمخدر خفي .
- لقد فعلت فعلها قلعة " هش ربا " - سالبة العقل - وأوقعت ثلاثتهم في بئر
البلاء .

- لقد أصمى سهم النظرة القلب بلا قوس ، فالأمان الأمان يا من لا يطلب
الأمان من أحد .

- لقد أحرقت صورة حجرية أهل القرون ، وأضرمت نارا في دينهم وقلوبهم .
٣٧٨٠- وأن تكون روحانية فماذا تكون فتنتها ، لا بد أنها تكون على شكل في
كل لحظة .

- وعندما أخذ عشق الصورة يطعن قلوب الأمراء كالسنان .
- أخذ كل منهم يذرف الدمع كالسحاب ويعض بنان الندم ويقول : وآسفاه !!
- لقد رأينا الآن مما رآه الملك في البداية ، لقد أخذ علينا كثيرا من الموائيق ذلك
الذي لا ند له .

- وللأنبياء حق علينا كثير ، ذلك أنهم أخبرونا عن نهاياتنا .
٣٧٨٥- وأن ما تزرعه لا ينبت إلا الشوك ، وطيرانك في هذا الطرف لن يجد
مجالاً .

- فخذ البذر منى حتى يعطى الريح ، وحلق بجناحي فإن السهم ينطلق من تلك الناحية .

- وأنت لا تعرف وجوب هذا ولا وجوده ، ثم تقول في النهاية : لقد كان ذاك واجبا^(١) .

- إنه أنت ، وكلنه ليس هذه الأنت بل تلك الأنت التى تكون واقفة على الخروج في النهاية !!

- ومن ثم فهذه الأنية الأخيرة جاءت صوب أنيتك الأولى من أجل العقاب والعطاء !!

٣٧٩٠- وأنيتك دفنت في أنية أخرى ، وأنا غلام لرجل ترى نفسه على هذا النسق .

- وذلك الذي يراه الشاب في المرأة ، يراه الشيخ في لينة من قبله .

- لقد خرجنا عن أمر ملكنا ، وعصينا عنايات أنيتنا .

- وتساهلنا في أمر الملك ، وتلك العنايةات التى لا أشياها لها .

- والآن منه سقطنا جميعا في خندق ، صرنا على البلاء وجرحاه دون قتال .

٣٧٩٥- كان اعتمادنا على عقلنا وعلى فضائنا ، حتى حاق بنا هذا البلاء .

- لقد رأينا أنفسنا خلوا من المرض ومقحررين " من الموت " ، مثلما يرى مريض السل نفسه .

(١) ج : ١٤ / ٣٨٣ :

- إنه أنت ، لكن لست هذه الأنت التى هى الجسد ، إنها تلك الأنت الأعلى من نحن وأنا .

- إن هذه الأنية الطاهرة التى تظن أنها أنت ، هى في جهة ، وأنت من اللامكان

- فلماذا أنت مرتعد من أجل صدفه أيها الجوهر ، اعتبر ذلك سكر لا بوصا

- إن هذه الأنية الموجودة معك أنية غريبة ، فاعثر على أنيتك ودعك من الإثنية !!

- وقد صارت العلة الخفية ظاهرة الآن ، بعد أن سقطنا أسارى وفرانس .
- إن ظل المرشد أفضل من ذكر الحق ، وقليل من القناعة أفضل من مائة دسم
وطبق .

- والعين المبصرة أفضل من ثلاثمائة عصا ، العين التي تميز بين الجوهرة
والحصي .

٣٨٠٠- فأخذوا في التساؤل وهم في هم عظيم ، صورة من هذا عجباً ، أهى في
الدنيا ؟!

- وبعد كثير من التفحص في جولاتهم ، كشف ذلك السر شيخ بصير .
- لا عن طريق الأذن ، بل عن طريق وحى اللب ، فإن الأسرار تكون أمامه
دون قناع .

- وقال : إن هذه الصورة التي تترى بالثريا ، هي صورة بنت ملك الصين .
- إنها مخفية كالروح والجنين ، وهي مخفية في الحجب ، ودونها الإيوان !!
٣٨٠٥- فلا طريق إليها لرجل أو لامرأة ، فقد أخفاها الملك من الفتن .
- إن الملك غيور على سمعته ، بحيث لا يخلق - حتى الطائر - فوق سقفه .
- فويل لذلك القلب الذي تطرقه الرغبة في هذا الأمر ، ولا ابتلى أحد بمثل هذه
الشهوة .

- وهذا هو جزاء الذي زرع بذور الجهل ، وحقر تلك النصيحة واستهان بها .
- واعتمد على تدبيره قائلاً ، سوف اجعل عملي في تقدم اعتماداً على عقلي .
٣٨١٠- ونصف ذرة من تلك العناية ، أفضل من ثلاثمائة مرصد من تدبير
العقل .

- فاترك مكر نفسك أيها الأمير ، وجر قدميك نحو العناية ومت سعيداً .

— إن هذا ليس معدوداً بقدر الحيلة ، فلا نفع في هذه الحيل ما لم تمت^(١) .

حكاية صدر جمان بخارى

الذي كان يحرم كل سائل يسأل بلسانه

من صدقته العامة التي لا تنقطع ، وذلك العالم الفقير

الذي سأل بلسانه في الموكب لنسيانه من فرط حرصه وعجلته ،

فأشام عنه صدر جمان بوجهه ، وكان كل يوم يقوم بحيلة ،

فمينا يجعل نفسه امرأة تحت الملاءة ، ومينا يتظاهر بالعمى

ويخفي عينيه ووجهه فكان يعرفه بفراسته .. إلخ آخره

— كانت خصلة سيدنا الأجل في بخارى حسن الفعال مع الطالبين .

— وكانت الهبة الكثيرة والعطاء الذي لا حصر له ، فكان حتى الليل واهبا للذهب .

— ٣٨١٥ — وكان يلف الذهب في قطع الورق ، وكان يبذل الجود ما كان موجوداً .

— كان كالشمس والقمر لاعبا بطهر ، ما يأخذه من ضياء يبذلاته ثانية .

— ومن الذي يهب الأرض الذهب ؟ إنها الشمس ، إن الذهب منها في المنجم والكنز في الخراب !!

— كان لكل جماعة راتبٌ كل صباح منه ، حتى لا تبرد جماعة خائبة " من نواله " .

— فكان يعطى المبتلين في يوم ، وفي يوم آخر يسخو على الأرامل .

— ٣٨٢٠ — وفي يوم آخر للعلويين الفقراء مع الفقهاء الفقراء العاملين .

— وفي اليوم الثالث للمعوزين من العوام ، وفي اليوم الرابع لأسارى الذين^(٢) .

(١) ج : ١٤ / ٣٨٤ :

— فما لم تمت لن تحصل على نفع ، فاذهب ومت وخذ نصيبك من الوجود .

(٢) ج : ١٤ / ٣٩٠ :

— وفي يوم رابع لليتامى الصغار ، وفي خامس للضعفاء الأسارى .

— وفي السادس لأبناء السبيل ، وفي السابع كان كفيلاً للمكاتبين .

- وكان شرطه ألا يطلب أحد المال بلسانه ، ولا يفتح فاه على أي وجه .
- بل أن يقف المفلسون حول طريقه صاميتين كأنهم الجدران .
- وكل من يسأل بلسانه فجأة ، لم يكن يأخذ حبة من المال بسبب هذا الذنب .
- ٣٨٢٥- كان قانونه: " من صمت منكم نجا ، كان كيسه وكاسه للصامتين .
- ونادرا ما حدث ذلك الذي حدث من شيخ قال له ذات يوم ، أعطني من الزكاة فأنا شديد الجوع .
- فمنع الشيخ ، وألح الشيخ في الطلب، وتعجب الخلق من إلحاحه .
- فقال له : إنك شيخ وقح جدا أيها الأب ، فقال الشيخ : إنك أشد وقاحة مني !
- فقد حزت على هذه الدنيا ، وتريد من طمعك أن تجمع بين الدنيا والآخرة .
- ٣٨٣٠- فضحك وأعطى المال لذلك الشيخ ، ونال الشيخ وحده ذلك الإكرام .
- وغير ذلك الشيخ لم ير منه سائل " قط نصف حبة من الذهب أو جزءا من الدانق .
- وذات يوم من أيام نوبة الفقهاء ، صرخ ققيه فجأة من الحرص .
- وناح كثيراً ، لكن ذلك لم يجد فتىلا ، وتحدث بما شاء له الحديث ولم يجده نفعا .
- وفي اليوم التالي لف ساقه بضمادة " وجلس " منكس الرأس في صف المبتهلين .
- ٣٨٣٥- وضع الساق في الجبائر من يمين ومن يسار ، حتى يظن انه مكسور القدم .
- فرآه وعرفه ولم يعطه شيئا ، وفي اليوم التالي غطى وجهه باللباد .

- فعرفه أيضا ، ولم يعطه ذلك العزيز شيئا قط من ذنب السؤال ومن جرمه .
- وعندما فشل برغم مائة حيلة قدمها ، وضع طراحة على رأسه كالنساء .
- وذهب فجلس وسط الأرامل ، وطأطأ رأسه وأخفى يده .
- ٣٨٤٠ - فعرفه أيضا ولم يعطه صدقة ، فأصابته حرقه في قلبه من الحرمان .
- فذهب إلى أحد طلاب " التبرع " بالأكفان ، وقال له : لفتى في اللباد وضعتني أمام طريقه .
- ولا تفتح فمك ، اجلس ، وانظر فحسب حتى يمر صدر جهان من هنا .
- فلعله يرانى ، ويظننى ميتا ، وعلى ظنه هذا ، يلقي بالمال من أجل شراء الكفن .
- وسوف أعطيك نصف ما يعطيه ، وكذلك فعل ذلك الفقير طالب العطية .
- ٣٨٤٥ - فلفه في اللباد ووضع على الطريق ، وتصادف أن مر صدر جهان من ذلك المكان .
- فألقى بالذهب على اللباد ، فأخرج ذلك الفقيه يده من عجلته .
- حتى لا يأخذ طالب الأكفان تلك العطية ، وحتى لا يخفى منها شيئا ذلك للشره .
- مد " الميت " يده من تحت اللباد ، وأطل برأسه من بعد يده من تحت الغطاء .
- وقال لصدر جهان : " أنظر " كيف آخذه ، يا من أغلقت أمامى أبواب الكرم؟!
- ٣٨٥٠ - قال له : لكن لو لم تمت أيها العنود ، لما حملت من جنابى أى جود .
- وهذا هو سر [موتوا قبل الموت] ، فمن بعد الموت ، تصل الغنائم .
- وغير الموت ، لا فن آخر قط ، يؤثر في الله أيها المحتال .
- إن عناية واحدة أفضل من مائة نوع من الإجهاد ، فالخوف على الجهد من مائة نوع من الفساد .
- وتلك العناية ، متوقفة على الممات ، ولقد جرب هذا الطريق النقات .

٣٨٥٥- بل إن موته ليس بلا عناية أيضاً ، انتبه ، ولا تقف في مكان ما دون عناية .

- فهي الزمرد بالنسبة للأفعى العجوز ، ومتى تقلع عين الأفعى دون أن يوجد زمرد ؟!

حكاية أخوين أحدهما أجرد والآخر أمرد ،

ناما في منزل للعزاب ذات ليلة ، وكدر الأمر طوب اللبن على مقعده ،

لكن رجلاً دب عليه ، وحمل من فوقه تلك اللبونات بالميلة والفخة ،

فاستيقظ الولد وتشاجر ، وقال : أين تلك اللبونات ؟! وإلى أين حملتها ؟!

ولماذا أخذتها ؟! فقال له : وأنت لماذا وضعت هذه اللبونات ؟! إلى آخره ...

- حضر أمرد وأجرد حفلاً ، وكان هناك جمع في ذلك المكان .

- وانشغل هؤلاء القوم المختارون ، حتى انقضى النهار وذهب من الليل ثلثاه .

- فلم يذهبا عن منزل العزاب ذاك ، وناما في ذلك المكان ، خوفاً من العسس .

٣٨٦٠- كان للأجرد على ذقنه شعيرات أربعة ، لكن وجهه كان كالبدر .

- لكن الولد الأمرد كان قبيح الوجه ، فوضع خلف مقعده عشرين لبنة .

- فدب عليه لوطنى بليل في الزحام ، ونقل اللبونات ذلك الذي تمكّنه الشهوة .

- وعندما مد عليه يده ، قفز من مكانه ... وقال ... هه ، من أنت يا عابد

الكلب ؟!

- فقال له : كيف جمعت هذه اللبونات الثلاثين ؟! فأجاب : وكيف أخذتها إذن تلك

اللبونات الثلاثين ؟! (١)

(١) ج : ١٤ / ٣٩٥ :

- وقال ليها الدب الجهنمي التفاه ، يا ليها الأبله فاقد الخالصية كالرمل .

٣٨٦٥- إتنى ولد مريض ومن ضعفى ، وضعتها احتياطاً ، ومن أجل أن أستند إليها .

- فقال : إذا كنت تتقى المرض ، لماذا لم تذهب إلى دار الشفاء ؟!

- أو إلى منزل طبيب مشفق ، حتى يشفيك من سقامك هذا .

- فقال : من أين أعلم إذن .. أتنى حينما أذهب أصير ممتحناً ؟!

- وأن زنديقاً نجساً مثلك ، سوف يطل برأسه أمامى كالوحش ؟!

٣٨٧٠- والتكية التى هى أفضل مكان ، لم أر الأمان فيها لحظة واحدة .

- فإن شردمة من أكلة الجرجير ، يلتفتون إلىّ ، عيونهم مليئة بالشهوة ، وأيديهم

تحك خصيهم !!

- والشريف منهم يسترق النظر إلىّ ، وهو يحك في ذكره^(١) .

- فإذا كانت الخانقاه على هذا الحال ، فكيف يكون السوق العام ، قطيع من

الحر ، ومجمع للأجلاف .

- فأين الحمار من الشرف والتقوى ، وأى معرفة للحمار بالخشية والخوف

والرجاء ؟!

٣٨٧٥- وعندما يكون عقل يكون باحثاً عن الأمن والعدل ، سواء على الرجل

أو على المرأة ، لكن أين العقل ؟!

- وإذا هربت ومضيت صوب النساء ، فإننى أسقط فى الفتنة كيوسف عليه

السلام !!

(١) ج : ١٤ : ٣٩٥ :

- إن صديقنا الشريف ليس له إلا النظر ، لكن الدين على خطر شديد من هذا النظر .

— لقد لقي يوسف ^(عليه السلام) من المرأة السجن والعذاب ، أما أنا فسوف أوزع على خمسين مشنقة .

— فإن أولئك النسوة من جهلهن يتجمعن على ، أما أولياؤهن فيهمون بقتلى !!
— فلا حيلة لدى سواء من الرجال أو من النساء ، وماذا أفعل ولست من هؤلاء أو أولئك ؟!

٣٨٨٠— ثم نظر ذلك الولد إلى الأجرد وقال : لقد نجا من الحزن بشعرتين .
— إنه فارغ من اللبنات وسخرة اللبنات ، ومن ابن زنا قبيح عملاق مثلك .
— أن ثلاث أو أربع شعرات على الذقن كنموذج ، أفضل من ثلاثين لبنة حول المقعد .

— وذرة من ظل العناية ، أفضل من آلاف الجهود من عابد للطاعة .
— ذلك أن الشيطان يقطع لبنات الطاعة ، وإن كان هناك مائتا لبنة يجد طريقاً^(١) .
٣٨٨٥— واللبن وإن كان كثيراً فهو من وضعك أنت ، وتلك الشعرتان أو الشعرات الثلاثة من عطاء تلك الجهة .

— والحقيقة أن كل شعرة منها بمثابة الجبل ، فإن صك الأمان هذا عطاءً ملكي !!
— إنك إن وضعت مائة قفل على باب ، يقوم ظالم باقتلاعها جميعاً .
— ولو وضع شرطى ختماً من الشمع ، فإن قلوب الأبطال تهلع منه .
— إن هذين الخيطين أو الخيوط الثلاثة من العناية صارت سداً كالجبل ، مثل بهاء السيماء في الوجوه .

(١) ج : ١٤ / ٣٩٦ :

— فإنه لا يجرؤ على غايته ، حتى يجعل لنفسه نصيباً منها .

٣٨٩٠- فلا تترك اللبئات يا حسن الخلقة ، لكن لا تتم آمنا أيضاً من الشيطان القبيح .

- وامض ، واحصل على شعرتين من ذلك الكرم ، وحينذاك فتم آمنا ولا تهتم .
- فنوم العالم افضل من العبادة ، لكن ذلك العلم الذي يكون موقظاً !! .
- وذلك السكون للسباح في عومه ، افضل من جهد الجاهل بيده وقدمه^(١) .
- لقد جاء الجاهل بيده وقدمه وغرق ، بينما يمضى السباح ساكناً كالعمد .
- ٣٨٩٥- والعلم بحر بلا حد ولا شاطئ ، وطالب العلم غواص في البحار .
- وإذا كان عمره آلاف السنين ، فإنه لا يشبع من البحث والتحقيق .
- فإن رسول الحق قال في بيانه إنهما منهومان لا يشبعان .

في تفسير هذا الخبر عن المصطفى ﷺ إذ قال :

منهومان لا يشبعان طالب الدنيا وطالب العلم ،

وأن هذا العلم ينبغي أن يكون غير علم الدنيا حتى يكونا قسمين ،

لأن علم الدنيا دنيا ... وإذا كان هو المقصود لكان الأمر تكراراً طالب

الدنيا وطالب الدنيا ولما كان تقسيماً ... مع بيانه

- " طالب الدنيا وتوفيراتها ، طالب العلم وتديراته " ^(٢) .
- إذن فإنك عندما تمنع النظر في هذا التقسيم ، فإن هذا العلم يكون غير الدنيا ، أيها الأب .

(١) ج : ١٤ / ٣٩٦ :

- إن السباح في الماء ساكن اليد والقدم ، يمضى افضل من الجاهل الذي يتخبط.

(٢) ما بين القوسين بالعربية في المتن .

٣٩٠٠- وماذا يكون غير الدنيا ؟! إنها الآخرة ، التي تَقْتَلِعُكَ من هنا وتصير
مرشدا لك^(١) .

تباحث هؤلاء الأمراء الثلاثة في تدبير تلك الواقعة

- التفت هؤلاء الثلاثة المفتون إلى بعضهم ، فهم الثلاثة في تعب واحد وألم واحد وحزن واحد !!
- وثلاثتهم يفكرون في شيء واحد ، ويشاركون في شهوة واحدة ، وثلاثتهم مرضى من علة واحدة وألم واحد .
- وفي الصمت يكون خاطر الثلاثة واحداً ، وعند الكلام حجة الثلاثة واحدة .
- ٣٩٠٥- فحينما يكونون جميعا ذارفين للدمع ، نازفين للدم ، على مائدة المصيبة .
- وحينما يكون هؤلاء الثلاثة من تأثير نار القلب متنفسين بحرقه كأنهم المجرم .

مقال الأم الأكبر

- قال ذلك الأخ الأكبر : يا إخوان الخير ، ألم نكن شجعان في نصيح الغير ؟!!
- وكل من كان يشكو إلينا من الحشم ، من البلاء والفقر والخوف والزلزلة .
- كنا نقول له : قلل من التفجع عند الحرج ، واصبر فالصبر مفتاح الفرج .
- فماذا حدث لمفتاح الصبر الآن ، ووا عجباً هل نسخ هذا القانون ؟! وماذا حدث ؟!

- ٣٩١٠- ألم نكن نقول في الملمات : اضحكوا سعداء في النار كأنكم الذهب .
- ألم نقل للجيش إيان إحتدام المعركة ، انتبهوا لا تشحبين وجوهكم ؟
- وفي ذلك الزمان الذي كانت فيه الجياد تطأ الرؤوس المقطوعة تحت أقدامها ؛

(١) ج : ١٤ : ٣٨٩ :

- وغير الدنيا تكون الآخرة يقينا ، تحملك من هذا المكان إلى هناك أيها الأمين-

- كنا نشجع جندنا قائلين ، هيا ... هيا ... تقدموا قاهرين كالسنان !!
- لقد أبدى العالم كله بالصبر ، ذلك أن الصبر هو مصباح الصدر ونوره .
٣٩١٥- وحل دورنا ، فلماذا دارت رؤوسنا ؟! ولبسنا الطراحيات كالنساء
القييحات .

- ويا أيها القلب الذي قمت بتشجيع الجميع ، شجع نفسك واخجل من نفسك .
- ويا أيها اللسان الذي كنت ناصحاً للجميع ، جاءت نوبتك ، فلماذا صمتت ؟!
- ويا أيها العقل ، أين نصائحك الحلوة ، الدور دورك الآن فأين صارت
تنبيهاتك ؟!

- ويا من شفيت القلوب من مائة اضطراب ، لقد حل دورك فحرك لحييتك !!
٣٩٢٠- فإذا كنت لا تحرك اللحية الآن من أبنتك ، فقد كنت تسخر قبل الآن من
لحييتك .

- فأنت في وقت نصيح الآخرين عالى الصوت ، وفي غم حاق بك صارخ
كالنسوة .

- وكيف كنت دواء للألام الآخرين ، ثم حل بك الألم ضيفا فصمتت ؟!
- كان الصياح بالمعسكر لحناً لك ، هيا صح فما الذي حبس صوتك ؟!
- إن ما نسجته خمسين سنة بلبك ، أليس من نسيجك هذا فقطان حرب ؟ إلبسه..
٣٩٢٥- كانت آذان الأصدقاء سعيدة من صوتك ، فأخرج يدك الآن ، واسحب
أذنك .

- كنت رأساً دائماً ، فلا تجعل نفسك ذيلاً، ولا تفقد يدك وقدمك ولحييتك
وشاربك!!

- إن اللعبة هي لك الآن على وجه البساط ، فكن على طبيعتك ونشط نفسك^(١) .

ذكر ذلك المأمور الذي أتى بذلك العالم إلى مجلسه بالإكراه وأجلسه ،

وعرض الساقى الشراب على العالم ووضع الكأس أمامه

فأعرض بوجهه وبدأ في العبوس والحدة ، فقال الملك للساقى :

هيا ... اجعله على طبيعته فضربه الساقى بضم لكلمات على رأسه

وجرعه الشراب ... إلى آخره

- كان أحد الملوك ثملا في مجلسه ، وكان يمر على باب أحد الفقهاء .

- فأمر بأن يجروه إلى المجلس ، وأن يسقوه من الشراب الياقوتى .

٣٩٣٠- فجروه إلى الملك بالرغم منه ، فجلس في المجلس عبوسا كأنه السم والأفعى .

- وعرضوا عليه الخمر فأبى بغضب ، وأشاح بعينه عن الملك وعن الساقى .

- وقال : إننى لم أتناول الشراب طوال عمرى ، وأفضل عندى مساغاً من الشراب السم الزعاف .

- هيا ... أعطونى سما بدلا من الخمر حتى تخلصونى من نفسى وتخلصوا أنفسكم منى ..

- وبدأ في العريضة دون أن يشرب خمرا ، فصار ثقيلاً في المجلس كالموت والألم .

٣٩٣٥- مثل أهل النفس وأهل الجسد ، جالسوا أصحاب القلوب في الدنيا .

- والحق لا يخفى خاصته ، فهم لا يشربون إلا من خمر الأحرار .

(١) ج : ١٤ / ٣٩٩ :

- واستمع إلى هذه الحكاية أيها العاقل ، حتى تعلم سندا في هذا المعنى .

- إنهم يعرضون الكأس على المحجوب ، ولا يجد الحس منها غير الكلام .
 - فيعرض عن إرشادهم ، إذ لا يرى عطيتهم بالبصيرة .
 - ولو كان هناك طريق من أذنه حتى حلقه ، لدخل سر نصيحهم في باطنه .
 - ٣٩٤٠- ولأنه كله نار ، ليست روحه نوراً ، ومن الذي يلقى في النار المحرقة
- إلا القشور ؟

- لقد بقى اللب خارجاً وتشرب قشر الكلام ، ومتى تصير المعدة من القشر
شبعي نشطة ؟!

- وليس من حطب نار جهنم إلا القشر ، وليس للنار عمل قط مع اللب .
- وإذا كان نار ما لهيب على لب ، فاعلم أن هذا من أجل الإلتضاع لا من أجل
الإحراق .

- وما دام الحق الحكيم موجوداً ، فاعلم أن هذه القاعدة مستمرة ، فيما مضى
وفيما لم يأت بعد .

٣٩٤٥- فالألباب الذكية والقشور كلها مغفور لها منه ، فكيف يحرق اللب إذن ؟!
تعالى عن ذلك .

- فإذا كان يدقه على رأسه من العناية ، فذلك من أجل أن يشتهى الشراب
الأحمر .

- وإن لم يدقه ، لبقى مغلق الفم "محروماً" كالفقير، من شراب هؤلاء الملوك
ومن مجلسهم .

- قال الملك لساقية : يا حسن الخطي ، لماذا أنت صامت ؟ هيا واجعله سريعاً
على طبيعته .

- فهناك حاكم خفي على كل عقل ، يفصل كل من يرد - بفنه - عن رأسه .

٣٩٥٠- وشمس المشرق وقيامها ببيت النور ، مقيدة في أغلاله كالأسرى .
- إنه يجعل الفلك يدور في لحظة واحدة ، عندما يقرأ على رأسه نصف " رقية " من فنه .

- إن العقل هو من سخر عقلا آخر له ، إنه أستاذ في النرد يلقي الزهر سريعا .
- فضربه بضع لكمات على رأسه قائلا : خذ ، فتجرع خوف الصفع ذلك الشراب المر .

- فثمل وصار فرحا ضاحكا كالبيستان ، وانطلق في المنادمة والضحك وقول الفكاهات .

٣٩٥٥- صار جريئا سعيدا وطرق بأصابعه ، ومضى نحو المرحاض كي يبول .

- وكانت في المرحاض جارية كالقمر ، جميلة جداً ، من محظيات الملك .
- وعندما رآها ، بقى فمه مفتوحاً ، وغاب العقل ، وبدأ " دور " الجسد الذي يزاول الظلم .

- كان قد عاش عمرا وهو أعزب مشتاق ، فتشبث في الجارية في التو واللحظة بكلتا يديه .

- وقاومت تلك الجارية كثيرا وصرخت ، لكن ذلك لم يؤثر فيه ولم يجد فتىلا .

٣٩٦٠- فإن المرأة في يد الرجل عند اللقاء ، تكون كالعجين في يد الخباز .

- يعجنه حيناً ليناً وحيناً غليظاً ، ويجعله يطلق أصواتاً تحت قبضته .

- أحيانا يبسطه عريضا فوق اللوح ، وأحيانا يجمعه كله في قطعة واحدة .

- حيناً يصب فيه الماء وحيناً الملح ، ويجعل له المحك من تنوره وناره .

- وهكذا يلتف كل على بعضه ، المطلوب والطالب ، في هذه اللعبة، المغلوب والغالب .

٣٩٦٥- وليس هذا اللعب قاصرا على الزوج والزوجة ، بل هذا الفن لكل معشوق وعاشق .

- ومن القديم والحادث والعين والعرض ، التفاف مفترض مثل " ويس ورامين".
- لكن لعب كل واحد ذو لون مختلف ، والتفاف كل " على الآخر " من فن مختلف .

- ولقد ذكر الزوج والزوجة على سبيل المثال ، بما يعنى : أيها الزوج ، لا تسئ معاملة الزوجة .

- ففى ليلة الزفاف ، ألم تضع الكنة يدها في يدك كأمانة طيبة !!
٣٩٧٠- قائلة : إن ما تفعله معها أيها المعتمد ، يفعله معك الله من خير وشر
- الخلاصة : أن هذا الفقيه من فقدانه لنفسه ، لا بقيت عنده عفة ولا زهد .
- لقد وقع ذلك الفقيه على تلك الحورية ، وأضرمت ناره في ذلك القطن .
- التفت الروح والتفت الأجساد ، وأخذا يتقلبان كطائرين ذبيحين .
- فما السقاية ؟ وما الملك ؟ وما الأسد ؟! وما الحياء ، وما الدين ، وأين الخوف والخشية على الروح ؟!

٣٩٧٥- واستدارت حدقتاهما ، وجحظتا ، فلا حسن ظاهر هنا ولا حسين .
- وطال الأمر... وأين طريق العودة ؟ وطال انتظار الملك عن الحد .
- وجاء الملك ليرى الواقعة ، فرأى هناك زلزلة القارعة .

- ونهض ذلك الفقيه خوفاً ومضى صوب المجلس ، واختطف الكأس سريعاً .
- والملك كالجحيم ملئ بالشرار والنكال ، صار ظامناً لدم هذين الشريرين .
٣٩٨٠- وعندما رأى الفقيه وجهه شديد الغضب والقهرو قد صار عبوساً دمويًا
مثل كأس السم .

- صاح بساقيه : يا أيها المضيف ، لم جلست حائراً ؟ إجعله على طبيعته .
- فضحك الملك وقال : أيها العظيم ، لقد صرت على طبيعتي ، وهذا الفتاة لك .
- إننى ملك وعملى هو العدل والإنصاف ، وأكل مما أعطاه جودى للصديق .
- وذلك الذي لا أشربه كالشهد ، كيف أطعمه للرفيق والقريب والصفى ؟!
٣٩٨٥- ومن هنا فإننى أطعم غلمانى ، مما آكله أنا على مائدتى الخاصة .
- ومن هنا فأنا أطعم عبيدى من الطعام الذي آكله سواء كان ناضجاً أو نيئاً .
- ولأتى ألبس من الخز وألبس من الأطلس ، فإننى من هنا لا أكسى الخشم
بالخرق .

- إننى استحيى من النبى صاحب الأفضال الذي قال : { ألبسوهم مما تلبسون } .
- ولقد أوصى النبى أبناءه في " الدعوة " قائلاً : { أطعموا الأذناب مما
تأكلون } (١) (٢) .

٣٩٩٠- ولقد جعلت الكثيرين على طبيعتهم ، وجعلتهم في الصبر خفافاً راغبين .
- فاجعل نفسك على طبيعتك برجولة ، وأجعل العقل المفكر في الصبر دليلاً .

(١) ما بين الأقواس بالعربية في المتن .

(٢) ج : ١٤ / ٤٠٤ :

- وانصرف الفقيه وحمل معه زوجة طيبة من العطاء الخاص لكشاف الكروب .

- وعندما يكون مرشد الصبر جناحا لك ، فإن الروح تحلق إلى أوج العرش والكرسى .

- وانظر إلى المصطفى ﷺ الذي صار صبره براقا ، جذبه إلى أعلى الطباق^(١).

مضى الأمراء بعد تمام المناقشة وما جرى صوب الصين

حيث المعشوق والمقصود حتى يكونوا بقدر الإمكان

أقرب إلى المقصود فإذا كان طريق الوصل مسدودا

فالقرب بقدر الإمكان محمود ... إلى آخره

- (٢) لقد قالوا هذا وبدأوا في السير سريعا ، وكل ما كان يا رفيقي كان في تلك اللحظة .

٣٩٩٥- اختاروا الصبر وصاروا من الصديقين ، ثم اتجهوا إلى بلاد الصين .

- وتركوا الوالدين والملك ، وسلكوا طريق المعشوق .

- مثل إبراهيم بن أدهم ، جعلهم عشقهم من سرير الملك فقراء ، لا يعرفون لأنفسهم رأسا من قدم .

- أو كإبراهيم المرسل عليه السلام ، ألقى بنشوة رأسه في النار .

- أو كإسماعيل الصبار المجيد عليه السلام ، مد حلقه أمام العشق وخنجره !!

(١) ج : ١٤ / ٤٠٤ - ٤٠٥ :

- وعندما احترق أيوب العظيم الصبر ، فتح له من البلاء باباً من الرحمة

- فالصبر هو الصدر على أي حال يكون ، فلا تفرط في الصبر من يدك ما استطعت

- ألم تسمع الصبر مفتاح الفرج ، بحيث عكفت على هذه العجلة ؟!

- إن الصبر يأتي للعشاق برغبة القلب ، ولمسلوبي القلوب يكون الصبر راحة لها

- ولا حد لهذا الكلام فاقصر فيه ، وتحدث عن حديث العاشقين .

(٢) ج : ١٤ / ٤١٧ :

- عد أيها العاشق وسق سريعا ، فأولئك الأمراء في انتظارك

- فالأمراء الثلاثة مثل القاعدين عن العمل ، عذبهم العشق في حد ذاته.

حكاية امرئ القيس الذي كان ملكاً على العرب وكان
على قدر كبير من الجمال في خلقته ، وكان نسوة
العرب كزليخا فتيلات هواه كما كان شاعراً موهوباً
نظم : قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل . وإذا كن
النسوة يبحثن عنه بأرواحهن فحجبا مما كان غزله
وتوجعه ؟! تراه علم أنهن كلهن تماثيل مصورة
نقشت على لوم التراب ؟! وفي النهاية وجد امرئ
القيس هذا حلاً بحيث هرب في منتصف الليل من ملكه
وهجر ولده وأخفى نفسه في خرقة درويش وتنقل من
ذلك الإقليم إلى إقليم آخر في طلب ذلك الذي يكون
منزهاً عن الإقليم (يختص برحمته من يشاء) إلى آخره

٤٠٠٠- إن امرئ القيس قد جذبه هو الآخر العشق من بلاد العرب ومن الممالك
متببس الشفة^(١) .

- حتى جاء وأخذ يقوم بصناعة الطوب اللبن في تبوك ، ف قيل للملك إن ملكاً من
الملوك ؛

- اسمه امرؤ القيس جاء هنا للكذ ، وهو في صيد العشق يقوم بصنع الطوب .

- فنهض ذلك الملك وسار إليه بليل ، وقال له : أيها الملك الجميل ؛

- إنك يوسف الأوان وكمل لك الملكان ، وأطاعتك البلاد ودان لك الجمال .

(١) ج : ١٤ / ٤١٩ :

- كان رفيق الطبع وكان صاحب جمال ، وكان شاعراً وصاحب أصول الكمال

- وعندما طرق العشق الحقيقي قلبه ، يرد لديه ملكه وأهله ومنزله

- فلبس خرقة في منتصف الليل ومضى ، وهرب من ملكه سريعاً .

٤٠٠٥- صار الرجال عبيداً لك بسيفك ، وأولئك النسوة ملك لقمرك الذي بلا
سحاب .

- وأن تكون عندنا فهذا من إقبالنا ، وروحنا من وصلك تصير مائة روح .

- فانا وملكى كلانا مملوكان لك ، يا من تركت أعمالك بهمتك .

- أخذ يتحدث إليه كثيراً بالفلسفة وهو صامت ، وفجأة كشف له القناع عن
السر .

- وما إن همس في أذنه عن العشق والألم ، حتى جعله مثله في الحال شريداً.

٤٠١٠- فأخذ بيده وصار رفيقاً له ، إذ صار هو أيضاً ضائعاً من العرش ومن
الحزام .

- وذهبا معا هذان الملكان إلى بلاد بعيدة ، والعشق لم يقم بهذا الذنب مرة
واحدة.

- إنه شهد عند الكبار ولبن عند الأطفال ، وهو في كل سفينة يكون المن
الأخير^(١) .

- وغير هذين الاثنين هناك ملوك بلا حصر ولا عدد ، اختطفهم العشق من
الملك والآل .

- وأرواح هؤلاء الأمراء الثلاثة حول الصين ، صارت كالطيور تلتقط الحب
من كل صوب .

(١) ج : ١٤ / ٤١٩ :

- الذي عندما يوضع في سفينة يغرقها ، ويجعلها في القاع بأجمعها
- وقصة كخسرو ملك الزمان ، مشهورة بين الإنس والجان .

٤٠١٥- فلا جرأة لديهم لكي يفصحوا عما في الضمير ، ذلك انه كان سرا شديداً
الخطورة .

- ومئات الآلاف من الرؤوس بقطعة واحدة من النقود في تلك اللحظة ، شد من
أجلهم العشق الغاضب وتر القوس .

- والعشق حتى في وقت السعادة ودون غضب ، لديه خصلة ، وهو أنه يقتل
خبط عشواء لحظة بلحظة .

- وهكذا يكون في تلك اللحظة التي يكون فيها راضياً ، فماذا أقول عنه عندما
يكون غاضباً ؟!

- لكن مرج الروح فداء لأسده ، ذلك الذي يقتله هذا العشق بسيفه !!

٤٠٢٠- فهو قتل أفضل من آلاف من أنواع الحياة ، إن أنواع الملوكة قتيلة من
أجل هذه العبودية .

- أخذوا يتحدثون إلى بعضهم البعض كناية بالأسرار ، وأخذوا يتهامون بمائة
خوف وحذر .

- فليس على السر من مطلع إلا الله ، وليس من نجي للآهة إلا السماء .

- كانوا قد اصطلحوا فيما بينهم على بعض المصطلحات من أجل إيراد الخبر .

- فلو تعلم العوام من لسان الطير هذا ، لألقوا بالرئاسة والفيهقة بعيداً .

٤٠٢٥- إن ذلك الكلام هو صورة أصوات الطير ، أما الرجل الساذج فهو غافل
عن حال الطير !!

- فأين سليمان عليه السلام الذي يعلم منطق الطير ؟! فالشيطان وإن استولى على الملك
، فهو غير " سليمان " .

- لقد وقف الشيطان على شبيه سليمان ، كان لديه علم المكر ، ولم يكن لديه مصداق ﴿ علّما ﴾ .

- وعندما كانت بشاشة سليمان عليه السلام من الإله ، كان لديه منطق الطير ، ومصداق علّما .

- وافهم أنت هذا من ذلك الطائر الهوائى ، إذ أنك لم تر الطيور التى من لدن " الله " !!

٤٠٣٠- إن موضع العنقاوات يكون الجهة الأخرى من قاف ، وليس لكل خيال يد ناسجة .

- اللهم إلا ذلك الخيال الذي رآه اتفاقا ، ثم وقع له بعد العيان الفراق .

- ليس الفراق النهائى ، بل فراق المصلحة ، فإن تلك المنقبة آمنة من كل فراق .

- ومن أجل استبقاء تلك الروح في ذلك الجسد ، تسحب الشمس لحظة نفسها من التلوج ..

- ومن أجل روحك اطلب الصلاح منهم ، وانتبه ولا تسرق منهم مصطلحاتهم .

٤٠٣٥- لقد سمت زليخا كل الأشياء من الحرمل حتى العود باسم يوسف عليه السلام .

- وأخفت اسمه في الأسماء ، لكنها أخبرت خلصاءها بسر ذلك .

- فعندما كانت تقول أن الشمع قد لان من النار ، فإنها تعنى : أن ذلك الحبيب كان رفيقا بنا .

- وإذا قالت " انظروا قد طلع القمر " أو قالت " إخضر غصن الصفصاف " .

- أو قالت إن الأوراق تهتز سعادة ، أو قالت " إن البخور تحترق جيداً " .

٤٠٤٠- أو قالت باح البلبل بالسر للوردة ، أو قالت : باح الملك بسر الأميرة .

- أو قالت " أى حظ ميمون " أو قالت " أبسطن المتاع " .

- أو قالت " جاء السقاء بالماء " أو قالت " ارتفعت الشمس "
- أو قالت " بالأمس طبخوا قدرا " من الطعام " أو أنهم جعلوا المواد كلها من
الإتضاع قطعة واحدة !!
- أو قالت : إن أرغفة الخبز بلا ملح أو قالت : إن الفلك يسير مقلوبا .
- ٤٠٤٥- أو قالت " رأسى تصدعنى " أو قالت " لقد خف ألم صداعى "(١) .
- فإن قالت ما فيه مدح ، فهذا يعنى قرينه ، وإن قالت ذما فهذا يعنى فراقه .
- وإن كانت تختلط مئات الأسماء ببعضها ، فإنها كانت تقصد يوسف وتعنيه !!
- ولو كانت جائعة وذكرت اسمه ، كانت تشبع وتتمل بكأسه .
- كان ظمؤها يرتوى من اسمه ، كان اسم يوسف يصير لها شراباً باطنياً .
- ٤٠٥٠- وعندما كانت تشكو ألما فمن ذلك الاسم السامى ، كان العلاج الناجع
لألمها في الحال .
- كان بالنسبة لها الفراء في وقت البرد ، وهذا ما يفعله عند العشق اسم الحبيب
- والعوام يقرأون في كل لحظة الاسم الطاهر ، لكنه بلا تأثير ، لأن ذاكره ليس
عاشقاً .
- وما فعله عيسى عليه السلام باسم الله ، كان يتحقق لها " أي زليخا " عند ذكر اسمه " أي يوسف " .
- وعندما صارت الروح متصلة بالحق ، فذكره ذكرها ، وذكرها ذكره .
- ٤٠٥٥- تكون خالية من نفسها مليئة بعشق الحبيب ، وكل إناء ينضح بما فيه .

(١) ج : ١٤ / ٤٢١ :

- وكان الخلاء يعرفون أخبارها من قولها ، وعما إذا كان قد حدث لها ما يوافق أو ما يخالف !!

- إن الضحكة تفوح بعبير الوصل ، بينما يفوح البكاء بمرارة البعاد^(١) .
- وكل امرئ له مائة مراد في قلبه ، وهذا لا يكون في مذهب العشق والوداد .
- إن شمس العشق في النهار هي وجه المحبوب ، وتكون الشمس لوجهه كأنها النقاب .
- وذلك الذي لا يعرف النقاب من وجه الحبيب ، هو عابد للشمس، اخلع اليد منه!!
- ٤٠٦- فهو النهار وهو أيضاً رزق العاشق ، هو القلب ، وهو حرقة القلب عند العاشق .
- لقد صار متاحاً للأسماك من نفس الماء ، الخبز والشراب والكساء والدواء والنوم .
- مثل الطفل راضع اللبن من الثدي ، لا يعرف من العالمين سوى اللبن .
- سواء عرف الطفل اللبن أو لم يعرفه ، فلا طريق للتدبير إلى هذه الناحية .
- لقد أصاب هذا الكتاب المستدير الروح بالذهول وذلك حتى تجد الفاتح والمفتوح .
- ٤٠٦٥- فلا تكون ذاهلة في المسير بل هي فيه ، ذلك أن البحر هو الذي يحملها لا السيل ولا الجدول .
- وحين يجدها من يجدها يضيع ، ويصير كالسيل غريقاً في البحر .
- إن البذرة ضاعت وأنداك صارت شجرة تين ، وهذا هو معنى ما لم تمت لا أهب الذهب .

(١) حرفياً : بزغفران الوداد وبرائحة البصل .

بعد مكثهم متوارين في بلاد الصين

في حاضرة الملك وبعد طول الصبر ، ونفاد صبر الأخ الأكبر وقوله :

إني ذاهب أعرض نفسي على الملك فوداعاً :

" إما قدمي تنيلني مقصودي أو القى رأسي كفؤادي ثمة

إما توصلني قدمي إلى المقصود والمراد أو أفقد رأسي هناك كما فقدت قلبي

وعدم جدوي نصيحة أخويه له :

يا عاذل الماشقين دم فئة أضلما الله كيف ترشدها

– قال الأكبر : يا أخوي ، لقد بلغت روعي الحلقوم من الانتظار .

– لقد صرت لا مبالياً ولم يبق لي صبر ، وهذا الصبر يلقي بي في النار .

٤٠٧٠ – لقد قلت طاقتي من هذا الصبر ، وصارت واقعتي هذه عبرة للعشاق .

– ولقد مللت الروح في الفراق ، والحياة في الفراق من النفاق .

– فحتام يقتلني ألم فراقها ؟! فلأقطع الرأس حتى يهبنى العشق رأساً .

– إن ديني هو الحياة من العشق ، والحياة " المستمدة " من هذه الرأس وهذا الجسد عار" على .

– والسيف هو نافض الغبار عن روح العاشق ، ذلك أن السيف هو محاء الذنوب.

٤٠٧٥ – وعندما انتفى غبار الجسد فقد تألق قمرى ، ووجد قمر روعي الهواء الصافي .

– ولأعمار على طبل عشقك أيتها الحسناء ، أدق " لحن " إن في موتى حياتي .

– ولقد ادعت الروح أنها من الطيور المائية ، فمتى تصرخ من طوفان البلاء ؟!

– وأى حزن للبط من غرق السفينة ، وتكفيه قدمه سفينة على الماء .

- وروحي وجسدي يعيشان على هذه الدعوى ، فكيف أكف إذن عن هذا الادعاء ؟!

٤٠٨٠- إنني أرى الأحلام لكنى لست بنائم ، وأنا مدع ، لكنى لست بالكذاب .
- وإن أنت ضربت عنقي مائة مرة ، أكون كالشمع ، أنشر الضياء .
- والنار إن أضرمت في البيدر من قدام ومن وراء ، تكفى السراة هالة ذلك القمر .

- لكن حيلة الأخوة جعلت يوسف عليه السلام مخفيا عن يعقوب النبي عليه السلام .
- لقد أخفوه باصطناعهم الحيلة ، لكن القميص دل عليه آخر الأمر .
٤٠٨٥- وقد نصحه " أخواه " عند حديثه ، وقالوا له : لا تكن غافلا عن الأخطار المحدقة بك .

- انتبه ، ولا تتثر الملح على جراحنا ، وحذار لا تشرب هذا السم " إعتقادا " على التجلد والشك .

- وكيف تمضى إلا بتدبير شيخ خبير ، وكيف لا يكون لك قلب بصير ؟!
- فويل لذلك الطائر الذي لم ينبت له جناح ، يطير إلى الأوج ويسقط في الخطر .

- والعقل يكون للمرء بمثابة الجناح والقوادم ، وعندما لا يكون لديه عقل ، فليأخذ " عقل مرشد ما .

٤٠٩٠- فكن مظفراً أو باحثاً عن مظفر ، وكن ذا نظر أو باحثاً عن ذى نظر .
- وبلا مفتاح العقل يكون هذا القرع على الباب ، من الهوى ، وبعيدا عن وجه الصواب .

- فانظر إلى عالم قد سقط في الفخ من الهوى ، ومن الجراح التي تشبه الدواء .

— لقد وقفت الحية على صدرها كأنها الموت ، وفي فمها ورقة شجرة من أجل الصيد .

— إنها واقفة بين الأعشاب كعشبة ، ويظنها الطائر غصن نبات !! .
٤٠٩٥- وعندما يقف من أجل الطعام على ورقة الشجرة ، يسقط في فم الحية والموت .

— لقد فتح تمساح فمه عن آخره ، وحول أسنانه ديدان طويلة .
— ومن بقية الطعام التي بقيت في أسنانه ، نمت الديدان ، ووقفت على الأسنان .
— وترى الطيور الدود والقوت ، وتظنه مرجاً ذلك التابوت .
— وعندما يمتلئ الفم بالطيور ، يبتلعها فجأة ، ويخلق فمه !! .
٤١٠٠- فاعتبر هذه الدنيا المليئة بالخبز والبقل مثل الفم المفتوح لذلك التمساح !! .
— فلا تأمن يا مخلق الرزق للديدان والفرائس من حيل تمساح الدهر .
— والثعلب يسقط ممداً تحت التراب ، وفوق التراب حبوب مأكرة .
— حتى يأتي الزاغ غافلاً نحوها ، فيمسك بقدمه بمكره ذلك الماكر .
— وإذا كانت هناك آلاف من أنواع المكر عند الحيوان ، فكيف يكون مكر الإنسان وهو سيدها !!؟

٤١٠٥- يكون في كفه مصحف كزين العابدين عليه السلام ، وفي كفه خنجر شديد القهر .
— يقول لك ضاحكاً " يا مولاي " وفي قلبه بابل شديدة السحر والحيلة .
— يكون سما قاتلاً وصورته شهد ولبن ، فحذار ، ولا تمض دون صحبة شيخ خبير .

— إن كل لذائذ الهوى مكر وحيلة ، هي حرقه وظلمة حول نور البرق .
— والبرق نوره قصير وكذب ومجاز ، وحوله ظلمات ، وطريقك طويل .

٤١١- فلا أنت تستطيع أن تقرأ كتاباً في نوره ، ولا أنت تستطيع أن تسوق الجواد إلى المنزل .

- لكن جزاءك عندما تصبح رهين البرق ، أن تخفى وجهها عندك أنوار الشرق^(١) .

- ويحكم مكر البرق بلا دليل ، في مفازة الليل المظلمة ميلاً بميل .

- حيناً تسقط على جبل ، وحيناً في جدول ، حيناً تمضي إلى هذه الناحية وحيناً إلى تلك الناحية .

- إنك لا ترى دليلاً في الأصل يا باحثاً عن الجاه ، وإن رأيته ، تشيح بالوجه عنه !!.

٤١١٥- قائلاً : لقد سافرت في هذا الطريق ستين ميلاً ، ولعل هذا الدليل يضلني بقوله !!.

- ولو أسلمت أذنني إلى " قوله " هذا العجيب ، ينبغي على إذن أن أبدأ الطريق من جديد .

- لقد أفنيت عمري رهن هذا الطريق ، وليكن ما يكون ، فامض عني أيها السيد !!.

- لقد قطعت الطريق ، لكن على ظن كالبرق ، فسر عشر هذا الطريق في أثر الوحي كالشرق .

- لقد قرأت ﴿ إن الظن لا يغني عن الحق ﴾ ، ومن مثل ذلك البرق ، عجزت " عن الوصول " إلى الشرق !

(١) ج : ١٤ / ٤٣١ :

- وتغضب عليك تلك الشمس ، إذا أنت طلبت النور من عطارده .

٤١٢٠- هيا واركب سفينتنا أيها الضال ، أو اربط تلك السفينة بهذه السفينة .

- فيقول " كيف اترك هذه المعمة ؟! وكيف امضى كالأعمى طفيليا لك؟! " .

- ومن الأفضل للأعمى أن يكون مع المرشد من أن يكون وحيداً ، فمن هذا عار واحد ، لكن من ذاك " السلوك " مائة عار .

- أتهرب من بعوضة إلى عقرب ؟! ، وتفر من قطرة إلى اليم ؟! .

- أتهرب من أنواع شدة الأب ، " لتعيش " بين الشواذ والفتنة والشر ؟!

٤١٢٥- تهرب مثل يوسف من هم واحد ، حتى تقع من « ترتع وتلعب » في بئر . .

- ومن هذه النزهة تسقط في البئر مثله ، لكن أين لك من هذه العناية رفيقا ؟! .

- ولو لم يكن هذا الأمر قد تم بأمر من أبيه ، لما رفع رأسه من البئر حتى يوم الحشر .

- لقد أعطاه الأب ذلك الإذن من " رغبة " قلبه ، قائلاً : ما دامت هذه هي رغبتك ، لتكن خيراً .

- وكل ضرير يعصى من له معجزات المسيح ، فإنه يعجز كاليهود عن الوصول إلى الرشد .

٤١٣٠- لقد كان قابلاً للضياء بالرغم من انه كان أعمى ، فصار من هذا الإعراض أعمى تماماً .

- يقول له عيسى عليه السلام استمسك بي بكلتا يديك ، أيها الأعمى ، إن معي الكحل العزيزى .

— فإنك تجد منى الضياء بالرغم من أنك أعمى ، فتحسس قميص يوسف الروح!!

— فإن الأبهة والعظمة التى تصل إليك من بعد الانكسار ، فيها الإقبال والمنهاج والطريق .

— والعظمة التى تكون دون رأس أو قدم ، اتركها وانتبه أيها الحمار العجوز ، واشتر شيخا !! .

٤١٣٥— فلا كان غير الشيخ أستاذا وقائدا ، ليس شيخ الفلك لكنه شيخ الإرشاد .

— ففى لحظة ما دام قد صار تابعا لشيخ ، رأى النور ذلك العابد للظلمة .

— والشرط هو التسليم ، وليس العلم المضنى ، ولا نفع للمهاجم على الضلالة ، هجوم التركى .

— إننى لا أبحث من الان فصاعداً عن طريق الأثير ، بل ابحث عن الشيخ ... أجل ... الشيخ ... الشيخ !!

— فالشيخ يكون سلماً إلى السماء ، فمم يكون السهم منطلقاً؟! من القوس !! .

٤١٤٠— أليس النمرود الغليظ قد قام بسفر مع النسر إلى السموات بتأثير " صحبة إبراهيم "؟! .

— لقد خلق كثيراً في الهواء ، لكن النسر لا يطير فوق الفلك !! .

— فقال له إبراهيم عليه السلام : يا رجل السفر ، لأكون النسر بالنسبة لك ، وهذا أفضل لك !! .

— وعندما تجعل منى سلماً إلى أعلى ، فإنك تمضى إلى السماء دون طيران .

— مثلما يمضى القلب إلى الغرب والشرق دون زاد أو راحلة مثل البرق !! .

٤١٤٥— مثلما تعود أحاسيس الناس من الغربية إلى مواطنها عند النوم .

- مثلما يمضى العارف وهو جالس سعيداً في مكانه ، من طريق خفى إلى مائة عالم !! .

- وإن لم يكن قد حدث له مثل هذا السير ، فمن أين له هذه الأخبار عن الولايات " البعيدة " ؟!

- هذه الأخبار وهذه الروايات الحقيقية ، والتي اتفق عليها مئات الآلاف من المشايخ .

- ولا خلاف واحد بين هؤلاء العيون " من المشايخ " مثلما تكون " الخلاقات " موجودة في علم الظنون .

٤١٥٠- فذلك " العلم " هو التحرى في الليل الداجي ، وهذا " العلم " هو حضور الكعبة وسط النهار !! .

- فانهض أيها النمرود واطلب الجناح من الرجال ، فلا يأتيك سلم من هذه النسور .

- فالعقل الجزئى هو النسر أيها المقل ، وجناحه قائم على أكل الجيف .

- وعقل الأبدال مثل جناح جبريل ، يطير حتى ظل السدرة ميلا بميل .

- إننى بازى السلطان ، جميل مبارك القدم ، إننى فارغ من الجيف ولست تسراً .

٤١٥٥- فاترك النسر ، وأكون أنا رجلك ، وجناح واحد منى أفضل من مائة نسر .

- فحاتم تسوق الجواد على العمياء ؟! ينبغي أن يكون هناك أستاذ من أجل الحرفة ومن أجل الكسب .

- ولا تجعل نفسك مفتضحاً في بلاد الصين ، وابحث عن عاقل ، ولا تبتعد عنه

- وما يقوله أفلاطون العصر ذاك ، امض وفقاً له ، وحذار، اترك الهوى .

- وجميعهم فى الصين يقولون جادين عن ملكهم أنه لم يلد .
- ٤١٦- يقولون : إن مليكنا لم يلد قط ، بل لم يترك لامرأة طريقا إليه .
- ومن قال غير ذلك من الملوك ، قطع عنقه بالسيف البتار .
- وقال له : ما دمت قد قلت هذا المقال ، إما أن تثبت أن لى أولادا ؛
- وأن لى ابنة ، فإن أثبت هذا ، وجدت الأمان من سيفى البتار ؛
- وإلا فإنى بلا شك أذبحك ، وأخلع خرقتك عن صوفى الروح .
- ٤١٦٥- إنك لن تتجو برأسك من السيف أبدا ، يا من جددت بهذا الكذب والخلط.
- فانظر يا من نطقت جهلا بالباطل ، إلى خندق ملئ بالرؤوس المقطوعة .
- خندق من قاعة وحتى حافته ، ملئ بالرؤوس المقطوعة بسبب هذا الغلو .
- لقد انغمس جمع من الناس في هذا الادعاء ، فضربوا رقابهم .
- فحذار ، وانظر إلى هذا بعين الاعتبار ، ولا تفكر في هذه الدعوى ، ولا تأت بها .
- ٤١٧- إنك سوف تمرر علينا عمرنا ، فما الذي يدعوك إلى هذا أيها الأخ ؟!
- فمن لا علم له ، إن سار على العمياء مائة عام ، فليس هذا من حساب الطريق .
- ولا تمض بلا سلاح إلى المعركة ، ولا تلق بنفسك كالمتهورين إلى التهلكة .
- لقد تحدثنا بهذا كله إليه ، لكنه قال نافذ الصبر: إنما يأتينى من أقوالكما هذه النفور .
- فلى صدر ملئ بالنار وكأنه الموقد ، لقد تم نضج الزرع ، والوقت وقت المنجل .

٤١٧٥- كان في الصدر صبر لم يبق الآن ، لقد أضرم العشق النار في مقام الصبر .

- لقد مات صبرى في تلك الليلة التى ولد فيها العشق ، مات ، وللحاضرين العمر .

- ويا أيها المحدث عن الخطاب وعن الخطوب ، لقد تجاوزت هذا الأمر فلا تدق الحديد البارد .

- إننى منكس ، انتبه ، دع قدمى ، فأين الفهم في كل أعضاء " بدنى " .
- إننى بغير " أحمل ما أستطيع حمله ، وما دمت قد سقطت عاجزاً ، فإننى سعيد " بالذبح .

٤١٨٠- فلو أن هناك مائة خندق مليئة بالرؤوس المقطوعة ، فإنها كلها أمام ما أحس به من أمل مجرد مزاح

- ومن الخوف والهلع ، لن أقرع ثانية طبل الهوى هذا تحت الكليم .
- إننى سوف أرفع العلم علنا الآن ، إما التضحية بالرأس ، وإما رؤية المحبوب .

- وإن لم يكن الحلق جديراً بذلك الشراب ، من الأفضل أن يكون مذبوحاً بالسيف والحراب .

- والعين التى لا تكون من وصلة في بهاء ، افضل لهذه العين أن تبيض وتعمى .

٤١٨٥- والأذن التى لا تكون خليفة بصره ، اقتلعها ، فأولى بها ألا تكون على رأس .

- وتلك اليد التى تكون خالية من هذه العطية ، من الأفضل بترها بساطور القصاب .

- ومثل تلك القدم .. التى من سيرها ، لا تتصل الروح ببستان نرجسه ؛
- أولى بهذه القدم أن توضع في الحديد ، فإن العاقبة أن تلك القدم تسبب الصداع للرأس .

بيان المجاهد الذي لا يكف عن المجاهدة بالرغم من أنه يعلم أن بسطة عطاء الحق وهو المقصود تصل إليه من جهة أخرى وبسبب نوع آخر من العمل ربما ليس في حساباته، وكل همه ورجائه ربما يكون معقوداً على طريق معين ، فهو يصدق حلقة نفس الباب وربما يوصل إليه الحق ذلك الرزق من باب آخر ربما لم يكن قد دبر له ويرزقه من حيث لا يحتسب ، العبد يدبر والله يقدر ، وربما يكون عند العبد وهم العبودية فيقول : أنه يطلنى من غير هذا الباب بالرغم من أنني أدق هذا الباب ، فيوصل إليه الحق تعالى الرزق من نفس هذا الباب والخلاصة أنها كلما

أبواب لدار واحدة ... مع تقريره

- فإما أن أنال مقصودى من هذا الطريق ، أو " أناله " عندما أعود من هذا الطريق صوب الوطن .
- ٤١٩٠- ربما يكون مقصودى موقوفاً على السفر ، وما دمت قد سافرت أجده في الحضر .

- أبحث عن الحبيب بجد وجلد ، حتى أعلم أنه لم يكن على أن أبحث عنه .
- فمتى تمضى هذه المعية في أذننى ؟! ما لم أطف حول دوران الزمن .

- ومتى أفهم من المعية السر ؟ اللهم إلا بعد أسفار طويلة .
- لقد تحدث الحق عن المعية وختم القلب ، حتى يحدث الإ انعكاس على أذن القلب ، لا الطرد .
- ٤١٩٥- وعندما قام بالأسفار وأعطى الطريق حقه ، فتح الختم من بعدها عن قلبه .
- ولما كان ذلك الحساب يحتوى على خطأين ، فقد جعله واضحاً محلولاً بعد الخطأين .
- فيقول بعد ذلك ، لو كنت عالماً بهذه المعية ، متى كنت أبحث عنه ؟!
- كانت معرفة ذلك موقوفة على السفر ، ولا تتأتى هذه المعرفة بحدة الفكر .
- مثلما كان أداء دين الشيخ موقوفاً على بكاء ذلك المخلوق ومرتبطاً به .
- ٤٢٠٠- لقد بكى طفل بائع الحلوى بكاءً شديداً ، فأدى دين ذلك الشيخ الكبير .
- لقد ذكرت تلك القصة المعنوية من قبل في كتاب المثنوى .
- إنه يلقى الخوف في قلبك من موضع ما ، ما دام لا يكون لك في غيره مطمع .
- ويضع في الطمع فائدة أخرى ، ويعطيك مرادك من إنسان آخر .
- فإما من عقدت الطمع بشدة في مكان ما ، وتقول : إن الفاكهة تأتي من تلك الشجرة العالية .
- ٤٢٠٥- إن ذلك الطمع لن يوفى من ذلك المكان ، بل يأتي ذلك العطاء من مكان آخر .
- فلماذا وضع ذلك الطمع إذن فيك ، ما دام لم يرد أن يعطيك شيئاً من تلك الناحية ؟!

- من أصل حكمه وصنعة ، وأيضاً حتى يظل قلبك في حيرة .
- حتى يظل قلبك حائراً يا طالب الفائدة ، وتظل تتساءل من أين يصلني مرادى ... يا ترى !!؟

- وحتى تعرف عجزك وجهلك ، وحتى تزداد يقينا في الغيب .
٤٢١٠- وأيضاً ليكون قلبك حائراً في المنتجع ، ويتساءل ترى ماذا يريد المصرف من هذا الطمع !!؟

- إنك تطمع في الرزق عن طريق الحياكة ، وأن تتال الذهب من الحياكة وتعيش .

- فيأتى لك الرزق من عمل الصياغة ، وقد كان هذا المكسب بعيداً عن وهمك .
- إذن فمن أي شئ كان الطمع في الحياكة ، ما دام لم يرد أن يفتح أمامك أبواب الرزق منها !!؟

- من أجل حكمة نادرة في علم الحق ، فقد كتب ذلك الحكم في سابق علمه .
٤٢١٥- وأيضاً لكى يكون فكرك حائراً ، وحتى يكون كل عملك هو التحير .
- ترى يصلني وصال الحبيب من سعى هذا ، أو من طريق خارج عن سعى الجسد .

- إننى لا أقول أن المراد يتأتى من هذا الطريق ، إننى أتقلب إلى أن أعرف من أين سيأتى الفرج .

- إن الطائر الذبيح يقع في كل ناحية ، فمن يدري في أية ناحية ستتجو الروح من الجسد !!؟

- فهل يأتيني مرادى من هذا الخروج ، أو من برج آخر من ذات البروج !!؟ .

حكاية ذلك الشخص الذي رأى في النوم هاتفا يقول له :

إن ما تطلبه من يسار موجود في مصر

فهناك كنز في محلة كذا ... و منزل كذا ...

وعندما جاء إلى مصر قال له أحدهم لقد رأيت في النوم

أن هناك كنزا في بغداد في محلة كذا في منزل كذا

وذكر اسم محلة ذلك الشخص ومنزله وفهم ذلك الشخص

أن المراد بذكر أن الكنز موجود في مصر حتى أتيقن أنه لا محل للبحث

في غير منزلي لكن هذا الكنز لن يتحقق لك يقينا إلا في مصر

٤٢٢٠- كان هناك أحد الوارثين لمال وعقار ، فانفقه كله وبقي مسكينا عاريا .

- إن المال الموروث لا وفاء فيه ، ذلك أنه انفصل عن المتوفي برغم أنه .

- " والوارث " أيضاً لا يعرف قدره، فقد حصل عليه بسهولة ، فلم يسع ولم يكد

ولم يتعب من أجل كسبه !!

- ومن هنا فإنك لا تعرف قدر الروح يا فلان ، إذ أن الحق وهبها لك بالمجان .

- لقد ذهب النقد وذهب المتاع وتلك الدرر ، وبقي كالسيوم وسط الخرائب .

٤٢٢٥- فقال : يارب لقد أعطيت الزاد وذهب الزاد ، فإما أن تهبي زادا أو

ترسل إلى الموت .

- عندما صار فارغا بدأ في ذكر الحق ، وجعل من " يا رب " و " يارب أجرني

" لحناله !! .

- لأن الرسول ﷺ قال : إن المؤمن كالعود ، هو عندما يكون خاليا يصبح أناثا .

- وعندما يمتلئ يضعه المطرب من يده ، فلا تمتلئ ، فإن لمس يده حلو .

- وكن فارغا سعيداً بين الإصبعين ، فمن خمر اللامكان ثمل المكان .

٤٢٣٠- لقد جرى طوفان الدمع وسال من عينيه ، وروى دمه زرع الدين^(١) .

في سبب تأخير دعاء المؤمن

- رب مخلص يئن في دعائه ، حتى يرتفع دخان إخلاصه إلى السماء .
- وحتى تمضي إلى حانوت هذا السقف العالي ، رائحة الجمر من أنين المذنبين .
- فيتضرع الملائكة إلى الله شاكين قائلين : يا مجيبا لكل دعاء ، ويا من يستجير " الناس " به .

- إن العبد المؤمن آخذٌ في التضرع ، وهو لا يعرف سواك مؤثلا وملاذا .
- ٤٢٣٥- إنك تهب العطايا للغرباء ، ومنك ينال كل مشته مشتهاه .
- فيقول الحق : ليس من هوانه على ، إن تأخير العطاء في حد ذاته عون له .
- إن الحاجة قد أتت به من ناحية الغفلة إلى ناحيتي ، هي التي جذبتة من ناصيته إلى حيي .

- فلو أجبتة إلى حاجته فإنه يمضي عني ، ويستغرق في تلك اللعبة .
- فبالرغم من أنه يئن بروحه قائلا أيها المستجار وهو كسير القلب ، جريح الصدر ... قل له ، واصل الأئين .

- ٤٢٤٠- فإن صوته هذا يطربني ، ونداءه ... يا الله ... وضراعتة تلك .
- وأنه في ضراعتة وفي كل ما يقوم به ، إنما يقوم بخداعي بكل سبيل .
- إنهم يحبسون البيغاوات والبلابل في الأقفاص من جمال أصواتها ومن حبهم لها .
- ومتى يحبسون اليوم والغربان في الأقفاص ، إن هذا لم يرد حتى في القصص .

(١) ج : ١٤ / ٤٦٢ :

- واستمسك بكلتا يديه بالدعاء والضراعة ، وطلب الذهب بلا توقف تلك العابد للذهب .

- وإن جاء أمام عاشق للجمال اثنتان إحداهما عجوز شمطاء والأخرى حسناء الوجه .

٤٢٤٥- كلتاهما تطلب خبزاً ، فإنه يأتي للعجوز سريعاً بالفطير قائلاً لها ...خذي .

- ومتى يعطى حسناء القد والخذ الخبز ؟ أنه يؤخرها !!

- ويقول لها : اجلسي قليلاً ، لا داعي للعجلة ، إن الخبز الطازج يخبز في الدار .

- وعندما يصل الخبز الساخن ، بعد جهد ، يقول لها أجلسي فالحلوى في الطريق .

- وبهذه المهارة يبقئها ، ومن طريق خفي يصيدها .

٤٢٥٠- ويقول لها : لى معك أمر ما للحظة واحدة ، فانتظري قليلاً يا حسناء الدنيا^(١) .

- وعدم وصول المؤمنين إلى المراد من خير ومن شر ، اعلم يقينا انه من أجل هذا الأمر .

عودة إلى قصة ذلك الشخص الذي دلوه على كنز

في مصر وبيان تضرعه من الفقر في حضرة الحق

- عندما انفق الوارث " ميراثه " وصار فقيراً ، بدأ في الدعاء والبكاء والعيول .

- ومن في حد ذاته يدق هذا الباب الذي يهب الرحمة ولا يجد في الإجابة مائة ربيع ؟ .

(١) ج : ١٤ / ٤٦٣ :

- حتى يخدعها بهذه الحيلة ، حتى يجعلها مطيعة هادئة

- فاعلم أن الغرباء على مثال تلك الشمطاء ، والمؤمنين على مثال هذه الحسناء .

- رأى في النوم هاتفاً سمعه يقول : إن غناك سوف يتحقق في مصر .
٤٢٥٥- فاذهب إلى مصر وهناك يستقيم أمرك ، لقد قبل ابتهاكك فهو المرتجى .
- ففي موضع كذا كنز عظيم ، وينبغي عليك الذهاب إلى مصر في أثره .
- فهيا ... امض عن بغداد دون إهمال أيها المسكين ، امض إلى مصر مصدر السكر .

- وعندما جاء من بغداد إلى مصر ، قوى صلبه عندما أبصرها .
- على أمل ما وعده به الهاتف أن في مصر كنزا ، سوف يجده في مصر ،
ينتهي متاعبه .

٤٢٦٠- وإن في حى كذا وموضع كذا كنزا دفيناً نادراً جداً ، منتقى بعناية .
- ولم يكن قد بقى ما ينفقه " قليل أو كثير " ، فأراد أن يتكفف عوام الناس .
- لكن خجله وهمته منعاه من ذلك ، وأخذ يلزم نفسه الصبر قسراً .
- لكن نفسه تقلبت من الجوع ، فلم يجد بداً من الحركة والطلب .
- وقال في نفسه : لأخرج في الليل خفياً ، حتى لا أخجل من التكدى في الظلام.
٤٢٦٥- ومثل المتكدى بليل ، أقوم ليلاً بالذكر والصياح ، حتى تلقى إلى من
فوق السطوح أنصاف الدوانيق .

- فخرج إلى الشارع وهو يفكر في هذا الأمر ، وعلى هذه النية أخذ يمضى من
صوب إلى صوب .

- فكان أصله وخجله يمنعانه حيناً ، ثم يقول له الجوع : أسال " الناس " .
- فأخذ يقدم رجلاً ويؤخر أخرى حتى منتصف الليل ، وهو يقول : هل أتكفف
الناس أو أنام متيبس الشفة ؟!

**وصول ذلك الشخص إلى مصر وخروجه ليلاً إلى الحي من أجل التكدى وإمساك العسس به ووصوله من العسس إلى المراد بعد ضربه كثيراً ،
﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم﴾ وقوله تعالى ﴿سيجعل الله بعد عسر يسراً﴾ وقوله تعالى : ﴿إن مع العسر يسراً﴾ ، وقوله ﷺ : { اشتدى أزمة تنفرجى }**

وجميع القرآن والكتب المنزلة في تقرير هذا

– وفجأة أمسك به العسس ، فانهالوا عليه باللكمات والعصى ليشفى الغليل غير مخفي الغضب .

٤٢٧٠- ذلك أنه أتفق أنه في تلك الليالى المظلمة ، كان الناس قد أوذوا كثيراً من لصوص الليل .

– كانت ليالى مخيفة ونحسات ، ومن هنا كان العسس يبحثون عن اللصوص بجد .

– حتى أمرهم الخليفة بأن يقطعوا يد كل من يتجول بليل ، حتى وإن كان من أهله .

– كما كان الملك قد هدد العسس وخوفهم قائلاً : لماذا أنتم متساهلون مع اللصوص ؟!

– ولماذا تصدقون ألاعيبهم ، أو تراكم تتلقون منهم رشاوى الذهب ؟!!

٤٢٧٥- إن الرحمة على اللصوص وكل مشئوم اليد ، هى قسوة على الضعفاء وضربة لهم .

- هيا ، ولا تتوقف عن القصاص من أجل أحد الخواص ، ولا تنظر إلى ألم
يحيق به ، بل انظر إلى ألم عامة الناس .

- واقطع الإصبع الملدوغ لدفع الشر ، وانظر إلى تعديه وإلى هلاك الجسد منه .
- واتفق أن اللصوص كانوا قد ازدادوا في تلك الأيام ، من ناضج وساذج .
- ورآه " الدركي " في مثل ذلك الوقت ، وأوسع ضرباً بالعصى ضربات بلا
عدد .

٤٢٨٠- فارتفع صراخ ذلك الفقير واستغاثته ، وقال له : كفاك ضرباً ،
وسأصدقك القول .

- قال : الآن أمهلك فقل ، لماذا بقيت في الشارع خارج دارك إلى هذا الوقت
من الليل ؟!

- أنك لست من هذا المكان بل أنت غريب عنه ينكر " أهله " قل الصدق ، في
أى مكر تفكر !!

- لقد سخر أهل الديوان من العسس ، وقالوا لماذا أكثر اللصوص الآن ؟!
- فهناك الكثيرون منك ومن أمثالك ، فدلنى على رفاقك الأشرار أولاً .
٤٢٨٥- وإلا سوف انتقم منهم جميعاً في شخصك ، حتى يصير آمنة مال كل
ثرى .

- فقال له من بعد الإيمان المغلظة ، لست هجماً على الدور ولست نشالاً .
- ولست رجل السرقة والظلم ، إننى من بغداد وغريب عن مصر .

بيان هذا الخبر ، الكذب ريبة والصدق طمأنينة

- فروى قصة ذلك الحلم وكنز الذهب ، فرق له قلب ذلك الشخص من صدقه .

- كانت رائحة الصديق تفوح من أيمانه ، وظهرت حرقة ، كما فاح دخان عوده .

٤٢٩٠- إن القلب ليستريح إلى القول الصواب ، مثلما يستريح الظمان عند شرب الماء .

- اللهم إلا قلب المحبوب الذي به علة ، وليس عنده تمييز بين النبی والغبی .

- وإلا فإن هذه الرسالة التي تكون من موضعها ، تطرق القمر فينشق .

- وينشق القمر ، ولا ينشق قلب المحبوب ، ذلك أنه مردود وليس بالمحبوب .

- إن عين الشرطي صارت نبعا من الدمع ، ليس من الكلام المؤثر بل من رائحة القلب .

٤٢٩٥- فإن كلمة واحدة تأتي من الجحيم صوب الشفة ، وكلمة واحدة تأتي من مدينة الروح في حى الشفة .

- وهناك البحر الذي يزيد الروح وهناك بحر الحرج ، ومرج الشفة موجود بين البحرين^(١) .

- مثل قافلة موجودة بين المدن ، تأتيها المنافع من جميع الأنحاء .

- وبضاعة النشال المزيفة المعيوبية ، وبضاعة كثيرة الربح شريفة كأنها الدر .

- وفي هذه القافلة ، كل من هو أكثر مهارة في التجارة ، يكون أكثر فهما بالنسبة للخالص والمزيف .

٤٣٠٠- صارت القافلة له موطنًا للربح ، وصارت لآخر من عماء دارا للذنوب .

(١) ج : ١٤ / ٤٧٠ :

- بحر مزيد للروح وبحر منقص للعمر ، وكلاهما ذو طريق يمر على الشفة .

- وكل جزء من أجزاء العالم ، واحدٌ بعد الآخر ، قيدٌ على الغبى وفتح
للأستاذ.

- سُكر لأحدهم ، وسم لآخر ، لطف لأحدهم ، وقهر لآخر^(١) .

- وكل جماد يتحدث بالحكايات مع النبى ، والكعبة شاهدة على الحاج وناطقة
من أجله .

- والمسجد أيضاً شاهد على المصلى قائلاً : لقد جاء إلى من طريق بعيد .

(١) ج : ١٤ / ٤٧٠ - ٤٧١ :

شيطان لأحدهم حور لآخر	نار أحدهم نور لآخر
كنز لأحدهم حية لآخر	ورد لأحدهم شك لآخر
حلو لأحدهم مر لآخر	بهت لأحدهم وعى لآخر
خفى لأحدهم مطن لآخر	نفع لأحدهم ضر لآخر
سد لأحدهم فتح لآخر	قيد لأحدهم مراد لآخر
شهد لأحدهم ووخز لآخر	غريب لأحدهم قريب لآخر
نهار لأحدهم وليل لآخر	سرور لأحدهم تعب لآخر
محبوب لأحدهم عدو لآخر	راح لأحدهم قرعة لآخر
ماء لأحدهم دم لآخر	إعجاز لأحدهم أسطورة لآخر
حلو لأحدهم سم لآخر	حجر لأحدهم حسناء لآخر
جسم لأحدهم روح لآخر	حبس لأحدهم فتوح لآخر
سهم لأحدهم قوس لآخر	خبز لأحدهم سنان لآخر
نقص لأحدهم كمال لآخر	هجر لأحدهم وصال لآخر

٤٣٠٥- والنار مع الخليل ~~الخبز~~ زهر وريحان وورد ، وهى لاتباع النمروود موت وألم .

- ولقد ذكرنا هذه الفكرة مرات يا حسن ، ولن أمل من بيائها أبداً .
- ولقد أكلت الخبز مرات لدفع الجوع ، وهذا هو نفس الخبز فلماذا لا تمل ؟!
- فإنما يصلك جوع جديد من الاعتلال ، بحيث تحترق منه التخمة والملال .
- وكل من صار له ألم الجوع حاضرا ، انعقد التجدد لأعضائه عضواً .
٤٣١٠- فاللذة من الجوع لا من النقل الجديد ، ومع الجوع يكون خبز الشعير ألد من السكر .

- إذن فتلك الملالة من عدم الجوع ومن التخمة الكاملة ، وليست من تكرار الكلام .

- وكيف لا يأتيك الملال من الدكان والمساومة والقييل والقال في خداع الناس ؟!
- وكيف من الغيبة وأكل لحوم الناس مدة سنين لما لم تشبع منها ؟!
- لقد قلت كثيراً من حلو الكلام في صيد فرج ، وسقت كثيراً من الملق والخداع.

٤٣١٥- وفي المرة الأخيرة تتحدث إليها بحرقة وذلاقة لسان ، أكثر حرارة من المرة الأولى .

- إن الألم يجدد العلاج القديم ، والألم يقضب كل غصن من أغصان الملل .
- فالآلام كيمياء مجددة ، وأين الملل في ذلك الطرف الذي ارتفع فيه الألم ؟!
- فانتبه ، ولا تتأوه بحزن من الألم ، بل ابحث عن الألم ، ابحث عنه ، ابحث عن الألم !!

- وإن الأدوية العشوائية خادعة للألم ، هي قاطعة طريق وآخذة للأموال برسم الإتاوة .

٤٣٢- والماء المالح ليس علاجاً للعطش ، حتى وإن بدى عند الشرب بارداً عذياً .

- لكنه صار خادعاً ، ومانعاً عن البحث على الماء الحلو ، التي نبتت منه مائة خضرة .

- مثلاً يكون كل ذهب مزيف مانعاً عن معرفة الذهب الخالص حيثما يكون .
- لقد قطع جناحك وقوامك بخداعه ، قائلاً لك : أنا مرادك ، فخذنى أيها المرید .
- قال لك : سوف امحو ألمك ، وهو نفسه كان ألماً ، كان خسارة وهزيمة ، بالرغم من أنه كان كسباً في الظاهر .

٤٣٢٥- فامض ، وأهرب دائماً من الأدوية الكاذبة ، حتى يصير الألم صواباً لك ، وناثراً للمسك !!

- قال " الدركي " : لست لصاً ولست فاسقاً ، أنت رجل طيب لكنك ساذج أحرق
- أتسافر كل هذه المسافة على خيال وحلم ، أليس لعقلك ذرة من الضياء^(١) ؟!
- لقد رأيت بنفسى هذا الحلم مرات ، إنه يوجد في بغداد كنز مستتر .
- وأنه مدقون في ناحية كذا وفي حي كذا ، وكان اسم الحي هو اسم حي ذلك الحزين .

٤٣٣- إنه في منزل فلان فاذهب وابحث عنه ، وذكر منزله واسمه ذلك العدو .
- لقد رأيت بنفسى هذا الحلم مرات ، إنه في بغداد ، يوجد كنز ، إنه في الوطن .

(١) ج : ١٤ / ٤٧٥ :

- أتسافر كل هذه المسافة الطويلة على خيال من جهلك ومن طمعك !؟ .

– لكنى لم أتحرّك من مكانى لهذا الخيال ، وأنت يحلم واحد تأتى بلا إمهال !! .
– إن رؤيا الأحمق جديرة بعقله ، إنها مثله ، لا قيمة لها ولا تساوى شيئاً .
– واعتبر أن رؤيا المرأة أقل من رؤيا الرجل ، وذلك من أجل نقصان عقلها
وضعف روحها .

٤٣٣٥- ورؤيا ناقص العقل والسادج باطلة ، وماذا يكون الحلم لمن لا عقل له؟!
هباء !!.

– قال لنفسه : إن الكنز في منزلى ، فأى فقر لى وحزن هنا ؟!
– لقد مت من الكذبة وأنا على رأس كنز ، ذلك أننى كنت فى غفلة وكنت فى
حجاب .

– وثمل من هذه البشرى ، وانمحي عنه الألم ، وقرأ " الحمد " مئات الآلاف من
المرات دون شفة .

– وقال : لقد كان دسمى موقوفا على هذه الصفة ، وكان ماء الحيوان موجودا
فى حانوتى .

٤٣٤- امض ، فلقد وقعت على دسم عظيم ، برغم هذا الوهم بأنى كنت مفلسا .
– فسواء اعتبرتتى أحمق أو اعتبرتتى وضيعاً ، لقد صار لى " هذا الكنز " فقل
ما شئت .

– ولقد رأيت مرادى وحصلت عليه بلا شك ، فقل ما شئت لى ، أيها الشتام .
– وقل عنى أنى شديد الألم أيها المحتشم ، فأنا بالنسبة لك شديد الألم ، وبينى
وبين نفسى سعيد .

– فويلاه لو كان هذا الهبوط مقلوباً ، لكان بالنسبة لك روضة وبالنسبة لى
فجيعة .

مثل

- ٤٣٤٥- قال أحد الأخساء ذات يوم لدرويش إن أحدا لا يعرفك هنا .
- قال له : إن لم يعرفنى العامى ، فأنا أعرف جيداً من أكون !.
- فويلاه إذا كان الألم والجرح معكوسين ، وكان هو ناظرا إلى وأنا أعمى عن
نفسى .
- فاعتبرنى أحمق أيها الشرطى ، فأنا أحمق يا حسن الحظ ، والحظ أفضل من
اللجاج والوجه الصفيق .
- إن هذا الكلام ينطلق وفقا لظنك ، وإلا فإن الحظ أعطانى أيضاً عطية عقلى .

عودة ذلك الشخص فرحا موقفا شاكرا لله

ساجدا له وحائرا في غرائب إشارات الحسنى

وظهور تأويلاتهما على وجه لا يصل إليه عقل وفهم أبداً

- ٤٣٥٠- عاد من مصر إلى بغداد، ساجدا وراكعا حامدا وشاكراً .
- وطوال الطريق وهو حائر وثل من هذا العجب ، من انعكاس الرزق وطريق
الطلب .
- متسائلاً : من أى الأماكن كان قد جعلنى أملاً ؟! ومن أيها نثر على الفضة
والنفع ؟!
- وأية حكمة كانت في أن قبلة المراد ، أخرجنى من منزلى ضالاً وفرحاً ؟!
- حتى أمضى مسرعاً في الضلالة ، وفي كل لحظة كنت أصير أكثر بعداً عن
المطلوب .

٤٣٥٥- ثم إن الحق جعل بجوده عين الضلالة وسيلة إلى الرشd والنفع .

— إنه يجعل الضلالة منهاجاً للإيمان ، ويجعل الاعوجاج موضع حصاد للإحسان .

— حتى لا يكون محسن قط خالياً من الخوف ، وحتى لا يكون خائن قط قانطاً " من رحمة الله " !!

— لقد جعل ترياق ذلك السم مخفياً فيه ، حتى يقال أنه ذو اللطف الخفى .

— وليست تلك المكرمة مخفية في الصلاة ، بل إن تلك المغفرة تضع الخلعة على الذنب .

٤٣٦٠ — إن قصد المنكرين إذلال التقات ، جعل ذلهم عزا وظهوراً للمعجزات .

— كان قصدهم من الإنكار إذلال الدين ، وعين الذل صار عزا للمرسلين .

— وإن لم يكن الإنكار قد صدر من كل شرير ، فلماذا ظهرت إذن البراهين والمعجزات ؟!

— وما لم ينكر الخصم ويكون طالباً للمصداق ، متى يقوم القاضى بطلب الشاهد ؟!

— والمعجزة بمثابة الشاهد الزكى ، من أجل صدق المدعى ، ومن أجل انتقاء الشك .

٤٣٦٥ — ولما كان الطعن يتأتى من كل من هو جاهل ، كان الحق يعطى المعجزات ، وكان يكرم !! .

— كان مكر فرعون أضعاف أضعاف المكر العادى ، وصار بأجمعه ذلاً له وقمماً .

— لقد أحضر السحرة من صالحين وطالحين ، حتى يقوموا بجرح معجزة موسى عليه السلام .

- حتى يجعل العصا باطلة ومفتضحة ، ويقنع اعتبارها من القلوب .
- ونفس ذلك المكر يصير آية لموسى عليه السلام ، ويرتفع اعتبار تلك العصا واحترامها .
- ٤٣٧٠- ثم يحضر العسكر من الفجر حول البحر^(١) ، حتى يقطع السبيل على موسى عليه السلام وقومه .
- فيصير أمنا لأمة موسى ، ويمضي هو إلى باطن الأرض والصحراء .
- ولو كان قد بقى في مصر ولم يأت ، فمتى كان الوهم يصير زائلا عن بنى إسرائيل ؟!
- لقد جاء ، وألقى بالسبطين في ذوبان " الخوف " ، قائلا له : اعلم أن الأمر سر من أسرار الخوف .
- وذلك هو اللطف الخفى ، أن الصمد يبدى النار ، فتكون النار نوراً .
- ٤٣٧٥- إن إعطاء الأجر في التقى ليس مخفياً ، لكن انظر إلى أجر السحرة من بعد الخطأ .
- والوصل لا يخفى في الرعاية ، لكنه أعطى السحرة الوصل في القطع .
- ولا يخفى السير بالقدم التي تمضي ، فانظر إلى سير السحرة في قطع القدم .
- والعارفون لذلك دوماً آمنون ، ذلك أنهم عبروا بحار الدم .
- لقد ظهر أنهم من عين الخوف ، فلا جرم أنهم كل لحظة في زيادة .
- ٤٣٨٠- فهل رأيت أمنا قد اختفى في الخوف ؟! فانظر إلى الخوف قد كمن في الرجاء أيها الصفي .

(١) في المتن : حول النيل ، ولا يستقيم .

- وذلك الأمير يطوف حول عيسى عليه السلام بمكره ، وعيسى عليه السلام في داره يخفى وجهه .

- ويدخل ، حتى يصير متوجا ، يجعل المشنقة تاجا له ، لأنه هو نفسه شبيه عيسى عليه السلام .

- " إنه يصيح " انتبهوا ... لا تشنقوني ، لست عيسى ، إننى أمير على اليهود ومقبل الخطى .

- فيجاب ، بل أسرعوا بشنقه فهو عيسى ، ومن قوتنا عليه يموه علينا !!
٤٣٨٥- وكثيرا ما يمضى الجندي على المععمة ، ثم يصير زاده فينا وينقلب على رأسه .

- ويمضى التاجر طويلا على رائحة الكسب ، ويظن الوقت عيدا فيحترق كالعود .

- وكثيرا ما حدث الأمر على عكسه في العالم ، يظن أحدهم الشئ سما ويكون عسلا .

- وكثيرا ما حدث أن استسلم جيش لموته ، فتقدمت فيه الأنوار ، وتقدم إليه الظفر .

- وأبرهة جاء مع فيه من أجل ذل البيت ، وحتى يجندل الأحياء ، ويجعلهم أمواتا .

٤٣٩٠- وحتى يخرب حرم الكعبة ، ويجعل الناس جميعا منفضين عنها .

- وحتى يلتف حول كل الزوار ، ويجعل الجميع كعبته هو قبلة .

- وينتقم من العرب انتقاما بشعاً ، متسائلا : لماذا يضرمون النار في كعبتي ؟!

- ونفس سعيه هذا صار عزا للكعبة ، وصار سبباً في إعزاز ذلك البيت .

- كان لأهل مكة عز واحد ، فصار مائة عز ، وامتد عزهم إلى يوم القيامة .
- ٤٣٩٥- وصار هو وكعبته أكثر خسوفاً ، ومم كل هذا ؟! من عنايات القدر .
- ومن عناد ابرهة الذي كان كالوحش ، اغتنى فقراء العرب .
- وكان يظن انه عندما ساق جيشه على سكان البيت ، أنه سوف يستولى على الذهب .
- وفي فسخ العزائم هذا وفي هذه الهمم ، كل قدم متفرجة في الطريق .
- لقد جاء ذلك " البغدادي " إلى منزله فوجد الكنز ، ووجد أمره النظام من اللطف الإلهي^(١) .

تكرار الأخوين النصيحة للأخ الأكبر وعدم تحمله

لتلك النصيحة وفراره منها ، وذهابه مفتونا

مسلوب النفس والقائه بنفسه في بلاط الملك

دون طلب للإذن بالمشول ، لكن من فرط العشق

وليس من الوقاحة أو الامبالاة ... إلى آخره

- ٤٤٠٠- قال له : إن في أرواحنا إجابات ، " واضحة " كأنها النجم في السماء .
- وإن لم تخبرك بها ، لما استقام النرد ، وأن أخبرناك بها تألم قلبك .
- إننا كالضفادع تحت الماء إن تحدثت فألم ، وإن سكنتت فالاختناق والسقم .
- فإن لم نقل ، فلا نور هناك للسلم ، وإن قلناه ، فلا إذن لنا بقوله .
- فنهض في التو واللحظة قائلاً : أيها الأهل الوداع ، ﴿ إنما الدنيا وما فيها متاع ﴾ .

(١) ج : ١٤ / ٤٨٠ :

- حتى تعلم حكمة الفرد القديم ، وأنه يضع الأمن في الخوف والرعب .

- لقد تنكرت قصة الأمراء ، فأعزني سمع ليك واستمع إلى البيان .

٤٤٠٥- وانطلق خارجا كما ينطلق السهم من القوس ، فقد كان المجال ضيقا بالنسبة للكلام آنذاك .

- ودخل ثملا على ملك الصين ، وقبل الأرض " بين يديه " سريعا وبسكرة .
 - كانت أحوالهم مكشوفة بتفصيلاتها للملك ، أولها وآخرها ، وحزنهم وتزلزلهم .
 - إن الشاة تكون مشغولة في مرعاها ، لكن الراعى يكون عالما بحالها .
 - " كلكم راع " ، إنه يعلم من القطيع من ترعى ومن تكون في صراع .
- ٤٤١٠- وبالرغم من أنه بصورته يكون بعيداً عن ذلك الصف ، لكنه يكون وسط الحفل كما يكون الدف !!

- إنه واقف على حرقه تلك الوفود ولهيبها ، لكنه كان قد صمت من المصلحة .
- وإن ذلك السامى كان موجودا وسط أرواحهم ، لكنه تجاهل الأمر عامداً .
- إن صورة النار تكون تحت القدر ، لكن معنى النار يكون داخل القدر .
- إن صورتها خارجية ومعناها داخلي ، ومعنى معشوق الروح كالدم في العروق .

- ٤٤١٥- لقد ركع الأمير أمام الملك ، وأخذ يشرح أحواله كعشرة من المعرفين .
- بالرغم من أن الملك كان يعرف كل أحواله من قبل ، إلا أنه أخذ يقوم بشرحها .

- إن ذرة من نور العرفان في الداخل ، أفضل من مائة معرف أيها الصفى .
 - وإن تسليم الأذن للمعرف ، آية على الحجب والحدس والظن .
 - ومن صارت له عين القلب رقيباً ، سوف ترى عينه العيان بذاته .
- ٤٤٢٠- ولا تقنع روحه بالتواتر ، بل يصله اليقين من عين القلب .
- لقد انطلق المعرف أمام الملك المنتجب في الحديث معرفاً بأحواله .

- قال : " أيها الملك إنه صيد إحسانك ، فاهتم به اهتماما ملكيا إذ لا مفر له منه .
- لقد تعلق بيده بأهداب سرج هذه الدولة ، فامسح بيدك على رأسه الثملة .
- قال الملك : إن كل منصب وإمارة يريدونها هذا الفتى فإنه يجدها .
- ٤٤٢٥- وأهبه هنا ملكا - يبلغ عشرين ضعف الملك ، الذي خرج منه ، ونحن أيضاً على رأسه .
- قال : منذ أن غرست فيه ملوكيتك العشق ، متى ترك لهوى السبيل إلى نفسه إلا إلى هواك ؟!
- إنه جدير بالعبودية لك ، بحيث فترت الملوكية في قلبه .
- لقد قامر بالملك والإمارة ، واعتاد على الغربة من أجلك .
- إنه صوفى ، ألقى بخرقته وجدا ، حتى يمضى فى أثر خرقة أخرى .
- ٤٤٣٠- فهل يبدى الميل إلى خرقته ثانية والندم عليها ، بحيث يقول : إننى صرت مغبوناً .
- هيا ، أعد الخرقة إلى هذا الصوب ، أيها القرين ، فإن ذلك الذى "يعوضها" لا يساويها ! .
- وبعيد عن العاشق أن يفكر هكذا ، وإن فكر هكذا ليكن التراب على رأسه .
- إن العشق يساوى مائة كخرقة الجسد ، فإن فيه حياة وحساً وعقلاً .
- وبخاصة خرقة ملك الدنيا فهى بترء ، والسكر "الذى يدفع فيه" خمسة دوانق منه يسبب الخمار!
- ٤٤٣٥- إن ملك الدنيا حلال على عباد الجسد ، ونحن غلمان للعشق الذى لا زوال له .
- انه عاملٌ على العشق ، فلا تعزله ، ولا تجعله مشغولاً إلا بعشقه .

- إن المنصب الذى يجعلنى محجوباً عن وجهك ، هو عين العزل ، وفقد المنصب .
- وإن سبب التأخير فى المجيء إلى هنا ، كان فقد الاستعداد ، وضعف الفضل .
- فإنك إن مضيت بلا استعداد إلى منجم ما ، فلن تحصل منه على حبة واحدة .
- ٤٤٤ - مثل عنين يشتري بكرة ، مهما كانت فضية الصدر ، أى نفع له منها ؟!
- مثل مصباح لا زيت فيه ولا فتيل ، لا كثير فيه من الشمع ولا قليل .
- أو أن يدخل أخشم إلى روضة ، متى يصير أنفه سعيداً من الريحان ؟!
- مثل حسناء فاتنة فى محضر عنين ، وصوت الرباب والعود أمام أصم .
- وكالطائر البرى يدخل إلى البحار ، ماذا يجد منها إلا الهلاك والخسار ؟!
- ٤٤٥ - ومثل الذهاب إلى طاحون بدون قمح ، فلا يكون منها عطاء إلا تبييض اللحية والشعر .
- إن طاحون الفلك تهب من لا قمح لهم ، شعراً أشيب وخاصرة ضعيفة .
- لكن هذه الطاحون تهب من يملكون القمح الملك وتعطيهم الشأن والسلطان .
- فينبغى أن يكون لديك فى البداية الاستعداد للجنة ، حتى تتولد لك الحياة من الجنة .
- وأية حلاوة للطفل الرضيع من الشراب والشواء أو من القصور والقباب ؟!
- ٤٤٥ - إن هذا المثل لا حد له فكفاك طلباً للكلام ، فاذهب وقم بتحصيل الاستعداد .
- لقد قعد الأمير حتى الآن من أجل الاستعداد ، وجاوز الشوق الحد ولم يحصل عليه .
- فقال : إن الاستعداد يصل أيضاً من المليك ، وبدون الروح متى يصير الجسد مستعداً ؟

- لقد طوت أطفاف الملوك أحزانه ، لقد مضى ليصيد الملوك ، فصار هو صيداً .
- إن كل من سعى من أجل صيد مثلك ، قيد دون أن يقوم بتقييد الصيد .
- ٤٤٥٥- وكل من صار باحثاً عن الإمارة ، سقط في الأسر دون أن يحصل عليها .
- فاعلم أن صورة ديباجة الدنيا معكوسة ، واسم كل عبد للدنيا سيد الدنيا .
- ويا أيها الجسد المعوج الفكر امض بشكل معكوس ، فقد جعلت مائة ألف حر عبيداً لك .
- واترك هذا المكر فترة من الزمن ، وعش حراً قبل الأجل بضع لحظات .
- وإن لم يكن لك في الحرية طريق كالحمار ، ولم يكن لك سيرٌ إلا في البئر كالدلو .
- ٤٤٦٠- امض فترة من الزمن ، واترك روحى ، امض وابحث عن رفيقٍ سوى .
- لقد انتهى دورى ، فحررنى واجعل غيرى لك صهراً .
- ويا أيها الجسد المشغول بمائة عمل اتركنى ، لقد سلبت عمرى فابحث عن شخص آخر .

افتتان القاضى بامرأة جحا وبقاؤه فى صندوق

وشراء نائب القاضى للصندوق ، ثم مجيء زوجة جحا فى السنة التالية

للقيام بنفس اللعبة السابقة وقول القاضى لها ، لا ،

اتركينى وابحثى عن آخر..... إلى آخر القصة

- كان جحا كل عام بتأثير الفقر يلتفت إلى امرأته بذكاء قائلاً : أيتها المرأة الفاتنة ؛

- ما دام السلاح معك ، اذهبى وصيدى صيداً ، حتى نحلب من صيدك اللبن .

٤٤٦٥- فمن أى شئ وهبك الله إذن قوس الحاجب وسهام اللواحظ وشبكة الكيد
إلا من أجل الصيد ؟!

- إمضى وضعى شباكك لطير سمين ، أظهرى الحب ، لكن إياك أن تجعليه
يأكله .

- أظهرى منك الرغبة ، ثم رديه خائباً ، فمتى يلتقط الحب ما دام قد صار أسير
الشبكة ؟!

- ومضت المرأة نحو القاضى شاكية ، قائلة : لقد ضاق صدرى من زوج شديد
التلون .

- فاختصر القصة ، فان القاضى قد صار صيداً من مقال تلك الحسناء ومن
جمالها .

٤٤٧٠- فقال لها : إن المحكمة مليئة بالصخب ، ولا أستطيع فهم هذه الشكوى .

- فلو تأتيتنى فى خلوة أيتها السروة الممشوقة ، وتشرحين لى ظلم الزوج لك^(١) .

- قالت : إن منزلك كثير المترددين من كل صالح وطالح من أجل الشكوى .

- وعندما يكون منزل الرأس مليئاً بالرغائب ، يكون الصدر مليئاً بالوساوس
والضجيج .

- ولقد استراحت بقية الأعضاء من الفكر ، وتلك الصدور قد اهترأت من الأفكار
التي ترد إليها^(٢)

(١) ج : ١٤ / ٤٩٦ :

- فافهم هذا الأمر جيداً وأعطيه جزاءه ، بما يقتضيه الحق فلا تحزنى من ذلك
- وبصير حالك معلوماً لى ، وأجعل زوجك أليفاً لاعتو لديه .

(٢) ج : ١٤ / ٤٩٦ :

- مثل الغصن من الثمار والأوراق القديمة ، يصير خالياً حتى يعمل أمر "كن"
- ومن خلف هذا القدم تصل أوراق وثمار من الغيب دون أننى ريب .

٤٤٧٥- فاهرب فى الخريف وفى ربح خوف الحق ، ودعك من تلك الشقائق التى كانت بالأمس .

- فإن هذه الشقائق مانعة للبراعم الطالعة ، التى تنمو شجرة القلب من أجلها .
- وأهرب بالنوم من هذه الأفكار ، وارفع رأسك من النوم لتجد نفسك فى يقظة .
- ومثل أصحاب الكهف أيها السيد ، امض سريعاً إلى أيقاظ تحسبهم رقود .
- فقال "القاضى" أيتها الحسناء ما هو المعتاد ؟ قالت : إن منزل صاحبك خال تماماً .

٤٤٨٠- لقد ذهب الخصم إلى القرية ، والحارس أيضاً غير موجود ، وهو مسكن حسن جداً من أجل الخلوة.

- فتعال الليلة - إن أمكن - إلى ذلك المكان ، فإن عمل الليل لا سمعة فيه ولا زياء .

- وكل الجواسيس يكونون سكارى فى خمر النوم ، وزنجى الليل قد ضرب أعناق الجميع .

- وتلت على القاضى تعاويذ عجيبة ، من تلك الشفة الحلوة وناهيك بها من شفة .
- لقد وسوس إبليس لآدم كثيراً ، وعندما قالت له حواء : كل ، أكل .

٤٤٨٥- وأول دم "أريق" فى دنيا الظلم والعدل ، وقع من يد قابيل من أجل امرأة.

- وعندما كان نوح يصنع شواء على مقلاه ، كانت "واهلة" زوجة تلقى بالحجر على المقلاة .

- وكان مكر المرأة يتغلب على عمله ، فكانت تكدر ماء وعظة الصافى .

- فكان ينقل إلى قومه رسالة في السر ، قائلاً : احفظوا الدين من أولئك الضالّات^(١) .

ذهاب القاضي إلى منزل امرأة جحا

ودق جحا الباب بغضب

وهروب القاضي إلى داخل الصندوق..... إلى آخره

- إن مكر المرأة لا نهاية له ، لقد ذهب القاضي الأريب إلى المرأة من أجل الدّب.

٤٤٩٠- واعدت المرأة المجلس بشمعتين وبالنقل ، فقال : نحن سكارى دون أن نشرب^(٢)

- وفي هذه اللحظة جاء جحا ، وبحث القاضي عن مهرب يختفى فيه ؛
- فلم ير خالياً إلا صندوق ، فذهب ذلك الفتى من خوفه داخل الصندوق .
- ودخل جحا وقال أيتها الرفيقة ، يا وبالأعلى في الربيع وفي الخريف .
- ماذا أملكه وليس فدى لك بحيث تشتكين منى في كل لحظة^(٣) ؟!
- ٤٤٩٥- فأطلقت لسانك على إملاقي ، حيناً تسمينني بالمفلس وحيناً بالديوث .

(١) ج : ١٤ / ٤٩٧ :

- وكان للوط امرأة كافرة ، ولا شك أنك قرأت قصة تلك الفاجرة
- ويوسف من كيد زليخا الشابة بقي في السجن ممتحناً
- وكل بلاء تراه عياناً في الدنيا يكون من شؤم امرأة في كل مكان .

(٢) ج : ١٤ / ٥٠٢ :

- وعندما جلسا معاً ساعة من الزمن ، حتى يستريحاً في الخلوة
- وعندما جلس إلى جوار المرأة ليبلغ مراده ، صارت روحه الحزينة فرحة.

(٣) ج : ١٤ / ٥٠٢ :

- لقد قال أحدهم أنك ذهبت إلى القاضي ، وقلت في حقى ما لا يقال .

- فإذا كانتا فى هاتان العلتان يا روحى ، فالأولى منك والثانية من الله .
- فماذا املكه غير هذا الصندوق ليكون أساساً للاتهام وأساساً للظن .
- فالخلق يظنون أننى أخفى فيه ذهباً ، ويحبسون عطاياهم عنى من هذه الظنون.
- إن شكل الصندوق جميل جداً ، لكنه خال تماماً من المتاع ومن الفضة والذهب.
- ٤٥٠ - مثل جسد المشعوذ جميل ذو وقار ، لكنك لا تجد فى تلك السلة التى معه إلا الثعابين .
- وعلى أن أحمل الصندوق غداً إلى الحى ، وأحرقه وسط الميدان .
- حتى يرى المؤمن والمجوس واليهودى ، أنه لا يوجد فى هذا الصندوق سوى اللعنة .
- فقالت المرأة ، هه ، دعك من هذا أيها الرجل ، فأقسم بالأيمان المغلظة أنه لن يفعل سوى هذا^(١) .
- وفى الفجر أحضر حمالاً وكأنه الريح ، ووضع ذلك الصندوق سريعاً على ظهره .
- ٤٥٠٥ - والقاضى داخل الصندوق يصيح من النكال : أيها الحمال..... أيها الحمال .
- ونظر الحمال ذات اليمين وذات اليسار ، متسائلاً : ترى من أين يأتى الصوت والنداء ؟
- أهذا الذى يدعونى هاتف ؟ يا للعجب ، أو تراه جنى يطلبنى فى الخفاء ؟!
- وعندما استمر ذلك الصوت وزاد ، قال : إنه ليس هاتفاً وعاد إلى وعيه .
- ثم علم فى النهاية أن هذا الصوت والصراخ ، كان من الصندوق، وأن شخصاً اختفى فى داخله .

(١) ج : ١٤ / ٥٠٢ : وشد وثاق الصندوق بحبل على الفور ، وتظاهر بأنه سكران تماماً.

٤٥١٠- والعاشق الذى مضى فى حزن معشوقه ، بالرغم من أنه خارج الصندوق ، إلا أنه داخله .

- لقد قضى العمر فى صندوق من الأحزان ، ولم ير من الدنيا كلها سوى صندوق .

- وتلك الرأس التى لا تكون فوق السماء هوساً ، اعتبرها موجودة فى صندوق !!

- وعندما يخرج من صندوق البدن ، يخرج من العمى ويمضى صوب قبر .

- وهذا الكلام لا نهاية له ، قال له القاضى : أيها الحمال ، يا حامل الصندوق !
٤٥١٥- أخبر نائبى الآن بأحوالى كلها سريعاً ، وهو داخل المحكمة !
- حتى يشتري هذا الصندوق بالذهب من هذا المجنون ، ويحمله إلى منزلى وهو مغلق كما هو .

- فيا الله هبى لنا قوماً من ذوى الأرواح ، يشروننا ثانية من صندوق البدن .
- ومن يشترى الخلق من قيد صندوق الوسوس إلا الأنبياء والمرسلون .
- ومن بين الآلاف هناك واحد حسن النظر ، يعلم ما هو موجود داخل الصندوق^(١) .

٤٥٢٠- يكون قد رأى الدنيا من قبل الآن ، حتى يصير له برؤية هذا الضد ، ضدها عياناً .

- ولهذا السبب فان العلم ضالة المؤمن ، والعارف ضالة نفسه فهو موقن .
- وذلك الذى لم ير قط يوماً بهياً ، متى يصاب بالقلق من هذا الإدبار ؟
- فإما انه وقع فى الأسر منذ طفولته ، أو أنه ولد من أمه عبداً .
- لم تذق روحه لذة الحرية ، فصندوق الصور هو ميدانه .

(١) ج : ١٤ / ٥٠٣ :

-- فاعلم أمارات ذلك الذى يعلم ، وهو أنه يهلع دائماً من روح هذه الدنيا .

٤٥٢٥- دائماً ما يكون عقله محبوساً في الصور ، فهو يمر من قفص إلى قفص .
- ولا منفذ له من القفص صوب العلا ، فهو يمضي في الأفقاص من مكان إلى مكان .

- وفي القرآن ﴿إن استطعتم فأنفذوا﴾ ، لقد خوطب الإنس والجن بهذا الكلام منه هو .

- قال : لا منفذ لكم من الأفلاك ، إلا بسلطان وبوحى من السماء .
- فإذا كان يمضي من صندوق إلى صندوق ، فهو ليس سماوياً ، لكنه منسوب إلى الصندوق .

٤٥٣٠- ومشاهدة الصندوق أولاً بأول تصيب بالسكر ، ولا يدرك شيئاً ذلك الموجود داخل الصندوق .

- فان لم يكن مغروراً بهذه الصناديق ، يكون كالقاضي يرغب في الإفراج والنجاة .

- والذي يعلم هذا اعلم إن أمارته ، أنه لا يكون مقلعاً عن الصراخ وعن إبداء الرعب .

- ويكون كالقاضي في رعدة دائماً ، ومتى تأتي لروحه لحظة من السرور^(١) ؟!

مجيء نائب القاضي وسط السوق

وشراء الصندوق من جبا ، إلى آخره

- جاء النائب وسأل : بكم الصندوق ؟! فقال : أنه يثمن بما يزيد عن تسعمائة دينار ذهبي .

(١)

ج : ١٤ / ٥٠٤ :

- قال الحمال فرحاً لعبير سبيل ، اذهب لمحكمة القاضي كالريح
- واخبر نائبه ان ثمة واقعة ، وان القاضي على رأسه القارعة
- أترك العمل وتعال هنا سريعاً ، واشتر منه الصندوق مغلقاً
- وعندما مضى الرسول وأدى الرسالة ، كل من سمع منه هذا تحير
- الخلاصة أنه نقل خبر حامل الصندوق ، لنائب القاضي حسن وعن حزنه .

- ٤٥٩٥- وأنا لن أنزل عن الألف ، فإذا كنت مشترياً ، افتح كيسك ، وادفع .
- قال له اخجل يا قصير اللباد ، إن قيمة الصندوق في حد ذاته واضحة تماماً .
- قال : إن الشراء دون معاينة فاسدٌ في حد ذاته ، ولا يصح أن يكون بيعنا في الخفاء .
- فافتحه ، وإن كان لا يساوي لا تشتريه ، حتى لا تغبن أيها الأب .
- قال : يا ستار ، لا تفصح السر ، سأشتريه مغلقاً ، فتفاهم معي .
- ٤٥٤٠- واستر حتى يستر الله عليك ، وما لم تر أمنا ، لا تضحك على أحد .
- إن كثيراً من أمثالك بقوا داخل هذا الصندوق ، ووضعوا أنفسهم في البلاء .
- إن ما يكون طلبه مقبولاً لديك من تعب وأذى ، افعله مع الآخرين^(١) .
- ذلك أن الحق بالمرصاد فهو مترصد ، وهو يعطي الجزاء قبل يوم الدين .
- وعظيم العرش ، عرشه محيط ، وعرش عدله مبسوط على كل الأرواح .
- ٤٥٤٥- وإن زاوية عرشه متصلة بك ، فحذار لا تحرك اليد إلا بالدين والعدل .
- وكن مراقباً لأحوالك وانظر إلى الشهد في العدل وإلى الوخر في الظلم^(٢) .
- قال ، نعم ، إن ما أفعله ظلم ، لكن أعلم أيضاً أن البادي أظلم .
- قال النائب ، إننا البادئون واحداً واحداً ، ونحن في سرور مع سواد وجوهنا .
- مثل الزنجى الذى يكون متهللاً وسعيداً ، فهو لا يرى وجهه لكن غيره يراه .
- ٤٥٥٠- لقد طال الأمر في الفصل والمباومة ، فأعطاه مائة دينار وأخذ منه

(١) ج : ١٤ / ٥١٢ :

- وما تجيزه لنفسك من خير ومن شر افعله دائماً مع الآخرين
- وما لا تقبله لنفسك من نفع وضر لا تقبله على أحد آخر يا عديم الفضل .

(٢) ج : ١٤ / ٥١٢ :

- إذن فهنا يكون جزاء الخير والشر يصل إلى كل إنسان عندما ينظر جيداً
- وذلك الجزاء الذى يصل يوم الدين ، لا يشبه هذا ، فانظر جيداً
- يكون الجزاء هناك بلا حد ولا عد ، وتكون النار وجههم مكاناً لغير الجدير

- وأنت كل لحظة في الصندوق يا راضياً بالشر ، ويشترىك الهاتفون وأهل الغيب^(١) .

**في تفسير هذا الخبر عن المصطفى ﷺ إذ قال : { من كنت مولاه فعلي مولاه }
فاعترض المنافقون وقالوا : لم يكفه أن نصير له تبعاً مطيعين
وبأمرنا أيضاً بأن نتبع طفلاً ملوثاً بالمخاط إلى آخره**

- ولهذا السبب سمى الرسول ﷺ ذو الاجتهاد نفسه وعلياً باسم المولى .
- قال : كل من أكون له مولى وحيبياً ، فابن عمى على مولاه أيضاً .
- فمن هو المولى ؟ انه هو الذى يحرك ، وهو الذى يضع الأغلال عن قدمك .
٤٥٥٥- وما دامت النبوة هادية إلى الحرية ، فالحرية تكون للمؤمنين من الأنبياء.

- فاسعدوا يا جماعة المؤمنين ، وتحرروا كالسرو والسوسن .
- لكن داوموا في كل لحظة على شكر الماء بلا لسان كالروضة جميلة الألوان .
- فبلا لسان تردد أشجار السرو والمروج شكر الماء وشكر عدل الربيع في أوله !!

- فهي مرتدية الحل ، باسطة أذيالها ، ثملة ، راقصة ، سعيدة ، نائرة للعنبر .
٤٥٦٠- فأعضاؤها عضوا عضواً حامل من ملك الربيع ، وأجسادها كالأدراج مليئة بدر الثمار .

(١) ج : ١٤ / ٥١٣ :

- واعلم يقيناً أنك أسير وعبد ، ذلك أنك بقيت في صندوق الأحزان
- وكل ما صرت عبداً له من خير أو شر ، كل منها صار عليك كصندوق
- وما لم تتحرر منها كلها ، متى يصير قلبك فرحاً أيها الحبيب ؟

- إنها على مثال مريم حامل فى المسيح دون بعل ، صامتة لا تتبس بهذر ، أو كلام فصيح.

- إن ثمرنا قد سطر سعيداً دون نطق ، وكل لسان وجد النطق من بهائنا .
- ونطق عيسى عليه السلام يكون من بهاء مريم ، ونطق آدم عليه السلام شعاع لذلك النفس .
- وحتى يزداد الشكر أيها الثقات ، هناك اذن نبات آخر فى نبات .
- ٤٥٦٥- وانعكاسه هنا : ذل من قنع ، وفى ذلك الطور عز من طمع .
- فلا تمضى فى جوال نفسك كثيراً ، ولا تكن غافلاً عن الذى يشرونك^(١) .

عودة امرأة جحا إلى محكمة القاضى فى السنة التالية

على أمل الظفر بمبلغ السنة السابقة

وتعرف القاضى عليهما إلى آخره

- وبعد سنة التفت جحا ثانية فى تأثير المحن إلى زوجته وقال لها: أيتها المرأة الماهرة ؛

- هيا وجددى راتب السنة الماضية ، وهيا وتحدثى إلى القاضى شاكية إياى .
- ودخلت الزوجة إلى القاضى مع النسوة ، وجعلت امرأة أخرى تتحدث عنها .
- ٤٥٧٠- حتى لا يعرفها القاضى من صوتها ، ولا يتذكر ما وقع به من بلاء فى الماضى .

- إن لحاظ المرأة ذات المعنى فتنة ، لكن ما يحدث من صوت المرأة أضعاف أضعافها .

- ولما لم تكن تستطيع رفع صوتها ، فان نظرة المرأة وحدها لم تجد نفعاً .
- قال القاضى : امضى واحضرى خصمك ، حتى أصلح ما بينكما .

(١) ج : ٥١٩/١٤ - حتى لا تبقى مضطرب الحال منها ، هكذا أمر بذلك يا صاحب القلب .

- وجاء جحا ، ولم يعرفه القاضى سريعاً ، لأنه عند اللقاء به كان فى الصندوق .
٤٥٧٥- كان قد سمع صوته من خارج "الصندوق" ، عند الصفقة ، وعند
الفصال .

- سأله : لماذا لا تعطى المرأة نفقتها بالتّمام ؟! أجاب : إننى غلام بروحى لما
تأمر به الشريفة .

- لكنى لو مت لا أجد الكفن ، وأنا مفلس فى هذه اللعبة ، بل وكل ما أتى به فيها
خمسة "نقاط" أو ستة !!

- ففعل القاضى عرفه عندما تحدث ، فتذكر ذلك المكر ، وذلك التلاعب به .
- قال : لقد لعبت هذه الخمسة وهذه الستة معى فى السنة الماضية ، وحبستنى
فى "الخانات" الستة .

٤٥٨٠- ولقد ذهب دورى ، فإلعب هذا العام ذلك القمار مع شخص آخر ، وارفح
يدك عنى .

- لقد صار العارف منفصلاً عن الخمسة و الستة ، واحترز من اللعب بالنرد
خمسته وستته .

- لقد نجا هو من الحواس الخمسة والجهات الستة ، وجعلك عارفاً بما وراء هذا
كله .

- وصارت إشاراته هى إشارات الأزل ، "جاوز الأوهام طر واعتزل" .
- فإذا لم يكن خارج هذا البئر ذى الجهات الستة ، فكيف يخرج "يوسف" من
داخله ؟

٤٥٨٥- فهو وارد فى أعلى الفلك الذى بلا عمد ، وجسمه كالدلو محتال" فى
البئر .

- لقد تشبث أمثال يوسف بدلوهم فنجوا من البئر ، وصاروا ملوكاً على مصر .

- إن الدلاء الأخرى باحثة عن البئر عن المياه ، ودلوه فارغ من الماء ، باحث عن الصحاب .
- والدلاء تغوص في المياه من أجل القوت ، ودلوه قوت لروح الحوت وحياة له .
- والدلاء متصلة بالفلك العالى ، ودلوه بين إصبعين قويين .
- ٤٥٩٠- فما الدلو ؟ وما الحبل ! وما الفلك ؟! ، إن هذا المثل ركيك جداً أيها الأخ .
- وكيف أضرب مثلاً خالياً من الركاقة وكفوه لم يكن ولا يكون .
- فمئات الآلاف من الرجال مضمرون في رجل واحد ، ومائة قوس وسهم مدرجون في سن واحد .
- وما رميت إذ رميت من قبيل الفتنة ، ومئات الآلاف من البيادر في حفنة واحدة .
- وشمس مختفية في ذرة واحدة ، وفجأة تفتح تلك الذرة فاها .
- ٤٥٩٥- وتصبح الأفلاك والأرض ذرة ذرة ، أمام تلك الشمس عندما تظهر من مكنها !! .
- ومثل هذه الروح متى تصير جذيرة بالجسد ؟! هيا وانفض أيها الجسد كلتا يديك من هذه الروح .
- ويا آلاف من أمثال جبريل "موجودون" في بشر ، ويا أمثال المسيح ، مختفون في قطيع من الحمر^(١)

(١) ج : ٥٤٠/١٤ :

- ويا كلهم الله مختفياً في لباد ، واقف من الخوف وناج من القيد والموء .
- ويا حبيب الله مختفياً في غار البدن ، وكنز ربانى مختف في جسد حية .

- ويا آلاف من أمثال الكعبة مخفية في بيعة ، ويا ملق للشيطان ولإبليس في الخطأ .

٤٦٠٠- أوضاع لسجود اللا مكان في المكان ، أليس لأمثال إبليس منك بضاعة كاسدة ؟

- حين قال : كيف أحترم هذا الطين ؟! وكيف أعطى لصورة لقب الدين ؟!

- إنه ليس صورة فحك عينيك جيداً ، حتى ترى أضواء نور الجلال .

عودة إلى تفاصيل قصة الأمير

وملازمته لحضرة الملك

- إن الأمير حائر أمام الملك في أنه رأى الأفلاك السبعة في قبضة من الطين !!.

- لم يكن من الممكن قط التفوه بمقال ، لكن الروح مع الروح لم تكن صامتة لحظة واحدة .

٤٦٠٥- وعن لخاطره أن هذا الأمر خفى جداً ، إن هذا كله معنى فمن أين الصورة ؟!.

- إنها صورة تجعلك ضائعاً من الصورة ، إنه نائم لكنه يوقظ كل نائم !! .

- إن كلامه هذا يحرك من الكلام ، وذلك السقام يشفيك من السقام .

- إذن فسقام العشق هو روح الصحة ، وآلامه تزيى بكل راحة .

- أيها الجسد ، الآن انفض يدك من الروح ، وإن لم تفعل فابحث عن روح غير هذه الروح !!.

٤٦١٠- والخلاصة أن هذا الملك كان يزيد في إكرامه ، وكان هو كالقمر يذوب من تلك الشمس .

- انه ذوبان العاشقين ، وهو نمو ، مثل القمر يكون في ذوبانه متجدد الطلعة .
- وكل المرضى يأملون الدواء ، وهذا المريض يئن قائلاً : زيدوني .
- إنتى لم أشرب ألد من هذا السم ، ولا صحة هناك أطيب من هذا المرض .
- ولا طاعة هناك أفضل فى هذا الذنب ، والسنون بالنسبة لهذه اللحظة برهة من الزمن .
- ٤٦١٥- وظل مدة عند الملك على هذا النسق ، القلب شواء والروح موضوعة على الطبق .
- وقال أن الملك قطع من كل "من أعدمه" رأساً واحدة ، وأنا من الملك فى كل لحظة ضحية جديدة .
- وأنا فقير من الذهب ، لكنى غنى فى الرؤوس ، لأن رأسى التى قطعت عوضت بمئات الآلاف من الرؤوس .
- ولا يمكن الهجوم فى العشق بقدمين ، ولا يمكن المغامرة فى سبيل العشق برأس واحدة .
- ولكل إنسان قدمان ورأس واحدة ، ولا يوجد جسد بآلاف الأقدام والرؤوس .
- ٤٦٢٠- ولهذا السبب فكل المجالس صارت كلها هدرأ ، وهذا المجلس فى كل لحظة أكثر دفئاً وحرارة .
- ومعدن الحرارة موجود فى اللامكان ، والنيران السبعة بالنسبة له شرر واحد .
- فى بيان أن النار التى توجد قنطرة الصراط فوقها**
- تقول : أيها المؤمن ، أعبر الصراط ، عجل حتى لا تطفئ**
- عظمة نورك نارنا ، جز يا مؤمن فان نورك أطفأ نارو**
- ومن هنا ، فمن نار العشق أيها الصفي ، تصير جهنم ضعيفة ومنطفئة .

- تقول له : جز سريعاً أيها المحتشم ، وإلا فإن من نيرانك انطفأت نارى .
- والكفر الذى هو كبريت جهنم فحسب ، انظر كيف يجعله ذابلاً هذا النفس .
- ٤٦٢٥- فاضرم سريعاً كبريتك فى تلك الشهوة ، حتى لا تهاجمك جهنم أو يهاجمك شررها .
- وتقول له الجنة مر كأنك الريح ، وإلا لصار كل ما لى كاسداً .
- فأنت صاحب بيدر وأنا جامعة للسنايل ، وأنا صنم وأنت ولايات الصين .
- فهى مرتعدة منه سواء الجحيم والجنان ، فلا أمان لهذه أو لتلك منه .
- لقد مضى عمره ، ولم يجد فرصة للعلاج ، كان الصبر شديد الإحراق لم تتحملة الروح .
- ٤٦٣٠- وظل فترة يعانى برغم أنفه ، وبلغ عمره آخره وهو لم ينضج بعد .
- لقد اختفت عنه صورة المعشوق ، فذهب وعانق معنى المعشوق .
- وقال : وإن كانت ملابسه من الشعر والخز الشترى ، فان عناقه بلا حجاب أفضل .
- لقد صرت عارياً من الجسد وهو فى الخيال ، وها أنا أتبختر فى نهايات الوصال .
- إن هذه الموضوعات قابلة للبوح إلى هذا الحد ، وكل ما يأتى من بعد جدير بالإخفاء .
- ٤٦٣٥- وان قلت أو جاهدت مائة ألف نوع من الجهاد ، لكأنك كلها بلا نتيجة ، فلن تصير معلنة .
- فحتى البحر ، يكون سير الجواد والسرّج ، ثم يكون لك من بعد المركب الخشبى .

- والمركب الخشبي في اليابسة عاجز ، خاصة عندما يكون هناك دليل " لهؤلاء المبحرين .

- إن هذا الصمت هو المركب الخشبي ، والصمت لراكبي البحر يكون تلقينا .

- وكل صمت يصيبك بالملل ، فانه يثير صيحات العشق في تلك الناحية .

٤٦٤- وأنت تقول : عجباً لماذا هو صامت ؟ وهو يقول : عجباً أين أذنه ؟!

- لقد صرت أصم من الصياح وهو غافل ، وأصحاب الأذان الحادة بهم صمم عن هذا السمر !!

- فهذا يصيح في النوم ويقوم بمئات الآلاف من المباحث والتلقينات .

- وهذا جالس إلى جواره بلا خبر ، فهو في حد ذاته نائم وأصم عن تلك الضجة والفتنة .

- وذلك الذي انكسر مركبه الخشبي وغرق في الماء هو في الحقيقة سمكة !! .

٤٦٤٥- فلا هو صامت ولا هو متكلم ، أمر نادر ، وليس لحاله اسم في العبارات .

- فهو ليس من هذين ، وهو هذان ، وهذا عجب ، وشرح هذا الكلام خارج عن الأدب

- إن هذا المثال جاء شديد الركاقة غير معبر تماماً ، لكن لا يوجد فيما يحس ما هو أفضل منه^(١) .

(١) ج : ٥٥٤/١٤ :

- الخلاصة أن ذلك الأمير غادر الدنيا ، روحه ملينة بالنار وكبدته بالحرقة .

**وفاة الأكبر من الأمراء ومجىء الأخ الأوسط إلى جنازة أخيه ،
لأن الأصغر كان طريق الفراش لمرضه ، وإكرام الملك للأوسط
حتى صار هو أيضاً أسير الإحسان ، فبقى عند الملك ،
ووصله الملك بمائة ألف من الغنائم الغيبية والعينية
من دولة ذلك الملك ونظره ، مع تقرير بعضه**

- كان الأصغر مريضاً وجاء ذلك الأوسط فحسب إلى جنازة أخيه .
- ورآه الملك فقال قاصداً من يكون هذا ؟! إنه من نفس ذلك البحر وهو أيضاً
سمكة !

٤٦٥٠ - قال المعرف : انه ابن ذلك الأب ، وهذا الأخ اصغر من ذاك الأخ .
- فلاطفه الملك قائلاً : إنك تذكر ، وصاده أيضاً بهذا السؤال .
- ومن تطف الملك ، فإن ذلك الملتاع المحترق المشوى ، رأى فى جسده روحاً
غير الروح^(١) .

- ورأى فى قلبه ضجة عالية ، لا يجدها الصوفى فى مائة أربعينية .
- فالساحة والجدار والجبل المقتول فى الصخر ، أخذت تتفتح أمامه ضاحكة
كأنها النار .

٤٦٥٥ - وذرة بذرة أمامه كأنها القباب ، أخذت لحظة بلحظة تقوم بمائة نوع من
فتح الباب !! .

- وكان الباب يصير حيناً كوة وحيناً شعاعاً ، وحيناً كان التراب يصير قمحاً
وحيناً صاعاً .

(١) ج : ٥٦٠/١٤ :

- وجد فى قلبه عالماً عالياً ، لا يجده أحد بعد مائة خلوة .

- والفلك الذى هو أمام الأنتظار قديم جداً ومتيبس ، أمام عينه فى كل لحظة خلق جديد .

- والروح الحسناء عندما تتجو من الجسد ، يقضى لها بأن تصل مثل هذه المناظر إلى بصرها .

- وتصير مئات الآلاف من الغيوب ظاهرة أمامها ، وترى ما تراه أعين المأذون لهم .

٤٦٦٠- وما كان قد قرأه من الكتب ، فتح عينه على صورته .

- ومن غبار مطية ذلك الملك الفحل ، وجد هو الكحل العزيزى فى البصر .

- أخذ يجرجر أذيال ثوبه على مثل هذه الروضة ، وأعضاؤه كلها تصبح عضبواً عضبواً : هل من مزيد ؟ .

- فالروضة التى تثبت من البذر تدوم لحظة واحدة ، والروضة التى تنمو من العقل دائمة النضرة .

- والروضة التى تنمو من الطين تصبح صعيداً زلقاً ، والروضة التى تنمو من القلب ، وافرحته بها .

٤٦٦٥- وان العلوم ذات الطعم التى نعرفها ، إعلم أنها باقة أو باقتان أو ثلاث من تلك الروضة .

- فنحن ضعاف أمام هذه الباقيات ، ذلك لأننا أغلقنا باب الروضة أمام أنفسنا .

- ومثل تلك المفاتيح تشغل كل لحظة فى الخبز ، فو آسفاه على البنان ، أيتها الروح !! .

- ولو جعلوك فارغاً لحظة من "هم" الخبز ، فإنك تطوف حول النقاب أى حول النساء .

- ثم إن الاستسقاء الذى أصبت به عندما صار متلاطم الأمواج ، يلزمك ملك مدينة مليئة بالخبز والنساء .

٤٦٧- كنت حية ، فلعلك صرت تتيئاً ، كانت لك رأس واحدة فأصبحت لك سبعة رؤوس .

- والتتين ذو الرؤوس السبعة هو جهنم ، وحرصك حبة وجهنم هي السفخ .

- فمزق الشبكة ، واحرق الحبة ، وافتح لهذه الدار أبواباً جديدة .

- ولأنك لست بالعاشق ، أيها الشحاذ الملحاح ، فأنت كالجبل يرن منك الصدى ، وأنت غافل .

- فمتى يكون للجبل كلام من ذاته ، إن هذا الصوت انعكاس للغير أيها المعتمد .

٤٦٧٥- وقولك على هذا النسق لأنه انعكاس لآخر ، وليست كل أحوالك إلا انعكاسات! .

- وغضبك ورضاك كلاهما انعكاس للآخرين ، سرور القوادة ، وغضب الشرطى .

- فماذا فعل ذلك الضعيف لذلك الشرطى آخر الأمر ، حتى يزجره هكذا بحقد وألم .

- فحتام تكون عاكساً للخيالات المبهرة؟! جاهد حتى تصير لك هذه الوقائع .

- وحتى يكون حديثك عن أحوالك ، ويكون تجولك بجناحك وقوادمك .

٤٦٨٠- إن السهم يأخذ الصيد بجناح الغير ، فلا جرم أنه بلا نصيب من لحم الطير .

- والبازى يأتى بالصيد من الجبل ، فلا جرم أن المليك يطعمه القطا والزرزور .

- والمنطق الذى لا يكون من الوحي يكون من الهوى ، مثل غبار فى الهواء والهباء .

- وإذا كان هذا النفس يبدو للسيد خطأ ، فاقراً من أول والنجم بضع آيات .

- إذ ما ينطق محمد ﷺ عن هوى ، ﴿ إن هو إلا وحي يوحى ﴾ .

٤٦٨٥- ويا أحمد ، ما دام ليس لك من الوحي يأس ، فاعط أرباب الجسم التحرى والقياس .

- فعند الضرورة تكون الميتة حلالاً ، ولا تحرى هناك فى كعبة الوصال .

- وبدون تحرى واجتهادات الهدى ، فان كل بدعة تأخذ من الهوى حرقه .

- تحمله ريح كعاد وتقتله ، لا كسليمان عليه السلام الذى تحمل عرشه .

- فالريح لعاد حمال خذول ، مثل حمل فى كف رجل أكل .

٤٦٩٠- يضعه تحت إبطه كأنه ولده ، ثم يحمله ليذبحه كالقصاب .

- كانت تلك الريح لعاد من الاستكبار ، ظنوها رفيقاً لهم وهى من الأغيار .

- وعندما قلبت الفراء فجأة ، حطمتهم تماماً ، وبئس القرين .

- فحطم الهوى ، فالهوى شديد الفتنة ، قبل أن يحطمك هو كما حطم عاد .

- كان هود يعظ قائلاً : أيتها الجماعة المليئة بالكبر ، إن هذه الريح ستقتلع من أيديكم الذبول (التي تتمسك بها)

٤٦٩٥- إن الريح هى جند الحق ، ومن النفاق عانقكم بضعة أيام .

- وهى فى السر مستقيمة مع خالقها ، وعندما يحين الأجل تبدى الريح يدها .

- فانظر إلى الريح ذات ممر من الفم ، وكل نفس آت وذاهب فى كر وفر .

- والخلق والأسنان منها فى أمان ، وعندما يأمرها الحق تقع فى الأسنان .

- وتصير ذرة من الريح جبلاً ثقيلاً ، وألم الأسنان ، يجعله مسكيناً عليلاً .

٤٧٠٠- وهذه هى نفس هذه الريح التى كانت تمر رخاءً ، كانت روح الزرع ، وصارت موتاً للزرع .

- وذلك الشخص الذى قبل يدك ، تتقلب يده عند الغضب إلى مقمع "لك" .
- إنه يدعو الله فى أعماق روحه قائلاً : يارب ، يارب ، اقطع هذه الريح أيها المستعان .

- أيها الفم كنت غافلاً عن هذه الريح فامض ، وداوم على الاستغفار خاضعاً .
- إن عينه القاسية تذرف الدمع كالமطر ، والألم يجعل المنكرين متغنين بلفظ الجلالة .

٤٧٠٥- فما دمت لم تقبل أنفاس الرجال من رجل ، فهيا كن قابلاً لوحى الحق من الألم .

- فتقول الريح : إبنى رسول من ملك البشر ، أحياناً أتى بالبشرى وأحياناً بالفتنة والشر .

- ذلك أننى مأمورة ، ولا أملك أمر نفسى ، ومتى أكون غافلة مثلك عن ملكى؟!
- ولو كان حالك كحال سليمان عليه السلام ، لصرت حاملة لك كما كنت لسليمان .
- ولصرت أنا العارية ملكاً لكفك ، وجعلتك واقفاً على سرى .

٤٧١٠- لكن ما دمت عاصياً ، أكون أنا مستعارة ، أخدمك ثلاثة أيام أو أربعة .
- ثم أنقلب عليك كثيراً كما فعلت بعاد ، وأثب عليك بعصيان من بين جندك .
- حتى يصبح إيمانك بالغيب قوياً ، فى تلك اللحظة التى يصير فيها إيمانك مسبباً للحزن .

- وفى تلك اللحظة يصير الجميع مؤمنين ، وفى تلك اللحظة ، حتى العصاة يمشون على رؤوسهم .

- وفى ذلك الزمان يقومون بالضراعة والافتقار ، مثل اللصوص وقطاع الطريق عندما يكونون أسفل المشنقة.

٤٧١٥- لكنك إن صرت مستوياً فى الغيب ، لصرت مالك الدارين وشرطياً لنفسك .

- ملوكية وشرطية مقيمة ، ليست موجودة لمدة يومين وسقيمة .

- تتجو من السحرة وتقوم بأمر نفسك ، فأنت الملك ، وأنت الذى تدق طبل نفسك.

- إن الدنيا تضيق علينا وكأنها الحلق ، فليت الحلق والقم قد أكلا التراب !

- وذلك القم فى حد ذاته قد خلق أكلاً للتراب ، لكنه ذلك التراب الذى صار ملوناً.

٤٧٢٠- وهذا الشواء وهذا الشراب وهذا السكر ، هو تراب ملون ومزخرف ، يابنى .

- وما دمت قد أكلتها وصارت لحماً وجلداً ، فقد أعطاهما لون اللحم ، وهو أيضاً تراب طريق .

- إنه أيضاً من التراب يرتق الطين ، ثم يجعل الجميع تراباً مرة ثانية .

- فالهندي والقفجاقى والرومى والحبشى كلهم متوحدو اللون فى القبور .

- حتى تعلم أن كل هذه الصور والرسوم ، كلها مستعارة ، ومكر وقناع .

٤٧٢٥- واللون الباقي ، هو صبغة الله فحسب ، وغير ذلك معلق كالجرس .

- ولون الصدق ولون التقوي واليقين ، تكون باقية حتى الأبد على العابدين .

- ولون الشك ولون الكفر والنفاق ، تبقى إلى الأبد على روح العاق .

- مثل سواد وجه فرعون المحتال ، بقى لونه ، وفنى جسده .

- وضياء وجوه الصادقين الحسنة وبهاؤها ، تبقى حتى يوم الدين وبعد فناء أجسادهم .

٤٧٣٠- والقيح هو ذلك القبيح والطيب هو ذلك الطيب فحسب ، هذا ضاحك دائماً وذاك فى عبوس .

- إنه يعطى التراب اللون والفضل والوزن ، ويعطى لمن هم فى طبع الأطفال الاقتتال عليه .

- انهم يصورون من العجيين جمالاً وأسوداً ، والأطفال يعضون أكفهم حرصاً عليها .

- ويصير الجمل والأسد خبزاً فى الأقواء ، ولا يؤثر هذا الكلام فى الأطفال^(١) .

- فالطفل فى جهل وظن وشك ، والشكر للبارى ، أن قوته قليلة^(٢) .

٤٧٣٥- وعند الطفل عنادٌ ومائة آفة ، والشكر لله أنه بلا فن وبلا قوة .

- فويلاه من أولئك الأطفال المشايخ عديمى الأكب ، الذين صاروا من قوتهم بلاءً على كل رقيب .

- وعندما يجتمع السلاح والجهل معاً ، صار فرعون "منهما" محرقاً للعالم .

- فاشكر الله - أيها الفقير - من القصور ، فقد نجوت من الفرعونية ومن الكفران .

- والشكر لله أنك مظلوم ولست ظالماً ، آمن من الفرعونية ومن كل فتنة .

٤٧٤٠- والبطن الخالية لم تدع الألوهية ، فليس لنارها من الحطب مدد .

(١) ج: ١٤ / ٥٦٣ :

- وحجورنا مليئة بالتراب كالأطفال ، وذهبت عن رؤوسنا مساعى الأسباب والدكان .

(٢) ج: ١٤ / ٥٦٣ :

- ويل لأولئك الأطفال الذين يقومون بالمشيخة ، هم نمال عرجاء وتزاول الإمارة .

- والبطن الخالية تكون سجنًا للشيطان ، فإن هم الخبز يمنعها من المكر والاحتيال !.
- واعلم أن البطن المحشوة بالدسم هي سوق الشيطان ، ولتجار الشيطان ضجة فيها .
- التجار السحرة الذين لا يبيعون شيئاً ، جعلوا العقول مظلمة من صياحهم .
- لقد جعلوا الدن من سحرهم يسير كالفرس ، وصوروا ضوء القمر في الظلمة كأنه الكرباس .
- ٤٧٤٥- إنهم ينسجون التراب وكأنه الحرير ، ويحثون عين كل من يميز بالتراب .
- ويعطون الصندل رائحة العود ، ويحسدوننا على مدر أعطونا إياه .
- فتقدس ذلك الذى يعطى التراب لونا ، ويجعلنا كالأطفال نتقاتل عليه .
- إننا كالأطفال نملاً جحورنا بالتراب ، وفي نظرنا أن التراب هو ذهب المنجم !.
- ولا مجال للطفل مع البالغين ، ومتى يجلس الحق الطفل مع الرجال ؟!
- ٤٧٥٠- والفاكهة وإن قدمت ما دامت فجة وليست ناضجة يطلقون عليها أسم الحصرم .
- وذلك الساذج الفج وإن بلغ مائة عام ، فهو طفل وحصرم فى نظر كل ذكى .
- وحتى لو كان شعره ولحيته قد شابا ، فهو لا يزال فى طفولة الخوف والرجاء .
- إنه يتساءل : هل أنا ناضجٌ أو لم أنضج بعد ، فوا عجباه ، هل يجعلنى كرمًا ذلك الكرم ؟!

- وبرغم عدم استعدادى وبعدى ، هل يمنح حصرمى هذا صفات العنب .
- ٤٧٥٥- إننى لست راجياً من أى صوب ، وذلك الكرم يقول لا تيأسوا .
- إن سلطاننا دائماً ما أولم لنا ، وسحبنا من آذاننا قائلاً : لا تقنطوا .
- وبالرغم أننا نكون من هذا اليأس فى حفرة ، عندما نادى بالعطاء ، علينا أن نمضى راقصين .
- راقصين كخيل شديدة النشاط ، عندما تسرع إلى المرعى الأنيس .
- نسرع الخطو ولا خطو هناك ، نحمل الكأس ولا كأس هناك .
- ٤٧٦٠- ذلك أن كل الأشياء هناك روحانية ، إنها معنى فى معنى فى معنى .
- إن الصورة ظل والمعنى هو الشمس ، والنور بلا ظل يكون فى الخراب .
- وعندما لا تبقى فيها لبنة فوق لبنة ، لا يبقى لنور القمر ظل قبيح .
- واللبننة وإن كانت ذهبية فهي جديرة بالاقتلاع ، ما دام ثمن اللبننة هو الوحي والنور.
- والجبل منذك من أجل دفع الظل ، والتمزق إرباً قليلاً من أجل هذا النور .
- ٤٧٦٥- وعندما سطع نور الصمد على ظاهر الجبل اندك ، فما بالك لو سطع على داخله ! .
- والجائع عندما وقع على كفه رغيفاً من الخبز ، تفتتح من الهوش عيناه وفمه !.
- إن هذا يساوى التمزق إلى مئات الآلاف من القطع ، فانهضي من بين الفلك أيتها الأرض !
- حتى يصبح نور الفلك محرقاً للظل ، إن الليل من ظلك يا متمرداً على النهار .
- وهذه الأرض مثل مهد الأطفال ، تضيق بالبالغين .
- ٤٧٧٠- ولقد سمى الحق الأرض مهداً للأطفال ، وفى المهد يهب الأطفال اللبن.

- ولقد ضاقت هذه الدار بالمهاد ، فاجعل الأطفال بالغين سريعاً أيها الملك^(١) .
ويا أيها الملك ، لا تجعل الدار ضيقة ، حتى يستطيع البالغ الحركة!

الوسوسة التي حدثت لدى الأمير بسبب الاستغناء

والكشف الذي كان قد وصل لقلبه من الملك ، وانتوائه الجحود والعصيان ،

ومعرفة الملك نواياه عن طريق الإلهام والسر وتألم قلبه ،

وإصابه الأمير بضربة بحيث لا يكون عنده خبر عن صورة الملك ..، إلى آخره

- وعندما صار مسلماً له دون بيع أو شراء ، أن يكون قوت لروحه من باطن الملك .

- أخذ يتقوت من نور روح الملك ، قمرُ روحه ، كما يتقوت القمر من الشمس .

٤٧٧٥- وأخذ الراتب الروحي يصل لحظة بلحظة من الملك الذي لا ند له إلى روحه الثملة .

- ليس مما يأكله المسيحى أو المشرى ، بل من ذلك الغذاء الذى تأكله الملائكة .

- لقد رأى الاستغناء داخل نفسه ، فصار الطغيان نابعاً من الاستغناء .

- وتساءل : ألسنت أنا ملكاً أو أميراً ، فكيف أسلمت قيادى إلى هذا الملك ؟!

- وما دام عندى قمر ذو ضياء ، فكيف أكون تبعاً لغير ؟!

٤٧٨٠- والماء فى جدولى ، والوقت وقت الدلال ، فلماذا احتمل دلالاً من الغير دون حاجة إليه ؟

- ولماذا أربط رأسى ما دمت لا أعانى الصداغ ، وما دام وقت الوجه الشاحب والعين الدامعة لم يبق .

(١) ج : ١٤ / ٥٦٥ :

- ويا أيها المهد لا تجعل الدار ضيقة ، حتى يستطيع البالغ السير دون تعطيل !

- وما دمت قد صرت حلو الشفة وخدى كالقمر ، ينبغي على إذن أن أفتح حانوتاً آخر^(١) .

- ومن هذه الأتية ، عندما أخذت النفس فى التولد ، أخذ يتفوه بمئات الآلاف . من أنواع الهراء .

- إن مائة صحراء من هذا الصوب ، للحرص والحسد ، لكن عين السوء تصل إلى ذلك المكان أيضاً .

٤٧٨٥- وبحر الملك الذى هو موئل لكل ماء ، كيف لا يدري ما هو فى السيل وما هو فى الجدول!!؟

- لقد تألم قلب الملك من مكره ، ومن جحود عطائه البكر .

- قال : آخر الأمر أيها الخسيس واهى الأدب ، أهذا جزاء عطيتى ؟! يا للعجب!! .

- فماذا أعطيتك أنا من هذا الكنز النفيس ، وماذا فعلت أنت معى من الطبع الخسيس ؟!

- لقد وضعت فى جوانحك قمراً لا غروب له إلى يوم الحساب .

٤٧٩٠- وفى مقابل هذا العطاء الطاهر ، القيت فى عيني التراب والشوك .

- ولقد صرت سلماً لك إلى الفلك ، وصرت أنت فى قتالى سهماً وقوساً .

- لقد ظهر ألم الغيرة عند المليك ، وانعكس ذلك الألم فيه ووصل إليه .

- وخفق طائر الدولة عتاًباً له ، وتمزق حجاب تلك الناحية المدبرة .

- وعندما رأى باطنه ذلك الفتى الطيب ، وفيه من سوء عمله غبار وأثر .

(١) ج : ١٤ / ٥٨٤ :

- لى قد كلسرو ووجه كالقمر ، فأين يوجد أمير" متى الآن ؟!

٤٧٩٥- وذلك الراتب من اللطف والإتعام قد قل ، امتلاً منزل سروره بالأحزان .
- عاد إلى وعيه من سكر العقار ، ومن ذنبه ذاك صار رأسه موضعاً
للخمار^(١) .

- لقد أكل القمح ، وعرى عن ثيابه ، وصار الخلد عليه بادية ومهممه .
- لقد رأى أن تلك الشربة قد أمرضته ، وأن سم هذه "الأنبيات" قد فعل مفعوله .
- والروح التي هي كالطاووس في روضة الدلال ، صارت كالبومة في خرابة
المجاز .

٤٨٠٠- ومثل آدم ، ابتعد عن الجنة ، وأخذ يسوق بقرة على الأرض من أجل
الحراث .

(١) ج : ١٤ / ٥٨٧ :

- إن كل من رأى نفسه في طريق الحبيب ، ترك اللب كلية ورأى القشر
- فلا كان عدوى في الدنيا ناظراً لنفسه ، فمن الناظر لنفسه لا يأتي إلا الفساد
- وقد حرمت الخمر في الدنيا ، لأنك إن شربتها صرت ناظراً لنفسك على الفور
- ومن الأفضل ألا يأتيك تصور لنفسك ، وكل هذا متولد من النفس المغرورة
- إن من يشرب مع نفسه الخمر وتكون حاضرة ، يكون مثل هذا الشارب ذليلاً مرتداً
- ومن يشرب معه فخره حلال ، لأنه من يتنفس بدونه نفسه وبال
- ولأن أشرب معه من كأس "هو" ، أفتح عيني فأرى وجهه
- وبعدها أنقطع عن نفسي تماماً ، وهذا هو ما أخذه من شرب الخمر
- ويا من تريد أن تنقطع عن نفسك ، حتام أنت في قيد هذه الروح والقلب
- أسلم روحك للأحبة يا حبيبي ، حتى ترى الحبيب الذي يؤلم قلبي
- اعط القلب للحبيب وكن حراً ، وكن متجرعاً لأحزانه سعيداً به
- ولا تجعل نفسك منتصرة عليك ، فافطمها سريعاً عن اللبن
- وكل ما هو موجود في هذا أكثر يقينا ، سواء كان لبناً أو خمراً أو عسلاً
- لقد كان سكر القمح ذاك أيها الانسان ، هو الذي جعل الانسان ذلك الجهول .

- أخذ يذرف الدمع ويقول قائلاً : أيها الهندي القوى ، لقد جعلت الأسد أسيراً لذيّل بقرة .

- وقمت أيتها النفس بفعل سيئ سمج ، أتكونين جحوده مع الملك المغيث ؟!
- لقد اخترت الفخ من حرصك على القمح ، فصارت كل حبة قمح عقرباً لك .
- وحط هوى الأنية في رأسك ، فانظري القيد على قدمك يزن خمسين مناً .
- ٤٨٠٥- أخذ ينوح على هذا النمط على روحه قائلاً : لماذا انقلبت على مليكى ؟
- وعاد إلى وعيه واستغفر ، واستعان مع الإثابة بشيء آخر .
- فارحم الألم الذي يكون من خوف الإيمان ، فذلك الألم لا علاج له .
- فلا كان للإنسان رداء صحيح ، فهو عندما نجا من الصبر بحث في الحال عن الصدر

- ولا كان للإنسان قبضة أو أظافر ، فهو حينذاك لا يفكر في دين أو في سداد .
- ٤٨١٠- وأولى بالإنسان أن يكون قتيلاً بالبلاء ، فالنفس كافرة بالنعمة وضالة^(١) .

خطاب الحق لعزرائيل : أي الناس الذين قبضت أرواحهم ،

أشفقت عليهم أكثر؟ وجواب عزرائيل على الحضرة الإلهية

- قال الحق لعزرائيل : أيها النقيب ، على من أشفقت من كل حزين كئيب ؟
- قال : إن قلبي يشفق عليهم جميعاً بألم ، لكني أخاف من إهمال الأمر .
- حتى لأقول : ليت الله تعالى قد جعلني فداءً عوضاً للفتى .

(١) ج : ١٤ / ٥٨٨ :

- والنفس الكافرة لا تعطى الأمان ، لقد طغت عندما فرغت من هم الخبز
- وأفضل للإنسان أن يكون مبتلى ، لأنه آنذاك يكون مسكيناً عاجزاً مضطراً .

- قال : على من أشفقت أكثر ، على من صار قلبك أكثر شفقة واحترافاً ؟
- ٤٨١٥- قال: ذات يوم أغرقت سفينة بالموج العالى بأمرك حتى تحطمت إرباً .
- ثم قلت لى : إقبض أرواح الجميع ، اللهم إلا امرأة وطفل من هذا الجمع .
- وبقي كلاهما على لوح من الخشب ، أخذت الأمواج تتلاعب به^(١) .
- ثم قلت : اقبض روح الأم ، واترك الطفل وحيداً بالأمر الإلهى .
- وعندما فرقت بين الطفل والأم ، أنت نفسك - يا إلهى - تعلم أية مرارة أحسست بها .
- ٤٨٢٠- لقد رأيت دخان مآتم عظيمة ، لكن المرارة على ذلك الطفل لم تذهب عنى .
- قال الحق : لقد أمرت الأمواج ، وقلت لها : ألق بهذا الطفل على غابة .
- غابة مليئة بالريحان والسوسن والورود ، ومليئة بالأشجار المثمرة ذات الأكل.
- وعيون الماء الزلال ، وريبت الطفل بمئة عزّ ودلال .
- ومئات الآلاف من الطيور المغردة حسنة الأصوات ، ألقت فى تلك الروضة بمئات الألحان .
- ٤٨٢٥- جعلت فراشه من أوراق العليق ، وجعلته آمناً من صدمات الفتن .
- قلت للشمس لا تخزيه، وقلت للريح: هبى عليه الهوينى .
- وقلت للسحاب لا تمطر عليه ، وقلت للبرق ، لا تبرق عليه بحدة .
- ولا تحمل أيها الشتاء الاعتدال عن هذه الروضة ، ولا تتحسس أيها الصقيع هذه الروضة بيدك .

(١) ج : ١٤ / ٥٩٤ :

- لأن الريح عندما تلقى هذا اللوح على الساحل ، سوف يفرح القلب لنجاتهما معاً .

كرامات الشيخ شيبان الراعي

قدس الله روحه العزيز

- مثل شيبان الراعي ، عندما كان يذهب لصلاة الجمعة ، كان يخط دائرة حوله قطيعه ، تحفظه من الذئب .

٤٨٣- حتى لا يخرج حروف من ذلك الخط ، ولا يدخله ذئبٌ أو لص مؤذ .

- وذلك على مثال دائرة تعويذة هود ، كانت أماناً في داخلها لأهله من الريح الصرصر .

- وقال لهم : توقفوا داخل هذه الدائرة ثمانية أيام ، وشاهدوا المثلة التي تدور خارجها .

- كانت تحمل "الشخص" في الهواء وتلقى به على الحجر ، حتى تمزق العظم واللحم وتفصلهما عن بعضهما .

- وكانت تخطط الجماعة ببعضها في الهواء ، حتى تتساقط عظامهم كالخشخاش .

٤٨٣٥- إن ذلك العقاب الذي ترتعد منه السماء ، لا يتسع المثوى لشرحه .

- فان كنت تقومين بهذا على أساس الطبيعة أيتها الريح الباردة ، فحومي حول خط هود ودائرته^(١) .

- ويا مؤمناً بالطبيعة ، أنظر إلى هذا الملك الإلهي على أنه فوق الطبيعة ، وإلا فتعال وامح هذا من المصحف .

- وامنع المقرئين من قراءتها وسد أفواههم ، أو عاقب من يعلمه وارمه بسهم .

(١) ج : ١٤ / ٥٩٧ :

- وإذا كان الذئب يفعل هذا من حرصه ، فقل له تعال مارس إيذاء فيما وراء خط الراعي .

- إنك عاجز ، وحائر ترى من أين هذا العجز ، وعجزك انعكاس لعجزك فى يوم الجزاء .

٤٨٤٠- وكان لك فيما سبق أنواع من العجز أيها العنيد ، وقد حان الآن وقت خروج ما قد خفى.

- وسعيد ذلك الذى يكون العجز والحيرة قوتاً له ، فهو نائم فى الدارين فى ظل الحبيب .

- لقد رأى العجز ، سواء فى هذا الإصطبل ، أو فى الدار الآخرة ، وصار ميتاً ، واختار دين العجائز .

- مثل زليخا ، عند سطع عليها "تور" يوسفها ، وجدت الطريق وهى فى الشيخوخة إلى الشباب .

- إن الحياة فى الموت وفى المحنة ، وماء الحيوان فى باطن الظلمة ^(١)

عودة إلى قصة تربية الحق تعالى للنمرود

فى طفولته دون أم أو حاضنة

٤٨٤٥- والخلصة ، أن هذه الروضة كانت كبستان العارفين ، آمنة من رياح السموم والريح الصرصر .

- وكان لنمرة جراء وليدة ، فقال لها أَرْضِعِيه ، وأطاعت الأمر .

- فأَرْضَعْتَه وقامت على خدمته ، حتى صار بالغاً عظيماً ورجلاً ضخماً .

- وعندما بلغ الفطام، أمرتُ الجن حتى يعلموه النطق والحكمة !

- وربيتَه أنا فى تلك الروضة ، فمن قال أن فضلى يستوعبه كلام ؟

(١) ج : ١٤ / ٥٩٧ :

- وكذلك فإن النمرود ، وضع تلك الألفاف تحت قدميه ، من جهله وعماه .

٤٨٥- لقد أعطيت أيوب عليه السلام حنان الأب من أجل أن يستضيف الدود دون أن يلحق به الضرر .

- ووهبت الدود عليه حنان الولد على أبيه ، هاك قدرتي ، وهاك يدي .
 - ولقد علمت الأمهات السهر "على أولادهن" فكيف يكون اللطف الذي أشعله أنا؟
 - لقد قمت بمائة عناية ومائة صلة ، حتى يرى لطفى دون واسطة!
 - وحتى لا يكون فى صراع من أجل السبب ، وحتى تكون كل استعانة له منى .
- ٤٨٥٥- وإلا ، فلم يكن لديه العذر قط ، ولم تكن لديه شكوى من كل صديق سوء .

- لقد رأى هذه الحضانة بمائة صلة ، وربيته أنا دون واسطة .
 - والشكر الذى أداه لى أيها الجليل ، أنه صار النمرود محرق الخليل .
 - مثلما قام هذا الأمير بشكر الملك بالاستكبار واستكثار الجاه .
 - متسائلاً : لماذا أصبح تابعاً لغيرى ، ما دمت صاحب ملك وإقبال جديد . ؟
- ٤٨٦٠- ومن تجبره خفيت على قلبه مثل الألفاف التى حباه بها الملك وسبق ذكرها .

- مثل النمرود ، الذى وضع تلك الألفاف تحت قدميه من جهله وعماه .
 - وصار فى هذا الزمان كافراً يقطع الطريق ، وتكبر وادعى الألوهية .
 - وانطلق صوب السماء ذات الجلال ، مع ثلاثة من النور ، لى يقاتلنى .
 - وقتل مئات الآلاف من الأطفال دون ذنب ، بحثاً عن إبراهيم من بينهم .
- ٤٨٦٥- إذ قال له المنجم إن فى أحكام العام أن يولد طفل سوف يقوم بقتالك .
- فهيا ، احتط لدفع هذا الخصم ، فكان يقتل كل من يولد تخبطاً .
 - وبرغم أنفه ، نما الطفل المتلقى للوحى ، وبقيت دماء الآخرين فى عنقه .

- فهل ورث ذلك عن أبيه ، ويا للعجب ، حتى أعطاه غروره ظلمات النسب ؟!
- فإذا كان الأب والأم قد صارا حجاباً بالنسبة للآخرين ، فقد وجد منا ايضاً الجواهر فى جيبه.

٤٨٧٠- إن النفس السيئة ذئب مفترس يقيناً ، فأية حجة تلصقها بكل قرين؟

- إنها فى الضلالة قلنسوة لمائة أقرع ، النفس القبيحة شديدة السفه، الكفور .
 - ومن هنا أقول لك أيها العبد الفقير ، لا ترفع القيد عن عنق الكلب .
 - ولو درب هذا الكلب ، فهو أيضاً كلب ، ولتكن نفسه ذليلة ، فهو سيئ الأصل .
 - وانك تقوم بالفرض كما ينبغى إن كنت طائفاً حول سهيل ، كالأديم الطائفى .
- ٤٨٧٥- حتى يشريك السهيل من شر الجلد ، وحتى تصبح كالخف قريناً لقدم الحبيب .

- والقرآن كله شرح لخبيث النفوس ، وانظر إلى المصحف، فأين عينك تلك ؟!
- ذكر النفوس التى تشبه نفوس قوم عاد ، التى وجدت الأداة ، فأخذت تبذل كل ذكائها فى قتال الأنبياء.
- وقرناً بقرن من شؤم النفس عديمة الأدب ، كان أهلوها يضرمون النار فى الدنيا .

عودة إلى تلك القصة حيث تلقى الأمير ضربة

خفية من خاطر الملك فغادر الدنيا قبل استكمال الفضائل

- أقصر القصة ، فان غير ذلك الغيور ، حملته بعد سنة واحدة إلى القبر .
- ٤٨٨٠- وعندما صار المليك من المحو نحو الوجود ، كان عينه المريخية قد شكلت ذلك الدم .

- وعندما نظر إلى جعبته ذلك الذى لا نظير له ، رأى أن سهماً قد نقص من جعبته .

- فقال : أين ذلك السهم ؟ وسأل الحق ، فقال له : إن ما فى حلقه من سهمك .

- وعفا عنه ذلك الملك الذى قلبه كالبحر ، لكن السهم كان قد أصاب منه مقتلاً .

- وقتل ، فأخذ ينوح عليه ، انه هما معا ، القاتل وولى "الدم".

٤٨٨٥- وان لم يكن هو كليهما ، فهو ليس كلياً ، هو قاتل الخلق وهو القائم عليهم بالحداد .

- وأخذ ذلك الشهيد شاحب الوجه يردد الشكر ، أنه أصمى الجسد، ولم يصم المعنى .

- والجسم الظاهر ذاهبٌ فى النهاية ، لكن المعنى سوف يعيش سعيداً إلى الأبد .

- إن ذلك العقاب وإن جرى فقد جرى على الجلد ، وذهب الحبيب بلا أذى نحو الحبيب .

- وإذا كان هو قد تمسك بأهداب سرج الملك ، فانه فى النهاية اتخذ الطريق من عين الكمال .

٤٨٩٠- وذلك الثالث الذى كان أكثرهم كسلاً ، قد اختطف الصورة والمعنى بالتّمَام^(١) .

(١) ج : ١٤ / ٦٠٧ :

- فأخذ الفتاة والملك والخلافة ، وهو جدير بها ان لم تبق فى عجب

- لقد صرت ملولاً من طول القصة ، أنا غريقٌ فى بحر المعنى وأنت عجول

- وذلك الأصغر من الذلة والعجز والضراعة ، وجد المقصود من الكريم مصرف الأمور.

وصية ذلك الشخص الذي قال إنه بعد وفاته

يؤول ماله إلى أكثر أولاده الثلاثة كسلاً

- كان أحدهم وهو يعاني النزاع ، قد قال موصياً قبل "أن تحضره الوفاة" .
- كان له ثلاثة من الأبناء كالسرو المشوق ، وكان قد أوقف عليهم روحه ونفسه .
- قال : إن كل ما فى يدي من مال ومتاع ، يأخذها من بعدى أكثر أولادى الثلاثة كسلاً .
- تحدث بهذا إلى القاضى ونصح كثيراً ، ثم شرب كأس الحمام .
- ٤٨٩٥- قال الأبناء للقاضى: أيها الكريم ، إننا لن نتجاوز حكمه ، نحن ورثته الثلاثة .
- إننا مثل إسماعيل ^{عليه السلام} ، لن نعصى إبراهيم الخالص بنا حتى ولو أراد ذبحنا .
- قال القاضى : إن كل واحد منكم عليه أن يستحضر عقله ، ثم يروي لنا حكاية عن كسله .
- حتى أرى كسل كل واحد ، واعرف حاله دون شك.
- أن العارفين هم أكسل من فى الدارين ، ذلك أنهم يحصلون على البيدر دون حراثة .
- وإن أمر الله لا يراه العوام ، ومن ثم لا يستريحون من الكد ليل نهار^(١) .

(١) ج : ١٤ / ٦١٢ :

- انهم بالنسبة لأمر الدنيا أكسل الجميع ، وفى طريق العقبي يخطفون الكرة من القمر
- وهذا يختاره كل من كان رشيداً ، انتبه فقد ذهبت الدنيا وبقيت العقبي
- فقال القاضى للكبير هيا قص عن الكسل يا طالباً للمال .

- هيا حدثوني عن حد الكسل ، حتى أعلم حده عندكم من كشف أسراركم^(١) .
- فلا شك إن كل لسان حجاب على القلب ، وعندما يتحرك الحجاب تصل الأسرار .
- ٤٩٠٥- والحجاب الصغير الذى يشبه شريحة من الشواء ، لا يغطى صورة مائة شمس .
- وإذا كان بيان النطق كاذباً أيضاً ، فإن الرائحة تنبئ عن صدقه وكذبه .
- وذلك النسيم الذى يأتى فى الرياض ، ظاهر ومتميز عن سموم مستودع القمامة .
- ورائحة الصدق ، ورائحة الكذب الذى يأخذ بالمخدوع ، واضحتان- فى النفس كالمسك والثوم^(٢) .
- وإن لم تكن تعرف الصديق من تلونه ، فاشك إذن من مشامك الفاسدة^(٣) .
- ٤٩١٠- وأصوات المختئين والشجعان الأبطال ، ظاهرة كأنها فنون الثعالب والأسود^(٤)
- أو أن اللسان هو مثل غطاء القدر ، عندما يتحرك ، تعلم أى طعام قد طبخ .
- ومن بخاره يعرف المخ الذكى ، قدر الحلوى من قدر السكباجية الحامضة .

(١) ج : ٦١٢ / ١٤ :
- هيا فصل الكلام عن حد الكسل ، حتى أعلم إلى أى حد أنت كسول .

(٢) ج : ٦١٣ / ١٤ :
- ورائحة الإخلاص والنفاق الذى لا طعم له ، ظاهران كالعود والصمغ .

(٣) ج : ٦١٣ / ١٤ :
- وإن لم تعلم العجوز من الحسناء ، فلا شك أن عينك فسدت
- وإن لم تعرف السكر من الصبر ، فلا شك أن حس ذوقك قد خدر
- وإذا تساوى عندك صوت البلبل من الغراب ، فلا شك أن حس السمع منك قد خرب
- ولو تساوى السمر مع القنفذ ، فلا شك أن حس اللمس قد غادر

(٤) ج : ٦١٣ / ١٤ :
- فاحتل بحواسك وعلمها ، ثم اطلب الطريق وتقدم فيه .

- وعندما دق الفتى بيده على القدر الجديد عن شرائه وجده مكسوراً .
- قال : إننى أعلم المرء فى الحال من فمه ، وإن لم يتحدث أعرفه خلال ثلاثة أيام .
- ٤٩١٥- وقال ثان : إذا تحدث أعرفه ، وإن لم يتحدث ، أستدرجه فى الحديث .
- قال : انه إذا كان قد سمع عن هذا المكر ، فإنه يضم شفتيه ، ويستمر فى الصمت^(١)

مثل

- مثلما قالت تلك الأم لطفلها ، لو أن خيلاً اقترب منك بليل ؛
- أو رأيت فى الجبابة أو فى أى مكان مخيف ، شبحاً أسود شديداً الحد ؛
- فكن شجاعاً واهجم عليه ، فإن يتحول عنك سريعاً .
- ٤٩٢٠- ذلك أن كل من مضى صوبه بلا خوف ، هرب منه ذلك الخيال الذى يشبه الشيطان سريعاً .
- قال الطفل : وماذا يكون الحال لو أن أم ذلك الشبح الذى يشبه الشيطان قالت له مثل هذا القول ؟
- وأحمل عليه ، فيقع هو فى خناقي ، بأمر من أمه ، فماذا على أن أفعل آنذاك ؟
- إنك تعلميننى أن أصمد فى الوقوف ، ولذلك الشبح القبيح أيضاً أم .
- والملق للشيطان والناس هو ذلك الواحد ، وبه يصير غالباً ان كان خصمه أقل .

(١) ج : ١٤ / ٦١٣ :

- قال : قل له امض إلى الأرض السابعة ، وليكن هذا الحال مخفياً على إلى الأبد
- وإن لم أعلم حال تسلم واحد أى ضير ، وأى نقصان يكون لدينى منه ؟

- ٤٩٢٥- فإلى أية ناحية يمضى ذلك الحليم ، امض بالله وكن على تلك الناحية .
- قال ذلك الشخص : أنه إن لم يتحدث من مكره ، وكان عارفاً بحيلتى ذلك الهمام .
- فكيف تعرف سره ؟! أصدقنى القول ، قال : أجلس أنا أيضاً صامتاً أمامه .
- وأجعل الصمت سلماً لى نحو الدرج ، حتى أصعد ، فالصبر مفتاح الفرج^(١) .
- وأن يفور من حضوره من قلبى ، منطق خارج عن سرور أو حزن .
- ٤٩٣٠- أعلم أنه أرسله إلى ، من ضميره الذى هو كسهيل اليمانى!!
- وأن ذلك الكلام فى قلبى من تلك الميمنة ، ذلك أنه من القلب إلى القلب كوة^(٢) .
- وعندما وصل الكتاب إلى هذا الموضع بفضل الله ، ختم والله أعلم بالصواب^(٣) .

تمت ترجمة الكتاب السادس والأخير من مثنوى

مولانا جلال الدين

- (١) ج : ١٤ / ٦١٣ :
- فإن لكل صبر ظفر فى النهار ، وهناك يوم يكون فيه الشهد من بعد المرارة .
- (٢) ج : ١٤ / ٦١٨ :
- ويتبقى شرح هذا الكلام ، لكنه حبس فى الباطن لا يخرج أبداً
- واتنى أطاطيء العنق لعظمته ، وامتن على جسدى وعلى قلبى
- وعندما سقطت الشمس من كوة القلب ، ختم المثنوى ، والله أعلم بالصواب .
- (٣) البيت مضاف من نسخة يوسف بن أحمد المولوى "المنهج القوى لطلاب المثنوى" الكتاب السادس ص ٦٤٩ . (القاهرة ، المطبعة الوهية ، ١٢٨٩ هـ)

شرح و هوامش

المقدمة :

- البيانات : هي الدلائل ، ، وهي البراهين ، فالمثنوى من هذه الناحية هو المعنى لحقائق العالم .

- على نور مصباح المثنوى يمكن الاهتداء إلى الحقائق المعنوية (آية ٣٥ ، سورة النور)
- الحس الحيوانى : المقصود الحواس الخمسة الظاهرة التى تعمل فى العالم المادى ، ولا سبيل لها إلى درك العالم الروحانى ، وأسفل سافلين تعبير مأخوذ من سورة التين والمقصود به أدنى مراتب سير الروح الإنسانية وينزل الإنسان إليها إذا كنت الدنيا كل همه ومبلغ علمه . (انظر الكتاب الخامس ، الترجمة العربية لكاتب هذه السطور ، الأبيات ٩٦١ - ٩٧٤ وشروحها)

- عمارة الصورة السفلى ، أى عمارة الدنيا وكل ما يتعلق بها .
- لكل نجم قدراً ... إلى آخره : قال تعالى : ﴿ والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون ﴾ (يس / ٣٨) . قال نجم الدين : " وشمس نور الله تجرى لمستقر لها وهو القلب ذلك المستقر تقدير العزيز الذي لا يهتدى إليه أحد إلا به العلم الذي يعمل حيث يجعل رسالة ، ويشير بالقمر إلى القلب أيضاً فالقلب كالقمر ، فمن استقامة النور من شمس الروح أولاً ومن شمس شهود الحق تعالى وله ثمانية وعشرون منزلاً على حسب حروف القرآن كما أن للقلب ثمانية وعشرين منزلاً ، فالقلب ينزل كل حين منها المنزل وهذه أسماؤها : الألفة والبر والتوبة والثبات والجمعية والحلم والخلوص والديانة والذل والرافة والزلفة والسلامة والشوق والصدق والصبر والطلب والنظام والعشق والغيرة والفتوة والقربة والكرم واللين والمروعة والنور والولاية

والهداية واليقين ، فإذا صار إلى آخر منازلَه فقد تخلق بخلق القرآن واعتصم بحبل الله وله أوان أن يعتصم بالله ولهذا قال لنبيه ﷺ في قطع منازل العبودية ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ . ويقال للمؤمن في الجنة اقرأ وارق ، يعنى اقرأ القرآن وارتق مقامات القرب وبقوله حتى عاد كالعرجون القديم يشير إلى سير قمر القلب في منازلَه فإذا ألف الحق في أول منزلة ثم سر بالإيمان والعمل الصالح ثم تاب توجه إلى الحضرة ، ثم إن ثبت على ذلك التوجه حصل له الجمعية مع الله فيستنير قمر قلبه بنور ربه حتى يصير بداراً كاملاً ، ثم يتناقص بنوره من شمس شهود الحق قليلاً قليلاً كلما ازداد نوره من الشمس ازداد في نفسه نقصاناً إلى أن يتلاشى ويختفى ولا يرى له أثر ، وهذا هو مقام الفقر الحقيقي وبقوله " لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر " يشير إلى أن القمر عند تلاشي وجوده وفقره عن الوجود وإن كانت الشمس تفنيه بوجودها وتنوره بنورها لا تدرك القمر لتصبر القمر بتوجهه إلى شمس شهود الحق تعالى ينور بنورها ، ولكن لا يصير الرب عبداً ولا العبد رباً ، وكل في فلك يسبحون ، فالرب يسبح في فلك الربوبية والعبد في فلك العبودية ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً (مولوى ٦ / ٤) وأساس الكون هو النظام والانتظام .

- عصمنا الله من حبسه ... إلى آخره : أى عصمنا الله من حبسه الحواس الخمسة الظاهرة والخمسة الباطنة في مرتبة الحيوانية ومن الشهوانية ، حتى لا تحبس عن مشاهدة حقائق الكون والحجاب هو كل ما وقف دون الحقيقة .

(١-٩) : بالنسبة لحسن حسام الدين انظر الترجمة العربية للكتاب الأول ، مقدمة المترجم . والقسم السادس هو هذا الكتاب السادس والأخير من المثنوى المعنوى ، ولأن المثنوى هو اقتراح حسن حسام الدين وقد أملى عليه . فهو الذي يجنبه ، وهو الذي يوحى به ، وهو الذي لا يفتأ يطالب مولانا جلال الدين بأن يتمه (عن الجذب وقيمة المستمع بالنسبة لقول

الأستاذ ، انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٣٦٠٤-٦٣١٤ وشروحها) . وحسامي نامہ اسم من أسماء المثنوى لم ينتشر كثيراً ، ولعل مولانا يشير بانه من الأجدر أن يسمى المثنوى حسامي نامہ مثلما يسمى الديوان الكبير " ديوان شمس تبريز " على اسم شمس الدين التبريزي ، وعن أن هذا الكتاب السادس هو تمام المثنوى بنص مولانا جلال الدين صراحة، وبعد انتهاء مولانا من نظم هذا الكتاب السادس (سنة ٦٦٨ هـ) ظل السنوات الأربعة الأخيرة من حياته لا ينظم شيئاً (توفي سنة ٦٧٢ هـ) ومن ثم فإن ما دار حول ظهور جزء سابع ، ونسبه لمولانا ، أمر غير ثابت ، بل إن هناك من يرى أن الأبيات الأخيرة من الكتاب الخامس كانت تشير إلى أن مولانا كان ينوي أن يختم المثنوى عند الكتاب الخامس، وانه قدم الكتاب السادس هدية لحسام الدين (عبد الحسين زرین كوب : سرنی ، جلد ١ ، ص ٣١ ، تهران ج ٣ ، سنة ١٣٦٨ هـش) ومع ذلك ففي البيتين رقم ٦ و رقم ٧ يعد مولانا بانه إذا وصل الأمر ، سوف يفيض علينا ببيان أقرب من بيان المثنوى ، وهو ما لم يقدمه مولانا والمقدمة هنا وما سيرد في متن الكتاب يشير إلى أن الكتاب السادس هو الكتاب الأخير بالفعل ، هذا وإن كانت الكتب الخمسة السابقة قد لقيت ما لقيت من معارضة ، ولقيت أذانا بها وقر فإن هذا لا يعنيه في شيء ، فهذه الصحف الستة في مقابل الجهات الستة ، أو التي تملأ جهات العالم الستة موجودة ، وميسرة لقرائها ومن الممكن أن "يطوف بها" ككعبة لروحه في كل آن وزمان ومكان من لم يطف بها من قبل ، وعلى الداعية أن يدعو فحسب ، وليس له شأن بقبول الناس أو ردهم .

(١٠-٢٢) : ورد مثال نوح ~~عليه السلام~~ في المثنوى أكثر من مرة ، بحيث استخدم مولانا تعبير الدعوة النوحية إشارة إلى الدعوة المستمرة والتي لا شأن لها بقبول الناس أو ردهم ومثال : الكلاب تنبح والقمر في سيره ، أو الكلاب تنبح والقافلة تسير ورد من قبل في الكتاب الرابع (انظر الأبيات ١٤٦٥ وما بعده) . والمثال هو " لا يضر السحاب نباح

الكلاب " (معجم الأمثال العربية ، رياض عبد الحميد ، ج ٤ ، ص ٥٣ ، نشر جامعة محمد بن سعود سنة ١٩٨٦) . عن نوح عليه السلام ورد في القرآن الكريم ﴿ ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون ﴾ (العنكبوت / ٤) روى ابن عباس : إن قوم نوح كانوا يضربونه حتى يسقط ويظنوه أنه قد مات فيخرج في اليوم الثاني ويدعو قومه ، وفي البيت ١٥ إن كل إنسان ميسر لما خلق له ، وإن هذه هي الخدمة التي عليه أن يقوم بها ، وهذا هو واجب المرشد ، فالشيخ في قومه كالنبي في أمته ، وعليه أن يثبت على دعوته مهما واجه فيها من عنت . هذا هو قدره وهذه هي مسئوليته ، بل كلما زاد الناس في الإعراض (الخل) عليه هو أن يزيد في مجهود الدعوة (السكر) ، ألم ينتصر نوح في النهاية ؟! وكيف لا ينتصر من يثبت على دعوته ، ومن يكون الحق تعالى ظهيره ؟!

(٢٣-٢٨) : يترك مولانا ضرب المثل بسيدنا نوح ، وينتقل إلى الأولياء ، وما للأنبياء الأولياء . إن الواحد منهم بمثابة ألف يستطيع أن يصمد للإنكار والاستهزاء والسخرية دون أن يحيد عن طريقه ، وتعبير واحد "كالألف" . ورد في مقصورة ابن دريد وفي شعر للبحترى ، كما وردت في حديث نبوى ، ففي الحديث النبوى : ﴿ ليس شئ خيرا من ألف مثله إلا الإنسان المؤمن ﴾ . وقال البحتري :

ولم أر أمثال الرجال تفاوتا لدى المجد حتى عد ألف بواحد

وفي مقصورة ابن دريد :

والناس ألف منهم كواحد وواحد كالألف إن أمر عني

(بديع الزمان فروزانفر : أحاديث مثنوى ، ط ٥ ، تهران ١٣٧٠ ، ص ١٨٤) . إنه عبد الله ، جسده بمثابة الدن ، لكن روحه متصلة بالبحر الأعظم دائما ما يأتيه منه المدد ، أي بحر ؟! إن البحار إذا شاهدت هذا البحر توارت خجلا وجياء ، إن هو إلا تقريب للمعنى ،

وإلا ، فما الصلة أصلاً بين عالمنا هذا والعالم الآخر الباقي ؟! إن هي إلا عبارات نستخدمها نحن ، وإلا فإذا كان يمكن التعبير عن المعاني التي نحتاج إليها في عالمنا هذا بنعيب الغريبان ، فذاك العالم في حاجة إلى تغريد البلابل نفس المشكلة التي يعود إليها مولانا جلال الدين (انظر تفصيلاتها في شروح الأبيات ٤٧٢٢-٤٧٣٦ من الترجمة العربية للكتاب الثالث من المثنوى لكاتب هذه السطور) .

(٢٩ - ٣٥) : لا ينفي مولانا عالم الوجود ، إن لكل منا دوره ومكانه ، وفي " هذا السوق " طبقاً للمشينة الإلهية ، وكل خلق لفائدة، ولم يخلق الله سبحانه وتعالى شيئاً عبثاً، بل من وجود هذه المتضادات تظهر القدرة الحقيقية لله سبحانه وتعالى ، فالشوك للنار ، والورد للمنتشي والخبث للخنزير ، والماء للتطهير ، والتعابين في الجبل والنحل أيضاً ، وإذا كان من يحسون بالمرارة يملئون العالم بالمرارة ، فالعالم أيضاً ملئ بشهد المشايخ والأولياء والمرشدين ، فإذا كان السم موجوداً فالترياق أيضاً موجود ، والقيمة الحقيقية في وجود هذه المتضادات و "الاختيار" بينها (انظر فكرة لكل نبات حوضه الخاص في البستان في الكتاب الرابع من المثنوى ، الترجمة العربية لكاتب هذه السطور ، الأبيات ١٠٨٣-١٠٩٢ وشروحها ، وفكرة أهمية وجود مغريات لكي يحقق الإنسان ذاته بمصارعتها في الكتاب الخامس ، الترجمة العربية لكاتب هذه السطور ، الأبيات ٥٧٥-٥٨١ وشروحها) .

(٣٦-٤٣) : إن هذا التضاد هو الذي يقوم عليه هذا العالم ، هذا الصراع القائم بين متضادات العالم ، هذا الاختلاف وهذا التناقض هو أساس هذا العالم وهو قدره ، وهذه الحرب بين كل ذرة من ذرات هذا العالم والذرة الأخرى هي قوام هذا العالم (قريب منها فكرة أن هذا العالم كله أكل ومأكول الواردة في مقدمة الكتاب الثالث ، انظر الترجمة العربية ، الأبيات ٣٠-٤٩ وشروحها) . وفكرة العظام الواردة في نهاية الأبيات هي نفس فكرة انتهاء الحرب بقاء الذرات في الشمس ، تماماً كما أن الحرب بين الإيمان والكفر واجبة . أو هكذا من

المفروض ، حتى الانتصار النهائي للإيمان . والانتصار النهائي لإيمان المؤمن هو في الفناء في حقيقة الوجود وأصله والبحر الذي فاضت عنه ينابيعه، كل الينابيع تعود إلى الجدول وهذا هو المعنى الحقيقي ، لقوله تعالى ﴿ إنا إليه راجعون ﴾ (البقرة / ١٥٦) ، الغرض إذ من هذا المثنوى أن يساعدك في العودة إلى أصولك ، تصبح وليدا لها من جديد ، تكف نفسك عن لبن الدنيا وترضع لبن الأصول (عن الفناء بالتفصيل انظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الثالث لكاتب هذه السطور تحت عنوان فلسفة البقاء في الفناء عند جلال الدين صص ١٣-٢٥) تترك هذا الماء المالح وتشرب من الماء الزلال ، وتأخذ أسرار الغيب من مصدرها .

(٤٤-٥٠) : الغول في مصطلح مولانا جلال الدين أي شيء يبعد العبد عن طريق الله سبحانه وتعالى ، والغول في الصحراء يضل القوافل ويجعلها تترك الجادة وتمضي إلى الطرق الفرعية ، وكثيرون هم الذين يمضون بعيداً عن جادة الدين وتتفرع بهم السبل والطرق ، إنهم يظنون أنهم يبحثون في "الأصول" الشرعية بينما هم في الحقيقة قد سقطوا بعيداً عن أصل الأصول التي ينبغي أن ينصرفوا إليها ، أما الأولياء والواصلون فإن حربهم وسعيهم وجهدهم مبذول للوصول إلى "عين الوجود" لا "صورة الوجود" . يقول السبزواري (٤١٢/٦) إنه لا يصح أن يقال في عين أو في نور العين ففي ليست موجودة والخطاب يا نور العين. ليست حروب أوليائنا- وأحسبه صحيحاً - مثل حروب هذه الدنيا ، وذلك لأن قلوبهم موجودة بين إصبعين من أصابع الرحمن يقابها كيف يشاء (انظر للحديث البيت ٧٧٩ من الترجمة العربية ، للكتاب الثالث وشروحه) وعين الوجود ناظرة في كل أمر من أمورنا إلى فعل الحق ، وهذا هو أساس الحرب الحقيقية التي يقوم بها الولي يهدف بها إلى الوصول إلى أصل الأصول، وهي غير تلك للحرب التي تقوم في هذا العالم . وفي داخل كل إنسان . ذلك أن العالم والإنسان كليهما قائم على عناصر أربعة متضادة ومتناقرة

ومتقابلة ، ترى المرء هادئاً في الظاهر وفي داخله ضجة وغوغاء بحيث يصرخ صرخة .
حافظ الشيرازي :

لن أدرى من يوجد في داخلي أنا صامت وهو في ضجة وصخب
أحوالك كإنسان وكبشر قائمة على عناصر متضادة هي التي تتقاتل فيما بينها ، ولا تنتهي
هذه الحرب إلا بنهاية هذا البناء القائم على العناصر ، وذلك الذي يكون وجوده قائماً على
الحرب داخله ، كيف يتواءم مع الآخرين ، ومن هنا فالحرب قائمة بين البشر ولا حرب بين
الأولياء فهم كنفس واحدة .

(٥٠-٦٦) : وانظر إلى أحوالك ، أنت منجذب بين ملاك وشيطان ، بين داعي الخير وداعي
الشر ، تتوالى عليك ، وأنت ممزق على رؤوس الطرق ، تجذبك حيناً الطاعة ، وحيناً
المعصية ، فهل تستطيع وأنت موزع هكذا ، أن تقوم بقتال الآخرين (العناصر؟) لكن هذا
الصراع هو ديدن البشر ، وهو طبيعة الحياة البشرية ، حياة الألوان المختلفة المتنافرة ، ولا
سلام حقيقي إلا عندما يشريك الحق ويخلصك من دار الحرب هذه ، وتمضي إلى دار السلام
﴿ لهم دار السلام عند ربهم ﴾ (الأنعام / ١٢٧) حيث لا أضداد ، ولا ألوان ، ولا فناء بل
بقاء سرمدي خالد ، وإن كنت لا تصدق فاقراً ﴿ لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً ﴾
(الإنسان/١٣) فنفي عنها الضدين هناك حيث تتصالح الأضداد ، وحيث عالم اللالون أي إنتقاء
ظواهر هذا العالم وصفاته (استعلامي ٢٢٧/٦ وانظر الأبيات ١١٢٧-١١٣٥ من الكتاب
الأول) ، وإن أصل كل لون موجود في هذه الدنيا موجود في العالم الآخر ، وإن الآلام تجد
مفهومها عندما تظهر أضدادها في العالم الآخر ، والعاشق يعلم طعم الفراق ، وكيف كان مرا
عندما يغادر دنيا الفراق إلى دنيا الوصال ، وعالم الأحزان إلى عالم السرور الباقي ، وأن
حروب العالم إنما تقوم على ابتعاد خلق هذا العالم عن الفطرة فكان الصلح والسلام هو الأصل
، والحروب هي الفروع ، والحروب والتناقضات من صراع العناصر ، لكن لما كانت

الروح من الكبرياء أي من الأوصاف الإلهية ، أو من النفخة الإلهية (انظر الكتاب الرابع البيت ٢٦٧٧ وشروحه) . هناك حروب أخرى إياك أن تعتبرها من قبيل حروب الدنيا ، وهي حروب الأنبياء ، أو الحروب التي قام بها رسول الله ﷺ ، المغازي ، فالمقصود بها الرحمة للعالمين ، أن يدخل الناس - ولو برغم أنوفهم - في رحمة الله سبحانه وتعالى ، فالرسول ﷺ مصداقا للحديث { ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه من شيء } " أحاديث مثنوى ، ص ١٨٥ " كانت حروبه سوقا للناس إلى الجنة (انظر الكتاب الثالث الترجمة العربية ، الأبيات ٤٥٥٠-٤٥٦٣ وشروحها) وفي البيت رقم ٦٦ : يقدم صورة أخرى للعبارة المشهورة " ما لا يدرك كله لا يترك كله " (انظر الأبيات ١٧-٢٠ من الكتاب الخامس وشروحها) .

(٦٧-٧١) : وإذا كنت غير قادر على البحار المعنوية لأنها ليست في متناول يدك ، فهناك أحد البحار المعنوية ، بل هو بمثابة الجزيرة وسط هذه البحار ، تنزه فيها ، وهذا لن يتيسر لك إلا عندما تنظر إلى هذا الجدول المعنوي بعد أن تفصل عن سطحه ما علق به من شوائب وأدران . فاعلم أن جسدك حزمة من التبن تحتها بحر الروح ، وإن كنت في الظاهر ذرة فأنت مائة شمس في الباطن (كليات ديوان شمس ، غزل ١٧٨٧ ، ص ٦٧٢) . حينذاك تسفر لك المعاني عن وجودها ، مرجانا وثمارا ، وهكذا المعاني دائما عندما تتجرد عن لباس اللفظ .

(٧٢-٨١) : في هذه الحالة ، هالك طريقة قراءة المثنوى إن كنت تريد أن تفهم منه شيئا ، إن جردته من الحكايات والصور والألفاظ ، يصبح المتحدث " الشاعر " والسامع " القارئ " والكلام " الشعر " كيانا واحداً ، وإذا كنت لا تستطيع أن تدرك هذا فاقارن بالطعام المادي بالخبز ، ألا يصير الأكل والاكل شيئا واحدا ويتحول هذا الخبز إلى معنى وروح ١٩ (انظر لتفصيل هذه الفكرة الكتاب الثالث : الترجمة العربية ، الأبيات ٤١٨٥-٤١٩٢ وشروحها) ،

حتى تعلم أن المعانى هي الثابتة ، وإن كان ثم مقامات ثلاث للصورة (الأخذ والعاطي والشئ نفسه) فإنها كلها تتوحد في المعنى ، والصور كلها تتحول إلى تراب ، لكن إياك أن تصدق أن المعنى أيضاً يمضى ، فالأعيان الثابتة مقيمة في عالم الروح ، وفي عالم الغيب وبامر الله قد تكون في صور وقد لا تكون ، والكلام هنا عن فلسفة جلال الكبرى في وحدة الوجود ، فالوجود الحقيقي وجود واحد نرى تجليه في هذا العالم (انظر الأبيات ٤٤٠-٤٥٢ وشروحها من الكتاب الرابع الترجمة العربية لكاتب هذه السطور) ، وقرأ في القرآن الكريم ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ (الأعراف / ٥٤) فالخلق هو الصورة ، والأمر هو المعنى والروح . التى هي من أمر الله ، فالأمر " الروح " هي الراكب ، والخلق " الصورة " ، الجسد " هي المركوب والجسد في هذا العالم " العتبة " والأمر في البلاط " عالم الغيب " وهذا هو التواصل المستمر بين العالمين (عن الراكب والمركوب ، انظر الكتاب الأول : الأبيات ١٩٧٧-١٩٧٩ وشروحها) . وهكذا فالجسد مجرد قدر ، إطار فارغ ، لكن عندما يريد له الحق الامتلاء ، يأمر الروح بامتطاء الجسد ، وهكذا عندما يستدعيها بأمرها بالنزول والعودة إلى المطلق (استعلامى ٢٢٨/٦) .

(٨٢-٩٠) : كعادة مولانا عندما يرى أن سياق الكلام سوف يجره إلى ما لا يقال ، أو ما لا يمكن التعبير عنه ، أو ما يكون فوق فهم الحاضرين ، وعادة ما يتحدث مولانا عن حسرته على قلة الفهم الصحيح ، " مت حسرة على الفهم الصحيح " (انظر الأبيات ٦٩٤ من الكتاب الأول و ٣٧٣٧ من الكتاب الثانى و ٢١٠٠ من الكتاب الثالث و ٩٠٤ من الكتاب الرابع) ويعبر عنها الأفهام القاصرة هنا بأنها القدور الصغيرة التى تغلى سريعاً ، وأولئك الذين لم يجدوا من بستان الغيب إلا النذر اليسير ، أو إلا الكلمات التى يخفى سبحانه وتعالى المعانى فيها ، لكن حتى هذه الرائحة ، إذا وصلت إلى مشامك تتبعها بوحيك ، فمن الرائحة تصل إلى أصلها وهى التى تحرك ، فحاذر أن نفقد الوسيلة إلى هذه الرائحة ، وأن نتوقف أنفك

المزكومة على الروائح الأخرى ، روائح الدنيا وأهواء النفس ، أو أن يفسد عليك عامى من
العوام غير المأذون لهم الأمور ، هؤلاء متيسون كالقديد على حبال الدنيا ، لم تشرق
عليهم شمس المعرفة فتحولوا إلى جبال من ثلج ، حتى كلماتهم متجمدة باردة لا تدل
على شئ .

(٩١ - ١٠١) : وعندما يزداد الثلج في الأرض ، فليس أمامك إلا أمثال " حسام الدين "
ليزيح سيفه المعنوى وحماسه للطريق وشوقه إلى إكمال هذا المثنوى ، ليزيح هذا الثلج من
فوق الأرض ، إن هذه الشمس المعنوية كفيلة بأن تزيل كل ثلوج الأرض ، وهى شمس لا
شرقية ولا غربية ، فهى كلها نور على نور (النور / ٣٥) والله يهدى لنوره من يشاء ،
إن أمثال هذه الشموس المعنوية تكون قذى لكل منجم ، فكيف يعرفها ومطالعها ليست
المطالع التى يعرفها ومسارها ليس المسار الذى يعرفه ، ومدارها ليس المدار الذى يتشوق
به ، ولذلك فهو يحول بينك وبين هذه الشمس المعنوية ، فقل له كما قال إبراهيم الخليل عليه السلام
﴿ لا أحب الأفلين ﴾ (الانعام/٧٦) . وهكذا فمن جاهليتك ظننت القمر إلها ، وقوس قزح
حزامه ، أتراك أصبحت غافلا عن أن القمر قد انشق ؟! (القمر / ١) وهل ينشق الإله ؟! وألم
تقرأ أيضاً ﴿ إذ الشمس كورت ﴾ (الشمس / ١) أو لم تمر بك آية ﴿ والنجم إذا هوى ﴾
(النجم / ١) كلها هذه الكواكب والنجوم لا أثر لها في مصير حياتك ، إلا بمقدار ما يؤثر
الخبز دون أن تضع في الحسبان إرادة صانع الخبز ، وألا يسبب الخبز نفسه الموت في
بعض الأحيان (انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٤٧٩٥-٤٧٩٧ وشروحها) وكذلك الزهرة
تأثيرها عليك لا يزيد عن تأثير الماء ، ألا يغص حلقك بالماء أحياناً ؟! إن حبك لهذه النجوم
والكواكب يجعل كل نصيحة أقدمها لك تذهب أنراج الرياح . إن الكلام موجه في هذه
الأبيات إلى علماء الدنيا أولئك الذين يربطون الأمور ببعض الظواهر والأسباب غافلين عن
المسبب .

(١٠٢-١١٢) : وهذا هو بالضبط موقفك من المثنوى ، الذي يعبر عنه مولانا هنا بأنه مجرد نصيحة ، إنه نجم الكتب وقمر المعاني ، بل إنه يسمو على شمس الدنيا ويزيد عليها ، لقد خضعت له الأفلاك والكواكب ولا خضوع لك ، وأنت لا تخضع له ولا تعترف به إلا إذا فتح الله عليك بمفتاح خاص ، يفتح أختام قلبك ، ويجعلك باحثاً عن الوحي ، فيناديك قائلاً : يا من استوعبك مكان تعال إلى اللا مكان ، فما عكوفك على علم التنجيم وعلى ما يقوله لك المنجم . في حين أن هذه الكواكب والأنجم تلقن ذلك المنجم الذي هجر الروح وعكف على الألوان والصور . إنه لا يزال يرصد وينجم وهو غافل عن مقاليد السموات . قال رسول الله ﷺ لما سئل عن المقاليد ، فأجاب : ﴿ لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير ﴾ (مولوى ٢٢/٦) .

(١١٣-١٢٨) : لا تزال النجوم في جملها مع المنجم منتصرة للمثنوى على اهتمامات المنجم ، إذا كان المطلوب هو أن تهرع إلى الروح فإن هذا الكتاب هو روح الروح ، وهو لب الفكر ، إن كنت طالباً للفكر ، وعلى كل فإن ما نسميه فكراً ، هو النور ، ولفظ الفكر يستخدم من أجل تقريب المعاني ليس أكثر ، إنها كلها أمور تقريبية ، وإلا فإن نجمنا هذا لا يستوعبه برج في الأعلى ، وما تحدثت عن النجوم والأفلاك إلا من أجل تقريب المعاني عند ثوى العقول التي تجمدت عند مقولات بعينها تظل تلوّكها ، وهي لا تزال تنادى العقل وهي لا تدرى أن هذا العقل عقّال وأنها عقول الدنيا ، لا تستطيع أن تفكر إلا في الدنيا ، إن الأمر كله ليس مثلاً لكنه مجرد مثال (عن الفرق بين المثل والمثال انظر البيت ٣٤٠٩ من الكتاب الثالث و ٤٦٢ من الكتاب الرابع وشروحها) ومهما كان العقل حاداً إلا أنه واهى القدم ، أي أن منطقة جولانه محدودة (أو بتعبير آخر لمولانا جلال الدين ، له قدم لكنها

قدم خشبية ، انظر الكتاب الأول البيت (٢١٣٨) وعن العقول وتصنيفها انظر الكتاب الرابع ،
الأبيات ١٩٦٠-١٩٦٨ وشروحها ، والأبيات ١٩٨٥-١٩٩١ وشروحها) . إن هؤلاء العلماء
المفكرين دائما ما هم في هوى أنفسهم ، كل مهمتهم أن يضحكوا في نواتهم ، لكن هناك
أملا في أن يرتفع هذا الصنف من العلماء عن نواتهم ، ألا يصبح المنى بشرا عندما يتصل
بالروح !! إذن على هؤلاء أيضاً أن ينظروا إلى مرحلة ما بعد وجودهم ، لأن كل مخلوق
ناظر إلى المرحلة التالية على مرحلة وجوده ، فالجماد يتجه إلى النباتية ، والنبات يتجه
إلى الحيوانية والحيوان يتجه نحو الإنسانية فلماذا لا تتجه الروح نحو الأحبة ، وتستقر في
الخلود (عن تفصيل المراحل ، انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٣٩٠٣ - ٣٩٠٩ وشروحها)
وبهذا البيت يختم مولانا جلال الدين المقدمة الشعرية للكتاب السادس والأخير من كتب
المثنوى ، تحدث فيها عن حسن حسام الدين الملهم والجانب الذي يمثل مجموعة المريدين
اللازمين للشيخ ، فلا شيخ بلا مريد ولا أستاذ بلا تلميذ ، ثم تحدث عن نظرية قيام هذا العالم
ما دام باقيا على الحرب ، ولا تتوقف الحرب إلا بالفناء في الله . ثم تحدث عن فئة من
العلماء والعقلاء والمنجمين يققون عن الأسباب ولا ينظرون إلى المسبب ومن ثم فهم
ينظرون إلى المثنوى بعين الاستخفاف والشك ، وفي النهاية لم يخف أمله من أن يرتقى
هؤلاء العلماء بعقولهم حتى يصب عليهم النور صبا ويصبحوا من المدركين للحكمة العليا .
(١٢٩ - ١٣٣) : الفكاهة التي تبدأ بهذا البيت قال استعلامي (٢٣١/٦) نقلا عن فروزانفر
(مأخذ / ١٩٧) أنها مستوحاة من بيت لسنائي ورد في الحديقة وهو " الطائر الذي يكون ذيله
صوب المدينة ورأسه صوب القرية ، يكون ذيله أفضل من رأسه (لم أتوصل إلى ترتيب
البيت وموضعه في الحديقة) وهمة الطائر مبذولة هنا إلى المدينة (العقل ... والطريق)
وليس إلى القرية (الجهل والنفس) (لتفصيلات حول هذا المعنى انظر الكتاب الثالث ،
الأبيات ٥١٧-٥٢٣ وشروحها) .

(١٣٤ - ١٣٧) : وهكذا الإنسان ، يكون بقدر همته وبقدر اهتماماته ، فهمته هي الجناح الذي يطير به ، فمن كانت همته الدنيا فقيمتها أيضاً تكون بقدر همته ، ومن كانت همته العشق سما به مهما تعرض في طريقه إليه من خير وشر ، والبازي حتى وإن كان أبيض وكان همه صيد الفئران ، فقد سقط من اعتبار الملك ولا يشفع له شكله ، والبومة وإن كانت ساكنة الخرائب وكان ميلها إلى الملك ، فهي بمثابة مائة بازي ، ليس الأمر بالصورة أو بالإدعاء ، لكن بالعمل (انظر عن الادعاء ١٤٣٩ وما بعده من الكتاب الثالث) . وثمة حديث رواه الأنقروى (٤٤٥/١-٦) [إن الله يحب معالي الهمم ويبغض سفاسفها] . وتوحي توصية جلال الدين بالهمة العالية والقوة والتسامي إلى سبقة الفلاسفة المعاصرة (عند نيتشه وفيخته مثلاً) في هذا المجال (جعفرى ١٤/١٠٠) .

(١٣٨ - ١٤٧) : والإنسان كرم على المخلوقات ورزق في البر والبحر ليس لخلقته، بل لأنه جدير بأسرار الغيب وإدراكها ، طموح على الدوام إلى الخروج عن وضعه ، تواق إلى الارتفاع عن جسده وعن إمكانات هذا الجسد ، لا تسعه الأرض على اتساعها ، فيجتاز طباق الجو ويمضى إلى أعماق البحار ، يستطيع أن يسمو على شهواته ونزواته ويصل إلى مرتبة الملائكية يميل دائماً إلى من يشاركه في هذا النفس ، حتى ولو كانت عجوزاً في الغابرين. إن الذي يجعلك تميل إلى عجوز ولا تميل إلى صورة هو أن في العجوز روحاً، هذه الروح هي التي تزوج روحك وتمتزج بها ومن هنا يحدث الميل ، ولو نفثت الروح في صورة الحمام لملت إليها ولهجرت العجوز (انظر الكتاب الثانى ، الأبيات ٧٠٣ - ٧٠٨ وشروحها) .

(١٤٨-١٥٩) : الحديث عن الروح ، ويعرض مولانا مراتب الروح فالروح عند مولانا ليست سوى الوعي والإدراك والمعرفة ، وكلما زادت معرفة الروح في إنسان ما بما هو خارج نطاق الاهتمامات المادية كان الجانب الروحي أقوى فيه ، الروح روح بقدر ما هي متصلة

بعالم الغيب وهذا هو ما يعبر عنه بالوعي والمعرفة أو بمعنى أصبح العرفان ، وإن لم تزدن الروح بهذه المعرفة وهذا الوعي لكانت قيمتها أقل من جماد ، فهي ليست روحا إلهية ، والروح الأولى هي الروح التي انبثقت منها الحياة كلها ، هي الروح المسموح لها بالحظيرة القدسية ، أما روح الروح فهي الوجود المطلق للخالق . وفي رأى سبزواري (ص ٤١٥) أنها النفس الكلية الإلهية ، وينقل البيت " لا أحد يدلك على نفسك كما هي إلا قلبي المسكين المغتم " . والروح تسمو دائما إلى الاتصال بها ، وليس وراء ذلك مطمح ، أما الروح الجديدة فهي روح آدم التي نفخها الله تعالى فيه وهي قادرة على إدراك الغيب ، والملائكة بالنسبة لها كأنهم الجسد ، ولم تكن هذه الروح موجودة عند إبليس ، ومن ثم لم يستطع الاتصال بالوجود المطلق ، كان عضو ميتا مبتور اليد ، عاجزا ، فلم يدرك سر أمر الله له بالسجود ، كان الخيط الذي يربط بينه وبين الله مقطوعا (الروح المشتركة) ومن ثم عصى ولم يفهم ، لكن هذا العصيان لم يكن لينقص شيئا من عالم الروح، فهي تزاوّل نشاطها دون تدخل من إبليس ، وهذا العضو المبتور المطرود من رحمة الله سبحانه وتعالى ، لا يصيب فعلها بأى خلل طالما كانت صلتها بالخالق وبروح الروح مستمرة .

(١٦٠ - ١٦٤) : بعد أن تحدث مولانا عن سر عصيان إبليس يريد أن يتحدث عن سر آخر ، لكن هذا السر الآخر ليس مبذولا لكل أذن ، فهو يريد أننا أخرى ، أننا باطنية غير هذه الأذن الظاهرة ، وخواص البيغاوات : أي أهل المعرفة والسكر ، هو النور ، أما درويش الصورة ، فهو ذلك الدرويش الذي توقف تصوفه على الشكل والظاهر والخرقة ولا يطمح إلى عالم المعرفة ، والزكاة هنا هي النصيب الخاص المبذول للخواص لا للعوام ، ولأن هذه الزكاة معنى من المعاني وليست شكلا (بيتا من الشعر) فإن درويش الصورة والظاهر يظل بلا نصيب منها ، وحمار عيسى هو الجسد الذي يحمل الروح (عيسى) وهو أيضاً المطالب النفسانية عند الناس . وهو أيضاً الدرويش الذي لا يترقى مهما حمل من علم كالحمار الذي

حمل نبيا وظل حمارا كما هو (انظر لتفصيل هذا المعنى الكتاب الثاني ، الأبيات ١٨٥١ - ١٨٥٧ وشروحها) والمعنى أن النفس لو كانت تعلم حقائق الغيب لما بخل الله عليها ولأمدّها بما تريد منها (استعلامي ١٣٣/٦) .

(١٦٥ - ١٨٤) : وهذا هو معنى ﴿ اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴾ (يس / ٦٥) . فالختم هو الحرمان ، وعدم التثوق لعدم الجدارة والاستحقاق . وهذه الأختام التي وضعها الله على الأفواه ، إنما فتحت وحلت ورفعت بالدين الإسلامي ، فبالدين الإسلامي واتباع محمد ﷺ يمكن أن تحل هذه الأختام ويفتح طريق المعرفة التي هي حرام على الكافر حلال للمؤمن ، إن معنى ﴿ إنا فتحنا لك فتحنا مبيناً ﴾ (الفتح / ١) ليس خاصا بالرسول ﷺ بل هو خاص بالمؤمنين جميعا (انظر البيت ٤٣٠٦ من الكتاب الثالث) وفي البيت ١٧ - إشارة إلى حديث نبوي ﴿ إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر ﴾ (انظر أحاديث مثنوى / ١٨٦ - استعلامي ٢٣٤/٦) و ﴿ اهد قومي إنهم لا يعلمون ﴾ دعاء للرسول ﷺ قاله عندما ألقى بحجر في أحد . والجود العام هو الهداية ، وهو سيد الصنعة ، في هذا المجال ، مجال الهداية الممنوحة دون انتظار جزاء أو عوض ، والأبناء المذكورون في البيت ١٧٧ ، ليس المقصود بهم الأبناء الجسمانيين ، بل كل من تبعه باحسان ﷺ وينص على هذا في البيت ١٧٨ خشية أن يفهم من حديث انه يقصر الولاية على آل البيت رضوان الله عليهم ، فيقول أن هذه النبوة حاصلة دون امتزاج الأجساد ، ويطلب مولانا من الله سبحانه وتعالى أن يسدل حجب ستره على هذه المعاني حتى لا تسقط في يد كل ضيع ومنكر وباحث عن العيب (انظر في نفس هذا المعنى البيت ٤١١ من الكتاب الرابع و ٢٨٩٢ من الكتاب الخامس) المقصود بتلك الشمس : الحقيقة المحمدية التي لا يقوى مفكر على النظر إليها وكل خفاش لا يرى ضوء الشمس من عماه فينكره

(انظر ٨٥٧ من الرابع) وفي البيتين إشارة إلى قوله تعالى ﴿ وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعون و تراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون ﴾ (الأعراف / ١٩٨) .

(١٨٥ - ١٩٣) : العنوان السابق على هذا البيت ، يذم مولانا الأفكار المسبقة ويصفها بالبالية والعتيقة ، إن هذا أشبه بمخنث يخاف من عض الخراف ، في حين أن الخراف كلها خلقت للذبح ، وهناك مخنث يسأل قبل أن يمضى في الطريق (الجديد الذي لا يعرفه) وآخر يعود عن الطريق لمجرد رؤيته الخراف ، والخراف هنا رمز لكل فكرة بالية سقيمة تقف في الطريق وتخيف المخنثين (الذين لا يقوون على الطرق الجديدة ويخافون منها) ويفسر يوسف بن أحمد (٣٦/٦) " وأراد بالمخنث الأول الذين يحضرون مجالس الأولياء ولا يقدمون على سؤال شئ منهم إلا بعد شدة الاضطرار لعدم اعتقادهم . وبالمخنث الثانى الذين يرون جماعة المشايخ لكن لا يقدرّون على الذهاب إلى حضورهم من شدة إنكارهم وعداوتهم لهم " . والمقصود بالطريق الجديد هنا المثنوى نفسه ، فهذا هو الكلام الذي ينكره بعضهم ، وما إنكارهم له إلا لأنه جديد عليهم ، ولذا فهو يطلب من حسن حسام الدين الذي يصفه بأنه صقال الأرواح " صقال مرايا القلوب لتقبل المعانى " . هيا وجل المثنوى في أروع صورة ، وجرده من لباس الحروف لكي تتجلى معانيه ، وتقود نحو عالم الغيب ، ما دامت هذه المعانى بشيمنتك وجذبك أيضاً قد نزلت من عالم الأرواح وعالم الغيب وسجنت في لباس الحروف ، فأنت الذي تستطيع كما يستطيع الخضر وإلياس (وهما نبيان لا يموتان إلى يوم القيامة) أن تقوم بالهداية فتقلب الأرض من طهرها إلى سماء . ولكنى يا حسام الدين لا أستطيع أن أوفيك حقاك ، من حسد أولئك الحاسدين الذين تضيق عقولهم عن فهم مثل هذه العلاقة السامية بين الشيخ والمريد (انظر لتفصيل هذا المعنى الكتاب الثالث الترجمة العربية ، الأبيات ٢١١٢-٢١١٧ وشروحها) وشرح حال الأحبة على سبيل الرمز

عند ذكر الآخرين ورد في الكتاب الثالث في الأبيات المذكورة كما ورد في الكتاب الأول (خير لنا أن يجئ سر الأجابة في حديث الآخرين ، البيت ١٣٦) .

(١٩٤ - ٢٠١) : إنغراس أقدام القلب في الطين كناية عن الاتصاف عن مدح الصانع إلى مدح المصنوع ، فكل مدح غير مدح الحق لا يليق ، حتى ولو كان ذلك خوفاً من الناس ، لأن الحديث عن عشق الحق لا يليق أن يطرح أمام كل إنسان ، لكن هذا الخوف مجرد عثرة في الطريق ، الست ترى أن تفكير أبي طالب في تشنيع العرب عليه على أنه تبع ولده ، (والقضية فيها خلاف كبير بين السنة والشيعة ، فإجماع السنة على أن أبا طالب رفض النطق بالشهادتين وهو على فراش الموت خوفاً من أن يعير بها ، ثم نطقها جزعاً من الموت ، وإن العباس عليه السلام قال : إنه سمعه يهمس بها ، لكن الرسول ﷺ أنكر أنه سمعها ، سيرة ابن هشام ، ج ١ ، ص ١٨٤ ، طبعة البابي الحلبي سنة ١٩٥٥ . ويرفض الشيعة رفضاً تاماً فكرة أن أبا طالب مات دون أن ينطق بالشهادتين ، وينقل جعفرى (١٣١/١٣) - (١٣٦) روايات شيعية عن ابن بابويه وجعفر الصادق عليهما السلام تشكك في روايات عدم إيمان أبي طالب ، ووضح أن مولانا جلال الدين يقبل الرواية السائدة ولا يشكك فيها ، ويرى أنه لو كان الله سبحانه وتعالى قد كتب الإيمان لأبى طالب في سابق علمه ، لآمن ، فضلاً عن أن أبا طالب كان ذا بصيرة ، لكن هذه البصيرة ليست متفتحة على عالم الغيب .

(٢٠٢ - ٢١١) : (عن التردد وكيف أنه تفسير تكريم الإنسان بالاختيار ، انظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الخامس ، الإرادة الإلهية والحرية الإنسانية ، لكاتب هذه السطور) ، وفي تفسير نجم الدين كبرى للأمانة " وهى التى عبر عنها بالفوز العظيم وقد فسرنا الفوز العظيم بالفناء في الله والبقاء بالله وهو عبارة عن قبول الفيض الإلهى بلا واسطة وقد اختص الإنسان بقبول هذا الفيض وحمله من بين سائر المخلوقات لاختصاصه باصابة رش النور الإلهى لقوله ﷻ { إن الله خلق الخلق في ظلمة ورش عليهم من نوره } فكل روح أصابه نور الله صار مستعداً لقبول الفيض الإلهى بلا واسطة فكان

عرض الفيض عاماً على المخلوقات وحمل الفيض خاصاً بالإنسان، وحمله مخصوص بالقلب بلا واسطة، ثم من القلب بواسطة العروق (مولوى ٤٠/٦) .

(٢١٢ - ٢٢١) : لا يزال مولانا في مناجاته التي يطب فيها من الله تعالى النجاة من " فتنة الاختيار " فتنة المسؤولية ، فتنة أن يكون المرء مسئولاً عن أعماله، وينطلق مولانا في عنوان الأبيات إلى الاختيار على مستوى الأمم وهو هنا يمكن أن يترجم إلى السيطرة ، تكون كل الأسباب مجموعة في يد إحدى الأمم ، تغوص إلى أعماق المحيطات ، وتنطلق بين الكواكب والأقمار ، فإذا لم تكن ثم قوة روح إلى جوار هذه السيطرة ، كانت النتيجة وبالأحرار ، ويأتي قهر الحق لكي تفيق هذه الأمم من غلوائها وتعترف أن هناك إلهاً ، وأن التقدم العلمي المذهل إن لم تسنده حضارة روحية قوية وإيمان قوى ، تكون نتيجته معروفة ، وإن لم تصدق فانظر إلى مصائر الأمم ، يتحدث القرآن الكريم دائماً أنهم كانوا أشد قوة وأكثر جمعاً ، وعمروا الأرض أكثر مما عمرها من يخاطبهم القرآن الكريم ، ومع ذلك بادوا ، وتلك مساكنهم تدل عليهم، ويضرب المثل بفرعون على القوة التي لم يبلغها بشر ، أليس هو القائل " أنا ربكم الأعلى " إذن فاعلم أن فرعون موجودٌ ، في كل جبلة ، موجود في كل نفس ، (انظر الكتاب الثالث ، ١٠٥٦ - ١٠٥٩ و ١٢٥٥ - ١٢٥٨ وشروحها وانظر أيضاً مقدمة الكتاب الذي بين أيدينا) . إن هذا البلاء يحول أبطال الطريق إلى مجرد إناث ، (انظر ١٩٩٥ من الكتاب الخامس و ١٥ من الكتاب الذي بين أيدينا) إن الإنسان الذي يسير على طريق واحد ومذهب واحد إنسان متوازن ، لكن الإنسان الذي يكون كبعير تحمل حملين غير متوازنين (رأيين ومذهبيين ودينين وأحياناً أكثر !!) يفقد توازنه يصاب بالجنون ، إن مولانا يطلب أن يكون دائماً بين أصابع الحق يقلب قلبه كيف يشاء ، يكون كأصحاب الكهف ﴿ تحسبهم أيقاظاً وهم رقود ، ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ﴾ (الكهف / ١٨) أي لأنى دائماً يا الله نائم عن قدرتي واختياري مستيقظ بين يدي مشيئتك ، ويقول نجم

الدين : أي التقلب بين الإقناء والإبقاء والترقى من مقام إلى مقام ومن حال إلى حال إلى أن بلغناهم مبلغ الرجال البالغين ووصلوا إلى درجات المقربين (مولوى ٤٢/٦) .

(٢٢٢ - ٢٢٩) : الطيران هنا هو السياحة في ما وراء هذا العالم المادى ، والتفكر في مراحل خلق الإنسان ومراحل وجوده ، ومرحلة وجود الإنسان كذرة في هذا الكون دائرة فيه دون هدف ودون قصد ، وقبل أن يتمثل إنسانا ذا جسد ، وروح ، وقت أن كان خاليا من كل مسئولية ، ذرة من الهباء تحملها الريح حيث تشاء ، وذلك الوقت إن كان الآن قد صار منسيا ويصور لي غرورى الإنسانى ، أنى هكذا كنت منذ الأزل ، فإن وجودى في حال النوم ، حيث أسلب كل فكر وذكر وأبهة وعظمة ، وأتحول مرة ثانية إلى هباء ، ينبؤنى عما كنت ، عندما أنجو من العناصر الأربعة (انظر ٢١١٢ من الكتاب الثالث) والطبائع الأربعة ، وهى أساس هذا العالم المادى ، حينذاك أرتع في عالم الروح متحرراً من الجهات ومن الطبائع ومن أصول الحياة المادية ، هذا هو رضاع الحياة الماضية أيام لم تبتل الروح بهذه الحياة المادية وبهذا الماء والطين . وانظر إلى الناس بأية وسيلة يهربون من هذه المسئولية الملقاة على عواتقهم مسئولية الاختيار ، إنهم يهربون في عشرات المشاغل والملاهى وبعضهم يهرب إلى الخمر وإلى اللهو ، والله تعالى هو الذي يعطى الخمر والمخدرات هذه الخاصية ، ولديه مئات الآلاف مما يسلط على الإدراك . (لتفصيلات على أن الإنسان يهرب بوسائله الخاصة من ذاته ومن نفسه انظر الأبيات ٢٦٨٣ - ٢٦٩٧ من الترجمة العربية للكتاب الرابع ، لكاتب هذه السطور وشروحها) ويعود مولانا فيقول : إن هذه الحياة فخ ، والناس جميعا يسعون بطريقة أو باخرى إلى الخلاص من هذا الفخ ، أو إيهام أنفسهم بانهم تخلصوا من هذا الفخ بشكل أو بآخر ، وكلها ، ما عدا الفرار إلى الله تعالى وسائل معدومة القيمة ، تأثيرها خادع ووقتي .

(٢٣٠ - ٢٣٥) : ثم إنك يا الله تعيد النفس مرة ثانية من هذا العدم (النوم) إلى سلطانها ، وإلى تسلطها ، فلا سلطان لها إلى الخروج من حبس هذا الزمن ، إلا بسلطان إلهي ﴿ يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا ، لا تنفذون إلا بسلطان ﴾ (الرحمن / ٣٣) ، إن الشرط هنا هو الفناء، ترك النفس ، الخروج عنها ، كيف تكون وجوداً ثم تريد أن تمضى إلى عالم العدم الذي هو أساس هذا الوجود ومعدنه ؟! تخلص أولاً من ذاتك وأنيبتك ووجودك ، ثم عُدْ إلى مصدرك ، ومن هنا فليس للعشاق دين ، فما حاجة العدم إلى الدين؟! (عن العدم كأصل للوجود ومصنع له ، انظر الترجمة العربية للكتاب الخامس الأبيات ١٩٦٠ - ١٩٧٣ وشروحها) .

(٢٣٦ - ٢٤٤) : الإشارة في الأبيات إلى السترة الجلدية والحذاء الريفى وإياز تنظر تفصيلاتها بداية من البيت ١٨٥٩ من الترجمة العربية للكتاب الخامس وهى أطول حكايات الكتاب الخامس وتشير إلى نظر الإنسان إلى نفسه ومعرفته مم خلق ، وقيّمته أمام السلطان الأكبر ، كما يراجع البيت ٣٥٩ وما بعده من نفس الكتاب الذي بين أيدينا) ، والأمر كله فتح لباب العدم حتى تعرف قيمة الوجود ، لقد صار نديم السلطان بعد أن كان مجرد راع ، إن إياز لم يفعل ذلك لأنه كان يخشى الكبرياء ، لا ، لقد كان واصلاً كاملاً (عن الواصل الكامل انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٢٤١٠ - ٢٤١٢ وشروحها) بل كان يقوم بكل هذه الأمور يريد أن يفتح قبراً للأنية يهب منه نسيم الحياة الأبدية ، البقاء الذي لا يهبه سوى الفناء الكامل (انظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الثالث) .

(٢٤٥ - ٢٥٠) : الحديث عن الروح التى تبلى بهذه الحياة الدنيا وهى فى الأصل خفيفة الحمل خفيفة السير ، وهذه المتع الدنيوية بالنسبة لها كأنها السلاسل التى تقيد حركتها حتى وإن كانت سلاسل ذهبية ، فهى تلقى بها فى جب دار الغرور محرومة من أرض الروح التى تستطيع أن تتجول فى كل مكان ، وهذه الدنيا وإن بدت جنة إلا أنها جحيم ، ومثلما

يكون الجحيم برداً وسلاماً بالنسبة للمؤمن ﴿ قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ﴾
[ولا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمن برداً وسلاماً كما تكون على إبراهيم]
(أحاديث مثنوى / ١٨١) والحسناء التي تتحول إلى جحيم عند الصبح أو المعاشرة
هي الدنيا

(٢٥١ - ٢٥٦) : تجاهل فروزانفر أصل الحكاية التي تبدأ بهذه الأبيات ، وتبدو من المأثور
الشعبي الذي كان شائعاً قبل مولانا جلال الدين ، وقد البس مولانا شخص الحكاية رموزاً
شديدة الوضوح ، ويترك مولانا سياق الحكاية من البيت ٢٦١ ويتحدث عن المعجب بتقواه
كأنه إبليس الذي كان قبل العصيان طاووس الملائكة ، لكن علمه كان محدوداً فلم يدرك
معنى تكريم آدم ومعنى السجود له فعصى ، وهكذا علماء الظاهر وعلماء الكتب وعلماء
المدارس أو كما عبر عنه مولانا بعلم أهل الحس (الكتاب الأول، بيت ١٠٢٠) وبهذا العلم لا
يمكن أن تدرك حقائق العشق وحقائق العالم الآخر ، فلا تغتر بهذا العلم مهما كانت عمامة
صاحبه كبيرة (انظر حكاية الفقيه ذي العمامة الضخمة في الكتاب الرابع ، الأبيات
١٥٧٨-١٦٩٠ وشروحها) إنها كلها أدوات تعريف ، سواء العمامة أو اللحية ، إنه يريد أن
يقول أنه عالم ، أما العارف فيعرف بنوره البازغ .

(٢٨٣) : بالرغم من أن الغلام الهندي بمثابة الإبن ، إلا أن النظام السائد في المجتمع لا
يعطيه الحق في أن تكون ابنة سيده مطمحا له ، هذا مفهوم ، أما ما يحدث في سياق القصة
فيذكر بتلك القصة الأخرى المشهورة في الكتاب الأول ، قصة الجارية التي أخذت تنوى،
وعالجها الطبيب فعرف أن مرضها لمفارقة حبيبها الصائغ السمرقندي ، وعندما يستدعي
الصائغ السمرقندي يعطى دواءً لكي يذوب أمامها ، وتنجو من حبه ، والواقع أن إخضاع
هذا القبيل من الحكايات لأي منطق لا يصل بها إلى نتيجة، حتى ولو قيل في قتل الصائغ
السمرقندي أنه من قبيل قتل الخضر عليه السلام (انظر الحكاية وتعليقاتها في الكتاب الأول

الأبيات ٣٥-٢٤٦ وشروحها) . والحكاية التي بين أيدينا أيضاً من هذا القبيل ، لقد جعل السيد من عاطفة عبده تجاه ابنته مادة للسخرية والضحك، وألقى بالعبد بين برائن مارد يلوط به ، أكان البيان عن سخرية الدنيا بعشاقها ، إذ تبدو كالعروس وهي مدمرة في الحقيقة تحتاج إلى إعادة صياغة هذه الصورة الشعبية البشعة ١٢ أجل فعندما يكون الحديث عن الخروج عن إطار المنطق والمعقول ، لا يهم مستوى التعبير !!

(٣١٨ - ٣٢٢) : المراد من الحكاية أن كل نعيم للدنيا هو في ظاهره كهذه العروس وفي باطنه كهذا العتل الذي لاط بفرج العبد الهندي، ونعيم الدنيا كالسراب يبدو من بعيد ماءً ، وهي عجوز نتنة مصداقاً للحديث النبوي الشريف { يؤتى بالدنيا يوم القيامة على صورة عجوز شمطاء زرقاء أنيابها بادية لا يراها أحد إلا كرهها فتشرف على الخلائق فيقال لهم : أتعرفون هذه فيقولون : نعوذ بالله من معرفتها ، فيقال هذه الدنيا التي تفاخرتم بها وتقاتلتم عليها } (مولوى ٥٤/٦ ، أحاديث مثنوى ١٨٧ ، انقروى ٦-١/٨٥) وتشبيه الدنيا بالعجوز التي تزوجت ألف زوج تشبيه شائع جداً في الأدب الفارسي وفي بيت شهير لحافظ الشيرازي ، وقد نقل الأنقروى بيتاً لم يذكر قائله : إن الدنيا عروس جميلة الصورة لكن كل من اتصل بها أعطاهما عمره صداقاً لها .

(٣٢٦ - ٣٣٤) : إن العظماء في الدنيا بمثابة الموتى المحمولين على كواهل الخلق ، قال ﷺ { إياكم ومجالسة الموتى ، قالوا ، وما الموتى يا رسول الله ﷺ ، قال ﷺ : الأغنياء } وفي رواية أخرى ، أهل الدنيا ، إنهم محمولون على كواهل الخلق و " ملعون من ألقى كله على الناس " (جعفرى ١٢٩/١٣) حياتهم من عرقهم وأعمالهم غرامة عليهم ، فلا تكن حملاً على أحد ، لكن كن كالجواد المسرع تمشي على الأرض ، ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً ﴾ (الفرقان ٦٣) وإن المؤمن هو الذي يقوم بكل أعماله بنفسه لا يكلف بها أحد ولا يعتمد فيها على أحد ، أما هذا الكفور ، فيظل محمولا على كواهل

الخلق ، يصبح كالميت ، يحملونه إلى قبره ، ويشير في الأبيات التالية إلى ما أشار إليه ابن سيرين في منتخب الكلام في تفسير الأحلام ، أن من يُشاهد ميتاً محمولا في النوم ، فهذا يدل على أنه سوف يصل إلى الرفعة والمنصب والجاه ، (عن استعلامي ٢٤٢/٦) فكان مولانا يزواج بين أولئك الذين يعيشون عالة على الخلق محمولين على أعناقهم وبين الموتى بالفعل ، إياك أن تعيش متكاسلا لا تقوم بعمل ، فإن جزاء هذا أن تصاب بالنقرس في قدميك ، سوف يأتي يوم تضيق هذا المركب ، تعجز وتصاب بالملل ، وتحس بعالمك من حولك قد تحول إلى خراب ، فلم تعد لك صولتك ولم يعد الخلق يتحملونك ، اعترض على هذا المركب الصعب الآن مهما بلغت مغرباته وفكر في ذلك اليوم الآتي لا محالة .

(٣٣٩ - ٣٣٥) : الأبيات هنا قائمة على رواية لثوبان ، روى عنه عليه السلام أنه قال : قال رسول الله ﷺ من يضمن لي شيئا أضمن له الجنة ، قال ثوبان فقلت أنا يا رسول الله ، فقال ﷺ لا تسأل الناس شيئا أضمن لك الجنة ، فكان ثوبان لا يسأل الناس شيئا حتى سقط يوما سوطه فنزل وأخذه ولم يأمر أحد أن يناوله إياه (مولوى ٥٦/٦) ولذا قال ابن عطاء الله السكندري ، " ربما استحيا العارف أن يرفع حاجته إلى مولاه اكتفاء بعلمه ومشيتته فكيف لا يستحي أن يرفعها إلى خلقه " وفي بيت لحافظ :

يا حافظ لا ترق ماء وجهك أمام باب كل سافل ولنحمل حاجتنا إلى قاضي الحاجات
كما قال ابن عطاء في الحكم " لا ترفعن إلى غير حاجة فكيف يرفع حاجتك عنك من لا
يستطيع أن يرفع حاجته عن نفسه " (انقروى ٦-١/٨٩) . وعن أبي عبد الرحمن عوف بن مالك الأشجعي قال : كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال : ألا تبائعون رسول الله ، وكنا حديثي عهد ببيعته فقلنا ، قد بايعناك يا رسول الله فقال ، قال : ألا تبائعون رسول الله فبسطنا أيدينا وقلنا قد بايعناك يا رسول الله ، فعلام نبايعك . قال : أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا والصلوات الخمس ، وتطيعوا ، وأسر كلمة خفيفة ولا

تسألوا الناس ، فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحد يناوله {
(جعفرى ١٣/١٧٠) . كان رسول الله ﷺ يركب الحمار ويخسف النعل ويرقع القميص
ويلبس الصوف ويقول من رغب عن سنتي فليس مني . (جامع ١١٧/٢) .

(٣٤٥ - ٣٤٠) : لكن الله إن أمر فاصدع بما أمر الله سبحانه وتعالى ، فالله في بعض
الأحيان قد أمر النبي ﷺ بأن يأخذ من أموال الأغنياء ، فقال ﴿ خذ من أموالهم صدقة
تظهرهم وتركيهم بها ﴾ ، وهناك بعض الأوامر الإلهية تبدو لك سيئة ، كقتل الخضر للغلام
، وخرقه للسفينة ، وهناك كثير من الناس ظهوروا كعلماء جهابذة لكنهم مردودون من الله
مثل بلعم بن بعوراء الذي نزلت فيه كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، إن
الأمر الإلهي في بعض الأحيان يكون في الظاهر صعباً مؤلم التنفيذ ، لكن هذا في
ظاهر الذي يبدو كالصدف ، لكنه مليء الدر في الباطن ، دعك من هذا الكلام إذن ، وعد
إلى تلك المناجم التي تحتوى على الذهب الخالص ، والتي لا تناقض فيها بين قسوة الظاهر
ولطف الباطن .

(٣٤٦ - ٣٥٧) : إن عابد الصورة عندما يعطى للصورة طريقاً إلى قلبه يندم في النهاية ،
ويعبر عن ندمه هذا بحركة يديه ، أنظر إلى اللص عندما يحمل إلى إقامة الحد إنه إنما
يستخدم يديه في التشنيع والتفجع والتضجر كما تفعل النساء ، والحزين المذكور في البيت
التالى إشارة إلى الغلام الهندى ، وهكذا فنحن جميعاً نعلن عن نفورنا من فعل السوء
ونشنع عليه ، لكن بعد فوات الأوان ، فتوبتنا هي توبة الفراشة (لتوبة الفراشة انظر
الكتاب الرابع ٢٢٨٧ - ٢٢٩٤ وشروحها) إن هذا يشبه ما ورد في الآية الكريمة ﴿ولو
ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون﴾ وأوهن الله كيد الكائدين مستوحاة من الآية
الكريمة إن الله موهن كيد الكائنين (الأنفال ١٨) والكلام كله مصداق توبة الكاذبين على
أطراف لسانهم" (أنقروى ١-٦ / ٩٣).

(٣٥٨ - ٣٦١) : الآية الكريمة ﴿كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله﴾ (المائدة ٦٤) والنسيان من انعدام العزم ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزماً﴾ (طه ١١٥) فالتوفيق في طريق الحق شرطه حسن النية، وإلا فإن الحق لا يوفق العبد فيما يزعم أنه مزعم عليه ، فالصدق هو الروح الربانية (البيت ٣٠٣ من الكتاب الرابع).

(٣٦٢ - ٣٨٢) : الحكاية الواردة هنا من الحكايات التي تجاهل فروزانفر البحث عن مصدر لها ، وتبدو من حكايات المعاني التي يلبسها مولانا شخصاً لكي يوضح معانيها ، فالرجل صاحب الدار في عماء (الظاهري والباطني) لا يرى من يطفئ الشمع وهو أمامه ، مثل ذلك الكافر الذي يكيد في قلبه فيوهن الله كيده وهو لا يعلم من عمى قلبه من الذي يوهن هذا الكيد (عن وقوف الله لكيد الكافرين بالمرصاد أنظر الكتاب الثالث الأبيات ١٠٩٤ - ١٠٩٨ وشروحها) حتى على سبيل العقل إن لم يكن لك قلب ، كيف تدعى أن لك عقلاً ثم تذكر وجود الخالق ، ألا يقول لك عقلك أن الشيء المتحول يلزمه محولاً؟! أهنالك تعاقب ليل ونهار دون أن يكون هناك رب؟! أثمة منزل دون بناء؟! وخط دون خطاط وشمع دون مشعل لهذا الشمع ، وإذا كانت هذه الصنعة حسنة أفلا يلزمها صانع قدير؟! دعك من هذا ، إنك نفسك تنوى التي ولا تستطيع أن تنفذ نيتك هذه؟! ألا يدلك هذا القهر الدائم لك ولنواياك على وجود قاهر لك؟ ألم تعرف الله حتى بفسخ عزائمك ، لقد أعددت للأمر كله عدته ، رسمته وقدرته وعملت حساباته ومع ذلك لم يتم ، فكيف لم تفهم؟ (عن معرفة الله بفسخ العزائم أنظر الأبيات ٤٤٦٥ - ٤٤٧٥ من الكتاب الثالث وشروحها) لقد عرفت إذن أنه قاهر ك ، فهيا ، قم بحربه وافعل كما فعل النمرود ، هيا وتعلق بعدد من النسور يحملونك إلى السماء لكي تقوم بقتاله ، وتطلق سهامك عليه (انظر ٤١٤٠ و ٤٨٦٣ من الكتاب الذي بين أيدينا) ، أتراك وأنت في العدم نجيت منه ، أليست كفه التي صورتك وجوداً من العدم ،

فكيف تستطيع إذن أن تنجو من كفه وأنت وجود ، إنك مجرد مصنوع مخلوق ، وهو الصانع والخالق ، تريد أن تفر كي تفارقك التقوى إلى الأبد ، فإنك قد سفكت دماءها بهذا .

(٣٨٣ - ٣٨٩) : إن شهواتنا هي التي تسمر أقدامنا في هذا العالم المادى وتبعدنا عن طريق الله ، فدعك منها، واتجه إلى الله سبحانه وتعالى فإنك ترى الفتوحات تتوالى عليك من مجرد اتجاهك "فمن تقرب منه باعاً تقرب منه هو ذراعاً ، ومن سعى إليه مشياً سعى إليه هو هرولة" وإن كنت لا تصدق ، فاستفت قلبك ، فإن كان قلبك مضيئاً بذكره فسوف يدلك على الطريق ، استفت قلبك ولو أفنأك المفتون (أحاديث مثنوى / ١٨٦) وما أكثر المفتين الذين يبعدونك عن طريق القلب ، سل تسلم ، وكن بين يديه كالमित بين يدي الغسال ، لا رغبة ولا نية ولا خطة ولا فعل ، حينذاك تنزل عليك الرحمة الإلهية ، وما دمت لا تستطيع الهرب فجرب الخدمة ، هذه يد إن تستطيع أن تقطعها فقبلها ، سوف ينقلك من قهره إلى لطفه ، وفي الحقيقة أنت لا تملك سوى هذا إن قدرت عليك ، وهب أنك سوف تتجاهل هذه الحقيقة، فهل توارت الشمس بالحجاب لأن أعمى أغلق عينيه حتى لا يراها ؟

(٣٩٠) : إياز هو مثال العبد الصالح والعارف الكامل الواصل (انظر الأبيات ٢١٥١ ، ٣٢٥٣ ، ٣٢٨٧ من الكتاب الخامس) وفي الكتاب الخامس ذكرت قصة إياز وسترته الجلدية وحذائه الريفى بكل تفصيلاتها ، كما ذكرت قصة أخرى عن طاعته للملك دون سؤال فى حكاية عطية الجوهرة (الأبيات ٤٠٣٧-٤١٢٠ من الكتاب الخامس) لكن الحكاية الواردة هنا لم يعن أحد بالبحث عن مصدر لها .

(٤٠٦-٤١٢) : يحتج الأمراء الثلاثون على مهارة إياز وفهمه لأسئلة السلطان ولما يريده السلطان دون أن يسأل وإحاطته وحبه بما كان يسأل عنه الأمراء الثلاثون ، بأن الأمر عطاء من الله سبحانه وتعالى ، هذه هي الحجة الجبرية المذكورة فى العنوان ، ويرد السلطان بأن الأمر ليس عطاءً فحسب بل هو أيضاً جهد ، وينتهز مولانا جلال الدين الفرصة فيسوق

أمثلة وشروحاً حول رأيه في حرية الإنسان وكونه مختاراً وليس مجبراً ، وهذا يشبه تماماً حجة إبليس الذي قال لله تعالى "بما أغويتني" بينما قال آدم وحواء "ربنا ظلمنا أنفسنا" ، ويوفق مولانا بالقضاء حق والجهد حق وهو أشبه هنا بالكسب الذي يكون للعبد وقت الفعل الذي يقول به المعتزلة ، وعلى كل حال نوقشت هذه القضية بشكل مفصل في مقدمة الترجمة العربية للكتاب الخامس .

(٤١٣ - ٤٢٤) : الخلاصة في هذه الأبيات أن قراراتنا وترددنا وإقدامنا على أمر ونفورنا من أمر آخر كلها دلائل على مسئوليتنا عن أفعالنا، وما دمننا مسئولين فنحن مختارون ، فكيف تكون المسئولية على مجبر ؟ ثم أن القدرة على الاختيار بين عملين لا يمكن أن يكون فيهما جبر ما دمت تستطيع أن تقوم بكل العملين على نفس المستوى الجيد، وإن كان عليك أن تختار بين عمل تستطيع القيام به وعمل لا تستطيع القيام به ، فسوف تقوم بالتأكد بالعمل الذي تستطيع القيام به ، ثم إذا لم تكن مسئولاً لماذا يقتص منك ؟ لماذا يقام عليك الحد ، أتشك إذن في عدالة أحكم الحاكمين ؟!

(٤٢٥ - ٤٣٩) : لكل عمل صورة ظاهرة ومرئية وصورة غيبية، ليس من اللازم أن تكون شبيهة بالصورة الظاهرة للعمل ، أو تكون مشابهة له على أى وجه من الوجوه (أنظر لعدم تشابه الأفعال مع نتائجها أو على عقابها أو ثوابها الكتاب الثالث الأبيات ٣٤٤٥ - ٣٤٥٥ وشروحها) ، والقضاء المذكور هو القضاء الإلهي ، والكلب الكسول كناية عن النفس ، والمعنى مأخوذ هنا من حديقة سنائي " الكلب المرابط في الحظيرة وإن كان سميناً ليس كالعربي يحسن في الصيد" (البيت ٣١٣ ص ٧٨ من حديقة الحقيقة ، انظر الترجمة العربية المشروحة لكاتب هذه السطور) والرجولة كل الرجولة أن يتحمل المرء نتيجة أعماله ، وأن يكون موقناً أن «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره» (الزلزلة ٧-٨) وإياك ووساوس النفس ، إنها من قبيل الذرات أمام شمس الحقيقة ولا

تستطيع أن تخفيها ، وهذه الذرات (الهباء) موجودة أمام شمس الدنيا فهل تستطيع أن تخفيها ، مثلها كل ما يدور في ذهنك من وساوس وأفكار ظاهرة أمام شمس الحقائق ، وتكون مسئولاً عنها ، مثاباً أو معاقباً بها .

(٤٤٠ - ٤٥٠) : إن نور الحق دائماً ما يجلى ما يدور في بواطننا من أفكار للوهلة الأولى ولكن ثمة أموراً أخرى من ذواتنا ومن ظروفنا تدفعنا إلى تجرع الخديعة والانصراف عن الإلهام الأول الذى يكون حقيقياً فى الغالب ، ومن أهم الظروف التى تدفعنا إلى ذلك الحاجة والحرص والفقر بدرجاته ، ويروى مولانا الحديث النبوى [كاد الفقر أن يكون كفراً] (أحاديث مثنوى / ٤٥ - كنوز الحقائق ٢ / ٩٣) والقصة هنا فى مغزاها تشبه إلى حد كبير قصة الثعلب الذى جر الحمار إلى الأسد الواردة فى الكتاب الخامس (ابتداء من البيت ٢٣٢٨ ويقطعها مولانا كعادته ثم يعود إليها خلال الكتاب الخامس فلا تنتهى إلا فى البيت ٢٨٨٠). والقصة التى بين أيدينا قصة الصياد الذى يتظاهر بالزهد ويصيد الفريسة بشبكة الدين من القصص التقليدى فى الآداب الشرقية عموماً ورد فى أصلها فى أكثر من مصدر فى العقد الفريد وفى ربيع الأبرار وإرشاد الأريب وكتاب الأنكباء ولم يلتفت فروزانفر إلى أن سنائى نظم حكاية تشبهها فى بعض أجزائها وفى هدفها (انظر الترجمة العربية لحديقة الحقيقة لكاتب هذه السطور الأبيات ١١٦٦٠ - ١١٦٦٩ وشروحها) (مأخذ / ١٩٧) والطائر الذكى فى الحكاية كناية عن الإنسان الذى يمتلك خبرة ناقصة وعلماً ناقصاً ومع ذلك يغتر به فيورده موارد الهلاك ، وربط الذقن أو الفك كناية عن فعل ذلك عند أول موت المرء .

(٤٥١ - ٤٥٦) : يخرج مولانا عن سياق القصة ويتحدث عن هذه الحياة التى تمر بها الروح فى سيرها التطورى بضعة أيام ، فهل تركز إلى العناصر التى هى أصل الجسد وتنسى أنها من طريقة أخرى فى النفوس والعقول ؟ إن هذا هو عدم وفاء منها أن تنسى أصلها وألا تحن إليه دائماً ، فالحنين والشوق هو مطيتها إلى العودة إلى الروح المطلق .

(٤٥٧ - ٤٦٢) : إن اغترار الروح برفاق الدنيا ، ونسيانها لأصلها من هذا الغرور يجعلها تشبه طفلاً يترك داره ، ويجذبه الرفاق فيستغرق معهم في اللعب ، ويأتي اللص فيسرق ثيابه وهو منهمك في اللعب فإن حل الليل ، وأن أوان العودة إلى المنزل ولم يعد للعب طعام ، التفت فلم يجد ملابسه ، فلا هو يستطيع أن يداوم اللعب ولا هو يستطيع أن يعود إلى المنزل ، أتستهين بهذا المثل ، أقرأ إذن في القرآن ﴿إنما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾ (محمد ٣٦).

(٤٦٤ - ٤٧١) : الكلام على لسان الصياد ، إن الخلق يسرقون ثيابك ، "الستر ، الحفظ ، الشخصية ، الوقت" فاحتفظ بها ، إياك أن تفقدها ، وقبل أن يحل عليك ليل الأجل عد عن هذا اللعب واقلع عنه ، وإن كنت قد فقدتها لا تجزع ، فهناك مركب يجعلك تلحق بهذا اللص الذي سرق ثيابك (نفسك) ، إنه مركب التوبة ، ولا تظن أن الوقت قد ضاع ، فإن مركب التوبة يوصلك إلى الأعلى ، المهم أن تظل مستعداً دائماً بمركب التوبة ، وحذار أن يختم على قلبك فتفقد مركب التوبة أيضاً ، ويغلق أمامك باب التوبة الذي يظل مفتوحاً حتى تطلع الشمس من مغربها (انظر الكتاب الرابع الأبيات ٢٥٠٣-٢٥٠٨ وشروحها).

(٤٧٢ - ٤٨٢) : القصة الواردة هنا لها شبيه في جوامع الحكايات لمحمد عوفي ، وتكاد تطابق أيضاً نادرة في النوار التي تنسب لجحا ، وهي أقرب إلى التراث الشعبي والدعوة هنا إلى الحزم عند المصيبة ، وعدم الطمع وإلا زادت الخسائر وتوالت ولم تقتصر على الخسارة الأولى .

(٤٨٣ - ٤٨٨) : عودة إلى حكاية الطائر والصياد . فما هو الطائر ينصح الصياد بعدم الخلوة ، فلا رهبانية في الإسلام ورهبانية أمتى الجهاد (حديثان نبويان) والإسلام دين الجماعة والجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة إلا أربعة عبداً مملوكاً أو امرأة أو صبيّاً أو مريضاً (انقروى ٦ - ١ / ١١٩) كما أن "خير الناس أنفعهم للناس" والمرء بشر في

النهاية ينبغي أن يعيش بين البشر وليس حجراً ليعيش بين المدر ، فعش بين الأمة التي قال عنها إمامها ونبيها { أمتي هذه أمة مرحومة } للحديث روايتان (أمتي هذه أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة أما عذابها في الدنيا القنعة والزلازل والقتل والبلاء) رواه البيهقي في شعب الإيمان عن أبي موسى و [أمتي أمة مرحومة مغفور لها متاب عليها] رواه الحاكم في الكنى عن أنس (انقروى ٦ - ١ / ١٢٠) .

(٤٨٩ - ٤٩٤) : يجيب الصياد الذي يتظاهر بأنه زاهد بأن هذا الكلام ليس مطلقاً ، فليس كل عقل يتصف بالرسوخ والثبات، وهذه العقول التي لا تتصف بالرسوخ والثبات هي بمثابة الحجر والمدر ، وأغلب الناس عقولهم من هذا القبيل ، وهم جميعاً كالحرر أقصى أمانيتهم قوتهم وهمهم بطونهم ، وكل باحث عن الميئة يكون ميئاً ، والرهبانية هي مصاحبة أمثال هؤلاء الناس ، بل إن مصاحبة الحجر والمدر (أى الخلوة فى الجبل) أفضل ، لأنه لم يسمع أحد أن الحجر والمدر قد قاموا بإيذاء أحد ، وحدث ولا تسأل عن إيذاء الناس للناس .

(٤٩٥ - ٤٩٩) : ويقول الطائر : وكيف يبدى المرء شجاعة إن لم يتصد للشر ؟ تقول أن الناس أصبح يدينهم الأذى ، فلماذا لا تقوم بمقاومة هذا الأذى ، أليس جهاد الظلمة فرض ؟ أليس رسول الأمة هو نبي السيف وهو القاتل { بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله تعالى وحده لا شريك له وجعل رزقى تحت رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف أمرى } (٣١٥ / ١٢٥) وقال كعب :

إن الرسول لسيف يستضاء به * مهنـد من سيوف الله مسلول .

(٥٠٠ - ٥١٣) : يقول الصياد : إن الجهاد واجب إن وجدت عليه قدرة وقوة . فإن لم توجد فقد شرع الرسول الفرار (!!) مصداقاً للحديث النبوى { الفرار مما لا يطاق من سنن الأنبياء } (أحاديث مثوى / ١٨٩) ويرد الطائر : إن الذى يعشق الوحدة هو ذلك الذى لا يعامل الخلان بصدق ، إنما يجعلهم ينفضون من حوله ، فإن عاملهم بصدق التفوا حوله وكانوا له قوة ومكنة ، ولا تترك جوار يعقوب ، أى لا تترك أولياء الله والشيطان بالنسبة للمؤمن بمثابة الذئب بالنسبة للقطيع وروى عن الرسول ﷺ أنه قال { الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والشاة } (أحاديث مثوى / ١٩١) ، وأن ذلك الذى يحيد عن سنة الرسول ﷺ وينبت عن الجماعة إنما تسفك دمه ذئب الأهواء وذئاب المذاهب وغيلان الصحراء الذين يتظاهرون بأنهم مرشدون وناصحون ، فالسنة هى الطريق والجماعة هى الرفيق وما سوى هذا بعدٌ عن الجادة وضياح فى مهامه الأهواء ، ولكن إياك اعتبار الغافلين قادة ومرشدين والمهتدين بالصورة مشايخ وأدلاء ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً ﴾ ، إنه صديق مزور مزيف يصادقك ويصاحبك وكل همه أن يسلب مالك ، فهو يتحين الفرص من أجل ذلك ، يجدك فى شدة ، وبدلاً من أن يعينك ، يأخذ ما لديك ، وربما تكون عينه عليه من البداية ، فهو يعرفك من أجل أن ينتفع منك ، ثم إياك ومصادقة الجبان ، فإنه عندما يحتاج الأمر إليه ، يخوفك ، ويلقى بالدروس والمواعظ من أجل العودة عن الطريق ، والطريق هو امتحانه الأكبر ، ففي كل دغل آفة ، وفي كل منحنى كمين ، وطريق الدين لا يزال الشيطان يقف لك فيه بالمرصاد ، يخوفك ويأمرك بالفحشاء ، ويلقى إليك كل لحظة بفتنة ، ولذلك فطريق الدين فى حاجة إلى رجال ، وليس فى حاجة إلى مخنثين ، ومعلوم أن الرجل هو ذلك الذى يثبت فى الطريق ويصمد ، إنه كالغربال أى الطريق يميز الدقيق من النخالة .

(٥١٥ - ٥٢٨) : الطريق بين ولائح، سار فيه الكثيرون ووصفوه فهو ملئ بآثار الأقدام ، إن هؤلاء الواصلين بمتابة السلم الذي تترقى عن طريقه إلى الدرجات العلا (وصف سنائي الطريق في الحديقة بأنه سلم :حديقة الحقيقة الترجمة العربية لكاتب هذه السطور الأبيات ٢٢٥-٢١٨ وشروحها) ، إنك حتى إن عشت بعيداً عن الجماعة ولم يمزقك الذئب فلن تذوق طعم السرور ، إن السرور مع الجماعة ، حتى الحيوان ، حتى الحمار إن سار في جماعة كان سيره أفضل وتعرضه للضرب أقل ، فما بالك بالبشر ، حتى الأنبياء ومع ما لهم من تمكن وتأيد إلهي ، يبحثون عن الصحاب ومن أجل ذلك يبدون المعجزات ، و الطبيعة في الجماعة وليست في الانفراد ، كتجمع الجدران فتصير منازل ومخازن ، يتجمع القلم والمحبرة فيصير كتاب ، يتجمع رجل وامرأة فتصير جماعة ﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ﴾ (الذاريات ٤٩) .

(٥٢٩ - ٥٣٨) لقد طال الجدل بين الصياد والطائر ، والجدل غالباً ما يطول (كما طال في الكتب السابقة بين المتجادلين حول الكسب والتوكل في الكتاب الخامس وحول الجبر والاختيار في الكتاب الخامس أيضاً وحول لزوم الأنبياء في الكتاب الثالث وحول لزوم الدين والأنبياء في الكتاب الرابع وفي هذه المجادلات يبسط مولانا حجج المتجادلين حتى وإن لم يكن في نصف بعضهم ، لكنه يترك النقاش فجأة لأنه يبعده عن خدمته الحقيقية وهي العشق والفقر، ولأنه يطيل في المثوى وهو يريد خفيفاً هيناً. إن الطائر الجائع الضعيف هش الروح (مثل الحمار في الكتاب الخامس) يكون إقتناعه بآرائه هشاً ويمضي خلف الإغراء، فالطائر بعد أن جادل رأى الحب فنسى جدله وانصرف إليه، ورغم أن الصياد حاول أن يصرفه عنه (في الظاهر مثل كثير من رعاة العصر الذين يصدون المريدين بشتى الذرائع ليزيدوهم إصراراً) فيزداد الطائر إصراراً ، ويأكل الحب لأنه مضطر ، ولا اثم على المضطر ﴿ فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ﴾ (البقرة

١٧٣) لقد صاد الصياد الطائر وهو يعظه ويصده، لقد وضع الحب من أجل أن يأكله الطائر ، ومع ذلك كان يصد الطائر عن أكله ، لأنه يعلم أن "الإنسان حريص على ما منع" .

(٥٣٩ - ٥٤٦) يوجه مولانا الحديث إلى كل من يندم بعد العصيان أن الدعاء لازم قبل السقوط ، لكن ما فائدة الاستغاثه بعده ؟ وماذا يفيد الندم بعد خراب البصرة ؟ وماذا يفيد ترياق الحياة بعد موت سهراب ؟ كان ذلك واجباً قبل المصيبة لا بعدها. ما فائدة نواحك بعد موتى ؟:

لا أحسبك بعد الموت تتدبنى وفي حياتك ما زودتني زادى

(انظر الكتاب الخامس الأبيات ٤٧٨ - ٤٨٥ وشروحها) توصل بالقرآن وبسوره يس عند وسوسة الشيطان ، ودق العصى ببعضها قبل أن يتمكن اللصوص من القافلة لا بعد أن يكون اللصوص قد أتوا عليها .

(٥٤٧ - ٥٦١) : الحكاية هنا ليست حكاية بالمعنى المفهوم لكن مولانا يلبس البيت الأخير أسلوب الحكاية ، ومن هنا تجاهل الشراح البحث عن أصل لها على أساس أنها من مبتكرات مولانا ، إنه يقدم صورته للحارس الذى يصرخ بعد ضياع كل شيء ، يصرخ حين لا يجب الصراخ، يقوم بعمله في غير موضعه وبعد فوات وقته ، يكون سخرية للساخرين وهكذا ، عندما يعيش المرء عمره كله تحت سيطرة شيطان الفضيحة ، فماذا عسى المعوذتان والفاتحة والقرآن كله تنفعها بعد ضياع عمره ؟ بدلاً من الندم ، اتجه إلى الله سبحانه وتعالى ، وتب فهو القائل ﴿ ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور ﴾ (الحديد ٢٣٠) ، فسواء قمنا بما ينبغى علينا فى أوانه أو فى غير أوانه فمن قال أن مغفرتك وزحمتك - جل شأنك - تحتاج إلى أوان ؟ .

(٥٦٢ - ٥٦٤) : كالعادة ، يحاول الطائر (الإنسان المخدوع) أن يضع نذب سقوطه على الصياد (الشيطان) ﴿ وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي ، إني أخاف الله رب العالمين ﴾ (إبراهيم ٢٢) بل قال الصياد الذي صمم على أن يلعب دوره للنهائية ، بل أنت المخطئ أنت الذي أكلت أموال اليتامى ، وليس أنا ، وهذا جزاء من يأكل أموال اليتامى ظلماً ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيراً ﴾ (النساء ١٠) وهكذا المفتون المضلون في كل زمان ومكان يزينون السوء ، ثم يطيلون ألسنتهم بالوعظ والنصح والفتوى على المسيئين .

(٥٦٥ - ٥٧٤) : من هنا لا يدور الحديث على لسان الطير الذي سقط في الفخ بالطبع بل على لسان كل مذنب يود أن يعود إلى الحضرة الإلهية ، ما يجري داخل الإنسان من متناقضات تجتاح حياته كلها وتضيع هذه الحياة كلها باللامنطقية وبالعبث ، تناقضات القلب وتأرجحه بين تسام إلى ما لا يبلغه الملائكة ، وانحدار إلى ما لا يصل إليه الشياطين ، تكون قاصمة للظهر ، فيقال أيها الحبيب انظر إلى نظرة عطف واربت بيدك على رأسي ، فإن نهاية كل هذا التردد والتناقض تكون منك أنت ، وتكون عند اللقاء بك ، وأنا مشوق إلى هذا اللقاء ، يجافي النوم عيني ، ومن ذا الذي يقول أن اللاشيء لا ينبغي عليه أن يطمح إلى اللانهاية؟ حتى ولو لم نكن جديرين ، فأنت الماحي لأحزاننا ، وأنت الذي تبدل سيئاتنا إلى حسنات ، وأنت الذي أتيت بنا من العدم إلى الوجود ، فأى استحقاق للوجود كان عندنا ونحن المخلوقون من تراب حقير حتى تمنحنا الوجود ، تهبنا جواهر عشرة ، هي الحواس الخمسة الظاهرة والخمسة الباطنة (عن الحواس الباطنة انظر البيتين ٣٧١٨ ، ٣٧١٩ من الكتاب الذي بين أيدينا) ، وكله منك ، والتوبة أيضاً عطاء منك يا ربنا .

(انظر الكتاب الأول البيت ٢٢١٦ عن التوبة والكتاب الثاني الأبيات ١٦٥٥-١٦٥٧ عن أن قبح الأعمال يغلق طريق التوبة) واقتلاع شوارب التوبة كناية عن السخرية من توبة الهازل غير الصادق في توبته .

(٥٧٥ - ٥٨٠) : لقد تهدم حانوت جسدی ومنزل عقلی من هذه المتناقضات التي أسقط فيها ، ومن حقى أن أصرخ عندما يعتصر قلبي ، فهو كل ما تبقى لي ، ولا يعتصر قلبي سوى الشوق لك والحنين إلى لقاءك ، فهل ترانى أهرب منك ، وأنت سبب خيارى وأصل وجودى ، وما الروح وأنت أهل الروح ، وماذا يكون العبد إن لم تكن ألوهيتك ، لقد مللت روحى لأننى أحيا بدونك ، فاقبض هذه الروح وخلصنى من الوحدة التى أحيا فيها ، فأى فضل وأى علم وأى نكاء لا يوصل إليك !! الجنون والاتجاذب هما الطريق إليك ، إذن فلأكن مجنوناً مجذوباً ، وكفانى اختفاءً وحياةً ، لأفتر من تحت هذا الغطاء الذى أعطى به كل ما أحس به ، ذلك الغطاء المتمثل فى ما تعارف عليه الناس من تصبر وتظاهر بالوقار ورعاية لما يتطلبه المركز الاجتماعى والجاه الدنيوى ، لأفتر دفعة واحدة ، فكلما فكرت أحجمت ، الأمر فى حاجة إلى تصرف .

(٥٨١ - ٥٩٧) : وما هو الحبيب يسد أمامنا الطريق ، أى طريق؟ بل أن كل الطرق تنتهى به ، ومن نكون نحن حتى نحاول أن نتجاوز الطريق الذى يسده علينا ، وبأى شئ ؟ بعرجنا ؟ بعقولنا التى تعرج أو أوهامنا الكسيحة ؟ ما أشبهنا عندما نفكر فى أن نتصدى له بغزلان نتصدى لأسد ، فماذا أمامنا سوى التسليم والرضا ، نحن أسارى الأكل والنوم لكن ﴿ لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾ (البقرة ٢٥٥) ، و ﴿ هو يطعم ولا يطعم ﴾ (الأنعام ١٤) إنه ينادينا ، يصيح بنا ، تخلقوا بأخلاقى ، ولا بد أنه يتجلى لنا وإلا أترانا نكون مفتونين هكذا بحبيب لا نراه ؟ بل نراه ويتجلى لنا فى كل معنى رقيق رائق بهج ، بل أن هذا التجلى هو الذى يجعلك وأنت مجرد قبضة من تراب طموحاً إلى درجة الطمع فى الخلود ، إلى

معرفة سر الأحياء ، وإذا لم يكن يهيك القوت (قوت العلم والذوق والعشق والفيض والفكر والفن والإبداع والاختراع) من حيث لا تدري ، إنك تتوجه إليه لأنك تعرف أن كل ما يهبط عليك من خير إنما يهبط عليك منه ، لست أقل من قط انظر ، هذا قط يقف على جحر ، لقد صاد منه فأراً ، وقط ثان يطوف بالسطوح ، لقد صاد منها مرة طيراً ، والناس أهواء ومذاهب وأعمال وحرف ، وهناك من يأخذ قوته من أبواب أصحاب القلوب (انظر الكتاب الثالث الترجمة العربية الأبيات ٣٠٧-٣١٢ وشروحها) ، وفوق كل هؤلاء ذلك الذى عكف على باب الله ، ذلك لأنه يعلم أنه كل ما يجده إنما يجده من الله فانصرف عن الأسباب إلى المسبب وعن الوسائط إلى معطيها ، وهذا هو عمل الرجال الحقيقيين وغيرهم مجرد أطفال يلعبون فى تراب هذه الدنيا بضعة أيام حتى يحين أوان الرحيل (انظر شروح الأبيات ٤٣٤٨-٤٣٦٧ من الترجمة العربية للكتاب الثالث) ، إن ذلك الذى يستيقظ من نوم غفلة الدنيا إن لم يتجه إلى هذا الباب فلا سبيل له إلا الشيطان ، إنه يستيقظ قليلاً ، ثم يوسوس له الشيطان فيظل نائماً ، لكن العاشق المشتاق ، يناديه صوت الماء ، فيرى المحبوب فيمضى إليه ، كما يفضى الظمان إلى الماء مستهدياً بخبره (انظر التفصيلات ومعانى أخرى مشتقة من هذه الفكرة الترجمة العربية للكتاب الثالث الأبيات ٤٤٠٣ - ٤٤٠٥ وشروحها والترجمة العربية للكتاب الرابع الأبيات ٧٤٥-٧٥٣ وشروحها) .

(٥٩٨ - ٦٠٩) : الحكاية المذكورة فى هذه الأبيات ، ترمز إلى أحوال الغافلين عن الحق وهو حاضر بين أيديهم ، أو من يبحث عن المحبوب ، فإذا جاء الوصال لم يكن له نصيب فيه ونام ، والمهم كما يقول مولانا أن يكون الوصال نصيبك ، وألا تكون من المقطوعين المبعدين مهما كان جهدك ، فالتوفيق هو الأساس لا الجهد (انظر فى هذا المعنى الكتاب الثالث الأبيات ٨٣٩-٨٤١ وشروحها) وقد ورد أصل القصة فى أسرار التوحيد فى

مقائلات أبى سعيد لمحمد بن المنور (ص ٦٧-٦٨ من الأصل الفارسي وانظر الترجمة العربية للدكتورة إسعاد قنديل ص ٧٩-٨٠ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ب.ت.) كما وردت في منطق الطير للطار وفي معارف بهاء والد (والد مولانا جلال الدين) ، والكاتب المصري المعاصر نجيب محفوظ قصة رمزية تحت عنوان زعبلاوى عن إنسان يتحدث عن يسمى زعبلاوى ، ويسكر وعندما يفيق من السكر يخبروه أن زعبلاوى كان طوال فترة سكره يتحدث معه. وطبخ اللوبياء المذكورة في البيت كناية عن التمتع بصحبة المعشوق ، ومولانا متفائل دائماً بالنسبة للمعشوق الذى يجد في الطلب ، فقد يوافيه الحبيب وقد يجد هو الحبيب على حين غفلة (انظر حكاية عاشق طويل الهجران آخر الكتاب الثالث وأول الكتاب الرابع) ، ولعب النرد كناية عن الاستغراق في لعب الدنيا ولهوها ، وفي البيت رقم ٦١٠ ما أصابنا فهو منا ، من بيت شعر لناصر خسرو أصبح مثلاً سائراً . (انظر ديوان ناصر خسرو ص ٤٩٩ ، طبعة طهران ، وداستانهای أمثال الأمير قلى أميني ص ٣٤ ، أصفهان ١٣٥١).

(٦١٠ - ٦١٧) : يترك مولانا الحكاية ليتحدث عن العشاق الحقيقيين أولئك الذين لا يروحون في نوم الدنيا ، بل يتميزون بقلوب مستيقظة متنبهة مراقبة لا تغيب (عنه) طرفه عين ، لم يعد هناك جوز (أقل متعة من متع الدنيا) يلهيهم ، ويا أيها العاذل الذى تدعونا دائماً إلى متع هذا العالم وتريد أن نحيد عن هذا الطريق ، طريق العشق ، فمن ذا الذى ينصح من راحوا في صحارى جنونه واقتتوا بجماله ، أأمرنا بالهجران؟! أترانا بعد أن ذقنا قطرة من هذا المحيط نستطيع أن نحيد عنه ، ألم يكفك الهجران الذى عشنا فيه ، والفراق الذى أمضنا ، تدعونا بالمجانين؟ إن الجنون الحقيقى هو الغربة عن هذا الطريق ، وهذا هو الحق ، إنهم يرمون المجنون بالحجارة لأنه يقول الحق بلا رياء (غزليات شمس تبریزی ، ص ٩-١٠ ، ١٣٣٥ هـ.ش) هات قيودك كلها ، فسوف أحطمها ، فلا قيد

هناك يستطيع أن يمنعنى إلا قيد الهوية الإلهية المقيد به الأنبياء والأولياء، إن سلسلة هؤلاء القوم هي جديلة الحبيب القواحة بالمسك العارى عن الأسماء والصفات" (مولوى ٩٣/٦) (انظر أيضاً الكتاب الثالث ٣٨٥٢) فإن العشق ومراعاة ما درج عليه الناس لا يجتمعان .

(٦١٨ - ٦٣١) : العرى هنا هو تعرية الروح من رداء البدن ، والملابس فى لغة مولانا كناية عن الحجب وكناية أيضاً عن الجسد الذى يحجب الروح، وأن هذا الأمر لا يستطيع أن يتحدث به إلا ذلك الذى خلع كل ما تعارف عليه الناس من حياء وخجل ومراعاة لما تعارف عليه الناس ، ولم يعد يهتم بما سوى الله ، فالعاشق هو الذى لا يبالي بحياء أو فكر ، ثم يخاطب المعشوق : لقد حرمت الروح النوم من سحرك الحلال ، أنت مستغن عنا فى هذا العالم ، فهيا جرب صبرنا ، وهب أن للصبر حلقاً داوم الضغط عليه، فبهذا يسعد قلب العاشق ، أليس العاشق يسعد بابتلاء معشوقه له وكلما زاد هذا الابتلاء كان دليلاً على أن المعشوق يفكر فى العاشق للحظة، ولحاظ المعشوق رحمة مهما كان التعبير عنها، الموت منه حياة والسم شهد والشوك ورد ، ومن لم يحترق فى نار الحبيب لم يذق جنته، إن القلب داره ومنزله فماذا يحدث إن أحرقه ، إن إحراقه للدار يجعلها أكثر عمراناً وألقاً، إنه يعوضها بألف دار ، لا بل يعوضها بالجنان الخالدة ، إن الشمع لا يتألق إلا إذا احترق وهذا الأسد الهصور (مولانا فى حالة سكر) لا يفعل شيئاً جزافاً والعمران فى الخراب ، ويواصل مولانا يخاطب المعشوق الحق "بالأب" ربما ليبرر لنفسه أن يطلب عدم النوم من الذى لا ينام وذلك كي يرى أحوال الساهرين فى عشقه والذين جنوا وجداً به ، وأصبح العشق مبتلعا إياهم وكأنه أفعى ضخمة تبتلع كل شيء ، إنهم كالفراش والعشق كالنار ، وصل ثم احتراق . ويرى بعض المفسرين أن مضمون البيتين ٦٣٠ و ٦٣١ يشير إلى توبة العطار الشاعر المعروف وإراقته لجعبه فى النهر، وقد ناقش استعلامى هذا الأمر (٢٥٤/٦) فى حين أن الحكاية التى تروى عن توبة العطار الشاعر تختلف عن هذه الحكاية المذكورة

تماماً ، والعطر هنا لا يخرج عن أي كاسب في هذه الدنيا، وارقة الجعب في النهر كناية عن نبذ الأسباب والخروج عن كل ما في الدنيا في سبيل العشق الأزلي الأبدى الحقيقي . والرمي بها في النهر أي الإلقاء بها في تيار العشق الذي يتجه إلى وجهة واحدة عليها ولا يعود كل ما ألقى فيه .

(٦٣٢ - ٦٣٥) : المزور المخاطب هنا هو ذلك الذي يدعى العشق وليس عنده من العشق شيء ، أو ذلك الذي يتجه بعشقه إلى غير المعشوق الخالد، ولا يدرك العشق الحقيقي، وينظر إلى العشاق الحقيقيين بعين الشك والارتياب ، إنه يقيس الأمور بعلمه يقول اعلم كذا ولا اعلم كذا ، إنه احتيال سار كالوباء بين الناس ،أخرج منه إلى عالم الحى الذي لا يموت والقيوم على كل سعى تقوم به ، حينذاك تكون جديراً بأن تمنح الرؤية والمعرفة ، ولا تقل أنك في سكر، إنك سكران من المخيض ولست سكرانا من العشق الإلهى ، وهناك أنواع من اليقظة ترى بأنواع من سكر السكرى (انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٦٨٥ - ٧٢٠ وشروحها) دعك من هذا السكر الذي تدعيه حتى تكون أنت نفسك موصلاً السكر للمريدين واهبا إياهم هذا السكر، ودعك من هموم الدنيا المتفرعة العديدة وكن مهتماً بالعالم الذي لا تقلب فيه ولا تغير بل استواءً واستقامة، وكفاك فخراً بهذا السكر الذي يشاركك فيه الكثيرون ولست منغمساً وحدك فيه .

(٦٣٧ - ٦٤٧) : الحديث عن السكرى الحقيقيين سكرى خمر الحب الأزلية ، سكرى الحبيب ، إنهم حقاً كثيرون لكنهم كنفس واحدة فهم جميعاً وجود واحد ذائب في وجود الحبيب و "المؤمنون كنفس واحدة" ، وكل كثير رخيص إلا هذه الكثرة ، فهل الشمس المنتشرة ذليلة رخيصة؟! إن العلو الحقيقي والسمو الحقيقي والكبرياء الحقيقي موجود مع هذه الجماعة، فكن معها حينذاك تكون في أرض الله الواسعة أي القلب (انظر الكتاب الرابع ، الأبيات ١٧٦٠-١٧٦٤ وشروحها) إن هذا السكر نادر ندرة وجود البازى

الأشهب (عن البزاة البيض في مقابل الغربان ، انظر الكتاب الرابع ، البيت ١٧٠٠ وشروحه) في هذه الأرض المقدسة أرض القلب هناك ما هو أسمى من هذا البازي الأشهب ، سئل السيد برهان الدين هل للطريق إلى الله نهاية ، فقال الطريق له نهاية والمنزل لا نهاية له (مولوى ٩٦/٦) إن إسرافيل هو المختص بنفخ صور الأحياء ، وبصوره يتبدل موتى الجسد إلى أحياء الروح، ومن ثم فهو متميز ، فكن أنت أيضاً مثله أخذاً بأيدي الموتى إلى الحياة الخالدة ، يوم ترى الناس سكارى وما هم بسكارى فإن أولئك الذين يقولون لا أعلم كذا ولا أعلم كذا إنما يمزحون في الحقيقة ، إنه يكررها ونفى النفي إثبات ، فدعك مما لا يعلم ومن النفي، وادخل فيما تعلم أي الإثبات ، كن معبراً عن الواقع ، ترانى شققت عليك بهذا الحديث ؟! دعنى أفسره لك بهذه اللطيفة عن ذلك الأمير التركي الثمل ، فما بالك تستفيض في النفي ، وأصل هذا الوجود .

(٦٤٨) : الحديث المذكور في العنوان " إن لله شراباً أعده لأوليائه إذا شربوا سكروا وإذا سكروا طابوا وإذا طابوا طاشوا وإذا طاشوا طاروا وإذا طاروا بلغوا وإذا بلغوا وصلوا وإذا وصلوا اتصلوا وإذا اتصلوا انفصلوا وإذا انفصلوا قنوا وإذا قنوا بقوا وإذا بقوا صاروا ملوكاً في مقعد صدق عند مليك مقتدر " وفي رواية " إذا طابوا طربوا " (مولوى ٩٧/٦) أما الأبيات المذكورة في العنوان ، أما البيت الأول فهو شطرة من رباعية ليست لمولانا أو للعطار أو سنائى ولم أتوصل إلى قائلها ، أما البيت الثانى فهو لفريد الدين العطار (ديوان فريد الدين عطار نيشابورى ، البيت رقم ٩٨٢٤ ، ص ٥١٨ من الديوان ، ط ٣ ، طهران ١٣٣٩ هـ.ش) والبيت الذي يليه لسنائى (حديقة الحقيقة ، الترجمة العربية ، لكاتب هذه السطور ، البيت ٦٦١) ويبدو أن أصل القصة من الروايات الشعبية التى كانت سائدة في الأناضول في عهد مولانا إيان حكم السلاجقة الترك للأناضول .

(٦٤٩ - ٦٥٣) : يترك مولانا قصة الأمير التركي الذي انتبه من سكره فلا يعود إليها إلا في البيت ٧٠٨ ، والمطرب المذكور في البيت التالي كناية عن المرشد الذي يأخذ بيد المريد في حالة سكره فلا يشذ ولا يضل ولا يشطح ، وهو الذي ييسر له عالم الصفاء الروحاني والصفاء الرباني وشأنه شأن مطرب الجسد يحو عنه غبار الأحزان المتراكمة (مولوى ٩٨/٦) فهذا المطرب الروحاني هو الذي يجز مريديه نحو السكر الإلهي بخمره الإلهية وفتوحاته الربانية ، ومن "نفس" هذا المطرب تحدث القوة من بعد الضعف والصحو من بعد السكر ، ولمطرب الجسد خمره ولمطرب الروح خمره، والشطرة الثانية تقرأ عند بعض المفسرين مطرب بفتح الميم وهو المضيق، والدنيا عند بعض العارفين بمثابة المضيق لابد للمريد فيها من الشيخ يأخذ بيده ويعبر به ، وكلاهما مطرب، أي مطرب الجسد ومطرب الروح، وشتان ما بينهما وإن تشابها في الحروف، والفرق بينهما كالفرق بين أبي الحسن الوزير الجواد وأبي الحسن الآخر الوزير سلاخ الفقراء (انظر الكتاب الرابع ، الترجمة العربية لكاتب هذه السطور ، الأبيات ١١٧٠-١٢٤٠ وشروحها) وبالرغم من أن كلمتي آسمان (السماء) ورسمان (الحبل) متشابهتان في الفارسية، ولكن شتان بينهما فيما يتعلق بالمعنى، ويضرب المثل في الفارسية على التشابه في المظهر بين شيئين بينهما في المعنى بون شاسع .

(٦٥٤ - ٦٦١) : ينطلق مولانا إلى الحديث عن المظاهر أو الألفاظ وكيف توقع في الظن والخطأ ، واللفظ بمثابة الجسد ، فأى فرق تراه بين المجوسى والمسلم فيما يتصل بالجسد ، ألم يقل الكفار للرسول ﴿ إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا ﴾ (إبراهيم /٩٤) . وما هذا الجسد بالنسبة للروح إلا كإطار، كوعاء تماماً، كجرة ، وقيمة الجزة بما فيها ، فجسد العارف ملئ بالعلم والفيض ، وجرة الفاسق والكافر ملئية بالسم الزعاف ، فانظر دائماً إلى ما تحتويه القدور لتكون ملكاً، وإلا إذا وقفت على النظر إلى

الظاهر تضل ، وهكذا الألفاظ والمعاني فالألفاظ بمثابة الأجساد وبمثلة القُدور والمعاني بمثابة الأرواح وبمثلة المحتوى، وليس كل إنسان بقادر على التمييز ، فهناك عين للجسد لا تستطيع النظر إلا إلى الأجساد مهما كانت ذات فنون وقدرات على رؤية الظاهر ، ولكن أين فنون الجسد من فنون الروح ، وأين قدرات الجسد من قدرات الروح ؟! وهكذا أيضاً هذا الكتاب الذي بين يديك قد يكون مشتملاً على هزل وقد ترد فيه حكايات خارجة ، هي هكذا لمن ينظر إلى ظاهرها وصورتها، لكنها بالنسبة لمن يدرك المعاني هادية للسبل، وألم يقل الله سبحانه وتعالى في شأن القرآن العظيم ﴿ يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً ﴾ (البقرة / ٢٦) فالكفار والجهال من الحيرة في إدراك حقائق الأمثال يقولون ﴿ ماذا أراد الله بهذا مثلا ﴾ فبجهلهم زاد إنكارهم على الإنكار فتأهوا في أودية الضلال بقدم الجهالة، فيضل به كثيراً ممن أخطأهم رشاش النور في بدء الخليقة، فمن أصابه النور فقد اهتدى ومن أخطأه فقد ضل ، فمن أخطأه ذلك النور في عالم الأرواح فقد أخطأه نور الإيمان هنا، ومن أخطأ نور الإيمان فقد أخطأ نور القرآن ، فكان القرآن لقوم شفاء ورحمة ولقوم شقاء ونقمة (عن تفسير نجم الدين كبرى ، نقلا عن يوسف بن أحمد المولوى ١٠٠/٦) .

(٦٦٢ - ٦٦٨) : وهكذا فعندما ينطق العارف كلمة الخمر، متى يقصد الخمر المعلومة لديك وكل شئ في نظره فان ، فلا ينظر إلا إلى معاني الأشياء ، إنما تفهم أنت ما يستطيع فهمك أن يصل إليه ، إن ما يصل إليه فهمك هو ظاهر الألفاظ هو هذه الخمر الدنيوية خمر الشيطان وأم الخبائث ، وهكذا تظن خمر العارف وهي من كل هذا براء ، ولكل شراب مطربه الذي يستدعيه ، فإن وجد المطرب لابد وأن يوجد الشراب وإن وجد الشراب لابد وأن يوجد المطرب . وشراب الدنيا في حاجة إلى مطرب الدنيا ، أما شراب الروح ففي حاجة إلى المرشد والشيخ وهو مطرب الروح ، حلقات متصلة شرب يؤدي إلى خمار وخمار يؤدي إلى شرب وإلى ذهاب إلى الحان (فى الجسد والمعنى) هما معا كميدان له بداية ونهاية،

البداية تؤدي دائما إلى النهاية ، والقلب (موضع العشق) كأنه الكرة في صولجان (المشيئة)، وكما أن الآن توجد حيث يوجد الرأس (انظر الكتاب الثالث ، البيت ٢٧٧٤ وشرحه) وإن كان في هذه الرأس هيام ما فإن الآن تتبعه لأنها مجرد تابع ، ثم يندمجان معا التابع والمتبوع والمطرب والمخمور. وفي تفسير آخر للشطرة الثانية من البيت السابق ، عندما يكون باطن الإنسان فارغاً من نور الإيمان ويكون قلقاً من الصفراء التي تجتاحه، فإن هذه الصفراء تجره إلى السوداء والماليخوليا وخيال الباطل فتبعد المرء عن الحقيقة .

(٦٦٩ - ٦٧٤) : يحاول مولانا العودة إلى حكاية الأمير التركي والمطرب لكن المعاني تجرفه مرة ثانية ، وتصلح السرور والألم أي وصول العاشق إلى مرتبة يكون فيها ألم الفراق عليه وسرور الوصال سيين لديه، فيكون فانيا في المحبوب ممحوا فيه ، لا يرى لنفسه رغبة أو إرادة. وهكذا أيقظ أميرنا إياه المطربين ، أي طلب من يقوده من عالم السكر إلى عالم الصحو، والبيتان الأخيران من الأبيات العربية مشروحان في قصة من قصص الكتاب الأول . وفي تعليق للأقروى (٦-١/١٥٩) أن الأبيات توحى بقول المجنون

فلاحت فلا والله ما ثم مانع سوى أن طرفي كان عن حسنها أعمى
توهمت قدما أن ليلي تبرقت وإن لنا ما بيننا ما يمنع اللثما
(انظر الترجمة العربية للكتاب الأول ٣٠٦٣ وما بعده وشرحها، والبيت الأخير ، انظر الكتاب الثالث الترجمة العربية لكاتب هذه السطور ، الأبيات ١٣٤٥ - ١٣٥٤ وشرحها) . ولابن الفارض :
وقد رفعت تاء التخاطب بيننا وفي رفعها عن فرقة الفرق رفعتي

(انقروى ٦-١/١٦٠)

كما يذكر السبزواري (ص ٤٢١) البيتين :

ولا تسمح بوصلك لي فاني أغار عليك منك فكيفي مني

وينكر للحلاج :

بينى وبينك اني ينازعني فارفع بلطفك انبي من البين

ولابن الفارض :

فلم تهوني ما لم تكن في فانيا ولم تفن ما لم تجتلي فيك صورتي

(٦٧٥ - ٦٨٠) : مصدر الحكاية التي تبدأ هنا يقول فروزانفر (مأخذ ، ص ٢٠١) عن نبهان مولى أم سلمة رضى الله عنها ، أنه حدث أن أم سلمة حدثته أنها كانت عند رسول الله ﷺ وميمونة قالت : بينما نحن عنده إذا أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعد أن أمر بالحجاب ، فقال رسول الله ﷺ احتجبا منه ، فقلنا يا رسول الله ﷺ أليس هو الأعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ، فقال رسول الله ﷺ أفعمياوان أنتما ؟!! ألستما تبصرانه ؟!! ورواية مولانا أقرب إلى رواية أخرى لهذا الحديث وردت في تفسير أبى الفتوح الرازى (مأخذ / ٢٠٢) . والغيرة المذكورة فيما بعد إشارة إلى حديث نبوى { إن سبعا لغيري وأنا أغير منه والله أغير منا ومن غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن } (انظر الترجمة العربية للكتاب الأول ، البيتان ١٧٢٣ - ١٧٢٤ وشروحهما) والبيت رقم ٦٨٠ مختلف التفسير عند استعلامي فهو يرى أن المعنى أن العجائز يحقرن أزواجهن ، وهو تفسير بعيد بل أولى التفسير ما جاء في ظاهر البيت: إذا كانت الغيرة تصدر عن الجمال لأن الجميل هو الذي يغار من أن ينظر إلى غيره لأنه طعن في جماله ، وهو أعز ما يتدلل به وتجاهل له وهو المعتاد على لفت الأنظار (وعن قيمة الحجاب بالنسبة للمرأة ولعفافها وإن لم يرها رجل ، انظر الكتاب الثالث ، الترجمة العربية ، الأبيات ٣٧٠٥ - ٣٧٠٩ وشروحهما) .

(٦٨١ - ٦٩٠) : الحديث عن الجمال المحمدى ، جمال باطنى ومعنوى لا مثيل له في الكونين أي الدارين ، وذلك لأنه يستمد جماله من الجمال المطلق ، ومن الغيرة التي

تصاب بها فلك الأعمار والشموس المتألئة على هذا الفلك ، فإن هذا الجمال يغيب ﴿ تراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون ﴾ هي غيبة عن الأبصار لا عن الحقيقة والليل هو ليل الاستتار (في مقابل نهار التجلي) ، وعند غيبة الجمال يتبجح القبح فتطير الخفافيش (أي الأنفس التي لا طاقة لها على مواجهة نور شمس الجمال المطلق) ولا تنظر الطواويس أي أهل الكبرياء والتنفج وأولئك الذين زينوا ظواهرهم ، دون بواطنهم إلى أقدامهم أي نفوسهم وهي مواطن القبح فيهم والتي تدلهم على حقيقة قبحهم ونقصهم، كما كان الحذاء الريفى والسترة الجلدية لإياز مملوك محمود الغزنوى يذكره دائما بأصله ، (انظر لتفصيلات الكتاب الخامس ، الأبيات ١٨٥٩ وما بعده و ٢٠٥١ وما بعده و ٣٢٥٣ وما بعده والبيت ٣٩٠ من الكتاب الذي بين أيدينا وشروحها) . ثم إن الرسول ﷺ يتجلى بجماله لكى يحس كل قبيح بقبحه ويحاول أن يستمد من هذا الجمال ، ثم يخلص مولانا إلى أن الحديث عن الجمال المحمدى لا يستوعبه مقال ولا يستطيع مقال أن يعبر عنه ، والله تعالى أمرنا بالقصد في كل شئ ، وفي الحديث والكلام بالطبع .

(٦٩٣ - ٧٠٠) : في البيتين ٦٩١ - ٦٩٢ يعود مولانا إلى حكايته ، لكنه لا يلبث أن يتركها ليعاود افاضاته عن الجمال المحمدى وهو الجمال المطلق السارى عن الجمال الكلى في كل الكون، فهو الجمال الذي يحسده العقل الطالب للكمال والباحث عن المعرفة (انظر الترجمة العربية للكتاب الثالث الأبيات ٢٥٢٨ - ٢٥٣٨ وشروحها) وهو يعبر عن هذه الغيرة بكثير من التشبيهات والأمثال ، " أراد أن الولي الكامل عقله كمحمد وروحه كعائشة فكما غار رسول الله ﷺ على حسن عائشة ، وعلمت عائشة فأشارت بيدها لتخفى صورتها، فغيرة العقل على حسن الروح من هذا القبيل، إذا أرادت التكلم فلعلمها بغيرة العقل من عوى القلوب، لئلا يعلموا صوتها، بل مثلت وأشارت وكنت فيفهم العارف . وهذا المثنوى ناثر لمئات الألوف من أسرار خفية ورموزات عليّة رحمانية ولو كان مشتملا على بيان حسن

وعز المعشوق الحقيقي جل وعلا لكن على وجه التمثيل والكناية لأن العقل الغيور لا يرضى بالتصريح فيطلع على أسرار العشق المحارم (من أنن لهم) لا غير (مولوى ١٠٥/٦) . ولا حاجة بالعقل إلى هذه الغيرة ما دامت الروح خفية هذا الخفاء ، أترأه من فرط المحبة التي يكنها العقل للروح؟ ومن هو أهل لها يراها مهما أخفيها ومن هو غير أهل لها لا يراها مهما كانت واضحة ظاهرة . وكيف تخفيها أيها العقل الغيور والشمس في كبد السماء لا تجد أثرا منها ما لم يسمح لها ، وكيف تضع النقاب على وجهها ونورها يشع من وراء هذا النقاب؟! والجواب : إننى من فرط الغيرة التي أحس بها تجاه هذا المحبوب أريد أن أخفيه حتى عن نفسي ، أغار عليه من عيني أن تراه ومن أننى أن تسمعه ، إذن فلماذا تتحدث؟! أليست تخاف أن تفصح عما لا يجب الإقصاص عنه أمام من ليس بأهل له؟! فهيا أيتها الروح وهيا أيها القلب اصمتا تماما .

(٧٠١ - ٧٠٧) : يحاور مولانا قلبه وروحه ويسمع الرد من هذا القلب والروح : إن الصمت عند أهل المعنى حديث (انظر الكتاب الثالث عن آفة الحال إدراك المقال ، وعن غسل الدم بالدم وعن الصمت المحال والنار في صوف وقطن ، الترجمة العربية ، الأبيات ٤٧٢٥ - ٤٧٣٩ وشروحها) لكن الأمر هنا ليس على شاكلة النار في صوف وقطن بل هو على شاكلة الشمس التي تحاول أن تداريها فتمزق الحجب ، إن هذا الحديث ضرورى ومهم ولا مندوحة عنه ولا محيص عنه ولا مهرب ، إن بحر المعاني تجيش غواربه فيتحول جيشانه هذا إلى زبد على وجهه ، أليست الحقيقة العليا هي القائلة : كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبى عرفونى " ، اعرف نفسك إذن أيها المخلوق ، أنت زبد البحر الكلى ، ومن ثم فإن الكلام حجاب واخفاء الكلام هو عين إظهاره ، إنك لا تتحدث بل تشير وتومىء فيزداد الكلام من هذه الإيماءات والإشارات ، هذا يفسره وهذا يزيد منه ، وهذا يؤوله ، فتحدث أنت إذن حتى ينشغل الناس بكلامك عما تعبر عنه، فأنت تراهم

ينظرون إلى هذا البلب الذي يغرد حيناً ما بجمال الروضة فينصرفون عن هذا الجمال ،
ويتوهون في البحث عن الدليل وينصرفون عن عبير الحقيقة !!

(٧٠٨ - ٧٢٤) : المطلع الموجود في العنوان من غزل لم أعرف قائله وإن كان أقرب ما
روى إليه غزل لفخر الدين العراقي مطلعته:

أنت قلبٌ أم فاتنة أو روح أو أحبة ... لست أدري

أنت كل الوجود .. والخلاصة أنني لست أدري هذا أو ذاك
والشطرة الثانية من البيت وردت بمعناها من نفس هذه الغزلية لفخر الدين العراقي ، في
البيت السادس والسابع : ماذا تريدين من هذا المسكين الحائر ، لست أدري....

(ديوان فخر الدين العراقي ، ط ٦ ، تهران ، ١٣٧٠ ، صص ١٨٢ - ١٨٣)
ويعود مولانا إلى قصة ذلك الأمير التركي ومطربه ، والمقصود بالطبع أن على المرء أن
يتحدث عما يدريه وإلا فعليه أن يصمت وإلا باخ الحديث وبأخت المعاني ، فما هذا النفي
وما هذا السلب ، إنك تسأل سؤالاً مباشراً فأجب عنه بجواب مباشر .

(٧٢٥-٧٢٧) : لقد وصف التركي من قبل بأنه أعجمي لا يفهم ، وما هو التفسير يأتيه
على لسان المطرب (المرشد) : إن المقصود بكل هذا النفي هو الوصول إلى الإثبات ، فما لم
يصل المرء إلى مرحلة الفناء فإنه لا يصل إلى مرحلة البقاء (انظر مقدمة الترجمة العربية
للكتاب الثالث البقاء في الفناء) ، ألسنت تعتبر الموت نفيًا للذات؟ إن الأسرار كلها تتكشف
لك بهذا الموت ، ويتحول نفيك إلى إثبات .

(٧٢٨ - ٧٣٥) : الحديث المذكور في العنوان يتكرر كثيراً عن الصوفية ومر شرحه في
الكتاب الرابع (انظر البيت رقم ١٣٧٢ وشروحه من الكتاب الرابع والأبيات ٣٦٧٢-
٣٦٧٨ وشروحها من الكتاب الثالث) والبيت المذكور لسنائي من ديوانه (ص ٥٢) فالفناء
ينبغي أن يكون كاملاً حتى يمكن إدراك الحياة الآخرة ، فإياك أن تقف عند درجة وتظن أنك

بها قد أدركت الفناء ، ينبغي ألا تنقص درجة واحدة من درجات الوصول إلى الله تعالى مهما أطلت فيها ومهما بدى لك أنك وصلت "فمن ظن أنه قد وصل فقد انفصل" ، وإنك لن تصل إلى مرحلة غرق السفينة والذي فيه نجاتها من ملك (نفس) يأخذ كل سفينة غصبا إلا إذا وضعت فيها الحمل الأخير والحمل الأخير هو آخر وساوس النفس ومغريات الهوى إن هذا بمثابة النجم الطارق الشارق في ليل الضلالة الداجي لمطاردة شيطان النفس ، أى أن سفينة الوعي أى الحياة المادية ، تتجلى عليها شمس الروح ، فإن لم تمت هذا الموت الاختياري، فقد طال عليك نزع الروح، وطالت عليك سكرات الموت ، لأنك تكون متعلقاً بالدنيا متشبثاً بها. فيا أيها المحبوب ، يا شمعة جميلة حسناء من شموع مدينة طراز ، بادر بالموت الاختياري ، ولن تتجلى لك شمس الحقيقة ما لم تمت أنجم الذات وذهب ليل الجهالة .

(٧٣٦ - ٧٤٠) : الحديث من المطرب (المرشد) إلى الأمير التركي (النفس الدنية الجهول) الذي سحب هراوته ليضرب المطرب يقول له : اضرب نفسك بهذه الهراوة فإن عين جسدك التي هي بمثابة قطة في أنفك تسد طريق وعيك ، إنك لا تضربني بل تضرب انعكاس وجودك الدنيوي في ، لقد ضايقت مني قولي لست أدري لست أدري ، ولم تنتظر حتى أتم، بل أحسست أنني أقصدك أنت لأنك لا تدري شيئاً ، وهذا هو ما أغضبك (انظر لانعكاس شعور الآخرين في الطرف المقابل البيت ٣٢٥٢ من الكتاب الثالث) والإشارة في البيت ٧٤٠ إلى ما ورد في الكتاب الأول الأبيات ١٣٠٤ وما بعده قصة الأرنب والأسد وتكررت في أكثر من موضع من كتب المثنوى الستة) .

(٧٤١ - ٧٤٧) : هذه الفكرة أيضاً من الأفكار التي تكررت في المثنوى كثيراً : إن الأشياء تتكشف بأضدادها ، وفي هذه النشأة الأولى لا تتميز الأشياء إلا بأضدادها ومن ثم لا إثبات إلا بنفي ، فلا لحظه توجد فيها إلا وفي داخلها من فخاخ الشهوات الكثير ، وذا اللباب خطاب من المطرب للأمير التركي وهو للسخرية لأن الأمير في حالة سكره فاقد للعقل

بالفعل ، إن الحق إذا أردته فهو لا يكون بلا حجاب طالما أنت في حالة الحجب وإن كنت تريده بلا حجاب فاختر الموت ، ليس موت الدفن في التراب بل هو موت الخصال النميمة والميلاد الثاني في الخصال الحميدة المرغوبة ، مثل موت الطفولة والميلاد في حالة الرجولة ، ومن وصل إليه فقد محيت عنه الألوان وتجلّى في النور وصار حزنه سروراً ، وهو ما يعبر عنه مولانا في ديوان شمس :

كنت ميتاً فأصبحت حياً كنت باكياً فأصبحت ضاحكاً

لقد حلت دولة العشق وللعشق دولة خالدة

فلى عين شبعى ولى روح شجاعة

ولى جراءة الأسد وصرت متألّفاً ككوكب الزهرة

(غزل ١٩٩٣ ص ٥٣٩)

(٧٤٨ - ٧٥٤) : إن لم تكن تصدق أن هناك حياً مات في الله وفنى فيه وولد الميلاد الثاني في هذه الدنيا فاستمع إلى حديث الرسول ﷺ بشأن أبي بكر الصديق رضى الله عنه {من أراد أن ينظر إلى ميت يمشى على وجه الأرض فليُنظر إلى ابن أبي قحافة} كما ورد {من أراد أن ينظر إلى شهيد يمشى على وجه الأرض فليُنظر إلى طلحة بن عبد الله} (أحاديث المثنوى ص ١٩٤) إن روحه فانية في عالم الغيب وإن كان جسده ﷺ لا يزال يدب على الأرض ، ومن ثم فإن الموت بالنسبة لأبي بكر لا يعنى انتقال روحه ، فقد انتقلت ، ولن يفهم أحد هذا إذا قاسه بعقله ، فليس الانتقال هنا انتقالاً بالقدم كما هو مفهوم عند أولئك العوام الذين لا يفهمون المصطلحات الصوفية ، لأنها ذوق ، ومن ذاق عرف ، فلن يكون الأمر مفهوماً ، (ورد مضمون هذا المعنى أيضاً في الكتاب الثالث : انظر الترجمة العربية ، الأبيات ٣٤٣١-٣٤٣٧ وشروحها) أنه ليس كسفر المرء من بلد إلى بلد بل كسفر النطفة إلى النهي ، وكسفر البوص إلى مرحلة أن يصبح سكراناً (انظر الكتاب الرابع ٥٥٣-

٥٥٦ وشروحها) ، أن أبا بكر هو من هنا أمير المحشرين - المحشر الأول إقناء الذات في هذه الدنيا والمحشر الثانى هو محشر الآخرة ، فإن كنت لا تؤمن بالحشر أنظر إلى أبى بكر كى تكتسب هذا الإيمان .

(٧٥٥ - ٧٦٥) : إذا كان هذا هو حال أبى بكر الصديق لقربه من محمد ﷺ فما بالك بمرتبة محمد ﷺ والخلفاء الأربعة نقاط أربعة من عرقه "إن الله تعالى نظر إلى روح رسول الله ﷺ قبل إيجاد العالم فظهر منها ستة قطرات من العرق النوراني فخلف من الأربع قطرات أرواح الخلفاء الأربعة وخلق من قطرة الأرز ومن قطرة الورد الأحمر" (مولوى : ١١٤/٦) ، فإذا كان أبو بكر أميراً فى القيامة فمحمد هو القيامة نفسها إنه القيامة لأنه دائماً ممحو فى صلاته ناظر إلى الرفيق الأعلى من الجنة ، فهو الحشر وكان كلما سئل عن القيامة قال : بعثت أنا والساعة كهاتين ويعقد ما بين إصبعيه (أحاديث المتنوى/١١٨) إنه من عظمتهم ومهابته قيامة حاضرة (انظر الأبيات ١٤٨٠ - ١٤٨٢ من الكتاب الرابع وشروحها) وإن سئل ﷺ عن القيامة فإن هذا يعنى أن السائل لم يدرك بعد عظمة الرسول وأنه كان قيامة على الكفر وعلى الترفه والاستعباد والطغيان والانتهاز ، ومحمد هو الذى ولد مرة ثانية فى هذه الدنيا ، أنه هو الذى ولد مرتين مرة بالجسد ، ومرة بإقناء الصفات وفى عالم الروح ، ومن هنا قال الرسول ﷺ : موتوا قبل أن تموتوا ، ذلك لأنه هو الذى جرب الموت قبل الموت وعرف ما فيه من الفوائد الرحمانية والعطايا الإلهية ، لقد تحدث الرسول ﷺ إلى أتباعه عن تجربة فقد مات قبل الموت ، ومن هذه الميئة الأولى كان صيته وكان صوته ، فإن أردت أيها السالك أن تفهم وأن تعرف ، فشرط المعرفة هنا هى الذوق ، كن مثله وسر على منواله حتى تفهمه ، فليس ما تريد أن تفهم سواء كان نور أو ظلاماً ، إن سرت على طريق العقل تيسر لك كل ما يمكن للعقل أن ييسره ، وإن سرت على طريق العشق أدركت قبساته ، ويكفيك هذا القدر من الدلائل والبراهين على وجود الموت الاختيارى التبديلى ،

فهذا على قدر فهمك وهمتك ، فقد قلت مراراً أُنفى مت حسرة على الفهم الصحيح (البيت ٢١٠٠ من الكتاب الثالث) وحيثما وجد غذاء يوجد آكلة ولا فائدة من معنى يطرح أمام من لا يدركه .

(٧٦٦ - ٧٨١) : إذن فهذا العالم كله فى نزع وفى موت ، تموت خلايا وتتجدد بدلاً منها خلايا أخرى ، وليس الماء الذى يجرى فى الجدول هذه اللحظة هو نفس الماء الذى كان يجرى فى اللحظة السابقة ، (انظر الكتاب الأول : البيت ١١٥٠ فى كل لحظة لك موت ورجعة) وما دام الناس كل لحظة فى نزع وموت فإن كل ما يتشددون به من ألفاظ يكون من قبيل الوصايا التى يوصى بها المحتضرون أولادهم ، فانظر إلى كل شيء على أنه غارب ومنته ومنقض حتى لا تفاجأ بالنهاية ف :

لو فكر العاشق فى منتهى حسن الذى يسببه لم يسبه (بيت لأبي العلاء المعرى) .
ولا تظن أن النهاية بعيدة فكل آت آت ، وكل آت بعد حين فهو آت ، المهم أن تبعد عن عينيك الأغراض الدنيوية وألا يكون اهتمامك بها فحسب ، وإن عجزت عن ذلك فلا تستسلم لهذا العجز ولا تقف عليه ، فمع عجزك يكون الله معك "ويفعل بالضعيف حتى يتعجب القوى"، وذوو الأقدام المحطمة الذين سلموا هم أول من وصل إلى المقصد ، هذا العجز قيد ، فانظر إليه - وتضرع إلى الإله الواحد الذى يستطيع أن يحل عن قدمك هذا العجز ، فالإنسان فى خسر ﴿ إن الإنسان لفى خسر ﴾ (العصر ٢) . وهذا هو الحكم العام ولا يستطيع أن ينجيه من هذا الخسر إلا الإله ، وراجع نفسك ما الذى قيد قدمك ، أترأى الشر الذى سعيت فيه وأثقلت به هذا القدم ، أو الصمم الذى أصاب أذنك ، أم الادعاء الذى تدعيه من أنك كسرت أصنام الأهواء فى حين أنك كنت تحتها وتقيمها وتريد فيها ، أكتت منصرفاً إلى صنمك ترى ذكره واجباً ولا ترى ذكر الموت واجباً ، أجل ، الموت أمامك فى كل لحظة رأيتَه وجربته فى فقدك الأحباب ينوون أمامك وينتهون أمامك ، وتتسرب منهم الحياة ، لكنك

لا تحس إلا إذا داهمك الموت وأخذ بحلقك، ومن شدة ضربه لجسدك المنفوخ كالطبل يرتفع صياحك ، وهكذا أنت ضيعت عمرك في كسب العلوم الدنيوية قائلاً إنك محيط بدقائق الأمور ، وغفلت عن سر الموت الذي لم تدركه إلا لحظة وقوعه فحسب .

(٧٨٢) : الحكاية التي تبدأ بهذا البيت في رأى لاستعلامي أنها لم ترد قبل مولانا في مصدر ما وإن وردت بعده في مصادر عديدة . وإن كانت توحى بان احتفالات الشيعة الباكية بعاشوراء تعود إلى ما قبل العصر الصفوي في القرن العاشر الهجري وإن كان الصفويون قد بلوروها وأضافوا إليها كثيراً من المظاهر والشعائر (انظر مقال الهوية الشيعية واحتفالات عاشوراء في مجلة الهلال عدد يونيه ١٩٩٢ لكاتب هذه السطور) .

(٧٨٤) : المقصود شمر بن ذى الجوش قاتل الحسين عليه السلام في كربلاء وقد صار علماً على الشر في المأثور الشيعي المعاصر ويزيد هو يزيد بن معاوية .

(٧٩٦) : المقصود كما أن لمحمد بن عبد الله عليه السلام وزنه وقيمه فللحسين عليه السلام وشهداء كربلاء قيمتهم ، وإذا كانت الأذن عزيزه يكون القرط عزيزاً أى كل ما يتعلق بالعزيز عزيز وهو مثل فارسي سائر .

(٨٠٢ - ٨١٠) : إذا كانت روح هذا السلطان من سلاطين الدين قد فرت من سجن الدنيا فلم التأسف والبكاء ؟ ولماذا التحسر على أنه قد انطلق من قيود الدنيا إلى عالم لا قيود فيه ؟ إن يوم أن تخلصوا من هذه الحياة الوضرة هو يوم العيد ويوم الحرية ولا ينبغي الاحتفال بالبكاء بل بالفرح والسرور ، بل لتبك جهلك الذي جعلك تتوح هكذا ، إنك تتوح لأنه غادر الدنيا ، فأنت لا ترى سوى الدنيا ، ولو رأيت الآخرة لضحيت بهذه الدنيا ولصرت شجاعاً مقداماً ، وإذا اتصلت ببحر الغيب لصرت سخي الكف ، فمن رأى الجدول لا ييخل بالماء (انظر لأفكار أخرى في هذا المعنى الكتاب الثالث الأبيات ٣٤٢١ - ٣٤٢٨ وشروحها والكتاب الخامس الأبيات ٣٧٨٢ - ٣٧٨٧ وشروحها) .

(٨١١ - ١٢٥) : يضرب مولانا مثلاً للإنسان الذي يقف عند الدنيا وعند ما يراه من زينتها زخرفها بالنملة (تكرر مثال النملة وإدراكها المحدود في المثنوى انظر على سبيل المثال لا تحصر : الترجمة العربية للكتاب الرابع الأبيات ٣٧٢١ - ٣٧٢٦ وشروحها) والحنة هي هذه تعاليم المحدود الذي نعيش فيه إذا قيس بالبيادر (الأكوان والدار الآخرة) ، والإنسان ذرة بالتقياس إلى عطارذ ونملة عرجاء بالتقياس إلى سليمان (المرشد الكامل والنبى الذى دانت له المخلوق - كنها) (انظر الترجمة العربية للكتاب الرابع البيت ١٢٨٧ والأبيات التى تليه مع شروحها) وهكذا يقدم مولانا المضادات كلها (وبضدها تتميز الأشياء) والإنسان بقدر ما يراه ، وقيمة المرء ما قد كان يدركه (وفى رواية يعلمه) ثم يدق مولانا على معنى سبق أن قدمه فى الكتاب الأول (انظر الكتاب الأول - البيت ١٤١٦ ولتفصيل الفكرة راجع الأبيات ١٤٠٦ - ١٤١٧ وانظر أيضاً الكتاب الخامس الأبيات ٣٦٧٦ - ٣٦٩٥ وشروحها) والذن هو الروح الكاملة وهو رجل الحق وهو البصيرة النفاذة والإدراك ، وإذا كان هذا الإدراك متصلاً بعالم الغيب ، فإنه يكون بحراً من المعارف والعلوم والبصائر يزرى بنهر جيحون ، أما الأقوال التى ينطقها فإنه تكون درا لأنه يكون ناطقاً بالله معبراً عنه ، يكون نطقه أحمدياً ، ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ ، إنه يستمد من البحر مباشرة ، فكلامه كله در بحر ، وكل من تخلق بخلقه وسار على هديه يكون له نصيب من البحر ، أليس للسمة فى نهاية الأمر نصيب من البحر وهذا النصيب مهما كان ضئيلاً فإنه يدل على البحر كله ، (انظر افتتاحية المثنوى ، مل هذا الماء من ليس بحوته البيت رقم ١٧ من الكتاب الأول) ويعود مولانا : إن العين قاصرة ترى فى محمد ﷺ وسيلة إلى البحر وقمرا إليه بينما هو فى الحقيقة هدف ومستقر فى حد ذاته ، وهكذا العين الحولاء ترى الدن غير البحر والبحر غير الدن بينما فى الحقيقة أنهما واحد لا يتجزأ لا حدود ولا فواصل بين الأول والآخر فالأول هو عين الآخر والآخر هو عين الأول. قال

نجم الدين : هو الأول فى عالم لاهوته والآخر فى عالم ملكوته والظاهر فى عالم ناسوته والباطن فى عالم جبروته وهو إشارة إلى وحدانية ذاته المحيط بالكل ولأجل هذا يبدأ به ويختم عليه ، وفى قوله وهو بكل شيء عليم من الحقائق اللاهوتية والحقائق الجبروتية والحقائق الملكوتية والشقائق الناسوتية وهذا يفيد أن الله عار من التغير والتبدل والتحيز والتحول باق على وصف واحد (مولوى : ٦ / ١٢٤) .

(٨٢٦ - ٨٢٩) : إن هذا الأمر يبدو غامضاً لكن إدراكه لا يكون إلا عن طريق البعث ، أى أن تختار الإرادة الإلهية العبد وتجذبه وتصل به إلى مراتب عليا من مراتب الإدراك ، وهذا يكون بالسير والسلوك ولا يكون عن طريق الجدل وشرطه الأول الفناء ، والناس جميعاً قد أخطأوا إذ يخافون من العدم ويخشونه والعدم هو الملجأ والملاذ وهو أصل الوجود ومخزنه (انظر الكتاب الثالث الأبيات ٣٧٧٢ - ٣٧٧٣ وشرحهما والكتاب الخامس الأبيات ٤١٨٢-٤١٨٦ وشروحها) ومن ثم فإن إدراك العلم الباطنى لا يكون إلا بترك العلم الدنى (الصبر وانتظار العطايا وعدم التعالم ، كذاك تستطيع أن تصل إلى الوئام والسلام مع الله إذا حاربنا فى الدنيا (وليست النظرية الحربية القائلة أن السلام يفرض عادة بالحروب إلا ترجمة دنيوية لهذه الفكرة) وهكذا فالوجود الحقيقى يصل إليه عندما تبدأ الوجود العدى والشرطة الثانية تعبير عن مثل فارسى : أن التفاح لم له نصيب فيه وليس لمن طالت يده ، والتفاح بالطبع من نعم الدنيا (وهنا نعم الدار الآخرة أيضاً عند مولانا) فالأمر بالتوفيق لا بالجهد ونعوذ بالله من جهد بلا توفيق (انظر فى الكتاب الثالث قصة فرعون مصر وموسى التى تبدأ من البيت ٨٤٠) .

(٨٣٠ - ٨٣٥) : إنك أنت أيها الإله الذى تمنح هذه البصيرة الناظرة إلى الوجود الصورى قوة النظر إلى الوجود الحقيقى أى العدم. ولماذا لا تكون البصيرة ناظرة إلى العدم وهى التى جاءت أصلاً من العدم (كل شيء يحن إلى أصله من الأفكار الرئيسية فى المثنوى وفى

الافتتاحية كل من ظل بعيداً عن أصوله ، ظل منجذباً لآفات وصوله البيت رقم ٤ من الكتاب الأول) فإن هذه البصيرة التي تنظر إلى أصلها ترى الوجود كله معدوماً (من عدم إلى وجود ومن وجود إلى عدم في دورة متتالية) وترى هذا العالم محشراً (هي أقرب إلى فكرة الأكل والمأكول الواردة في صدر الكتاب الثالث) لكن هذه الحقائق تظل دوماً محجوبة وناقصة في عيون أولئك الذين لم ينضجوا ، إن هذه الحقائق من قبيل نعم الجنان المحرمة على من كتب عليهم الجحيم ، وإن كان الحق سخياً يهب دنياه للكافر والمؤمن ، وهكذا هذه النعمة التي بين يديك ، تكون مرة في فمك ، لأن الشهد الخالص يكون مرّاً في فم من لم يكن نصيباً له ، فالخبثات للخبثين ، إن ذلك الذي حرم من شهد الجنان هو ذلك الذي لم يكن وفيّاً للعهد الذي أخذ عليه في يوم العهد والميثاق ، لقد رجع في الصفقة ومن رجع في صفقته لا بد وأن يخسر كل شيء .

(٨٣٦ - ٨٥٠) : تعالوا نتحدث معاً بالمنطق الذي تفهمونه : إن إدراك عالم الغيب والبعث إنما يشمل به الله من يكون مشترياً جديراً بهذا السوق وهل تتحرك اليد في التجارة إن لم يكن هناك مشتر (إن لم يكن ثم طالب فلا عطاء) إن الأحق يطوف في السوق وكل همه أن يشاهد البضائع (أولئك الذين يقفون في الدنيا موقف المتفرجين فلا هم باعة ولا هم مشتررون همهم المشاهدة فحسب) لكن نظرة من يريد أن يشتري تختلف في أنه يميز ويقارن ، يكون بأجمعه منتبهاً إلى ما في السوق من بضائع ، أما المتفرج فهو يمضي الوقت (يحيا حياته ويمضي عنها دون أن يحس بها) إنه لا يملك ما يشتري به ، فلماذا يجادل في الثمن إلا من أجل السخرية والاستهزاء ، انه يقيس الربح ، انه لا يتاجر فلا رأس مال له ، وليس لديه أي استعداد لأن يكون ممن تنطبق عليهم الآية الكريمة ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم بأن لهم الجنة ﴾ فإن لم تدفع الثمن وقنعت في هذا العالم بدور المتفرج خسرت كل شيء ، والأمر جد لا هزل فيه ، وهكذا فرأس مال الدنيا معلوم ، ورأس مال

الآخرة هو العشق المفنى ، وهو العينان الدامعتان اللتان تعدلان كل ما فى الدنيا من نعيم ،
فهيا أطلب واسع واجتهد وداوم على الخدمة ، فما لم تسع لن وجود هذا المنجم بالياقوت ،
وأطلق بازيك فى صيد حديث الأرواح ودعك من النتيجة ، وتوخ أسلوب نوح أى قم
بالدعوة دون اهتمام بقول الناس وردهم (انظر الكتاب الرابع الأبيات ٣٥٨٤-٣٥٨٧
وشروحها) ويروى الأنقروى (٦-١/٢٠٢) "مروا بالمعروف وإن لم تفعلوه وانها عن
المنكر وإن لم تجتنبوه كله" .

(٨٥١ - ٨٦٥) : الحكاية التى تبدأ بهذا البيت وردت فى مقالات شمس الدين التبريزى
(انظر مقالات شمس تبريزى تصحيح محمد على موحد ١/١٢٤) والذى يدق للسحور هنا
كناية عن الداعى إلى الله وفى منزل خال كناية عن الذى يدعو من لا يستجيب ، وهو يدعو
أيضاً فى غير أوان ، لكن متى كان على الداعى أن ينتظر أواناً لدعوته ثم انه يدق فى
صبح الطرب أى صبح إنكشاف الأسرار ولا شأن له بحزن الدنيا أو سرورها ومن الأبيات
٨٦٠-٨٦٥ يتحدث عن معجزات الأنبياء مع الجمادات التى تبدو أمام العوام جثة جامدة
وهى مليئة بالحياة بالنسبة للأنبياء (انظر الكتاب الثالث الأبيات ١٠٠٨ - ١٠٢١
وشروحها والكتاب الرابع ٢٤١٠ - ٢٤٢١ وشروحها) وعن ماء النيل كماء بالنسبة لقوم
موسى ودم بالنسبة لقوم فرعون انظر الكتاب الثالث البيت ٣٠٣٠ والكتاب الرابع
البيت ٣٤٢٢) .

(٨٦٦ - ٨٧٦) : يواصل الموقظ للسحور حديثه والحديث هنا لمولاتنا جلال الدين بالطبع:
أنظر إلى ما يفعله الناس من أجل الحق : إنهم ينفقون الأموال ، يتجشمون المشاق
ويتعرضون للأهوال ساعين إلى بيت الله صائحين لبيك اللهم إبيك ، فهل تراهم قالوا ما
لهذا البيت خال ، لا، إنهم يدركون أنه موجود ، لكن ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك

الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴿ إنه مختبئ كالروح ، انه يرى قلبه مملوءاً بمحبة الله تعالى وهناك الكثير من الدور العامرة بالناس ، لكن أصحاب الأنظار النفاذة يزونها خالية :

إني لأفتح عيني حين أفتحها على الوجود ولكن لا أرى أحداً

إنها مليئة بأولئك الذين لا يعدون أن يكونوا صوراً فانية ، من الذين يعيشون في الدنيا وهي كل همهم ومبلغ علمهم ، وإذا علمت وأدركت أن الكعبة هي بيت الله فإنك إن طلبته تجده أمامك ، فهل تخلو صورة خصها الله بنورة من حضور الله؟ وهل يخلو ولي من أولياء الله من قبس من النور الإلهي ؟ ألا يكون الله تعالى موجوداً في قلبه حاضراً لديه ، إن الولي دائم الحضور والناس في حاجة إليه ، ألم تسأل نفسك لماذا لا يتساءل الحجيج ما لنا لا نسمع أحداً ينادينا ومع ذلك نقول "لبيك"؟ بل إنهم يسمعون النداء ، بل أن لبيك هي عين النداء (انظر الكتاب الثالث الأبيات ١٨٩ - ١٩٩ وشروحها) فيها يتولد كل لحظة نداء من الأحد.

وكل ما تريده ابحت عنه في الكعبة يوم عرفة يوم الحجيج ، الوجود كله أم القرى وحكم المكين إلى المكان سرى (سبزوار / ٤٢٤) وفي المثل الفارسي "الحاج بالحاج يلتقى في مكة" . (٨٧٧ - ٨٨٣) : يواصل الداق للسحور إجابته : إنهم يعلمون بفراستهم (وهي من نور الله) أن هذا القصر الخالي من الممكن أن يوصله بالله، وهو بمثابة الكيمياء القديمة التي تحول النحاس إلى ذهب ، وما هذا الدق إلا وسيلة لتحميس الجذب وهو ما يعبر عنه بأن وترى الجهر والخفيض (الموسيقى - الشماع) هي التي من الممكن أن تجعل هذه البحور للعرفة تجيش بالعطاء ، وماذا في هذا ، والناس يضحون بأرواحهم جهاداً في سبيل الحق عندما يقاتلون في سبيله ، ومنهم من يصبر على البلاء صبر أيوب عليه السلام وصبر يعقوب عليه السلام على فراق يوسف عليه السلام ومن صبره هذا بكى حتى على فقد بصره ، إن كل إنسان يبحث عن وسيلة للتقرب إلى الله تعالى، فمنهم من يتقرب إليه بالصبر على فقد المحبوب، وهناك طرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس بنى آدم ، وأنا- والجواب لمن يدق

للسحور - أتقرب إليه بدقى للسحور فى هذا المكان الخالى (انظر فى الكتاب الأول حكاية الشيخ العازف للصنج بداية من البيت ٢٠٨٣) .

(٨٨٤ - ٨٩٢) : إن هذه هى التجارة الربحة ، وإن كنت تريد مشترياً يجعلك رابحاً فى تجارتك فاجعل عبادتك خالصة لله تعالى وقدم إليه بضاعتك واقرأ قوله تعالى ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ (التوبة ١١) إنك تقدم إليه مالاً ملوثاً بأدران الدنيا ، يهبك فى مقابله نوراً طاهراً مقتبساً من نوره ، نوراً يقتبس العلوم والمعارف ، وتهبه هذا الجسد الفانى شهيداً فيعطيك الخلود الباقي والملك الذى لا يلى ، وتدمع فى مناجاتك دمعاً مالحاً يعطيك فى مقابله الكوثر الذى لا يعد الشهد إلى جواره شيئاً ، وتذكره فتأوه آهة حرى ، يرفعك بها درجات ودرجات من جاء الآخرة الذى لا يعد جاء الدنيا إلى جواره شيئاً ، أليست الآهة الحرى هى التى فتحت الطريق لإبراهيم عليه السلام إلى أعلى الدرجات ، وسماه الحق تعالى أوامهاً فقال ﴿ إن إبراهيم لأواه حليم ﴾ (التوبة ١١٥ - يونس ٧٥) إنها هى التى تمنح القرب ، وهل فوق القرب من جاء ، إنك فى هذا السوق تعطى علائق الدنيا وتأخذ الملك الحاضر ، وتعلم هذه التجارة من الأنبياء ، هم الوحيدون الذين يستطيعون القيام لك بالدلالة فى هذا السوق ، فإن بضاعتهم دائماً فى ازدياد وأرباحهم فى علو بحيث لا يستطيع الجبل أن يتحملها ، وكل هذا من عطايا الملك .

(٨٩٣) : العنوان السابق لهذا البيت يتناول جزءاً من سيرة بلال بن رباح رضي الله عنه صحابى الرسول ﷺ ومؤذنه وأحد السابقين فى الإسلام المتعرضين للآلام والتعذيب فى سبيله ، ولم يكن سيد بلال يهودياً بل هو أمية بن خلف من رؤوس الكفر فى قريش ، لكن مولانا يذكر الكفر كلمة واحدة ، وبالنسبة لسحرة فرعون انظر الأبيات ١٧٢٣ وما بعده من الكتاب الثالث وشروحها والأبيات ٤١٢٣ وما بعده من الكتاب الخامس ، وبالنسبة لجرجيس وهو أحد الأنبياء أن الكفار كانوا يقتلونه ثم يعود حياً بالعشق الإلهى (انظر ١٢٤٤ من الكتاب

الخامس) وفي الفارسية مثل يقوله من يتعرض دائماً للعذاب والآلام بأن نبيه جرجيس .
وقد مر في الكتب الأخرى للمثنوى بعض جوانب أخرى من سيرة بلال رضي الله عنه (انظر
الكتاب الثالث الأبيات ٣٥١٩ وما بعده وشروحها) وسيرة بلال رضي الله عنه متعددة المصادر منها
سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وأهم من تناول السيرة من السابقين على مولانا فريد الدين
الغطار في منظومة منطق الطير .

(٨٩٧ - ٩١٤) : كان أبو بكر الصديق يجد رائحة مألوفة لديه أى يجد في صيحة بلال أحد
أحد طعم الإيمان الحقيقي، ولم أجد في السيرة وصية من أبي بكر رضي الله عنه لبلال رضي الله عنه بأن يكتم
إيمانه عن سيده (انظر ابن هشام القسم الأول ص ٣١٧ من طبعة ١٩٥٥ بتحقيق مصطفى
السقا وآخرين) لكن مولانا يصور بلال في عشقه للأحد ، ذلك العشق الذي يجعله يعود
عن نيته في كتم إيمانه حتى يجعل الله له فرجا ، والمقصود بمحمد عدوالتوبات ذلك العشق
لمحمد ﷺ الذي يجعل المؤمنين بدينه يضعونه في موضع بحيث يكون أحب إليهم من
أنفسهم ، ويكون البلاء أهون من كتمه وإنكاره ، فكيف يمكن إنكار عشق فيه حياة الخلود
والنجاة من الموت؟ كيف يمكن التوبة عن عشق يملأ العروق والأوردة بحيث لا يترك مكاناً
لأى شعور آخر؟ وفي البيت رقم ٩٠٩ إشارة إلى حكاية العبد المؤمن هلال التي سترد فيما
بعد (بداية من البيت ١١١٦) ومن الممكن أن تكون أيضاً إشارة إلى ضعف بلال ونحول
جسده كالهلال ، وبلال يتحدث عن نفسه وكأنه قمر يستمد نوره من الشمس، وحيناً يكون في
اكتمال وحيناً في نقصان بقدر ذلك النور الذي يأخذه من الشمس (شمس الحقيقة محمد ﷺ)
إنه يتبعها كما يتبع الظل الشمس ، وهذا هو قضاء العشق ، العشق يجعل من المرء كقشة
في مهب الريح تتحرك حيثما تحركها الريح ، قيامة تجعل كل مرضعة تذهل عما أرضعت
وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، فهل من عزم على أى عمل أو إرادة له والقيامة
قائمة ، ويقدم مولانا صورة من الواقع المعاش ، إن العاشق كذلك القط الذي يحمل في

جوال لينقل إلى مكان آخر ، وهو عادة لا يحمل بل يجبر ، يكون حيناً في منخفض وحيناً في مرتفع ، لا يملك من أمر نفسه شيئاً ، ولا يملك قراراً ولا راحة .

(٩١٥ - ٩٣٠) : ينطلق مولانا في الحديث المحبب إلى نفسه : العشق ، وإذا حل العشق فانصتوا ، اصمتوا وانصتوا ، ولا حظوا ما تفعله مشيئة الحق (قضاء العشق) ، إن العشاق كأنهم حجر الطاحون يدورون ليل نهار وينوحون ، إن هذا الدوران شاهدٌ على وجود النهر الطامى الموجود ، وأصلهم المندفِع نحو البحر الكلى ونحو أصل الوجود ، وإذا كنت لا ترى هذا الجدول الكلى ، فانظر إلى ساقية الفلك ، تدور ، فإن لم يكن ثم نهر كلى كيف يدور ؟! وإذا كنت تدور ولا يقر لها قرار فكيف تطمع في أن يقر لقلبك قرار ؟! (المعنى من ناصر خسرو :

أي استقرار تتشده تحت الفلك ما دام الفلك نفسه لا يقر له قرار

(ديوان ، ص ٩)

إن العشق لك بالمرصاد ، فلا تتشد فيه الاستقرار ، فهو الذي يحطم كل ما تشبثت به ، وهو يمحو كل ما تلتفت إليه سواء ، إن هذه العناصر في ترتيبها وفي جيشانها وفي فورانها تدلك على حركة هذا البحر الكلى ، إن كنت لا تدري عنه شيئاً كل العناصر منجذبة إلى بعضها بالنسق في حركة دائبة (انظر لتفصيل الفكرة الكتاب الثالث ، الأبيات ٤٤٠٢ - ٤٤٢٣ وشروحها) أن هذى القذى والغذاء (العناصر الأربعة) تتحرك بهذا البحر الشريف بحر العشق وتشبيه الشمس والقمر بثوري الطاحون على أساس أنهما يحفظان دوران الفلك من ناحية ومن ناحية أخرى يمثلان دليلاً واضحاً على دوران لا تخطئه العين على إسراع الكواكب من منزل لمنزل وتغير تأثيرها من السعد إلى النحس ومن النحس إلى السعد ، وهذا العالم كله في تغير وتبدل . وعن أن العالم في تغير وتبدل وأن قانونه الأزلى هو الحركة دقت الفلسفات والكتب المقدسة منذ أقدم العصور ففي الريح ويدا كتاب الهند أن القانون الخالد هو قانون الحركة ومنه ظهرت السموات والأرضيين كما طرح أرسطو مبدأ الحركة

وهيراكليطوس هو القائل نحن لا ننزل نفس النهر مرتين ففي المرة الثانية ننتغير سواء نحن أو النهر ، وقد انتقل المبدأ إلى الفلسفة الإسلامية اعتماداً على بعض نصوص القرآن ﴿ يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن ﴾ (الرحمن / ٢٩) . ﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ﴾ (النمل/٨٨) (جعفرى ١٣/٣٥٢-٣٥٤) . ويقول السبزواري (ص ٤٢٣/٤٢٤) : لأن العالم بحسب السلسلة العرضية الزمانية أنا فآنا في حركة وتبدل وبحسب السلسلة الطولية مرتبة فمرتبة في تغير واستكمال ، ففي كل لحظة نزع صورة ناقصة من حيث النقصان وخلع صورة ولبس صورة . وانظر في ذاتك أيها الإنسان إلى الشروق والغروب وإلى النوم واليقظة وانظر في زمانك إلى ربيع وخريف وصيف وشتاء ، وانظر إلى أحوالك هناء وسرور وحزن وشجن وضحك وبكاء ، وكلها بيد المشيئة يقوم بتصريفها كيف تشاء .

(٩٣١ - ٩٤٣) : إذا كانت الكليات (العناصر) خاضعة أمام مشيئته بهذا الشكل منجذبة إليه عاشقة له في يد مشيئته كالكرة في الصولجان يوجهها حيث يشاء ، فكيف تكون يا قلب العاشق وأنت بالنسبة لها كنزة في محيط الكون تظل ساكنة أمام هذه المشيئة ؟! الست تخشى عقابه وهذه الكواكب تتعرض لعقابه إذا حادت عن الطريق متقال ذرة ، ألا تعاقب الشمس بالكسوف بواسطة الذنب وتسود فتكون كقاع القدر ؟! ألا يعاقب السحاب بالبرق يسوطه بسوط من نار ؟ ألا يسبى السحاب ويزجيه كيف يشاء فيمطر على واد ويجذب على آخر بمشيئته هو جل شأنه وإرادته ؟! وهكذا العقل ينبغي أن يكون تحت حكم المشيئة ، فإذا اعوج كان كسوفه ، وإنك لتؤخذ بقدر جرمك فإن الله لا يظلم متقال ذرة ﴿ وهو الله في السموات والأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون ﴾ (الأنعام / ٣) .

(٩٤٤ - ٩٥٨) : دعك من هذا ، وتحدث عن هداية الحق ورعايته لعبيده والطافه معهم وتجاوزهم عن ذنوبهم ، فهذا هو العيد ، والناس تطيب أفواههم بذكر الحق فكأنهم يتجرعون الشهد ، هذه الرعاية هي الإقبال الحقيقي ، وأي توبة عن العشق تتفع إذا حلت هذه الرعاية ،

في هذه اللحظة لا عقل يراعى أو يهادن أو يكتم خوفا من الكفار ، فقد ثمل العاشق بالفيض الإلهي وغلبه السكر ، وهو مستعد لرهن جسده والتخلي عنه ، فقد صار جسده مفعما بخمر الإله الياقوتية ولم يعد يحس بشيء غيره ، فطاب مجلسه وامتلا بالوجد والسماع ، فهيا أحرق العود دفعا للحسد ، فالعشاق في البلاء يحسدون ، وعربدتهم تقع منى موقعا حسنا ، والعشاق كلهم صاروا رفاقا ، بلال مع هلال ، وجراح بلال كأنها الورد وزهر الرمان والجسد المحطم روضة إقبال ، ألا فليات هذا اليهودي الكافر وليحطمه فإن كان الجسد في عذاب فالروح في هناء ، واشم عبير الحبيب (الشرطة الثانية من ٩٥٥ من بيت شهير للروكي) لقد امتلا بلال بالمصطفى والمصطفى ببلال حتى أنه سمع دبیب قدمه ليلة المعراج " روى انه ﷺ قال : يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام فإني سمعت دق نعليك بين يدي في الجنة ، (مولوى ١٤١/٦) . وعند جعفرى (٣٤٨/١٣) عن ابن عباس قال : ليلة أسرى نبي الله ﷺ ودخل الجنة فسمع من جانبها وجسا قال : يا جبريل : ما هذا ؟! قال هذا بلال المؤمن ، فقال نبي الله ﷺ لما جاء إلى الناس قد أفلح بلال رأيت كذا وكذا . وهكذا فإن هذه الأقوال جعلت الصديق ﷺ متأكدا من أن بلال لن يسمع نصيحته ويكتم إيمانه .

(٩٥٩ - ٩٧٤) : يصور أبو بكر الصديق ﷺ الرسول ﷺ بأمر بلال ﷺ ولكن بأسلوب مولانا جلال الدين الذي يصور بلالا نسيج وحده متعرضا لتعذيب الكفار ، ويصر مولانا على تسميتهم باليهود ، لا لشيء إلا لاختلاف جنسه عن جنسهم فهو طائر ميمون الجناح والقوائم يطير في فضاء الحقيقة ، وهو بازى السلطان وقع في خرابة البوم (انظر قصة البازى والبوم بداية من البيت ١١٣٥ من الترجمة العربية للكتاب الثانى من المثنوى) ويضرب المثل بغضب اليهود في اللغة الفارسية للحقد المستقر في القلب والذي لا يمضى

ولا يهدأ، ولا ذنب له إلا كونه بازيا مثلما لم يكن ليوسف عليه السلام ذنب عند اخوته إلا حسنه ، وهكذا مثلما يفعل البوم بالبازي ، يقوم الكفار بتعذيب بلال ، ولا ذنب لبلال رضي الله عنه إلا أنه عاشق حلت به القيامة ولا إمكان في توبته ، وهذا أمر محال جداً .

(٩٧٥ - ٩٨٣) : ظاهر الحديث انه حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه لكنه في الحقيقة من إفاضات مولانا جلال الدين عن العشق ، فالعشق من أوصاف الله سبحانه وتعالى ومتوجه إليه ومن ثم فهو خالد وباق، والتوبة وصف الخلق وهي حادثة وفانية، فالتوبة بمثابة الدودة والعشق بمثابة أفعى ، ولهذا قال الجنيد : " إذا فسرت المحدث بالقديم لم يبق له أثر " (مولوى ١٤٣/٦) والعشق إذن من صفات الله الغنى ولهذا فكل عشق غير عشق الله هو عشق مجازي ، والله تعالى هو الذي يخلق عشقه في قلب عبده ، ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ (المائدة / ٥٤) (انظر ٢١٧٨ الكتاب الخامس) ، وذلك أن الجمال الحقيقي هو جمال الله ، وأي جمال آخر إنما يكون شعاع من انعكاس هذا الجمال ، فإذا ذهب اقتضح العشق المجازي ، عاد النور إلى أصل النور وبقي الجسد خالياً منه ، مجرد جدار ذهب عنه ضوء القمر (انظر الترجمة العربية للكتاب الثالث ، الأبيات ٥٥٢ - ٥٥٩ وشروحها) .

(٩٨٤ - ٩٩٣) : المبصرون أي العارفون بأسرار الغيب يكون للوجود المطلق (منجم الذهب) ذلك أنه أصل الجمال و أصل الغنى الذي لا ريب فيه ولا شك ، وكل من ساوى الزيف (الدنيا) بهذا الذهب النضار الحقيقي ، انصرف عنه الذهب الحقيقي ، وانصرف عنه الزيف إلى العدم ، وفنى العاشق للزيف والمعشوق أي الزيف ﴿ ضعف الطالب والمطلوب ﴾ لكن العشق الرباني هو شمس الكمال والروح نوره والأجساد ظله (مولوى ١٤٥/٦) والناس إن حرمت منها ماتت كأسماء حرمت من النبع ، والأمر هو عالم الغيب ، وأمر نوره أي أصل نوره (سيزواري / ٤٢٧) ، ونحن وكل المخلوقات ظلال له (استعلامي ٢٧٢/٦) ولأن المتحدث وجد مستمعا في مستوى المصطفى ﷺ في الوصول إلى عوالم الغيب فقد

أفاض بحيث صارت كل شعرة من جسده لساناً ، وهكذا يستفيض المتحدث إن وجد مستمعا من جنسه ، فإن لم يجد نامت قريحته ، وأسير الله في الأرض أى عاشق الحق الذي يعيش بجسده في سجن هذه الدنيا .

(٩٩٤ - ١٠١٢) : يواصل مولانا قصة شراء أبى بكر لبلال رضي الله عنه وعرض الرسول ﷺ أن يكون شريكا في الثمن أو شريكا في هذا الإقبال ، وانطلق أبو بكر متفائلا ، فما أيسر هذه الصفقة فاليهودى لا يعرف قيمة بلال مثما لا يعرف الأطفال قيمة الجواهر ، أليس الشيطان المضل يشتري عقول البشر بمتاع الغرور ؟! ألا يأتى الساحر ويبيع للناس ضوء القمر على أنه قماش ؟! (انظر الكتاب الثالث ، البيت ١١٦٤) ، (قصة شراء أبى بكر لبلال رضي الله عنه يقصها مولانا طبقا لما ورد في طبقات ابن سعد " ١٦٥/٣ ") . لكن الأنبياء يعلمون الناس التجارة الحقيقية ، التجارة مع الله ، ومع ذلك فإن الشيطان قبح في أعينهم هذه التجارة ، وهكذا دين الشيطان يفرق بسحره بين المرء وزوجه ، وهذا الجواهر - أي بلال - بيع بثمن بخس لأن الشيطان خاط عين بائعته فلم يشعر بقيمة البضاعة الموجودة في يده ، إنه حيوان فكره منصرف إلى الجسد ، وإلى المرعى فمتى يفكر في جواهر الروح ، التى صار بها الإنسان جديرا بأن يوصف بأنه خلق في أحسن تقويم (التين/٤) (وانظر ٩٦٣ من الكتاب الخامس) ولا يمكن أن يعبر عن معنى هذه الآية الكريمة ومفادها ، فإنك تفسر أحسن التقويم بأن الإنسان خلق في تناسب عضوى وليس الأمر كذلك بل المقصود تلك الروح التى هى النفخة الإلهية وهى عالمٌ من العجائب العظيمة ، ولو أفضت في بيان قيمة هذه الروح وعوالمها لما تحملت أنا ، ولما تحمل المستمع ، فالصمت أولى .

(١٠١٧ - ١٠١٩) : الصادق في دينه يحترم الصادق في دينه ولو تسلط عليه، فلو كان هذا اليهودى صادقا في دينه ، لما اضطهد بلالا وعذبه ، لصدقه في دينه ، لكنه لأنه غير صادق في دينه فهو يظن أن باقى الخلق واهون في دينهم يمكن لهم النكوص عنه ، وهناك

مثل فارسي يقول : " الكافر يظن الناس جميعا على دينه " .

(١٠٢٠ - ١٠٢٩) : إن كلام أبي بكر رضي الله عنه لم يكن صادرا عنه ، فلا خلاصه في عبادته جرت ينابيع الحكمة من فمه " فمن أخلص لله أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه " . وإن الله يقول الحق على لسان عبده (انقروى ٦-١/٢٣٦) . وعند السبزواري (ص ٤٢٤) : إن روح المؤمن لأشد اتصالا بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها . ومن ثم فإن هذه الحكمة التي جرت على لسان أبي بكر لم تكن من قبيل كلام هذا العالم بل من عالم لا جهات فيه ولا زمان ولا مكان، من عالم الغيب (انظر ٣٥١ من الكتاب الخامس) ولماذا تستغرب أن تفيض الحكمة عن لسان أبي بكر والله سبحانه وتعالى بضربة عصا موسى عليه السلام فجر الماء من الصخر ولم يستطع أحد أن يقول من أين انفجر هذا الماء، وإن الأمر هو قدرة الله وما الحجر إلا دريعة؟! ونور العين هل تراه من شحمة العين؟! وسمع الأذن هل تراه من عظمة الأذن؟! إنها كلها عوامل ظاهرة لتخفي القدرة الإلهية التي هي أساس كل شيء ومنبع كل شيء ومصدره، والأذن من الرأس جزء من حديث نبوي { المضمضة والاستنشاق سنة والأذن من الرأس } أي الفروع تابعة للأصل . وعند السبزواري (٤٢٨) وفي رواية الأنفان والأنفان هما الأذن لأنهما في تطبيق العالمين الكبير والصغير الأذن بمنزلة المشرق والمغرب ، وكلها مراتب نازلة للروح أو كما يقول العطار :

الجسد ليس من الروح بل عضو ينفصل عنها والروح ليست من الكل بل جزء منفصل عنه (١٠٣٥ - ١٠٣٨) : لقد تحير اليهودي وتوله عند رؤيته للغلام الأبيض البشرة الأسود القلب لأنه كان من جسده ، وهكذا عباد الصورة لأنهم صور بلا أرواح يميلون إلى الصورة ولو كانت نتنة الباطن، لكن الأصل اليهودي في المماحكة والمفاصلة يغلب فعاد إلى العناد حتى زاده أبو بكر رضي الله عنه نصابا من الفضة .

(١٠٤٦ - ١٠٦٣) : إن بلال من قبيل الذهب النضار سود ظاهره ليخفى عن غير أهله مثمنا يسود وجه الذهب ليحفظ من اللصوص (انظر ٢١٧٢ من الكتاب الرابع) وهكذا بصيرة الجسد لا ترى سوى ألوان الجسد لكنها لا تستطيع أن تدرك جمال الروح ، وهكذا فلأنك لم تنظر إلى ما في الصندوق (الجسد) من در (الروح) فرطت فيه سريعا ، فما أسعدك بجهلك سعادة الزنجى بسواد وجهه لأنه لا يراه ، لقد بعث إقبالك فربما كان وجود هذا الأسود في بيتك سببا في نجاتك من الكفر ، فقد وصلك الإقبال في صورة عبد (انظر ٣٥١٠ من الكتاب الثالث) فهيا هنا بعبدك الجديد حلو الظاهر سئ الباطن ، فلكم دينكم ولى دين ، وأى دين عند الكافر ، هو الظاهر حتى ولو كان الباطن شديد السوء ، فما أشبه بجواد خشبي عليه سرج من الأطلس ، وكقبور الكفار ظاهرها الزينة والفخامة ، لكن باطنها جهنم (انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ١٣٠ - ١٣٧ وشروحها) وكأموال الظلمة والسحابة الخالية ذات الرعد، والوعد الكاذب كأي ظاهر مؤمل ، ولكنه لا يسفر عن باطن ذى قيمة .

(١٠٧١ - ١٠٧٩) : إن عناية الحق تجرى على لسان الرسول ﷺ ومن ثم فمن العسير التعبير عن هذه العناية الإلهية بالألفاظ الأرضية ، لكن من المناسب أن نذكر بعض الأمثلة الصغيرة لهذه العناية التى لا تحدّها حدود ، رأيت عناية الشمس في إنبات النباتات ؟! (العارف الكامل في تربية المريدين) وهل شاهدت فعل الماء الزلال في الرياض (الفيض الربانى في نفوس العارفين!) فهكذا فعل الله في كل أجزاء الأرض دون أسباب وعوامل ظاهرة، وكلها من الأمور غير المعهودة لكنها من تأثير القدرة ، وكيف يمكن لك أن تقيس القدرة بالعقل ، لقد اتفق الجميع على أن العقل مقلد في الأصول الشرعية أى أن عليه أن يؤمن بها دون مناقشة ، وهو أيضاً مقلد في الحروف وإذا سألك العقل ، ما الهدف من سير أهل الذوق وأرباب القلوب ما عليك إلا أن تجيب عليه قائلاً : بطريقة لا تعرفها ، والسلام !!

(١٠٨٠ - ١٠٩٩) : يعاتب المصطفى ﷺ أبا بكر ﷺ على أنه لم يجعله شريكاً في صفقة شراء بلال ويخاطب أبو بكر ﷺ الرسول ﷺ قائلاً : هو حر لوجهك فإن كنت اشتريته فأنت السبب في عتقه ، وكلانا عبيد لحبك (الإسلام) فاتخذني عبداً لك ، واتخذني رفيقاً لك ، لا ينفصل عنك (صديق غار إشارة إلى ثائي اثنين إذا هما في الغار ، وتضرب في الفارسية للصدقة الحميمة) فالعبودية لك هي حرية بالنسبة لي ، لقد أحبيت العالم ، وجعلت جمعاً من العوام من خاصة خاصة الله ، لقد وجدت بلقائي بك كل أحلامي القديمة التي كنت أظنها ضرباً من المحال ونوعاً من الاختلال ، وبك صار المحال حالاً ، كنت أحلم أن الشمس تسلم على ، وتسحبني إلى عنان السماء ، وعندما لقيتك صار الأمر واقعاً ، بل صارت تلك الشمس التي كنت أراها في النوم حقيرة في ناظري ، الجنة التي فتحتها أمامي جعلت الرياض حقيرة في ناظري والنور الذي رأيته في وجهك أرى بالنور الذي كنت أبحث عنه ، وكنت أشد الجنة ، فوجدتها بقربك ، ووجدتك تحتوى على الجنان ، وفي الأنقروى نقلاً عن شرح الحكم (٦-١/٢٤٨) قال بعض العارفين : إن في الدنيا لجنة عاجلة من دخلها لا يشتاق إلى الجنة الآجلة ، قيل ما هي ؟ قال : معرفة الله . ما هذا ؟ أتراني بهذا الكلام أمدحك ، إن أي مدح بالنسبة لك هو قدح وهجاء ، وما أشبهني بذلك الراعي ، الذي كان يثني على الله بكلام استهجنه موسى عليه السلام (انظر الكتاب الثاني الترجمة العربية ، البيت ١٧٢٤ وما بعده) ومع ذلك فقد قبله الله سبحانه وتعالى :

فإن فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بقم

انقروى ٦-١/٢٥٠

(١١٠٠ - ١١١٥) : تنتهي قصة بلال وعذابه في سبيل الدين بلقائه بمحمد ﷺ ، النعمة المهداة للبشر ، ويجدها مولانا ، فرصة للحديث عن هذه الهداية الجديدة ، وهذا الإقبال الذي وصل إلى البشر من العالم القديم الأزل إلى الباقي الذي من يدينه أن يوصل إلى هذا العالم

الطافه وعناياته أولاً بأول ، وهذه العناية المتمثلة في محمد ﷺ هي العلاج لكل مساكين العالم ولكل فاقدي الحيلة " أحيى مسكينا وأمتى مسكينا واحشرنى في زمرة المساكين " ، إنه السبيل والطريق إلى العالم الحى الباقى ، فها هو الفرج ، وقد زال الجرح ، ورفعت الأغلال والإصر ، وإن لم تكن تبحث عن المساكين فكيف تذهب شمس بهذه العظمة إلى كوخ هلال (القصة التالية) أو من صنف بلال، وكيف تنادى أرحنا يا بلال بأذانك للصلاة لتفرغ من مشاغل هذا العالم ؟! هيا يا بلال وأعلنها فلقد صرت معى ونجوت من العدو ، هيا فها هي الصلاة بشرى لكل محزون تنفث في روحه قائلة له : هيا أيها المدبر قم ، فها هو طريق الإقبال قد فتح أمامك ، قم من هذا السجن وهذا العفن وهذا القمل ، هيا اتخذ هذا الطريق ، فلقد نجوت ، أخف سرك هذا واصمت ، ولا تتحدث به إلى من ليس أهلا له ، لكن هيهات ، فالعاشق لابد أن يتحدث ، كيف يخفى السر وهو يظل قائلا ها أنا ذا (انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٤٧٣٥ - ٤٧٣٩ وشروحها) إنها طبول عديدة يدقها هذا العشق ليعلن عن نفسه ، لكن من حرم ومن ليس بأهلها لا يسمع فلا تأ به به ، ولا تهتم ، فإنه حتى إذا حمل إلى الجنان فلن يحس بالريحان والندى ، وإن أخذت الحور بيده لتحمله إلى الجنان لن يحس إلا بأنها تعتصر يده ولن يحس إلا بالألم ، وسوف يتسامل ويندهش ، ما هذا الشد والجذب ؟! دعنى في نوم الغفلة (الدنيا) دعنى في أحلامي ، أحلامك ؟! إن هذا هو ما تطلبه في أحلامك ، فافتح عينيك لترى هذا القمر الذي تحلم به ، أترى إلى أي مدى أنت تتألم ، وهكذا يتألم الأعداء ، فهذا الخفاء يكون من دلال المعشوق على العاشقين ، فمهما كنت تطلب فأنت طالبه ، إذ ليس ثمة حق سواه ، وليس ثمة مطلوب سواه ، والأعداء يفهمون ويصبرون ويسعدون ، فأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل ، لكن من محبت عينه رؤية الحقيقة ، يظل ضائقا بالبلاء ، ومع ذلك فهو يبتليهم لعل وعسى ، ولعله يسمع صراخهم ودعاءهم ، ومن هذا القبيل أيضاً زيارة الرسول ﷺ لهلال نزيل منزل أحد عميان القلوب .

(١١١٦) : تتناول القصة هنا هلال مولى المغيرة بن شعبة وهو في روايات الصوفية من الأولياء المكتومين وبناءً على رواية نقلها فروزانفر (مأخذ/٢٠٣-٢٠٤) عن نوادر الأصول^{٢٢} روى أبو الدرداء قال : كنت مع رسول الله ﷺ فقال يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة فقام رسول الله ﷺ إلى الصلاة ، فقال أبو الدرداء فخرجت من ذلك الباب فمضيت ، فنظرت هل أرى أحدا فلم أر أحدا ، فدخلت ففعدت إلى الرسول ﷺ فقال أما أنك لست به يا أبا الدرداء ثم جاء رجل حبشى ، فدخل من ذلك الباب وعليه جبة صوف فيها رقاع من ادم رام بطرفه في السماء حتى قام على رسول الله ﷺ فسلم عليه ، فقال : كيف أنت يا هلال ؟ فقال بخير يا رسول الله ، جعلك الله بخير ، فقال ﷺ : ادع لنا يا هلال واستغفر لنا فقال : رضى الله عنك يا رسول الله وغفر لك ، فقال أبو الدرداء ، فقلت استغفر لى يا هلال ، فأعرض عني ثم عاودت الثانية فأقبل على رسول الله ﷺ ثم قال : أراض أنت عنه يا رسول الله ، قال نعم ، قال : رضى الله عنك وغفر لك ، ثم خرج وهو رام بطرفه إلى السماء وما يقلع ، فقال ﷺ : لئن قلت ذاك إن قلبه لمعلق بالعرش أما أنه لن يبقى فيكم أكثر من ثلاثة أيام فأحصيت الأيام ، فلما كان اليوم الثالث ، وصلى رسول الله ﷺ الفجر خرج من المسجد ونحن معه ، فخرج يوم دار المغيرة بن شعبة فلقى المغيرة خارجا من داره ، فقال له : أجرك الله يا مغيرة ، فقال ، يا رسول الله ما مات في دارنا الليلة أحد ، قال : بلى توفي هلال فالتمسه رسول الله ﷺ فوجده في ناحية الدار في اصطبل له خارا على وجهه ساجدا ميتا ، فأمر أصحابه فاحتملوه وولى أمره رسول الله بنفسه حتى دفن ثم أقبل على أبي الدرداء ، فقال : يا أبا الدرداء أما أنه أحد السبعة الذين بهم كانت تقوم الأرض وبهم كنت تستقون المطر بل هو خيرهم " وفي العنوان إشارة إلى من وصلوا إلى تحقيق الحقيقة وهم في ثياب العبودية ومنهم لقمان ويوسف عليهما السلام ، ومعنى كان مسلما لكنه كان أعمى ، أى كان مسلما لكنه كان أعمى عن عوامل الباطن فلم يدرك قيمة عبده هلال ، والبيت المذكور لسفائى الغزنوى من حديقة الحقيقة (البيت رقم ٣٨٤) والمعنى أن الغافل يعلم أن الله موجود لكنه لا

يستطيع أن يدرك مدى عظمته ، ولا حل إلا أن يفتح الله بصيرته ليرى بها الغيب ويستطيع أن يدرك جوانب هذه العظمة، والعبارة الموجودة في آخر العنوان ذكرها الأنقروى (٢٥٧/١-٦) على أنها حديث نبوى ومن تعليق للأنقروى على البيت الآخر المذكور في العنوان (فى هامش النص ، لأنه ليس موجوداً في كل النسخ) أنه مأخوذ من قول الإمام على عليه السلام

حياة القلب علم فاغتمه وموت القلب جهل فاجتبه

(١١١٨ - ١١٢٢) : المثل الذي ساقه مولانا هنا يبدو وأنه كان من الفكاهات التى كانت شائعة في عصره ، ويضرب بها المثل على الإنسان الذي يكون أكثر تقهقراً في سلوكه بحيث يكون يومه شرا من أمسه وغده شرا من يومه فتحل به اللعنة " من استوى يوماء فهو مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه فهو ملعون " .

(١١٢٣ - ١١٢٩) : الحكاية المذكورة هنا تبدو مثلاً ، فالنفس المتقهقرة بمثابة ذلك الجواد الحرون الذي يمضى في سيره القهقرى فلا يصل إلى الهدف (يذكر بناقة قيس ، انظر الكتاب الرابع ، الأبيات ١٥٣٥ - ١٥٤٢ وشروحها) فإذا كانت النفس حرونا همها الدنيا ، فاجعل ذيلها نحو الهدف الذي تريده ، اجعل سير النفس القهقرى يكون سير الروح إلى الكمال ، عندما تجعل شهوتها دبر ظهرها ، يكون العقل ، ليس ذلك العقل الذي تعلمه ، بل العقل الشريف العالم بالروح والمتصل بها والذي لا يعارضها .

(١١٣٠ - ١١٣٥) : ما أسعد أولئك الذين يسرون في طريق الحق قدما لا يتقهقرون ولا يتراجعون، يعرفون أن الطريق مهما طال ومهما كان صعباً فهو مقطوع لا مجاله ، وانظر إلى موسى عليه السلام الذي قال : ﴿ لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا ﴾ (الكهف / ٦٠) (انظر أيضاً الكتاب الثالث ، الأبيات ١٩٦٩ - ١٩٧١ وشروحها) لقد كانت لديه الإرادة والنور الإلهى والتوفيق الربانى (وهما دائماً مع الإرادة التى هى في مصطلح الصوفية الطلب

والإقامة عليه) هذا سير جسده فما بالك بسير روحه (سير العارف في كل لحظة حتى عرش الملك البيت ٢١٨٢ من الكتاب الخامس) هؤلاء هم الفرسان الحقيقيون ، هم ﴿ السابقون السابقون أولئك المقربون ﴾ (الواقعة / ١٠) .

(١١٣٦ - ١١٣٩) : يضرب مولانا مثالا آخر : ذلك المسافر الذي هذه البرد الشديد ، فوصل إلى قرية ، وأراد أن يدخل دار ليستريح ، فهتف به هاتف من داخل الدار ، بل دع متاعك خارج الدار وادخل واسترح " دع نفسك يا بنى وتعال " وهكذا فإن أردت تلك الدار ، وإذا أردت أن تستريح منها من وعناء الطريق وآلام الدنيا ، فدع كل ما أنت متعلق به باذل فيه جهتك صارف إليه قلبك ، تجرد ثم ادخل .

(١١٤٠ - ١١٤٤) : يذكر مولانا هلالاً على أنه كان أستاذاً في الطريقة نور قلبه بنور الله ، كان سائساً في اصطبل الأمير ، هذا ظاهره ، لكنه كان سلطان سلاطين الطريق قال عنه الرسول ﷺ ﴿ ما أطلت الخضراء ولا أقلت الغبراء مثل يقين هذا العبد لو أقسم على الله أن يغفر لأهل الأرض جميعاً لفعل ﴾ وفي رواية المولوى أن عمرأ ﷺ حضر غسله مع الرسول ﷺ والراوى فى الرواية ليس أبا الدرداء لكنه أبو هريرة (مولوى ١٦٤/٦-١٦٥) لكن الأمير والمقصود سيد هلال لم يكن يدرك من أمره شيئاً كان ينظر إليه نظرة إبليس إلى آدم وعلى أنه مجرد ماء وطين ، لم يكن ير داخله تلك الروح العظيمة التى ميزت آدم ، لقد رأى الحواس ولم ير أصل الحواس ، وهذه هى النظرة التى أضلت الكفار عن الأنبياء وقالوا لهم ﴿ إن أنتم إلا بشر مثلنا ﴾ .

(١١٤٥ - ١١٥٤) : المنارة هى الجسد ، والبازى الملكى هو الروح ، وهناك آخر يرى الطائر مجرد طائر إنه مؤمن لكنه ليس عارفاً ، وثالث يكون من العارفين فيرى الإقاضات العلمية والأنوار الروحانية الموجودة عند الطائر ذلك لأنه ينظر بنور الله، فالطير هو العلم، والشعرة هى اليقين. وهكذا فضع عينيك على هذه الشعرة الدقيقة فى فم الطائر حتى تتكشف

لك الأمور ، إن الأول ركز على الطين المصور المنقوش في الوحل (الجسد) لكن الآخر رأى العلم والعمل وقوله : سواء افترضت أنها ثلاثمائة طائر أو طائران : أى سواء افترضت هذا العلم وهذه الطاعة قليلة أو كثيرة ، والرجل الأوسط : المؤمن الذى لا يعترف بالباطن (سيد هلال) هو الذى يرى الطائر ، لكنه لا يرى الشعرة وهى النور ، وهو نور مستمر ومتواصل لأنه متصل بالنور الإلهى (كاتصال الدن بالبحر فيكون له ما للبحر ولا ينفد ماؤه) . ليس الأمر عنده مستعاراً لكنه أصلى .

(١١٥٥ - ١١٦٣) : عودة إلى قصة هلال : لقد مرض هلال ، ولم يدر سيده بمرضه ، فهو مجرد عبد لا يفتقد إذا غاب ، لكن فى حين كان سيده لا يدرى عنه شيئاً ، فإن سيد البشر الرحمة المهداة فقد علمه ، لأن علمه واصل إلى كل مكان فهو مستمد من الوحي ، فها هو القمر وفى أثره النجوم { أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم } .

(١١٧٢ - ١١٧٤) : هلال العرش أى تلك الموجود السماوى المتصل بعرش الله ، إنه متخلق بأخلاق الملائكة ، جاء إلى الدنيا لتفقد أحوال أهلها ، فهو جاسوس على القلوب (عن عبارة لأحمد بن عاصم الأنطاكى : جالسوهم بالصدق فإنهم جواسيس القلوب) (استعلامى ٢٨٠/٦) .

(١١٨٠ - ١١٩١) : إن محبته ﷺ محبت عن الاصطبل كل ما فيه من سمات (مثلما محبت عن الدنيا كل ما فيها من أدران وأوشاب) لقد شم هلال رائحة الرسول كشذى غير معهود وسط هذا المحيط مثلما شم يعقوب الطير رائحة يوسف الطير من القميص فارتد بصيراً ، إنها رائحة التجانس ، لا يشمها إلا من كان من جنسها (انظر الكتاب الرابع ٢٦٧٠-٢٦٧٥ وشروحها والكتاب الذى بين أيدينا ٢٩٨٠-٢٩٩٠) ولهذا تكون المعجزات : إنها بالنسبة للعدو قهر لكنها بالنسبة للحبيب إراز" للتجانس وجذب وجلب ، فالحبيب مؤمن سواء رأى المعجزة أو لم يرها ، ومن ثم ألهم الله سبحانه وتعالى أبا بكر الصديق ﷺ عندما رويت له معجزة

المعراج ولم يكن قد قابل الرسول ﷺ بأن قال : إن كان قد روى ذلك فقد صدق ، ولم ينكر حتى وهو على البعد ، وهكذا يبرز هلال محبته وشوقه إلى الرسول ﷺ ولا يسأله حتى أن يدعو له بالشفاء، إن مجرد الرؤية رويت في هلال أرضاً ظمأى ، وأشرقت بها الشمس في باطنه .

(١١٩٢ - ١١٩٧) : وهكذا كان هلال آمناً من الغرق في هذا البحر مثلما كان عيسى عليه السلام آمناً على الماء ، وأضاف الرسول ﷺ لو ازداد يقيناً لمشى على الهواء ، مثلما كان الهواء مركب الرسول ﷺ ليلة المعراج ، إن مجرد رؤية هلال للرسول منحتة إحساساً بالعلو والتسامي وحررته من العبودية والدونية ، وأنقذته من الفقر الجسدي ، ونقلته إلى الغنى الروحاني الذي لا فقر بعده .

(١١٩٨ - ١٢٠٧) : ينطلق مولانا جلال الدين في حالة هلال الخاصة التي تبدلت تماماً بمجرد إشراق شمس الكائنات عليها، إلى الحديث عن أن الإنسان عموماً يستطيع أن يتخلص من كلفيته (حاله ، وضعه الحاضر وواقعه المر المذاس المهان) وهذا التخلص من الكيفية يعني ارتفاع المرء عن ظروفه وتساميه عن واقعه وتعلقه بالعالم المطلق ، هنا ينجو من دنسه وتعلقه بالدنيا وشهواتها ونزواتها وانغماسه فيها وجعلها مبلغ علمه ومنتهى إدراكه واهتمامه ، وهذا التعلق بالعالم المطلق يجعله إنساناً واهباً للأحوال والكيفيات وليس محبوساً في إطار محدود من أطر الدنيا ، فشرط الخلاص من الكيفية هو الطهارة من الحالة التي يجد فيها المرء نفسه في الدنيا ، طهارة الظاهر وطهارة الباطن، فإن الله طهور لا يقبل إلا طهوراً. وقال القشيري : للظواهر طهارة وللسرائر طهارة ، فطهارة الأبدان بماء مطهر وطهارة القلوب بالندم والخجل . (مولوى ١٧٣/٦) . وعند الانقروى أن قول مولانا هو مصداق لهذا البيت :

فأنت جنب نجس

ما لم تقامر بنفسك كلية

أنقروى : ٦-١/٢٧٤

لكن كيف يكون ذلك ؟! كيف لا يقترب النفس من الماء وطهارته لا تكون إلا بالماء ؟! وإلى من يلجأ المذنب لكي يتوب إذا كان شرط اقترابه أن يكون طاهراً من الذنب ؟! كيف لا تقترب من حوض ماء الطهور ولا يوجد خارج هذا الحوض إلا التراب ؟! وكيف لا أختلط بالطاهرين ما دمت لن أحصل على هذه الطهارة طالما أنا موجود بين المذنبين ؟! إن الماء أى كرم الله تعالى يقبل المذنبين والذنسين ويطهرهم جميعاً دون أن يلحق بى أدنى دنس . (لتفصيل هذه الفكرة انظر الكتاب الخامس ، الأبيات ٢٠١ - ٢٣٦ وشروحها) . وما البديل لهذا ، هل يقضى المشتاق في شوقه والمتحسر في حسرته ؟!

(١٢٠٨ - ١٢٢٢) : ما دام الحديث عن الهلال فلا بد أن يتداعى الحديث عن البدر ، وما البدر إلا ذلك المريد الكامل الذي قبل نور الشيخ بأجمعه ، وهو بالنسبة لمولانا حسن حسام الدين الذي لقبه مولانا بلقب ضياء الحق ، وهو يحتوى على نور لا يشاهده الذنسون والأشرار (شر الطيور) فالخفاش لا يستطيع أن ينظر إلى الشمس، والناقصون لا يقبلون نور هذا البدر ولا يحسون به لأنه محجوب عنهم بشدة ضوئه ولمعانه وتألقه وارتقائه المستمر في مدارج الطريقة ومراحلها ، وفرق كبير بين نور البدر ونور الهلال ، وما منا قدم تحدثنا عن هلال فلنتحدث قليلاً عن نور البدر ، ذلك أن هناك اتحاداً بين البدر والهلال (فالأولياء كنفس واحدة) والمغايرة بينهما من حيث الصفات لا من حيث الذات (مولوى ١٧٥/٦) ، لكن هذا ليس المقصود ، فالهلال هو السالك الذي يرتقى في مدارج الطريق مرحلة بعد مرحلة في سماء ليل الحياة المظلمة، وهذا هو الطريق الصحيح بالنسبة للسالكين. فكيف يتم النضج دون تدرج ؟ إن الأمر ليس من قبيل " السلق " بل هو تحمل لنار الطريق قليلاً قليلاً وبتأن ودون عجلة - لقد خلق الله الدنيا في ستة أيام - وكان يستطيع أن يخلقها بـ "كن فيكون" وكان يستطيع أن يخلق الإنسان بنفس الأمر لكنه خمر طينته أربعين صباحاً (أحاديث مثوى / ١٩٨) وذلك لكي يعلم الإنسان أن الأمور تؤخذ بالتدرج ، فالتأني من صفة الرحمن والعجلة من الشيطان .

(١٢٢٣ - ١٢٢٧) : إن هذا ليس مثل الساذج الذي يقطع الطريق عدواً كي يصل إلى مرتبة الإرشاد وهو لا يزال طفل الطريق . ما أشبه هذا بقول العطار :

لقد تحملت كثيراً من المشاق عمراً طويلاً حتى فتح لي باب واحد بمائة مذلة
وأنت كيف تصل إلى هذا الباب بهذه السرعة وكيف تصل إلى السطح من الدرجة الأولى
(سبزوارى / ٤٣٢)

وما أشبهه في تسلقه وارتكانه على غيره بثمرة القرع الواهية تتساقط على شجرة شامخة ، لكن لأن جذورها ليست ممتدة في الأرض لا تثبت أن تصفر وتسقط، بينهما لا تحس الشجرة لا بتسلقها ولا بسقوطها ، وقد لا يرى الناظر وجودها الهزيل بين أغصان الشجرة المتساقطة ، وما أكثر المتسلقين في هذا العالم يققون على أكتاف الآخرين فإذا سقطت الأكتاف سقطوا وإذا لم تسقط سقطوا أيضاً ، وما أشقى ذلك الذي لا يرتكن على ذاته بل يرتكن على أكتاف الآخرين ، وما أشبهه بذلك الجمال المستعار الذي يأتي من الخضاب يزول بزواله ويحل محله قبح لا يحتمل .

(١٢٢٨) : الحكاية التي تبدأ بهذا البيت مأخوذة من التراث العربي ومن أبيات نسبت في ربيع الأبرار لرحال بن ممدوح الحميري وفي عيون الأخبار لأحد الأعراب :

عجوز ترجى أن تكون فتية وقد غارت العينان واحدوب الظهر
تدس إلى العطار سلعة أهلها وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر
أما راوية الزمخشري :

فما غرنى إلا خضاب بكفها وكحل بعينيها وأثوابها الصفر
أتوني بها قبل المحاق يلبسة فكان محققاً كنه ذلك الشهر
ألا ليتهم زفوا إلى مكانها شديد القصيرى ذا عرام من النمر
إذا شد لم ينكل وإن هم لم يهب جرى الوقاع لا ينهنه بالزجر

كما أن الأبيات التي نسبها الزمخشري في ربيع الأبرار لأبي طلق عدى بن حنظلة التميمي
تقرب من مضمون الحكاية وهما :

استعيني بقطرة من جمال هي خير من كل ما تصنعينا

ذاك أدنى للحسن من أن تخفى بخيوط الكتان منك الجبينا

وأشار الشاعر الفارسي خاقاني (القرن السابع هجري) إلى هذا المعنى في قوله :

لا تخدعي القلب بألوان الدنيا فليس هذا بالجدير فكيف يجعل الخضاب من العجوز شابة

(عن مأخذ فروزانفر ، صص ٢٠٤ - ٢٠٥)

(١٢٣٤ - ١٢٤٢) : يترك مولانا الحكاية فلا يعود إليها إلا من البيت ١٢٧٤ ، ويقدم

الصورة المقابلة للشاب الذي يريد أن يأخذ مكان الشيخ والمرشد ، أولئك الذين شابوا وشاخوا

ولم يتركوا التحامق ولم يقلعوا عن إيذاء الخلق ، ولم يقلعوا عن الحرص ، وأولى بالشيخ أن

يترك الحرص ، وحتى الكلب عندما يشيخ وتتساقط أسنانه يقلع عن عقر الناس ويكتفى بأكل

البعر ، لكن هؤلاء الشيوخ الذين يخفون شيخوختهم بملابسهم الأنيقة الغالية ، ويتصابون

ويرتكبون الموبقات ، وليس هناك عند الله أكثر سقوطاً من شيخ عاص فاسق هؤلاء هم

حطب جهنم ، وملائكة العذاب في انتظار سلخ جلودهم على فحوى " من جاوز الأربعين ولم

يغلب خيره شره فليتبوأ مقعده من النار " (مولوى ١٧٨/٦) ، ومع ذلك يود هؤلاء لو يعمر

ويسعدون أيما سعادة عندما يدعو لهم بطول العمر ، ولعله يريد أن يزيد في رصيده شره

وذنوبه ، في حين أنه لو علم أنه لو أخذ سريعاً لكان خيراً له وأولى به أن يرد هذا الدعاء

على قائله .

(١٢٤٣ - ١٢٤٧) : وما أشبه هذا الدعاء بطول العمر بذلك الشحاذ الذي دعا لذلك الجيلاني

بأن يرده الله إلى أهله ، فإذا بالجيلاني يقول له : إذا كنت تقصد هؤلاء الأهل الذين ابتعدت

عنهم لشروهم فردك الله أنت إليهم ، إن الجيلاني رد دعاء السائل الذي دعاه له بنية الخير

وهكذا الأراذل والسفهاء يقتلون المعاني السامية في نفوس قائلها فلا ينطقون بها ، وينزلون بهم إلى مستواهم في الحديث على أساس " إن الله يلقي الحكمة على لسان الواعظين بقدر همم المستمعين " (أحاديث مثوى ، ص ١٩٨) ، كما ورد على لسان الرسول ﷺ { نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلم الناس على قدر عقولهم } (مولوى ١٧٩/٦) .

(١٢٤٨ - ١٢٥٥) : يدل العنوان على أن مولانا سوف يعود إلى حكاية العجوز لكنه لا يعود إليها وإن كان قد قام بوصفها ووصف كل أولئك الذين هم على شاكلتها : أولئك الذين يتوقفون عند شهوة معينة أو هوس معين ثم لا يتحركون وكأنهم هذه العجوز الذي تريد أن تعيش في غير زمنها ، فلا أساس لهم ولا راس مال حتى قابلية القيم انعدمت عندهم ، لا هم يعطون ، ولا معاني لديهم ، ولن تكون لديهم ، لا لسان لهم يتحدثون به ، لا عقل لديهم يفكرون به ، ولا غيبة لديهم ولا صحو ، ولا دلال ولا جمال ، بل عفن فوق عفن ، لا حماس لطريق أو شيء ، ألا يلتقي المرء بكثيرين على هذا النسق في حياته اليومية ؟

(١٢٥٦) : اللطيفة التي تبدأ بهذا البيت تجاهل شراح المثنوى الإشارة إلى أصولها وهي تذكر بحكاية واردة في الكتاب الثاني عن حكاية جحا وابنه ، حينما كانا يشهدان جنازة وكان أحدهم ينوح خلف النعش واصفا القبر دون أن يذكره فقال ابن جحا لأبيه : تراهم يأخذونه إلى منزلنا ؟ (الأبيات ٣١٢٧ - ٣١٣٨ من الكتاب الثاني) ولا بد لهذه الحكاية من أصل .

(١٢٦٥ - ١٢٧٣) : يقدم مولانا صوراً أخرى لذلك الذي لا يتميز بأى سمات أو صفات فلا هو بالبازي (الشيخ) ولا هو بالطاووس (حسن الظاهر) ولا هو بالبيغاء (الفصيح أو الشاعر) ولا هو بالبلبل (المطرب أو المنشد أو القوال) ولا هو بالهدد (الدليل والقادم بالرسائل) ولا هو بالقلق (الوقور المتسامي) فماذا يكون ؟! وينصح مثل هذا الصنف من الناس : هيا ما دمت حتى الآن لا تتميز بأى ميزة بحيث يشتريك الناس ، فاسم إلى دكان الفضل ، فالله يشتريك مصداقاً لقوله تعالى ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم ﴾ (التوبة / ١١١) ، وثق

بأنك الرابع لأن الله سبحانه وتعالى يقول في حديث قدسي [إنما خلقت الخلق ليربحوا على ولم أخلقهم لأربح عليهم] (أحاديث مثوى ، ص ٥٨) .

(١٢٧٤) : لولا بعض الأبيات التي أضافها جعفري من نسخة مزيدة من المثوى لكان المعنى غامضا بحيث وقع استعلامي في الخطأ ففسر الذهاب إلى العرس بأنه طلب الزواج أو الرغبة في الزواج والواقع أنها مدعوة في عرس .

(١٢٨٨ - ١٢٩٦) : الكلام هنا موجه إلى العجوز وفي نفس الوقت إلى كل أولئك الذين يعيشون حالة على مواجيد غيرهم وكدهم وسعيهم وأولئك الذين يتشددون بكلام المشايخ ، وما هذه الأقوال إلا كالخضاب على الوجه القبيح ليس منه في شيء ، ثم يأتي الموت ذلك المحك ، الذي يظهر الزيف من الصحيح ، ولا ينفع مقال في يوم الفعّال ، إنه عالم الصمت ، فليتك أيها المدعى تسكت قبل أن تلحق بهذا العالم ، وأجل صدرك من الصدا الذي ران عليه يفتح ويصير قابلا للحقائق ، تنقش عليه الصور والعلوم والمعارف ، وينزل عليه الفيض ، ألم أقل لك من قبل إن كتاب الصوفي ليس من الحروف المكتوبة على الأوراق ، بل إن قلبه دفتر أبيض كالثلج (البيت ١٦٠ من الكتاب الثاني) وألم يقل لك غيري إن علم العشق ليس موجودا في كتاب ، إنك تستطيع أن تعود شابا جميلا لكن ببركة فيض الشيخ ، كما فاض دعاء يوسف ^{عليه السلام} على زليخا فردها جميلة شابة ، وألم تكن نخلة مريم جافة لا تثمر ، لكن حرقها ودعائها وحاجتها جعلتها تساقط عليها رطبا جنيا (انظر ٣٤٩٨ من الكتاب الرابع) .

(١٢٩٩ - ١٣١٥) : بدأ مولانا إحدى الحكايات هنا ثم تركها بعد بيت واحد ولم يهتم شراح المثوى بالبحث عن أصل للحكاية عن أساس أنها تبدو من اللطائف الشعبية التي كانت سائدة في زمانه ، وينطلق مولانا من فكرة أن حركة نبض عرق اليد تدل على ما في القلب إلى فكرة أن كل خفي وراءه ما يحركه ويدل عليه (انظر لتفصيل الفكرة الكتاب الرابع ، الترجمة العربية ، الأبيات ١٢٥ - ١٥٥ وشروحها) ، وحين يكون القلب ثملا فإن ذلك يبدو في منظر

العينين ، وهكذا حتى أعلى قيمة في هذه الحياة وهي معرفة الحق ، فقد أرسل الرسل بالمعجزات التي لا تجرى على يد بشر عادى لكى يدل على نفسه ، ومن بعد الرسل هناك الأولياء وكراماتهم وهؤلاء يؤثرون فيمن حولهم ، ويعطونهم مما لديهم ، فتنتقل إليهم السعادة من السعداء مصداقا للقول المأثور " من أراد أن يجلس مع الله فليجلس مع أهل التصوف " (مولوى ١٨٧/٦) وإذا كانت المعجزة قد أثرت على الجماد فحولت الحجر إلى متحدث وانشق القمر وتحولت العصا إلى حية وتحدث الحصى وأن الجزع ، وكلها آثار ليست من هذه الجمادات تخلقها تلك الروح الحلوة التي تجلى تأثيراتها على الجمادات فما بالك بالبشر ، لابد وأنهم سوف يتأثرون إذا لم تكن قلوبهم أقسى من الحجارة ، إنها كمائدة عيسى عليه السلام نزلت من السماء دون انقطاع ، وهي كذلك النخل الذي هزته مريم وكان جافا فتساقط رطباً جنياً ، وهذه المعجزات لابد لها من روح كاملة هي روح المرشد الذي يستطيع أن يجعل المرید يتقبلها ، هذا إذا كان طائر هذا البحر ولم يكن طائر برياً لا يستطيع أن ينزل بحر المعنى والفضل الإلهي " وهكذا الناقص لا يصل إلى الكرامات وكلما رأى كرامة ظنها استدراجاً " لأنه لا إخلاص له ولا استعداد لديه فالكامل في الحقيقة في خصوص الكرامات برئ من النقصان والهلاك، لأنه قادر على التمييز بين الكرامة والاستدراج يعلم محل إظهار الكرامة ومحل إخفائها، فكل ما ظهر منه موافق لإرادته تعالى فإذا أثرت في ضمير التابع قيل لها كرامة ، (مولوى ١٨٩/٦-١٩٠) .

(١٣١٦ - ١٣٢٥) : لا يزال مولانا يتابع الحديث في هذه النقطة : إن الأمور كلها عطايا : فعطية من لم يؤذن له الإنكار والعجز وعدم الفهم ، وعطية النجى الملازم القدرة على الفهم والتقدير والتقبل ، فإن لم تجد في نفسك أثراً للمعجزة والكرامة فتتبع الظاهر لكى تصل إلى الباطن ، فإن الظاهر عنوان الباطن ، فالآثار الظاهرة على الحواس مخبرة عن المؤثر، واللسان ترجمان القلب، ولديك دلائل كثيرة على هذا الأمر . فإنك إن نظرت إلى الدواء لن

تستطيع أن تدرك قوة الشفاء فيه، فإذا انتقلت من القوة إلى الفعل أدركت قيمة هذا الدواء من الشفاء الذي تصل إليه عن طريقه، وفي كل ما تراه ولا تعرف آثاره يكون كل ما تراه قشرا ويكون اللب مختفيا في داخله، وكلها آثار الحق، ودلائل وجوده المطلق، وإنك متعلق بالمظهر والآثر والعلامة، ومنصرف عن واهب الأثر، وهكذا تعلقك بالخلق: فأنت متعلق بإنسان لجماله أو لجأه أو لسطوته أو لماله، لكنك تتصرف عن سلاطين الدين أولئك الذين طبقت شهرتهم وآثارهم الشرق والغرب، وهذا كلام لا نهاية له أيها العظيم، لكن متى كانت هناك نهاية لطلب العلم الإلهي، إنني أدعو الله ألا يصرفنا عنه أبداً !!

(١٣٣٢) : إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا ، أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة ، اعملوا ما شئتم إنه بما تعلمون بصير ﴾ (فصلت / ٤٠) . والمقصود هنا أن الكافر لا يقبل علاجاً . قال نجم الدين كبرى " أفمن يلقى في النار . وهي الطبيعة الإنسانية النفسانية الحيوانية التي هي منشأ دركات جهنم خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة ، أي منظور بنظر عنايتنا محفوظ من شر نفسه بفضل رعايتنا وقوله اعملوا ما شئتم إشارة إلى كلاءتهم إلى هوى أنفسهم فإنهم بالطبع يهوون إلى الدرك الأسفل (مولوى ١٩٢/٦) .

(١٣٣٧) : في النص حمزه يرست وفي ترجمة كلمة حمزه اختلاف، فالأثقروى والمولوى واستعلامى ترجموها بحساء البرغل، بينما يرفض فروزانفر هذه التسمية رفضاً تاماً ويترجم حمزه بالجرجير (حواشى معارف بهاء ولد، ج ٢، ص ١٨٦ - ١٨٨) ويحتج بمعاجم لغوية وأشعار عربية تراثية ويرد ترجمة يوسف بن احمد المولوى، وتبعه في هذا سعد صادق كوهرين في معجمه " فرهنك لغات وتعبيرات مثوى " ج ٤، ص ١٦٦ - ١٦٧، من طبعة طهران ١٣٤١ انتشارات دانشگاه طهران) .

(١٣٣٩) : إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ (البقرة / ١٩٥) .

(١٣٤٣ - ١٣٥١) : يترك مولانا سياق الحكاية ويتحدث عن مرض من الأمراض الشائعة بين الخلق ويشبهه بالسل " من الشائع قديماً أن مريض السل يظن نفسه في تحسن وهو يسرع نحو الهاوية " ، هذا المرض هو أن أي إنسان يتعرض لبعض المشاكل يصب غضبه وصفعه على الآخرين وكأن للآخرين دخلاً في الأمر ، ويرى مولانا أن الأمر كله من الشيطان وربما يقصد أن هذا الذي أبغى من الله بدلاً من أن يتوجه إلى الله ليرفع عنه البلاء يسول له الشيطان أن ينفس عن نفسه في ظلم الآخرين وإيذائهم فهو يفهم ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ على أساس أنه مطلق اليد في الخلق ، بدلاً من أن يعالج المريض نفسه ويلجأ إلى الله تعالى يبحث عن عيوب الخلق وهو إنما يعالج نفسه بالهوى ، ويغفل عن الجزاء ، إن الشيطان الذي سول له ذلك هو الذي وسوس لآدم بأن شجرة القمح هي السبيل إلى الخلود والحياة الدائمة وقال لهما أي لآدم وحواء ﴿ ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ﴾ (الأعراف / ٢٠) لكن إياك أن تتسى أن هذه الصفة ردت لإبليس ، وكان آدم كالجيل فيه السم والترياق (الصورة من حديقة سنائي البيت رقم ٤٢٩ من الترجمة العربية لكاتب هذه السطور ، دار الأمين) وما الترياق في وجود آدم إلا الاستعداد للتوبة والاعتراف بالذنب والسير في طريق الحق .

(١٣٥٢ - ١٣٦٠) : التوكل الخليلى إشارة إلى توكل الخليل إبراهيم عليه السلام وهو يذبح إسماعيل عليه السلام اعتماداً على الحق وعلى أنه سوف ينجيه (انظر أيضاً البيت ٤١٧٧ من الكتاب الثالث) والإشارة إلى عبور موسى عليه السلام وقوم موسى للبحر ، وليس النيل ، كما هو موجود في النص ، والمقبل هو الذي ينجو من الخطر المحقق ، ويزل ، ثم يعود إلى وعيه ، وكلها من عطايا الحق سبحانه وتعالى ، لكن لم إذا يكن لديك اليقين في أن الله تعالى سوف ينجيك لا تضع نفسك في مواقع الخطر والزلل ، فمن منارة الغرور وعبادة الذات ، كم سقط كثيرون ممن لم يكن لهم هذا الإقبال ، فدقت رؤوسهم ، مثل قوم عاد الذين أهلك ظواهرهم وبواطنهم بريح

الصرصر ، وإذا كنت لا تستطيع السير على الحبال فسر على الأرض ، وجناحاك من الورق فلا تظر بهما ، وهنا إشارة إلى قصة إسماعيل بن حماد الجوهري ، مؤلف الصحاح ، الواردة في معجم الأدباء لياقوت (ج ١٥٧/٦) إذ اعترته وسوسة فانتقل إلى الجامع القديم بنيسابور فصعد إلى سطحه وقال : أيها الناس إني عملت في الدنيا شئيا لم أسبق إليه فسأعمل للآخرة أمرا لم أسبق إليه وضم إلى جنبيه مصراعى باب وربطهما بحبل وصعد مكانا عاليا من الجامع وزعم أنه يطير فوق فمات .

(١٣٦١ - ١٣٦٥) : يعود مولانا إلى قصة المريض والصوفي في بيت واحد ثم ينتقل إلى الحديث عن تقدير عواقب الأمور ، ولو أن ذلك الطائر قدر عواقب الأمور لرأى حبل الشراك ولم ير الحبة ، ولو أن كل امرئ نظر إلى عواقب الأمور لحفظ جسده ونفسه من مصائب كثيرة ، وسيدنا محمد ﷺ هو النموذج لتقدير العواقب وهو القائل { ما رأيت في الخير والشر كالיום ، إنه صورت الجنة والنار حتى رأيتهما ، دون الحائط } (أحاديث مشوى / ص ١٩٩) .

(١٣٦٦ - ١٣٨٧) : إن النظر إلى العاقبة يستوى مع النظر إلى العدم كأساس للوجود ويشير مولانا إلى أنه تحدث عن هذا الموضوع كثيراً (انظر على سبيل المثال لا الحصر ، الأبيات ٤٩٢ إلى ٤٩٦ والبيت ٢٥٩٥ من الكتاب الأول ، طبعة استعلامي والكتاب الثاني ، البيت ٦٩٠ والكتاب الثالث البيتان ٣٣٧٣ و ٣٣٧٤ والكتاب الخامس الأبيات ١٠٢٧ - ١٠٣٦ ومواضع أخرى عديدة) ويقدم مولانا بعض الأفكار الجديدة حول هذا الموضوع (وان كان بعضها قدم أيضاً) وتدور أيضاً حول فكرة أن الصانع لا يصنع فوق شئ مصنوع ، إن كل صنعة فكرة ، البداية من العدم ، ثم بناء على عدم ، فالوجود قبل أن يكون صورياً يكون فكرة ويكون خيالا ثم يكون حقيقة وبناء ، ومن ثم فإن من سذاجة الإنسان أن يهرب من هذا العدم ولا يطلب منه : فيطلب العلم من المدارس مع أن علم المدارس علم متغير ومتبدل ، ويطلب

الزراع من الأرض ، ويطلب الكسب من الحوانيت ، إن كل بحث أوله العدم ، فكيف يتوقى الإنسان من العدم وكيف يهلع منه ؟ إن العدم هو الوجود غير المرئى وهو الوجود المطلق (انظر أيضاً الأبيات ٨٠٩ ، ٨١٠ ، ٩٢٢ ، ٢٧٧٩ ، ٣٥٧٧ من الكتاب الذى بين أيدينا) إن العدم هو بحر المراد ، فالموت زاد بينما نسميه عدما ورقى بينما تعتبره تنزلاً وبداية بينما تعتبره أنت نهاية ، ما هذا الظن السيئ ، وكيف تنظر إلى الوجود وهو عدم وتقر من العدم وهو وجود ؟ إنه سر صنعته التى لا تعرف عنها شيئاً وسوف تعرف ذلك غداً (لتفصيل هذه الفكرة انظر الكتاب الخامس الأبيات ٤٢١-٤٥٩ وشروحها) .

(١٣٨٩) : الحكاية الواردة هنا كما أشار مولانا منقولة عن فريد الدين العطار دون تحديد لمنظومة . وهى واردة فى مصيبت نامه للعطار (ص ٢٧٦ من نسخة تحقيق د. نورانى وصال ، تهران ، زوار ، ١٣٣٨ هـ.ش) وواضح أن الطفل هنا نموذج للعبد الذى لا يعرف لطف الحق ويفر منه ، وأم الطفل رمز للطبع والنفس ومحمود رمز لسلطان السلاطين الذى ينظر إلى قهره ولا يدرى أحد لطفه (استعلامى ٢٩٠/٦) .

(١٣٩٢) : يشير إلى مولانا إلى أن القصة موجودة بتفصيلاتها عند العطار ، والحقيقة أنها لا تزيد فى تفصيلاتها عما يرويه مولانا جلال الدين هنا .

(١٤٠٦ - ١٤١٢) : يقدم مولانا المستفاد من الحكاية : فمحمود فى رأى مولانا هو الفقر الذى تخوف منه دائماً أم الطبع أو النفس التى يسول لها الشيطان ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ﴾ (البقرة ٢٦٨) ولو علم كل إنسان قيمة الفقر وأن المصطفى ﷺ فخر به فقال ﴿ الفقر فخرى ﴾ ودعا لنفسه به فقال ﴿ اللهم أحيى مسكيناً وأمتى مسكيناً واحشرنى فى زمرة المساكين ﴾ لدعا الله أن يجعله فى هذا الطريق المحمود العاقبة (انظر الكتاب الأول البيت ٢٣٥٧ والكتاب الخامس البيت ٦٧٤ والأبيات ٧١٥-٧١٧ وشروحها) وأنها أم الطبع تلك التى تخوفك من الفقر مثلما كانت أم الغلام الهندى تخوفه من السلطان محمود بالرغم من

أنه رأى على يد محمود من الإقبال ما لم يكن يحلم به ، فإذا سلك طريق الفقر فإنك سوف تبكى سروراً مثلما كان الغلام الهندي يبكى في حضرة محمود. وهكذا يأخذ الجسد طريق روحك ويخدعك بأنه يربيك ويظهر رقة مفسدة، ورقة الأم دائماً ما تكون مفسدة بل يلزم أب العقل، وقسوته أكثر فائدة للطفل من رقة الأم وحنانها ، وهذا الجسد ظلوم ، لأنه يسد عليك طريق الروح ، ويوهمك أن فيه الحماية لك في حين أنه كهذا الدرع المكون من حلقات مترابطة لا يرد حراً ولا يحمي من برد .

(١٤١٣ - ١٤٢٩) : لكن هذا الجسد ، هذا الرفيق السيئ لازم للطريق ولا يخلو من فائدة ، فإنه يعلم الصبر ويجعلك دائماً منتبهاً إلى الطريق، ويشرح الصدر لأن صبرك هو طريق الفرج ، ثم هل يتجلى القمر إلا في ظلمة الليل؟ وهل يتجلى جمال الورد إلا إذا كان محاطاً بالأشواك ؟ (لتفصيل الفكرة انظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الرابع والأبيات ٥٧٥ - ٥٨١ من الترجمة العربية للكتاب الخامس وشروحها) ، أنظر إلى الصبر كيف يحول الفرث والدم إلى لبن سائغ للشاربين ؟ أو اقرأ قوله تعالى ﴿ وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ نَسُوا مَا فِي بَطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾ (التحل ٦٦) أو فارجع إلى أول بيت في الكتاب الثاني (تتبعي مهلة كي يصير الدم لبناً سائغاً) ، وألم يكن كل ما ناله الأنبياء من دولة سمرمية خالدة نتيجة صبرهم على المنكرين الكفار وعلى أذاهم ، دعك من كل هذا وانظر إلى الناس: أليس كل من تراه يحيا في رفاة إنما يكون ذلك من صبره على كسبه وتحمله ، وبالتالي فإن كل من لم يمارس كسباً بصبر بقى عارياً محروماً ، وهكذا فإنك إن لم تصبر على الأليف الوفي لانقطعت عنه ووقعت بين براثن الآفلين ، علمت إذن من هو الأليف الوفي ، ومع من ينبغي أن يكون أنسك ، مع الذي لا يأفل ، مع من تزداد بالآلفة معه علماً وعطاءً كالذهب النضار ، مع ذلك الذي يقدر عملك، يجيزك على الحبة بسبعمئة حبة وقد يضاعف لك ، إنه أعلم بطبعك ، وأعلم بما يرضى هذا الطبع ، تراك تترك هذه الآلفة

العظيمة ، ثم تمضى وتكون ألفتك مع الذئب !! دعك من الذئب ، ولتكن ألفتك مع تلك الروح الجميلة ، تلك الروح الأليفة التى لا تضيعك ولا تخوفك ولا تبيعك ولا تلقى بك فى بئر الغرور .

(١٤٣٥ - ١٤٣٠) : الحديث عن الجاهل الذى يحذر مولانا من مصاحبتة "إياك ومصادقة الأحق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك" (منسوب إلى الإمام على عليه السلام) (استعلامى ٢٩٢/٦) (أنظر أيضاً عن عهد الأحق الترجمة العربية للكتاب الرابع الآيات ٢٢٨٦-٢٢٩٢ وشروحها) ، دعك من هؤلاء المفتضحين فلا هم برجال أو نساء ، يخفون عضو الذكورة بين النساء ويخفون عضو الأنوثة بين الرجال ، إنه امرأة بين من ليس لهم قوة على الطريق ، رجل بين أولئك الذين يسلكون الطريق ، منس للإغواء والإضلال بين هؤلاء وأولئك وسرعان ما يقوم الله سبحانه وتعالى بفضحهم مثلاً فضح الوليد بن المغيرة فتلقى فى بدر طعنة فى أنفه بقيت إلى آخر عمره وصار مظهراً للفضيحة ونزلت فيه الآية الكريمة ﴿ سنسمه على الخرطوم ﴾ (القلم ١٦) وليس ذلك إلا لتخليص المؤمنين من إغوائه .

(١٤٣٦ - ١٤٤٢) : يدور الحديث مرة ثانية عن أهل الدنيا الذين لا استعداد لديهم لإدراك الحقيقة (انظر البيتين ٣٧١٣ ، ٣٧١٤ من الكتاب الخامس) انهم السم المعتق سريع المفعول فى الإهلاك ، إنه من زلاقة لسانه يخاطبك كما تخاطب الأم ولدها ، وكثير من الأمهات يفسدن أولادهن بالتدليل ولذلك فالأم على مثال النفس (انظر البيت ١٤١٠ من الكتاب الذى بين أيدينا) أما الأب فهو العقل ، وانظر ، ألا يفلح الابن من قسوة الأب وحزمه ويسير فى طريق الفتوح ، بينما تعذل الأم الأب لهذه القسوة وتعتبرها دليلاً على كراهيته لها وإلا لما كره ابنها ، أنظر كيف تبدو الأمور معقدة وأنت لا تعتبرها كذلك !؟

(١٤٤٣ - ١٤٥٥) : ما دامت الأمور متشابكة إلى هذا الحد لا يدرى المرء التمييز بين تدليل الأم (النفس) المفسد وقسوة الأب (العقل) النافعة وينقل الأنثروى حديثاً نبوياً ٦-١/٣٣٣ "خير

الأبوين في علمك" ، يتوجه مولانا في مناجاة لله تعالى : إنها إرادتك أنت التي توجه العبد وتعطى العقل قوة التمييز ، وما لم تكن إرادتك ما استطاع أحد أن يتجه إلى الطريق الصحيح فأنت ﴿ الأول والآخر والظاهر والباطن ﴾ (الحديد ٣) ونحن جميعاً معومون إلى جوار رغبتك وإرادتك ، أنت الذي تستطيع أن تجعلنا بأجمعنا لك عملنا السجود وأنت الذي تستطيع أن تبعد عنا جبر الكسل والاستسلام (عن الجبر والاختيار انظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الخامس) فليكن جبرنا بيدك، تجعل قوادمننا تطير إليك بدلاً من أن نكون كالغربان نطير نحو القبور والموت الكلى. فالجبر للكاملين جناح وللكسالى سجن وقيد مثل ماء النيل كان ماء لقوم موسى وبما لآل فرعون وفي مقدمة الكتاب الأول وهو كنيل مصر شراب للصابرين وحسرة على آل فرعون والكافرين وقال ﷺ ﴿ إياكم ومجالسة الموتى قال ومن الموتى قال أهل الدنيا ﴾ (انقروى ١-٦/٣٣٥) ذلك أن الحياة بدونك - ياربنا - موت كلى ، وما نجاتنا إلا في الاتجاه إلى العدم فهو الوجود الحقيقى ، (انظر ١٣٦٧-١٣٨٨ من الكتاب الذى بين أيدينا) أما الوجود الذى نحن فيه فهو هباء فى هباء ، ومن خيالاتنا الواهية نظن أنه هو الوجود الحقيقى وعندما نتعدهم هذه الخيالات نعرف أن العدم هو الوجود الحقيقى أما الوجود فهو العدم .

(١٤٥٦ - ١٤٦٦) : "ليس للماضين هم الموت إنما لهم حسرة الفوت" وقال أحد الصوفية "الموت ولا الفوت" وذكر الحديث بصيغه أخرى فى الكتاب الخامس (انظر الترجمة العربية الأبيات ٦٠٩-٦٠٥ وشروحها وانظر أيضاً أحاديث مثوى ص ١٥٤) ، حينما ترفع الحجب يصيح من ضيع حياته فى السعى خلف العدم الذى يظنه وجوداً ﴿ يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله ﴾ (الزمر ٥٦) يعرف حينذاك أنه ترك البحر (الروح) وعكف على الزبد (الجسد) وحين يلقى بالزبد فى القبور اذهب واسأله : ترى ما الذى ألقى بك فى هذا المضيق ؟ وسوف يرد عليك قائلاً : بل فاذهب وسل البحر ، لقد رأيت الضد فاذهب واسأل ضده ، اسأل الريح عن حركة القراب ، واسأل البحر عن حركة الزبد .

(١٤٦٧ - ١٤٧٢) : ترى ما قيمة الإنسان إذا فقد البصيرة ، إن الإنسان هو مجرد بصيرة ، رؤية ، أما ما تبقى منه فهو عظام وعروق ، ويدق مولانا على هذه الفكرة كثيراً (انظر التفصيلات مقدمة الترجمة العربية للكتاب الرابع ص ٢٠ - ٢١) وهذا الشحم واللحم اللذان يتبقيان إذا انتفت عنك الرؤية ، لا يصلحان لشيء ، فلا شحمك يصلح شمعاً ولا لحمك يصلح شواء ، وإياك أن تظن أنني أقصد بالنظر مجرد الرؤية بعين الجسد ، فنظرة الجسد مداها ذراعان من الطريق ، ولكن نظرة الروح ، النظرة الجديرة بالإنسان تستطيع أن تستوعب رؤية المليك ، والفرق شاسع بين النظرتين ، فابحث عن محل عين الباطن من إرشاد المرشد وإفاضات الولي ، ولتكن رعاية الله أخذة بيدك فإنه هو العالم بالسرائر .

(١٤٧٣-١٤٨١) : عودة إلى الموضوع المحبب : الوجود والعدم وأن العدم هو أصل الوجود و "مصنع" الخليقة "كان الله ولم يكن معه شيء" وإذا لم تكن تصدق هذا فقس على الصنّاع من حولك (انظر الكتاب الذي بين أيدينا الأبيات ١٣٦٦-١٣٨٠ وشروحها) والبقاء في الفناء (انظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الثالث) وهو ما يدركه الدراويش الذين تجربوا من كل شيء (انظر الكتاب الأول الأبيات ٣٢١٤-٣٢١٧) وهناك فرق بين هذا الدراويش وبين السائل ، فالدرويش من فنى لا من سأل ، وإذا كنت تجد في نفسك ثقلاً في فهم هذا المعنى ، فاعلم أن الألم والضراعة والمعاناة هي السبيل، فاذهب وانكر الله واطلب منه أن يهبك فهم هذه المعاني .

(١٤٨٢ - ١٤٨٨) : الأصل في كل شيء هو العطايا ، والعطايا بقدر القابليات والقابليات من الله ، لكن لا يعنى هذا أن تظل أنت ساكناً مستسلماً منتظراً ، فاعمل ، ولا تكن موقوفاً على تلك الجبرية ، فقد تتجه إليك بالعمل ، والجهد منك ومن الله التوفيق ، وينبغي أن تكون عاشقاً في البداية ، فمن غير العاشق لا يتأتى مثل هذا العمل ، ولا تفكر في الاستجابة ، فالدعاء هو عين الاستجابة، ولا تفكر في قول أو في رد ففي الحديث القدسي {عبدى أطعنى كما أمرتك

ولا تعلمي ما يصلحك} وأيضاً قبل من قبل في الأزل بلا علة ورد من رد في الأزل بلا علة" (أنقروى ٦-١/٣٤٤) ، وحين تأتيناك جذبة الحق وكأنها الطائر يطير من عشه عند وصول معرفة الغيب وصبح المعرفة، فدعك من عبادتك وفكرك وذكرك، فهي بمثابة الشمع أمام نور الشمس وإذا طلع الصباح بطل المصباح ، وحينذاك تنفتح منك عين البصيرة فلا تبصر إلا الله ، تراه في كل شئ في الباب وفي القشور ، تتجلى لك الذرة والهباء عن شمس البقاء ، وتترك أن القطرة هي دليلك إلى البحر .

(١٥٠١ - ١٥٠٦) : الحديث عن القضاة العدول وتفسير مولانا أن عدل الأرض جزء من عدل السماء ، فإن رأيت قاضياً عادلاً ففكر في عدالة السماء فهي تدل عليها مثلاً تدل القطرة على البحر ، ذلك أن الجزء يحمل كل سمات الكل ، ويتحدث مولانا عن الشفق كموضع لقسم الله في القرآن في حين يرى أن الله لم يقسم بالشفق ، بل قال فلا أقسم بالشفق (٢٩٥/٦) (الانشقاق ١٦) في حين يرى بعض المفسرين أن لا هنا زائدة وأن الله سبحانه وتعالى أقسم بالشفق (مولوى ٦/٢١٦) وهو الأصوب ، وهو في رأى مولانا قسم بالتجلى البشرى لشخصية المصطفى ﷺ (انظر الكتاب الثاني والضحي نور ضمير المصطفى الأبيات ٢٩٦-٢٩٨) مثال النملة التي تحجبها حبة عن البيدر مر قبل ذلك (انظر الكتاب الذي بين أيدينا الأبيات ٨١١ - ٨١٥ وشروحها) والنملة هي مثال لذلك الذي يظن أن الوجود هو نفس هذه الحياة المادية ويغفل عن بيدر الوجود المطلق .

(١٥٠٧ - ١٥١٣) : في البيت ١٥٠٧ يذكرنا مولانا فحسب بأصل الحكاية ثم يعود إلى إفاضاته فيخاطب الظالم الذي يمد له الله في طغيانه ويغفل عن الجزاء ، وهذه غفلة أو نسيان أو حجب أسدلت على عين الباطن فلم تعد تدرى شيئاً ، أو هو في الحقيقة استمراء للظلم وتلذذ به تلذذاً وحشياً لأن المظلوم ساكت صامت مستسلم ولا يرد على الظلم الذي حاق به ، لكن الظالم مع ذلك غير مستريح ، ومن المستحيل أن يتمتع بذلك الصفاء الذي ينشده (لتفصيلات

الفكرة أنظر الترجمة العربية للكتاب الثالث الأبيات ٣٥٥-٣٥٩ وشروحها والأبيات ٤٥٦٤-٤٥٧٤ (وشروحها) إنك لا تدري شيئاً عن حقوق المظلوم عليك لأن هذه الحقوق خافية عليك وأنت محبوس بها وأن هذا من عقوبتك للحق فلولاً عقوبتك للحق ما عفت الناس ، وأن الظالم ليمد في ظلمه حتى يأخذه العقاب الإلهي (المحتسب) أخذ عزيز مقتدر ، قصف جدول قلبك وكيانك ووجودك من كدره هذا ، ولا يقوى على هذا إلا المجنون .

(١٥١٦) : الجبار : هو الهالك في الشرع أو الهالك أثناء تنفيذ حكم شرعي وجباراً أي هدرأ ولا دية له - عن الأنقروى ٦-١/٣٥٤ (قال صاحب السقاية رجل ضرب امرأته في أدب فماتت فعليه الدية والكفارة وكذا الأب والوصي في الولد الصغير عن أبي حنيفة) وإذا ضرب الأب ابنه على تعليم القرآن أو الأدب فمات قال أبو حنيفة عليه الدية ولا يرثه وقال أبو يوسف ومحمد رحمه الله عليهما يرثه ولا شيء عليه .

(١٥٢٠ - ١٥٣٠) : الدية على العاقلة : أي أن الدية على غير البالغ أو السفیه تدفعها عصبته (انظر البيت ٢٤٧٢ من الترجمة العربية للكتاب الثالث وشروحه) ، والأمن هو غير المسئول إن وقع أذى على من يوقع عليه الحد الشرعي ، وهو غير الأب ، فالأب إن ضرب ابنه وهلك فإنما يضربه لأن خدمته واجبة عليه شرعاً ويضربه لأمر يخصه ، أما القاضي فلا دية عليه ولا مسئولية لأنه يضرب من أجل الشرع ، وحكم المعلم كحكم القاضي ، إن المعلم إذا ضرب الصبي فإنما يضربه لتأديبه وتعليمه فإن هلك فلا دية عليه لأنه لم يضربه لشيء في نفسه أو لغرض في داخله ، وينتقل مولانا إلى الحديث عن قطع رأس الذات أو النفس بسيف ذي الفقار وذو الفقار اسم لسيف الإمام علي عليه السلام ، وهو هنا كناية عن سيف الحق وسيف الشرع وسيف الدين (انظر ٣٦٧١ من الترجمة العربية للكتاب الثالث) فإذا فنيته بهذا السيف فأنت آمن من العقوبة خال من المسئولية إذ ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ (الأنفال ١٧) وفي هذه الحالة فإن المسئول (الضامن) هو الله تعالى .

(١٥٣١ - ١٥٣٨) : يمنع مولانا جلال الدين نفسه عن الاسترسال في هذه القضايا الفقهية لأنها خارج إطار هذا الكتاب وخارج بضاعة هذا الدكان ، وقبل ذلك اعتذر مولانا عن الاسترسال في مناقشة قضية كلامية خشية مضى لذة نقاط العشق منه ، وخشية أن يصير دورة دوراً مختلفاً (الترجمة العربية للكتاب الثالث البيتان ١٣٧٥ ، ١٣٧٦ وشروحهما) ويضرب مولانا الأمثال فلكل حانوت بضاعته التي يلتبس منها ، ومن ثم فإن هذا الكتاب أى المثوى هو حانوت التوحيد ، وكل ما تراه غير التوحيد صنم فحطمه ، وما هذه الألفاظ التي صبت فيها المعاني ، وما هذه الحكايات التي تراها إلا من قبيل ذكر الأصنام في سورة النجم ونطق الشيطان أو أحد الكفار بتلك الكلمات التي تلت الآيتين ﴿ أفأريتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ﴾ (النجم ١٩-٢٠) ثم صمت الرسول ﷺ فإذا بصوت يصيح "تلك الغرائيق العلى وان شفاعتهم لترتجى" (جعفرى ١٣/٥٣٩) وقد قال بعض المفسرين إن الكفار كانوا يقطعون الرسول ﷺ عند قراءته لهذه الآيات فذكر آية الغرائيق كي يسكت الكفار ومن ثم سكتوا وسجدوا (استعلامى ٦/٢٩٧) ، وهذه هي الفتنة التي ما تزال لها ذيول حتى الآن (آيات شيطانية مثلاً للمرتد سلمان رشدى) والحكاية كلها مختلفة من الرواة وإن كان ابن سعد قد أورده فى طبقاته وابن جرير الطبرى فى تاريخه وبعض المفسرين عند تفسيرهم قوله تعالى ﴿ وما أرسلنا قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ﴾ وهى روايات قال فيها ابن كثير "ولكنها من طرق كلها مرسله ولم أرها مسنده على وجه صحيح" والأمر كما توصل إليه سيد قطب أن الكفار سجدوا عند تلاوة الآيات (دون ذكر للغرائيق) من شدة تأثير القرآن الكريم إن سبب السجود "كامن فى ذلك السلطان العجيب للقرآن ، ولهذه الإيقاعات المزلزلة فى سياق هذه السورة" (سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مجلد ٦ ، ٣٤١٩-٣٤٢٢ من ط ١٢ دار الشروق ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م) ولم لا؟ ولم تكن هذه هى المرة الوحيدة التى تأثر بها الكفار

بالإسلام والروايات عن تأثر عمر رضي الله عنه قبل إسلامه بآيات من سورة طه ، وشهادة الوليد بن المغيرة للقرآن وغيرهما وغيرهما متواترة ، المهم في هذا المجال أن الرواية على علاتها كانت تذكر قديماً دون حساسيات أو حرج ، وما هو مولانا يقارن إدخاله بعض الهزل في المثوى عن عمد (حتى يجذب العوام) وهو نفس التعليل الذي قدمه سنائي لإدخال الهزل في الحديقة وهو أن أكثر الناس من العوام (انظر الترجمة العربية لحديقة الحقيقة لكاتب هذه السطور الأبيات ١١٢٦١-١١٢٦٣ وشروحها) وينصرف مولانا عن هذا الموضوع الشائك بعيد الغور شديد الغموض ، فالآية ليست من السورة والأمر كله فتنة وخير لك من أن تعطى أذنك لسليمان الطريقة (الشيخ الكامل) ولا تهيج الشياطين (الضالين والشكاكين ومشعلى الفتنة) .

(١٥٣٩-١٥٤٩) : عودة إلى حكاية القاضي والصوفي ، وثبت العرش ثم انقش مثال معناه : فصل في دعوائك حتى أحكم فيها ، وينظر إلى المدعى عليه فيستبعد أن يحكم على مثل هذا الميت فالشرع للأحياء والقادرين والأغنياء وليس للموتى (موتى الجسد وموتى العلم وموتى الثقافة وأولئك الذين فرغوا من الداخل وماتت هويتهم) ، ثم ينتقل مولانا إلى فئة فنيت نواتهم وماتوا قبل أن يموتوا ولا صورة لهم ولا جسد ، ومن ثم فإن الديات قد انهالت عليهم من ذات الحق. وفي الحديث القدسي : من أحبني قتلته ومن قتلته فأنا بيته . _ انقروى ٦-١/٣٦٢ وقال الإمام القشيري "التوبة بقتل النفوس غير منسوخة في هذه الآية إلا أن بني إسرائيل كان لهم قتل أنفسهم جهراً وهذه الأمة توبتهم بقتل أنفسهم معنى" (نفس المصدر) (انظر عن البقاء في الفناء مقدمة الترجمة العربية للكتاب الثالث وهناك مضمون مشابه في الأبيات ٢٩٦٠-٢٩٦٦ من الكتاب الرابع) وجرجيس أخر الأنبياء روى أنه قتل وعاد حياً أكثر من مرة (انظر البيت ٨٩٣ من الكتاب الذي بين أيدينا) فالسالكون إلى طريق الحق يفنون في كل خطوة وفي كل فناء خطوة جديدة إلى وجود جديد (انظر الأبيات من ١١٤٥-١١٥٠ من الكتاب الأول) .

(١٥٥٥ - ١٥٧٤) الحي هنا هو رجل الحق بأنفاس الله ، ومن ثم فالموتى هم أهل الدنيا مصداقاً للحديث النبوى الشريف ، وذلك لأن من رده رجل الخلق فقد رده الحق "السنة الخلق أقلام الحق" ، ومن رده أهل الدنيا وآذوه ، يكون أذاهم مثل أذى القصاب للذبيحة ، لكن القصاب ينفخ فى الذبيحة فتفنى ، والله ينفخ النفخة الإلهية فى العبد فيظل حياً بها إلى الأبد (عن هذه الصورة انظر أيضاً البيت ٤٦٨٤ من الكتاب الخامس) أنظر إلى الفرق بين فناء الصوفى وفناء أهل الجسد ؟ فناء الصوفى زينة له وفناء أهل الجسد شين لهم ، على كل حال ، كيف أحدثك عن هذه النفخة الإلهية وهى التى لا تتأتى فى كلمات ، ولا تعبر عنها ألفاظ هيا أخرج من قاع الدنيا إلى أعلى صرح الوجود ، تحس بما أقوله من كلمات .

(١٥٧٥): قال ﷺ { لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه } (أحاديث المثنوى/٢٠٠) . ومن وصايا الإمام على عليه السلام "يا بنى اجعل نفسك ميزاتاً فيما بينك وبين غيرك فاحبب لغيرك ما تحب لنفسك واکره له ما تکره لها ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم وأحسن كما تحب أن يحسن إليك واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك وارضه لهم بما ترضاه لهم من نفسك" (عن جعفرى ٥٤٩/١٣)

(١٥٧٦) : إشارة إلى المثل السائر "من حفر بئراً لأخيه وقع فيه" وليس حديثاً كما ذكر مولانا .

(١٥٨٣ - ١٥٨٦) : يتحدث القاضى عن الرضا (انظر البيت ١٥٧٣ من الكتاب الأول وعن القضاء انظر أيضاً الكتاب الأول ١٢٣٦-١٢٤٢ الترجمة العربية ، وانظر أيضاً الترجمة العربية للكتاب الثالث البيت ١٣٦٣) وعلى الإنسان أن يرى جزاء عمله حتى ينفتح بستان قلبه (انظر الأبيات ١٣٥ - ١٤٠ من الكتاب الرابع وشروحها) .

(١٥٨٧ - ١٦٠٩) : المتحدث الحقيقى هنا ليس القاضى لكنه مولانا : والحديث هنا عن قيمة

البكاء والإشارة إلى الآية ﴿ فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً بما كانوا يكسبون ﴾ (التوبة ٨٢) وبرغم أن الخطاب هنا للكفار فمن الممكن أن يعتبر به المؤمنون على أساس أن كثرة الضحك تميم القلب (مولوى ٣٣٧/٦) والدمع هنا من خشية الله ومن الشوق إليه وليس كل عبوس مضراً ، بل من عبوس الوالدين يكون النفع للولد ، ومقدمة الجنة هو البكاء وألا يبكي المؤمن عند ذكر النار ، إذن فباب الجنة مفتوح أمام الباك الذي يتحرز من النار ويعمل عمل أهل الجنة، فالفرح الحقيقي من الممكن أن يوجد في هذا البكاء (انظر الأبيات ٢٤٨١-٢٤٨٥ من الكتاب الأول) وإن مع العسر يسراً أي كما قال نجم الدين كبرى "مع عسر المجاهدات يسر المعرفة" (مولوى ٣٣٨/٦) والنعال المعكوسة أي العلامات المعكوسة والتي يدل ظاهرها على غير باطنها والتي تضلل السالك (انظر الكتاب الأول البيت ٢٤٨٨ والكتاب الخامس البيت ٤١٦ والبيت ٢٧٥٣ من ترجمة كاتب هذه السطور) وقد فسر الدكتور كفاي النعال المعكوسة بأنهما نعلان يشير أثرهما إلى اتجاه مضاد لا تجاه الهدف وقد كان بعض المحاربين يعكس اتجاه نعال فرسه ليضل من يفتقون أثره (ص ٣٠٨ من الكتاب الأول ترجمة كفاي) ومن ثم لزم المشير ولزم رفيق الطريق ولزم القائد والمرشد والدليل، فالأمور تبدو معكوسة ولا ينبؤك مثل خبير واقرا في الكتاب ﴿ أمرهم شورى بينهم ﴾ (الشورى / ٣٨) والزم الصمت ، واسمع وتعلم وخذ العبرة من صلاة الجمعة ، فالرحمة تنزل على الصافين الساكتين المنصتين للإمام ، فكن صامتا لأن من صمت نجا ، ولا تشهر نفسك لكيلا تكون هدفا للسهم ، والرسول ﷺ بالرغم من أنه أتم الدين وأكمل النعمة إلا أنه أوصى بالإقتداء بالنجوم أي الصحابة فقال ﷺ : { أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم } ومن ثم فالأمر قائم إلى يوم الدين ، فإن كان الصحابة قد مضوا فأنت مطالب باتباع الأولياء والمرشدين ، فالحديث ذو شجون والكلام يجر بعضه بعضاً ، ولا تكون لك سيطرة على الأمر ، فسرعان ما يجرك الهوى ، ويحيد بك عن الطريق ، فالمسموح له بالحديث هو الرسول ﷺ الذي

قيل فيه ﴿ وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى ﴾ (النجم / ٣-٤) ، فالبلاغة هي الصمت ، وذرة الصديق أفضل من مائة مقال ، وأن تعيش " الحال " أفضل من أن تكون بليغاً (عن المقال والحال انظر الترجمة العربية للكتاب الثالث ، البيت ٤٧٣٠ وشروحه) .

(١٦١٠ - ١٦١٨) : برغم سياق الحكاية ينقلب القاضى إلى مرشد والصوفى إلى مريد سائل يسأل القاضى عما يؤرقه من تناقضات في مظاهر الكون وفي قضاء الحق وتجليه في مظاهر مختلفة ، ما لهذا يحصل على الذهب وذاك يحصل على الزيف مع أن المنجم واحد ؟ ولماذا يكون هذا يقظاً والآخر ثملاً ، وإذا كانت الجداول (البشر) تجرى بماء واحد ، فلماذا يكون ماء المؤمن صافياً عذباً زلالاً ويكون هناك كافر مأؤه ملح أجاج؟ ولماذا التفاوت والاختلاف بين الصبح الصادق والصبح الكاذب ؟ مع أن المصدر هو شمس البقاء الأزلية ، ولماذا يكون عقل أحدهم مضيئاً منيراً وعقل الآخر مظلماً كدراً ؟ ، وطريق الله طريق واحد فكيف يحتوى هذا الطريق على هادى الطريق ودليله ومرشده ويحتوى على غيلان الطريق المضلين ؟ ، ولماذا تلد البطن الواحدة العاقل والسفيه والصالح والطالح ، ما دام الرسول ﷺ قد قال: أن الولد سر أبيه ؟! (انظر الترجمة العربية للكتاب الرابع ، البيت ٣١١٧ وشروحه) . لماذا هذا التعدد وهذه الكثرة كتجليات للوحدة؟ لماذا تظهر هذه الاختلافات مع أن الله (المصدر) إله واحد ؟!

(١٦١٩ - ١٦٣٠) : يجيب القاضى (المرشد) إن الأمر لا تناقض فيه ، فكيف يقاس المعشوق بالعشاق ؟! ألا ترى أنه بالرغم من أنه لا عاشق بلا معشوق ولا معشوق بلا عاشق هناك كثير من الاختلافات في أحوالهم ؟! فكلمة ازداد المعشوق جمالا ازداد العاشق نحولاً ... وكلمة زاد المعشوق دلالة وعزة وكرمة ازداد العاشق وجداً وهياماً وذلاً واضطراباً ، إن هذه الخليفة التى تراها متناقضة إلى هذا الحد كلها زبد على سطح البحر فاضت منه ولكنها ليست هو ، والبحر يحتوى على الدر يحتوى على السبه (حجر رخيص) فهل يقال أن هذه المظاهر والآثار هي عين البحر الذي بلا كيفية ، ولا يحيط به أحد؟ ولماذا الخالق المطلق ليس ندأ لمخلوقاته

وليس ضدا لها ، قال الإمام على عليه السلام : بتشعيره المشاعر عُرِف أن لا مشعر له ومضادته بين الأمور عُرِف أن لا ضد له وبمقارنته بين الأشياء عُرِف أن لا قرين له ، (عن جعفرى ٥٦٣/١٣) فلا خالق هناك يستطيع أن يخلق ضده ، فالاضداد كثيرة والأنداد كثيرة ، والمثل لا يخلق مثله ، وأسرار الخليفة (مد البحر وجزره) لا كيفية لها وغير قابلة للوصف ، وانظر : إن أقل ظاهرة من ظواهره هي روحك ، ومع ذلك فإنك لا تستطيع أن تدرك كنهها ولا يستطيع أحد أن يفسر أبعادها ﴿ ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ (الإسراء / ٨٥) .

(١٦٣١ - ١٦٤٢) : يواصل القاضى (المرشد) : تراك تريد أن تدرك كنه هذا البحر ، وعقلك بكل ما أوتى من قوة لا يستطيع أن يدرك كنه قطرة واحدة منه ، وتساؤلئك كلها تبقى محدودة بنطاق الألفاظ وضيقها ، وأين ألفاظك وأين معرفتك المحدودة من العقل الكلى أو ما خلق الله ومنه فاضت الخليفة وهو أيضاً عاجز عن إدراك منهجه ، يستجد بالجسد ويسأله : أتراك حصلت على النذر اليسير من المعرفة عن بحر المعاد ؟! ويرد الجسد : كيف وأنا دائما مجرد ظل لك كيف أدرك ما لم تستطع إدراكه ؟! ويرد العقل : إنها الحيرة هي التى تقلب كل الموازين : تكون الشمس في خدمة الهباء ويفر الأسد أمام الغزال والبازي أمام السلوى ، يطلب القوى العون من الضعيف (انظر عن الحيرة البيت ٢٤٨٦ من الترجمة العربية للكتاب الأول و ١٣٧٧ من الترجمة العربية للكتاب الثالث و ٩٦٩ من الترجمة العربية للكتاب الرابع) ولم لا ؟ ، ألم يكن الرسول ﷺ مع عظمته وقربه يطلب الدعاء من المساكين ؟! وفي رواية الجامع الصغير " كان يستفتح ويستنصر بصعاليك المسلمين (انظر أحاديث مثوى ، ص ٢٠٠) وكيف تصدق أقوال المفسرين أن هذا كان من أجل التعليم !. أ يكون التعليم في إيداء الأمور على غير حقيقتها ؟! لا ... بل كان ﷺ يعلم أن كنوز المعرفة في قلوب الفقراء مصداقا لقوله تعالى في الحديث القدسى [أنا عند المنكسرة قلوبهم] وهذه الأمور المعكوسة

(انظر البيت ١٥٩٤ من الكتاب الذي بين أيدينا وشروحه) تحير حتى الأولياء ، وإلا فإن كل جزء في الرسول ﷺ منبىء عن الحقيقة الإلهية ، ومن هذا الفعل المعكوس تعددت الفرق والمذاهب وليس ثم إلا حقيقة واحدة ، وكلها اختلافات في النظر (عن اختلافات النظر ، انظر حكاية رسامى الصين والروم من الكتاب الأول وحكاية الفيل في الحجرة المظلمة ، ابتداءً من البيت ١٢٦٠ من الكتاب الثالث وانظر أيضاً حكاية سؤال موسى ﷺ لله تعالى : لم خلقت خلقاً فأهلكته ، من الترجمة العربية للكتاب الرابع ، الأبيات ٣٠٠١ وما بعده وشروحها) .

(١٦٤٣ - ١٦٥١) : يواصل القاضى حديثه إلى الصوفى : إن هذا الكلام ليس بالبسيط وليس بالهين ، ولا تستطيع أذن الجسد أن تستوعبه بل لابد له من انن الروح ، فكل ما يتأتى للعبد إنما يتأتى له من الله من العطاء والمنع والنعم والبلاء ، وهكذا بيدنه مع كل خلقه بلاءٌ يعقبه نعمة ونعمة يعقبها بلاء ، (انظر الترجمة العربية لحديقة الحقيقة ، حكاية الذي أراد أن يهب بردة لبهلول ، الأبيات ٥٣٣٩ - ٥٣٤٤ وشروحها) . وما حول الفخذه هو أحسن قطع الذبيحة ما حول الرقبة أسوأها ، والدنيا بأجمعها لا تساوى عند الله جناح بعوضة ولو كانت لما سقى الكافر منها شربة ماء ، بل هى للصالح والطلّاح على السواء ، لكن رحمته جل شأنه تكون للصالحين من خلقه فحسب للذين يصبرون على الضراء ولا ترتفع عقيراتهم بالصياح أو الشكوى ، والحضور هو حضور القلب والمنزل هو قلب المؤمن : ليكن الله سبحانه وتعالى حاضراً في قلبك ، لكى تصلاك خلعه .

(١٦٥٢ - ١٦٥٦) : يذكر سؤال الصوفى هنا بما ورد في الكتاب الخامس قصة ذلك الذي قال : ما كان أحلى الدنيا لو لم يكن موت ، وما كان أحلى ملك الدنيا لو لم يكن له زوال ، وعلى هذه الوتيرة من الترهات (الأبيات ١٧٦٢ - ١٧٧٣ من الترجمة العربية للكتاب الخامس وشروحها) . فالحقيقة غارقة في الحقيقة لأن المجاز لا ينتفى عند أهل الحقيقة لأن مراتب

الوجود تسمى حقيقة بعد حقيقة (سبزوارى / ٤٤١) .

(١٦٥٧) : يضرب القاضى المثل هنا بقصة التركى والخياط التى وردت في كتاب الأنكباء

لابن الجوزى (مأخذ / ٢٠٧) .

(١٦٦٣ - ١٦٧١) : يترك مولانا رواية الحكاية كعادته ليتحدث عن أهمية المتلقى بالنسبة

للمتحدث فبقدر همة المستمع تكون قوة المتحدث ، مصداقا للحديث النبوى المذكور في العنوان

(انظر أيضاً البيت ١٢٤٧ من الكتاب الذي بين أيدينا ، وانظر أيضاً الترجمة العربية للكتاب

الثالث الأبيات ٣٦٠٤ - ٣٦١٤ وشروحها) والفكرة العامة أن كل شئ بقدر حاجة الخلق إليه،

يبكى الطفل فيفور ثدى الأم باللبن، تهتز الأرض فينزل عليها المطر ، يريد الله سبحانه

وتعالى أن ينزل معجزة الأنبياء والخلق أجمعين ، فيخلق الخليقة كلها من أجله لكي يتم الظهور

عليها فلا ظهور له إلا بها فهو أول الأنبياء خلقاً آخرهم بعثاً ، وكان نبيا وآم بين الماء

والطين ، وقال الله تعالى له : " لولاك ما خلقت الأفلاك " ، والأولياء أيضاً، يأتي بالبشائر من

عالم الغيب لأن الأذان تهفوا إلى هذه البشائر ، وما دامت عاكفا على الدنيا فأنت والكلب سواء

فالدنيا جيفة وطلابها كلاب ، والكلب نفسه ينجو من طبيعته الكلبية عندما يصاحب أهل الكهف

(الأولياء) لكن ما العمل والعوام كلهم همهم النساء والطعام .

(١٦٧٥ - ١٦٧٧) : إن هذه الخلاقات بين الخلق صورة مصغرة للقيامة وحين يقع شجار بين

اثنين يجاهد كل منهما في فضح أسرار الآخر ، وهذا أشبه بالقيامة عند نفخ الصور حيث

ينشر كل ما أسره المرء على الملأ .

(١٧١٦ - ١٧٢٣) : يترك مولانا الحكاية (التي هي أيضاً داخل حكاية الصوفى والقاضى)

ويخاطب المرید : حتام أنت مولع بالحكايات والأساطير وأنت نفسك مجرد حكاية من

الحكايات تعجز عن الوصول إلى الحقيقة وتبتعد عن إدراك الواقع (انظر البيت ١١٤٧ من الكتاب الثالث حيث تقدم فلسفة الحكاية والبيت ١٦٦٢ من الكتاب الذي بين أيدينا) وأنت العجب العجيب في ضحكك هذا ، أترك تضحك والموت في انتظارك وأنت دائما في ضحكك (انظر حديقة سنائي ، الأبيات ٦١٣٥ - ٦١٣٧) ، إنك تهزل والفلك يسخر منك ، ولا تنظر فقط إلى عطاياه بل وانظر أيضاً إلى أخذه ، وفكر في العواقب (انظر لتفسير الفساد في الكون الترجمة العربية للكتاب الرابع ، الأبيات ١٥٤٤ - ١٦١٤ وشروحها) وهذا هو الفلك خياط عام يصنع الكساوى لأولئك الذين شاخوا في أعمارهم لكنهم لم يبلغوا عقول الأطفال ، ذلك أنهم يضعون كل شئ على عاتق الفلك، ويتحدثون عن سعده ونحسه ، ويتكدون منه ، بينما لا يملك من أمر نفسه شيئاً .

(١٧٣٤ - ١٧٤٥) : الحكاية هنا ذات أصل عربى ورد في ربيع الأبرار للزمخشري " زحمت مريأة رجلا فقال : المستعان بالله ما أكثركن ، قالت : يا هذا نحن على هذه الكثرة وأنت تبتغون ما وراء ذلك فليت شعري لو كان فينا قله ما كنتم تعملون . (عن فروزانفر مأخذ ٢٠٧) . ومعناها أن أهل الدنيا لا يشبعون من لذائذها هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لم يفتن إليها الشراح القدامى أن انغماس المرء في الشهوات حتى ولو كان طبيعيا فإن يجره إذا وصل إلى مرحلة التشبع إلى البحث عن الشذوذ واللجوء إليه ، ثم يواصل مولانا الحديث : وهكذا الإنسان مع الدهر : إن الإنسان يسب في الدهر ويشكو الزمن وأكثر الناس شكوى من الدهر هم أشدهم كلفا به وحرصا عليه ، وتعلقا بشهواته ، فما أن يخسر أدنى خسارة فيه حتى يجأ بالشكوى وتضييق الحياة في وجهه ، وإذا كسب فيه فإن يتجبر ويطغى ويركب على رقاب الخلق ، فلا هو بالشاكر في النعمة ولا هو بالصابر على البلاء ، وكل الناس لا يتأسون بإيراهيم الخليل عليه السلام الذي وفي وصبر على نار النمرود ولا بإيراهيم بن أدهم الذي لم يركن إلى النعمة بل وهرب منها قاصدا الحقيقة : وبينما ألقى إبراهيم الخليل بنفسه في النار فلم

يحترق ، ألقى إبراهيم بن أدهم بنفسه في طريق الطلب واحترق بنار الطريق .

(١٧٤٦ - ١٧٥٣) : لا يزال الصوفى (المريد) يسأل القاضى الشيخ ويضرب الأمثال لوجود الخير والشر معا في الدنيا ، مع أن الله تعالى جلت قدرته يستطيع أن يجعل العالم خيرا محضاً .

(١٧٥٤ - ١٧٦٤) : جواب القاضى هنا يشبه حديث مولانا في أكثر من موضع عن لزوم الشر إلى جوار الخير ، وأنه إذا كان العالم خيراً خالصاً لما أمكن التمييز بين الخير والشرير والصالح والطالح ، الموضع الأول في الكتاب الرابع تحت عنوان : بيان أن العمارة في الخراب والجمع في التفرقة ، (الأبيات ٢٣٤١ - ٢٣٥٣) والموضع الثانى في الكتاب الرابع أيضاً تحت عنوان سؤال موسى عليه السلام الخالق سبحانه وتعالى : خلقت خلقاً وأهلكتهم (الأبيات ٣٠٠١ - ٣٠٢٩) وفي الكتاب الخامس تحت عنوان في بيان قول الرسول ﷺ : لا رهبانية في الإسلام ، (الأبيات ٥٧٥ - ٥٨٠) . ويخلص مولانا في الأبيات التى بين أيدينا أن توجيه مثل هذه الأسئلة من قبيل الغفلة ، فمن اقترب من الحق علم أن كل ما يأتى منه خير . وقد عبر سنائى عن هذه الفكرة في حديقة الحقيقة أيضاً (انظر الترجمة العربية ، الأبيات ٤٢٦ - ٤٦١ وشروحها) وقال بعض السادات : أذنبت ذنباً وأنا أبكى عليه منذ ستين سنة ، واجتهدت في العبادة لأجل التوبة من ذلك الذنب ، فقل له ما هو ؟ قال : قلت مرة لشيء ليته كان كذا !! وقال بعض المشايخ : لو قرض جسمى بالمقاريض ، كان أحب إلى أن أقول لشيء قضاه الله ليته لم يقضه . (انقروى ٦-١/٤٢٤) .

(١٧٦٥ - ١٧٧٤) : الحكاية الواردة في هذه الأبيات مأخوذة عن رواية وردت في ذيل زهر الآداب للحصرى " وكسا مزيد المدنى امرأته قميصاً فشكت إليه غلظته وخشونته فقال : أترينه أحسن من الطلاق . (عن فروزانفر ، مأخذ ٢٠٨) .

(١٧٧٥ - ١٧٨٦) : المقصود من الحكاية السابقة هل الفقر والبلاء والآلام والمحن أشد وطأة

على العبد أو البعد عن الله ؟! هل مكافحة الهوى على مرارتها وقسوتها أقل مرارة من البعد عن الحق أو أكثر مرارة؟! هل الصيام والجهاد على قسوتهما أقسى أو أن يمتحن المرء بالبعد عن ربه ؟! من دعاء كميل المشهور عن أمير المؤمنين " فهبني يا إلهي وسيدى ومولاي وربى صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك " (عن جعفرى ٥٩٢/٣) . يكفيك أن تسمع مواساته أثناء ألمك ، وأنت تسأل : كيف اسمع مواساته ؟! ألست تدعو ربك أثناء البلاء وأثناء المحنة ؟ اعلم أن نفسك دعوتك هذه هي إجابته جل شأنه بلبيك ، فالدعاء عين الاستجابة، وإذا كان البلاء يجعلك قريباً من الله تتاديه فيستجيب لك فكيف تفر من هذا البلاء؟! وإذا لم يكن لديك نوق التلقى ، ألست تحس في حالات المرض والبلاء بأنك قريب من الله ؟! تكفيك إذن هذه اللذة ويكفيك هذا القرب ، وعلى هذا النسق العلاقة بين أولئك الحسان (المرشدين والأولياء) ومرضى القلوب (السالكين في طريق الحق ومرضى النفوس) وهم وإن لم يفصحوا إلا أن إشاراتهم (رسائلهم) تغنى ، ففي الإشارة غنى عن العبارة ، وإلا فإن من القلب إلى القلب كوة ، ولا يوجد عاشق يفكر في معشوقه دون أن يفكر معشوقه فيه ، (انظر الترجمة العربية للكتاب الثالث ، الأبيات ٤٣٩٦ - ٤٤١٥ وشروحها) وإذا كنت مغرماً بالقصص والحكايات فاقراً حكايات العشاق ، ففيها الكفاية ، فقط يجب أن تكون ناضجاً بقدر الكفاية ، ولست مغلياً نصف غلية على طريقة الترك فى انضاج اللحم (انظر ٣٧٥١ من الكتاب الثالث) ، لكنك أيها السالك الذى لا يدرك عمق هذه المعانى ولا تصادف منك قلباً مفتوحاً قد عشت عمرك وتعلمت ما تعلمت ، لكنك كلما تعلمت ازددت فجاجة على فجاجتك، فعلمك الذى تتعلمه ليس من أجل الحق بل من أجل الخلق ، ذلك أنك سرت فى طريق غير طريقه ، فكل من صار تلميذاً للحق صار أستاذاً ، أما الذى يسير فى طريق آخر فينجمد بل يسير القهقرى ﴿ لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ﴾ وهناك من أضله الله على علم فمثله "كالكلب" ولا يصل حتى إلى مستوى البشر ، فلا أنت اتعظت بمهلك والديك ، ولا أنت اعتبرت بما جرى لك من أحداث فى حياتك .

(١٧٨٧ - ١٧٩٠) : اللطيفة الموجودة في هذه الأبيات مما رواه الأفلكي عن مولانا أنه لقي راهباً في الطريق فسأله : هل أنت أسن أو لحيتك قال الراهب : أنا أسن من لحيتي بعشرين عاماً ، فقال مولانا : أيها المسكين ما ظهر بعدك نضج وشد وأنت على ما أنت عليه تحضره السواد والفساد والسذاجة ، ويحك !! (فروزانفر ٢٠٨٠ مناقب العارفين للأفلاكي ، ج ١ ، ص ١٣٩) وشهوة الثريد كناية عن شهوات الدنيا وتربية الجسد .

(١٧٩١ - ١٨٠٠) : الخطاب بالطبع ليس للراهب بل لكل من أضلّتهم شهوة الحياة الدنيا من الغافلين العاكفين عليها : إنهم كلبن المخيض الحامض لم يقوموا باستخلاص التجليات الروحانية (الزيت) منه فيبقى على حالته ، وهم أيضاً كالعجين لم تتضجهم نار السلوك ، بالرغم من طينتك أنت قد خمرها الحكيم العليم (انظر البيت ١٢٢٢ من الكتاب الذي بين أيدينا) ، وأنت كعشبة في طين على رأس تل ، ليست ثابتة أو ممتدة الجذور ، تهتز وتميل مع كل ريح (هوس) ، ولذلك فأنت مثل قوم موسى في التيه ، لا وجه ولا طريق ولا هدف ولا أمل في الوصول ، وما ذلك إلا لاتخاذهم العجل . قال تعالى ﴿ فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الكافرين ﴾ (المائدة ٢٦) وما ذلك إلا لتمسكهم بالدنيا وقعودهم عن القتال مع موسى عليه السلام وقولهم له ﴿ إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ﴾ ، فها أنت مثلهم تهرول ، لكنك لا تصل إلى شيء ، ولن تصل إلى شيء ، ما دمت مثل قوم موسى الذين ﴿ أشربوا في قلوبهم العجل ﴾ حتى ولو بقيت ثلاثمائة سنة ، وثلاثمائة سنة بصحبة أهل الكهف كانت كفيلاً بتحويل كلب إلى مذكور مع الأولياء في آية واحدة في القرآن الكريم (عن العجل وقوم موسى انظر سورة طه آية ٨٨ وانظر البيت ٣٣٢٢ من الترجمة العربية للكتاب الرابع) وسوف تظل مثل قوم موسى إلا أن تطرد هيامك بالعجل من قلبك ، وتتوب إلى بارئك ، وتقوم بقتل نفسك التي بين جنبيك ، حينئذ يتحول غضبه جل شأنه إلى لطف ونعمة ، لكن هذا لن يحدث ما دام الطبع

الحيوانى مسيطرا عليك جاعلاً الدنيا منتهى أملك ومبلغ علمك .

(١٨٠٩ - ١٨٠١) : إذا كنت تريد دليلاً على نعم الله عليك فاسأل أعضائك هذه التى تظن أنها خرساء وهى فى الحقيقة مفصحة عن آلاته جل شأنه متحدثة بألف لسان ، اسألها تحدثك عن حياتها ، وتفصح لك عن نعم الله الذى رباها وأنشأها من العدم وابتلاها بالخير والشر فتنه ، ونمو الأعضاء وامتلاؤها ونضرتها إنما يدل على حال سرور ولذة حين خلقها وحين نموها ، ومن ثم فإنها تضرر وتزداد نحولاً عند الشدة والحزن ، وما هى أعضاؤك مائلة أمامك ، لكن ذلك الإحساس باللذة والمتعة من هذا الخلق العظيم والذى يستوجب شكر النعمة انتفى عن حواسك الخمسة وعن عالمك المحسوس فبقيت غافلاً عنه ، وكل ما حولك فى الكون دليل على ذلك ، والطبيعة تعلمك فأية نعمة زالت بزوال أسبابها الظاهرة ؟ ألا ينضج الصيف محصول القطن ويذهب الصيف ويبقى لك محصول القطن ؟! وألا يأتى الشتاء بالثلج ويمضى الشتاء ويبقى الثلج " الذى تحتفظ به " ؟ فهل القطن نعمة الصيف وهل الثلج من عطاء الشتاء . ؟

(١٨١٠ - ١٨١٦) : وهكذا أعضاؤك : كل عضو من هذه الأعضاء ينبئ عن نعمة كامنة فيه وهبها لك أحسن الخالقين ، والمرأة التى تلد الأبناء إنما نذكرها كل منهم بحالة خاصة من أحوال اللذة ، وتمضى اللذة وتظل آثارها ، ولماذا المرأة بالذات ؟ إن كل شجرة تلد الثمار إنما تلدها بقدرة الواهب اللطيف وبأنعامه الإلهية الخافية ، فليس كل حمل برجل وامرأة ، ولديك حمل مريم البتول عليها السلام (انظر الآيات ١٦-١٨ من سورة مريم والأبيات ٣٧٠٢-٣٧٠٧ من الترجمة العربية للكتاب الثالث) والنار ألا توضع تحت الماء ومع ذلك يكون من آثارها ذلك الزبد الذى يغلى ؟ .

(١٨١٧ - ١٨٢٩) : هذه الأعضاء التى تحسبها جماداً تكون من قبيل آخر عند أولئك السكارى بالوصال الإلهى ، إذ أنها تحمل صور الأحوال التى تمر بها حالاً بعد حال ،

والخطاب الإلهي المليء باللفظ يناديهما أولاً بأول ويكشف لها الأحوال ، لكنها لا تستطيع أن تعبر عما تدركه الأبصار أو تسمعه الآذان ، فهي "مواليد" لكنها ليست من أركان الدنيا الأربعة ، ويعود مولانا فيقول : أية مواليد ، إن مواليد هنا لفظ تقريبي فحسب من أجل الإرشاد والتعليم ، لكنها في الحقيقة تجليات ، ومن الأوفق هنا الصمت فأفة الحال المقال ، ودع سلطان المقال ومليكه (الحق) ليتحدث ، ولا تتفصح فإن هذا الصنف من الناس لن يدرك شيئاً مما تقول ، إنه ممتلئ جداً وهياماً يسمع حديثاً من غير قبيل حديثك ، فانضم أنت أيضاً إلى السامعين ، وهذان الصنفان : الجسماني والروحاني من آثار الوصال كلاهما له جماله الخاص به ، وانظر إلى مظاهر الطبيعة من حولك موت وحشر ونشر ثم موت وحشر ونشر ، تتوالى الفصول ، فهذا الصيف المتجدد يذكرك بالشتاء ورياحه الباردة وزمهريره القارس ، وهذه الفاكهة الموجودة في الشتاء تذكرك باللفظ الإلهي الذي أنضجها في الصيف ، وتذكرك بالشمس عندما تبسمت وأخصبت عرائس الرياض ، فأولدتها وردا وريحانا وفاكة وأبا .

(١٨٣١ - ١٨٤٠) : إنك لو كنت ماهراً نكياً عميق الفكر ، إذا اجتاحتك الحزن من هذا التمزق الذي تعايشه بين الأرضي والسموي ، فإنك تستطيع أن تخاطب هذا الحزن قائلاً : أيها الحزن المنكر للعطايا الإلهية ، إن لم تكن هذه الألطاف الإلهية منصبة عليك ، فلماذا في كل لحظة ينتضر وجودك ويتجدد دمك ، وتتهمر عليك الأفكار ، وما هذه الأفكار منك إلا عصارة هذه اللطافات ، وهي من زهر وجودك المتجدد كماء الورد من الورد ، فهل ينكر ماء الورد (الفكر) الألطاف الإلهية (الورد) ؟ إن الكافر المتخلق بأخلاق القردة تكون أقل نعمة من هذه النعم الروحانية حراماً عليه ، لكن أولئك الذين يتخلقون بأخلاق الأنبياء فلهم النور ولهم الغيث ، والشكر مهما كان البلاء من أخلاق الأنبياء ، أما القردة والخنازير وعبد الطاغوت فدينهم الجدل مع الخالق والعاطي ، وانظر إلى عاقبة هؤلاء وعاقبة أولئك ، ولا تغرنك المظاهر ، فالعمران ملئ بالكلاب المسعورة والخراب ملئ بالكنوز المدفونة ، وهذه المظاهر

هى التى تضلل عبدة الظاهر من الفلاسفة الذين لا يجاوزون حواسهم، فلا تتذاكى ، فإن أولئك الذين يظنون أنهم يشقون الشعرة من تكائهم ومهارتهم ، هم أولئك المدموغون بالله (سنسمه على الخرطوم- انظر البيت ١٤٣٤ من الكتاب الذى بين أيدينا) .

(١٨٤١) : كلمة بقية المذكورة فى العنوان لا محل لها إذ لا توجد أجزاء من القصة فى الكتاب الذى بين أيدينا أو فى كتاب آخر من كتب المثنوى . ولعله يشير إلى أن حكاية أخرى فى هذا المجال قد سبقت فى الكتاب الثالث وسوف يشير إلى هذا الأمر فى البيتين ١٨٤٨ ، ١٨٤٩ . ومجال القصة هنا التذاكى والشطط حيث انتقل من الحديث عن الفلاسفة إلى الحكاية ، فهم من تذاكيهم وشططهم يقعون بعيداً عن الحقيقة مثل رامى السهم الذى كلما شد القوس أكثر ليلقى السهم بعيداً ابتعد عن الكنز الذى يقع تحت موطن قدمه ، والقصة ذات أصل فى مقالات شمس الدين التبريزى (كل من هو أكثر فضلاً أبعد عن المقصود ، كل من هو أكثر غموضاً فى فكره أكثر بعداً ، هذا عمل القلب ليس عمل المخ) (مقالات شمس تبريزى بتصحيح محمد على موحد ٧٥/١) كما يعلق مولانا شمس على الحكاية تعليقاً آخر "كل من ألقى السهم أبعد كان أكثر حرماناً إذ تبقى خطوة واحدة حتى يصل إلى الكنز ، فأية خطوة فى حد ذاتها ، وأية خطوة هذه) (مقالات شمس تبريزى ٧٦/١) وهذا ما عبر عنه أبو اليزيد البسطامى بتعبير آخر "خطوة من جهدنا وخطوة أخرى بأمر الحق" وقد أشار مولانا إلى نفس هذا التعبير فى المثنوى (البيت ١٥٥٠ من الكتاب الرابع) (انظر استعلامى ٣١١/٦) .

(١٨٤٨ - ١٨٤٩) : إشارة إلى حكاية الذى كان يطلب رزقاً حلالاً بلا كسب فى عهد داود النبى الواردة فى الكتاب الثالث من المثنوى الأبيات ٢٣٠٨-٢٥٠٥).

(١٨٥٤ - ١٨٥٩) : الخفض والرفع هنا كناية عن ظهور مظاهر القدرة الإلهية على الخلق بأشكال متفاوتة وكلها خير وبقدر الحاجة ، والمزاج الممتزج هو جريان الحياة الجسدية المبنية على أربعة من الأمزجة قائمة على العناصر الأربعة للوجود فى معتقد القدماء ، القدرة الإلهية

إذن هي التي تحكمها تقيم الوجود على هذه الأضداد ولا حافظ لها إلا اللطف الإلهي ، وكل هذا التضاد فتنة ﴿ يبلوكم بالخير والشر فتنة ﴾ ويرى بعض المفسرين أن الأبيات تعبر عن الحديث النبوي : ﴿ إن الله لا ينام ولا ينبغي أن ينام يخفض القسط ويرفعه ﴾ (استعلامي ٣١٢/٦) .

(١٨٦٠ - ١٨٧١) : أن الدنيا قائمة على جناحي الخير والشر ، ويؤمن مولانا جلال الدين على خلاف اعتقاد القدماء أن الأرض كرة معلقة في الفضاء أو الأثير وفي البيت ٤٧٦٧ من الكتاب الذي بين أيدينا يخاطب الأرض مرة أخرى قائلاً "انهضى من بين الفلك أيتها الأرض" ولا يمكن أن يكون هذا التعبير إلا إذا اعتبر الأرض كرة معلقة في الفضاء وفي موضوع آخر يردد مولانا هذا التعبير على لسان حكماء المدرسة دون أن يبدى اعتراضه أو تأييده (انظر الأبيات ٢٤٩٤-٢٥٠٠ من الكتاب الأول) ، إن من هذا الاختلاف في أحوال الكون تكون الأرواح في خوف أو في رجاء ، ويكون أهل هذه الدنيا بين رياح الشمال ورياح السموم مرتعدين كأوراق الأشجار - ومن هذا الخوف تتولد الاختراعات ومشروعات العمران والتغلب على الطبيعة ، لكن الإنسان المعتمد على ذلك العالم الآخر لا خوف لديه ولا رجاء ولا رعدة ولا هزة لأنه يتحد بالوجود المطلق ولا لون هناك للوجود المطلق ، والوجود المطلق كأنه عالم من الملح يظهر ويمحو كل الألوان ، ومن هذا التعبير الإنجيلي تتداعى المعاني والصور ، فالدن ذو اللون الواحد هو دن عيسى عليه السلام الذي وضع فيه الثياب عندما عمل عند صباغ ومن هذا الدن ذي اللون الواحد كان يخرج كل ثوب مصبوغاً باللون الذي يطلبه صاحبه، وإذا كان الملح الحقيقي يقوم بمحو كل الألوان فما بالك بملح المعاني؟ إنها في تجدد دائم ، ليس ذلك التجدد الذي هو ضد القديم ولكن ذلك التجدد الذي هو بلا نظير ولا ضد ولا ند ، فكلها مفاهيم مادية وليس هناك في ذلك العالم موضع للمفاهيم المادية ، ولأضرب لك مثلاً بهذا التجدد ، وهذا اللون الواحد ، ألم يكن المصطفى ﷺ بنوره الإلهي دنا

ذا لون واحد اصطبغ به المجوسى والمسيحى واليهودى الذى أدخل فى دينه ، انه شمس السر ، والعالم ظلال وقد طوت هذه الشمس كل هذه الظلال .

(١٨٧٢ - ١٨٨٨) : لكن هناك اتحاداً فى اللون على نسق آخر ، إنه يحدث فى يوم الحشر ، حيث تبدو على ظاهر كل إنسان أفعاله وأقواله ، فالناس كما يعيشون يموتون ، وكما يموتون يحشرون ، والناس يبعثون على نياتهم (انظر ص ٣٦٦٤ من الكتاب الرابع و ٢٥٩٣ - ٢٦٠١ من الكتاب الخامس) ويشبه هذا أن تحول أفكارك إلى سطور مكتوبة على كتاب، أو أن تقلب الثوب فتصير بطانته هى وجهه ، تظهر البواطن آنذاك ملونة كأنها الثور الأرقط ، وتبدو الأمم بمئات المذاهب، لكنها تهدف جميعها إلى رؤية الحق، لكن لما كانت بواطنها على مئات الألوان فإن الخيط الذى يغزله ذلك المغزل يخرج على مائة لون ، لكن هذا الدور (وهو الفترة من الزمان التى يتميز بسمات معينة من الممكن أن تفصله عن دور آخر) هو دور تعدد القلوب وتعدد الألوان، هو دور غياب الإيمان: يوسف فى الجب والذئب فى القطيع ، وفرعون على دست الحكم ، وذلك من أجل أن تتمتع هذه الفئة بالرزق فترة من الزمن، ويلهيها الأمل الذى يهزأ منها ، هذا فى حين أن عظماء الرجال من الأولياء والمرشدين تظل داخل غابة الدنيا تنتظر النداء من الحق ، فتخرج من مكانها ، ويبدى الله سبحانه وتعالى الحق واضحاً وصريحاً وجلياً لا لبس فيه ، حينذاك يكون المحك والقيصل والمعيار هو جوهر روحه ، أما أولئك الكفار الذين يشبهون الثيران البلقاء لتلونهم وتلون بواطنهم ، فهم حصب جهنم ، وأهل الله يطفون فوق موج هذا الطوفان وكأنهم الطيور المائية ، وتذهب صقور الطريق إلى ساعد السلطان (الصورة وردت أيضاً فى ديوان شمس) أما الديدان فتذهب إلى البعر وإلى القاذورات ، فليس سكر الحكمة جديراً بالغراب وذلك كله مصداقاً للآية الكريمة ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ (الأنفال ٤٢) أى أن الله تعالى يبدى لهم حقيقتهم على ظواهرهم ثم يأخذهم بها أخذ عزيز مقتدر .

(١٨٨٩ - ١٨٩٦) : لا يليق كل شئ بكل إنسان ، وكل ميسر لما خلق له ، والمرء بقدر همته وسعيه وإرادته ، فالغريز لا يناسب قهر النفس ، والجهد ليس من عمل المرأة (لها ليس مقرر عليها شرعاً) ، وقليل ما هن من بطلات الطريق مثل مريم عليها السلام ، وفي الحديث: الكمل من الرجال كثير ، ولم يكتمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران (أحاديث مثوى / ٢٠٢) ومن هنا فأولئك الرجال ضعاف الإرادة سوف يبعثون يوم القيامة نساءً ، تلك أن اليوم هو يوم العدل والجزاء ، حيث ينال كل إنسان ما طلبه ، ويؤوب كل امرئ إلى محل أوبته ، وكل شئ يجري بشكل طبيعي جريان سنة الله في خلقه مثلما تبث الشمس حرارتها ، وينزل المطر من السحاب .

(١٩٩٧ - ١٩٠٠) : وعالم الدنيا مختلف عن عالم الآخرة تماماً ، فإذا كان عالم الآخرة هو اللطف ، فإن عالم الدنيا هو عالم القهر وإذا اخترتها فقد اخترت القهر ، وانظر إلى الدنيا ، لمن دامت ؟! ولمن استمر نعيمها؟! وخفف الوطء فما أظن أديم الأرض إلا من هذه الأجساد، وانظر إلى فخاخها تأخذ بالطائر المحلق في الأعلى ، وما الذي تبقى من أهل الدنيا ؟! فبر محذوب الظهر لا تلبث أن تذروه الرياح .

(١٩٠١ - ١٩١٤) : مثلما يسر الله لكل إنسان ما خلق له ، يسر له أيضاً قرينه ، وكل من هو من جنسه (من شعر سعدى : كل طائر يطير في سرب من جنسه) وهكذا فالمرء على دين خليله فلينظر أيكم من يخال ، ومن هنا ، كان جلوس الرسول ﷺ وأنسه مع الخلفاء الأربعة رضى الله عنهم ، بينما كان أبو جهل جليسا لعتبة وذى الخمار (الأسود العنسى) الذي أعى النبوة في اليمن في أواخر عهد الرسول ﷺ ، وكل مخلوق وهمته ، فجبريل والملائكة ميالون تواقون إلى شجرة المنتهى ، وعبد بطنه تواق إلى المائدة ، أما العارف فيهدف إلى نور الوصال والمتفلسف يجرى وراء الخيالات التي يسوقها ، (انظر البيت ١١٢٨ من الكتاب الذي بين أيدينا) ، وهلم جرا ... فالله تعالى يرزق الإنسان الرزق بما جبل عليه طبعه ، يزرق العارف أنوارا من باطنه ، ويرزق كلاب الدنيا وعبادها برزق قيمته كماء النخالة الذي يوضع أمام

الكلاب ، وإذا كنت مقيماً على طبعك راضياً به لا تبغى الانصراف عنه ، فلماذا إذن تنفر من هذا الرزق ؟! ولماذا لا تتصرف عنه إذن ؟! وإذا لم يكن فيك طبع الرجولة ، فعليك بثياب النساء ، وما أقرب إلى هذا إلى قول سنائي الغزنوي :

إنك لا تملك القدرة على الاستغناء فلا تهزل بأحاديث الدراويش

وإذا لم تكن لك وجوه العيارين فلا تقلع روحك كالأخساء حبثاً

فاذهب كالنساء وتعامل مع العطور والأصبغ

أو تعال كالرجـال وألق بالكـرة في الميـدان

(ديوان سنائي ، ص ٤٨٤)

(١٩١٥ - ١٩٢٨) : الحديث عن الكنوز المخبوءة كثير في أعمال الصوفية ، ولعل النظر هنا إلى الحديث القدسي " كنت كنزاً مخفياً ، فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبى عرفونى " ، (انظر البيت ٢٥٤١ وما بعده من الترجمة العربية للكتاب الرابع) (استعلامى ٣١٦/٦) إن ما رآه الفقير المتوسل لم يره في النوم ، فأين منه النوم وهذه الأحوال تتوالى عليه والواقعة هي التحول الباطنى الذي تنتج عن الأحوال ، وهذا الكنز مقسوم لذلك الذي داوم على الطاعة والضراعة ، ولو فشا أمره فلن ينال أحد منه مقدار حبة ، لكن الأمر قد يطول ، فلا تيأس ، واجعل وردك الدائم ﴿ لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ (الزمر / ٥٣) . قال المولوى " فأراد بالكنز وبكتاب الكنز مرتبة الوحدة وخزينة الحقيقة ، وأراد بالرقعة الكتاب الذي كتبت فيه المعانى المتعلقة بالحقيقة وأسرارها التى هي كنز الحقيقة، وأراد بالدرويش الذي هو طالب الأرزاق المعنوية بلا تعب وهو إما أن يلقى مرشداً يرشده وهذا لا يحتاج إلى كتاب كنز الحقيقة فإن المرشد له كتاب كنز الحقيقة، وإما يحتاج إلى كتاب كنز الحقيقة ولا يجد من يرشده إليه فهذا يتوجه إلى قاضى الحاجات ليسر له الأرزاق المعنوية " (مولوى ٢٧٤/٦) . لكن البشير لم يمض عن الدرويش إلا بعد أن أوصاه بأن يجاهد وألا يعتمد كل الاعتماد على هذه البشارات بل عليه أن يمضى ويجاهد .

(١٩٢٤ - ١٩٢٩) : بالرغم من أن الشباب لم يكن نائما ، إلا أن هذه الوقائع لا تظهر إلا في حالة النجاة ، لم يسعه جلده من الفرح ، لا لأنه وجد خريطة كنز بل لأن الله تعالى استجاب لدعائه من وراء الحجب (عن الدعاء والاستجابة وفرح العبد بالاستجابة لا بالعطاء ، انظر الترجمة العربية للكتاب الثالث ، الأبيات ٢٣٣٣ - ٢٣٣٥ والبيت ٢٣٨٩ وشروحها) بهذا الدليل أن الله سمع الدعاء يرتفع العبد من حضيض التراب إلى أوج الأفلاك ، لقد وجد الدليل على أن أذن الباطن وعين الباطن صارتا نافذتين من وراء الحجب وأن هذا الخطاب وهذه العلاقة سوف تستمر ولن تقتصر على هذه المرة الوحيدة .

(١٩٣٥ - ١٩٤٥) : لا يزال الفقير في حالة تردد : كيف يحفظ الله تعالى مثل هذه الخريطة في مسودات الوراق؟! " كيف يحفظ الأرواح العظيمة أرواح الأولياء والمرشدين في الخلق والخرق؟! كيف يحفظ الكنوز في الخرابات؟! وكيف حصل عليها اعتباطاً ، مهما جاهد العبد فإنه لابد وألا يدرك في نفسه أهليته لعطايا الله الممتدة المتواترة التي لا تعد ولا تحصى!!؟ إنها إرادة الخالق الذي يغمر بنور المعرفة قلب المؤمن دون أن يقرأ كتاباً من الكتب ، وانظر إلى موسى عليه السلام ، ألم يكن يبحث عن الدليل والبرهان من الله لكي يصدق فرعون والدليل في جيبه ، الدليل اليد البيضاء ، (انظر آية ٣٢ سورة القصص ، والعبارة ٦ من السفر الرابع ، سفر الخروج من التوراة) ، لكن : لا شئ يستبعد عن الإنسان، بل إن هذه السموات السامية ما هي إلا مجرد انعكاس لمدرجات الإنسان (كل ما هو معروف عنها إنما هو من تصور الإنسان لها) . يقول السبزواري (شرح مثوى ، ص ٤٥٠) :

" أي أن حقيقة الأمر بخلاف ما يقوله بعض أهل العلم الذين يعتبرون مدرجات الإنسان موجوداً ظلياً للأجسام ويعتبرونها انعكاساً لها وأمر الانعكاس على عكس هذا تماماً لأن الإدراك والتعقل لا يكونان بأن تترقى صورهما وتحذف بالنفس الناطقة كما يقول بعضهم ، ولا هي تنأى للعقل بالمشاركة أو عن

طريق نزول النفس على الشكل الباقي والصوري من العقل
الفعال أو عالم الذكر الحكيم في الباطن بل إن النفس الناطقة
تصعد وتتصل بل وتتحد وتنفى في الأرواح المرجدة وتصير
عالمة بعلمها وتلك العلوم قبل الكون ومنشأ الكون وخصوصاً
عند أهل الإشراق القديم والمتألهة والإشراقين الإسلاميين مثل
صدر المتألهين الشيرازي صاحب الأسفار إن إدراك الكليات
العقلية بمشاهدة العقل ذوات نورية وبالنسبة لعقول الطبقة
المكافئة وجود محيط بكل كلى عقلية وذات نورانية ومجردة
أزلية وأبدية وباقية ببقاء الحق تعالى "

وبعبارة أخرى : أليست من مدركات عقل الإنسان الذي فاض عن العقل الكلى الذي هو أول
خلق الله (أول ما خلق الله العقل) إياك أن تظن أن هذا الكلام واضح ، وإلا فكيف أفشى
أسرار العنقاء أمام الذباب ؟! (في شعر حافظ : ليست العنقاء صيدا لأحد فلملم شبكتك) (عن
استعلامي ٣١٧/٦) .

(١٩٧٣ - ١٩٨١) : إن العقل هو الذي ييأس ويحبط ويمضى عن طريق لا فائدة ميسرة منه
، أما العشق ، فهو لا يبالى وصل أو فصل ، فاللذة في الطريق وليست في الوصول ، في
مجرد الطلب والرجاء ، في الصبر والمشقة ، فالعقل باحث عن النفع والعشق باحث عن
البلاء ، روى عن العطار : " أن رجلين أحدهما عاقل والثاني عاشق قرآ كتاباً بأن في المحل
الفلائي خزينة لا تنفى ، وعندها محبوب أوصافه لا تشرح وإن لم يوجد هناك ، اذهب يا هذا
من هذا المقام تجد : الطريق على ثلاثة أحجار ، مكتوب على الأول : يا ذاهب الطريق إن
ذهبت على هذا الطريق لا تجد خزينة ولا محبوباً لكن قدامك بلدة إن ذهبت إليها تجد كاراً
(أى عملاً) ، وعلى الثاني إما لا تجد محبوبك أو لا تجده ، وعلى الثالث : إن ذهبت على هذا
الطريق تمحى ، فتشاورا ، فقال العاقل لا أذهب إلى طريق الفناء ، لأن نتيجته غير معلومة ،

فأنا أذهب جانب ذاك الطريق الذي نتيجته بلدة عظيمة ، وقال العاشق : أنا متضجر من نفسي بعلّة العشق لأني لم أجد محبوبى ، فأذهب جانب الفناء والمحور فذهب ووجد محبوبه والكنز " (مولوى ٦/٣٨١) ولأن العاشق هكذا فإن الحق يعطيه بلا سبب ظاهر ولا دليل ولا وسيلة أي خرقا للأسباب والعلل ، ولذلك فالعاشق يقامر بكل وجوده بطهر (لا ينبغي عوضا ولا منفعة) وربما يكون المعنى مشتقا من الحديث القدسي : الفتوة أن ترد نفسك إلى طاهرة كما قبلتها منى طاهرة " . وهذه المقامرة بطهر ينبغي أن تكون خارجة عن أى مذهب (التعصب للمذهب عقبة في الطريق) ، إنه بحث عن الخلاص لا عن المخلص ، كما أن العشاق لا يمتحنون ربهم ، (عن امتحان العبد لله انظر الترجمة العربية للكتاب الرابع ، الأبيات ٣٥٣ - ٣٨٦ وشروحها) إنهم يضحون فحسب لأنهم يعلمون أن في فئاتهم بقاء بالحق (انظر البقاء في الفناء مقدمة الترجمة العربية للكتاب الثالث) .

(١٩٨٤ - ١٩٩٠) : فرق إذن بين الملك (العاقل) والفقير (العاشق) ، فإن الملك سرعان ما مل برغم انه لم يكن يعمل بنفسه ، الفقير لم يمل ، كان يستعذب الألم ، مثلما يلحق كلب جراحه بلسانه ليقوم بتسكينها ، والعاشق يعكف على آلامه لا يستطيع حتى أن يبوح بها : فمن يا ترى يمكن أن يكون مقدرا لآلام العاشق والوجد لا يدركه إلا من يكابده؟! وأي دواء يمكن أن يقدمه طبيب لجنون العشق ، والطبيب نفسه إن أصيب بهذا المرض لكفر بكل كتب الطب ولمحaha بدمه؟! وكيف والطب ناتج عن العقل والعقول كلها من تصوير هذا المعشوق؟! والحسان كلهم مجرد قناع حسن أمام حسنه (الجرعة الحسن التي تمثل بها البشر وتشر بها كل الحسان ، انظر الكتاب الخامس ، الترجمة العربية ، الأبيات ٣٧٢-٣٧٩ وشروحها) فليس أمامك إذن أيها العاشق إلا أن تشكو حزنك وهمك لنفسك .

(١٩٩١ - ١٩٩٦) : ومن هنا فإن ذلك الفقير قد أخذ في الدعاء ، والدعاء سعى (انظر الكتاب الثالث الترجمة العربية ، الأبيات ٢٣٢٠ - ٢٣٤٠ وشروحها) وكان

يسمع الاستجابة في قلبه (انظر بيان أن قول المتضرع يا الله هو عين قول الحق لبيك ،
الترجمة العربية للكتاب الثالث ، الأبيات ١٨٩ - ١٩٩ وشروحها) ، إن الداعي للحق
يظل على دعائه مهما لم يستجب له ، إنه تماماً مثل الحمامة التي ألقت سطح منزل مهما
تجرها تعود إليه .

(١٩٩٧ - ٢٠٠٤) : الخطاب من مولانا جلال الدين لمريديه وملهمه وخليفته على
الطريقة حسن حسام الدين : يا حسام الدين ازر ذلك المريد الذي ألف صحبتك كما تألف
الحمامة سطح منزل من المنازل (يفسر استعلامي ٣٢١/٦ بأن جلال الدين يقصد بالحمامة
هنا نفسه ، وهذا ليس معقولا إلا من قبيل التعبير المعكوس الذي يلجأ إليه مولانا أحيانا)
ثم يخاطب المستمع عموماً : إن طائر الروح لا يزال يحوم حولك مهما زجرته ما دمت
من أهل الروح . إنها لا تستطيع إلا تعكف عليه وإلا كانت مستحقة للعقاب في قانون
العشق حتى تعود من عشق التراب (الجسد) إلى عشق القمر ، إلى ملك العشق .

(٢٠٠٥ - ٢١٠٣) : يقول مولانا مخاطباً حسن حسام الدين : أنت منتهى سيري مثلما
كانت السدرة في ليلة المعراج منتهى سير جبريل عليه السلام ، فقال للرسول ﷺ : تقدم فلو
تقدمت أنا قيد أنملة لاحتترقت ، وأنت عيسى الطريق وأنا سقيم وهو هنا يعبر عن
حسن حسام الدين الواسطة والوسيلة إلى عالم اللاهوت تجدد فيه الحياة وتحيا موات قلبه ،
(مثلما كان عيسى عليه السلام يحيى الموتى) ، وأنت يا حسن تستطيع بجذبك أن تجعل بحر
المعاني يجيش ويغلي في داخلي ويتحول إلى أشعار ، إنني في بحران ، وعندما
تكون أنت لى فإن بحر المعاني يكون لى ، إن هذا الأئين يظهر بعض المعاني ، لكن
الغياث يا الله من معان لا يستطيع البيان أن يعبر عنها ، عن أبى هريرة رضي الله عنه : حفظت
من رسول الله ﷺ وعامين من العلوم فبثت أحدهما ولم أثبت الآخر ، فلو بثته لقطع هذا
البلعوم منى " (مولوى ٣٨٦/٦) . ولا تستطيع الألفاظ أن تستوعبها ، ونحن كالنأى ، له

طرفان ، طرف في الفم (افتتاحية المثنوى : بشنو ازنى : استمع إلى الناي) وطرف آخر هو ما تسمع منه هذه الأنغام ، لكن حذار : إننى أقصد بالناحيين الناحية التى تكون في فم نافخ الناي ، وناحية أخرى في الطرف الآخر ، فكل ما يبتث الناي قادم من الطرف الآخر ، هو من أنفاسه ، وإن لم يكن لهذا الناي حديث معه لما فاض منه هذه الشهد الزلال.

(٢٠١٤ - ٢٠٣١) : يقطع مولانا استرساله كالعادة خشية الانزلاق إلى التعبير عما لا ينبغي التعبير عنه ، ما الباعث يا ترى إلى أن ينفجر هذا البحر من المعانى منك ؟!

تراك بت بالأمس عند ربك يطعمك ويسقيك مصداقا للحديث النبوى الشريف { أنا لست كأحدكم فأنى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقىنى " (انظر البيت ١٦٤٢ من الكتاب الرابع) وكان من نتيجة ذلك أن سقت بحر عالم الغيب ، بحر النار في بحر المعانى ، فانقلبت كنار إبراهيم عليه السلام بردا وسلاما ؟! إن أحدا لا يستطيع أن ينكر يا حسام الدين فمثله كمثله من يخفى الشمس بقبضة من الطين ، وهل يستطيع البشر العاديون العاكفون على الطين إخفاء الشمس ؟! ومن شمسك يتحول الحجر في الجبل إلى ياقوت ، وإن أبطالا من أمثال رستم هم الذين يستطيعون تقدير بطولتك حق قدرها ، وكيف أتحدث بأسرارك إلى الناس ، وما أحوجنى إن أردت أن افصح عن أسرارك أن ألجأ إلى فعل على عليه السلام عندما أراد أن يثبت سرا فطأ رأسه في بئر وأخفى بالسر ، (يقول استعلامى أن الرواية سقطت إلى مولانا جلال الدين من العطار في منطق الطير وانظر البيت ٢٢٣٣ من الكتاب الرابع وشروحه وأضيف هنا أن هناك إشارة أخرى لسنائى على الحادثة وردت في الحديقة في البيت ٣٣٠٢) أما أنا وقلبى ينوء بهذه الأسرار إلا أننى أضرب بها بين الغوغاء وما أحوجنى إلى أن أبثها في الخلاء ، فاعطنى شراب العشق ثم انظر إلى حالى ، ولا تخرجنى من هذا السياق طالبا منى أن أكمل لك حكاية الفقير والكنز ، فنحن الآن غارقون في الشراب الإلهى ، ويا أيها الفقير الذى تود أن تصل عن

طريق إكمالي الحكاية إلى كنزك ، لتعلم أنى لا أحس بذاتى ، فهذا الشراب الذي أحسنيه لا يستوعب شعرة من حطام الدنيا إلى جواره ، فقدمه أيها الساقى يا حسام الدين ، وأهزأ بأولئك الذين يتفنجون عليك ، إنه يقاوم ما لا سبيل إلى مقاومته ويقفلح لحيته عبثاً ، فليخسأ عاذلك ، إن حيله واضحة وترويره ظاهر للعيان .

(٢٠٣٢ - ٢٠٥٠) : إن ما يتأتى من عالم الغيب بعد مائة عام يراه الشيخ بحذاقيـره (إشارة إلى قصة تنبؤ أبى يزيد البسطامى بمولد أبى الحسن الخرقانى وصفاته وأماراته وشكله قبل مولده بأكثر من مائة عام ، أنظر الترجمة العربية للكتاب الرابع ، الأبيات ١٨٠٢ - ١٨٥٠ و ١٩٢٥ - ١٩٣٤ وشروحها) ومن هنا يكرر مولانا جلال الدين أن ما يراه العامى في المرأة يراه الشيخ في قطعة من الطوب اللبن ، والأجرد كناية عن المتجرد عن الدنيا والملتحى المنصرف عنها والبيت مثل سائر (انظر البيت ٣٥٦٦ من الكتاب الثالث) فدعك من كل هذا وامض إلى بحر المعانى ، ألسـت ابنا لآدم فما بالك تتحدث عن اللـهى كثيرا وكأنك قذى اشتبك بشعرها؟! ولست قذى ، فأنت جوهرة عظيمة بل إنك ترى بالجواهر العظيمة (القيمة الإنسان انظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الرابع) ، إننى أقصد بالبحر بحر الوجدانية ، (افتتاحية المثنوى : ملّ هذا الماء من ليس بحوته ، البيت ١٧) وبما أن بحر الوجدانية لا يقبل الشرك فإن أسماكه ودرره سواء (ما للأنبياء للأولياء) والذي يرى تميزا بين فئة وأخرى هو الأحوال ، لكننا مع ذلك نذكرهم كائنين لفظا لأننا نخاطب مصابين بالأحوال لا يعرفون لغتنا، والأحدية تبدو لك عندما تنجـه إلى منطقة الأحدية ، فإما أن تحدث مرة حديث العامة ، واصمت مرة ، فليس الخواص في حاجة إلى حديث ، أو تحدث حديث الخواص عندما تراهم ، واصمت أمام الجهال ، وكن كالـدن المختوم الفوهة ، وإلا حطمتك حجارة جهلهم ، وتعامل مع هؤلاء الجهال بالمداراة ، واستخدم عقلك الموهوب من الله ، واصبر على ما يحيق بك من أذى الجهال

، فالصبر يصفى منك القلب ، ولتعتبر بنوح ~~عليه السلام~~ الذي كلما كان يمر على قومه سخروا منه ، فكان هذا الصبر جلاءً لمرآة قلبه وتجلي فيها النصر الإلهي .

(٢٠٥١) : الحكاية التي تبدأ بهذا البيت قال فروزانفر ونيكلسون (مأخذ / ٢٠٩) أن مصدرها كتاب تذكرة الأولياء لفريد الدين العطار ويرى استعلامي أن ما ورد بعد الحلاج في تذكرة الأولياء يعد من إضافات النساخ ولا يمكن أن يحتوى على سيرة لأبي الحسن الخرقاني المتوفى سنة ٤٢٥ (٣٢٢/٦-٣٢٣) وهذا غريب ، فما العجب في أن يضمن العطار (المتوفى سنة ٦١٨) سيرة الخرقاني المتوفى سنة ٤٢٥ ؟ وفي رواية العطار يذكر أن الزائر كان أبا علي بن سينا ، ولعل من المناسب أن يجعل مولانا الزائر مجرد درويش ، والحكاية تذكر هنا بنماذج عديدة في الأدب العالمي وفي تراث الإنسانية عن عظماء كانت آثارهم تملأ الآفاق وقعيدة المنزل لا ترى فيهم ما يراه الآخرون (زوجة سقراط مثلاً- ولأندريه جيد رواية عما كتبه زوجته لأكيب عظيم في سيرته بعد وفاته) ويضرب القرآن الكريم مثلاً بالمرأة التي لا تدرك عظمة زوجها بامرأة نوح وامرأة لوط ﴿ ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل أدخلا النار مع الداخلين ﴾ (التحریم / ١٠) . كما يذكر جليبارلي (333-6/330) نماذج أخرى من تاريخ المتصوفين الترك ، كما يذكر أسماء متصوفة آخرين اعتلوا الأسد.

(٢٠٦٨) : انظر الآية رقم ٦٨ من سورة طه ، والبيت ١٧٩٧ من الكتاب الذي بين أيدينا والبيت ٣٣٢٣ من الكتاب الرابع .

(٢٠٧٥ - ٢٠٩٠) : يتحدث الشاب عن قيمة الشيخ ، والعسس هنا كناية عن أولئك الذين يقفون في طريق العاشقين ، أفي وجود ضياء الشيخ يوجد العسس الذين يتجولون في ليل الظلمات ، ولهذا النور تسجد السموات ، إنه نور يفوق نور شمس الفلك فهو نور

شمس الحق وشمس الشمس ، التي تحل في كوكب حمل المعرفة ، فتصبح الدنيا بأجمعها ربيعاً نضراً ، فمتى يحولني الشيطان عن الطريق ؟! إن ما دفعني إلى رحلتي رؤية الشيخ ليس هباءً حتى يحولني عنه مجرد حديث عابث فارغ (ريح) ، أي عجل ؟! وأي سامري ؟! هذا الذي تسمينه عجلاً من جهلك سطعت عليه الأنوار الإلهية فصار قبلة للكرم ، إن العجل صار معبوداً لا لأنه عجل بل لأن السامري نثر عليه قبضة من أثر الرسول (انظر البيت ٣٣٣٤ من الكتاب الرابع) وألم تكن القبلة بيتاً للأصنام قبل أن يسطع عليها النور المحمدي ؟! وهذا الكلام الذي تقولينه لو أنه جرى على لسان أحد الكمل لما كان كفراً ؟! وألم يسلم الشيطان نفسه طبقاً للحديث النبوي { أسلم شيطاني على يدي } (انظر البيتين ٢٨٩ و ٢٩٠ من الكتاب الخامس) وهذا الذي تتحدثين عنه بهذه الاستهانة هو الخبير بحب الله على الحقيقة ، وهو مظهر للعزة الإلهية ، إنه أسمى من الملائكة المقربين (الإنسان أن تغلب على جانب الطين صار أسمى من الملائكة لأن الملائكة خير محض من الخليقة ولا فضل لهم على عبادتهم) وهكذا لم يكن سجود الملائكة لآدم عبثاً بل لهذا السبب " والقشر يسجد للرب " أي أن التجليات الصورية وهي بمثابة القشر تسجد خضوعاً للتجليات المعنوية (يكون القشر عادة متعففاً حول اللب وكأنه ساجد) (استعلامي ٣٢٥/٦) روى عن نجم الدين كبرى " قال أبو الحسن الخرقاني : صعدت إلى العرش لأطوف به فطفت عليه ألف طواف ورأيت قوماً يطوفون حول العرش فعجبوا من سرعة طوافي وما أعجبنى طوافهم ، فقلت من أنتم وما هذه البرودة في الطواف ؟! قالوا : نحن ملائكة ونحن نور وهذا طبعنا ، فقالوا : ومن أنت وما هذه السرعة ؟! فقلت : أنا آدمي في نار ونور وهذه السرعة من نتائج نار الشوق (مولوي : ٣٩٨/٦) . والبيت ٢٠٨٥ إشارة إلى مضمون الآية ٨ من سورة الصف ، والبحر لا يصير نجساً من فم كلب مثل فارسي سائر ، غريب حقاً أن ينكر إنسان هذا النور ، لأنه في حالة الشيخ

أظهر من أن يحتاج إلى عين باطنة أو سِر وسلوك ، لكن هذا هو حال الخفّاش لا يستطيع أن يخرج في ضوء الشمس، فينكر هذه الشمس مع أن نورها يملأ الآفاق (تكرر المثال كثيرا في المثنوى ، انظر على سبيل المثال لا الحصر الأبيات ١٠٧ و ١٨٤ و ٦٨٦ وشروحها من الكتاب الذي بين أيدينا) .

(٢٠٩١ - ٢٠٩٩) : يستمر جواب الدرويش على زوجة الشيخ ، وهو في الحقيقة إفاضات مولانا جلال الدين ، إن أرواح رجال الحق هي بمثابة الأمواج العالية التي تبلغ أضعاف أضعاف طوفان نوح، ومع ذلك فقد أنكرها واستهان بها ابن نوح (انظر الترجمة العربية للكتاب الرابع ، الأبيات ٣٣٦١ - ٣٣٦٧) ، "والكلاب تتبح والقافلة تسير" مثل عربي تكرر في المثنوى أكثر من مرة (انظر ١٤٦٥ - ١٤٦٧ من الكتاب الرابع والبيت ١٤ من الكتاب الذي بين أيدينا) ، والجزء هو الروح الباحثة عن الله وهي مقام الشيخ الخرقاني ، "وعجوز في الغابرين" ، هي زوجة الشيخ وهنا إيماءة إلى زوج لوط التي لم تؤمن به ، فنجي وقومه إلا إياها ، إن العارف هو روح الشرع وروح التقوى ، أي هو المنتهى والحقيقة للتقوى ، ولم يصل إلى ما وصل إليه إلا بعد عمر من الزهد ، وما وصله إلى الحقيقة إلا حصاد غرس الزهد الذي غرسه .

(٢١٠٠ - ٢١١٠): لا يزال مولانا في الحقيقة هو الذي يتحدث على لسان الدرويش عن مقام الشيخ : إن الشيخ هو الأمر بالمعروف ، بل هو المعروف نفسه ، إنه هو الذي يكشف أسرار الغيب ، بل هو نفسه سر الغيب ، ولعله ناظر إلى الحديث القدسي "الإتسان سر من أسرارى" (استعلامي ٣٢٥/٦) إنه ملك الدنيا وملك الآخرة ، هو اللب وما سواه تشر وغطاء ، إنه المعبر عن الوحدة مع الحق بقوله "أنا الحق" (الحسين بن منصور الحلاج) (انظر لتفصيلات أخرى عن الفكرة الترجمة العربية للكتاب الرابع الأبيات ٢١٠٢ - ٢١٣٤ وشروحها) وماذا يبقى بعد فناء العبد إلا الحق؟! (انظر مقدمة الترجمة

العربية على الكتاب الثالث ، وانظر عن لا و إلا الكتاب الأول ، البيت ٣٠٦٧
والترجمة العربية للكتاب الخامس البيت ٥٩٠) ، ثم يعود إلى المرأة ، وإلى كل
منكر لمقام العارف متطاولا عليه ، فكأنه يبصق على القمر ، فترتد بصقته إلى وجهه ولا
يلحق بمقام القمر أدنى أذى ، ومن الإله تنهمر عليه اللعنات وكأنها زوج أبى لهب التي لا
يفتأ المؤمنون في ترديد اللعنة عليها حتى يوم الدين كلما قرأوا ﴿ تبت يدا أبى لهب
وتب ﴾ ، إن علامات العظمة وإمارات النور الإلهي بادية على الولي ، وكل من يعتبره
شرها وأكولا ، لا يزيد عن كلب ، وبما أن ما هو للنبي يكون للولي ، فإن الأفلاك إنما
تدور من أجله ، بل و خلقت من أجله ، ألم يقل الله لنبيه " لولاك ما خلقت الأفلاك "
(انظر ١٦٦٨ من الكتاب الذي بين أيدينا) ، إنه رحمة العالمين ، وبأمثالهم ترزقون ، فكان
العالم كله يطلب منه القوت ، فكيف يكون متسولا وآكلا بالمجان ؟! (انظر الكتاب
الخامس الأبيات ٢٣٤١ - ٢٣٦٢ وشروحها) .

(٢١١١ - ٢١١٨) : إنك تريه متسولا شحاذا وذلك لأن الأمور معكوسة (انظر لتفصيل
الفكرة الولي الشحاذ ، الكتاب الخامس ، الترجمة العربية من ٢٧٠٠ - ٢٧١٠
وشروحها) إنه زبدة الأرواح كما تجد به كل المخلوقات زبنتها وكمالها (تجد البحار الدر
والأرض الكنوز والزهور) إن إعطاء الصدقة ليس دليلا على غنى المتصدق وعلى فقر
المتصدق عليه ، فالأغنياء في حاجة إلى عناية الدراويش . ولحافظ :

أيها الغنى لا تبد كل هذه العنجهية والكبرياء فالرأس والذهب في كنف همة الدراويش
(عن استعلامي ٣٢٦/٦)

فالزكاة في الحقيقة تركية للغنى وليست للفقير ، ومن هنا اشتق اسمها .
(٢١٣٦ - ٢١٣٨) : المقصود أن كل رجال الله يتميزون بهذه القدرات الروحانية ، كرامات
الأولياء حيننا محسوسة ومنظورة وحيننا مكتومة وخفية " فالأنبياء مأمورون بإظهار

المعجزة والأولياء مأمورن بإخفاء الكرامة " (أسر التوحيد في مقامات أبي سعيد ، تأليف محمد بن المنور ، عن استعلامي ٣٢٧/٦) .

(٢١٤٤) : أى أن تحمله للمرأة ليس من أجل إشباع الشهوة ، (فى البيت ٢١٥٠ تصريح بالمعنى) وكل ما يتوجه به الشيخ أبى الحسن الخرقانى إلى المريد ، لأن المريد وهو فى الطريق إليه داخل الوسواس عن كيفية تحمل الشيخ لمثل هذه المرأة .

(٢١٤٦ - ٢١٥٩) : عن سكر الجمل ، انظر الأبيات ٨١٨ - ٨٢٧ من الترجمة العربية للكتاب الثالث وشروحها ، والعوام هنا المقصود بهم زوجة أبى الحسن الخرقانى التى لا تدرك سر عظمة الشيخ بالرغم من أنها تعيش معه تحت سقف واحد ، والولى الحقيقى هو الذى لا يهتم بالعوام أو بالخواص ، بل يكون سره وصحوه وسكره وغيبته وحضوره مع الله ، وهذه العوالم التى يقطعها الشيخ ، ملحمة ذات كر وفر لا نهاية لها ، إلا ذلك المتضوع الذى يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار (النور / ٢٤٣) ، فما بالك بوجوده وذاته وهو نور خالص ، وهذا النور لا يقبل الوصف ، بل كل ما نقدمه نحن عند الحديث عنه مجرد أقوال تنزل بمستواها من أجل أن يفهم المريد ، ويتعلم ، ويتحمل أثقال الخلق ، ويصل عن طريقها إلى سنن الأنبياء ، أولئك الذين ذاقوا من بلايا الكفار والأخساء الكثير ، ولولا هذا ما نصرروا ، ولولا هذا ما تجلت الحقيقة الإلهية ، لأن الضد يتجلى بال ضد وليس للحقيقة الإلهية ضد ، وإنما يظهر ضد عطاياه فى البلايا التى يصبها أعداؤه على أصفياته ، فيكون تجليه فى قلوب أصفياته رد فعل لهذه البلايا من أولئك وصبر هؤلاء (انظر الأبيات ١٠٠ - ١٠٩ وشروحها) .

(٢١٦٠ - ٢١٧٦) : وفيما عدا الحقيقة الإلهية (التى لا ضد لها ولائد) فإن الله سبحانه وتعالى يظهر كل شئ بضده ، هذه هى سنة الله فى خلقه ، لقد خلق الإنسان مظهرا لتجليه ، فهو الخليفة ، وهو صاحب الصدر فى كل المخلوقات ، نفخ فيه من روحه ،

وهذا هو الصفاء الذي لا حدود له ، لكنه في الوقت نفسه جعل له ضدا من إبليس وظلمه وكدره وعصيانه ، يقف له كل مرصد ويجرى فيه مجرى الدم ، ولذلك حتى يقوم الصراع المستمر الذي يظهر فيه جوهر الإنسان ، وتتجلى فيه قدراته ، وهكذا تستمر الأضداد في كل دورة من دورات الخلق : هابيل وقابيل ، إبراهيم عليه السلام والنمرود ، ثم موسى عليه السلام وفرعون ، ثم محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وأبى جهل ، ولكي يفصل الله تعالى في هذه الحروب ، كان لابد وأن ينصر أنبياءه بوسائل غير دنيوية وغير صورية (فالله يتجلى في مقابل جفاء الكفار وغلظتهم وعدتهم وعتادهم) فسلب من النار صفة الإحراق فلم تحرق إبراهيم عليه السلام ، وجعل الصيحة نكرا على قوم ثمود ، وأرسل الصرصر على قوم عاد ، والأرض المستوية التي تحفظ ما عليها ساخت بقارون ، إنها كلها تجليات لغضب الله ، وميدانها الإنسان وهذه الحرب المستمرة بين الخير والشر ، هي نفس الفكرة التي أقام عليها الفيلسوف المعاصر على شريعتي فلسفة التاريخ عنده على أساس أنه صراع بين التوحيد والشرك أو بين الأنبياء الرعاة والفراعين والملأ والمترفين ، انظر (إسلام شناسي ٤١/١) .

و يقول مولانا جلال الدين أن الولاية بعد النبوة إذن ففي كل دورة ولي قائم (الكتاب الثاني ، البيت ٨١٨)

(٢١٧٧ - ٢١٨٦) : ولا يكون تجلى الحق في هذه الحروب المصيرية فحسب ، بل انظر إلى قهره عندما يحل بسائر البشر ، فيحول الدواء إلى داء ، وما يمد الجسد بالحياة إلى سبب للموت ، فيغص الحلق باللقمة ، ويختنق أكلها ، وتصبح الملابس التي تقي الحر والبرد والبأس ثقلا على الجسد فيتجرد منها لابسها ، وماذا تجدك هذه الأمثال وأنت لم تتضح بعد (لم تصل إلى مستوى جرتي ماء لا تتجس إذا غسل فيها شئ نجس كما يقول الفقهاء ، بل أنت جرة واحدة) ، ولو كنت ممن يعتبرون ويتعظون لاعتبرت بعذاب يوم الظلة الذي حاق بقوم شعيب (انظر ١٨٩ من سورة الشعراء) حيث سطعت عليهم شمس حامية سبعة

أيام ، ثم أظلمت سحابة ، فلما احتموا بها أمطرتهم نارا ، فلما لجأوا إلى بيوتهم لم تمنحهم الظل الذي كانوا يرجون (مولوى ٣١٠/٦) ، وأمرعوا إلى شعيب عليه السلام ولكن هيهات ، وإن كنت تريد تفصيلات عما حاق بهم فارجع إلى كتب التفسير ، وإن لم يكن ثم قهر الله ، فمتى كان لعصا أن تلحق بفرعون على جبروته كل هذا العذاب والهوان ، وألا يكفيك هذا المثال ؟!

(٢١٨٧ - ٢١٩٧) :إن فعل الله يحدث بشكل قد لا يستطيع أن تدركه ، إنه سريع ولا يصدق ، بحيث أنك لا تستطيع أن تبصره ، إن لك نظرا وإدراكا باطنا لكنه صدئ من قلة الاستخدام ، عين أسنة متجمدة فارجع البصر ، تحرك ، وارجع البصر كرتين ، وإلا فإن استخدامك لهذه العين الأسنة لا يوصلك لشيء ، وإمعان النظر يحتاج إلى إيمان بالغيب ، وبدون هذا تكون كل أعمالك دقا للحديد البارد ، فاحمل حديدك إلى داود الإرشاد والطريق فقد ﴿أنا له الحديد﴾ ، فالمرشد هو النار للحديد البارد ، وهو إسرافيل نافخ الصور للأجساد الميتة ، وهو شمس الروح للقلوب المتجمدة، تذيب ما ران عليها من صدا الجسد ، لكنك مع كل ما أقوله لك تترك كل ذلك ، ومن الأوهام والخيالات التي التفت بك وطمست عين إدراكك ، وختمت على قلبك، لتسرع نحو ذلك الذي تجد عنده علم المحسوسات ، مع أنه نفسه أعمى مثلك وقد يكون أكثر ضللا منك ، فهيا أيها السوفسطائي ، أو أيها المستجد به، املا فمك بالكلمات الضخمة ، وتفيهق ، واهزل ، لكن لا تتحدث بهذا إلى الخلق وإلا كان الأمر فضيحة ، ويعود مولانا فيبين أن النظر بالحركة وإمعان النظر أي تحريكه ، فالروح عندما تكون في البدن تسمى (جان) لكنها عندما تخرج من البدن تسمى روان (ومن معانيها في الفارسية الجارى والسائل والماشى) ، وهذا هو الفرق بين الجمود والحركة ، هكذا قال الحكيم ، (قال استعلامي ٣٣٠/٦ أن بعض المفسرين ذكروا أن الحكيم المقصود هنا هو ابن سينا الذي سمي الروح (جان) بالروح

الحيوانية والروح (روان) بالنفس الناطقة) ويرى مولوى (٣١٢/٦ أن المقصود هو سنائي) ،
وذلك أن كل من هو متصل بالأمر فإنما تخرق له الأسباب والعلل ، فلو أراد الورد من
الشوك لكان له ، وليس له أن يطلب الأشياء من أسبابها كما يفعل سائر البشر غير
الواصلين .

(٢١٩٨ - ٢٢١٠) : إن معجزة هود عليه السلام دليل على قدرة رجال الحق الممنوحة لهم من
الله ، فعندما سلطت عليهم الريح الصرصر ، رسم هود دائرة حول المؤمنين ، فلم تكن
الريح تصيبهم بأذى ، وهكذا فاعلم أن سفينة نوح عليه السلام ليست على سبيل النجاة
الوحيد، كما أن طوفان نوح ليس الطوفان الوحيد فهناك أنواع عديدة من الطوفانات
ولطف الله لاحق بكل شيء ، والملك في الأرض أمان لها ، فالجنود يصطفون بناءً على
حرص الملك للفتوح ولتثبيت الملك ، فيكون الأمان للخلق ، ومن قصد الملك رسوخ
الملك ، إذ لا رسوخ للملك دون أمان للناس ، وفي خوف حمار الطاحون من الضرب
يكون لك الماء ، ويكون لك طحن الحبوب واستخراج الزيت منها ، ونخوف هو الذي
يحرك الثور لجر المتاع وليس بهدف جر المتاع ، وهكذا من الخوف جعل الله لك المنافع
في هذه الدنيا ، هذا الخوف والرجاء هما عماد العالم ، فرجاء التاجر في الكسب هو الذي
"يسمره" في حانوته ، وليس إصلاح العالم هدفاً له ، إن كل العالم ملئ بالراجين في
النفع والخائفين من العقاب ، وإذا قام كل منهم بواجبه لا تنظمت أمور هذا العالم تلقائياً ،
ولا تظن أن الطالح فقط هو الذي يخاف فالصالح أيضاً يخاف ، ولولا ذلك لما قال سيد
الصالحين { إلا أن يتغمدني الله برحمته } ، والخوف هو أيضاً عطية من الله تعالى ، وإلا
فهل يخاف الإنسان من نفسه ؟!

(٢٢١١ - ٢٢٢٤) : إن ذلك الذي بعث هذا الخوف في نفوسنا لا يدرك بالحواس الظاهرة
، لكنه أقرب إلينا من حبل الوريد ، ولا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار وهو

اللطيف الخبير ، ولو كان الأمر بالبصر الحدسي لكان لكل دابة ما أدركه ولى عظيم مثل
أبى اليزيد البسطامى ، فذلك الذي جعل هذا الجسد مركبا للروح ، وجعل من السفينة
مركبا لنوح ونجاة له ، لكن إرادة الله الغالبة قد تجعل من وسيلة النجاة التى تتوسل بها
هلاكا لك ، وهكذا فحزنك وسرورك وخوفك ورجاؤك اللذان يتواليان عليك بمثابة الطوفان
والسفينة ، وإن جذور هذا الخوف لا تستطيع أن تدركها، فما أشبهك بأعمى لكمه فظ ،
وكان في نفس الوقت يسمع صوت بغير فظن أن البعير قد رفسه ، فهذا الأعمى يصف
الشيء بقدر إدراكه له ، ولأن هذا الإدراك غير حاسم فإنه يتردد في وصف ما حاق به ،
ولأن هذا الخوف - كأي خوف - لابد أن يكون من خارج الإنسان إلا أن الإدراك الباطنى
هو الذي يستطيع أن يحدد كنهه ، ويعرف معالمه ، ثم يدرك أن أصله ليس من هذا
العالم بل من العالم الباقى .

(٢٢٢٥ - ٢٢٣١) : يقصد بالذى يدعو نفسه حكيما أهل الاستدلال وحكماء المدرسة الذين
يعتبرون الخوف من الوهم والخيال ، ويقول مولانا : إنه لا وجود حقيقى للوهم لكنه كل
وهم يستمد من حقيقة أو واقع ، فحتى الناس يشترون النقد الزائف أملا في أن يكون
حقيقة (انظر ٢٩٣٩ من الكتاب الثانى) الأبله يشتري الزائف على أمل أنه ذهب ،
وعلى هذا فحتى الكذاب عندما يخلق ، فإنما يخلق لكى يحمل الناس اختلاقه محمل الجد
، فإذا كان الكذاب يرى للصدق كل هذا الضياء والرواج ، فأولى به أن يكون شاكرا
للصدق لا منكرا له ، لكن هل لدى الوقت أيها المتفلسف للرد عليك؟ إن ذلك يصرفنى عن
الحديث عن ألطاف الله بعباده ، الذي تتدرج تحته كل هذه الأجزاء .

(٢٢٣٢ - ٢٢٥٤) : والولى هو نوح بالنسبة لك ، وصحبته هي السفينة ، فاطلب هذه
الصحبة ، وأنج من طوفان أهل الدنيا ، واهرب من أهلك وأقاربك وأصدقائك هروبك من
الأسد والحية (انظر باب الأقارب في حديقة سنائى وانظر أيضا جلبنارلى 363 / ٦).إنهم

يصرفونك إلى الدنيا ، ويمتصون زادك المعنوي ، وإن كانت لك قطرة من ماء الحياة والبحر الروحاني امتصوها منك ، وتركوك غصنا جافاً لا تصلح لشيء ، فلا يمكن أن يصنع منه سلة ، ولا يمكن أن يصنع منه قوس ، فحتى الرجل الذي يصير على مثال هذا الغصن الجاف ، لا تتأتى منه عبادة بحرارة وخشوع وإلا فما معنى : ﴿ وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى ﴾ (النساء / ١٤٢) قال نجم الدين كبرى : لأنهم يذكرونه بلسان الظاهر القالبي لا بلسان الباطن القلبي (مولوى ٣١٩/٦) وإن ما أتحدث عنه عن أولياء الله بمثابة النار من أدركه حق إدراكه احترق ، وأولى بي أن أترك هذه الإفاضات وأعود إلى قصة الفقير والكنز ، فهذه النار التي أتحدث عنها لا تفرق بين غصن وغصن ، ولا تفرق بين واقع وخيال ، إنها النار التي تتدلع من الروح ولا تقنع بأقل من الفناء الكامل ، ف﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ (القصص / ٨٨) وما أشبه فناء السالك في الحقيقة الإلهية بانمحاء حرف الألف (الوحدة) في كلمة بسم ، إن الحروف الصماء لم تتحمل الوحدة فكيف تتحملها أنت ؟ لكن هذه الألف وإن حذفت من كلمة بسم ، لكى يتم الوصال بين الباء والسين ، متضمنة فيها وأولى بها أن تصمت ولا تتطقها ، فإنك إن قلت " ما رميت إذ رميت " دون أن تقول : قال الله ، لا بأس فإنها متضمنة فيها ، فكن فانيا مثلما يفنى الدواء ويدق فيدفع العلل (انظر لتفصيلات الفكرة الترجمة العربية للكتاب الرابع ، الأبيات ٢٣٤١ - ٢٣٥٢ وشروحا) .

(٢٢٥٥ - ٢٢٦٣) : يقتبس مولانا الآية رقم ٣٧ من سورة لقمان ﴿ ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ﴾ ، والحديث عن المثوى بأنه لا غاية له ولا نهاية من ناحية المعنى ، وإن كانت له نهاية من ناحية الألفاظ ، لأنه شرح لكلمات الله ولا نهاية لكلمات الله ، وهكذا فما دام الخالق يصور القالب الترابي فإنه ييسر لى تقطيع عروض المثوى ، وهكذا فحتى عندما يفنى

التراب (الصورة الشعرية) فإن بحار المعاني لا تزال تجيش بالزبد ، والخلق دائما في تجديد ، فالغابات تحترق وتتمحى ثم تنمو في مكانها غابات أخرى ، فبحار الخلق لا تنفد ، فكم من الكتب سوف تظهر فتسد النقص وتزيد على ما فات ، ومن هنا قال رسول الله ﷺ [حدثوا عن البحر ولا حرج حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج - حدثوا عني ولا حرج فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، حدثوا عني بما تسمعون ولا تقولوا إلا حقا ومن كذب على بني له بيت في جهنم يرتع فيه.] (أحاديث مثوى / ٢٠٤) - أنقروى (٦-٣٠/٢) . وعند السبزواري (ص ٤٦٠) : [تكلموا في آلاء الله ما استطعتم ، فإن البحر لا ينزف وسر الغيب لا يعرف وكلمة الله لا توصف] . بحر العطاء المستمر الذي لا ينقطع ، ثم يخاطب مولانا نفسه : عد من حديث البحر ، فليس كل الحاضرين ممن يتحملونه ، وعد إلى قصة صاحب خريطة الكنز ، ويرى استعلامي أنه يقصد باللعبة الفقير صاحب الكنز ، (٦/٣٣٣) لكن المقصود هنا حديث المجاز عموما وهو ما يقوى عليه المریدون ، والفكرة مأخوذة من حديقة سنائي . على أن البداية تكون من المجاز ، فالطفلة لا تصلح للأمومة ، ومن ثم تشغل بالدمية حتى تصل إلى دور أمومتها ، والطفل يلهو بسيف خشبي لكي يصبح غازيا حين يكبر . ويمسك بالسيف الحقيقي ، فالطفولة هي عالم الصورة ، والرجولة وطور النضج هو عالم الروح والمعنى (انظر الترجمة العربية لحديقة الحقيقة ، الأبيات ٦٩٦٢ - ٦٩٧٠ وشروحها) فكان مولانا يقول هنا : دعك من عالم المعنى وعد إلى عالم الصورة ، حتى يشغل هؤلاء الأطفال باللعب ومن اللعب يصلون إلى الجد (فالمجاز قنطرة الحقيقة) .

(٢٢٦٤ - ٢٢٧٣) : يتعامل مولانا مع أبطال حكاياته كشخص حية ، فعندما يبتعد عن الحكاية ، يصور لمريديه أن بطل الحكاية لا يزال يناديه ويطلب منه أن يتم قصته ، إن صوته في ضمير مولانا وإن لم يسمعه المرید ، هذا التعاطف وحس المشاركة بين

مولانا جلال الدين وبين شخوصه سمة من أهم السمات التي تمنح حكاياته جانباً من الواقعية ، ولعله سبق في رفع الحائط الوهمي بين الكاتب وبين موضوعاته ، ومن المظنون انه ايداع من ايداعات مدارس الكتابة المعاصرة . وقد ترك مولانا هذه الحكاية من البيت ١٩٩٧ ، ويعبر مولانا عن بطل حكايته بأنه صار بخياله شريكاً له في أسرارهِ ، إنه مثله ينصرف عن كنوز المادة إلى كنوز المعنى ، إنه - أي الفقير طالب الكنز - كنز في حد ذاته لأنه باحث عن الحبيب ، والباحث عن الحبيب متصل به ، والوجود كله مرآة أمامه وما تجليه المرأة هو جمال الحق ، انظر البيت رقم ٣٤ من الكتاب الأول:

إن مرأتك غامت دنسا صدأ الطبع عليها ظمسا

فإن مدحت ما تراه في المرأة فإنك تمدح الحق ، وإذا نظرت في المرأة دون خيال أي دون تفكير في وجودك الفردي والصورى ، فإنك إن أدركت قبساً من الحقيقة ، لما بقى شئ من وجودك . ويقول الأنقروى : أن هذا أشبه بما قاله ابن الفارض (٦-٢/٣٣) :

سلامى مجازى عليه لإتما حقيقة منى إلى تحيتى

لها صلواتى بالقيام أقيمها وأشهد فيها أنها بى صلت

ولما بقى شئ من معرفتك ، وعندما تصبح جاهلاً بعالم الصورة تطل المعرفة الحقيقية ، حيث يسمع الواصل من الله ﴿ إني أنا الله ﴾ ، ففي عالم الحقيقة لا يتحدث في الحقيقة إلا الله ، إن مدح انعكاس الصورة في المرأة هو في الحقيقة مدح لأصلها ، ومن هنا لم يتردد الملائكة في السجود لآدم عندما أمروا بذلك ، لأن الله تعالى محا عن أبصارهم الحول فلم يعتبروا الحق ورجل الحق اثنين بل اعتبروهما واحداً ، والشهادة نفسها لا تطرح وجوداً آخر ، ولا إله إلا الله هي كل الوجود الصورى والمعنوى ، (انظر ٢١٠٤ من الكتاب الذي بين أيدينا) .

(٢٢٧٤ - ٢٢٨٤) : يدرك مولانا أن الحديث سوف يتجه منه إلى جهة أخرى ، وها هو الحبيب يجرى من أذانى ، ينبهنى ، يأمرنى بأن اكشف عن الأسرار ، فلن تكشف ،

وربما حاق بك الأذى ، مثلما حاق بآخرين كالحلاج مثلاً الذي ابتلاه الله بالشنق لأنه وضع الأسرار أمام من لا يستحقونها (استعلامى ٣٣٤/٦) ، لكنى أنا الذي أقول وأنا الذي اسمع ، فمن يقول أننى أبوح أمام أحد بالأسرار ؟ ، لكن هيا تحدث عن مشقة الطلب ، وعن قسوة الطريق وآلامه ، وعن صاحب الكنز ، فإن همم من يجلسون إليك ، لا تصل إلى ما هو أكثر من هذا ، فهم يتجرعون من سم الدنيا القاتل كأساً بعد كأس ، وحرمت عليهم الراحة ، وهم يزيّدون في آلام أنفسهم ، وكل ما يقومون به من عمل إنما يقومون به من أجل ابتعاد أكثر وأكثر عن عين الراحة ، عين الفيض الإلهي والمعاني السامية ، وكل هذه السدود واهية لا تدوم ، فهل تستطيع قبضة من التراب أن تطمس البحر الإلهي ؟! إن هذه العين الفياضة بالمعاني لا تزال تقول : أنا معكم ، متصلة بكم ، ومتصلة به في ذات الوقت ، ومائى لا نفاد له ، فماذا حدث لكم ؟! يأكل المرء التراب ويترك الماء ؟!

(٢٢٨٥ - ٢٢٩٤) : فافتح عينيك إذن ، ما دمت قد عرفت أن أمراض العين تكون من قهر الله ، وأن غشاوة الختم من غضبه تعالى عليك ، وانظر أي شئ اتخذته بدلاً ، بنس ما اخترت ، لكن إياك أن تيأس ، فإذا تاب العبد أنسى الله الحفظة ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض حتى يلقي الله وليس عليه شاهد بذنوب (جامع ٢٢/١) ، (التفصيلات انظر الترجمة العربية للكتاب الخامس ١٨٣٥ - ١٨٥٨ وشروحها) . ولا يزال الناس شرهم إليه طالع وعطاؤه إليهم نازل ، يجازى البعاد بالوداد ، ولا يزال يدعو مسي النهار ليتوب بالليل ومسي الليل ليتوب بالنهار ، فتتفجر الاشواك بالبراعم والورود ، ويكون قرن الحية تميمة للمحبة (في معتقد القدماء) (استعلامى ٣٣٥/٦) ويجعل الرمل طحيناً للخليل (انظر الكتاب الثانى - البيت ٣٨٢ و البيت ٢٢٠) ويؤوب الجبل مع داود (انظر الكتاب الثالث الترجمة العربية ١٤٧١ - ١٤٧٤ وشروحها) ، إن الله سبحانه وتعالى يعطى أوليائه العوض من لذه عن أذى الخلق ونفورهم .

(٢٢٩٥ - ٢٣٠٦) : ها هو الفقير يجأر إلى الله تعالى بالشكوى وولى الاظهار أى

مبدي الأسرار ، إن ما حدث قد حدث من شيطان العجلة ، لأن " التأتى من الرحمر والعجلة من الشيطان " (انظر البيت ٢٣٩٩ من الترجمة العربية للكتاب الثالث) . وإحراق الفم للتعجل في أكل اقدر مثل فارسي سائر ، إن حكاية الكنز كلها من إلهام الله ، ولا يستطيع أن يحل هذه العقدة سوى من عقدها أي الله تعالى ، إنه كلام سهل ، لكن معانيه بعيدة الغور ، فمتى تكون المعاني الإلهية سهلة ، إن حقيقة كلام الحق يمكن إدراكها بإلهام الوحي لا بالتفسيرات الصورية ، ويبدى الفقير يأسه : تراه لم يكن مجيدا في الدعاء ومخلصا فيه ، ليس أمامي إلا أن ائتلف مع حياة الفقر ، إن أي ثبات على الدعاء وعلى العبادة إنما يكون منك أنت ، هو انعكاس لمشيتك (عن الانعكاس انظر البيت ٣٢٥٢ - ٣٢٥٦ وشروحها من الترجمة العربية للكتاب الثالث) ونفس هذه المشيئة هي التي تسيرنا في النوم ، وحفظ الله يحفظنا ونحن بلا حول ولا قوة ، ونحن نيام وعهدنا مع الله وعهد الله معنا باق ، فلا نحن نرد " بلى " حين يقال ﴿ ألسنت بربكم ﴾ (انظر سورة الأعراف / ١٧٢) ومع ذلك فهو بربوبيته يحفظ علينا عبوديتنا.

(٢٣٠٧ - ٢٣١٩) : يستمر كلام الفقير بحسب السياق ، لكن المخاطب في الحقيقة هو مولانا جلال الدين ، والليل ليل الاستتار والنهار نهار التجلي ، والليل كأنه ظلمة باطن الحوت ، تستكين فيه الأجساد والنفوس ، وتهاجر الأرواح وتحلم كما يحلم الفيل بالهند ، (الموطن الأصلي) ، لكن الله سبحانه وتعالى يرد الأرواح إلى الأجساد بمشرق الشمس ، (انظر الترجمة العربية للكتاب الخامس ، الأبيات ١٧٢٢ - ١٧٤٠) ، ويفنى في ضوء النهار كل ما صنعه تدابيرنا (إذا طلع الصباح بطل المصباح) ونعود إلى حياتنا المادية ، وننطلق في التسبيح مثلما انطلق يونس ^{عليه السلام} في التسبيح عندما خرج من بطن الحوت (الأنبياء ٨٧/٨٨) بل كان يونس يسبح وهو في بطن الحوت (انظر الترجمة العربية للكتاب الثالث ، الأبيات ٤٥١٥ - ٤٥١٩ وشروحها) وتذكر مع ذلك أن الليل

كان رحمة بك ، فأنت في كنفه سبحانه وتعالى دون حول منا أو قوة ، وكنا نظن أنفسنا في ضلال ، مثلما كان موسى عليه السلام يظن نار الطور نارا وهي نور ، ونحن يا إلهي نعاني من البحر الذي يحط عليه الغناء أي البصيرة التي تحط عليها المادة (انظر ٨٠٩ و ٨١٠ من الكتاب الذي بين أيدينا) بيد أن سحرة فرعون بمجرد إيمانهم أدركوا الحقيقة ، ففرحوا عندما قطعت أيديهم وأرجلهم (لتفصيل الفكرة أنظر الترجمة العربية للكتاب الثالث ، من ١٧٢٣ إلى ١٧٣٥ وشروحها والترجمة العربية للكتاب الخامس من ١٣١١ - ١٣١٤ وشروحها) .

(٢٣٢٠ - ٢٣٣٠) : (عن ترك المسبب والتعلق بالسبب أي التشبث بالأسباب الظاهرية للأشياء انظر الترجمة العربية للكتاب الثالث ، الأبيات ٣١٥٢ - ٣١٦٠ وشروحها) ، لكن هذه القاعدة قاعدة المسبب و الأسباب لا تنطبق على أولياء الله أو من يعبر عنهم مولانا باسم الأصحاب ، لأن الله سبحانه وتعالى يسبغ عليهم لطفه فيكونون في صدر الخليقة دون هذه الأسباب التي يظن الخلق إنها أسباب الرفعة ، ولماذا أولياء الله فحسب ؟! إنما يصل عطاءه إلى المستحق وغير المستحق ، إنهم يهبهم حريتهم (الحرية الحقيقية في العبودية لله وحده) ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي في أعناقهم ، وإلا فإن خلعة الروح موهوبة منه لكل حي ، ومتى كان مستحقا لها في العدم ، (دون أن تصدر منه طاعة أو يزاول عبادة) ثم يوجه مولانا الدعاء لله تعالى : إنك أنت يا إلهي الذي حولت الأعداء إلى أصدقاء ، وأسبغت على الشوك أكمام الورود ، فاجعل يا إلهي من هذا التراب خصبا ذا ثمار من الفكر والعمل ، واجعل مرة ثانية شيئا ممن لم يك شيئا وخلقته ، إن الدعاء منك أيضاً يا لله فأنت القائل : ﴿ ادعوني استجب لكم ﴾ (انظر أيضاً البيت ٢٢١٧ من الترجمة العربية للكتاب الثالث) وفي ليل الدنيا ، نحن سفن كسيرة ، تسيرها في بحر رحمتك فتملأها بعطاياك ، (ومن هذا الدخل يكون الإنفاق بالنهار) .

(٢٣٣١ - ٢٣٤٢): لا ينبغي أن تفهم من الأبيات أن مولانا من المؤمنين بالجبر (عن القضية بالتفصيل انظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الخامس) ، إن قدرة الحق مطلقة على الكون كله ، وهذا ليس جبراً بل معنى الجبروت " (البيت ٦٢١ من الكتاب الأول) والكلام هنا أيضاً عن الجبروت ، ففي غفلة الخلق ، لا غنى عن رحمة الحق ، ولا قيمة هناك لرأى أو لفن ، ولا تاج إلا بالدعاء ، إننى مجرد كالآلف ، وباطنى كحلقة الميم ضيقة من الفراق والشوق ، وإذا كنت ضعيف الروح ، فأية استقامة تأتي من الوعى بالبدن ، إنها النفس تطل بمطالبها ، والغفلة وانعدام الوعى اشتغال النفس بهذه الدنيا ، أما العقل واليقظة فأشارة إلى اشتغال الروح بعالم المعنى ، والسالك بينهما في تأرجح والتواء ، ويوجب البعد من حيث ظن السالك أنه قرب ، فادع وأنت تحس بالإملاق ، وليس معنى الإملاق هنا هو الإملاق المادى بل الإملاق والفقر بكل صروفه وألوانه .

(٢٣٤٣ - ٢٣٥٣) : العريان هنا هو من لا يملك شيئاً ، ولكى تكتمل أيضاً صورة الغرق في الدمع ، ولا عين لى : أي أحس بالحياء أمامك ، إنه يطلب الدعاء الباكي ، فإذا كان الرسول ﷺ قال { اللهم ارزقني عينين هطالتين تشفيان القلب بذروف الدمع من خشيتك قبل أن تكون الدموع دماً والأضراس جمرات } (مولوى ٣٣٤/٦) ، إذا كان الرسول ﷺ ما ماله من سبق قد قال هذا ، فما بالك بى - الحقيقة ما بالك بنا - نحن الغارقون في غفلة الدنيا حتى رؤوسنا؟ إن هذا التمنى من الرسول ﷺ من الممكن أن يكون شفاعة لكل أمة وقطرة واحدة من هذا الدمع كافية لنجاة الإنس والجن ، إذا كان الرسول ﷺ وهو روضة من رياض الجنة قد طلب الدمع مع عدم حاجته إليه، فما بالك بك وأنت الأرض البور التى تحتاج بالفعل إلى هذا الدمع ؟ إن حرصك على نعم الدنيا هو الذى يجعلك بعيداً عن هذا المعنى ، فأنفض يدك منه ، وداوم على الدعاء فما علاقتك بقبول الحق أو رده ، ألم تسمع قوله تعالى في الحديث القدسى : [عبدى أطعنى على ما

أمرتك ولا تعلمنى ما يصلحك [(مولوى ٣٣٥/٦) ، فكر في نعم الآخرة التى لا ينضبها إلا دمع العين .

(٢٣٦٠ - ٢٣٨٢) : يعلق مولانا على ما حدث للفقير الذي أخذ يشد القوس عند إطلاق السهم بكل قوته مع أن الأمر كان ضع سهما في القوس ثم اتركه يسقط ، ولم ترد كلمة الشد ، هكذا كل من يطلبون الله (الكنز الحقيقى) بطرق ملتوية وبعيدة ، إنه أقرب إليك من جبل الوريد ، وكلما أطلقته بعيداً طاش سهمك وابتعدت عن الحقيقة (انظر تعليقات البيت ١٨٤٢ من الكتاب الذي بين أيدينا) وينكر الأتقوى رباعية :

الحبيب أقرب إلى منى والأعجب أنى بعيد عنه
ماذا أفعل ومع من أستطيع أن أتحدث فهو إلى جوارى وأنا مهجور عنه

(٥٧-٥٦/٢-٦)

ويستشهد جعفرى (١٢٩/١٤) بهذه الأبيات لحافظ الشيرازى :

لسنوات والقلب لا يفتأ يطلب منا كأس جمشيد

إنه يطلب من الغريب ما هو في حوزته .

والجوهرة الخارجة عن صدف الكون والمكان

تطلب من التائهين على ساحل البحر .

ومسلوب القلب الذي يكون معه الله في كل حال

لم يكن يراه وينادى من على البعد يا الله .

ومن هنا فإن من يطلب الحقيقة عن طريق الفلسفة يكون ظهره دائماً إلى الكنز كلما

جد في الطلب كلما زاد ابتعاده ، والله تعالى يقول ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾

(العنكبوت/ ٦٩) ولم يقل " جاهدوا عنا " وما أشبههم جميعاً بكنعنان بن نوح ، كانت

السفينة في متناول يده ، وكان أبوه يدعوه ، وكان هو يسعى نحو الجبل ليكون فيه

هلاكه ، فهل تتعظ جبال "الفكر" و "قمم" الفلسفة ؟ إنه يهلك نفسه ، ويعمل فكره ، ويقضى عمره ولا يصل إلى شيء ، فالتعب رخيص على روح الجاهل ، فالجاهل هو الذي يشعر بالعار من التعلم ومن سؤال المرشد ويستقل بصنعة قبل أن يتعلم دقائق الصنعة (انظر الترجمة العربية للكتاب الخامس ، الأبيات ١٤٢١ - ١٤٢٩ وشروحها) هذا التذاكى حجاب في الطريق ، فدعك من التذاكى وقدم الانكسار ، فالله تعالى قال في الحديث القدسي : [أنا عند المنكسرة قلوبهم] ، وكل علماء المدرسة هؤلاء غيلان في طريق الحق ، (الغول في المأثور الفارسي مخلوق أسطوري يضل السائرون في الصحراء ويجعلهم يحدون عن الطريق) ومن هنا قال ﷺ { أكثر أهل الجنة البله } ، أي أولئك الذين يتركون التذاكى ، ولا يرون لأنفسهم فضلا ولا جهدا (التفسير معنى البله عند مولانا انظر الترجمة العربية للكتاب الرابع ، الأبيات ١٤١٨ - ١٤٢٤ وشروحها) إن كل التذاكى يكون من أجل المنافع الدنيوية ، أما التسليم والتواضع وإنكار فضل النفس إنما يكون من البله الذين يعتبرون أنفسهم أطفالا رضع أمام الأم (انظر الأبيات ٦٩٩ - ٧٠٣ و ٣١١٢ من الترجمة العربية للكتاب الخامس) . ومن دعاء نقله الاتقروى : { اللهم لا تكلنى إلى نفسى طرفة عين ولا أقل من ذلك } والحديث النبوى : { من انقطع إلى الله كفاه الله سائر مئونته ورزق من حيث لا يحتسب ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها } (١٣/٢-٦) .

(٢٣٨٣) : الحكاية التى تبدأ بهذا البيت وردت قبل مولانا في مقالات شمس (مأخذ / ٢١٠ ومقالات شمس نسخة موحد ٢/ص ٥٤) . والحكاية مليئة بالإحياءات ، فاليهودى والمسيحي والمسلم الذين تراقبوا في سفر جياع ، وعندما يرزقون رزقا ، فأن أول ما يفكر فيه اليهودى والمسيحي هو أن يتكاثفا معا من أجل أن يحرم المسلم ويظل جائعا ولا ينجو المسلم إلا بالمبادرة ، وإلا بأن يفوت الفرصة على اليهودى والمسيحي ويحرمهما معا ، وهكذا الدنيا مليئة بغير المتجانسين الذين ينبغي عليهم التعايش معا ، مثلما يتعايش العقل مع النفس

والشيطان في الإنسان الواحد وينتصر عليهما ، انتصر المسلم على المسيحي واليهودي ،
أو هكذا يجب .

(٢٣٩١ - ٢٤٠١) : بالموت يتفرق الجميع ، وتطير الطيور المحبوسة في سجن الدنيا ،
كل يطير مع من هم من جنسه (مثل فارسي) يحركه جناحان : شوقه إلى منبته وأصله
أى الجنة ، وذكرى إقامته فيها قبل أن يهبط إلى سجن الدنيا ، وكل يعود إلى حيث كان
يشتاق ، " الناس كما يعيشون يموتون وكما يموتون يبعثون " وكل عنصر من عناصر
البدن يعود إلى أصله ، ما هو من التراب إلى التراب ، وما هو من رب الأرباب إلى
رب الأرباب (انظر لتفصيل الفكرة الترجمة العربية للكتاب الثالث ، الأبيات ٤٤٢٤ -
٤٤٣٩ وشروحها) . وما مكوّننا في الدنيا إلا لتجمدنا من علائقها ونعيمها ، ثم تفتت تلك
الأجزاء ، وتذوب الثلوج بسطوع شمس الحقيقة ، وتتحرك الجمادات ويمضى كل إلى
أصله .

(٢٤٠٣) : في المتن من مطبخ " إني قريب " إشارة إلى الآية ١٨٦ من سورة البقرة
﴿ إني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ والمراد أن المهدي سبب والزرق كله من الله
سبحانه وتعالى ، والأبيات العربية إشارة إلى حديث نبوي { الضيافة على أهل الوبر
وليس على أهل المدر } (أحاديث مثوى / ٢٠٦) .

(٢٤١٧ - ٢٤٢٠) : يحتج اليهودي والمسيحي على المسلم الذي يقترح القسمة بقول مأثور
قال بعض المفسرين انه حديث نبوي (!!) وهكذا يحتجان بقول مسلم من أجل خداع المسلم ،
ويجيب المسلم بأن المقصود بالقسم الذي يقسم نفسه بين هوى الدنيا والآخرة (فالدنيا حرام
على أهل الآخرة والآخرة حرام على أهل الدنيا) وهذا أي قسمة العبد نفسه بين دينه وهواه
إشراك ، كان منطق المسلم مستقيماً ، فليأخذ كل نصيبه يأكله أو يدخره للغد فهذا
شأنه، لكن النوبة كانت نوبتهما أن كانت القوة والغلبة لهما بحكم انهما اثنان لا بد أن ينزل
على رأيهما .

(٢٤٢٦) : (التسبيح الجماد وعبادته ، انظر الترجمة العربية للكتاب الثالث ، الأبيات :

١٠٠٨ - ١٠٢٧ والكتاب الأول الأبيات ٥١٥ - ٥٢٠ و ٨٤٢ - ٢١٢٠ وشروحها) .

(٢٤٣٨) : النور الآخر هو تجلى ذات الحق التى انمحي فيها الطور وموسى عليه السلام وذلك

اليهودى (استعلامى ٣٤٢/٦) الحالم .

(٢٤٥٢) : إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ قال رب أرني انظر إليك ، قال لن تراني ولكن انظر

إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني ﴾ (الأعراف / ١٤٣) .

(٢٤٥٧ - ٢٤٥٩) : اليهودى المقيم على دينه الذي يحلم بموسى عليه السلام يهودى محمود

العاقبة ، أي قد يدرك إن فهم الديانة الموسوية على حقيقتها حقيقة خاتم الأنبياء ويتبعه ،

ومن هنا فمن الواجب ألا تحتقر كافرا ، فمن يدريك بعاقبته ، وإلام سينتهى ؟! { إن

الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعلم أهل النار وإن الرجل

ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم عمله بعمل أهل الجنة } (جامع ٧٩/١) .

(٢٤٦٠ - ٢٤٦٣) : يزايد المسيحي على اليهودى ، فينقل رؤياه على الأفلاك حيث

الفلك الرابع مثنوى عيسى عليه السلام فى المأثور الإسلامى (انظر الترجمة العربية لحديقة

الحقيقة ، الأبيات ٥٧٥٥ - ٥٧٦٧ وشروحها) والمقصود بقنون الفلك قدرته .

(٢٤٦٦) : توحى حكاية اليهودى والمسيحي والمسلم والتسابق في أهمية الرؤيا لمولانا

بحكاية أخرى وردت شبيهتها في سندباد نامه ، كما ورد في نثر الدر للأبى " قالوا وجد

بعير وأرنب وثعلب جينة فاصطلحوا على أن تكون لأكبرهم سنا ، فقال الأرنب : إني

ولدت قبل أن خلق الله السموات والأرض ، فقال الثعلب صدق وإنى شهدت ولادته ، فأخذ

البعير الجينة ، وقال : من رآنى يعلم أنى لم أولد البارحة ، (عن مأخذ فروزانفر ، ص

٢١٠) .

(٢٤٦٧) : إشارة إلى الحديث المنسوب إلى الرسول ﷺ " كبروا الكبر " (انظر البيت

٢٠٥٠ من الترجمة العربية ، للكتاب الرابع ، ولمولانا موقف آخر في تعريف

الشيخ انظر الترجمة العربية للكتاب الرابع الأبيات ٢١٦٠ - ٢١٦٨ وشروحها) ،
وهناك حديث نبوي آخر [ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا] .
(٢٤٧٢) : لم يهتم أحدٌ من مفسري المثوى بالبحث عن أصل الحكاية الواردة تحت
عنوان " مثل " .

(٢٤٨٩) : هذه قمة في فكر مولانا جلال الدين الواقعي الذي يهديه إلى كل المتشدين
بالتاريخ الذهبي والأمجاد الماضية ، إن الذي يفوز في النهاية هو الأقوى ، فما حاجة الجمل
إلى التاريخ أمام البقرة وأمام الكبش ، إنما يحتاج الضعيف إلى التاريخ ليثبت لنفسه حقوقاً
لا يستطيع أن ينالها .

(٢٥٠٥ - ٢٥٠٦) : لقد نفج اليهودي والمسيحي في الفضل ، وتذاكيا على المسلم ، لكن
المسلم كان قد بادر وأكل الحلوى فما حاجته إلى الصعود إلى السماء ، أو رؤيا الجبال
التي تنوب وتتشق؟ إنه كن في حاجة إلى الحلوى ، أكلها والسلام ، هذا الدرس العميق
يقدمه جلال الدين الذي قدمه الغرب لنا كصوفي غارق في رؤى السموات ، وكأنه كان
يوجهه إلى مسلمي اليوم الغارقين في أحلام الماضي ورؤى المجد الذي ضاع ، واليهودي
والمسيحي يغيران على أملاكهم وأموالهم وأرضهم وإنتاجهم وهم لا يقدرون ولا يبادرون ،
وما هو اليهودي والمسيحي يعترفان بأن هذه هي الرؤيا الصادقة حقيقة ، إن حلمه حقيقة
وواقع ملموس ..

(٢٥٠٧ - ٢٥١٦) : يعود مولانا جلال الدين إلى الدروس وكأنه يفر من الموضوع إلى
ما فجر القصة في الأصل ؛ عيب التذاكي والتظاهر بالمهارة وعرض الفضل ، إنك لست
مخلوقاً لهذا ، إنك مخلوق للعبادة ولمعرفة الله ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾
(الذاريات / ٦٥) ، وإن هذه المهارة وهذا التذاكي لا يعنيان شيئاً في طريق الحق (انظر
١٤٠٣ من الكتاب الرابع) وانظر إلى الأنكباء من قبلك : السامري الذي صنع العجل

الذهبي وأغرى بنى إسرائيل بعبادته ، وقارون الذي أتقن صنعة تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن نفيسة ، وأبى جهل الذي وقف أمام دعوة الرسول ﷺ ، وانظر إلى نهاياتهم ، لقد رأى موسى عليه السلام بفضل النار عيانا لم يعرفها عن طريق الاستدلال ، أليس الطبيب يستدل على المرض من البول والبراز فياله من دليل نتن ، إن مجرد استنادك على الدليل يجعلك على عماك مثلما تدل العصا وهي موجودة في يد الأعمى ، وإن صاحب الضجة والجلبة والفتق والرتق وذلك الجاه الدنيوى عندما يصل إلى الحقيقة ، يقول لك : اعذرني فأنا لا أرى ، أترأك تستطيع أن تراها وأنت منغمس في هذا الصخب ؟!

(٢٥١٧) : سيد ملك ترمذ فيما يبدو حاكم مدينة ترمذ في عصر محمد خوارزمشاه ، وما يروى عن سيد ملك ترمذ والمهرج " دلقك " (دلقك بالفارسية تعنى مهرج واعتبرها بعضهم إسما) ربما من بقايا ذكريات مولانا جلال الدين منذ عهد طفولته (وقد مرت حكايات عنه في الكتاب الثانى من البيت ٢٣٤١ والكتاب الخامس من البيت ٣٥٠٩) إن لب الحكاية هنا عن موضوع التذاكى والتظاهر بالمهارة مما يوقع المدعى في مشاكل لا حصر لها، فعندما يطلب سيد ملك ترمذ رسولا مسرعا يأتى المهرج على وجه السرعة ليقول إنه لا يستطيع القيام بالمهمة التى يريدّها الملك ، غافلا عن الضجة التى أحدثها ، والبلبلة التى حدثت من رؤية المهرج يجد كل هذا الجد ، ثم الشك فى أن للأمر ما وراءه من مخاطر محدقة بالمملكة ، والصورة التى يقدمها مولانا فى هذا الصدد شديدة الحيوية كما يشير مولانا (فى البيت ٢٥٤٤) إلى سوء سياسة محمد خوارزمشاه مع ولاته ، وعداوته لهم ، وتجريده الحملات التأديبية عليهم مما كان له أثره فيما بعد فى انهيار المملكة بسهولة شديدة على يد الغزو المغولى .

(٢٥٥٥ - ٢٥٦٥) : إن هذه الضجة التى أحدثها المهرج تذكر مولانا بشئ آخر : أولئك الصوفية الذين لا يعرفون من السلوك أو من التصوف شيئا إلا المظهر والاعلام

والبيارق والمواكب والولائم ، ومع ذلك فهم يتشددون بأنهم ذوو فنون في الطريق ، ويتفجرون بالمشيخة ، وكأن الواحد منهم أبو يزيد البسطامي في زمانه ، ولا أحد منهم لديه أدنى دليل على أنه مقبول في عالم المعنى (انظر الترجمة العربية للكتاب الرابع ، الأبيات ١٧٤٠ وما يليها الترجمة العربية للكتاب الخامس من ٢٤٣٦ إلى ٢٤٤١) أولئك الصوفية الذين لم يدركوا أماره واحدة من أمارات الطريق ، ولم يتلقوا إشارة واحدة من الجانب الآخر بأن عباداتهم مقبولة ، ولم يفتح أمامهم طريق من القلب إلى القلب ، وله أماراته ، تريد أن أحدثك عن هذه الامارات ١؟ لا ... لا تكشف لهم الستار عن هذا الباب ، وإلا وصلت دعاويهم إلى ادعاء معرفة .

(٢٥٦٦ - ٢٥٧٤) : ها هو الوزير يتدخل لكي يبين أنه أكثر حرصاً على الأمير من حرص الأمير على نفسه ، وليوقع المهرج المسكين في شر أعماله (وكم من المهرجين ضيعتهم فكاهاة في مجلس أو حديث عابر لا يقصد منه شيء) ، في الانقروى : ويل لمن يحدث فيكذب ليضحك به القلب ، ويل له ويل له ، إن العبد ليقول الكلمة لا يقولها إلا ليضحك بها الناس يهوى لها العبد كما بين السماء والأرض وإنه ليزل عن لسانه أشد مما يزل عن قدمه . (٦-٢/٩٦) . اياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث . إن هذا المهرج الداهية لابد أنه يخفي شيئاً وأراد أن يبوح به لكنه غير رأيه ، إن وجهه ينبئ عن مصائب جسام ، وهذا مصداقاً الآية الكريمة ﴿ سيماهم في وجوههم ﴾ (الفتح / ٢٩) ، إن الأمر واضح للعيان ، لكن الخبر يكذبه وهذا أدعى إلى الشك والحذر من الشر الكامن في هذا الإنسان.

(٢٥٧٧) : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ﴾ (الحجرات ١٢/).

(٢٥٨٢ - ٢٥٨٤) : الطبل هنا رمز على الوجود الملى بالمتناقضات ، لكن (الصوت) هو

الذي ينبئ عن الطبل ، فارغا كان أو ممتلئا ، مشدودا أو رخوا ، (انظر البيت ٧٣٣ من الكتاب الرابع) وقد يكون الضرب هنا بمثابة الألم الذي يصاب به الإنسان فيجعله يبوح عن مكنون الضمير ، وذلك حتى يظهر المرء ، " فالصدق طمأنينة والكذب ريبة ، دع ما يريبك إلى ما لا يريبك " ، (مولوى ٣٦١/٦) .

(٢٥٩١): يشير مولانا على لسان المهرج ، إلى قاعدة في تنفيذ الحدود وهي عدم التسعيل في إنزال الحد ، ويفرق بين الغضب على حدود الله ، والغضب من أجل الهوى ، ففي الأول ينبغي أن يترث السلطان ، وفي الثاني من المفهوم أنه لا يترث حتى لا يسترضيه أحد .

(٢٥٩٦ - ٢٦٠٠) : هب أن البلاء سوف يأتي من ناحيتي ، وهب أنك بالقضاء على سوف تأمن هذا البلاء ، لكن حذار فبالقضاء يدخر كثيرا من البلاء المؤكدة غير هذا البلاء المحتمل الذي سوف يأتي من ناحيتي أنا ، فادفع البلاء عنك بالتصدق على رuchi ، ألم تسمع قول المصطفى ﷺ { الصدقة ترد البلاء وتزيد العمر } ، وقوله ﷺ : { داو مرضاكم بالصدقة } (أحاديث مثوى / ٢٠٨) . وليس من قبيل الصدقة أن تعطل عين الحلم ، فالحلم على من تظنه مذنباً وعدم تعجيل العقوبة له من قبيل الصدقة أيضاً . وعن أبي جعفر عليه السلام قال : " البر وصدقة السر ينفيان الفقر ويزيدان في العمر ويدفعان عن سبعين ميتة سوء " . (جعفرى ١٧٤/١٤) .

(٢٦٠٢ - ٢٦٠٤) : الحديث بمصطلحات الشطرنج .

(٢٦٠٥) : ﴿ ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه ﴾ (آل عمران / ١٩١) . ولابن الفارض :

فلا عبث والخلق لم يخلقوا سدى وإن لم تكن أفعالهم بالسديدة

(عن الاثقروى ٢-٦/١٠٤)

(٢٦٠٨ - ٢٦١٤) : إن العقاب الذي تنزله بالفقير والمسكين عندما يكون في موضعه

إنما ينجيه من بلايا كثيرة ، فقد يردده عن فعل ما يستوجب عقاباً أشد وأنكى ، والبيت رقم ١٦٦١ تكرر لمعاني وردت في الأبيات ٤٠١٤ - ٤٠٢٠ فارجع إلى الأبيات وشروحها في الترجمة العربية ، وأساسها أن العقاب لا يقع على ذات الشخص بل يقع على الصفة السيئة فيه ، وفكرة شق الجرح لتطهيره من الصديد وردت فيما سبق ضمن أفكار عديدة تعبر عن معنى واحد هو أن من الخراب ما قد يكون عمارة (انظر الترجمة العربية للكتاب الرابع ، الأبيات ٢٣٤١ - ٢٣٥٣ وشروحها) .

(٢٦١٧ - ٢٦٢٩) : إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ أفمن يمشى مكباً على وجهه أهدى أم من يمشى سوياً على صراط مستقيم ﴾ (الملك / ٢٢) ، وفي البيتين التاليين يطالب المهرج الملك بأن يستشير في أمره ، فمن الشورى يقل الضلال ، والأمر بالشورى تنزل على الرسول ﷺ فقال له ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ ومدح المؤمنين بأن أمرهم شورى بينهم (انظر البيت ١٥٩٦ من الكتاب الذي بين أيدينا) ، واستعانة العقول ببعضها للوصول إلى الحق فكرة تتكرر كثيراً عند مولانا جلال الدين ، وغيره الحق هي تجلّى الحق بالكبرياء والقهر عندما يحول أحد المريدين نظره إلى ما سوى الله والغيرة هنا بمعنى امتزاج التجليات الصورية والمعنوية بحيث تختفى الحقيقة عن ليسوا بأهل لها ، "وسيروا" إشارة إلى قوله تعالى ﴿ قل سيروا في الأرض فأنظروا كيف بدأ الخلق ﴾ (العنكبوت / ٢٠) . إلا أن الأمر هنا بالسير للبحث عن رجل الحق حيث يوجد الإقبال والرزق ، وعقل الرسول المقصود به العقل الكامل ، والمقصودون ورثة هذا العقل وهم الأولياء الكاملون ، ولا تخلو الأرض منهم ، فكن بين الناس ودعك من الترهيب ، وفكرة أن هناك من بين كل فئة من هو على رأسها فكرة تدق عليها ناصر خسرو كثيراً من أجل إثبات الإمامة (فالإمام هو رأس الصالحين والمجتبى على كل الخلق) (ديوان ناصر خسرو ص ١٧٣) . لكن مولانا يقصد هنا الولاية (الولاية هي التي حلت محل الإمامة .

عند الصوفية) ويشتم من هذه الأبيات فكرة عن الإمام الغائب ، وأنه غائب عن الأنظار لكنه موجود بين الخلائق وهو من تأثير الفكر الشيعة الإثنى عشرى ويفصح مولانا أن الرسول ﷺ قد نهى عن الرهبانية (انظر أيضاً البيت ٤٨٣ من الكتاب الذي بين أيدينا) وذلك على أساس أن البحث والطلب يكونان بين الناس ، ودائماً اعتبر مولانا الاعتزال نوعاً من التطوع الذي لا يتفق مع روح الإسلام ، فاللقاء مع الأولياء هو اكسير البقاء ، (انظر الترجمة العربية للكتاب الرابع الأبيات ، ٥٩٢ - ٥٩٤ وشروحها والبيت ١٠٦٩ من الكتاب الذي بين أيدينا) .

(٢٦٣٩ - ٢٦٣٠) : يدق مولانا على فكرة الاجتناء والانتقاء : فالصالحون كثيرون لكن من بينهم من هو أصلح (طبق ناصر خسرو الفكرة على كل ما في الكون ، انظر الديوان ص ١٧٣) ، وهؤلاء الصالح معترف بهم من سلطان البشر ، ومن ثم فالتمس منهم الدعاء لأن دعاءهم مقرون بالاستجابة ، وهم قبلة البشر ، والتحرى عن القبلة مكروه في حالة إعلانها ، ومن ثم فحجة من يجادل الأولياء داحضة ، ومن يولى وجهه عن القبلة المعلومة لا شك أنه يتبع قبلة باطلة ، فلماذا تشيح بوجهك عمن يمنحك التميز وتجلب نفوره منك ﴿ والذين يجاهدون في الله حجتهم داحضة عند ربهم ﴾ (الشورى / ١٦) ، وإنك تجد دائماً ما تصبو إليه إذا كنت بين عشاق الحق أولئك الذين يشاركونك الألم ، وإذا اخترت أحداً عنهم كان لك بئس القرين (الزخرف / ٣٨) . وعند مولانا فريد الدين العطار:

لحظة واحدة من صحبة رجال الله أفضل من مائة سنة من التقى

وفي خطاب الرسول ﷺ :

﴿ يا على إذا تقرب الناس إلى خالقهم بأنواع البر فتقرب إلى الله بأنواع العقل تسبقهم درجة وزلفى عن الله ﴾ (انقروى ٦-٢/١٠٩) .

(٢٦٤٠) : يضرب مولانا مثلاً عن صداقة عدم المتجانسين وعما تفضى إليه من بلايا بحكاية صداقة الفأر والصفدعة (انظر عن التجانس وعدمه الترجمة العربية للكتاب الرابع ، الأبيات ٢٦٥٥ - ٢٦٨٠ وشروحها والبيت ٢٩٠٩ من الكتاب الذي بين أيدينا) والقصة مأخوذة عن خرافات ايسوب (فروزانفر مأخذ نقلاً عن نيكلسون ، ص ٢١١) وفي البيت ٢٦٤٤ يشير إلى الحديث " الجماعة رحمة والفرقة عذاب " (جامع ١٤٥/١) ويترك مولانا القصة فلا يعود إليها إلا في البيت ٢٦٣٧ .

(٢٦٤٦ - ٢٦٥٥) : جيشان النطق يعنى انطلاق الكلام ، وفقدان النطق أو انقطاعه يعنى السكون والسكوت ، وحبل الحديث دائماً ما يكون متصلاً بين الأحبة ، والصمت هو الذي يسود عندما يتجالس الأعداء وهكذا ينشرح القلب عندما يرى الحبيب ، ويغرد الببل عندما يرى الورود ، وهكذا أيضاً عندما التقى موسى بالخضر ، جاشت المعاني وطلب منه موسى أن يبلغا مجمع البحرين (الكهف / ٦١) أو بتعبير الصوفية نقطة التقاء وجود هذه الدنيا بوجود الحياة الآخرة حيث يكون سر الخلود ، وتعود السمكة المشوية إلى الحياة وتتخذ سبيلها في البحر سرباً (انظر البيت ١٩٧٠ من الكتاب الثالث) ، وبتأثير الولي تكون حياة الخلود للمريد ، واللوح هو باطن رجل الحق تدرج فيه أسرار الوجود ، والمريد يقرأ أسرار الكون في جبهة الشيخ ، والحبيب (الولي) هو هادي الطريق ، ومن هنا قال المصطفى ﷺ : { أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم } لكن لا تجادل ، سلم نفسك له واستسلم ، فالجدل بمثابة الغبار وانظر ، ولا تتحدث فالبصر أولى ، وتوق عثرات اللسان بالصمت ، واستمع إلى أحاديث عالم الغيب .

(٢٦٥٦ - ٢٦٧٢) : يواصل مولانا جلال الدين الحديث عن إرشاد رجال الحق بأمثلة من سير الأنبياء صلوات الله عليهم ، بداية من آدم عليه السلام الذي كان مظهرًا للوحي والدليل انه علم الأسماء على حقيقتها ، لا بعد أن تلاعب بها البشر ، وأهانوها ، بحيث أصبحوا يطلقون

على المخنث اسم أسد (قد تكون تورية على أساس أن اسم ارسلان وهو أسد بالتركية كان يطلق على العديد من الأمراء في زمانه) ، ومن بعد آدم كان نوح عليه السلام مظهراً لهذا الوحي ، ومكث فيهم ألفاً إلا خمسين ، قلبه مظهر للوحي ، وهذا دون أن يتعلم فلا هو قرأ الرسالة (القشيرية) ولا قرأ قوت القلوب (لأبي طالب المكي) فكل ما تعلمه نوح تعلمه عن طريق القلب لا عن طريق الشروح ولا عن طريق التفاسير ، كان الفيض الإلهي هو معلمه ، ذلك الفيض الذي يجعل حتى الأخرس ينطق ، ومنه أيضاً ينطق الطفل ، ولم لا ؟ ألم يؤت عيسى عليه السلام هذا العطاء الذي جعله ينطق وهو في المهد ؟ ولم البشر فحسب ، الجبل أيضاً ذاق حلاوة هذا الشراب ، أوب مع داود عليه السلام ورجع منه الغناء والغزل (انظر البيتين ٢٥٠١ و ٢٨٣٤ من الترجمة العربية للكتاب الثالث ، وانظر سورة الأنبياء الآية ٧٩) ، وأي عجب أن يؤوب معه الوحش والطيور وقد ألنا له الحديد ؟ ! ناهيك بمعجزات سليمان عليه السلام ، فلك الرياح التي كانت رجوماً على قوم عاد كانت حمالة له ، ناقلة له الأخبار والأنباء .

(٢٦٧٣ - ٢٦٧٦) : لقد كررنا هذا الكلام كثيراً وهو كلام بلا نهاية ، فلنعد إلى حكاية الفأر والضفدع ومصباح الوعي أو العقل هنا أي يا مسيياً لتور الروح (لوعي بمعنى الروح انظر البيت ١٤٥٥ من الكتاب الرابع والبيت ٧٣٤ من الكتاب الذي بين أيدينا) ، وتتمدد الصلة بين الفأر والضفدع بأنها علاقة عشق ، وحديث العشاق بأنه أنين .

(٢٦٧٧ - ٢٦٩٣) : إن الصلاة مفروضة على عامة المؤمنين لخمس أوقات ، هي لقاء بين العاشق والمعشوق ، ومن هنا فالعشاق في صلاتهم دائمون ﴿ الذين هم على صلاتهم دائمون ﴾ (المعارج / ٢٣) قال الشيخ الأكبر " وإن كان بين الصلاتين أمور " (مولوى ٣٧٣/٦) ، فإن خمار السكر بالخمرة الإلهية الذي في رؤوسهم لا يهن أو لا يستقر لا بخمس صلوات ولا بخمسمائة ألف صلاة ، والعاشق لا يقنع بالحديث الذي قاله الرسول ﷺ

لأبى هريرة : { زر غبا تردد حبا } (جامع ٢/٢٧) ، إنهم أسماك بحر الحياة ، لا صبر لهم عن الماء لحظة واحدة ، فهل يشبع المصاب بالاستسقاء من الماء ١؟ (انظر الكتاب الثالث ، البيت ٣١٩٠ - ٣٩١١) أنظر : إن حركة العالم كلها قائمة على العشق ، العشق هو الذي يجذب تماسك أجزاء العالم ، وأجزاء البدن ، والأضداد ، العشق هو الذي يحفظ الحياة (انظر لتفصيلات الفكرة الترجمة العربية للكتاب الثالث ، الأبيات ٤٤٠٠ - ٤٤٢٣ وشروحها) . إن العاشق منصرف بكليته إلى المعشوق انصراف وامق إلى عذرا ، (وامق وعذرا عاشقان أسطوريان في التراث الفارسي القديم وانتقل إلى التراث الإسلامي ونظمها شعرا الشاعر العنصرى والشاعر فخر الدين اسعد الجرجاني) ، فهل يمكن أن يزور المرء نفسه غباً؟! العاشق والمعشوق نفس واحدة ، فهل يحب إنسان نفسه على نوبات؟! إن هذا الأمر لا يمكن إدراكه بالعقل ، بل بالموت والفناء حيث يبقى العاشق ببقاء المعشوق (للبقاء في الفناء انظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الثالث) وهل من العقل أن تفنى النفس؟! وكيف يطلب منك قتل هذه النفس وهو الرحيم الودود أن لم يكن في قتلها حياة لك ١؟

(٢٦٩٤ - ٢٧١١) : يعود مولانا إلى ضراعة الفار للصفدع ، أي فار وأى صفدع ، إن الفار هنا رمز للسالك ، والصفدع رمز للمرشد الهادي المقيم في بحر الوجود ، والسالك يعبر عن شوقه ، ذلك الشوق الذي يشبه الاستسقاء ، فالمستسقى لا يشبع من الماء ، هو جائع إلى محبوبه ذلك الجوع الذي لا يعرف الشبع ، فجد أيها الغنى بزكاة الجاه ففي الحديث " زكاة الجاه إغاثة اللهفان " (استعلامي ٦/٣٥٢) . وذلك لأن " الموت كفارة لكل مسلم " (انقروى ٢-٦/١٢٦) . فهبني أيها الغنى لست مجدا في الطلب ولا مستقيما في السلوك ، فأين لطفك وشمس رحمتك الساطعة على المستحق وغير المستحق ، إن الشمس تشرق على القمامة ، ولا يصاب نورها ضرر من هذه القمامة ، بل إنها بلطفها تحول هذه

القمامة إلى وقود يسطع بالنور في الحمامات ، تحولها من نجس إلى زينة ، تجعل من القمامة سماداً ينبت الورود والرياحين والثمار ، هل فهمت إذن معنى تبديل الله السيئات إلى حسنات ؟! (الفرقان / ٧٠) ، وإذا كان هذا فعل رحمته ولطفه بالخبيثين فماذا يفعل بالطيبين وعبادتهم ؟! إنه يعطيهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (انظر البيت ٣٤٠٨ من الكتاب الثالث) .

(٢٧١٢ - ٢٧٢٢) : لا يزال السالك يتضرع ويتسائل : مالنا وهذا الحديث ، وما مقدار جدارتي به ؟ وأين أنا منه ؟ إنك أنت فقط إليها الحبيب الذي تستطيع أن تحول قبحي إلى جمال ، وشوكي إلى ورود وسمى إلى شهد ، لطفك فحسب هو الجدير بمحو هذا القبح ، ربيعك هو فقط الذي يستطيع أن يهب الشوك خلة الورد والحية خلة الطاووس ، وكل هذا القبح الذي في لا يؤيسني ، فإنني الجأ إلى منبع الرحمة والعطايا ، " إن شديد القبح يلجأ إلى شديد الجمال " ، ومن فيض لطفك ، سوف تبكي على إذا أنا مت حسرة في سبيل هذا الطلب ، فابك على حاجتي وضعفى وضراعتي وأنا بين الأحياء :

فلا الفينك بعد الموت تتدبى وفي حياتي ما زودتني زادي

(٢٧٢٣) : العنوان هنا حافل بالمعاني الصوفية وكلها تجرى حول معنى الوقت ، فالسالك يريد أن يلحق بالوقت الذي هو فيه ففي التأخير آفات ، والوقت بمثابة الوالد له ، وهو بمثابة الابن ، والابن دائماً ما هو متعلق بطرف ثوب أبيه ، وإلا ضاع ، والأب لا يعرف ابنه ، ولا يؤجل حاجته ، والصوفي لا ينظر للمستقبل كالعوام ، إنه نهري ، أي كالنهر دائماً في جريان وتجدد ، وليس دهرية ، أي لا تجرى عليه الأرملة من صباح ومساءً وماضٍ ومستقبل ، فكلها أمور رهينة بالعقل ، فهو ابن الوقت أي ليس محدوداً بزمان ، فكل هذه المصطلحات لا توجد في عالم اللازمان واللامكان ، وابن الوقت تعنى نفى الأرملة ، فهو يعيش في حاضر خالد ، فوقت الصوفي وارد غيبي ومشية الله وفعله ولا

فاعل سوى الحق (استعلامى ٣٥٤/٦) . ونفى الوقت يعنى نفى الزمان مثلما تعنى الله واحد نفى الاثنينية دون أن تدل على حقيقة هذا الواحد .

(٢٧٢٣ - ٢٧٢٧) : يسوق مولانا لطيفة بهذا المعنى لم يبحث لها أحد المفسرين عن أصل : ذلك الصوفى الذي قال له أحد الأسخياء هل تحب أن أعطيك درهما اليوم أو ثلاثة دراهم في الغد ، فقال لو استطعت أن تعطينى نصف درهم بالأمس أفضل من مائة درهم في الغد ، إن الصوفى يريد عطاء حاضرا ، لكنه في نفس الوقت يعطى الجواد درسا في أن الأزمنة لا تعنى شيئا عنده ، تستطيع أن تهب غدا أو أن تهب اليوم ، لكن هل تستطيع أن تهب بالأمس ، (عطية الله لنا جميعا بالأمس ، في يوم الميثاق ، وفي يوم أن حفظنا نطفنا في ظهور أجدادنا يوم الطوفان- انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٣٣١ - ٣٣٦ وشروحها) والصفحة النقد أفضل من العطاء النسيق مثل "فارسي سائر لكن مولانا يضيف : ليست أي صفقة بل الصفعة من يد الحبيب .

(٢٧٢٨ - ٢٧٣٤) : ظاهر الكلام هنا على أن الفأر يتحدث مع الضفدع ، لكن يبدو أن مولانا جلال الدين قد ترك كل ما يتعلق بالحكاية واستمر في إفاضاته عن جوار العاشق (المريد) للمعشوق (المراد) ، وروح الروح تعبير عن الخالق (انظر البيت ١٢٧٥ من الكتاب الثالث) فهنا تعال واغتم هذه اللحظة (هذا الوقت) ، والقمر هو الحقيقة والسراة هم السالكون ، والماء هو المعرفة ، والجدول هو العبد الذي يجرى فيه ماء المعرفة، والياسمين والخضرة كناية عن تجليات عشق الحق على العبد، فوجود العاشق دليل على وجود المعرفة ويعبر عنها بالماء المعين ، الحق سبحانه وتعالى قد قال أن سيماء العابدين في وجوههم (الفتح / ٢٩ وانظر البيت ٢٥٧٣ من الكتاب الذي بين أيدينا) (استعلامى ٣٥٤/٦) قال نجم الدين " سيما المحبين في وجوههم من أثر السجود لأنهم لا يسجدون لشيء من الدنيا والعقبى إلا لله مخلصين " (مولوى ٣٨١/٦) والمرج ينبئ عن المطر حتى ولو نزل بليل ، أي أن الألطاف الإلهية بادية في الخليقة حتى ولو لم ير البشر الإله .

(٢٧٣٥ - ٢٧٤٣) : يمزج مولانا بين الفأر والضفدع وبين السالك والمراد فتقرب الكنايات من الواقع ، والبحرى كناية عن الشيخ الواصل الذي يستطيع أن يعيش في بحر المعرفة والبرى هو الذي لا يزال مرتبطاً بالبر أو التراب فهو جسد لا يستطيع أن ينزل إلى بحر الروح ، ولا محيص له من أن ينتظر عطاء المقيمين في بحر الروح ، لكن يجب عليه في البداية أن يكون مقيماً بالقرب منهم على شاطئ الجدول ، حتى يصل للجسد عطاء الروح .

(٢٧٤٤ - ٢٧٤٨) : في هذه الأبيات يفسر مولانا - كعادته - رموز حكاية : فالجسد يحيط بالروح إحاطة الحبل ، فإما أن يصفو ويجذبها إلى السماء ، وإما أن يعكف على الشهوات ويجذبها على الأرض ، أما الروح فهي كالضفدع نائمة مستريحة مسترضية تحت ماء المعرفة فارغة من أذى الجسد ومن شدة ومن جذبه ، وبذلك الحبل يجذبها فأر الجسد ، والروح في مرارة من ارتباطها بهذا الجسد ، تعاني مما يشدها إليه ويسوقها إلى معاناته ، وفي جزء من الحكاية سنرى كيف يؤدي ارتباط الضفدع بالفأر إلى كثير من معاناة الضفدع ، فحال الروح مثل حال هذا الضفدع في تعلقها بالجسد الذي يعد سجناً لها ، فالروح حين نوم الجسد تكون في عالم من السرور والسعادة (عالم ماء المعرفة) وإذا لم يجذبها فأر الجسد من عالمها السعيد هذا لظلت فيه (انظر الكتاب الأول ، الأبيات ٢١٠٠ - ٢١٠٨) والبيت ٢٧٤٨ اختلف فيه المفسرون فقد فسره بعضهم بأن النهار يعنى يوم القيامة ، وتستمع إلى بقية تحرر الروح من سجن الجسد يوم القيامة من الله المتعال ، وهناك تفسير بأن مولانا يقصد بأن إفاضاته خارج الحكاية قد طالت ، وعندما يطلع النهار سوف يواصل قص بقيتها ، وكيف سيجرى الله سبحانه وتعالى بقيتها على لسانه ، وهناك تفسير آخر بأنك سوف تفهم بقية ما لا يستطيع مولانا التصريح به عندما تسطع عليك شمس الحقيقة وتصل إلى مرتبة الكمال إلهاماً من الحق (استعلامي ٣٥٥/٦) ويرى مولوى أن باقيه تستمعه عندما تستطع عليك شمس الحقيقة وتستيقظ من نوم الغفلة على فحوى " أن الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا " (مولوى ٣٨٣/٦) .

(٢٧٥٢ - ٢٧٥٨) : الحديث هنا عن الادراكات القلبية لرجل الحق والتي لا تستند على أدلة ظاهرة ، بل هي فراسة (انظر البيت ٢٧٠٤ من الكتاب الثالث) نور يقذفه الله في قلب عبده من اللوح المحفوظ فالمؤمن ينظر بنور الله ، وهي وحى الحق وليست من كتاب أو مدرسة ، ولك هذا لأن الضفدع (الروح) أحس بأن الفأر (الجسد) يعمل على توقعه في المشاكل ، ولماذا تستبعد حدوث هذا الوحي ؟! لقد حدث لذلك الفيل الذي ساقه لبرهة لهدم الكعبة (عام ٥٧٠ م) فلم يكن يتجه إلى الكعبة ، ولم يدركه سائق الفيل عندما كان يسوق الفيل تجاه الكعبة بكل ما أوتى من قوة ، بينما كان يسرع في سيره إذا وجهه جهة أخرى ، كان للفيل عالما بقهر الله وهو الحيوان ، وهناك كثير من البشر لا يفهمونه ولا يدركونه .

(٢٧٥٩ - ٢٧٦٧) : يقدم مولانا مثالا آخر على الإدراك الباطنى لرجل الغيب ، كان يعقوب ~~الطبري~~ عالما بكل ما سيحدث ليوسف ~~الطبري~~ من إخوته ، أمره إلا يقصص رؤياه على إخوته ، فيكيدوا له ، وكان يمانع في خروجه مع إخوته ، ومع ذلك فقد رضخ ، وسمح لهم أن يأخذوه ، كان قلبه دليله القاطع على فساد الإخوة وتآمرهم وتبذيرهم للغدر ، ومع ذلك ، " الله غالب على أمره " ، كان القضاء أن يحدث ما حدث ، وألا يعتد يعقوب ~~الطبري~~ بدليل قلبه ، لكن القضاء آنذاك كان يفكر بشكل مقلوب كما يفعل الفلاسفة ، وهكذا دين القضاء وفعله ، وحين يجئ القضاء يضيق القضاء . " وإذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره سلب عن نوى الحاجة عقولهم حتى ينفذ فيهم قضاءه وقدره فإذا أمضى أمره رد عليهم عقولهم وفتحت الندامة " (انقروى ٦-٢ / ١٣٥-١٣٦) ولتفصيل الفكرة انظر الترجمة العربية للكتاب الثالث ، الأبيات ١٦٤٥ - ١٦٥١ وشروحها والأبيات ٤٦٤ - ٤٧٣ وشروحها و ٣٨٠ - ٣٨٩ وشروحها) .

(٢٧٦٨ - ٢٧٧٩) : القضاء سواء كان حلوا أم مرا ينبغي أن يرضى به المرء لأن رضا الله سبحانه وتعالى لا يكون إلا بهذا ، ومهما كان القلب صلبا فإنه يصبح في يد العناية الإلهية في ليونة الشمع ، يصبح القلب المستير غافلا ، بل تكون غفلة مقصودة لكي ينفذ قضاء الله

، وهذا الأمر ليس من الدهول ، إنه ابتلاء ، (انظر البيت ١٥ من الكتاب الذي بين أيدينا والبيت ٧٤٣ من الكتاب الثالث) لكن هذا الابتلاء الواحد يخلصه من مائة بلاء. كيف هذا؟! انظر إلى العامى يشرب الخمر الإلهى فيخلص هذا الخمر من كل القبحاء الذين يحيطون به ، يصبح ناضجاً حراً ، لا يأبه بخيالات الخلق وأوهامهم ، يستطيع بعدها أن يكون عالماً ببحر العناية الإلهية وجزره ومده . وعند السبزواري (ص ٤٢٣) المقصود بالصحراء هنا سعة عالم الملكوت وهذا العالم إلى جوار عالم الملكوت كحلقة في فلاة ، فالأرواح الثملة بعشق الأحد تأتي بشكل متواتر من عالم الملكوت إلى عالم الملك والشهادة ثم تعود .

(٢٧٨٠ - ٢٧٨٨) : نحن كلنا مسافرون في هذا الطريق ، طريق الحق ... تأتي منه ، وعن طريقه تكون عودتنا ، كل جاء ونعيم ومنصب يصل من ذلك العالم الذي يبدو عدماً ولا وجود ظاهري أو صوري له وهو اصل الوجود ومنبعه (انظر البيت ٣٧٧٢ من الكتاب الثالث والبيت ١٣٦٧ من الكتاب الذي بين أيدينا) وكل ما يبدو في عالمنا هذا إنما جاء من ذلك العالم ، ومن ذلك العالم ، تأتي القوافل كل صباح ومساء (المولودون) إلى عالم الشهادة من عالم الغيب ، وفي المقابل تمضي قافلة أخرى (الموتى) إنما نبدو مقيمين (جلوساً) لكننا في الحقيقة سائرون وماضون ، أليس كل ما نكتبه هنا في الحقيقة هو من أجل المال ، من أجل ذلك العالم الآخر الذي لاشك أننا عائدون إليه من نفس الطريق ، وهكذا سفر الرجال لا يكون سقراً هنا وسيراً هنا بل يكون سيراً إلى هناك ، إلى تلك الناحية ، إلى عالم المستقبل .

(٢٧٨٩ - ٢٧٩٤) : كيف يكون هذا السفر الذي تحدثت عنه؟! إنه تماماً كما كان يكون ورود الأفكار والصور والخيالات على القلب ، فكرة بعد أخرى ، وصورة بعد أخرى وخیال بعد آخر ، كلها تسرع ظمأى نحو منبع القلب تملأ جوارها وتستمد القوة ثم تعود ، كأنها كواكب الفلك ، تدور عليك بالسعد وبالنحس ، بعضها رحمانى وبعضها شيطانى ، فإن كانت سعداً اشرك وأثر بما أعطيت ، وإن كانت نحساً فتصدق واستغفر " إذا أصبحت فتصدق

بصدقة تذهب عنك نحس ذلك اليوم ، وإذا أمسيت فتصدق بصدقه تذهب عنك نحس تلك الليلة " (أحاديث مثوى ، ص ٢١١) .

(٢٧٩٥ - ٢٨٠٣) : من نكون نحن لنذكر هذه الأمور ؟ أو لنسيطر على هذه الأفكار؟ إنى أناجيك يا خالقي ومليكي ، فأنت فوق الأفلاك ، فدر دورة واشملني برعايتك وعنايتك ، وحول سير أفكارى إلى الطهر والنقاء ، وامح عن الروح أدران الذنوب ، واسطع عليها بأنوارك ، أنوار معرفتك ، فهذه الروح التى كالقمر أصابها الخسوف عندما صارت في مرحلة الذنب ، وما هذا إلا من الخيال والوهم والظن (عن الخيال انظر البيت ٢٧٧٨ من الكتاب الذي بين أيدينا وعن الظن انظر الترجمة العربية للكتاب الثالث ، الأبيات ٤١١٢ - ٤١٢٣ وشروحها والبيت ٢٣٣٠ من الكتاب الذي بين أيدينا) ، خلصها يا إلهى من بئر الدنيا وما يشدنا إليه من حبال إما أن نقذفنا في أعماقها أو تخلصنا منها (انظر الكتاب الأول البيتين ٨٥١ و ٨٥٢ والكتاب الرابع البيت ٦٧٤) ، فمن هذه الرعاية يستطيع القلب أن يجد جناحين يحلق بهما خارج سجن الجسد ، هيا أيها العزيز ، فإن الروح تتعذب في سجن البدن مثلما تعذب يوسف عليه السلام في سجن العزيز ، هيا ، يا صادق العهد في نجاة عبادك الطيبين ، شاهد رؤيا في نجاته (سورة يوسف / ٤٣ - ٥٤) هيا ، فالله يحب المحسنين ، إن البقرات السبع العجاف (أعضاء الجسد) تأكل البقرات السمان السبع (لطائف القلب السبعة) أو بتفسير نقله المولوى " أراد بالبقرة العجاف النفس ومشتبهاتها المشبه بجهنم من حيث أن كلا منها يأكلن الدين والطاعات وأراد بالسنبلات اليابسات الوسوس والشيطانية ومن السنبلات الخضر الصفات الحميدة (مولوى ٣٩٠/٦) ، فهيا يا إلهى ولا تجز على أن أظل على هذا الحال في التأرجح بين الطين والنفخة الإلهية ، وبين الأرض والسماء .

(٢٨٠٤ - ٢٨١٦) : هيا يا إلهى ، إن يكن ثم حبس أو سجن فليكن يوسف زوحى في حبسك أنت وفي سجنك أنت ، وخلصنى بهذا السجن من أيدى نساء الشهوة ، وأولئك الذين لا

يتصفون بصفات رجال الطريق ، فقد كان هبوطي إلى هذه الدنيا حقيقة ومجازاً من تلك الشهوة التي سيطرت على أمي ، فأمي الأولى من شهوتها إلى الشجرة المحرمة أنزلت أبي من موطنه وموطني ، وأمي الثانية من شهوتها حبستني في سجن الرحم ثم ألقت بي في سجن الدنيا ، استمع إلى نواح يوسف الروح الطيبة في سجن البدن هذا ، أو فارحم يعقوب المشيخة الذي ابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم ، أشكو يا إلهي من إخوان السوء في هذا الزمان ، أو أشكو من كيد النسوة اللاتي القين بي بعيداً عن حنان وصالك ، فأصبحت ذابلاً عبداً رقيقاً أسيراً للقوت ولمتطلبات الدنيا ، ثم ثبتت على آدم واجتبيته ، ولحقني شيء من التوبة التي تبتها عليه . في الاتقوى " من لم ينفع لحظه لم ينفع لقطه " (١٤٥/٢٠٦) . فكانت بمثابة البخور من عين السوء ، لكن مشيئتك أنت هي التي تمنع الأذى ، حتى وإن كان ثم بخور ولم تكن مشيئتك ، لأصبح ذلك البخور أذى وليس دواء ، فإن عنايتك أيها الإله هي العلاج من عين السوء ، بها إنها تبذل السيئات إلى حسنات ، وتجعل من عين السوء عينا للحسن ، إنها الكيمياء التي تبدل هذا المعدن الخسيس ، الجسد الإنساني ، إلى معدن نفيس للروح باحث عنك ، طالب لك منصرف عن كل هذه الدنيا ومغرياتها (انظر الأبيات ٥٩٢ - ٥٩٤ من الكتاب الرابع) .

(٢٨١٧ - ٢٨٢٤) : تريد أن تفهم هذا التبدل انظر إلى عين المليك تقع على قلب السالك ، فتصبح عين هذا القلب في منتهى علو الهمة ، يصبح باحثاً عن الحق ، فلا يقنع بهذه العلوم الأرضية ، لا يكون الصيد همه حتى صيد الأسود ، يصبح العاشق والمعشوق والصيد والصيد ، لا يهمه أن يصيد أو يصاد (انظر الأبيات ١٠٥٣ - ١٠٥٥ من الكتاب الرابع وشروحها) إن كل شيء ما خلا الله بالنسبة له باطل وأقل ، وهو كإبراهيم الخليل عليه السلام لا يحب الأقلين ، ولا يطلب سوى الله ، وعندما ينظر إليه الله سبحانه وتعالى بعين الرعاية ، يمنحه الرؤية الباطنية التي لا حدود لها ولإدراكها ، فتسيطر على كل حواسه ، فينظر بالله ويسمع به ويسعى به ، هذا الحس الباطني هو ملك الحواس وهو لا يفتر ولا تحقيق به الشيخوخة ولا

يشيب ، لا يعترية ما يعترى الأجساد من تغير وتبدل فهو دائم الاستمداد من عين الحياة ، التي لا ينضب معينها ولا يغور ماؤها ولا يكدر ولا يأسن .

(٢٨٢٥) : لم يهتم أحد من الباحثين بإيراد أصل للحكاية التي تبدأ بهذا البيت ، والمراد أن كلا من البشر له خاصيته من الخواص ، لكن الذي يكون مدعاه للنجاة ذلك الذي رأى السلطان ليلا ثم عرفه نهارا ، إنه صاحب قيس من نور الغيب وهو في الدنيا .

(٢٨٣٢) : فسر استعلامي (٣٦٠/٦) قيروان بأنها مدينة القيروان وقال أنها في ليبيا (١١) وقيروان هنا الليل المظلم الذي يشبه القار .

(٢٨٣٥) : " الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا " .

(٢٨٣٦ - ٢٨٤٠) : الكلام هنا عن العارف الذي يعلم بمجرد مطالعة تراب الجسد قدر الاستعداد الروحي الموجود فيه وهو متفاوت تفاوتاً شديداً بين الناس ، وكان ليعقوب عليه السلام هذه الخاصية فقد اختص بشم قميص يوسف وهو في كنعان بينما كان حامل القميص لا يعرف عن سره شيئاً ، وكانت أيضاً لمحمد ﷺ الذي شم رائحة أويس القرني من اليمن ، كما كانت أيضاً للمجنون الذي شم تراب ليلي وبه عرف قبرها وانشد :

أرادوا ليخفوا قبرها عن محبها * وطيب تراب القبر دل على القبر .
والبيت لمسلم بن الوليد في الأصل :

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه * فطيب تراب القبر دل على القبر .
ولعل الحكاية التي رويت عن المجنون مشتقة منه (مأخذ / ٢١٢) .

(٢٨٤٢ - ٢٨٤٤) : يزواج مولانا جلال الدين بين ذلك اللص الذي تكمن سر قوته في قبضته ، ويرى أنه مهما بلغت قوة قبضته فلن تبلغ القوة الروحانية الموجودة في قبضة المصطفى ﷺ الذي رمى وهما من الاتصال الرباني حمله إلى أعلى عليين في ليلة المعراج .
(٢٨٦٥ - ٢٨٨٥) : إنه عذر الاتساع ، فالذي يعرف الملك يطلق لسانه على الحشم ،

تصدق على المستوى الظاهري وعلى المستوى الصوفي ، واستخدام الآية القرآنية يوحى بغلبة المستوى الثاني ، كما يوحى المعنى بأن للأولياء والأنبياء حق الشفعة في العصاة من الأمة ، ويواصل اللص كلاماً لا يعقل إلا على المستوى الصوفي ، قد شاهد اللص الملك في ليل الحياة الدنيوية ، لم يشاهده فحسب بل عشقه ، ويضرب الأنقروى (٦-١٥٥/٢) مثلاً هنا هو " أطلب العلة كي أغفر الذلة " . والأبيات التالية تبتعد عن سياق الحكاية وعن جو اللصوصية ابتعاداً تاماً ، ولا يعقل أن يكون الحديث على لسان اللص ، بل هو على لسان سيد المشفعين يوم القيامة ، فلأن محمد ﷺ ما زاع بصره إلا عن رؤية كل ما سوى الله سبحانه وتعالى ، أصبح شفيعاً لكل عاص مرهما لكل جرح ، ففي ليل الدنيا كان مبصراً للحق ، لأن الله سبحانه وتعالى قد شرح صدره ، وكحل عينيه بهذا الشرح بحيث أصبح لهذا اليتيم من در الرؤية وجوهر البصيرة ما لم يكن للملائكة ، ومن جراء هذه الرؤية سماه الله سبحانه وتعالى " شاهداً " (الأحزاب / ٤٥) ، والشاهد بصيرة نفاذة ، تشاهد في قيام الليل الأسرار ، ولا يفوتها سر منها ومن هنا فإن الحق " القاضي " يعتمد على شهادة هذا الشاهد ، لا على قول المدعى ، فالمدعى غالباً ما هو صاحب غرض ، ومن هنا يطلب الله منك الزهد في كل الأغراض حتى ترتفع من مرتبة المدعى إلى مرتبة الشاهد - ذلك لأن كل صاحب غرض صاحب حجاب على الرؤية ولا يبصر الأمور كما هي - ومن هنا دعا الرسول ﷺ " اللهم أرنا الأشياء كما هي " ، ومن هنا قال الرسول ﷺ أيضاً : " حبك الشيء يعنى ويصم " ، نظرتك إلى الأشياء بغير موضوعية وبعين الغرض هي التي تبعدك عن حقيقتها ، ومن هنا عندما سقطت شمس الحقيقة في قلب محمد ﷺ فإن كل الأغراض أصبحت في قلبه بلا قيمة ، وأصبح عالماً بما في قلوب المؤمنين والكفار .

(٢٨٨٦ - ٢٨٩٥) : لكن الأمور دائماً ما تكون في خفاء ، وليس أدل على ذلك من ذلك الشيء الواضح الخفى ، روح الإنسان ، لقد أخفاها الله تعالى ، وجعلها من أمره ومن

خصوصياته التي لا يطلع عليها بشر ، فليس هناك إذن لكل عين بالإطلاع على أسرار هذه الروح ، ومن ثم فإن عين النبي وعين الولي ، أو ما يعبر عنه مولانا بعين العزيز أبصرت هذه الروح ، لم يبق شئ خفيا عنها ، فهي الشاهد المطلق وهي الفيصل في كل نزاع وحكمها هو الفصل ، ولأن الحق عدل ومن أسمائه العدل ، فالشاهد العدول يلزمه من أجل الحكم العادل ، كما أن الشاهد العدول هو عين القاضي في الدنيا ، لأنه عالمٌ بالقلب ، " احذروهم هم جواسيس القلوب " والله تعالى لا ينظر إلى الصور بل ينظر إلى القلوب ، وهناك معنى آخر للشاهد في اللغة الفارسية ، فهو يعنى المعشوق ويعنى الحسناء : وملاعبة الحسناء حجاب على وجه الحقيقة أيضا ، فإنك ترى الملاعبة ولا ترى اللاعب ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن الله تعالى يحفظ محبته لأوليائه (حسانه) في حبه ، بحيث لا يبصرهم من لا يستحق رؤيتهم " أوليائي تحت قبائي - قبائي - لا يعرفهم سوى أوليائي " ، هذه هي الغيرة الإلهية على من يحبهم ، ولولا هذا الحب لما قال لسيد الأنبياء والأولياء ليلة المعراج ، " لولاك لما خلقت الأفلاك " وينقل الأنقروى (١٦٣/٢-٦) حديثا آخر " إن الله أعطى موسى الكلام وأعطاني الرؤية وفضلني بالمقام المحمود والحوض المورود " . إنه قضاؤه بالمحبة ، وقضاؤه المسيطر على الخير والشر ، والشاهد يظل شاهدا ، ولا ينقلب إلى قاض ، وإن كان للأولياء نصيب من هذه الرؤية ، ذلك أن كلهم أسري لهذا القضاء ، فهنيئا لتلك العين الحادة ، عين الولي العزيز المرتضى التي أبصرت الحق ، وأبصرها الحق ، وأصبح لها نصيب منه . (٢٨٦٩ - ٢٩١٤) : يخاطب العارف المعروف ، إنك أنت الرقيب علينا في حلو الحياة ومرها ، وكل ما نفعه إنما نفعه بإشارتك دون علم منا ، وذلك أنك ترانا ولا نراك ، ذلك أن هذه العين الجسدية لا ترى إلا الأسباب ، وبهما لا يمكن رؤية المسبب (انظر الكتاب الثاني ، انبييت ٣١٥٦) ، لكن العين التي تصطفئها يا الله هي العين التي تستطيع أن تبصر شمس الحقيقة في ليل الدنيا المدلهم ، وهذا يا إلهي من لطفك بالعبد وإن لم يكن العبد مستحقا ، وما

الإحسان إلا بالإتمام ، فيا ربنا ﴿ أتمم لنا نورنا ﴾ (التحريم / ٨) ، ولا تبطل حبيبك في الدنيا بأن يكون مهجورا في الآخرة ، وكيف تبطله بالبعد بعد الوصال وهو أشق أنواع البعد والهجر ، لقد زرعت نبتة من حبك في قلبه ، فزوها بماء معرفتك ، وجازني يا إلهي على دوامي السير في طريقك بدوام لطفك ، ولا تحرمني من رؤية وجهك بعد أن أبصرته ، ف رؤية كل شيء سواء عبودية وغل في القدم يمنع السير ، وما خلاك باطل ، وكل نعيم زائل ، لكنها تجذب الباطلين ، ويظنون أن الكمال والرشد فيها (انظر الكتاب الرابع ، الأبيات ٢٦٥٥ - ٢٦٨٠ وشروحها والكتاب الذي بين أيدينا الأبيات ٢٨٥٢ - ٢٨٤١) ، وجاذبية كل شيء لما يشابهه ، من الأمور الطبيعية فالمعدة تجذب الخبز ، والكبد يجذب الماء ، والحسان يجذبون العين ، والرياض تجذب الشم ، لكن جذب لطفك يا إلهي هو الذي ينجينا من كل ألوان الجذب الباطلة والتي تبعدنا عنك ، فاشترنا أنت يا الله من كل هذه الأشياء ، ألسنت القائل ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ (التوبة / ١١١) .

(٢٩٢٣ - ٢٩١٥) : يعود مولانا لي قصة السلطان محمود واللصوص ، ويوجه اللص صاحب العين البصيرة بالليل الحديث إلى السلطان ، لكنه الحديث مع ذلك يمكن أن يحمل على محمل حديث العارف بالله إلى الله ، لقد اتجه إلى الملك اتجاه الظمان إلى السحاب ، فقد كان يعرف الملك ، وصاحبه في تلك الليلة التي كانت أشبه بليلة القدر بالنسبة له ، ففيها يستجاب الدعاء ، وهذا التبسط من مصاحبة المليك هو الذي جعله واعيا لما يقول ، كان " الوقت " وقته ، وفي حوزته ، ومن ثم كان جريئا في الحديث منطلقا فيه ، فهذا هو " الحال " الذي أراده فيه ، ولا ينبغي أن يفوته ، ذلك أن " الموت ولا القوت " . إن خواص الخلق وقدراتهم وفضائلهم كلها تزيد في الشقاء وفي البعد ، ولم تعد إلا خاصيتك أنت في اللطف والرحمة ، فإلى أي شيء أوصلتنا فضائلتنا وقدراتنا وقوتنا ؟! إلا أن سقطنا منه بين على أعناقنا ؟! فيها أيها السلطان محمود حرك لحيتك حتى تتجو من سيف الجلال ، فإن صاحب انظر إليك في ليل

اللصوصية والسطو هو الذي عرفك وهو الذي يرجوك .

(٢٩٢٤ - ٢٩٣٠) : وهكذا فإن الملك في يوم العرض استحيا من ذلك الذي أبصره في الليل ، إن الكلب الذي كان عارفا بالمليك لأنه تبع أولئك العارفين به ، قد لحق بهم ، وظل يذكر معهم وصنوا لهم حتى يوم القيامة ، فإن لم تكن ثم عين مبصرة ، فلتكن هناك أذن سمعية ، فبالأذن السمعية تستطيع من نباح هذا الكلب العارف أن تعرف أين توجد أسد الله ؟ هل تتعجب أنني أضرب المثل بـ كلب !!؟ إن الكلب الساهر هو الذي يعرف قيام الملوك (الأولياء) وحتى إن كان القلب سئ السمعة فمن أدراك بهؤلاء الذين ساءت سمعتهم بين الخلق ، اترك ظواهر أحوالهم ، ودعك عن لومهم ، ووظف عقلك لتتبع أسرارهم ، فرب أشعث أغبر ... ، إن هؤلاء يرون أن من السذاجة أن يبحثوا عن حسن السمعة منك لأنك لا تفهمهم في شيء ، إنهم على مثال الذهب الذي يسود ويغطي بالصدأ حتى تغمى عنه أعين اللصوص (انظر الكتاب الرابع ، البيت ٢١٧٣) .

(٢٩٣١ - ٢٩٤٩) : الحكاية هنا كما يقول فروزانفر (مأخذ / ٢١٢ - ٢١٣) مأخوذة من كتاب داراب نامه لأبي طاهر الطرسوسي وفيه بعض القصص الشعبية المتداول حتى القرن السادس الهجري . وصورة الثور البحري كما يقدمها مولانا هي صورة شعبية عن ذلك الحيوان الذي يرعى السوسن والسنبيل فتكون فضلاته من العنبر . والجوهرة الشاهانية أو الكيانية في المأثور الفارسي ، جوهرة كانت في خزانة الملك الأسطوري الضحاك ، واستولى عليها الكيانيون وكانوا يضعونها على رأيتهم ، وهي هنا رمز للروح المضيئة المستتيرة التي يرين عليها طين الجسد فيطفئ نورها ، والثور لا يعرف قيمة الجوهرة المغطاة بالطين مثل إيليس الذي لم يعرف جوهرة آدم (النفخة الإلهية) . ونظر إليه باحتقار كمخلوق من طين ، وهكذا فمنذ أن صدر الأمر للروح بالهبوط " من المجل الأرفع " وهي حبيسة في الطين ، فإياكم والهوى الذي جعل إيليس لا ينظر إلا إلى الطين من الهوى ، فالهوى حيض الرجال ،

والحائض لا تصلى ، واعلموا أن الجوهرة مخبوءة في الطين ، والتاجر يعرف قيمتها وإن كانت مغطاة بالطين، لكن الثور هو الذي لا يعرف قيمتها ، وهناك بعض الناس يعلمون أن هذه الجوهرة لديهم ، وهم أيضاً ينبئون عن آخرين لا يعلمون بوجود هذه الجوهرة عندهم ، لأنهم قد حرموا من رش النور . { إن الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل } ويشبه الانقروى (٦-٢/١٧٢) ما ورد في الأبيات وبين بيت ابن الفارض :

ومن فضل ما أسأرت شرب معاصرى ومن كان قبلى فالفضائل فضلتى
وعلى كل حال فمثل هذا الكلام لا نهاية له ، ولا يزال الفأر الذي كنا نتحدث عنه ينتظر الضفدع المعشوق على شاطئ النهر .

(٢٩٥٠ - ٢٩٥٣): عودة إلى قصة الفأر والضفدع ، أو المريد الذي يحتاج إلى هداية الشيخ (انظر ٢٩٦٤ و ٢٧٣٥ من الكتاب الذي بين أيدينا) ويتناوب مولانا الحديث عن ظاهر القصة وعن باطنها ، وأول الخيط هو بداية المقصود وبداية صلة المريد بالشيخ وبداية الطريق ، إن ما بينهما يشبه تماماً قلب العارف السالك عندما يجد لذة القرب وبداية الشهود ، إنه يدق وينحل ويصير في نحول الشعرة .

(٢٩٥٨ - ٢٩٧٠) : إن ما حدث للضفدع بعد أن اختطفه الغرب لأنه معلق بالخيط مع الفأر قد حدث له لأنه اقترن مع من هو من غير جنسه ، وهكذا الاقتران بالإخساء ، والمرء على دين خليله فلينظر ايكم من يخال { ، وكان مولانا يقول : الله الله الصحبة عزيزة ، لا تصاحبوا غير أبناء الجنس (مناقب العارفين ٢٨٣/١) ، (انقروى /١٩٥٩) . وهكذا العقل عندما يكون عابداً للنفس ، والنفس كأنها الأنف القبيح على الوجه الجميل ، يضيع جمال هذا الوجه ، وقبح النفس يضيع جمال العقل ، إن التجانس مهم وهو التناسب الروحي والتناسب الباطنى والانسجام الفكرى (انظر البيت ٢٩٠٩ من الكتاب الذي بين أيدينا والأبيات من ٢١٠٣ - ٢١٠٦ من الكتاب الثانى) وهكذا كان العقل يقول للضفدع : متى يكون التجانس عن طريق

الجسد أو عن طريق الصور ، والبصر غالبا ما يخطئ في الصور ، ويظن التجانس حيث لا يوجد التجانس ، انظر ، إن نملة ما تجرحية من الشعير ونملة أخرى تجرح حبة من القمح ، وتلتقي النملتان وأنت تظن أن القمح والشعير قد التقيا ، إن الظاهر غالبا ما يتحلل ويضمحل من حس الروح ، لا تنتظر إذن إلى ما يحمله الناس ، بل انظر إلى الناس أنفسهم .

(٢٩٧١ - ٢٩٨٢) : وإن لم تنتظر جيدا استخدم عقلك ، وفكر : هل تسير حبة القمح أو حبة الشعير ؟! وإذا كان الأمر بالصورة فكيف تبع الكلب أهل الكهف ؟! إنه التجانس الباطني (القلبي) (انظر ٢٩٥٢ من الكتاب الذي بين أيدينا) وهكذا عيسى عليه السلام كان في صورة البشر لكنه من جنس الملائكة ومن ثم سكن مع الملائكة في الفلك الرابع ، إن الأفصاص (الأجساد) ظاهرة والأفراخ (الأرواح) خفية ، ولا يوجد قفص يسير وحده دون حامل للقفص (تلك القوة الباطنة التي تجذب الأجساد إلى بعضها) ، إنها عين الباطن التي تكون سعيدة ويكون العقل المدرك للمعرفة الطالب للكمال أميراً عليها (انظر البيت ٣٢٩ من الكتاب الرابع والبيت ١١٢٨ والبيت ٤٤٢٩ من الكتاب الذي بين أيدينا) إن العين تميز بين الألوان لكن العقل هو الذي يعرف الفرق بين الطيب والخبيث وإلا ما قال الرسول ﷺ {إياكم وخضراء الدمن} أي المرأة الحسنة في المنبت السوء ، والمحك هو العقل ، إن الطائر الذي لا عقل له يرى الحب ولا يرى الشبكة (زينة الدنيا دون خداعها وغرورها) ، حتى هذا العقل المدرك ، هناك شبائك بالنسبة له غير مدركة ، إنه وحى الغيب فحسب ، وذلك الذي يملكه المرشدون الكاملون والأولياء فأسرع إليهم ، فإن هناك من ألوان الخداع ما هو أدق من الشعرة ، لا تبدو لك ، فتظن أن التجانس الصوري تجانسا ، وسواء بالنسبة لى أو بالنسبة لك لا يكون التجانس بالصور ، والدليل عيسى عليه السلام ، لقد جذبته الملائكة إلى أعلى ، كما جذب الغراب الضفدع إلى أعلى ، فالضفدع الذي انقاد لفأر ، أصبح من جنسه ، فاختطفه الغراب بالرغم من أنه مائي وبحري .

(٢٩٨٣ - ٢٩٨٩) : لا يزال الحديث عن التجانس ، يضرب مولانا المثل بشخصية

عبد الغوث وهو شخصية أسطورية كانت على صلة بالجن ، وكان من صحابة الرسول ﷺ من يسمى تميم الداري تقول الروايات أن الجن اختطفته وأنه بعد تجارب عجيبة عاد إلى أهله، وفي الروايات الشعبية نجد بعض القصص عن تحول بشر إلى جن ، وعن الزواج بين البشر والجن (استعلامي ٣٧٠/٦) ، وهكذا فإن عبد الغوث لأنه من جنس الجن عندما عاد إلى أهله لم يصبر بينهم أكثر من شهر واحد .

(٢٩٩٠ - ٣٠٠٠) : ومن كتبت له الجنة يصبح من جنس الجنة - فيلهمه الله القيام بفعل أهل الجنة ، ومن هنا قال الرسول ﷺ { السخاء وحسن الخلق غصنان من شجرة الجنة } ، وقال ﷺ { السخاء شجرة من أشجار الجنة أغصانها متدلّية إلى الدنيا فمن أخذ بغصن من أغصانها قاده ذلك الغصن إلى الجنة، والبخل شجرة من أشجار النار أغصانها متدلّية في الدنيا ، من أخذ بغصن من أغصانها ، قاده ذلك الغصن إلى النار } (مولوى ٤١٤/٦) . (عن أنهار الجنة وأن لها أصولاً في الدنيا ، انظر الترجمة العربية للكتاب الخامس ، الأبيات ١٦٣٠-١٦٤٠ وشروحها ، وعن أن الجنة أو النار المتمثلة من خصال البشر الطيبة أو القبيحة في الدنيا ، انظر الترجمة العربية للكتاب الثالث ، الأبيات ٣٤٥٠ - ٣٤٨٠ وشروحها) . ثم يضرب مولانا مثلاً آخر بإدريس عليه السلام ، لقد كان عند تجانس مع النجوم ، ومن ثم كان رفيقاً لرحل ، متعلماً منه ، معلماً لبقية النجوم ثم معلماً للناس أحوال النجوم ومداراتها وكيف يرصدونها (القصة هنا مختلطة بقصة هرمس انظر : سه حكيم مسلمان ، لسيد حسن نصر) .

٣٠ - ٣٠١٤) : يفسر مولانا جلال الدين التجانس أو انجذاب كل شيء إلى من هو من جنس . بأنه نوع من "النظر" ويفسر استعلامي النظر بأنه الرؤية الباطنية (٣٧١/٦) ويفسرها جعفرى نفس التفسير (٢٤١/١٤) وفسرها جلبنارلى (6/642) بالنظرة ، ولست أظنه إلا أن مولانا جلال الدين يقصد بها التناظر ، شيء ما موجود داخل كل إنسان يؤدي إلى تعارف الأرواح ، وإلى الائتلاف ، وهذا النظر - يفسر مولانا - مخبوء في كل إنسان ، وهذا النظر

عالم يجنب جاهلا (الجسد)، ثم إن الأمثلة التي يقدمها مولانا بعد ذلك تبين أن النظر ما هو إلا الطبع المخفى في الإنسان والذي قد يختلف اختلافا بينا عن الصورة (يكون المرء في صورة رجل لكنه مخفى ، أو في صورة امرأة لكنها مساحقة) ، ويكون إنسانا لكن في طبع الملائكة فهو نزاع إلى السمو ، ليس الأمر إذن بالصورة فالفار لم يحقر لشكله بل لطبعه ، والطبع قابل للتبديل ، فلو ركب طبع البشر في الملائكة لارتكبوا كل خطايا البشر والدليل هاروت وماروت ، لقد نزلوا من مقام ﴿ إنا لنحن الصاقون ﴾ (الصافات ، ١٧٥) حيث كانوا في صف العبادة إلى أخط درك في البشرية (انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٧٩٦ - ٨٠٦ وشروحها) وبدلا من إلهام الحق ، كان تعليم السحرة ببابل .

(٣٠١٦ - ٣٠٢٢) : النظر هو الطبع ، فاسع في أثر الطبع ، فحتى زيت الورد يتأثر بما يمتزج به ، وقد أورد الأنقروى الأبيات التالية لسعدى الشيرزاي في نفس المعنى :

تلقيت قطعة طين طيبة الرائحة ذات يوم في حمام .

- فقلت لها : أمسك أنت أم عبير فقد ثملت من رائحتك المحببة .

فأجابت : كنت مدرة لا تذكر لكننى عاشرت المحبوب فترة .

فأثّر في كمال الجليس وإلا فأنا نفس التراب .

كما أن البيتين التاليين يبينان نفس المعنى :

اصحب أخا كرم تحظى بصحبته فالطبع مكتسب من كل مصحوب .

فالريح أخذت مما تمر به نتنا من النتن أو طيبا من الطيب .

(أنقروى ١٩٠/٢-٦ - ١٩١)

والنفس قابلة للطبع ، والمرء على دين خليله ، والجار ثم الدار والرفيق قبل الطريق (أحاديث

مثنوى / ٢١٢) وانظر : حتى تراب القبر يعامل بقيمة من يودع فيه ، وقد يكون مزارا إذا دفن

فيه جسد طاهر :

والناس صنفان موتى في حياتهم وآخرون يبطن الأرض أحياء

كما قال الرسول ﷺ : { من زار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي } . وقال ﷺ :
{ من زار قبري وجبت له شفاعتي } .

(٣٠٢٣) : البيت المذكور في العنوان لأكثر من شاعر ، وضمنه البحتري في إحدى قصائده (٩٤/١ من طبعة دار المعارف) وفي الهامش ذكر أن البيتين في الغالب لعدى بن الرعلاء وهو شاعر جاهلي أو لصالح بن عبد القدوس المقتول على يدى المهدي بتهمة الزندقة .
والحكاية المذكورة ذات سوابق في كتاب المستجاد من فعلات الأجواد تأليف ابن علي محسن بن علي التتوخي كما وردت في الجزء الثالث من إحياء علوم الدين للغزالي ، وكيميائى سعادت (الملخص الفارسي لإحياء علوم الدين للغزالي) (عن فروزانفر مآخذ / ٢١٣) وليس بطلها في الروايات السابقة على مولانا هو بدر الدين عمر محتسب تبريز الذي لم تذكر الشروح متى وفي أي عصر كان يعيش وهل هو شخصية حقيقة أو شخصية وهمية .

(٣٠٣٤ - ٣٠٣٧) : شمس العرب هو محمد ﷺ ، والمؤمنون يعتمدون على شفاعته ، ومن كان اعتماده عليه ﷺ أي خوف له من أمثال أبي لهب ، (قرآن كريم / سورة ١١١ ، وانظر البيت ٤٣٢ وما بعده من الكتاب الثاني) والاعتماد على السحاب أي الاعتماد على المبدأ أو الأصل ، وسحرة فرعون متى كانوا يهتمون بقطع أيديهم وأقدامهم (انظر الكتاب الرابع ، البيت ٢١٠٠ وشروحه والكتاب الخامس الأبيات ٤١٢٣ - ٤١٣٩ وشروحها) . والأسد هو الولي الكامل .

(٣٠٣٨ - ٣٠٤٠) : قد يتبادر السؤال : كيف يستطيع فرد أن يكون حماية للجماعة وعونا لها ؟! ويجيب مولانا : عندما يكون هذا الفرد أمة وحدة، فإن روح الجماعة تكون كامنة فيه بحيث لا تستطيع مجموعة من البشر تقتقر إلى روح الجماعة أن تنصدي له ، ويضرب مولانا المثل بجعفر عن أبي طالب وفدائيته في القتال المعتمدة في المقام الأول على روح الجماعة

(عن جعفر ، انظر ٣٥٨٠ من الكتاب الثالث و ٢٠٦٠ من الكتاب الرابع وعن روح الجماعة انظر ٢٠٤٢ و ٣٢٨٨ - ٣٢٩٠ من الكتاب الرابع) وروح الجماعة هي الإيمان السارى في الجماعة والذي يعتبر قوة وحده .

(٣٠٥٠ - ٣٠٦٦) : ظاهر الكلام هو الحديث عن جعفر بن أبى طالب ؑ ، لكن الحديث هنا عن رجال الحق عموماً ، ويضرب مولانا الأمثال بالنجوم والشمس والقمر ، فمهما كان عدد النجوم فإنها لا تطلع متى طلعت الشمس ، ومهما كان عدد القمران فإن قما واحدا يتغلب عليها ، مع أنها لو تميزت بروح الجماعة لاستطاعت أن تمزق القط إربا ، إنها الروح ، روح الإيمان ، وروح الجمع وهي ضد التفرقة وتستطيع أن تتغلب عليها مهما كان عددها ، إلا لولا هذه الروح هل كان أسد واحد يستطيع أن يمزق مئات من حمر الوحش ؟ إنها عطية الله ، وليست الشجاعة فقط هي التي تنتصر ، بل يمكن أن تكون عطية الجمال الذي يجندل البشر ، بحيث تقطع النسوة أيديهن من جمال يوسف الطيب ويصير ملك غلاما لفتاة لجمالها ، ومن نفس هذا النور يكون لإنسان في ليل الدنيا المظلم التفريق بين الخير والشر . ويضيف الاثقروى : قال أبو هريرة ؓ : " ما رأيت أحسن من رسول الله ﷺ كأن الشمس تجري في وجهه " . وعن جابر بن سمرة رأيت النبي ﷺ في ليلة فجعلت انظر إلى رسول الله ﷺ وإلى القمر وعليه حلة حمراء فإذا هو عندى أحسن من القمر (٢٠٠/٢-٦) .

(٣٠٦٧ - ٣٠٧٩) : هذا النور الذي كان ليوسف الطيب وللموسى الطيب وللأولياء جميعاً جعل ظواهرهم نورانية مثل بواطنهم ، ثم يشير إلى نور موسى الطيب وكيف كان يشع من وجهه فلا يطيق أحد النظر إليه " مكث موسى بعدما تغشاه نور رب العالمين وانصرف إلى قومه أربعين ليلة لا يراه أحد إلا مات حتى أنه اتخذ لنفسه برنسا وعليه برقع لا يبدى وجهه لأحد مخافة أن يموت " (قصص الأنبياء للثعلبى ، ص ١٧٤ ، حق فروزانفر ، مآخذ / ٢١٤ - سرنى ٣٠٣/١) ووردت في مصيبت نامة للطار والرسالة القشيرية وأصلها من سفر

الخروج (٣٥/٣٤) . ويلعب مولانا على موضوع البرقع ، ويضيف أن الله أوصاه بأن يتخذ حجاباً من خرقة ، لأن الخرقة مشبعة بالنور ، فلا يؤثر فيها هذا النور ، فلباس العارف من كثرة التصاقه به يصبر على نوره ، في حين أن أي شيء آخر لن يصبر على هذا النور حتى ولو كان جبل قاف (اندك جبل الطور من التجلى) ، هي قدرة الله التي جعلت أبدان أوليائه تتحمل هذا النور الذي لم يتحملة الطور ، وما أجساد رجال الله وقلوبهم إلا على مثل المشكاة والزجاجة التي ضرب الله بها المثل لنوره وأين المثل هنا من الممثل (النور / ٣٥) ١١٤

(٣٠٨٠ - ٣٠٨٦) : ألا تصدق أن قلوب أولياء الله تسع هذا النور الإلهي إذن فاقراً قول الرسول ﷺ : { ما وسعتي أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن } ، وهذا ما لا يصل إليه ملك مقرب ، إنها معرفة تتم فحسب عن طريق القلب الذي هو بمثابة المرآة تنعكس فيها الأنوار الإلهية ، وبأمثال هؤلاء الذي ينعكس النور الإلهي على مرآيا قلوبهم تنهمر الرحمة الإلهية ، وكم من القلوب التي وسعت الكونين بل ووسعت ما لا يسعه هذان الكونان ، وأنواع السرور التي تشعر بها هذه القلوب لا تصل إليها أنواع السرور التي تحدث من خمسين عرس ، وأي بيان يستطيع أن يعبر عنها . ويعلق السبزواري (ص ٤٧٨ - ٤٧٩) لأنها تتحقق بتحقيق مراتب الوجود من العوالم العشرة ، تسعة منها علوية فلكية وعالم واحد سفلي عنصري ومراتب الوجود ستة أحدها الكون الجامع وهو المرآة وبقيتها خمس مراتب مرتبة الأحدية ومرتبة الواحدية وهي حضرة الأسماء والصفات، ومرتبة الجبروت أي الأرواح المجردة المرسله، ومرتبة الملكوت الأرواح المجردة المضاعفة، ومرتبة الملك أي عالم الشهادة والأجساد الطبيعية وهذه المراتب الخمسة للوجود بتعينات هذه العوالم العشرة بمقتضى النكاح الساري في جميع الذراري في عرس واحتفال ، والكون الجامع هو الإنسان الكامل هو الواسطة والمرآة .

(٣٠٨٧ - ٣٠٩٩) : عودة إلى رواية نور موسى عليه السلام والحجاب الذي صنعه من خرقة ،

والذي ما كان الحديث حتى يتحملة إذا لم يكن قد صنع من تلك الخرقه التي تشبعت بالنور من وجد موسى عليه السلام وعشقه للخالق سبحانه وتعالى ، لقد انتلفت هذه الخرقه بالنور مثلما يتحمل المحترق النار ، لم يكن نورا عادياً ، كان نور الرشاد ، كان ذلك النور الذي حرم " صافورا " ابنة شعيب وزوج موسى عليه السلام من تلك العين الناضرة إلى الدنيا ، وفُتحت منها عين الباطن فلما رأت اللذة المتأبئة من مشاهدة الباطن ، ضحت بعينها الصورية الأخرى ، وتمنت لو كان لها ألف عين لضحت بها من أجل مشاهدة هذا الجمال ، لقد حصلت على الكنز وبعد الحصول عليه في الخرابات أيمن أن يذكر أحد رواقه ومنزله ؟! إن ذلك النور الباطني الباطن بمثابة الكنز ، والعين الجسدية بمثابة الخرابه فهل يأسف أحد على ضياع العين الجسدية إذا ظفر بهذا النور ؟! وقال الشاعر :

مالي سوى روحى وبأذل روحه * في حب من يهواه ليس بمسرف .

(انقروى ٦-٢/٢٠٥)

(٣١٠٠ - ٣١١٤) : ونور الحق في صورة يوسف عليه السلام ، كان ساطعا بحيث كان ينعكس على نوافذ الدور والقصور عندما يمر في الطرقات فكان الناس يعلمون انه يمر ، كانوا يعرفون نور الحق من مروره ، وكان هذا النور ينعكس حتى على الجدران ، فاطلب هذا النور وافتح كوة قلبك تجاه نور وليك ومرشدك ، وابدأ في المشاهدة، فإن هذه المشاهدة هي العشق الحقيقي ، وبه يحل النور في الصدر ، وفي يدك أن تنظر إلى الوجوه المحبوبة ، وجوه رجال الحق ، وذلك إذا ركزت تفكيرك في أولئك الرجال ، وصحبتهم كمياء تحول المعادن الخسيسة إلى معادن ثمينة ، والقشور إلى لباب ، ويتحول الأعداء إلى أصدقاء ، فكن جميلا ترى الوجود جميلا ، وظلال الرجال هي التي تنمى بساتين الأرواح ، وأنفاسهم تحيي قتلى الغم ، أليس هو سبحانه وتعالى الذي أعطى يوسف عليه السلام ملكة تعبير الرؤيا فوق جماله ، لقد جره الحسن إلى السجن ، بينما رفعه العلم إلى أعلى عليين (التعبير مأخوذ من حديقة سنائي) .

(٣١١٥ - ٣١٢٤) : عودة إلى حكاية المدين الذي جاء على أمل محتسب تبريز الجواد ، وحديث شديد العاطفية ملئ بالوجد لمولاتا عن تبريز موطن مرشده وأستاذه ومثار وجدته شمس الدين التبريزي (حديثه عنها كحديثه عن بخارى في قصة عاشق صدر جهان في الكتاب الثالث) فهي دار السلام بالنسبة له ، وهو محمول فوق محفة من ورود الآمال ، وتبريز هي روضة الرجال ، ومنها يأتي نسيم المحبوب كما كانت رائحة قميص يوسف تأتي نحو يعقوب عليهما السلام في أرض كنعان ، وكعادة مولانا جلال الدين عندما يشفه الوجد ينطلق بأشعار عربية ، وعلى لسان المريد الذي يخف إلى حلال مشاكله ، يتحدث عن رحلة في صحراء شاسعة على ناقة (رحلة الحج) ، حيث الجنة على الأرض وحيث مناخ الصدور ، وبهاء الفردوس ، فالنور لا يزال ينزل من فوق العرش على أهل تبريز (ربما ببركة شمس الدين التبريزي) فتسعد أرواحهم بهذه الأنوار .

(٣١٣٣ - ٣١٥٢) : بينما يواصل مولانا حكايته لا يزال يتحدث عن عيوب الاعتماد على الدنيا وأهل الدنيا مهما كانوا يتمتعون به من مزايا ، ويفيق ذلك المدين من غشيته الواقعية عندما سمع خبر وفاة المحتسب وغشيته الروحية عندما وضع اعتماده كله على إنسان يفنى ولم يضعه إلى الحي الذي لا يموت ، وعندما انصرف عن المسبب معتمدا على الأسباب ، فمهما كان عطاء السيد (المحتسب) أين هو من عطاء الله الوهاب ؟! الله سبحانه وتعالى يهب الأصول التي بدونها لا تقوم القروع التي كان يهبها المحتسب : فلا قلنسوة بلا رأس ، ولا ذهب دون يد تعد الذهب ، ولا دابة دون عقل يسوسها ولا شمع دون عين تبصر النور ، ولا راتب دون عمر ينفقه ، ولا منزل إلا بأرض ، بل إن رحمته جزء من تلك الرحمة الكلية الإلهية ، والذهب من خلق الله وليس من خلقه ، والرزق من الله وهو مجرد سبب ، إن رحمتك أيها الإله بنا رحمة أزلية ، كانت قبل أن توجد ، كل ما في الكون خلق لنا من قبل أن توجد ، فرحمته وعطاؤه سبقا خلقنا وأعدا لنا ما اشتقت منه طبائعنا وأعاننا على التعايش مع

هذه الطبيعة التي خلقها قبلنا ، وأراد أن يعرفنا عليه فجعل آدم عليه السلام دليلاً عليه ومرصداً يطل علينا منه ومظهراً لآياته وأوصافه ، خلق آدم على صورته (انظر الكتاب الرابع ١١٩٥) إن الوجود الصوري للإنسان بمثابة شبكة الاصطرلاب ، تثبت صفات الأزل وتبينها ، وهذا الوجود الهش (العنكبوتي) للإنسان وضع فيه من العلوم والفنون ما جعله يعلم به أسرار الغيب والروح المطلق لكافة المخلوقات " وعلم آدم الأسماء كلها " ، لكن هذا الاصطرلاب يريد منجماً يستخدمه لكي يصل به إلى هذه الأسرار ، وإلا سقط فيها محتقراً بين أيدي العوام يعتبرونه هذا الجسد الذي يشترك فيه مع الدابة ، هؤلاء المنجمون القادرون على استخدام هذا الاصطرلاب هم الأنبياء .

(٣١٥٣ - ٣١٥٩) : لكن بالرغم من وجود الأنبياء فإن أهل الأرملة المتتالية سقطوا في بئر الغرور ، واغترروا بهذه الدنيا ، وما أشبههم في هذا بالأسد الذي أسقطه أرنب في البئر (انظر الكتاب الأول ، الأبيات ١٣١٣ - ١٣١٧) ، وكل ما تراه في بئر الغرور هذا صورة لأصل موجود في عالم الغيب ، فما هجومك على الصورة وتركك للأصل ؟! إن هذا هو سبب هلاكك في هذا البئر ، وذلك الأسد لأنه كان مقلداً تجرع خداع الأرنب (انظر للفرق بين المقلد والمحقق ، البيت ٣٠٩٥ من الكتاب الثالث والبيت ٢٧٧٨ من الكتاب الذي بين أيدينا) ، لقد خدع من خياله هو ، إن هذه الصورة ليست عطية حقيقية لكنها من عطاء ماء البئر ، إنها مجرد غش من ذلك الغشاش .

(٣١٦٠ - ٣١٦٤) : وهكذا أنت أيضاً بالنسبة لعدوك ، محدود في مضيق هذه الدنيا وفي الجهات الستة وفي رأى في الحواس الستة (الحواس الخمسة والحس المشترك) ، وهي مالم تتور بنور الله لا تخلو من الخطأ . (مولوى ٤٣٥/٦) . ويرى السبزواري أنها أغلاط المدارك الستة لأن للإنسان خمس مدارك ظاهرة يدرك بها عالم الشهادة والصورة وواحد لدرك العالم الباطن وهو العقل (ص ٣٩٥) . إن جنور عداوة العدو انعكاس لقهر الله تعالى ،

فاطلب كشفها من الله تعالى ، ثم إن حقد العدو عليك لا بد وأنه نابع من عيب فيك أنت فعالج عينيك أولاً وعالج نفسك أولاً ، إن عدوك مرآة لك ، انعكس عليها جرمك أنت ، وبدلاً من أن تعالج نفسك حتى ترى صورة حسنة في المرآة ، إذا بك تحطمها ، كيف تحطم المرآة والعيب فيك أنت (انظر الكتاب الثاني ، البيت ٢٦٩٨ والفكرة أصلاً مأخوذة من حديقة سنائي ، الترجمة العربية ، الأبيات ٤٠٣٥ - ٤٠٤٢) .

(٣١٦٥ - ٣١٦٩) : وهالك مثل آخر على سوء تقدير الإنسان : هل يأتي ذلك الإنسان الذي يؤمن بالنجوم على انعكاس صورة نجمة في الماء ويحثوها بالتراب ويعتبرها نحسا ١٤ إنها مجرد صورة وهو يخلط بها وبين النجمة الحقيقية ، وعندما يحثوها بالتراب وتختفى تظن أن النجمة الحقيقية قد اختفت ، إن النجمة في السماء ، مثلما تكون جنور الخير والشر في داخلك أنت وتطلبها وتبحث عنها ، اطلب نجمة النحاس من السماء . وقد يكون المقصود بالمرآة هو المؤمن مصداقاً للحديث النبوي : { المؤمن مرآة المؤمن } (انقروى ٦-٢ / ٢٢٠) .

(٣١٧٠ - ٣١٨١) : ما هذا الذي أقوله ١٤ بل انظر إلى حيث لا جهة ، إلى من لا تحده الجهات (انظر البيت ١٠٢١ من الكتاب الذي بين أيدينا والبيت ٣٥١ من الكتاب الخامس) ، فلا نحس ولا يسعد من النجوم ، وإليه يرجع الأمر كله ، وكل ما تأتيناك به الحواس الخمسة والجهات الستة انعكاس للعطية الحقيقية . فارجع إليه ، واطلب منه ، حتى ولو كانت عطايا الآخرين عدد الرمل ، فإنك لن تستفيد منها شيئاً إلا فترة العمر وهو عمر قصير ، أما عطية الحق لرجال الحق فإنها تستمر أبد الدهور ، فارجع إليه وافن فيه (انظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الثالث) ، إنه يعطي قوت الروح من المعرفة ومن الفيض ومن النور (انظر ١٠٦٨ من الكتاب الثاني وغذاء القلب البيت ٧٣٠ من الكتاب الأول وقوت القلوب البيت ١٢٨٦ من الكتاب الثالث وقوت الأرواح البيت ٢١١٣ من الكتاب الثالث) وإن السمعة المختفية هي القدرة الباطنية التي تجعل الإنسان مستغنياً عن السمعة المادية ، إن رجل الله يحيا كما

يحيا الجن بالرائحة (هكذا في معتقد القدماء ، انظر ٣٠٧٢ من الكتاب الثالث) حتى الروح ليست سند الحياة ، لكنه عشق الروح للحق " من عاش بالعشق لم يمت أبداً " ، فاطلب منه العشق ، فبالعشق تحيا الروح ، واطلب منه رزق الروح من المعرفة والنور لا الطعام .

(٣١٨٢ - ٣١٩٣) : إن كل الكائنات تتجلى فيها آثار الوجود الحق (انظر الكتاب الذي بين أيدينا من ٣١٤٧ - ٣١٥٠) مثل انعكاس النجمة في الماء (انظر ٣١٦٥) والحقيقة عبر القرون واحدة ، والحق هو الحق ، لكن تجلياته هي التي تتغير ، مثلما يمر الماء في الجدول ثم يحل محله ماء آخر (إنك لا تنزل نفس الجدول مرتين) ، هذه التجليات ليست تامة . لكن أساسها ثابت ، وهذه الصفات التي تتجلى فينا معتمدة على صفات أخرى معنوية ، هي نجوم عالم المعنى تشاهد صورتها في وجودنا العابر الفاني ، إن عشق الحسان على سبيل المثال هو مجرد صورة لعشق الجمال الكلي (انظر الترجمة العربية للكتاب الخامس الأبيات ٣٧٢ - ٣٧٩ وانظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الرابع ، ص ١٤) . ينقل الأنقروى (٢-٢٢٥) عن ابن الفارض :

وكل مليح حسنه من جمالها معار له بل حسن كل مليحة .
ومن ثم عندما يفنى الحسن يعود إلى أصله (عندما يفنى كل شئ في الحقيقة يعود إلى أصله انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٤٤٢٤ - ٤٤٤٠ وشروحها) . إن كل الصور انعكاس له ، وعندما ننظر جيدا فليست كل الكائنات إلا إياه ، (أساس فلسفة جلال الدين أن كل الموجودات فاضت عن الله تعالى) .

(٣١٩٤ - ٣٢٠١) : عودة إلى قصة المدين ومحتسب تبريز ، إن مولانا يجعل من محتسب تبريز في مرتبة أكمل الواصلين بحيث يقضى حاجة المدين بعيداً عن موازين هذا العالم ، وفيما سبق كان المدين يتأسف ويبدى ندمه على أنه حمل حاجته إلى المخلوق ولم يحملها إلى الخالق ، لكن عقله المدرك يعود فيقول له : ما هذا الحول ؟! ما هذه الإثنية ؟! إن الخل هو

الدبس والدبس هو الخل ، أي أن عطاء الحق وعطاء رجل الحق من مصدر واحد ، وإن كان أحدهما شديد الحلاوة كالذبس والآخر كالخل ، إنه من تصور فهمك أن تظن أن السيد المحتسب كغيره من الناس ، وهذا يثير غيرة الحق الذي لا بد وأن تثور غيرته ، من أجل أوليائه ، فكيف تعتبر هذا السيد الذي جاوز الأثير بجوده ومآثره مثل بقية الخلق الذين يشبهون الفئران القابعة في جحورها ولا تقوى على الخروج في ضوء الشمس؟! إنك أن فعلت هذا تكون كإيليس الذي لم ير من آدم إلا الطين ولم يدرك روح الحق التي نفخت فيه وكانت سبب الأمر بالسجود ، وإياك أن تعتبر مدرك شمس الحقيقة مثل أهل الدنيا (الخفافيش) ، إن خلقته وإن كانت مثل الناس بالصورة ، إلا أنه رباني لأن الله سبحانه وتعالى لا يتجلى على مثال الصورة ، إنه أدرك شمس الحقيقة ، وزال عنه جمود الصورة وجمود الإنسانية ، وفيه رائحة من الحق مثلما يحمل زيت الورد رائحة الورد ويختلف بهذا عن زيت السمس .

(٣٢٠٢ - ٣٢٢٤) : إن رجال الحق عندما بدلوا ، لم يعودوا من الخلق ، أي لم يعد بينهم وبين الخلق وجه مشاركة (عجنت أجسادهم أيضاً من النور ، الكتاب الثالث البيت ٨) ، فدعك من كل خيارائك هذه وصح بصرك بالنسبة لهم ، إنهم أرواح فحسب والإنسان روح ، فكيف يأمر الله الملائكة بالسجود لآدم إذا كان يعتبر آدم مجرد جسد من تراب فحسب ؟ لقد كان السجود لآدم لأنه روح ، روح واصله ومتصلة بالوجود الحقيقي وجزء منه ، لكن هذا الوجود الصوري مجرد جدول ، وتجلى الحقيقة فيه بمثابة تجلى صورة تفاحة من هذا الجدول من شجرة توجد خارجه ، لكن الإنسان من مجرد هذا القبس المتجلى على هذه الصورة يمتلئ بمعارف الغيب (الثمرة دليل على الشجرة وصورة الثمرة دليل على الثمرة) فلا تكن مثل أولئك الذين نزلت فيهم الآية الكريمة ، ﴿ والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات ﴾ (الأنعام ٣٩/٣٩) ، وما حاق بهم هذا الجزاء إلا لأنهم ﴿ كذبوا بالحق لما جاءهم ﴾ (الأنعام ٥/٥) ، لكنك إن أسلمت أمرك كله لله ، ونشئت الحقيقة ، صارت رؤيتك هي رؤية الحق ، وفعلك فعل الحق ، مثل أحمد المصطفى ﷺ الذي نزلت فيه الآية الكريمة ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن

الله رمى﴾ (الأنفال / ١٧) ، إن هذه الكوة التي تتجلى فيها شمس الحقيقة هي التي تدل عليها { من رآني فقد رأى الحق } (انظر البيت ٢٢٥٣ من الكتاب الثاني) ، ومن ثم فطاعته هي طاعة الحق ، ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ (النساء / ٨٠) . إن هذا النور ذاتي في محمد المصطفى ﷺ وليس رهنا بنور قادم من الكواكب تغيب بغياب هذه الكواكب، لكنه منور بالنور الذي لا ينقطع (عن الفرق بين النور والضياء ، انظر الترجمة العربية ، للكتاب الرابع، الأبيات ١٦-٢١ وشروحها) ، إن محمد ﷺ وإن كان مثل كل الأنبياء كوة لنور الحقيقة ، لكن نور الحقيقة لا تغيب عن هذه الكوة أبدا ولا يخفيه سحب (من أدران العالم) ، فهناك ألفة وأنس ومحبه بين هذه الكوة وبين مصدر النور، ومن هذا النور تثبت الثمار المعنوية إنها حاضرة مقطوفة ، تقدم إليك في سلة ، وفي طبق ، دون تعب منك ، ومن ثم فهو ﷺ منبع السعادة والإقبال ، وليس عيبا أن أسميه شجرة ففي ظلاله يستظل الخلق ، ومن ثماره المعنوية يغفر للخلق :

فاق النبيين في خلق وفي خلق ولم يدانوه في علم وفي كرم
وكلهم من رسول الله ملتمس غرنا من البحر أو رشفنا من الديم
وواقفون لديه عند حدهم من نقطة العلم أو من شعله الحكم

(من قصيدة البوصيري عن مولوى / ٤٤٣/٦) ، إنها شجرة الإقبال تكون منها السعادة لكل من يستظل بها ، وهذا هو الطعام النوراني الحقيقي الذي به تزيد الروح صحة والجسد بهاء ، لكن طعام الدنيا الذي يجلب المرض والاسهال لا تسمه طعاماً ، إنه أشبه بعقار المحمودة (السقمونيا) الذي يجلب الاسهال ، ويسميه مولانا أحياناً طعام الفلك ، ويعلم عن عدم رغبته فيه أو ميله إليه :

إن خبز هذا الفلك وماءه كالسيل بلا وفاء وأنا تمساح أشتاق إلى المحيط

(كليات ديوان شمس ، غزلية ٤٤١ ، ص ٢٠٣)

وإذا كان هذا الجسد المحمدي مظهرا لكل هذه التجليات الإلهية ومصدرا لكل هذه الأنوار

الروحانية فلماذا تسميه جسداً ، ﴿ وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق ﴾ ، لا تعتبره تراباً بل اعتبره كحلاً للعين وجلاء للبصر ، وكيف تطلب نور النجوم ، وقد سطر عليك النور الإلهي ؟ وكيف تعتبره - من وقاحتك وجهلك - وجوداً جسدياً ، وهل يبقى المدر جافاً وقد غرق في بحر الفيض الإلهي ؟ ألا يتشرب حتى هذا الجسد بعض هذا الفيض الرباني ؟ إنه قمر وكل من يلجأ إليهم سواء أهله ، إنه قمر النور الإلهي ، وهو غالب بطل مثل رستم فهل تصمد أمام رستم امرأة عجز فانية ؟ إن هذا الإله طالب في أثرك وغالب على تدابيرك وذلك حتى لا تجد سبيلاً إلا اللجوء إليه واليأس مما في يد الخلاق والطلب منه (تمهيد للعودة إلى قصة المدين) .

(٣٢٢٥ - ٣٢٢٩) : هكذا يخاطب المدين نفسه ، كيف تعتبر "السيد المحتسب" منفصلاً عن خالقه ؟ إنه وسيلة الخالق في إجراء أمره ، وإذا كان قد عاد إلى خالقه فقد فنى فيه وعاد إلى أصله ، وكيف يكون العبد منفصلاً عن سيده مفارقاً إياه ؟ إنك إن نظرت إلى العبد والسيد على أنهما إثنان ، فقد ارتكبت الشرك وفقدت المعرفة بالنص مادمت لم تفهم ديباجته ، إنها كلها وسائل إلى المعرفة وإن تصل إلى المعرفة مادمت قد فقدت الوسيلة إليها وأخطأت الخطأ الذي لا يزال الناس جميعاً يقعون فيه ، وهي أنك تنظر إلى الطين ، وتعتبر الجسد شيئاً والروح شيئاً عندما تنظر إلى الأولياء ، لا ، أنظر إليهما على أنهما شيء واحد ، وإلا صار وجودك كنبات المرخ ذاك الذي تحمى به النار يضيع ويصير بدداً بمجرد اشتعال النار .

(٣٢٣٠ - ٣٢٤٠) : يترك مولانا قصة المدين ثانية ويدخل في قصة أخرى مفادها أنك إذا تركت الطريق الأصلي الذي يقضى بك إلى الحقيقة فيستوى بالنسبة لك كل طريق إذا ضللت وسوف تكون النتيجة واحدة مثل ذلك الذي كان يسمى عمر وفشل في شراء الخبز من جميع حوانيت مدينته مدينة كاشان المشهورة بتشييعها ، والقصة تبدو أنها من المأثور الشعبي الذي كان سائداً في صراع المذاهب إبان العصر الذي عاش فيه مولانا جلال الدين وما سبقه وما

تلاه من عصور ولم يهتم فروزانفر وبقية شراح الحديقة بالبحث عن أصل لها . والقصة لها شبيه في الكتاب الخامس (من البيت ٨٤٦) حكاية البحث عن يسمى أبو بكر في سبزووار . وما هذا الفشل إلا من الحول الذي يجعل الناس يظنون أن أولياء الله جسد وروح وليسوا روحاً خالصة (عن الحول انظر البيت ٣٢٧ من الكتاب الأول والبيت ٨٢٨ من الكتاب الثاني) ويقص مولانا الحكاية بسخريته المعهودة ومن ضيق أفق الرجل الذي ينتقل بين الخوانيت مصمماً على أن اسمه عمر ، وضيق أفق أصحاب الخوانيت الذين يصممون على عدم إعطائه الخبر ، ولو كان الرجل واسع الأفق لفهم من الحائوت الأول ، وتقال إن اسمه على فما قيمة الأسماء وأولياء الله كلهم نفس واحدة ؟ فلو لم يكن الرجل أحول لما ابتلى بالجوع في مدينة كاشان . ولم لم يكن الباعة من المصابين بالحول لما أهمهم اسم الرجل في شيء .

(٣٢٤١ - ٣٢٥٧) : الأحول ذو النظرتين حرم من الشرب لأنه كسر الزجاجاة عندما صمم من حوله على أنها زجاجتان وقال له أستاذك اكسر أحدهما فكسرها ولم تكن توجد أخرى بالطبع (الكتاب الأول الأبيات ٣٢٨-٣٣٣) وإذا كان هذا هو مصير الأحول ذي النظرتين فما بالك بمن هو موزع النفس والنظر بين عشرات المهاوس والنزوات والشهوات في هذه الدنيا: المال والجاه والمنصب والنساء ، وويلك ، ستظل مثل عمر في كاشان ، ولن تنال شيئاً ، مادمت تتنقل من اتجاه إلى اتجاه ومن مكان إلى آخر ، وحيثما يبدو لك النفع الدنيوى ، وتنقل من مذهب إلى مذهب ومن اتجاه سياسى ومسلك فكرى إلى اتجاه سياسى آخر ومسلك فكرى آخر ، وأنت مستعد لبيع أمك في سبيل هذا النفع ، وليس ثم في الدارين إلا حقيقة واحدة هي الحبيب ، وإن عرفته نجوت من التنقل الذي لا طائل من ورائه ولا نفع فيه ، ولو أنك رأيت في رجل الله ورجل الحق بعض الثمار ، فلا تظن أن كل الأشجار تثبت الثمار ، حتى ولو تساوت الأشجار في الهيئة والصورة وما أشبهك ببقيس حين دخلت المصريح فحسبته لجة فكشفت عن ساقها (النمل ٤٤) فلا تنظر إلى هذا البللور وانظر إليه حقيقة في وجود رجل

الحق ، إن القيم الروحانية التي يحملها كل إنسان مختلفة فلا تتعامل مع أولياء الحق كما تتعامل مع غيرهم ، فإن لديهم ماء الخضر عليه السلام الذي لا يموت من شربه ، وليس الماء الذي تشرب منه الوحوش والحيوانات ، والقمر فيه حقيقى وليس صورة قمر ، تلك الصورة التي أضلت الأسد وأسقطته فى البئر (انظر الكتاب الثالث الأبيات ٢٧٤٠ وما بعده وشروحها والأصل من الكتاب الأول البيت رقم ١٠٥٩ وما يليه) .

(٣٢٥٨ - ٣٢٧٢) : عودة إلى قصة المدين : لقد رق له أحدهم وتوسل بالكدية وطاف بكل مدينة بتبرير يجمع له الأموال ، لكن متى كانت الكدية تصلح ؟ متى كان المتكدى يغتنى ؟ إن رجلا كريما واحداً قد يغنى يكون أداة فى يد الله سبحانه وتعالى ييسره للمعروف ، ومن ثم يكون شكر هذا المتفضل من شكر الله لأنه مصداقاً للحديث النبوى {من لم يشكر الناس لم يشكر الله} وفى الجامع الصغير {أشكر الناس لله أشكرهم للناس} وقال أبو الصلت عبد السلام بن صالح بإسناده عن النبى ﷺ {يؤتى بعبد يوم القيامة فيوقف بين يدي الله عز وجل فيأمر به إلى النار فيقول : أى رب أمرت بى إلى النار وقد قرأت القرآن؟ فيقول الله : أى عبدى إنى أنعمت عليك ولم تشكر نعمتى فيقول : أى رب أنعمت على بكذا شكرتك بكذا وأنعمت على بكذا فشكرتك بكذا فلا يزال يحصى النعم ويعدد الشكر فيقول الله تعالى : صدقت عبدى إلا أنك لم تشكر من أجريت لك نعمتى على يديه وإنى قد آليت على نفسى ألا أقبل شكر عبد لنعمة أنعمتها عليه حتى يشكر من ساقها من خلقى إليه} (جعفرى ٢٨٨/١٤ - ٢٨٩) (أحاديث مثوى ٢١٣) حتى حنان الأم، الله سبحانه وتعالى هو الذى يسره فيها لكنه سبحانه وتعالى أمرنا بشكر الأم على أساس أنها هى الوسيلة (لتفصيل الفكرة أنظر الترجمة العربية للكتاب الثالث الأبيات ٣٢٣-٣٣٠ وشروحها) إن حق المنعم من البشر ملحق بحق الحق الذى هو أصل كل النعم ، أما أن الله سبحانه وتعالى قال فى حق خير البشر (ﷺ) ﴿ صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾ (الأحزاب ٥٦) لأنه ﷺ مشفع فى أمته وأمورهم كلها تحال

عليه، ﴿ يوم نبعث من كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء ﴾ (النحل ٨٩) .

(٣٢٧٣ - ٣٣٠٧) : يقف المدين على قبر المحتسب ويقدم مرثية فيها كل صفات الجود الواردة في الشعر العربي فهو الظهير والمرتجى والغوث وهو والد الفقراء وعشيرتهم ، وهو البحر ، منه يكون السحاب الذي يمطر حتى على البعيدين عنه ، ويضيف مولانا بعض الصفات الواردة في التراث الصوفي : فهو شمس الحقيقة التي تشد من الأزر ، وهو الروح الموجودة في خرائب الجسد وهو الذي لم يعبس قط في وجه أحد "تراك إذا ما جنته متهللاً ، كأنك تعطيه الذي أنت سائله" و "وما قال لا قط إلا في تشهده لولا التشهد كانت لاؤه نعم" ، وهو متصل القلب ببحر الغيب وواهب الفيض ، وهو شبيه بميكائيل في كيل الأرزاق (أنظر الكتاب الخامس الأبيات ١٥٨٩ وما بعده وشروحها) وهو عنقاء جبل الجود والسخاء (أنظر الأبيات ٨٣٩ ، ٣٧١٢ من الكتاب الرابع) وهو أعظم من هباته من حاتم ، فحاتم يهب الرزق الذي ينفد وهو يهب الأسباب التي لا تنفد ، وهو في كل نفس من أنفاسه يهب حياة لموتى الفقر والمعوزين وليس المقصود الغنى المادى كما يقول الأنقروى (٢٤٩/٢٠٦) فالأغنياء هم الموتى مصداقاً للحديث النبوى ﴿إياكم ومجالسة الموتى قالوا ومن الموتى يا رسول الله ، قال ﷺ﴾ فالكنوز المذكورة هي كنوز الحكمة كما ورد في ديباجة الكتاب الثالث ويأخذ من كنز الحكمة الأموال العظيمة التي لا تكسر ولا تورث ميراث الأموال وقال الحكيم الترمذى الجود التام بذل العلم فإن متاع الدنيا عرض زائل ينقصه الإنفاق والعلم عكسه فإنه دائم وبقا (أنقروى ٢٥٠/٢-٦) . (لعل مولانا يتجه بمدحه إلى الشيخ) ويخلص من المدح إلى أنه الراعى والناس كالقطيع ، وهي صفة من صفات الأنبياء (يرى يوسف بن أحمد المولوى أنه وإن كان الخطاب للمحتسب إلا أن المقصود هو النبى ﷺ ٤٥٤/٦) وذلك مصداقاً لقول رسول الله ﷺ : ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم ، قيل : وأنت يا رسول الله قل : نعم ، ويسوق

حكاية عن سيدنا موسى عليه السلام ، أرجعها فروزانفر إلى تاريخ البيهقي (مأخذ ٢١٥) وأرجعها استعلامي (٣٨٥/٦) إلى البيهقي ونظام الملك في سياست نامه ، ومن ثم كان رعى الغنم - في رأى لمولانا - اختباراً للأنبياء وليرى الله هل هم جديرون برعى الأصفياء والأولياء والناس عموماً أو غير جديرين بها وهكذا كل أمير وكل مسئول {كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته} ، والراعى الذى يجيد الرعاية هو الذى يمنحه الله تعالى رعاية الأرواح ، وهكذا محتسب تبريز المتوفى ، لابد وأن الله سبحانه وتعالى قد منحه الرئاسة في آخرته ، لأنه أحسن استغلال الرئاسة في دنياه .

(٣٣١٤ - ٣٣٣٢) : العالم المقصود هنا هو عالم الروح ، وقد يكون المقصود هو المحتسب "عالم يمشى على قدمين" بتعبير سينائي ، لا إنه من المستحيل أن يسع باطن الأرض هذا العالم ، بل إنك طائر محلق نحو عالم الغيب لكن ظلك لا يزال مبسوطاً على عالم الشهادة ، أنت حي بآثارك مثلما تكون الروح حية بآثارها والجسد الذى يحملها نائم أو غافل ، ولا يدرك أحدٌ هذا السير والجولان للروح ، لأن الروح هي من أمر الله ﴿ قل الروح من أمر ربي ﴾ والياقوت النائر للسكر والعقيق القاضم للسكر هو الفم حلو الحديث في المأثور الأدبي الفارسي ، والقلب هنا مرتبة من مراتب السير الباطني أو الأطوار ، والنفس مقصود به حديث المعرفة ونو الفقار سيف الرسول ﷺ أهده إلى على رضى الله عنه، ومثال الفاخنة التي تهتف كوكو أين أين مر ذكره في الكتاب الثالث (أنظر في الأبيات ١٢٩٩ - ١٣٠٥ وشروحها) ويضيف إليها مثلاً ثانياً من الواقع المعاش ، ويتلاعب بين لفظي ماكو أى مكوك النساج ولفظ كو أى أين فكأنه أصبح نساجاً يتحدث دائماً قائلاً "ماكو ، ماكو" ويرى الأنقروى (٢-٢٥٧) أن الخطاب هنا قد يكون من مولانا لشمس الدين التبريزي ، كما يرى أن المحتسب قد ضاقت به الأرض لأن كل شئ يحن إلى أصله وفي المجلد الأول كل من يبقى بعيداً عن أصوله ظل منجذباً لآفات وصوله .

(٣٣٣٢ - ٣٣٣٥) : مائة نوع من البروق كناية عن تجليات الحق المختلفة وهي التي لا تشرق من شرق أو من غرب لكنها تشرق على الشرق والغرب (استعلامي ٣٨٦/٦) ، كان عقل المحتسب في جزرومد ، والجزر كناية عن الاقتراب من الأمور الدنيوية، والمد كناية عن الميل إلى العالم الآخر وقد غاب عن الدنيا (الجزر) وتعلق بالمد (العالم الآخر) ، والواضح أن الخطاب هنا اختلط فيه خطاب المدين للمحتسب بخطاب مولانا جلال الدين لشيخه وإن لم يحدده .

(٣٣٤٠ - ٣٣٥٤) : يعود المدين فيخاطب المحتسب على قبره : لقد رجعت إلى الله ، وعلى أيضاً أن أرجع إليه ، فمأوى الجميع إليه وما الآية الكريمة ﴿ وان كل لما جميع لدينا محضرون ﴾ (يس ٣٢) إلا دليل على هذا ، إنها كلها صور عند النقاش يحضرها أنى شاء ويرسمها ويمحوها أنى شاء ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ﴾ (الرعد ٣٩) ، وهكذا يفعل الله أيضاً مع كل مدركات الإنسان ، ويقدم مولانا جلال الدين عدة صور لما يطرأ على الخليقة من تغير فهي المتغيرة المتبدلة وهو سبحانه وتعالى الخالد الذي لا يفنى والثابت الذي لا يتغير ، والخلق في يد خلقه كالمادة في يد الصانع يصور منها ما يشاء من صور وأشكال وأدوات. فإلى متى تظل الكمامة على عينيك ، ولو رفعت هذه الكمامة لاقتن المصنوع بالصانع هياماً ووجداً ، وليست كل عين جديرة بأن ترفع عنها هذه الكمامة، ولا تكن كالسفهاء الأجلاف ولا تنتظر بعيونهم ، وكن مستقلاً في نظرتك وفي سمعك، كن صاحب رأى ودعك من آراء الآخرين ، وكن صاحب عقل ودعك من التقليد .

(٣٣٥٥ - ٣٣٧٢) : الحكاية التي تبدأ بهذا البيت لم يهتم أحد من مفسري المثنوى بأن يبحث عن مصدر لها ، ويرى استعلامي (٣٨٨/٦) أن كل الحكايات التي يرويها مولانا عن الخوارزمشاهيه من وضعه ، وخوارزمشاه هنا هو علاء الدين محمد خوارزمشاه آخر الأسرة الخوارزمشاهية التي انتهت بالغزو المغولي ، وليس من المهم أن يكون عماد الملك وزيراً

له ، وإن كان زرين كوب يرجح أنه عماد الملك ساوه الذى كان صاحب حظوة عند خوارزمشاه فى أخريات أيامه وكان فى يده الحل والعقد (سرنى ٣٠٩/١) ، فعماد الملك هنا رمز للمرشد وخوارزمشاه رمز للمريد الذى لديه جانب من الذوق وفى حاجة إلى المرشد وصرف قلبه عن مغريات الدنيا (الجواد فى هذه الحكاية) والبيت المذكور من إلهى نامه "حديقة الحقيقة" لسنائى الغزنوى هو البيت ١١١٨٠ منها (انظر الترجمة العربية لكاتب هذه السطور البيت وشروحه) والإنسان الحقيقى هو هيكल التوحيد كما قال الإمام على عندما سئل عن الحقيقة فقال : نور يشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره (سبزوارى ص ٤٨٣) ، ويرى مولانا جلال الدين أن الشئ الذى يجذب النظر لايهم أن يكون المرء محروماً منه ، بل لأن الحق يضى على صفات خاصة تجعله مقبولاً ، وهذه هى جدلية مهمة ، تبين رأى مولانا جلال الدين الدائم فى وجود قوة خاصة للأشياء المغربية ، إن خوارزمشاه معجب بالجواد لكنه يعرف أنه ليس من حقه ، ويستغفر ، ويحوقل ، لكنه يزداد تعلقاً به (ليس الوسيلة الوحيدة للانصراف عن الشهوات هو كبتها) ، ويفسر مولانا هنا بأن خوارزمشاه كلما قرأ للقاتحة كلما زاد هوساً ، الأمر إذن ابتلاء ، و "المزين فى الحقيقة هو الله" و "ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله فيه" (انقروى ٢-٢٧٧) . إنه لا يزال - سبحانه وتعالى - يبتلىنا بالأغيار (كل ما هو غير الحق) ، فإن ابتلانا فهذا تمويه علينا ، وإن صرف عنا البلاء فهذا امتحان لنا ، وإلا فإن خوارزمشاه كان مفتوناً بجواد حى ، فما بالك بالكفار المنجذبين إلى عبادة أصنام حجرية على هيئة الجياد والثيران ، إن الكافر يرى أن الصنم بلا مثل فى بهائه وجماله ، إنها الجاذبية ، الجذبة ، ولا تسأل عن هذه الجاذبية فهى خافية جداً ، فلا تسألنى عنها ، فلا العقل يستطيع أن يدركها ولا الروح نفسها تستطيع أن تدركها ، فحاول أنت أن تدرك سرها إن كنت تستطيع .

(٣٣٨٠) : فسر استعلامى البيت (٣٨٩/٦) بأنه كالللال فى طلب النور من الشمس ، وكذلك

فسره المولوى (٤٦٧/٦) ، والشمس المذكورة هنا شمس الحقيقة ومن ثم قد يكون المقصود أنه كان صوفياً واجداً لها مثل هلال الصباحى الشهير الذى ذكرت حكاية عنه (انظر الكتاب الذى بين أيدينا ١١٥٥ - ١٢٢٥ وشروحها) .

(٣٣٩٥ - ٣٤٠٩) : الأبيات هنا مناجاة فى السر يقوم بها عماد الملك "المرشد" أمام الله طالباً الصفح لمن طلب منه الوساطة لدى الملك ولم يطلب العون من الله مباشرة ، ومن يكون هو أمام القدرة الإلهية ؟ إنه يكون كالشمع والذبالة أمام الشمس الساطعة ، وهذا يكون من قبيل الكفران بالنعمة ، فالعطاء كله من الله ، والشكر يوجه لغيره وما أشبه البشر بخفافيش الظلام تلك التى تغمض عيناها عن الشمس وتأكل دودة ربها الشمس بليل ، ولا تذكر الشمس بل تتكرها ، وأين هى من ذلك الصقر الملكى الساكن ساعد السلطان الملازم له حاد البصر الناظر إلى الحقيقة ؟ وهؤلاء من كفرانهم بالنعمة معرضون دائماً للعقاب الإلهى ، وما هذا العقاب الإلهى الذى ينزل بهؤلاء الجاحدين إلا من أجل أن يثوبوا إلى رشدهم ويتجهوا إلى خالقهم .

(٣٤١٠ - ٣٤٢٤) : وهذا هو ما حدث ليوسف عليه السلام عندما نسى الله فى السجن وطلب من صاحب السجن أن يذكره عند الملك قال تعالى ﴿ وقال للذى ظن أنه ناج منهما أذكرنى عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين ﴾ (يوسف ٤٢) قال يوسف النبى ﷺ الذى كان يحاضر السجناء فى التوحيد ، عندما غلبت عليه النفس وتذكر ما فيه من أسر أراد أن يتوصل بغير الله ، وبمن ؟! بمن سجنه (!!) وبسجين مثله فى أسر الشهوات وأسر الدنيا لا يخلصه منها إلا الموت ، ولا ينجو من هذا المصير إلا من كان جسده فى هذه الدنيا ، لكن روحه دائماً فى أعلى عِلِّيِّين القرب ، وبالرغم من أن يوسف ﷺ كان نبياً ، لكن الشيطان وجد سبيله إليه ، وأنساه فكان العقاب ، قائلاً له : انتبه يا هذا ، ممن تطلب العون ؟! وهل لجأت إلينا وخذلناك ، وكيف وأنت النبى تتصرف كالعوام ، كيف وأنت البازى تتصرف كالخفافيش ، وكيف وأنت العماد العظيم ترتكن على خشب مهترئ !!

(٣٤٢٥ - ٣٤٤٢) : لكن يوسف ^{عليه السلام} عندما ذكر نذبه وثاب إلى رشدِه واستغفر ربه منحه الله الأُنس به ، والسكر بصحبته ، فلا بقي السجن سجنًا ولا بقي الظلام ظلامًا وهذا يدين الله سبحانه وتعالى في خلقه ، فكلنا خرجنا من سجن الرحم ، وحتى ونحن في سجن الرحم كنا من عطايا الله مؤتسقين به نظن انه هو العالم الوحيد ، وكنا هاربين نحو ظهر الأم نخشى الخروج ، (لتعبير آخر عن الفكرة انظر الترجمة العربية للكتاب الثالث ، الأبيات ٥٠-٦٠ وشروحها) كنت سعيداً حتى وأنت في الرحم ، وهذا يثبت لك أن اللذة والمتعة تتبثان من داخلك أنت ، لا مما يحيط بك من قصور أو حصون أو بروج ، ألسنت ترى المرء يكون سعيداً في المسجد لقربه من ينبوع السعادة والبهجة ، وآخر تراه في البستان مكتئباً وحزيناً ؟! هذا القصر هو بدنك ، فدمر هذا البدن ، فالكنوز في الخرائب ، ألا يصل السكير إلى السعادة عندما يصبح ثملاً مهدماً ، دمر هذا الدار المليئة بالصور والنقوش فإن تحتها كنزاً وعمرها بهذا الكنز (لتفصيل هذه الفكرة انظر الترجمة العربية للكتاب الرابع ، الأبيات ٢٥٤٠ - ٢٥٦٨ وشروحها) وهكذا فكل هذا ابتلاء ، أنت مبتلى بالصور مأخوذ ببريق الذهب وماء معرفتك مغطى بالزبد ، وروحك الوالهة تلك العالم من العجائب محجوب عليها بحجاب الجسد ، إنن فكما يقول المثل الفارسي : إن ما حاق بنا هو منا ، والمثل ورد أول ما ورد في شعر ناصر خسرو (استعلامي ٣٩٢/٦) . نحن الذي نستطيع أن نكون ماء أو نكون زبدًا ، أن نكون جسداً أو نكون روحاً ، أن يكون اتجاهنا إلى شمس الحقيقة والنور والفيض أو نكون كالخفافيش نتجه إلى الليل ولا منجاة لنا إلا بهدى الله إنه يهدي من يشاء .

(٣٤٤٦ - ٣٤٤٨) : إقليم " ألسنت " هو الجنة يوم عقد الميثاق أو أخذ العهد من ظهور بنى آدم على العبودية للإله الواحد (الأعراف / ١٧٢) والشراب الجديد هو الفيض الرباني الذي ينهمر من هذه الصلة المستمرة ، واللحد هو الجسد ، والعالم العظيم هو عالم الروح الملى بالعجائب ، والسرار هو عالم الباطن وعالم الغيب .

(٣٤٥٢) : عطار د حاد السير لأنه يقطع الفلك في مدة ٨٨ يوم فقط ويدور حول الشمس في أقل من ثلاثة شهور .

(٣٤٥٣ - ٣٤٦٤) : ينتقل مولانا خارج الحكاية إلى عوالمه الخاصة متحدثا عن حدة السير وسرعته : إذا كان القمر يقطع الأفلاك كلها في ليلة واحدة فكيف تتكرر على من انشق القمر بإشارة منه أن يكون معراجة في ليلة واحدة ؟! كيف تتكرر هذا على ذلك الدر الفريد لليتم المصطفى ﷺ ؟! إنك تتكرر هذا لأنك تقيسه بمقياس حواسك أنت وبمقياس إدراكك أنت فكيف وأنت لا تزال كالفرخ داخل بيضة الحواس وبيضة الدنيا فكيف تدرك أحوال الأولياء الذين يسرون خارج عالمك الضيق المحدود ويتحدثون مع الحق ؟! دعك من الحديث عن المعجزات وعن عالم الأولياء والأنبياء قلن يفهمها أحد ، عد إلى الحديث عن ذلك للجواد ، وحتى الحديث عن ذلك الجواد لن تفهمه ما لم تدرك أن الجمال كل الجمال هو هبة من الحق . وينقل الأنقروى هنا (٢-٢٨٣) حديثا نبويا : ﴿ لما أراد الله أن يخلق الخيل قال لريح الجنوب إني خالق منك خلقا أجعله عزا لأوليائي ومثلة لأعدائي وحمالا لأهل طاعتي ، فقالت الريح اخلق يا رب فقبض منها قبضة فخلق منها خلقا فرسا } . وهو يخرج المخلوقات عن طبعها ويجعل من كلب قرينا لأهل الكهف مذكورا معهم إلى يوم القيامة ، وهذا اللطف الإلهي لا يجري على نسق واحد فعطاياه مبنولة لكل الخلق ، لكنها مرتبطة أيضا بجدارة كل مخلوق ، فنصيب الجدار من إشراق الشمس غير نصيب الماء ونصيب الحجر من الشمس غير نصيب الياقوت ، إن النور لا ينعكس من الجدار لكنه ينعكس من الماء (الجدار لا ينم على النور والماء ينم عليه) .

(٣٤٧١ - ٣٤٨٢) : الدلال هو السمسار ، وعندما يكون مغرضا يكون مثل يوسف عليه السلام في الجمال مساويا لثلاثة أذرع من الكرياس وهو نوع من القماش الرخيص إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ وشروه بثمن بخس دارهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين ﴾ (يوسف / ٢٠) والبيت لسنائى (انظر شرح البيت ٣٣٥٥ من الكتاب الذي بين أيدينا) وهكذا الشيطان يقوم

بالسمسرة والبضاعة إيمانك ، يأتيك في حمى الموت ، ويريد أن يقايض على إيمانك بشربة ماء ، وفي الأبيات إشارة إلى حكاية وردت في مقالات شمس الدين التبريزي (ج ١ ، ص ٢٣١ - ٢٣٢ من نسخة محمد علي موحد) وفحواها انه - أي شمس الدين - قرأ في طفولته حكاية في كتاب أن إبليس ظهر لشيخ عن النزع وقد تحلق حوله يريدون يطلبون منه أن ينطق بالشهادة وهو يحول وجهه عنهم ويقول : لا أنطق ، ومهما ألحوا عليه لم ينطق بها وعندما ارتفع صراخهم وضجيجهم وتساءلوا فيما بينهم إذا كان هذا هو حال الشيخ فماذا ستكون عليه أحوالنا ، ، أفاق الشيخ : قال ماذا حدث ، فقصوا عليه ما حدث ، فقال : لا علم لي بما كنتم تقولون ، لكن الشيطان كان قد زارني وأخذ يحرك قدحا من الماء المثلج أمامي ويقول : أظمان أنت ؟! وأقول له نعم ، فقال : قل أن لله شريكاً وأعطيك إياه وكنت أحول وجهي عنه ، وأقوله له : لا أقول هذا ، وهكذا أنت أيضاً كالطفل تبيع الغالي بالرخيص ، وهناك أمانى وآمال وصور في خيالك لكنك لا تدري أن هذا كله خداع وأن هذه الصور الضخمة الفخمة أمامك سوى يكون مآلها إلى الاتحاق مثلما يحق البدر هلالاً .

(٣٤٨٢ - ٣٤٨٩) : العاقل هو من تدبر العواقب ونظر إلى عواقب الأمور ، فالدنيا بمثابة الجوز المتعفن وكل شئ فيها مآله إلى زوال (لتفصيل الفكرة انظر الترجمة العربية للكتاب الرابع الأبيات ١٥٤٣ - ١٦١٧ وشروحها) والفرق هنا أن خوارزمشاه كان ناظر إلى " حال " الجواد ، لكن عماد الملك كان ناظر إلى " مآله " وكل نعيم لا محالة زائل " ولولا أن الرسول ﷺ كان قد نظر إلى مآل الدنيا وعاقبتها ، أترأه كان يسميها جيفة ويسمى طلابها كلاباً ؟! لقد أصاب " قول " عماد الملك الملك في الصميم لأن القول لم يكن صادرا عنه ، وترك عينه واختار عين الوزير لأن عين الوزير كانت أحد بصرا ، لكن كل هذه أسباب وذرائع ، لكي يبرد حب الجواد في قلب الملك ، ويغلق الباب على حسنه ، ولم يكن كلام الوزير إلا مجرد صرير لهذا الباب ، فالأبواب الإلهية تفتح وتغلق ، ونحن لا ندرك إلا صريرها .

(٣٤٩١ - ٣٥٠٢) : يترك مولانا القصة وينطلق في تحميد الخالق ذي الآثار العظيمة على

بواطن العباد ، يغيرها ويبدلها كيف يشاء ، يقيم من المواقع والعقبات أمام أفكارهم وتدابيرهم ، ويحولهم عن طريق " فسخ العزائم " إلى طرق أخرى (عن فسخ العزائم انظر الترجمة العربية للكتاب الثالث ، الأبيات ٤٤٦٥ - ٤٤٧٥ وشروحها) وما حديث القلب (القول والرقى) إلا من فعله تعالى ، وهى كلها مثل باب قصر السر ، وهذه الوسوس والرقى والأقاويل من قبيل صرير الباب وكل قول وكل حديث نفس ينبئ عما يجرى في الباطن ، وهل يفتح باب الحق أو يغلق ، فانظر في باطنك أ توجد أصوات الفتح أو أصوات الغلق ، فإذا كان الصوت في باطنك صور باب الحكمة الإلهية ، هو داعى الخير ، فإن بابا قد فتح لك من رياض الجنان ، وفي الحديث هذه الأصوات يظهر دليلها في أفعالك ، لكنك قد تكون لغيرك مكشوفة وكأنه يطل من " شرفة " ، ألسنت تحس بالراحة من فعلك الخير ، وتختفى هذه الراحة عندما ترتكب شراً ، أنت معيار نفسك ، فانظر إلى باطنك ، فأنت أدري به من غيرك ، فلعلك تعلم أنه من الحمق والبله أن تترك نظرك أنت فيما يتعلق بك أنت ، وتسلم نفسك إلى أنظار الأخساء الذين يجذبونك نحو جيفة الدنيا وكأنهم النسر الجارحة ، ولك عين واسعة كأنها زهرة النرجس ، ومع ذلك تصبح كالأعمى تريد من يأخذ بيدك ، وتكتشف فيما بعد أنك من استعنت به للأخذ بيدك هو أكثر عمى منك ، فهل يكون غيرك أكثر دراية منك بأحوال نفسك (٣٥٠٣ - ٣٥١٣) : لكنك لازلت تقول أنك لا تستطيع وتريد من يأخذ بيدك ، حسنا ، إليك من يأخذ بيدك ، إنه حبل الله المتين ، الذي أمرك الله سبحانه وتعالى بأن تعتصم به (آل عمران / ١٠٣) وهو ليس عند أحد ، لكنه في حوزتك أنت ، إنك إن فعلت ما أمرك الله به ، وانتهيت عما يأمرك الهوى به ، فقد استمسكت بحبل الله فكل ما حاق بالقوم إنما حاق بهم من الهوى ، لقد انقلب الهوى على قوم عاد ريحا صرصرا (الحاقة / ٦ وانظر البيت ١٣٥٧ من هذا الكتاب) . وكل ما يحيق بالناس يحيق بهم من هوى النفس وشهواتها ووسوسها ، السمكة

توقعها شهوتها إلى الطعم في المقلاة ، والمحصنة تترك حياءها من الهوى ، والعقاب الذي يوقعه الشرطي إنما يكون من جراء الهوى (لأفكار وتعبيرات مشابهة انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ١٦٩٥ - ١٦٩٩ وشروحها) ، كل هذا يحيق باتباع الهوى على الأرض فما بالك بشرطة الأرواح وأحكامها ، تلك التي تعذب هنا من الداخل ، ويوم القيامة يكون العذاب على المملأ ، وذلك عندما تنجو من جسدك ، وإنك لن تدرك هذه المعاني ما دمت غارقاً في جب الإثم والفساد، فهل تراك تتخيل أو تستطيع أن تتخيل أن هناك خارج هذا الجب رياضاً وجناناً ، لك أن تعلم الأضداد من أضدادها فبضدها تتميز الأشياء ، فإن تركت الهوى شربت من نهر التسليم في الجنة ، وكن ثابتاً كالذوذة الباسقة لا تكن مثل العشب يميل عند أي هواء (هوى) وسل الله سبحانه وتعالى أن يهبك سلسبيل الجنة ودعك من هذه المساكن الواهية ، فظل الله هو الباق .

(٣٥١٤ - ٣٥٢٧) : نهاية قصة خوارزمشاه وطمعه في جواد الغير ، إن الله عندما يريد يجعل لكلام رجل الحق تأثيراً يغلب على رأي صاحب البصر وعلى هواه ، إن الرجل العظيم خوارزمشاه لم يسأل نفسه ، كيف يضع الله رأس ثور على جسد جواد ؟! كيف يفعل ذلك وهو الذي أتقن كل شيء صنفاً ؟! إنه هو الذي خلق الأبدان متناسبة ، وجعل الأعضاء مناسبة للأبدان ، انظر إلى هذه الأجساد المتحركة وخلفيتها كأنها القصور الشامخة العظيمة ، وجعل لها مخارج ذات اليمين وذات اليسار ومن فوق ومن تحت ، وجعل فيها صهاريج ، وضع في البدن بعضه حالات هي محل للفيض الروحاني صهاريجها الحواس ومياهاها متغيرة وهناك أيضاً حواس باطنة ، وفي جوف هذه الخلقة عالم لا متناه ، وبين خيام الشعر فضاء زائد واسع كالصحاري والبراري (مولوى ٤٨٢/٦ - ٤٨٣) " أنزع منك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر " ، (انظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الرابع ، الإنسان ذلك العالم الكبير) ثم انظر إلى صنعة الله كيف يبيدها لعباده ، يجعل أحياناً من القمر - وهو في الخسوف - كأنه

الكابوس (فى خسوف القمر أثبت العلم الحديث أن كثيرا من الكوابيس تبدو للخلق) ، وألم يجعل قاع الجب روضة على يوسف عليه السلام ؟! كان راضيا وكان الله قد أبدى له أن الجب هو بداية العرش والملوكية، أحيانا يكون القلب في قبض ، وأحيانا في بسط (إصبعي اللطف والقهر والجمال والجلال اللذين فسر بهما الصوفية حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم } قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبه حيث يشاء { ، وإذا لم يكن الأمر كذلك وأن الأمور قد تكون عكس ما تبدو عليه ، لماذا طلب المصطفى صلى الله عليه وسلم من الله سبحانه وتعالى قائلا : { اللهم أرنا الأشياء كما هي { إن ما قام به عماد الملك لم يكن إلا مكرًا ، لكن الله سبحانه وتعالى هو الذي أرشده إلى هذا المكر ﴿ والله خير الماكرين ﴾ (آل عمران / ٥٤) (ومن هنا فالقلب ، بين إصبعيه) (انظر لتفسير مولانا عن الإصبعين الكتاب الثالث ، البيت ٢٧٧٩) ، حتى مكرك وقياسك وجدلك وتفلسفك وفيهتك الله تعالى هو الذي يضعها في قلبك ، يستطيع أيضا أن يمحو هذه الأشياء كلها ويضرم فيها نار الغيرة الإلهية ، ويشير الانقروى (٦-٢ / ٣٠٥) إلى حديث نبوى هنا : { من ضيع أيام حراته ندم في وقت حصاده } .

(٣٥٣٦ - ٣٥٤٢) : في ثايا الحكاية يتحدث مولانا جلال الدين على لسان الواصلين ، فهم يكتمون الأسرار حتى يبقى نظام الدنيا على ما هو عليه . ويشير الانقروى (٦-٢ / ٣٠٣-٣٠٤) إلى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم { لو تعلمون ما أنتم ملاقون بعد الموت ما أكلتم طعاماً على شهوة أبداً ولا شربتم شراباً على شهوة أبداً ولا دخلتم بيتاً تستظلون ولرقيتم إلى الصعادات تدمون صدوركم وتبكون على أنفسكم } . (انظر الكتاب الأول البيت ٢٠٧٧) عماد الدنيا قائم على هذه الغفلة ، (لتفصيل نفس الفكرة انظر الترجمة العربية للكتاب الرابع ، الأبيات ١٣٢٤ - ١٣٥٣ وشروحها) ومعنى أن قدر المحنة يصبح نصف ناضج أي أن المريد الذي لم يصل إلى الحقيقة بعد قد يكون سماع الأسرار مضرا به (استعلامي ٦ / ٣٩٧) ، إن ما يتركه الواصلون عند مغادرتهم الدنيا هو الصورة : هو الآن والشفاء الظاهرة فلا سمع ولا نطق بها

في عالم الروح. ألتست تخفى البذرة التراب ، وإن صارت نباتا ظهر على وجه الارض ١٢

(٣٥٤٧) : إشارة إلى الحديث الدال على الخير كفاعله (انقروى ، ٣٠٦/٢٦) .

(٣٥٥٢) : والإشارة هنا إلى الملوك " تحت الأظمار " (انقروى ٦-٢/٣٠٨) .

(٣٥٥٣) : إشارة إلى الحديث النبوى الشريف : { إذا بايعت فقل لا خلافة ولى الإختيار ثلاثة أيام } (انظر البيت ٣٤٩٨ من الترجمة العربية للكتاب الثالث وشروحه) .

(٣٥٥٩) : من حديث نبوى ورواه ابن ماجه عن ابن عباس ؓ في الجامع الصغير :

{ العائد في هبته كالعائد في قبئه } (جامع / ٢-٦٧) ، وفي رواية { العائد في هبته كالكلب يعود في قبئه } (مولوى ٦/٤٨٨-جامع) .

(٣٥٧٢) : رؤية الفيل للهند فى النوم كناية عن الحنين إلى الوطن (حنين الإنسان أيضاً إلى موطنه الأصلي) (انظر الكتاب الثانى الترجمة العربية البيت ٢٢٣٩ وانظر الترجمة العربية للكتاب الثالث البيتين ٤٢٠٤ ، ٤٢٠٥ وشرحهما والترجمة العربية للكتاب الرابع الأبيات ٣٠٦٨-٣٠٧٣ وشروحها) .

(٣٥٧٥ - ٣٥٩٢) : فى نهاية قصة المدين ومحتسب تبريز يسوق مولانا فيض معرفته فى موضوع من الموضوعات المحببة إليه وهو أن فى عمل الحق علل وأسباب لا تتطابق مع موازين الحياة المادية المحسوسة ، وبحر السرور يعنى الوجود المطلق وبحر عالم الغيب (انظر الأبيات ٨٠٩ ، ١٣٨٢ ، ٣٢٨٠ من الكتاب الذى بين أيدينا) واليقظة فى النوم والألباب فى إنعدام الألباب تعنى أنه قد يفتح فى النوم عالم من السرور قد لا يفتح فى اليقظة ، وأن العقل فى ترك العقل والتدابير فى انمحاء التدابير ، وهكذا ، ففى ذل الفقر يكون الغنى الروحانى والدولة السرمدية ، إن الأضداد دائماً ما هى مختفية داخل بعضها (انظر الكتاب

الأول البيت ١١٤٠ والبيتين ٧٤١ ، ٣٥٠٩ من الكتاب الذى بين أيدينا) ألت ترى الماء المغلى ، إن النار قد امتزجت بالماء ، ونار النمرود صارت على إبراهيم عليه السلام روضة زهور نضرة ، والمال يربو من الزكاة والصدقات أى الإتفاق ولذلك قال ﷺ {السماح رباح والعسر شؤم} (أحاديث مثوى ص ٢١٧) و {ما نقص مال من الصدقات قط} إشارة إلى الحديث النبوى الشريف {ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه} (الجامع الصغير ١٥٣/٢) وفي الحديث النبوى : { مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار عذب على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ، فما يبقى ذلك من الدنس شيئاً } (انقروى ٣١٧/٢-٦) وعن الوجود المخبأ فى العدم والأشياء التى تبدو بعكس ظواهرها (أنظر الكتاب الخامس الأبيات ١٠١٠-١٠٥١ وشروحها وتأويل : لقد أخلص آدم فى السجود لله فجعله مسجوداً للملائكة) .

(٣٥٩٣ - ٣٦٠٩) : فى هذه الأبيات نبداً آخر حكاية طويلة من حكايات المثوى وبنهايتها ينتهى الكتاب السادس من المثوى . وتسمى هذه القصة بقصة قلعة ذات الصور أو القلعة التى تسلب اللب ، ومعظم مفسرى المثوى يعتبرون هذه القصة ناقصة وبالتالي يعتبر المثوى ناقصاً . وهذه النظرة نشأت من معرفة أصول الحكاية ثم صمت مولانا عن إكمالها وفى الواقع - والكلام لاستعلامى - أن القصة ليست ناقصة وبالتالي ليس المثوى ناقصاً . لماذا؟ فى بداية المثوى تمثل الروح العارفة بعالم الغيب بالنأى الذى يشكو من أنه أجتث من منبته ، وقيد فى عالم التراب ، والناس جميعاً يضجون من أنينه وشكواه ويبحثون عن أوان وصلهم ، هذه الشكوى الموجهة من النأى منبثة من كل المثوى ، وفى الواقع فإن الأبيات الثمانية عشرة الأولى من المثوى هى خلاصة خلاصته ، وفى الحكايات الأخرى الواردة فى كل أجزاء المثوى هناك شخصيات باحثة كما كان النأى يبحث ، هؤلاء الباحثون عن المبدأ العشاق للحق أحياناً يسرعون ويتعجلون ويسقطون ، وأحياناً يسقطون ضحايا للأناية والنرجسية فيتعرضون

لغضب الحق ، وأحياناً يواصلون رحيلهم الروحي بصبر وصمت فتكشف لهم أسرار الغيب .
وفي الحكاية التى بين أيدينا يمثل كل ابن من الأبناء نمطاً من أنماط السلوك ، ويعتبر بعض
شراح المثنوى الملك هنا بمثابة المرشد والأبناء الثلاثة بمثابة النفس والعقل والروح الباحثة
عن المعرفة ، ويعتبرونها مراحل ثلاثة لكمال المريد ، وهذا التفسير ليس صحيحاً لأن
الصفات التى يقدمها مولانا للأبناء الثلاثة لا تجعلهم مختلفين إلى هذا الحد بحيث يمثل كل
واحد منهم مرحلة من هذه المراحل الثلاثة ، فالثلاثة عشاق لمعشوق واحد غير مرئى ، وكل
واحد يدل الآخر - دون وجود روح المنافسة - على طريق الوصول إلى محبوبه ، فنحن
بالفعل أمام ثلاثة أنماط من السالكين إلى طريق الحق ، وكأن مولانا كان يقول لمريديه قبل
نهاية المثنوى أن السير فى طريق الحق يتمثل فى هذه الأساليب الثلاثة . والأمير هو الإنسان
عموماً وتكرر المعنى كثيراً فى المثنوى (وهو أشد وضوحاً فى الحديقة) ، ووالدهم هو عالم
التراب هذا ، هؤلاء الأبناء يتركون والدهم طلباً للرحيل فى الآفاق والأنفس، ويريد والدهم أن
يردهم إلى عالمهم ويحذروهم من الرحيل إلى قلعة ذات الصور ففيها صور قد تجرهم إلى عالم
آخر، وليست هذه الصور إلا تجليات عالم الغيب فى عالم الشهادة . وفيها توجد صورة ابنة
ملك الصين تسلب لب الأبناء الثلاثة ، بحيث ينسون العودة إلى والدهم، هذه الصورة هى كأس
خمر تهب الأبناء الثلاثة خمر الروح ، وواهب الخمر ملك الصين رمز للخالق يصفه مولانا
بأوصاف الحق ، فهو عالم ببواطن هؤلاء السالكين ، يهبهم أضعاف أضعاف ما فقدوه فى عالم
التراب . هذه الحكاية هى فى الواقع حكاية السلوك الصوفى يبدأ من بلاط ملك العالم وبعد
قطع الفيافي والوهاد والجبال يحوزون وصال ملك الصين أى الوجود المطلق ، فى هذا
السلوك نرى ثلاثة من السالكين ، كل منهم ممدوح عن الآخر " لكن أسلوب السلوك ليس
واحداً ، فالأكبر من رؤية للصورة يرى أنه ينبغي على من هذا التجلى الصورى أن يبحث
عن بنت ملك الصين ، لكنه متسرع يلقي بنفسه فى بلاط ملك الصين دون أن يتأكد أن هذا

البلاط سوف يقبله أو لا يقبله ، ويتطلف معه الملك ، لكن تسرعه يرد به وينتهى عمره دون أن ينضج ويرى النور ، ويحضر الابن الثانى على جثة أخيه فى حضور ملك الصين ويشمله الملك برعايته ، لكنه لا يملك الاستحقاق ، ويعتبر عناية الملك به للكمال فيه ، ويطغى ويتمرد قائلاً أنا أيضاً ملك وابن ملك، فيصميه سهم الملك ، لكن الابن الأصغر لا يبدى أى فضل أو ادعاء أو تسرع ، فلا هو متسرع كالأول ولا هو مغرور كالثانى ، بل ولا يذهب إلى بلاط ملك الصين لأنه فان فى العشق قبل كل هذه المنازل ، والإبنان الآخران يعدان نفسيهما من محبوبى الملك دون أن يقطعوا كل مراحل الكمال ، وعندما يرمى الملك الابن الثانى بسهم ويصميه ييكي على جثته .

والحكاية (أو بعضها وملخص شديد لها) موجود فى مقالات شمس الدين التبريزى ، وفى تفصيل مصير الابن الثالث الذى لم يرد فى المثنوى يقص شمس الدين أنه بعد مصرع أخويه يثبت على حب الأميرة، وبنصيحة مربية الأميرة التى تعجب بصدقه وثباته تهب لمساعدته وتضع ثورا ذهبياً تضعه داخله وتحمله إلى مخدع الأميرة ، فيسرق نقابها ويعرضه دليلاً على وصالها ثم يصمت شمس الدين فلا يكمل الحكاية بدوره (انظر استعلامى ٣٩٩/٦ - ٤٠١ ومقالات شمس الدين التبريزى ، تحقيق موحد ٢٤٦/١-٢٤٧ وباختصار ص ٢٦٩-٢٧٠) لكن مولانا تحدث عن مصير الابن الثالث فى حكاية تالية تبدو منفصلة ، لقد كان أكثر كسلاً من أخويه فاختطف الصورة والمعنى ، إن صمت الابن الثالث وعدم محاولته يبين أنه وصل إلى تمام المعرفة ، وهذا يكفى - فى رأى استعلامى (٤٠١/٦) - لكى تكون للقصة نهاية .

وتفسير استعلامى يبدو معقولاً : إلا فى نهاية القصة ، فالنهاية جديرة ومتسقة بالفعل مع نسق التفكير الصوفى لكن من ناحية أخرى ، فالوصول لا يستوعبه حديث ، ونهاية التجربة لا يعبر عنها بالكلام ، ومن ظن أنه قد وصل فقد فصل، والعارف دائماً ما هو معرض للاستدراج،

وقد يكون ظن الوصول من قبيل الاستدراج فيغتر العارف، وفي غروره يكون موته المعنوى وإنزال رتبته، ثم إن الحكاية كلها حكاية عشق ، ومن قال أن للعشق نهاية ؟ كل حكايات العشق في كتب المثنوى الستة لانهاية لها تشبه النهايات التى توضع عادة للقصص ، فالمراد بها في الأصل بيان الأحوال التى تتوالى على العاشق، ولا يُدرى لها نهاية، فلماذا نريد نهاية للحكاية؟! ويقدم مولانا صورة بشعور الأب تجاه أولاده وكيف انه يستمد منهم أسباب وجوده ومادة حياته نظرة إليهم تروى أوراق عمره الذابلة ، إنها عوامل روحانية ، وقنوات يصنعها الله تعالى لكى يجعل للحياة معنى ، إن كل وجودك قد صنع من أجزاء العالم ، أخذت جزءاً فيه من الأرض ، وجزءاً من السموات ، وجزءاً من العناصر ، أتظن أنها لن تسترد منك ؟! كلها سوف تسترد منك اللهم إلا النفخة الإلهية ، الروح ، إننى أقول لك إن وجودك الجسدى عبث ، لكن هذا أمر نسبى ، إنه عبث بالنسبة للروح لكنه ليس كذلك بالنسبة لصنعة المحكم ، فالحكيم لم يخلق شيئاً عبثاً (عن فكرة أن الأجزاء الأرضية من جسد الإنسان تعود إلى أصولها والروح تعود إلى أصلها ، انظر الترجمة العربية للكتاب الثالث ، الأبيات ٤٤٢٤ - ٤٤٤٤ وشروحها) . وهناك تفسيران آخران للحكاية جديران هنا بالذكر : الأول قدمه ملا هادى السبزواري (شرح مثنوى ص ٤٩٣ وما بعدها) ويرى أن المقصود بالملك وأولاده الثلاثة ، العقل الكلي وأولاده النفس الناطقة القدسية والعقل النظرى والعقل العملي ، والرحلة هي قطع العوالم القدسية : الملكوت والجبروت واللاهوت ، ومجيء الأمراء إلى قلعة ذات الصور هبوط من عالم العقول الكلية إلى العالم الصورى الجسماني ، ومملكة الصين إشارة إلى نفس عالم الصورة العنصرى والنفوس الهيولانية ، وقلعة ذات الصور المراد بها عالم البرزخ المثالي والصورة المثالية من الصور والنفوس الطبيعية التى شاهدها النفس العلوية قبل هبوطها إلى العالم الجسماني في نشأة الأرواح المثالية ، وما تراه في عالم المحسوسات الجسماني هو شعاع من نفس تلك الصور المثالية ، والمقصود من بنت ملك

الصين البدن العنصرى الذى تتدرج وتتطوى فيه كل الصصور ، وشدة تعلق النفس الملوثة بصورة البدن العنصرى الطبيعى ألقى بها في بئر البلاء ، لأن مشاغلها الحسية الطبيعية قد منعته عن السير في الأصقاع الربوبية ، وقد عبر عنه بالبنيت بسبب أنوثة العالم الجسماني وانفعال مادته ، إذن فقلعة ذات الصور هي نفس هذا الهيكل الجسماني والبدن الطبيعى العنصرى ، وكون أن له خمسة أبواب إلى البحر وخمسة أبواب إلى البر كناية عن الحواس الظاهرة والحواس الباطنة ، ولأن الأكبر يعبر عن النفس الناطقة لأنه لما كانت مدة هبوطه قد انتهت ، وتوفي بالأجل الطبيعى ، فقد أنهى ما تبقى من سيرة الكمال ، بالرغم من أنه لم يتوصل إلى وصال صاحبة تلك الصورة التي رآها في القصر ، يعنى أنه كان قد خرج ناقصا من الدنيا لأن النفس الناطقة متجهة إلى ذات الحق ، وفي كل وقت تتجه إلى الكمال ، وعندما رفضت الجسد بالموت الطبيعى ، وتخلصت من شواغل الحس المادى ، تجد حالة تجردها الأصلى وتصل إلى الكمال اللائق بها (وكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) ، وسبب الموت الطبيعى هو هذا لا كما يقول الحكماء الطبيعيون . وهناك أسباب عديدة للموت لكنها ليست واقعية ، فالروح العلوية بذاتها متجهة إلى العالم العلوى ، وفي سبيلها إلى الكمال المطلق ، ولا يتم ذلك إلا بترك البدن ، ومن هنا يستقبل العارفون الموت بحب . أما الإبن الأوسط فهو العقل النظرى ، والأغلب أنه لما كان العقل النظرى لا يسبب الكمال البشرى ، وإصابته بطعنة من باطن ملك الصين ، وعين الكمال عنده لنفس هذا القصور الذاتى استكمال ، وأيضا لأن النفس المسولة واللوامة والأمارات تتلقى من الجراح وتهلك قبل أن تصل إلى الكمال المترقب ، أما الإبن الأصغر فهو العقل العملي الذى يملك إينة البدن ، ويدبر معاشها ومعادها ، ويصل إلى وصال الصورة والمعنى .

أما التفسير الثانى فهو تفسير جلال الدين هماتى (تفسير مثنوى مولوى - داستان

قلعه ذات الصور يا دز هوش ربا - انتشارات دانشگاه تهران - تهران ١٣٤٩ هـ . ش .
صص ٢٦-٣٢) ويرى همائي أن هجرة الأمراء من موطنهم إشارة إلى ذلك الصنف من
السالكين لطريق الرشد الذين لا يقتنعون بأفكار الموروثة ، ويقومون بأنفسهم وهمهم
التحرى عن الحق والحقيقة ، وأكبر خطر يواجه هذه الجماعة هو نفس هذا الفناء والخسران
الأبدى الذى نصحهم أبوهم بتجنبه ، ويمثل أبوهم العقل الناظر إلى المصلحة الذى يدبر أمور
الدنيا ، ومن ثم ينصحهم بعدم الذهاب إلى القلعة التى تخدع العقل وتوقع في العشق والفتنة
وتسبب اضطراب الكسب والمعاش وتحصيل الجاه ، وذلك لأن هذه الجماعة تفرط في
رفاهيتها الموجودة في موطنها ، وهذا ناتج عن الغفلة .فسفر الأمراء من الملك الموروث إلى
ديار الصين وتجوالهم مثال على أحوال تلك الطبقة من المحققين الذين يغتربون عن أوطانهم
، ويلقون بأنفسهم كريحة في مهب ريح غير معلومة لديهم ، وهم في الواقع طلاب للمجهول ،
بحيث يفتنون بصورة دون أن يعلموا صورة من هذه ، وما هو الطريق إلى وصالها .

وقلعة ذات الصور هي الدنيا ، كل صورة منها خادعة للعقل واللب في طريق البشر :
فصورة منها للمال والثروة ، وصورة أخرى للدولة والحكم ، وصورة ثالثة للإسم والجاه ،
وكل منهم قطعت عليه صورة من هذه الصور الخادعة طريق العقل واللب ، لكن تلك الصورة
التي كانت في القلعة هي صورة الجمال الذى يخلق العشق ، وخواص البشر إن لم نقل أكثرهم
مبتلون بهذا الفخ وهذه المحنة ، فإذا كان العشق المجازى منحتة السعادة الأبدية التي يطلبها
العارفون والمصطفون ، فإن نتيجته الشقاء الأبدى الذى حذر الوالد الأمراء الثلاثة منه .
ومملكة الصين كناية عن بداية منزل الغرائب والعجائب الروحانية التي يصل إليها
السالكون في أودية السلوك الصوفي ، وتحدد مصيرهم النهائي الأبدى ، وهو صورتهم الفعلية
الأخيرة في ذلك العالم . والشيخ الذى يقابل الأمراء في أيام الحيرة والاضطراب ويكشف لهم
سر الصورة ، هو شيخ الإرشاد المعين الذى أرسل من قبل قطب الوقت وولي العصر لهداية

الطلاب والسالكين ، وملك الصين هو القطب والغوث الأعظم أو ولي العصر ، وكَمال كل سالك موقوف على عنايته واهتمامه الباطني ، والأمراء الثلاثة مثالٌ على أنواع السالكين الطالبين الظاهريين في وادي الطلب لزال التحقيق ، والذين يقسمون طبقاً لأوضاعهم وأحوالهم الداخلية والخارجية وقربهم وبعدهم وحرمانهم وتوفيقهم في الوصول إلى منزل المراد ، يقسمون بشكل عام إلى ثلاث طبقات ، وكل واحد منهم نموذج لطبقته ، وأساس هذا التقسيم مبني على درجة معرفة الطالب وقربه أو بعده عن المطلوب مع مراعاة مطابقة أصل الجهد والسعي مع العناية ، والطبقات الثلاث هي : الأكبر نموذج لأولئك الذين يرون أن الحصول على المقصود متوقف على جدهم وجهدهم وتنتهي أحوالهم دفعة واحدة . لقد ظل عشق الصورة في قلبه ، ومن ثم رأى أن كماله الروحاني موقوف على انتهاء حياته . والأوسط نموذج لأولئك الذين لا يقومون بأنفسهم بالجد والطلب لكن لقاءهم بالمشايخ وأرباب الحال يعطيهم الموهبة التي لا يعرفون قدرها فيفقدون هذه النعمة دون أن يحسوا ، كان وصول الإبن الأوسط أثناء جنازة أخيه مصادفة ، وحدث له فجأة ما حدث لأخيه ، ولم ينج من مصير أخيه ، والإبن الأصغر يمثل أولئك الذين لا يسعون بل ينتظرون التوفيق والعناية الربانية ، وعندما يهب عليهم نسيم العناية ، يصلون إلى مقاصدهم .

(٣٦١٠ - ٣٦٢٣) : أساس حديث مولانا هنا أن كل القنوات التي تمد في العمر من الخارج لا دوام لها ، والرباعية المذكورة في العنوان لمولانا جلال الدين الرومي (كليات ديوان شمس ، ص ١٣٨٢ ، الرباعية رقم ٧٧٨ مع اختلاف الشطرة الثانية إلى ومن سماع القصص لا تحل هذه العقدة) ، والتجافي عن دار الغرور مذكورة في حديث نبوي (انظر البيت ٣٠٨٣ من الكتاب الرابع) ، القناة التي تستمدّها من باطنك تغنيك عن كل القنوات التي تأتي من الخارج ، فإن تدفق الماء يستمر فيها ما دام متصلاً بالبحر (الفيض ، المعرفة) ، وقرة العين لا ينبغي أن

تكون من الماء والطين فهي معرضة للموت والفناء (والفشل والجحود والنكران) وقد تكون مصدر ظماً وليست مصدر إرواء ، وما أشبه ذلك الأمر بقلعة يأيتها الماء من الخارج ، فهي مرتوية ريانة ما دام السلم موجودا فإن قامت الحرب قطع عنها الماء وغرقت في بحر من الدم ، ولا يسد ظمأها إلا نهر عين من الداخل حتى وإن كان ماؤها ملحا أجابا ، وهكذا يقطع عليك الموت تلك الأنهار التي تستعويض بها عن النهر الحقيقي ، ألا تقطع جيوش الموت وجيوش الخريف والشتاء الأوراق والفروع عن الأشجار الباسقة ، بل أن ربيعها لا يكون ربيعا إلا إذا اقترن بوجه الحبيب ، ألسنت ترى أن الدنيا قد لقبت بدار الغرور ومن ثم فإن علامة وصول النور إلى قلب المؤمن " التجافى عن دار الغرور والإتابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل حضوره " ... لقد خدعتك ، قالت : سوف أزيل عنك الألم ، كانت تخاطبك بحلو الحديث قائلة : لبيتعد الألم عنك ، لكنها عندما أهدقت بك الأخطار ، تركتك وانصرفت إلى سواك ، وما أشبهها في هذا الأمر بالشيطان الذي ورد ذكره في سورة الأنفال ﴿ وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم ، فلما تراعت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون ﴾ (الأنفال / ٤٨) (انظر لتفصيلات حول الأفكار الواردة في الأبيات الترجمة العربية للكتاب الثالث ، الأبيات ٤٠٣٩ - ٤٠٥٥ وشروحها) .

(٣٦٣٣ - ٣٦٤٣) : لا تظن أنك غير مسئول ، وإنك سوف تأتي يوم القيامة وسوف تقول يا إلهي : كنت مخدوعا ، فالاختيار في يدك ، (عن الإرادة الإلهية والحرية الإنسانية انظر : مقدمة الترجمة العربية للكتاب الخامس من المشوى) . وهكذا فكلاهما : اللوطي والملوط به ، والمخدوع والخادع ، ومن قطع عليه الطريق إلى الله وقاطع الطريق عليه (الحمار) وأخذ (الحمار) ، كلاهما سوف يتعرضان للعقاب ، ذلك إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات (انظر للكتاب الخامس ، الأبيات ٢٢٢٠ - ٢٢٢٩ وشروحها ، حيث

شبه التوبة بالربيع الذي يقضى على خريف الذنوب) . فالعرش يهتز من أنين المذنبين وإعلانهم التوبة (اهتزاز العرش عند سعدى الشيرازى من بكاء اليتيم) ، مثل ذلك الإنسان الذي يتوب الله عليه ، ويقبل توبته ، يسعد في رياض الفضل والعطاء ، فالله سبحانه وتعالى على عبده التائب الآتب أكثر رحمة وحنانا من الأم بولدها ، يعلم المذنب آنذاك أنه كان يطرق باب هذا وباب ذاك ، يسلك هذه القناة وتلك القناة تاركا البحر الذي منه تستمد كل هذه القنوات ، وعندما يبدى الحق غيرته ، يسد أمامه طرق القنوات والوسائط ، فيصبح كالسمكة لا حياة لها بعيدا عن البحر ، ولا عوض لها عنه من القرب .

(٣٦٥١ - ٣٦٦٤) : يشبه مولانا قلعة ذات الصور ، بأنها حجرة زليخا التى ملأتها زليخا بصورها بحيث أن يراها يوسف عليه السلام حيثما نظر عندما كان يحول بصره عنها وهذا كيدها ، والله تعالى جعل الدنيا مظهرا لآياته ، " وفي كل شئ له آية تدل على أنه الواحد " ، وذلك من أجل نوى الأبصار المستتيرة ، الذين يرون الله في كل شئ " أراه في كل معنى رقيق رائق بهج " ، ﴿ فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾ ، وينقل الأنقروى (٦-٢/٣٣٣) بيت ابن الفارض :

وكل شخص بدا لى أنه قدحى وكل لحظ أراه فهو لى ساقى .
بيديهما لشيطان ؟! بل إن الشيطان إن وجد هذه الجرعة وصار عاشقا لا نقلب إلى ملاك ومن هنا قال ﷺ (ما منكم من أحد إلا وله شيطان إلا أن شيطاني أعاننى الله عليه فأسلم) ، ومن هنا يصير الإنسان الذى يبلغ من الشر مبلغ يزيد بن معاوية (قاتل أبناء الرسول) خيرا خالصا وفى فضل صوفى عارف بلغ شأوا بعيدا فى مدارج الروح مثل أبى اليزيد البسطامى ، ويفضل الملائكة (عن أبى يزيد انظر الترجمة العربية للكتاب الخامس الأبيات ٣٣٩٦-٣٣٩٧ وشروحها) .

(٣٦٣٨-٣٦٧٦) : يذكر حديث الأب هنا بنهى الله سبحانه وتعالى لآدم عليه السلام عن

الأكل من الشجرة المحرمة ، فلو لم يكن الأب قد نهى أولاده عن الذهاب إلى القلعة لما فكروا أصلاً في الذهاب إليها ، وهكذا فالإنسان حريص على ما منع (انظر البيت ٨٥٤ من الكتاب الثالث) ، وأكثر الخلق لا يرون تجليات الحق بالجمال في هذا العالم ، وانظر إلى مولانا يفرق بين تلقى فئتين عن النهى : أهل التقى الذين ينهون النفس عن الهوى ، إن مجرد النهى ييغضهم في ما نهى عنه ، لكن أهل الهوى يقعون في ما نهوا عنه لمجرد أنه منهى عنه ، ألم يرد في شأن القرآن الكريم ﴿ يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين ﴾ (البقرة ٢٦) والمعيار : الإنسان نفسه إذا كان لديه الاستعداد للهدى أو الاستعداد للضلال ، والحمام الأليف المخلد إلى الأرض هو غالباً الذى يقع بين البوص "حبائل الدنيا ومغرياتها" ، لكن الحمام المحلق في سماء العرفان نادراً ما يقع في هذه المغريات .

(٣٦٧٩ - ٣٦٨٩) : يعود مولانا إلى فكرة دق عليها في بداية المثنوى وهي الإنسان من فرط ثقته بنفسه وغروره بقدراته ، أحياناً يعتمد على حوله وطوله ، ويبدأ في عمل ما دون أن يستشئ أى دون يقول "إن شاء الله" ويعود مولانا - وهو في ختام الرحلة ونهاية المطاف - فيذكر بما سبق أن مر في حكاية مرض الجارية ومحاولة الأطباء علاجها دون جدوى (الكتاب الأول الأبيات ٢٥ - ٢٤٧) كان كل منهم واثقاً في نفسه - الأطباء والأبناء - عارفاً بنفسه ، مقتنعاً بقدرته ، معتمداً على العلوم التي حصلها والأسباب التي أخذ بها ، والنتيجة ؟! الفشل الذريع لأن كل هذه أمور لا تنفع إذا كان الله لا يريد (عن الاستثناء انظر ٤٨-٥٠ من الكتاب الأول و ١٦٤٠ من الكتاب الثالث) ، إن الأشياء التي لا يريدتها الله أن تتم لا تتم ، هذا هو لب الأمر ، قلتها ، وسأظل أقولها وإن كان هناك مائة كتاب فهي ليست سوى معنى واحد "لا وجود إلا لله ولا إرادة حقيقية إلا لله" ، والطرق كثيرة ، والمذاهب كثيرة بعدد أنفاس بنى آدم ، لكنها تقضى إلى منزل واحد ، المبدأ والمعاد ، حتى في وجودك الجسدى أيها الإنسان إن شبعت (وصلت إلى الحقيقة) فإن كل المآكل تستوى أمامك لكن عند الجوع (الحيرة عدم

الوصول إلى المعرفة) لا تبالى أى شيء تأكل، تكون المآكل أمامك عديدة ، تحار أيها تأكل ، مهلاً إن الأصناف العديدة كلها بالنسبة للجائع صنف واحد ، ويعود مولانا إلى حكاية الجارية المريضة : كان كل هؤلاء الأطباء كالخيول الجامحة لا تدرى إلى أين تتطلق لا تدرى وجهتها، فعندما يفقد المرء الوجهة ، يفقد كل شيء ، إن هذه الخيول لم تدرك أن ثمة فارس يركبها ، وأن الزمام ليس مفلوتاً ، لكن الفارس لا يأبه بها ولا يوجهها .

(٣٦٩١ - ٣٧١٢) : أيتها الخيول الجامحة ، إن كل ما تعانون منه إنما هو من مكر هذا الفارس ، إنكم لا تدرون شيئاً لأنكم تركتم الإيمان به ومن ثم فأنتم تساقون نحو الأشواك وتحسبونها وروداً (انظر الكتاب الثالث مكر ذلك الفارس أنه أثار الغبار فانطلقتا في أثره ، الأبيات ٣٨٣-٣٨٩ وشروحها) ، إن كل أولئك الذين يعتمدون على أنفسهم يقولون : لقد أخذنا بالأسباب ، أترى الأخذ بالأسباب فحسب يوصل إلى نتائج؟ انظر إلى من أخذوا بنفس الأسباب ومع ذلك لم يصلوا إلى نتائج؟؟ وإذا كنت قد أخذت بالأسباب (ربطت ثوراً) ثم وجدت النتيجة مختلفة (وجدت حماراً) ، فهذا أمر لا يتجاهل ولا بد أن نتساءل عن من بدل الأمور هكذا ، وتذكر قول الإمام على رضى الله عنه "عرفت الله بفسخ العزائم وحل العقود ونقص الهمم" (انظر الترجمة العربية للكتاب الثالث الأبيات ٤٤٥٨-٤٤٧٣) ، انظر : أنت تمضى فى أثر تجارة ما آملاً الكسب ولا كسب ، خسارة ثم دين ثم إفلاس ثم سجن ، أظن أن التجارة هي أساس الكسب؟، فلم يفلح تاجر ويخسر تاجر آخر؟ ، تحضر البئر لأخيك فتقع فيه أنت، تتزوج غنية لتغتنى فتأتى هي على ما لديك بالفعل ، وتستدين ، كيف حدث هذا ؟ لقد رأيت فلاناً تاجر وكسب ، ورأيت آخر تزوج غنية فصار غنياً، لكنها المقادير تضع غشاوة على العيون ، إن الله سبحانه وتعالى هو مقلب القلوب والأبصار ، إنه يبدى الماعز (الذكي الخفيف الحاد) حماراً (فى غبائه وعناده) (انظر لتقليب الرب الكتاب الذى بين أيدينا البيت رقم ٢٢١ والمبدل البيت رقم ٣٦٩٦) ، إن الأمر ليس سفسطة ، بل إن الله تعالى يتم ما قدره فى

علمه وسابق أزله ، لكنك اعتمدت على الطريق وعلى الأسباب ، وعلى خيالك ، ومنكر الحقائق لو فكر أن التفكير فى خياله هو مجرد خيال، لوصل إلى بداية طريق الحقيقة .

(٣٧١٣ - ٣٧٢٠) : البيت المذكور فى العنوان من غزلية لسنائى الغزنوى (ديوان سنائى - بسعى واهتمام مدرس رضوى ط٣ تهران ١٣٦٢ هـ.ش ، ص ٩٧٠) ، وتعبير النفس اللوامة مأخوذ من القرآن الكريم (سورة القيامة ٢) ، وقد ذكر نجم الدين الرازى فى مرصاد العباد ثلاث مراتب لتكامل النفس : النفس الأمارة بالسوء والنفس الملهمة والنفس المطمئنة والنفس اللوامة التى يوجهها الظالم إلى نفسه لأن لديه الاستعداد للطريق القويم لكنه يسلك طريق الضلال فيلوم نفسه (مرصاد العباد ص ٣٤٣ وانظر عن النفس المطمئنة البيت ٥٧٢ من الكتاب الأول و ٣٤١٩ من الكتاب الرابع و ٥٥٨ من الكتاب الخامس) والآية المذكورة فى العنوان من سورة الملك (انظر أيضاً تعليق آخر عليها فى الترجمة العربية للكتاب الخامس الأبيات ٢٨٧٣ وما بعده وشروحها) ، ثم يشير مولانا إلى الأكل من الشجرة المحرمة المنهى عنها ، لقد تركا كل فاكهة الجنة واتجها مباشرة إلى تلك الشجرة المنهى عنها ، وهكذا فعل الأبناء اتجهوا مباشرة إلى القلعة المنهى عنها ، إنها قلعة توصف بوصف يذكر بوصف الجسد لها خمسة أبواب إلى البر (الدنيا ، الحواس الخمسة الظاهرة) ، أى أنه من الممكن حتى عن طريق قلعة ذات الصور الوصول إلى الحقيقة ، المهم أن تغلق أبواب البر وتفتح أبواب البحر وتصرف بصرك عن تلك الصور .

(٣٧٢١ - ٣٧٣٣) : يترك مولانا القلعة ويتحدث عن الدنيا (ذات الصور) إن زينتها لا تجلب السكر ، إنها كالأقداح البلورية لا تؤدى فى حد ذاتها إلى السكر ، وهكذا يضيع عمر الإنسان فى البحث عن الأدوات لا البحث عن معنى للحياة ، التضحية بالمعاني فى سبيل المادة ، التضحية بالخمير فى سبيل الكأس ، وهى ليست واهبة الخمر (الفيض ، العطاء) ، فافتح فمك نحو واهب الخمر ، فهيا أيها الإنسان : دعك من صورة القمح "الحياة المادية" وانظر : ألم

يتحول الرمل للخليل عليه السلام إلى قمح ؟ (انظر ٣٨٢ من الكتاب الثانى) ، وما كل عكوفك على الصورة ألس تترى الصور تأتى جميعها من العدم ؟! (انظر ٢٧٨١ والبيت ٣٥٨٨ من الكتاب الذى بين أيدينا وشروحها) ألس تترى الأيدى هى التى تنسج ، فانظر إلى فاقد الأيدى عندما ينسج (إشارة إلى حكاية وردت فى الكتاب الثالث انظر الترجمة العربية الأبيات ١٧٠٧ - ١٧٢٠ وشروحها) والقلب ألس تنقاطر على الخيالات والأفكار من جراء الهجر والوصال ؟ ما الفرق بينها إذن وبين هذا العالم الصورى ؟! ألس كلها خيالات ولا وجود لها فى الحقيقة ؟ ويلاه ، والأمثلة التى أضربها قاصرة عن التعبير لك ، فلا دليل لها يكون محسوساً لديك ، وانظر إلى عدم التشابه بين المؤثرات والآثار ؟! هل الضرر الذى حاق بك يشبه النواح الذى تقوم به ؟ النواح صورة والضرر محسوس ، إنه جهد المقل حتى فى التعبير ، وطالما قلت لك أن آفة الحال إبراك المقال (الكتاب الثالث البيت ٤٧٣٠ وشروحه) .

(٣٧٣٤ - ٣٧٥٠) : إن قدرة الله على الخلق تجعله يصور عند الإنسان خيالات وأفكار ثم لا يلبث أن يلبسها لباس الحواس (ألم يكن هذا الكتاب صورة فى ذهن المؤلف ثم فى ذهن المترجم والشارح ثم تولد كتاباً ؟!) لقد كان الإنسان نفسه صورة عند الخالق ، ثم ألبسه لباس الجسد والحواس ، وكل ما يطرأ على هذا الوجود هو مجرد صور ، يترتب عليها خير أو شر (سلوك محسوس) فعندما تكون ثم نعمة يكون المرء شاكراً ، وعندما يتأخر عليه الخير يكون صابراً ، وإن كانت ثم رحمة فهو مستبشر نام ، وإن كان ثم جرح وعذاب فهو شاك باك ، والإنسان فى كل ما يقوم به ، إنما يقوم به بناءً على أفكار هى مجرد صور تتم طبقاً لها سلوكيات معينة محسوسة ، إن تولدت فى قلبه صورة الخضر يهاجر عن موطنه ، وإن تاق إلى مشاهدة عوالم الغيب انفصل عن الدنيا واختلى بنفسه ، هل لإحساس القوة صورة ؟! ومع ذلك فهو الذى يدعو إلى التعدى والظلم ، الفكر (فى مصطلح مولانا الخيال) هو داعى الفعل ، وما هذه المشاغل والحرف والمعتقدات إلا من نتاج الأفكار التى تطورت إلى أفعال ، وكأنها

جماعة واقفة على سطح منزل تتعكس ظلال أجسادها على الأرض ، ونفس الصور تؤدي إلى أحاسيس ومدرجات : كأس السرور في مجلس الشيخ يؤدي إلى الاتسلاخ عن الذات وفقدان الوعي ، الملاعبة والجماع يؤديان إلى النشوة وفقدان الوعي ، الخبز والطعام يؤديان إلى القوة ، الظفر والنصر من السيف والدرع ، الصور تؤدي إلى ما لا صورة له ، وما لاصورة له يؤدي إلى ما له صورة ، العلم المكتوب صورة ، يؤدي إلى العلم الموجود في الصدور (لا صورة) ، وطلب العلم (لا صورة) يؤدي إلى اللجوء إلى الكتب والدرس والأستاذ (صور) .

(٣٧٥١ - ٣٧٧٣) : إذا كانت كل هذه الصور (الخلقة) عبادة لمن لا صورة له (الوجود المطلق) ، فما بالك تتكر صاحب هذه النعم ذلك الذي صورها لك أحسن تصوير ، إنها كلها منه ، فما هذا الإنكار وما هذا الجحود ؟! إن الإنكار في حد ذاته إثبات في ذهن المنكر . إنه عمل معكوس يبدى غير ما هو واضح وحقيقى (عن العمل المعكوس ، انظر الأبيات ١٥٩٤ - ١٦٤١ و ١٧٤٥ من الكتاب الذي بين أيدينا و ٤٢٦ من الكتاب الخامس وشروحها) . فهل ينكر أحد ما لا وجود له ؟! لكنى مع ذلك أستطيع أن أضرب لك مثالا محسوساً ، إن البناء الذي تراه هو صورة في فكر المهندس ، فهل رأيت طوباً وخشبا في فكر هذا المهندس ، فإذا كان هذا فاعلا محدوداً ، فلماذا تريد أن يكون الفاعل المطلق ذا صورة ؟! إنه من كرمه يبدى لنا الصور (المحسوسات) أحيانا من كتم العدم ويتحلى فيها ، إن هذا الجمال والقدرة التى تراها عند المخلوقات وهى قبس من تجليه بجماله وقدرته ، لكن هذا التجلى عندما يخفى عن من لا بصيرة لهم ، ينصرفون إلى هذا العالم المادى يلدون منه ، وهذا هو عين الضلال ، فكيف تلجأ الصورة إلى الصورة ، وكيف يلجأ محتاج إلى محتاج ؟! وكيف تكون الصور وهى عبيد آلهة ؟! إن هذا هو عين التشبيه، ضراعتك، فحسب هى السبل إليه وفناء ذاتك وأنييتك ، وعدم التفكير في ذات الحق (وعن هذا التشبيه يقول الأنقروى نقلا عن شرحه لفصوص الحكم : إن المراد بخلق آدم على صورة الله ، ليس الصورة كما تفهم فليس لله صورة بل المقصود

الصفات ، (٦-٢/٣٥٤) . " انظر وتفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في ذات الله ، البيت ٣٧٠١ من الكتاب الرابع) وإن لم تستطع الوصول ، فدع صورة تتولد فيك دون أنيتك ، إنك بمقاييسك الأرضية الذي تفسد كل شيء (انظر الصورة التي لا نهاية لها ، والصورة التي لا صورة فيها في البيتين ٣٤٩٩ - ٣٥٠٠ من الكتاب الأول) إن لذة تصور جمال المدينة التي تمضي إليها هي التي تدفعك - أيها السالك - إلى السفر وإلى الحركة ، إذن فمن الممكن عن طريق الباطن السفر إلى اللامكان وإلى عالم الغيب ، فاللذة التي تسوقنا هي غير المكان وغير الزمان ، إن الدافع إلى هذا السير والسلوك عاملٌ لا صورة له ، تراك حتى إن قصدت المحسوسات تقصد شيئاً آخر غير المعنويات : تمضي إلى صديقك وهو محسوس قاصدا الأُنس به وهو معنى ، فإن حركة الإنسان دائماً هي نحو المعنى ، فالتطرق كلها تؤدي إلى اللذة الخالصة ، لكن الناس تنظر إلى الذيل ، إلى الدنيا ، ويتعدون عن الرأس (انظر الحكاية الأولى في الكتاب الذي بين أيدينا ، البيت ١٢٩) أي عن عالم الغيب الذي هو مبدأ كل حركة ومع ذلك فإن هذه الرأس ليست مخفية عن عيون أولئك الضالين، إنها تتجلى في عالمهم المادي ، إنهم يجدون العطاء أيضاً في هذا العالم المادي (انظر ليس المقلد أيضاً محروماً من الثواب ، البيت ٤٩٩ من الكتاب الثاني) لكن آخرين خسروا الدنيا والآخرة ، فلا هم تدبروا آلاء الخالق في الدنيا ولا هم ساروا إليه ، لكن الذين يجدون الجزاء كله هم الذين يفنون بالكلية، ومن الفناء يصلون إلى البقاء .

(٣٧٧٤ - ٣٧٨٠) : عودة إلى حكاية قلعة ذات الصور : وما هم الأمراء الثلاثة يرون الصورة، صورة الأميرة التي تبدو - كما سنعلم - تجلياً لوجود لا يرى (انظر ٣٨٠١ وما يليه)، لم يكن الأمر أمر جمال - فقد رأوا من قبل أجمل منها ، لكنها كانت الكأس الذي وصل إليهم الجمال الحقيقي عن طريقه (مثلما كان خمر قيس عن طريق ليلي وخمر يعقوب عن طريق يوسف الذي كان سما لاختوته)؛ (انظر لتفصيل أن الصورة هي الكأس والحسن هو الخمر

والله يعطى كل كأس ما فيها من شراب ، الترجمة العربية للكتاب الخامس الأبيات (٣٢٩٠ - ٣٣٠٩ وشروحها) ، إن سهام النظرات التى صوبتها الصورة إلى قلوبهم سهام لا قوس لها أي إنها سهام روحانية ، ولا أمان منها ولا حذر (انظر البيت ٩٠٦ من الكتاب الذي بين أيدينا : العشق قهار) ، إن أهل القرون قد هلكوا من عشقهم لأحجار وأصنام ، فما بالك إن كان المعشوق روحانيا (انظر الكتاب الذي بين أيدينا ، الأبيات ٧٩٥ و ٣١٣٥ و ٣١٨٥ وشروحها) . إن هذه الفتنة الروحانية تتشكل في كل لحظة، إن هذه الصورة ، لم تكن صورة، كانت تجليا روحانيا طاغيا ، يثير العشق والجنون .

(٣٧٨٤ - ٣٧٩٩) : لقد بدأ هؤلاء الأمراء الثلاثة يرون وينوقون كل ما كان والدهم قد أحس به من البداية ، وهكذا الأنبياء والأولياء والمرشدون ، فالأنبياء قد أخبرونا بالعاقبة والمآل وإن كل ما نزرعه هنا نحصد منه شوكا ، وأن الجهات التى تذهب إليها طائرا لن تجدك نفعاً ، ويوم تعلم ، تعض بنان الندم ، وأنت نفس الشخص ، لكنك ألسنت أنت الذي كنت تفعل الإثم وتعطى الأنبياء أنذا بها وقر؟ ، ومن ثم يسلط الله عليك نفسك اللوامة تشدد فى لومك وعقابك وايدائك ، لقد كانت أنيتك الحقيقية النزاعة إلى الحق مختفية خلف أنية الهوى ، وليتك علمت من البداية أن ما تراه واضحاً شديد الوضوح أمامك وكأنتك تراه فى مرآة إنما يراه الشيخ حتى إذا نظر فى مواد لا تعكس الصور (انظر البيت ١٦٨ من الكتاب الثانى و ٢٠٣٣ من الكتاب الذى بين أيدينا) ، وهكذا يحدث الأمراء أنفسهم لاثمين إياها على إهمال نصيحة الأب "المرشد" ، وتجاهل أوامر المليك ، واعتمادهم على عقولهم وأوهامهما ، فسقطوا فى نفس الخندق الذى امتلأ برؤوس عشاق الأميرة (الصورة من رواية شمس الدين) ، وما كان أشبههم بمرضى السل ، تبدو على الصحة والمرض ينخر فى داخله ، وذكر الحق لا يغنى عن وجود المرشد، فأحياناً لا يوصل الذكر إلى جناب الحق عندما يكون رياء وسمعة ، وعين المرشد المبصرة هى التى تدل على الذكر الحقيقى وتميز بين العبادة الحقيقية والذكر الحقيقى وبين

عبادة الرياء والسمعة والذكر الذى لا يجاوز التراق ، ويرى الأنقروى (٦-٢/٣٦٦) : إن بنت ملك الصين هنا هى العلم اللدنى المكتوم عن غير الخاصة ويروى ما رواه أبو هريرة عن أبى بكر عليه السلام : حفظت من رسول الله ﷺ دعاءين فأما أحدهما فنباته وأما الآخر فلو نباته لقطع منى هذا البلعوم " . وعن الحسن بن على رضى الله عنهما :

ورب جوهر علم لو أبوح به ل قيل لى أنت ممن يعبد الوثنا

(٣٨٠٠ - ٣٨١٢) : رغم الندم والألم يتساءل الأمراء عن صاحبة الصورة ، ترى من تكون؟ لقد سقطوا وانتهى الأمر ، وبدلاً من العودة عن الطريق عزموا على مواصلة ، وظلوا يتساءلون حتى كشف لهم عن السر شيخ بصير (ما علاقة الشيخ ببنت ملك الصين إذا كان دنيوية ؟ ليس عن طريق الأذن تعرف هذه الحقيقة بل عن طريق الإلهام ، إنها بنت ملك الصين ، والملك غيور {إن سعداً لغيور وأنا أغير منه والله أغير منها ومن غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن} ملك الصين لا يمكن أن يكون هنا سوى رمز للحق يخفى الحقيقة حتى لا يسقط من ليسوا بأهل لها افتتاناً بها ، إنها غيرة الحق على أسرارها ، وحتى الطيور المحلقة فى أجواء الفضاء (المرشدون) الذى لم يصلوا بعد إلى مرحلة الكمال ولم يؤذن لهم لا يصلون إليها فما بالك بأولئك الذين زرعوا بنور الجهل ، وضربوا بنصيحة المرشد عرض الحائط ، ولم يسقطوا التدابير ، وليتهم اعتمدوا على عنايته وهى تكفى فى هذا الطريق ، فهيا أيها الأمير (يا ابن الخليفة) ودع عنك التدابير وادعاء الفضل والاعتزاز بالعقل ، وكن بين يدي المرشد كالميت بين يدي الغسال يقلبه كيف يشاء ، ولا حيلة تنفع هنا ، ليس إلا الموت قبل الموت ، الموت عن الدنيا والحياة بالآخرة .

(٣٨١٣ - ٣٨٢٥) : يترك مولانا قصة قلعة ذات الصور ليسوق حكاية أخرى عن الاستسلام وعدم الطلب (ناقش مولانا فكرة الأولياء الداعين والأولياء الصامتين فى قصة رؤى الدقوى فى الكتاب الثالث فقد حرم الدقوى من صحبة الأولياء لأنه تدخل فى أمر الله ودعا) وبطل

القصة هو صدر جهان (يذكره مولانا بلقب صدرجهان والصدر الأجل ويرى استعلامي أنه أحد حكام آل برهان في بخارى ، وقد مر ذكره أيضاً في الكتاب الثالث في حكاية العبد الهارب منه والذي عاد إليه بعد أن عذبه الفراق . انظر الكتاب الثالث ابتداء من البيت ٣٦٨٨) والقصة غير مسبقة وإن كان استعلامي يرى أن هناك حكاية تشبهها في الهى نامه للقطار وخصوصاً بالنسبة للخاتمة وإن كان ما يقصه لا يدل على أى شبه بالحكاية التى بين أيدينا (استعلامي ٤١٢-٦) وذكر فروزانفر (مأخذ ٢١٩) مثيلاً ملخصاً لها عن كتاب الجواهر المضيئة (لم يذكر مؤلفه أو العصر الذى عاش فيه ، وانظر مناقب العارفين ١٢٢/١-١٢٣) . وبالطبع يهدف مولانا بهذه الحكاية إلى الحديث عن الموت قبل الموت والنور هو المستعار والضياء هو النور الذاتى، وهناك من الكواكب ما لا يستمد نوره من الشمس ، ويدق مولانا على فكرة قديمة أخذها عن سنائى هي أن الشمس هي التى تحول الحجارة إلى معادن ثمينة، ويعبر عن هذه الفكرة دائماً في معرض التبديل الروحاني. لم يكن صدر جهان يمنح أحد يسأله بلسانه ، وكأنما كان شعاره الحديث النبوي الشريف {من صمت نجا} (أحاديث مثوى ص ٢١٩) .

(٣٨٢٧ - ٣٨٢٩) : الحوار هنا بين صدر بخارى والشيخ وخاصة الحجة التى أفحم بها الشيخ صدر بخارى له أشباه في حوارات كثيرة بين دراويش وملوك ورويت عن بهلول أنه قالها لهارون الرشيد "إنما الزاهد أنت لأننى أزهد فى ملك الدنيا وهو فان وأنت زاهد فى ملك الآخرة وهو باق" .

(٣٨٥٦-٣٨٥١) : يعود مولانا إلى مبحث الموت قبل الموت "كل لحظة موت وحياة" ويعبر سنائى بأن الصوفية يقيمون فى كل لحظة عيدين (انظر الحديقة الترجمة العربية البيت رقم ٥٣٩٤ وشروحه) ، وكل موت يؤدي إلى مرحلة من اكتمال، من جماد إلى نبات ومن نبات إلى حيوان ومن حيوان إلى إنسان ومن إنسان إلى ملاك ثم إلى ما لا يحده وهم (انظر الكتاب

الثالث الأبيات ٣٩٠٣ - ٣٩٠٩ وشروحها والكتاب الخامس الأبيات ٨٠٠ - ٨١٠ وشروحها) ، وليس ثم كمال إلا عن هذا الطريق ، وعنايته سبحانه وتعالى أفضل من مائة جهد فجذبة من الحق تساوى عمل الثقلين ، عنايته موكولة بالموت قبل الموت (انظر سنائي مت قبل الموت أيها الصديق إن كنت تريد الحياة ، فمن هذا الموت صار إدريس إلى الجنان قبلنا - ديوان ص ٥٢) . ونقل الأنقروى (٣٧٢/٢-٦) : العناية تهدم الجناية وتوجب الهداية وتورث الولاية . بل إن هذا الموت نفسه موكول بالعناية ، فالعناية هي بمثابة الزمرد الذي يقطع عين هذه الأفعى (الدنيا) وهذا في اعتقاد القدماء .

(٣٨٨٢ - ٣٨٥٧) : يسوق مولانا حكاية هازلة لعلها تخفف عن المريدين هذا السيل من الفيض ، وليس الهزل مقصودا لذاته فقد أشار مولانا نقلا عن سنائي أن هزله ليس هزلا لكنه تعليم (انظر البيت ٣٥٥٠ من الكتاب الرابع و ١٢٤٧ من الكتاب الذي بين أيدينا- وقد اعتبرها استعلامي من المأثور الشعبي ، ٤١٤/٦) .

(٣٨٨٢ - ٣٨٥٧) : ليس من المفهوم ما هو المقصود ببيت العزاب هنا هل هو موضع كان العزاب من غير المتزوجين يجتمعون فيه من أجل اللهو أو مكان أشبه بالبنسيونات الحديثة يقيم فيه من لا أسر لهم من المغتربين وعابري السيل ، وإن كان قد اتضح فيما بعد انه خائفاه ، على كل حال من الواضح أن البيت لم تكن فيه إقامة مشتركة ولم يكن هناك من داع لسوق هذه الحكاية الطويلة لبيان أن ذرة من العناية الإلهية خير من مائة احتياط (شعيرات في الوجه تحمي أكثر من كثير من الاحتياط) والحكاية تدل على واقع اجتماعي شديد التدنى لم يكن ليغيب عن نظر مولانا جلال الدين الذي صورته الغرب كمحلق في السموات العلا، لكنه يستفيد من هذه الحكايات وأشباهاها لبيان معان شديدة العمق من أجل المريدين من غير ذوى العلم والثقافة، وفي البيت رقم ٣٨٧٢ لا يزال استعلامي يفسر " حمزه خوار " بأكل حساء البرغل وقد سبق أن ناقشنا هذا الموضوع في تعليقات البيت ١٣٣٢ من الكتاب الذي بين أيدينا فليطلب من موضعه .

(٣٨٨٣ - ٣٩٠٠) : يعود مولانا فيتحدث عن العناية الإلهية وأهميتها بالنسبة للعبد ، وعلى العبد ألا يعتمد على الطاعات ، لأن الشيطان قد يذرى طاعة عمر أدراج الرياح ، فالعناية من الله ، والطاعات من جهدك أنت ، وانظر إلى بعض تجار الحياة ، إنك لو وضعت مائة قفل على بابك فإن اللص لا يتورع عن سرقته لكن ختم واحد من الشمع يضعه شرطى على بابك يهلع اللصوص من مجرد رؤيته ، طاعاتك كالأففال المائة وحفظ الله كختم الشرطى ، لكن هذا لا يعنى أننى أصرفك عن الطاعات بل داوم عليها ، لكن كن حريصا حذرا دائم التنبه من وساوس النفس وشهوات الدنيا ، فإن حصلت بعدها على العناية الإلهية ، فاشعر بالأمان ، والعارف على كل حال يقظ متنبه عابد حتى في نومه مصداقا للحديث النبوى : ﴿ نوم على علم خير من عبادة على جهل ﴾ (جامع ١٨٨/٢) . إن الأمر أشبه بالسباحة في بحر لجى : فالعارف ساكن مطمئن والجاهل يتخبط بكلتا يديه وقدميه يسير على العمياء ويغرق ، ذلك أن بحار الغيب لا شيطان لها ، وطالب معرفتها لا يشبع مصداقا لقوله ﷺ : ﴿ من هو مان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا ﴾ ، ويفسر مولانا الخبر بأنه مادام قد وضع العلم في مقابل الدنيا فلا شك أنه غير علم الدنيا ، وليس هناك سوى الدنيا إلا الآخرة .

(٣٩٠١ - ٣٩٢٧) : عودة إلى حكاية الأمراء الثلاثة وقلعة ذات الصور : لقد صاروا جميعا يعانون همما واحدا ، ويتحملون حزنا واحدا ، ويواجهون هذه المشكلة بسلوك واحد ، ويحترقون في أتون واحد هو أتون العشق . وما هو الأخ الأكبر يقوم بينهم خطيبا يذكرهم بما كانوا عليه فيما مضى قبل أن يفتنوا : إنه يذكرهم بأنهم كانوا الناصحين للناس بالصبر وطالما قالوا لكل ممتهن إن الصبر مفتاح الفرج . فكيف لا يلجأون إلى هذا المفتاح ؟ ماذا جرى ؟ هل نسخ هذا القانون الأزلى ؟ إن هذا العالم قد خلق في ستة أيام وكان سبحانه وتعالى يستطيع أن يخلقه بحرفى " كن " والآن وقد جاء دورنا في تجربة هذا العلاج الناجح ، مالنا أصبحنا كالنساء لا نفعل إلا النواحي ؟ هيا أيها العاقل اعمل ، وأيها اللسان انصح ، وأيها

المليك حرك لحيتك ومر بالصفح عنا " إشارة إلى حكاية السلطان محمود الغزنوى وعصاية اللصوص في الكتاب الذي بين أيدينا " ؛ (انظر الأبيات ٢٨٢٥ و ٢٨٤٧ و ٢٩١٨) ، هذا أوان الرجولة فأظهرها ، كيف تكون على الصوت خطيبا مفوها واعظا ناصحا عند مصائب الآخرين ، فإذا وقعت أنت في المصيبة أخذت في الفواح والعويل ، إن ما قمت به من أعمال خلال عمرك الطويل لابد وانه قد جعل منك مستعدا للحرب والمقاومة فيها ، لقد آن أوان النزال ، وحافظ على رئاستك وعلى كرامتك ، لا تفقد مظاهر رجولتك ، والدور عليك الآن في اللعب، فانشط وعد إلى طبيعتك .

(٣٩٢٨ - ٣٩٤٧) : على نكر وجوب عودة المرء إلى طبيعته يذكر مولانا جلال الدين حكاية أخرى هازلة ، صمت المفسرون عن البحث عن مصدر لها ، ويقدم مولانا شخصية الفقيه ساخرا ، فقد كان من الممكن أن يعتذر عن الشراب دون أن يحدث هذه الضجة المبالغ فيها إظهارا لزهده وورعه ، ثم يترك مولانا سياق الحكاية لحديثنا عن أهل المعنى عندما يبتلون بصحبة أحد من أهل الدنيا أو أهل الظاهر ، إن الحق سبحانه وتعالى يسقى خواصه من خمر ليست هي خمر الدنيا ﴿ إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ﴾ (الإنسان / ٥) ، هذه هي معرفة عالم الغيب وعندما يعرضون خمرهم على من لم يؤذن له بها يعرض عنها ، وينصرف إلى قشور المعرفة ، فمتى كانت المعدة تستريح من القش ؟! إن هذه القشور التي يهرع إليها أهل الدنيا هي حطب جهنم ، وإذا أضرمت النار في لب أنضجته ولم تحرقه ، إن الحق الحكيم ، دائما يفرق بين القشور واللباب ، وهو أدري بها ، وهذه هي سنته في خلقه ، إن هذا ليس إحراقا بل إنضاج ، " نار المحنة تحرق الفج الجاهل وتتضج العالم العارف العاقل " ، وهكذا أيضاً خمر الكرام، هي إنضاج ونور لأهل المعرفة ، لكنها سم زعاف لأرباب الجهل ، والله تعالى ينبه عباده المخلصين دوما ، ويبتليهم لكي يعودوا إلى طبيعتهم ، ولو لم يفعل ذلك لحرموا من عطائه ومكافأته .

(٣٩٤٩ - ٣٩٥٢) : إن الله تعالى جلت قدرته يستطيع أيضاً أن يسلب العقل من الرأس ، حتى الشمس التي تبث النور هي أيضاً أسيرة في يد الحق ، ويجعل الفلك يدور حول نفسه إن أمره بذلك ، والعقل الذي يسيطر على عقل آخر ويوجهه إنما يحمل قبساً من نور الله ، فالعقول بمثابة قطع الشطرنج في يد القدرة يوجهها حيث يشاء .

(٣٩٦٤ - ٣٩٧٠) : المقصود أن المرأة تتطبع بما يعودها زوجها عليه ، أحياناً يعطف وأحياناً يقسو، لكن لا غنى لأحدهما عن الآخر ، هذه هي لعبة الحياة ، لا غالب فيها ولا مغلوب ، بل إن كل عنصر يكمل الآخر ، وليست هذه اللعبة قاصرة على الزوج والزوجة ، بل هي لكل معشوق وعاشق ، القديم والحديث ، والجوهر والعرض ، فكلاهما يلتف حول الآخر ويطوف حوله ، مثل الالتفاف العاشقين ويس ورامين ، وكل عشق سواء كان جسدياً أو روحانياً فيه هذا الالتفاف بين العاشق والمعشوق ، لكن له صوراً أخرى ، لكني ذكرت الزوجة والزوج على سبيل المثال لأنه مثال واضح ، ومولاتا ناظر في هذه الأبيات إلى قول الرسول ﷺ في خطبة الوداع ، { اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله } (مولوى ٥٤١/٦) .

(٣٩٧٤ - ٣٩٩٣) : ليس التقاء الجسدين في رأى مولانا مجرد شهوة وتطفأ ، بل هو التقاء روحين في المقام الأول ، وهكذا نسي الفقيه زهده وورعه " المصطنع " ، ونسيت الجارية خوفها وتمنعها ، ويطول اللقاء ، ليضبطهما الملك متلبسين بالجرم المشهود ، لكن الأمر لا يثير عنده سوى بعض الغضب ثم السخرية من الفقيه " الورع " الذي سقط من أول مجلس شراب ، ويسوق مولانا على لسان الملك سمة محبيه في الملك في تصرفه تجاه الرعية بأن يرضى لهم ما يرضاه لنفسه وأن يطعمهم مما يطعم وذلك مصداقاً للحديث النبوي الشريف : { إخوانكم خولكم جعلهم الله فتية تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يديه فليطعمه من طعامه ويلبسه من لباسه ولا يكلفه ما يغلبه فإن كلفه ما يغلبه فليعينه } (جامع / ١-١٤) . ويعود

الابن الأكبر للملك (فى قصة قلعة ذات الصور) إلى الحديث : لقد حدث قبل ذلك أن أعاد الكثيرين إلى طبيعتهم ، وحثهم على الصبر ، فهيا تصبر ، وعد إلى نفسك الصابرة برجولة ، واستخدم هذا العقل المفكر دليلا لك إلى الصبر ، مثلما كان صبر محمد ﷺ على الكفار وأذاهم سببا في معراجة وقربه من الله سبحانه وتعالى ، وهكذا يكون لك الصبر جناحا تحلق به إلى أوج العرش والكرسى .

(٣٩٩٤ - ٣٩٩٩) : لقد كان من المفهوم في الأبيات السابقة أن الأمير يوصى نفسه بالصبر عن طلب المحبوب ، وإيثار السلامة، لكن الأمور تجرى على غير ما هو مفهوم فالصبر المطلوب هنا هو الصبر في طلب الحبيب، قال كبيرهم هذا ، وانطلقوا في طريقهم ، فلم يعد الأمر في أيديهم ، وهكذا انطلقوا إلى بلاد الصين ، فإن كان طريق الوصل مسدودا ، فالقرب بقدر الإمكان محمود ، أو ما لا يدرك كله لا يترك كله ، والعاشق يظن أن طريق الوصل خطوتان وقد وصل ، أو يقول أبى اليزيد البسطامي " خطوة بالجهد وأخرى بالتوفيق " ، (استعلامى ٤٢٠/٦ وانظر البيت رقم ١٥٥٠ من الكتاب الرابع) ، لم يكن الأمراء وحدها في هذا الطريق، فمن قبلهم كم من أناس تركوا الملك ، مثل إبراهيم بن أدهم (انظر البيت ٧٢٧ من الكتاب الرابع) ، وكم من نبي صبر من أجل المحبوب ، ألم يدخل إبراهيم عليه السلام نار النمرود ؟! وألم يسلم إسماعيل عليه السلام رقبته للذبح ؟!

(٤٠٠٠ - ٤٠١٣) : يقدم مولانا جلال الدين نمونجا آخر من الملوك الذي شردهم العشق ، وزهدهم في عروشهم وسطوتهم وصولجانهم ، ويقدم سيرة امرؤ القيس الشاعر الجاهلي الشهير من وجهة نظر صوفية ، فامرؤ القيس لم يترك الملك إلا لمقتل والده ، وقولته الشهيرة " اليوم خمر وغدا أمر " ، وذهابه مستجدا بملك الروم ، ومقتله غيلة أو بمؤامرة ، إلى آخر هذه الروايات غير الثابتة ، بل هو في رواية مولانا جلال الدين ترك الملك زهدا ، وترك النساء المتراميات عليه لجماله تعففا ولأن جمالهن صورى ، وانطلق يبحث عن الملك الخالد

ملك العشق، والجمال الخالد جمال الحقيقة، واحترف الملك صناعة الطوب اللبن في تبوك،
وما هو ملك الروم يعرض عليه ملك الدنيا، لكن امرئ القيس يبوح له بالسر الذي شرده،
سر العشق، فيجره إلى عالمه بهمة واحدة، ويسبحان معا في البلاد، ولم يكونا أول الملوك
أو آخرهم، فالعشق قد ارتكب هذا الأمر كثيرا، (خاصة بالنسبة للملوك الذين أصبحوا أنبياء
وأولياء بوذا والنعمان بن المنذر ولهراسب في الشاهنشاه وإيراهيم بن أدهم وغيرهم
وغيرهم)، (استعلامي ٤٢١/٦) إن العشق بمثابة الثقل الأخير الذي يوضع في سفينة الحياة
الوتيرية الهائلة الناعمة ويجعلها تمخر عباب بحر الحقيقة الهائج.

(٤٠١٤ - ٤٠٢٣) : يعود إلى قصة قلعة ذات الصور والأمراء الثلاثة، الذين نسوا مملكة
والدهم، وطاقوا بمملكة الصين أملا في التقاط "حبوب" المعرفة، كانوا يعلمون أنهم يملكون
سرا خطيرا لا يملكون البوح به حتى بينهم وبين أنفسهم، ولو كانوا قد باحوا به، لفنوا
وانعدموا دون نتيجة تذكر، وتضحوا بأنفسهم بشروى فقير وبثمن بخس، فالعشق من غيرته
قاتل، حتى في أوقات الرضا، فما بالك إن كان غاضبا، إنه أشبه بالأسد الذي يهاجم مرج
الروح، لكن دعه يقتل، فإن في قتله هذا حياة الأبد وعيشة الخلود (انظر مقدمة الترجمة
العربية للكتاب الثالث، وانظر الأبيات ٣٨٣٥ - ٣٨٣٩ من الكتاب الثالث وشروحها) إن
الأمراء الثلاثة يتحدثون بالكناية والرمز فأى لغة هذه التي تصلح للعشق، إن الخوف = خوف
نتيجة البوح- يسيطر عليهم سيطرة شديدة، الخوف من غيرة الحق، ومن عواقب ذبوع
السر، ومن ثم كانوا يتحدثون إلى بعضهم بلغة الكناية التي لا يفهمها "الأغيار" ممن لم
يجربوا عالم العشق.

(٤٠٢٤ - ٤٠٣٤) : يسمى مولانا هذه اللغة الخاصة لغة العشق بـ "منطق الطير السلیمانی"
(انظر الكتاب الثاني، البيت ٣٧٧٤ والكتاب الرابع الأبيات ٨٥١ - ٨٥٨ وشروحها) وفي
هذه اللغة مصطلحات يعرفها أعزاء الحق، وهي ليست من قبيل الألفاظ التي نجد معانيها في

المعاجم ، ويسمى هذه اللغة بلسان الطير ، وهى لغة لا يعرفها الغافلون والسذج ، حتى وإن تشابهوا مع سليمان عليه السلام (أو مع الأولياء) في الصورة والجسد ، فأشبهاء سليمان عليه السلام هم الأولياء الواصلون ، أما الشيطان وإن سرق الخاتم وتشبه بسليمان وجلس على كرسيه ، فلم يكن له بهاء سليمان ولا معرفة سليمان ولا فهم سليمان للغة الطير (انظر تفصيلات في الترجمة العربية للكتاب الرابع البيت ١٢٦٤ وما يليه) ، لقد كان تعليم سليمان من الإله ، ومن ثم أعلن ذلك بقوله ﴿ علمنا منطق الطير ﴾ (النمل / ١٦) . وما امت لا تفهم لسان طيور الهواء (الأولياء والعارفين) فافهم أنك لا تملك علم الباطن مثل سليمان ، ولم تر الطيور المقصودة التى هى من لدن الله تعالى ، ومن أين لك أن تفهم وهذه الطيور كطائر العنقاء (الأسطورى) تعيش فيما وراء جبل قاف (فى ما وراء حدود هذا العالم المادى) ، هذا اللهم إلا أولئك الذين انشغلوا بعلوم الدنيا وسطح في قلوبهم شعاع فى نور الحقيقة إتقافاً وعلى سبيل الصدفة ، لكنهم لم يتشبهوا به فمتموا بالفراق ، لكن هذا الفراق ليس فراقاً نهائياً ، فإن من ذاقه مرة لم ينسه ولم تنقطع صلته به ، وهذا الفراق فراق مصلحة من أجل ألا يذوب ذلك الجسد الروحاني (الذى وجد قبساً من الروح) وينتهى كلية ، ومن أجل أن يساعد فى المسيرة الروحانية ، فاطلب من المرشدين الصلاح ، ولا تسرق مصطلحاتهم ويضيف الانقزوى (٦-٦-

(٤٠٣/٢) "مشاهدة الأبرار بين التجلى والاستتار" وينقل عن سعدى بيتين عربيين :

أشاهد من أهوى بغير وسيلة فيلحقنى شأن أضل طريقاً

يؤجج ناراً ثم يطفى برشة لذاك ترانى محرقاً وغريقاً

(٤٠٣٥ - ٤٠٥١) : يشير مولانا إلى أن الأمراء الثلاثة كانوا يستخدمون فيما بينهم مصطلحات خاصة بهم ، ويتحدث عن لغة زليخا (امراة العزيز) الخاصة التى كانت تتحدث بها عن يوسف عليه السلام ، وكان صويخباتها يعرفن كنياتها ويفهمن لغتها الخاصة ، والرواية هنا ذات أصول وردت فى كتاب بحر المودة فى أسرار المحبة المنسوب إلى أحمد

الغزالي وفي كتاب شرح التعرف لإبراهيم بن المستملى البخارى (١٠٦/١) (عن فروزانفر مأخذ ٢١٩-٢٠) ويطور مولانا الروائيتين المذكورتين ، فعندما تذكر زليخا شيئاً محبباً من قبيل "ليوننة الشمع" أو "طلوع القمر" و "اخضرار عود الصفصاف" وما إليه فهذا يعنى أن الحال بينها وبين يوسف على خير ما يرام ، وإن ذكرت شيئاً منفراً فمعنى ذلك أنها تعاني من الحبيب الهم والفراق ، لقد كانت زليخا لا تتحدث فى الواقع إلا عن يوسف ، مهما ذكرت من أسماء ، كان ذكر يوسف طعامها عند الجوع وماءها عند العطش ودواءها عند المرض ، وفراءها عند البرد . فى رواية شرح التعرف ورووا فى قصص زليخا أنها عندما كانت تغلبها المحبة كانت الصفات كلها تتحول إلى يوسف ، فعند البرد كانت تنطق اسم يوسف فتشعر بالدفء بحيث يتصبب منها العرق ، وكانت إذا نظرت إلى يوسف حدث لها نفس الشيء ، وعند الحر كانت تذكر يوسف فتشعر بالراحة وكذلك عند العطش والجوع كانت تذكر اسم يوسف أو تنظر إليه فتستغنى عن الطعام والشراب ، (شرح التعرف ١٠٦/١) .

(٤٠٥٢ - ٤٠٦٧) : أنظر إلى زليخا إنها تذكر يوسف المحبوب فى كل ما تقول ، ما تلفظ من قول إلا وفيه إيماءة أو إشارة أو ذكر ليوسف ، فما بالك بأولئك العوام الذين يذكرون اسم الله على طرف اللسان ، ولا حضور له سبحانه وتعالى ولا عشق فى قلوبهم ، شتان ما بينهما ، فما كان اسم يوسف يفعله فى زليخا ، كان اسم الله يفعله فى عيسى عليه السلام ، إن الروح المتصلة بالحق ، ذكرها نكره ، ونكره نكرها أو كما قال ابن الفارض :

ففى الصحو بعد المحو لم أك غيرها وذات بذاتى إذ تجلت تجلت

فوصفى إذن لم يدع اثنين وصفها وهيئتها إذ واحد نحن هيئتي

فإن دعيت كنت المجيب وإن أكن منادى أجابت من دعائى ولبت

(انقروى ٤٠٦/٢-٦) ، إنها روح تكون خالية من نفسها ممثلة بالله سبحانه وتعالى ، ومصدقاً للقول المأثور "كل إنا بما فيه ينضح" ، فلا ذكر إلا لله ، ولا وجود إلا لله ، ولا فعل

يصدر عن الولي ورجل الحق إلا عن الله ، ومن هنا يقوم الأولياء بخوارق العادات فلا هي تجرى على أيديهم ولا بحولهم بل بحول الله تعالى وطوله . (انظر ٢٠٢ من الكتاب الثاني و ٩٠٥ من الكتاب الرابع) ، إن رضا الولي وابتسامه وتهلل وجهه إنما هو رضا الوصل وسروره (انظر الترجمة العربية للكتاب الرابع الأبيات ٣٢٤٢-٣٢٥٤ وشروحها) ، وما هذا الحزن والاكتئاب عند بعضهم إلا لأنهم مطرودون عن عتبة الحق مبعدون عنها، ذلك أن كل إنسان يحس في قلبه بمائة مراد، تتفرق به السبل والأودية فلا ييالي في أي واد هلك ، وهذا ليس من مذهب العشق ولا الوداد فليس ثم إلا وجهه ونقل الأنقروى عن ابن الفارض :

وعن مذهبي في الحب مالى مذهب وإن ملت يوماً عنه فارقت ملتي

ولو خطرت لى فى سواك إرادة على خاطرى سهواً قضيت بردتى

(انقروى ٤٠٧/٢-٦) ، والشمس نفسها على عظمتها وجلالها بين الكواكب هي مجرد نقاب أمام هذا الوجه ، إنها مظهر من مظاهر تجلى الحق ، والذي لا يعرف الوجه من النقاب يكون مشركاً (انظر آية ٢٤ من سورة النحل والأبيات ٥٧٧-٥٨٠ من الكتاب الرابع وشروحها) فالحق بالنسبة للعشاق هو كل شئ، هو النهار وهو الرزق وهو القلب وهو حرقة القلب مثلاً تحصل الأسماك من البحر على كل شئ (انظر إننا أسماك وأنت بحر الحياة من الكتاب الثالث البيت ١٣٤٢ وشروحه) والعاشق كالطفل الرضيع والحق بالنسبة له كاللبن الذى يرضعه سواء عرفه أو لم يعرفه لا محيص له منه ولا مهرب له عنه ، ولا تدبير له فى سواء ، إنه مثل تلك الورقة المستديرة التى تكتب فيها سورة من القرآن على نية شفاء المريض أو عودة الهارب ، فإذا كان المرء يؤمن بهذه الورقة ، فأولى به أن يؤمن أنه لا مهرب من الحق ، ولا محيص منه ، ويؤمن أنه مرتبط به إيماناً لا يقل عن إيمانه بتأثير هذه الورقة التى تحفظ المريض بين دفتيها وترد الهارب ، فالفتاح هو الله ، والمفتوح هو السر المراد ، والروح وإن كانت ذاهلة ، إلا أنها ليست ذاهلة فى عودتها ، فهي عودة طبيعية مثل عودة السيل إلى البحر ، إن البحر

هو الذى يدعوهُ ، لا جدول ماء ولا غيره، وعندما ما يجد أحدهم النداء ، نداء البحر ، فإنه يضع فيه . ويصير بأجمعه غريقاً فى البحر ومن هذا الغرق يجد الوجود الحقيقى ، مثلما تضع البذرة فى التراب ، وبعدها تتخلق شجرة ذات ورق وثمر ووجود حقيقى (آية حبة غرست فى الأرض ولم تثبت ، فكيف يكون ظنك هذا بحبة الإنسان ؟ كليات ديوان شمس غزلية ٩١١ ص ٣٦٧) وفى الشطرة الثانية إشارة إلى قصة صدر جهان أنفة الذكر والفقيه الذى تظاهر بالموت لينال العطاء (انظر ٣٨٥٠ من الكتاب الذى بين أيدينا) .

(٤٠٦٨ - ٤٠٨٤) : البيتان العزيبان المذكوران فى العنوان لم أعثر لهما على أصل . عودة إلى قصة الأمراء الثلاثة وقد وصلوا إلى الصين متوارين مختفين . وها هو الأخ الأكبر يجد نفسه قريباً من الهدف لكنه لا يناله ، ويفقد صبره واحتماله . ودخل فى مرحلة اللامبالاة ، وعدم تحمل الانتظار ، وهكذا نكون كلنا عندما نقرب من الهدف ، وأصعب ما فى صعود الجبل صعود قمته ، ما هذا الانتظار وما هذا القلق وإلى متى تحمل هذه الواقعة التى تفت العضد وتقل الطاقة ؟! إن تحمل هذا الفراق من علامات النفاق ، أصبر على المحبوب وهو قيد خطوات ؟! إن هذا ليس من العشق فى شئ ، وعلام أخاف؟ أعلى الرأس ؟ إن العشق يهب رؤوساً بدلاً من هذه الرأس ، وآية حياة هذه أشبه بالموت بل إن الموت أفضل منها ، إن السيف لا يقتل روح العاشق "من عاش بالعشق لم يمّت أبداً" ، إنه ينفض الغبار، غبار أدران الدنيا وأدران الجسد عن هذه الروح {فالسيف محاء الخطايا} (حديث نبوى) ، وعندما ينتفى غبار الجسد فإن قمر الروح يتألق من تحت سحاب الجسد وغبار الدنيا ، إننى دائماً فى عشق هذه الحسناء أغنى لحناً واحداً غناه من قبلى الحسين بن منصور الملاح "إن فى موتى حياتى" ألمست أدعى أننى من الطيور المائية طيور هذا البحر (التعبير من مقالات شمس الدين وانظر ٣٧٨٢ من الكتاب الثانى و ٣٤٩٠ من الكتاب الثالث) ، فإذا كنت حقاً من هذه الطيور فلماذا أصرخ من طوفان البلاء ؟! وهل يهلع السالك من غرق سفينة جسده ، إننى أدعى العشق ،

كيف ؟ وجسدى حى وروحى حية ، إبنى مدع ، لكننى مدع ولست كذاباً ، أدعى العشق وإن كنت غير جدير بالوصال ، إبنى أشبه الشمع تقطع رقبتى فأزداد ضياء (الصورة من شعر منوهرى الدامغانى المتوفى سنة ٤٣٢ هـ) ، إن عشاق الحق إذا احترق كل ما يملكون فإنما يكفيهم ويعوضهم أن يتألق عليهم شعاع واحد من نور الحق وأعضاء الحق لا يختفون ، لقد جاهد إخوة يوسف فى أن يخفوا يوسف عن أبيهم لكن آية واحدة من آيات الحق (القميص ، بل ربح يوسف فى القميص) دلت يعقوب عليه وجعلت حيلة اخوة بدأ .

(٤٠٨٥ - ٤١٠٧) : يقوم الأخوان الآخرا بنصح الأخ الأكبر : لا تكن غافلاً عما يحيط بك من أخطار ، لا تحرك آلامنا ، إنك لست موقناً من الوصول ، فكيف تلقى بنفسك فى الخطر لمجرد الاحتمال والشك فى إنك سوف تصل تقوم بهذه الفعلة ، دون أن تعد لها عدتها ، وما هى عدتها ؟ إنها تدبير الشيخ المرشد الذى يأخذ بيدك ، كيف يستطيع سالك مبتدئ أن يمضى إلى نهاية الطريق ؟ لقد كنت معتمداً على العقل ، وها أنت بقولك هذا تدل على أن عقلك قد ضاع منك ، فلا بد لك من عقل المرشد ، فإن لم تكن مظفراً فعش فى ظل مظفر ، وإن لم تكن ذا بصيرة فتتبع خطو ذى بصيرة (انظر الكتاب الثالث الأبيات ٢٧٦-٢٧٩ وشروحها) ، وكيف بك تمضى دون مرشد؟ ألست ترى الفخاخ حولك؟ وكلها جراح تبدو لك فى صورة الدواء (عن الفخاخ انظر الكتاب الثالث ٢٦٩-٢٧٥ وشروحها) انظر الحية تمسك فى يدها ورقة شجرة يظنها الطائر قوتاً فيسقط فى فم الحية (الصورة مكررة فى البيت ٢٨١ من الكتاب الثالث) ، ويمكن أن تكون الإشارة هنا إلى المثل العربى القائل "المال حية" انظر البيت ٥٢٩٠ من الكتاب الخامس) ، والتمساح يصيد الطيور التى تطحن الديدان العالقة بأسنانه مائدة شهية ، نعم ، هذه هى صورة الدنيا تماماً ، تمد إليك صنوف النعيم ، لتفتلك (ثبت طبياً أن الأمر حقيقة وليست مجازاً ، والموت بالأمراض المستعصية وأمراض القلب نسبتها الأكبر فى الدول المرفهة) ، إبنى أضرب لك صوراً من مكر الحيوان فكيف بالإنسان ومكره وهو سيد على كل

هذه الحيوانات قد غلبها وسيطر عليها بمكره ، فأياك من نفاقه وتظاهره ، يكون أحدهم متظاهراً بتقوى على الأصغر بن الحسين السجاد عليه السلام ، لكنه يخفى خنجره القاتل في كفه ، يتהלل في وجهه ، وفي قلبه كل سحر أهل بابل (انظر عن الملكين ببابل ، البيت ٥٣٩ من الكتاب الأول والبيت ٧٩٧ من الكتاب الثالث والرابع ٢٦٧٤ والخامس ٦٢٣-٦٢٦) أو كما يقول عليه السلام عن بعضهم {ألسنتهم أحلى من السكر وقلوبهم قلوب الذئاب} (انقروى ٦-٤١٥/٢) .

(٤١٠٨ - ٤١١٩) : إن متاع الدنيا قليل ، ونورها كالبرق الخاطف لا يدوم ، وبعدها ظلمة مترامية ، ومفازة دون شعاع من نور ، فإن قنعت بنور البرق حرمت من نور ربة الشرق ، فتتفرق بك السبل في الظلام ، وتتوه وتضل بلا دليل ، بل إنك عندما ترى الدليل تتصرف عنه ، وأنت في سعيك وبحثك عن جاه الدنيا تتخط ، ففرق بين طالب الجاه وطالب الله ، إنك ترى أنك في نهاية الطريق ، وأنت لا زلت في بدايته ، بل إنك لم تبدأ الطريق أصلاً ، إنك تقطع الطرق على الظن ، ولو أنك تسير مع مرشد لقطعت الطريق الأصلي في عشر معشار ما قطعت فيه كل هذه الطرق ، وهذا بعيد عنك وعن رشدك بعد أن قرأت ﴿ إن الظن لا يغنى عن الحق شيئاً ﴾ (يونس ٣٦) فتركت ربة الشرق وسرت في نور البرق .

(٤١٢٠ - ٤١٣٦) : الحديث يبدو من الأخوين إلى الأخ الأكبر لكنه من إفاضات مولانا جلال الدين في الحقيقة يحدث المغرورين المبتعدين عن دائرة الإرشاد ، واركب سفينتنا أيها الضال خطاب نوح عليه السلام في الحقيقة إلى ولده كنعان (انظر تفصيلات الكتاب الثالث ، الأبيات ١٣١٠-١٣٣٥ وشروحها) ، واربط سفينتك بسفينتنا أي الحق وجودك بوجودنا ، إن العمى عيب واحد ، لكن العمى والابتعاد عن المرشد في نفس الوقت هو العمى المركب ، أتراك تهرب من مجرد الإتياع والإقتداء إلى المتاهات والضلال ، فيالك من هارب من بعوضة إلى عقرب وهارب من القطر إلى اليم ، وهارب من شدة الأب وحرصه على تأديبك بالشدة إلى

صحبة الشواذ وإلى الفتنة وإلى الشر (انظر شدة الأب خير من حنان الأم الكتاب الذى بين أيدينا الأبيات ١٤٣٧-١٤٤٣ وشروحها) وانظر إلى سيدنا يوسف عليه السلام ، لقد أخذ الإذن من أبيه لى يرتع ويلعب ، وأخذته يرتع ويلعب هذه من أحضان أبيه وألقت به قاع البئر (انظر الكتاب الثالث البيت ٤١٧) ، ولو لم يكن أبوه قد أذن له ، لضاع وانتهى فى غيابة الجب ، وهكذا فكل أعمى البصيرة وسالك مغرور غير خبير يعصى أوامر الشيخ ، فإنه يحرم من فيضه ، وقد تكون فيه نهايته ومهما يناديه عيسى الإرشاد ، هيا تعال فأنا البشير معى قميص يوسف ألقه على وجهك فترتد بصيراً ، فتعال أيها الحمار العجوز العنيد الكسول، واختر الشيخ ، فلا كان هناك غير الشيخ قائداً أو دليلاً ، ولا أقصد بالشيخ ذلك الذى شيبته الأيام (انظر لشيخ العقل وشيخ الأيام الكتاب الرابع الأبيات ٢١٦٠-٢١٦٨ وشروحها وانظر أيضاً الكتاب الأول ٢٩٤٣) إن هذا الشيخ هو الذى يستطيع أن يخرج بك من الظلمات إلى النور ، ويوفر عليك المجهود ، فتتجو بفضل من عبادتك للظلمة وانغماسك فى الضلال .

(٤١٣٧ - ٤١٥٠) : إن الشيخ لا يطلب منك سوى شرط واحد : أن تستسلم له بكليتك وألا تجادل أو تناقش وأن تبرأ من كل حول وقوة لك ، إن السهم لا ينطلق إلا بالقوس ، وأنت لن تتطلق إلى السماء إلا بالقوس الشيخ ، لن تكون أكثر قوة من النمرود الذى أراد أن يطير إلى السموات محلقاً بأجنحة عشرة نسور فلم يجده ذاك نفعا ، وكان يستطيع أن يصل عن طريق إبراهيم عليه السلام لو أنه أطاعه ، إن المرشد هو السلم إلى السماء ولا سلم سواه ، لماذا تفكر دائماً فى سفر الجسد ، إن سفر الروح لا وسيلة له سوى المرشد ، انظر : ألا تسافر أحاسيس الناس وهم نيام ثم تعود عند اليقظة ؟ (انظر الأبيات ١٦٩١ - ١٧٠٠ ، البيت ٢١٠٠ من الكتاب الأول وشروحها) ، والعارف أيضاً يمضى إلى مئات العوالم وهو جالس مستريح فى مكانه ، وإذا لم يكن هذا السير الروحاني قد حدث له فمتى عن له وتيسر له أن يخبر عن الولايات البعيدة (انظر الكتاب الرابع ، الأبيات ١٨٠٢ وما بعدها وشروحها) وهم متفقون فى هذا لا

يختلفون كعلماء الظاهر ، ذلك أن عملهم كحضور الكعبة وسط النهار في حين أن علم علماء الظاهر كالتحرى (البحث) عن الكعبة (جهة القبلة) في الليل الداجي .

(٤١٥١ - ٤١٥٤): لا يزال إبراهيم ^{عليه السلام} يحذر النمرود أو بمعنى أصح لا يزال يبين للسالك العاصي الذي يريد أن يسير في هذا الطريق وحده وكلها في إطار نصح الأخوين لأخيهم الأكبر ، هيا أيها النمرود ودعك من أجنحة النسور واطلب أجنحة من الرجال ، ودعك من عقلك الجزئي الذي يسير به في طريق عالم الغيب وهو لا يصلح إلا للدنيا وإلا لما تمليه عليه الحواس (انظر البيت ١٥٥٩ من الكتاب الثالث والبيت ٢٧٢٣ من الكتاب الذي بين أيدينا) ودعك يا قليل الهمة من جيفة الدنيا (انظر ١٠٤٢ من الكتاب الرابع و ٣٤٨٥ من الكتاب الذي بين أيدينا) وعقول الأولياء بمثابة جناح جبريل تطير حتى سدرة المنتهى مرحلة بمرحلة، إنني - والكلام على لسان إبراهيم ^{عليه السلام} للنمرود - بازى السلطان ، لى صلابة البازى وطهره وزهده وملازمته السلطان - الخالق - وبمعونة جناح واحد منى تستطيع أن تصل أنت أيضاً إلى ساعد السلطان (انظر الغزلية رقم ٤٤١ ، ص ٢٠٣ من ديوان شمس الدين التبريزي) فحتم تسير على العمياء ؟ إنما يلزم لكل حرفة وكسب أستاذ فكيف تمضى بلا أستاذ؟! (لتفصيل الفكرة انظر الكتاب الخامس ، الأبيات ١٤٢٥ - ١٤٣١ وشروحها) .

(٤١٥٦ - ٤١٧٢) : عودة إلى حديث الأميرين إلى أخيهما الأكبر وتبين مولانا في هذه الأبيات صراحة أن بنت ملك الصين ليس لها وجود صوري وإن ملك الصين نفسه وجود روحاني ومعنوي وأن معظم السالكين والباحثين بالرغم من أنهم وجدوا ارتباطاً روحانياً مع هذا الوجود، إلا أنهم لم يصلوا قط إلى بنت ملك الصين وهى سر من أسرار الغيب ، وكل ما قاله لك الشيخ امض وفقاً له ، لا تخدعه ، ولا تشح عنه بوجهك ، إن الناس جميعاً يقولون إن ملك الصين " لم يلد " (الإخلاص / ٣) ، وأنه ﴿ ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ﴾ (الجن / ٣) ، ومن قال هذا فقد عرض روحه للدمار، فإن الملك يطلب منه إثبات ما لا سبيل إلى إثباته ، وهناك

خندق ملئ برؤوس فصلت عن أجساد أصحابها لأنهم " جدفوا " بهذا الباطل وخاضوا فيه ، -
وهكذا كانت نهايتهم مهما كان سيرهم ، وهكذا السائر مائة عام على العمياء ودون هداية
المرشد ، واقرأ يا أخانا قول الله تعالى ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ (البقرة / ١٩٥) .
(٤١٧٣ - ٤١٨٨) : يجيب الأخ الأكبر مستبعداً أن الأوان أوان انتظار المرشد أو انتظار
الدليل ، إن الزرع قد استوى على سوقه وقد آن أوان المنجل والحصاد ، أي صبر والعشق قد
أضرم النار في مقام الصبر ، فكفاكم حديثاً ، وكفاكم تحذيري بالخطوب ، فلا صبر عندي ،
مات صبري ولكم طول البقاء ، أي رأس تخاطبه وأي عقل تخاطبه ، لقد انقلبت رأساً على
عقب ، أنت تحدث الآن قدمي ، فهل تفهم القدم ؟! لقد سقط البعير من شدة الحمل ولم يعد له
من حل سوى الذبح ؟! أي خندق وأية رؤوس مقطوعة ، إنها مجرد مزاح إلى جوار هذا الأكم
الذي أحس به ، فهل أخفى الهوى ؟! وهل يمكن إخفاءه ؟! كأتني أدق الطبول تحت الغطاء !!
فإما أن أرى محبوبي وإما أن أفقد رأسي ، وجدير بهذا الرأس أن يفقد في سبيل هذا الهدف ،
وأولى بالخلق الذي لا يتحمل شراب الهوى أن يذبح ، أو كما نقل الأنثروبي عن ابن الفارض
(٤٢٦/٢-٦) :

وانى إلى التهديد بالموت راكن
ومن هوله أركان غيرى هدت
وأولى بالعين التى لا تبصره أن تعمى ، والأذن التى لا تسمع سره أولى بها أن تقطع ، واليد
التى تخلو من هذه العطية عطية رؤية الحبيب أولى بها أن تقطع بيد القصاب ، والقدم التى لا
تنتزه في رياض أسرارها أولى بها أن تغل في الأغلال حتى تستريح منها الرأس !!
(٤١٨٩ - ٤١٩٨) : يقدم مولانا عنواناً جديداً ، إن الأخوين ينصحان أخيهما الأكبر بأن يدق
باب المرشد ، وما وقر في ذهن الأخ الأكبر أن أبواب الله كلها واحدة ، وأنه من الممكن أن
يدق على باب ، بينما ميسر له الله العطية من باب آخر ، إنه " معه " أي مع الله سبحانه
وتعالى . والله يقول ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ ، والله

سبحانه وتعالى يعرف بفسخ العزائم ونقض الهمم ، (انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٤٤٦٥ - ٤٤٧٠ وشروحها ، والبيت ٣٦٩٥ والبيت ٣٤٨٩ من الكتاب الذي بين أيدينا) يقول الأخ الأكبر : إنتى سوف أصل إلى بغيتى إما في هذا السفر وإما عند عودتى (إشارة إلى الحكاية التى تبدأ بالبيت ٤٢٢٠ من الكتاب الذي بين أيدينا) ، المهم أن أحافظ على المعية ، ألا يفارق قلبى انه جل شأنه معنى وذلك مصداق للآية الكريمة ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ (الحديد / ٤) ، والمهم أن يظل هذا القول في أذنى ، لقد قال ﴿ وهو معكم ﴾ بحيث يطرد عن القلب اليأس من أن يظن انه مختوم عليه ، وحتى يجاهد ويسعى ولا يدرك أن الحبيب موجود في قلبه ، وأنه ليس عليه أن يبحث خارج هذا القلب . فاطلب المعية كما كان يطلبها الحسين بن علي عليه السلام في دعاء عرفة : " إلهى تردى في الآثار يوجب بعد المزار فاجمعنى بخدمة توصلنى إليك " (جعفرى ، ٤٥٢/١٤) . وحتى يذله بعد السعى والسير والسفر أن مطلوبك في الدار وأنت تبحث خارجها إنه يريد - أحيانا - من العبد أن يسير في الطريق العكسى وأن يبذل جهدا خارقا في طريق المعرفة ، ويستخدم مولانا القرظية الرياضية التى تصل إلى الحل الصحيح من فرض خطأين (استعلامى ٤٣١/٦) ، بعدها يعلم العبد ، بعدها وليس قبلها ، المهم أن يسعى ، والله يحقق طلبه من أي باب آخر .

(٤١٩٩ - ٤٢٠١) : ويشير مولانا إلى انه قد تحدث عن هذه الموضوعات في أجزاء سابقة - ويضرب المثل بقصة الشيخ أحمد خضرويه الذي كان مدينا في آخر أيامه - ومع ذلك فقد اشترى كل الحلوى التى يحملها بائع متجول وأعطاهما لغرمائه دون أن يستطيع دفع نصف دينار هي ثمن الحلوى ، لكن بعد صراخ ابن بائع الحلوى يصل الفتوح ، ويحصل على المبلغ المدين به وفوقه نصف دينار هي حق بائع الحلوى . (انظر الكتاب الثانى ، الأبيات ٣٧٩ - ٤٤٧ وشروحها) .

(٤٢٠٢ - ٤٢١٩) : والله - جل شأنه - في خلقه شئون ، إنه يلقى في قلبك الخوف من

المكان الذي يكون لك فيه - وليس في غيره - منطمع ويكون لك في الطمع نفسه فائدة ، إذا يعطيكه الله تعالى من موضع آخر ، وفي هذه الألعاب المقلوبة حكمة أخرى ومصلحة (انظر ١٦٤١ و ١٧٤٥ وشروحها من الكتاب الذي بين أيدينا) ، فلماذا طمعك إذن من هذه الناحية ما دام يريد أن يصرفك عنها ، هذه هي حكمته وهذا هو صنعه ، لكي تزداد فيه تحيرا ، وتقر بعجزك وجهلك ، ويوصل لك اليقين بعالم الغيب وتزداد حيرة في المنتجع ، (المكان الذي تطلب منه القوت) والمصرف : مصرف القلوب الذي يجذبها من ناحية ويصرفها إلى ناحية أخرى . فترى نفسك تطلب الرزق من عمل ثم يأتيك الرزق من عمل آخر ، فلماذا إذن وجهك نحو العمل الأول وهو يعلم أن الرزق سوف يأتيك من عمل آخر ، هذا من أجل حكمة نادرة في علم غيبه جل شأنه ، حتى يدفعك إلى التحير في خلقه والتحير عبادة الواصلين ، ومن ثم قال أحد الصوفية : " يا دليل المتحيرين زدني تحيرا " (انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ١١٠٨ - ١١٧ وشروحها) . ويواصل أكبر الأمراء : وها أنا في حيرة ، هل أصل إلى الحبيب من سعيي هذا أو سأصل إليه من طريق آخر خارج هذا الطريق الذي أسعى به وهو جسدى وذلك بعد أن ينتفى جسدى ، ها أنتم ترون أنه من الممكن بعد التضحية بالجسد أن يحدث المطلوب ، هل يكون مرادى من وصلنى هذا ، أو من عالم الغيب المختفى خلف ذات البروج ؟!

(٤٢٢٠ - ٤٢٣٠) : الحكاية الواردة هنا أرجعها فروزانفر (مأخذ / ٢٢٠) إلى كتاب عجائب نامه الذي ذكر انه من مؤلفات القرن السادس ولم يذكر اسم مؤلفه ، والهدف من الحكاية هو ما يدق عليه مولانا في الأبيات السابقة أن هدف العاشق لا يوجد إلا داخله ، وأن السير إنما يكون للوصول إلى هذا الدخل ، وها هو الوارث الذي يتلف ميراثه ، لأنه لم يتعب فيه يئن إلى الله تعالى " وكل من في السجن عابدون " ، هكذا ، وكأنه الناي ، عندما يفرغ يئن ، وينسب قولا إلى الرسول ﷺ منسوب في كتب الصوفية إلى أبى طالب المكي : " مثل المؤمن كمثل المزمار لا يحسن صوته إلا بخلاء بطنه " (استعلامى ٤٣٣/٦) . " وبين الإصبعين " ،

إشارة إلى الحديث النبوى الشريف : ﴿ قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء ﴾ (انظر شروح البيت ٣٥٦٢ من الكتاب الذي بين أيدينا) ومن بكاء هذا الوارث الذي أفلس ودموعه لجناح الحق فما دينه وإيمانه .

(٤٢٣١ - ٤٢٥١) : يتحدث مولانا عن دور الدعاء في القرب من جناب الحق مهما تأخرت الاستجابة (الاستجابة في الحقيقة قرينة الدعاء ، انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ١٨٩ - ١٩٦ وشروحها) وتأخير الاستجابة يكون من أجل أن الله تعالى يسر من دعاء عبده المؤمن ، ويحببه دائما على بابه . عن أبى عبد الله قال : إن العبد ليدعو فيقول الله تعالى : قد استجبت له ، ولكن احبسوه بحاجته فأنى أحب صوته وإن العبد ليدعو فيقول الله تبارك وتعالى : عجلوا له حاجته فأنى أبغض صوته " (عن جعفرى ١٤/٤٦٣) . (هناك صورة أخرى في الكتاب الثالث ، أن الله تعالى لم يبتل فرعون بأذى ألم حتى لا يسمعه يتضرع إليه ، انظر الأبيات ٢٠٠-٢٠٤) كما روى حديث في هذا المجال ، قال ﷺ ﴿ إذا أحب الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه ﴾ (جامع ١/١٦) . ويقدم مولانا عددا من صور الواقع المعاش أجملها صورة مشتريه الخبز الجميلة التى يؤخرها الخباز بينما يصرف القبيحة .

(٤٢٥٢ - ٤٢٥٤) : عودة إلى قصة الفقير الذي أتلّف ميراثه وأخذ في الضراعة ، ويدق مولانا على حتمية استجابة الدعاء من قبل الله تعالى ، ما دام العبد صادقا فيه مقيما عليه " فمن دق الباب ولج ، ولج " ، ومن دق هذا الباب يجد مائة ربيع في انتظاره ، المهم أن يصحح النية ، ويقبل على التوبة والإنابة " فإن الذنوب هى التى تؤخر الاستجابة " كما يقول سنائى .

(٤٢٦٩) : الشواهد المذكورة في العنوان : ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ﴾ (البقرة/٢١٦) . و ﴿ سيجعل الله بعد عسر يسرا ﴾ (الطلاق/٧) و ﴿ إن مع العسر يسرا ﴾ (الشرح / ٦) و " اشتدى أزمة تنفرجي " (انظر شروح البيت ٢٢٧١ من الكتاب الخامس) .

(٤٢٨٨ - ٤٢٩٤) : الحديث رواه أحمد والترمذي عن الحسن رضي الله عنه { دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة } (مولوى ٥٧٨/٦) ويسوق مولانا أحاديث عن الصدق وكيف أن ذلك الفقير الذي قبض عليه العسس بتهمة اللصوصية نجا ببركة صدقه، إن الصدق في القلب بمثابة العود يفوح من حرقه القلب ويدركه اللهم إلا قلب فيه علة أو فيه غرض ، إن الدعاء الصادق من قلب الرسول ﷺ أصاب هدفه من القمر فانشق (انظر الكتاب الأول البيت ١١٨) .

(٤٢٩٥ - ٤٣٠٠) : يواصل مولانا حديثه عن الكلام والحديث : فحديث ينطلق من جهنم القلب الذي لا إيمان فيه ، ويأتى على صورة ألقاظ ، وحديث ينطلق من مدينة الروح ، من عالم الغيب فيثبت في حى الشفة ، في باطنها على ساحل بحر الغيب (عندما أقول الشفة فإنتى أقصد ساحل البحر ، البيت ١٧٦٩ من الكتاب الأول) (استعلامى ٤٣٥/٦) (لب بالفارسية شفة وساحل) وباطن الإنسان عالم الغيب يزيد الروح وينعشها وهذه الدنيا بحر متلاطم ملئ بالجراح والمصائب والكوارث" ، وهذا الساحل "الشفة" ساحل بحر الغيب برزخ بين هذا العالم وذلك العالم ، وانظر إلى قول الله تعالى في سورة الرحمن ﴿ مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان ﴾ (الرحمن ١٩ ، ٢٠ وانظر الكتاب الأول البيت ٢٩٨) ، هذه الشفة وهذا الساحل مثل قافلة تنتقل بين المدن ، تأتيها المنافع من كل ناحية ، ومن ثم فهذا البرزخ الذى هو موضع اللقاء بين العالمين الروحي والمادى بمثابة السوق الذى يعرض فيه كل إنسان قيمته (قيمة الكلمة والمبدأ والمعتقد وكل مقومات الشخصية) فهناك بضاعة النشال "يقمشها من هنا وهناك ويزيفها وكل همه بلبلة الأفكار" ، وهناك بضاعة أخرى من الدر الفريد در التوحيد والإيمان وعالم الطهر ، فهى للأول دار للذنوب وهى للآخر موطن للربح ، وكل بقدر ما يريد ، وكل إنسان بقدر همته ، وبقدر فهمه ، وبقدر خبرته فى هذه التجارة .

(٤٣٠١ - ٤٣٠٥) : إن العالم متسع أمامك ، وكل أجزائه من الممكن أن تقربنا من المعرفة

أو تبعدنا عنها فهي إما قيد ومانع وسد بالنسبة للغبي الذي لا يستطيع أن يفهمه حق الفهم ويعرفه حق المعرفة ، وهكذا ، فمن الممكن أن يكون سما لأحدهم وسكراً لآخر ، قهراً لأحدهم ولطفاً لآخر ، متحدثوها صامتون أمام أحدهم فلا يفهم عنهم شيئاً ونطقهم وصمتهم سواء بالنسبة له ، وجماداتها متحدثة أمام من يريد الله له الخير ، (انظر حديث الجمادات إلى الأنبياء في الكتاب الثالث الأبيات ١٠٠٨ - ١٠٢٢ وشروحها وعن الجمادات في الكتاب الرابع الأبيات ٢٤١٢-٢٤٢٢ وشروحها) والكعبة تشهد للحاج ، والمسجد يشهد للمصلي و﴿يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها﴾ ، ولم لا ، ألم يحدث هذا ؟ ألم يميز الجماد ؟ الريح تهلك قوم عاد وينجو المؤمن ، والنيل يصير دماً لآل فرعون ماءً زلالاً لقوم موسى وقد مر كله وحدثك عنه .

(٤٣٠٦ - ٤٣١٥) : تقول يا حسن حسام الدين (وليس أى شخص كما يقول استعلامي ٤٣٦/٦) أننا ذكرنا هذه الفكرة عدة مرات ، وماذا فى هذا ؟! لكن لا أمل من بيان هذه الأفكار فأننا أشتاق كثيراً إليها ومن ثم أبينها ، وكيف يتأتى الملل من غذاء الروح ولا يتأتى الملل من غذاء الجسد ؟ أأست كلما تجوع تأكل نفس الخبز ونفس أنواع الطعام فلماذا لا تمل ؟ الجوع هو الذى يجدد الطعام القديم أمامك ، والشوق هو الذى يجدد المعانى القديمة أمامك به تتجدد أعضاؤك ، أترى لذة الطعام من الطعام ، إن لذتك من الجوع وليست من الطعام ، والمتخوم لا يتمتع بلذة أى طعام .(انظر عن الملل والتخمة فى الطعام والأفكار الكتاب الثالث ٢٦٧٩ - ٢٧٠١ وشروحها) ، أتراك تمل من حديث الروح وعالم المعانى وأنت لا تمل من السعى فى هذه الدنيا والمساومة فيها ولا تمل من الغيبة وأكل لحوم الناس ، أم تراك نسيت الكلام الذى تقوله وتعيد فيه وتريد بنفس الحماس وأنت تصيد" أنثى لتأخذها بين أحضانك !! إنك فى المرة الأخيرة كنت أكثر حماساً منك فى المرة الأولى ، لماذا لم تمل إذن من ذلك ؟ .

(٤٣١٦ - ٤٣٢٦) : يعود مولانا إلى الحديث عن متطلبات الباطن وأشواقه والتى يعبر عنها

بالألم ، ولعل مولانا هنا سبق الأفكار المعاصرة التي تقول أن الألم هو منبع الإبداع ، إن الألم هو الذى يجعلك تستخدم العلاج القديم ويبدو لك جديداً (كل عملية إبداع تجدد المبدع) ، وإذا كان الألم هو دليلنا ، فلماذا تشكو من هذا الدليل (انظر حديقة الحقيقة الأبيات ٤٥٤٣-٤٥٤٨ والأبيات ٦٠٤٤ - ٦٠٤٦ وشروحها) لكن عندما تشعر بالألم ، عليك أن تكون حذراً فى اختيار الدواء ، لا تختار دواء عشوائياً يدمرك وأنت لا تدري أنك تبتعد عن الشفاء ، وما أشبه هذا الدواء العشوائى بالماء الملح يصرفك عن الماء الحلو ولا يروى ظمأك ، وما أشبهه بالعملة الرديئة التى تطرد العملة الصحيحة من السوق ، لقد خدعك هذا الدواء الخادع ، عندما قال لك: سوف أمحو ألمك ، وهو فى حد ذاته ألم ، إهرب إذن من هذه الأدوية الكاذبة ، واحتفظ بالألم ، واحتضنه بعشق (انظر البيت ٣٧٥٥ من الكتاب الثالث) .

(٤٣٣٦ - ٤٣٤٤) : تؤكد هذه الأبيات المعنى الذى أشرنا إليه آنفاً : كنوزنا موجودة داخلنا ومع ذلك نشقى شقاء لا حد له ، ونسعى ونلهث طوال حياتنا فى سبيل الحصول على غير ما هو موجود متناسين بالفعل وغافلين عما هو موجود لدينا بالفعل (انظر لتفصيل الفكرة الكتاب الرابع الأبيات ٢٥٤٠-٢٥٥٤ وشروحها) ، لقد كان هذا الألم ، وكان هذا الصفع والتحقيق والالتهام صعوداً لى فى الحقيقة ، وهبوطاً لك ، فلو أنك أيها الشرطى سعيد لحصلت أنت على هذا الكنز ، وما كانت أشد تعاستى لو كان هذا الأمر معكوساً .

(٤٣٤٥ - ٤٣٤٩) : الدرويش الفقير وإن لم يعرفه أحد ، فإنه يعرف نفسه "إن لم تكن شديد الشهرة فى البلاد ، فلست بالقليل والله أعلم بالرشاد) فما قيمة أن يعرف الناس كلهم المرء وهو لا يعرف نفسه ؟! ومعرفة النفس هى المقدمة لمعرفة الرب "من عرف نفسه فقد عرف ربه" ، أترانى إذن أحمق أيها الشرطى ، ولن أرد فبدلاً من اللجاج والخصومة أتانى الإقبال خيراً مما أتاك ، وإلا فقد أعطانى عطية عقلى الذى دفعني إلى الخروج من بغداد والسعى الذى جعل الكنز من نصيبي " والناس بقدر عقولهم يرزقون" .

(٤٣٥٠ - ٤٣٥٩) : فى العنوان غرائب إشارات الحق ، أى المواقع التى تجذبنا فيها إرادة الحق إلى طريق فى حين أن هذا الطريق لا يفضى إلى المقصود، ومن أجل أن نفهم أن للحق إرادة تعلق كل إرادة (انظر البيت ٤١٩١) ، والتأويلات هى النتائج التى ندركها من غرائب إشارات الحق ، وكل هذه الأمور من تصاريف الحق المعكوسة التى لا تجعل الأمور كما تدل عليها ظواهرها ، ونفس هذا الضلال يقلبه الله سبحانه وتعالى إلى عين الرشد ، وهذا كله لكى لا يئأس مذهب ، ولا يخلو محسن من الخوف ، فطالما يفكر الإنسان فى الإرادة الإلهية ، فليس الطريق الذى تسير فيه يفضى بك بالضرورة إلى المقصود ، بل تظل هناك دائماً إرادة الله غالبية «والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون» إن الترياق غالباً ما يكون مخفياً فى السم ، والله سبحانه وتعالى هو صاحب اللطف الخفى ، وليس مهماً أن يكون ذلك اللطف مرتبطاً بصلاتك ، فكم غفر الله تعالى للمذنبين ، فمن أسمائه الغفور والغفار كما أن من أسمائه اللطيف والكريم .

(٤٣٦٠ - ٤٣٩٩) : يدق مولانا على فكرة من الأفكار التى تتكرر كثيراً فى المثنوى، إن عوامل السلب فى الدنيا هى التى تساعد فى ظهور عوامل الإيجاب وتثبيتها ، كما أن التحدى هو الذى يظهر كثيراً من الأمور الكامنة عند أصحاب العوامل الإيجابية ، (انظر لا جهاد بلا عدو ولا صبر بلا ميل ولا عفة بلا شهوة ، الكتاب الخامس الأبيات ٥٧٥ - ٥٨١ وشروحها) إذن قلوا وجود المنكرين والساخرين من الأنبياء لما أظهر الله اجتنابهم واصطفاه لهم، ولما أجرى على أيديهم البراهين والمعجزات التى هى بمثابة الشاهد ، فإذا لم يكن ثم خصم أو منكر فمتى يطلب القاضى شاهداً ، وكلما كان يزداد إنكار المنكرين ، كانت البراهين والشواهد على صدق النبوة تزداد ، وانظر إلى فرعون الذى كان مكره أضعاف المكر العادى (انظر الكتاب الثالث ٩٦٤ - ٩٦٦ وشروحها) لولا هذا المكر ما أجرى الله المعجزات على يد موسى عليه السلام ، وبقدر ما كان مكر فرعون كانت معجزات موسى عليه السلام ، ولقفت عصاه كل

عصى السحرة ، ويسوق موسى قومه هرباً ويتبعهم فرعون وجنوده قاصدين القضاء عليهم
فينشق البحر ، وتكون معجزة جديدة له تثبت لبنى إسرائيل الشاكين فى رسولهم المرتابين
فيه ، كان بنو إسرائيل خائفين من فرعون وجنوده وعنفوانه ، وفروا خائفين ، وفى خوفهم
هذا كان الأمن ذاته مطوياً ، وينقل الأنقروى حديثاً قدسياً {بعزتى وجلالى لا أجعل أمنين ولا
خوفين فى جوف عبدى إن أمننى فى الدنيا أخفته فى الآخرة وإن خافنى فى الدنيا أمنته فى
الآخرة} (٤٦٣/٢-٦) ، والسحرة الذين يمشون على أقدامهم عندما آمنوا بموسى عليه السلام
وقطعت أيديهم وأرجلهم وجدوا الأيدي الحقيقية والأرجل الحقيقية فى تقطيع الأيدي والأقدام ،
وأبدلهم الله خيراً منها ، والخوف أيضاً يكون مطوياً فى الأمن ، والعارفون فى أمن طالما
كانوا فى خوف من الله من أن تزل أقدامهم بعد ثبوتها ويضلهم الله على علم ، انظر إلى ذلك
الأمير اليهودى الذى كان يتجسس على عيسى عليه السلام لينقل أخباره إلى اليهود ، فوضع
الله عليه شبه عيسى ، فصلب بدلاً منه { وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم } (النساء
١٥١) (الرواية المذكورة فى تفسير البيضاوى وفى قصص الأنبياء للثعلبى) (عن مأخذ
فروزانفر ص ٢٢١) وانظر كيف يفسخ الله العزائم ويقلب الأمور رأساً على عقب ، فالجندى
يذهب ليظفر ويغتم فإذا به ينقلب قتيلاً ويكون متاعه فيئاً ، والتاجر يمضى نحو الكسب
فيخسر ، وهكذا الأمور تحدث على عكس النتيجة المرجوة منها فى هذا العالم ، وفى هذا
يكون إثبات المشيئة الإلهية ، وانظر إلى أبرهة ملك الحبشة يأتى بجنده وفيلته لى يحطم
الكعبة لى يذهب عزها ويعلى من عز كنيسه ، فما النتيجة ، يتحطم أبرهة وتتحطم فيلته
وتزداد الكعبة عزاً ومنعة بعد أن ثبت بالدليل الإلهى أن لها رباً يحميها ، وهكذا يكون فسخ
العزائم مثلاً حدث فى قصة المسافر من بغداد إلى مصر للبحث عن الكنز .

(٤٤٠٠ - ٤٤٢٣) : عودة إلى قصة الأمراء الثلاثة : وكرر الأميران النصيح بما يوحى
بأنهما أكثر معرفة من الأمير الأكبر بالأسرار ، وإن لم يكن هناك ثم إنز بالبوح ، ومن ثم

فهما كالضفادع إن سكنت تحت الماء فاخترق وإن تحدثت لم تتج من خطر (مثل فارسي) ويعرض مولانا هنا باختلاف الأمراء الثلاثة رغم كونهم جميعا من السالكين في طريق الحقيقة ، تراهم كلوا يريدون البوح له بأن الأمر ليس في يدك وليس بجهدك ، حتى وإن كانا قد فعلا ذلك فإن ذلك الصنف من السالكين لا يقعون في انتظار التوفيق والعناية والمصادفة وتنتهي أحوالهم دفعة واحدة . لقد ظل عشق الصورة كامنا في قلبه ، ومن ثم رأى أن كماله الروحاني موقوف على إنهاء حياته (جلال الدين همائي : داستان قلعہ ذات الصور ، ص ٣٠-٣١) إنه يعلم أنه لن يصل إلا بعد أن يقنى وجوده للصورى ومن ثم يقف وينعى نفسه ودنياه ﴿ قل متاع الدنيا قليل ﴾ (النساء / ١٩٧) . عبارة واحدة وانطلق بعدها كالسهم ، ودخل على ملك الصين ، رمز الخالق عند استعلامى ورمز القطب أو الغوث الأعظم أو ولى العصر عند همائي (ص ٢٩) ، وكان الملك يعرف كل شئ عن أحوالهم ، أولها وآخرها ، وحزنهم وتزلزلهم ، وحيرتهم وولهم ، وهل يخفى على الراعى أحوال القطيع ، ما معنى كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، وكيف تكون هناك مسئولية دون علم ومعرفة ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ ، لقد كان الملك عالما بكل شئ ، لكنه لم يتدخل ، كان صامتا وصمته مصلحة ، يكون حاضرا حضور النار تحت القدر يدفعه إلى الغليان ، وهكذا غليان عاشق الروح ، مخفى في العروق ، وبالرغم من أنه لم تكن هناك حاجة عند الأمير لشرح أحواله المعروفة برمتها عند الملك بنور العرفان ، إلا أنه تركه يتحدث ويستفيض ، " إن الله يحب أن يسمع ضراعة عبده " . ويستفيض الأمير : لقد تعلقت بأهداب سرج دولتك ، فجد على جودا ملكيا .

(٤٤٢٤ - ٤٤٣٧) : يعرض الملك أن يهب الأمير ملكا يبلغ أضعاف ملكه ، ولكن عاشق وجه الله لا يعوضه شئ عن شغفه ولو كان ملك الأرض " حسب الواجد أفراد الواحد له " ، (من أقوال الحلاج عن تذكرة الأولياء ، ص ٥٩٣ ، عن استعلامى ٤٤٣/٦) ، ويصور الأمير

نفسه صوفيا مزق خرقةه وألقى بها في مجلس السماع ، يجمعها بقية الصوفية ولا ترد إليه ،
والخرقة هنا هي الجسد ، لقد خرجت عن جسدى ولا أبغى عنها عوضا سواك ، (فى محضر
الملك اختفى الحديث عن ابنته تماما وصار الملك نفسه هو المطلوب) إن الصوفى إن خرج
عن خرقةه أثناء الوجد إن استردها فإن وجدده لا يكون صادقا ، فالعشق في حد ذاته يساوى أن
يضحى في سبيله العاشق بمائة جسد لا بجسد واحد ، فما الدنيا ؟! وما سكرها ، الذي يسبب
الصداع ، وما قيمتها إلا لعباد الجسد ، أي ملك ، إن العزل عن ولاية العشق لا يعدله ملك
الدنيا ، والمنصب الدنيوى الذي يجعل المرء معزولا عن وجهك ، هو العزل الحقيقى !!

(٤٤٣٨ - ٤٤٤٩) : يقول الأمير الذي تهور وانطلق إلى بلاط المليك : لقد تأخرت في
المجىء إليك والمثول بين يديك واجتلاء حضرتك ذلك لأننى لم أكن جديرا بهذه الحضرة ، "
العطايا بقدر القابليات " ، وماذا في يدى والجدارة أيضا ممنوحة منك ، " القابليات أيضا هبة
منك " ، وكيف أتيتك بلا استعداد ؟! وأية فائدة تتأتى لى إذا جئتك بلا استعداد وكل فائدة من
الدنيا إنما تتأتى من الاستعداد لها ، هل يذهب غير عالم بالمناجم إليها ؟! هل يشتري عنين
جارية ، هل يضاء مصباح بلا زيت أو فتيل ، هل يدخل أخشم إلى روضة ؟! هل تكون
حسنة فائنة في حضرة عنين ؟! وكيف يخوض رجل الدنيا بحار المعرفة ؟! وكيف يمضى
إنسان إلى طاحون دون قمح ؟! وماذا يكون حاصله منها إلا أن يبيض شعره وشعر لحيته ؟!
إن جئناك بالزاد المعنوى وهبتنا الشأن والسلطان الروحى ، لازلت طفلا صغيرا فأية لذة لى
من طعام الكبار ومن متعتهم ؟!

(٤٤٥٠ - ٤٤٦٢) : يقول للأمير : إن هذا الكلام كله لا طائل من ورائه ، فأولى بك أن
تذهب وتستعد ، أي استعداد ، لقد قعد للأمير طوال هذه الفترة من أجل أن يستعد (أى فترة
؟) لكن هذا الاستعداد لم يحدث ، لأن الاستعداد بدوره عطية من المليك ؟! وأى صيد للمليك
؟! إن من يريد أن يصيد المليك يسقط هو ويصير صيدا ويتكرر هذا التعبير عن مولانا " كل
من تراه عاشقا أعلم انه معشوق " (١٧٥٠ من الكتاب الأول) ، و " وماذا يكون الحبيب في

معناه إلا الحبيب (انظر ٢٢٦٦ من الكتاب الذي بين أيدينا) أتريد إمارة العشق؟! أبشر إذن بأنك سوف تسقط أسيراً للعشق ، ولم لا ؟! وكل أمور الدنيا معكوسة ، إن كل هؤلاء العبيد للدنيا يسمون سادة الدنيا (انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٣٠٠٠ - ٣٠١٠ وشروحها) . وكن أيضاً أيها الجسد معوج السير (بعكس رغباتك وشهواتك) فإنك بسيرك هذا قد استعبدت أرواح آلاف الأحرار ، فأتارك هذا المكر إذن ، وعش حراً ، وإن كنت عاكفاً على هذا العيش راضياً به ، وكنت كالدلو لا سير لك إلا في البئر ، فدعني ، دع روعي حرة ، وامض وابحث عمن سوى ، هيا لقد انتهى دور إقامتي معك ، لقد سلبت عمري ، فدعني وابحث عن سوى ..

(٤٤٦٣) : أتركني وابحث عن آخر ، من هذه العبارة يدخل مولانا جلال الدين في حكاية أخرى ، ظاهرها الهزل لكنها تدور حول نفس المستوى (لها أصل من ألف ليلة وليلة ، الليالي من ٥٩٢ إلى ٥٩٥) (عن فروزانفر ، مآخذ ٢٢١ - ٢٢٦) والقاضي في القصة والذي تجرى على لسانه العبارة رمز للروح التي لم تتخلص بعد من كل علائقها المادية ، وامرأة جحا رمز للشهوات الدنيوية .

(٤٤٧٣ - ٤٤٨٣) : من الحديث عن الضجة في منزل القاضي ينتقل مولانا إلى الحديث عن الضجة الموجودة في باطن الإنسان ، إن منزل الرأس ملئ بالرغبات والوساوس والمهاوس ، في حين أن بقية الأعضاء ساكنة هامة ، أما الصدور فقد تعبت وحطمت من الرغبات التي تنتقل إليها ، وخوف الحق : هو الخوف من ألا تقبل أعمال المرء حتى لو قام بفرائض العبودية ، ومن هنا يشبهها مولانا بالخريف وبالرياح ، لكنها على كل حال ملجأ للعبد يستطيع أن يهرب إليه من مهاوس الدنيا ، وشقائق الأمس ، أي نعم الدنيا التي لا دوام لها كزهرة الشقائق ، فهذه الشقائق لا تعيش ، وفي نفس الوقت تقوت الفرصة على تربية الزهور التي تخرج البراعم من شجرة القلب ، فإن هربت منها إلى النوم استيقظت في عالم المعنى ، وعالم المعنى يقظ فتى حي ، بينما تحسبه أنت راقداً معدوماً ، وهكذا كان أيضاً أصحاب الكهف ﴿ تحسبهم أيقاظاً وهم رقود ﴾ .

(٤٤٩٥ - ٤٤٩٦) : الحوار هنا بين جحا وزوجته (منقول من حقيقة الحقيقة ، الأبيات ١١٥٠٤ - ١١٥٠٦ انظر إليها وشروحها) .

(٤٥١٠ - ٤٥١٣) : يتحدث مولانا خارج قصة جحا وزوجته فيتحدث عن من هم داخل الصندوق بالرغم من أنهم يظنون أنهم خارجه ، أي يظنون أنهم أحرار وهم في الحقيقة عبيد ، فالعاشق الموجود في أسر معشوقه يظن انه خارج الصندوق وهو في الحقيقة داخله ، إنه حبيس داخل أحزانه وهمومه فكأنها صندوق حوله ، ولم ير طوال حياته سوى هذا الإطار الذي يبدو حوله كالصندوق " بالتأكيد يتحدث عن العاشق الأرضي " . وإن ذلك الذي يظل حبيسا لرغباته في هذه الدنيا ولا يطمع إلى آفاق السموات هو في الحقيقة داخل صندوق ، وخروجه من صندوق البدن يؤدي به إلى صندوق آخر ومن قبر إلى قبر ومن قفص إلى قفص .

(٤٥١٧ - ٤٥٣٣) : يدعو مولانا خارج نطاق الحكاية وبوحي منها ، الله سبحانه وتعالى أن يهبنا قوما من ذوى الأرواح من المرشدين والأولياء يشروننا من صندوق البدن ومن مهاوسه ووساوسه ، ومن بين آلاف البشر قد يكون هناك واحد حسن النظر يستطيع أن يدرك ما وراء هذه القشور (انظر البيت ١٤٦٧ من الكتاب الذي بين أيدينا والبيت ٦٧٣ و ٤٢٢ من الكتاب الرابع) إن هذا المجتبي المصطفى لا يكون من هذا العالم بل يكون مخلوقا من الأزل من عهد ألست واطلع ما على هو ضد هذه الدنيا وبالضد عرف الضد ، ومن هنا قيل العلم ضالة المؤمن ، والحديث المروى هو " الحكمة ضالة المؤمن " . نقل جعفرى (٥٠٤/١٤) عن الإمام على عليه السلام الحكمة ضالة المؤمن فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق . لكن هذا العارف أينما يؤمن بنفسه ويوقن في نفسه فهو على ثقة من علمه ولذلك فهو ضالة نفسه ، لابد لمن يريد أن يضيق من هذا الصندوق أن يكون قد جرب الحرية أن يكون على علم بذلك العالم الذي هو خارج الصندوق ، لكن الذي ولد في الرق لا يعرف سوى هذه الصندوق ، إنه حبيس في

أقاص الدنيا المتعددة ، يمضى من قفص إلى قفص ، ومن ثم فهو يظل حبيسا لا يطمح إلى النفاذ إلى السماء ، فلا سلطان معه ، ولا مرشدين له ، ولا قدرة له ، وإلا فإن الله سبحانه وتعالى قد طلب من الجن والإنس أن ينفذوا من أقطار السموات والأرض إن استطاعوا ﴿ يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا ، لا تنفذون إلا بسلطان ﴾ (الرحمن / ٣٣) ، وهكذا يظل حبيس الصندوق رهنا به ناظرا إليه عاشقا له فهو لا يعرف سواه لكن الذي لا يغتر ، يكون كالقاضي المذكور في الحكاية تواقا إلى الخروج من هذا الصندوق صارخا كل لحظة : أخرجوني ، يكون مرتعدا في كل لحظة ، ضائقا من هذا الصندوق ومن سجنه فيه .

(٤٥٤٠ - ٤٥٥١) : يتحدث مولانا عن الستر ، إن من يسعى في نصح الآخرين لابد وأن يكون آمنا على نفسه في البداية متأكدا من أنه لن يفتضح أو أنه لا يرتكب ما يدعو إلى الفضيحة ، وإلا فإنه معرض أيضا لأن ينطبق عليه الصندوق ، ومن سعى في فضح أخيه فضحه الله ، وينقل الأنقروى (٤٨٦/٢-٦) إن الله ستار يحب الستر ، كما ينقل : من غير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمل . فالله سبحانه وتعالى بالمرصاد ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ (الفجر / ١٤) ، والله سبحانه وتعالى محيط بكل ما يفعله المرء وبكل الخليفة ، فحذار إذن ، إياك أن تبعد عن الدين أو ترتكب الظلم ، فالثواب في العدل ، والعقاب في الظلم ، ويجب جحا : نعم كل هذا كلام جميل ، لكن البادى أظلم . وينقل جعفرى (٥١٣/١٤) عن ابن الحجاج عن أبى الحسن " الإمام موسى بن جعفر عليه السلام " في الرجلين يتسبابان ؟ قال البادى منهما أظلم ما لم يعتذر إلى المظلوم " . أي أن القاضي الموجود في الصندوق هو البادى بظلم جحا لأنه كان قد هم بالاعتداء على عرضه ، ويجب النائب : بل ونحن البادئون ، والإشارة بالطبع إلى اتهام النائب لجحا وزوجته بأنهما هما اللذان بدأ المؤامرة من أولها ، وقد يقصد أن من يقع عليه الظلم لا يجار بالشكوى ، فلا بد أن هذا الظلم انتقام من ظلم وقع منه ، ومن هنا

فكلنا ملوثون ، ومع كل الذنوب التى نرتكبها نحن سعداء مسرورون آمنون نستبعد أن يقع علينا ظلم ، وكلنا في كل لحظة في معرض الخطر والشر والوقوع في الإثم ، والألطف الإلهية هي التى تشرينا من هذا الزلل ومن هذا الظلم .

(٤٥٥٢ - ٤٥٦٦) : من يهديك يكون مولاك بمعنى سيدك ولا أدري ما مناسبة سوق هذا الخبر الذي لم يثر خبر آخر في الإسلام مثلما أثاره هذا الخبر : حديث غدير خم ، حديث الوصاية والولاية والنص الصريح بالخلافة عند الشيعة ، أما السنة فهم يعترفون بالحديث لكنهم لا يعترفون بأنه يحتوى على كل هذه المعاني ، والأمر لا يعدو مجرد وصية بعد حجة الوداع بآل البيت الذين يمثلهم على ﷺ أو على أكبر تقدير بالرجوع في الأمور الدينية والفتيا إلى على ﷺ بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، ومن ثم يضيف مولانا : إن الرسول ﷺ سمي نفسه بالمولى وسمى عليا بالمولى لأن الرسول ﷺ يحط عنك إصرارك والأغلال التى في قدمك ، فالنبوة هادية إلى الحرية ، والنبوة للبشر بمثابة الربيع للنباتات والرياض ، يحييها بعد موتها ، وتصبح الأغصان حاملا بالثمار والخيرات التى تحيى الأرواح مثلما يحييها المسيح ﷺ فكانها في حملها مريم البتول وإنما ينطق عيسى ﷺ من بهاء مريم فنطقه تبرئة لها وشهادة بعفائها ، كما أن نطق آدم كان من النفس الإلهي الذي نفخ فيه ، لكن قمر الأنبياء جميعا سطع بلا نطق ، بعد الخلوة والعزلة والانقطاع عن الناس ، ومن أجل أن تزيدوا الشكر لا تزال الموائد ممدودة ولا تزال الثمار متزايدة ، وإياكم أن تحتجوا بالحديث { عز من قنع وذل من طمع } ، فإن هذا الحديث يقصد الأمور الدنيوية، ولكن إياك أن تقنع فيما يختص بأمور الآخرة، فالذل لمن قنع والغنى لمن طمع واسترّاد فيما يقربه من خالقه ، وهذا موكول في ألا تتبع النفس ، وأن تكون متبها إلى هاتفي الغيب الذين يشرونك .

(٤٥٧٧ - ٤٥٧٨) : يدور الحديث هنا بين جحا والقاضي بمصطلحات لعبة النرد .

(٤٥٨١ - ٤٦٠٢) : انتقال من الخمسة والعسة " في زهر النرد " بين القاضي وجحا إلى

العارف الذي نجا من قيد الخمسة " الحواس " والستة " الجهات " ،وبذلك جعلك عارفا بما وراء هذه الخمسة وهذه الستة ، ولم يكن ذلك من كثير سياحة أو كثير دراسة ، بل لأنه جاوز الأوهام واعتزل ، ومن هنا فإن إشاراته أصبحت إشارات الأزل " فبي يسمع وبى يبصر " ، وإن لم يكن العارف خارج بئر الدنيا ، فكيف يستطيع أن ينجي الأرواح من داخله ، إن العارف مشرف ببصيرته على الفلك الأعلى ، ومع ذلك فهو ببشريته ومواساته للبشر واهتمامه بخلصهم ونجاتهم منصرف إلى البئر يخلص منه السالكين ويصل بهم إلى الملك الذي لا يئلى ، وهذا هو مصير الأرواح النازرة إلى الحق والتي يرمز لها بيوسف الصديق ^{عليه السلام} نعم إن الآخرين باحثون عن الماء في البئر أي عن النفع في الدنيا لكنه هو أي العارف باحث عن نجاة الصحاب من قاع البئر ومن ثم فتلوه (وجوده) ليس دلوا ، إنه ماء ، هو نفسه قوت لأرواح أسماك بحر الحياة ، والناس الآخرون متعلقون بالأفلاك، لكنه - أي العارف - موجود دائما بين إصبعين من أصابع الرحمن ثم يعود مولانا قائلا : ما هذا الذي أقول ؟! ما الداء وما الجبال وما الأفلاك ؟! ما هذه التشبيهات التي ألجأ إليها ، ما هذا التعبير الركيك ؟! المشكلة أنه لا يمكن التعبير عن هذا العالم المعروف بالعارف ، فكل التعبيرات إلى جوار وجوده الحقيقي تعبيرات ركيكة ، إنه مئات الآلاف من الرجال ، فيه قدرتهم الروحية مهما كان جسده نحىلا أو ضعيفا ، إنه نموذج لقدرة الحق ، إنه فتنة ، لأنه مفتون بالحق ، وهو أيضاً فتنة للمنكرين وغير العالمين وكلهم في مقابل عظمتهم وقدرته حفنة ، أو هو نفسه حفنة أدمجت فيها كل البيادر ، وذرة أدمجت فيها مائة شمس ، وإن أبدت هذه الذرة قوتها لاتمجت أمامها كل الأفلاك والكواكب ، مثل هذه الروح العظيمة لايمكن أن يحتويها جسد إن هذا يشبه أن تصب البحر كله في قربة ، إنها في عظمة جبريل والمسيح والكعبة ، وإن تبنت في صورة حقيرة تمويها واخفاء وضناً وغيره ، إنه ربانى ، الهى ، على مثال الله ، إنه موضع سجود عالم المعنى ، لأن الآخرين عن طريقه يرتبطون بعالم الروح وأمثال إبليس إنما يضلهم

أمثالك ، إنهم يظنونك صورة ، مجرد صورة لا تستحق السجود ، ولا يدركون أن منك قبساً من ذى الجلال .

(٤٦٠٣ - ٤٦٠٩) : عودة إلى قصة الأمراء الثلاثة ، كان الأمير قد توقف ، في الجزء الأخير من القصة - قبل أن يقطعها مولانا بقصة جحا وزوجته والقاضي على أنه قد جاء إلى الحضرة دون الاستعداد الكافي ، وأن هذا الاستعداد أيضاً عطاءً من الله سبحانه وتعالى ، وها هو الأمير في مقام الحيرة ، فبالنسبة له لا يمكن إدراك الوجود المطلق بموازين عالم المادة ، وربما كان من الأوفق هنا أن نقول أن ملك الصين هو فعلاً رمز القطب أو الغوث وأنه وإن بدى روحانياً خالصاً في بعض أجزاء الحكاية إلا أن مولانا مهد بوصفه السابق للعارف بالحديث عن ملك الصين أيضاً ، كوجود صوري ، فالملك في نظر الأمير هو الأفلاك السبعة ممثلة في قبضته من الطين (وهكذا كل إنسان انظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الرابع "الإنسان ذلك العالم الكبير) ، وفي أثناء هذه الحيرة التي فرضت الصمت ، كانت روح الأمير مع روح الملك في حديث مستمر ، كان الأمر غريباً جداً أمام الأمير ، إن الملك كله معنى من المعاني فما هذه الصورة التي له ، إنها صورة حقاً لكنها ليست ككل الصور ، وذلك الكلام المستمر الذي يجرى دون لسان يخلصك وينجيك من كل كلام ، فما دمت مشغولاً به لن تكون لك علاقة بكلام البشر ، وذلك السقام الذي أنت فيه ينجيك من كل سقام ، وعلى الأمير إن أراد أن يفنى في ملك الصين أن يعبر وجوده الجسدي ، وبعدها لن يراه مجرد قبضه من طين ، وسوف يراه كله معنى ، وعلى هذا يطلب الأمير من الجسد أن يخلص الروح حتى يتصل بالوجود المطلق .

(٤٦١٠-٤٦٢١) : في هذه الأبيات يصف مولانا التجليين الصوري والباطني للأمير ، إن ملك الصين يكرم روح السالك ، وهذا النضج المعنوي الروحاني ذوبان لجسد السالك ، ومن ثم فإن هذا الذوبان هو نمو وتعال ، ومن هنا يتهلل العاشق به ولا ينبل بل يقول "زيدوني" ، إن هذه

اللحظة، لحظة ارتباط السالك بعالم الغيب قيمتها خارج حساب المكان والزمان ، وكل ما يفعله السالك في هذه اللحظة عندما يكون رجل حق، في هذه اللحظة لا يوزن بموازين الطاعة والمعصية ويقول الأمير : إذا كان الملك قد قال أن العشاق غير الجديرين بابتنته أو مدعى أسرار الغيب ينبغي أن يعدموا، فسوف أطلب أن أحدم في كل لحظة لا مرة واحدة، وعن ابن الفارض :

ولم تعسفى بالقتل نفسى بل لها به تسعفى أن أنت أتلقت مهجتى
وقال آخر :

مالي سوى روحى ويأذل روحه فى حب من يهواه ليس بمسرف
(انقروى ٦-٢/٤٩٩) ، (العشاق فى كل لحظة موت ٣٨٨٦ من الكتاب الثالث) إن الرأس التى تقطع فى سبيل هذا العشق تعوض بمئات الرؤوس ، ولا زلت أيضاً مستعداً للتضحية بهذه المئات من الرؤوس ، إن الرأس التى أتحدث عنها رأس أخرى والقدم التى أتحدث عنها قدم أخرى ، ومن هنا فكل المجالس تنتهى ، إلا مجلس العشق ، فالعاشق متجدد ، وفى كل لحظة يزداد مجلس عشق الحق حرارة، وهذه الحرارة ليست فى هذا العالم بل فى اللامكان ، فى عالم الغيب ومن ثم فهو حار بحيث لا تساوى حرارة الجحيم شرراً واحداً منه .

(٤٦٢٢ - ٤٦٢٨) : عندما يتحدث مولانا عن نار العشق وكيف أن الجحيم منها شرر واحد ينكر الحديث النبوى المذكور أكثر من مرة فى المثنوى وهو أن النار تقول للمؤمن عندما يعبر الصراط "جز يا مؤمن فإن نورك أطفأ نارى" والعبارة المذكورة فى العنوان : نورك أطفأ لهيبى ، هذا النفس أى نفس العشاق الحار هو الذى يطفى لهيب الكفر ، فأودع نار كفر آهة العاشقين حتى تطفئها ولا تجعلك محترقاً بها فى نار جهنم ، ويضيف أيضاً فكرة جديدة وهى أن الجنان أيضاً لا تتحمل العشق ، فإتيا رغم عظمتها لا تعد شيئاً إلى جوار عظمتة "لا جزاء للعاشق إلا وجه الله" .

(٤٦٢٩ - ٤٦٣٣) : عودة إلى قصة الأمراء الثلاثة أو قصة الأمير الأكبر : كان الأمير قد وصل إلى بلاط ملك الصين، لكن هذه القطرة لم تكن قد وصلت بعد إلى مرحلة يتيسر لها فيها أن تذوب في البحر ، كان يحترق انتظاراً لابنة ملك الصين ، وكان يتحمل الفراق وكأنه خلع الأضراس ، وبلغ عمره آخره ، وحن أجله ، لكنه مقيم على معنى المعشوق ولا علاقة له بتجليات المعشوق في عالم الصورة ، إنه يريد المحبوب بغير حجاب ، مهما كانت تجلياته الصورية العظيمة ، فإن عين الحقيقة دون هذه التجليات أعظم ، إن روى قد ألت عنها لباس الجسد ، ومن ثم فإن وجوده المطلق قد ألقى عنه لباس الخيال أي التجلي الصوفي ، والآن أجد نفسي مستعداً للالتحاق ببحر الوجود المطلق ، إنه وصال بعد الموت ، بينما وصال الرجال يكون قبل الموت .

(٤٦٣٤ - ٤٦٤٧) : هكذا ، وإلى هنا ينبغي عليك أن تصمت ، فمن بعد هذه المرحلة... لا تعبير. وصلنا إلى البحر ، فدعك من الجواد والسرّج (البيان) ولم يعد يصلح لك إلا المركب الخشبي ، الزورق وهو الصمت ، قد يكون هذا الصمت ، يلقي بك في الملل ، لكن عن هذا الصمت حديث وولولة في عالم العشاق ، لكنك لأنك منفصل عن هذا العالم لا تسمع ، وكما أنك تتعجب من صمته يتعجب هو أيضاً من ثقل سمعك (إن ما يلقي للواصلين في عالم الغيب هو أن اصمتوا الكتاب الخامس البيت ٢٢٤٢) (الشفة صامته والقلب ملئ بالأصوات ٢٢٤٠ من الكتاب الخامس) إن العاشق هو الذي يدرك ، وغير العشاق إلى جواره لا يعرفون، كنائم إلى جوار حالم لا يدري بما يجري في أحلامه ، ويصل العاشق إلى مرحلة انكسار المركب الخشبي "الصمت" ، وكالسمكة يصبح غريقاً في بحر الأبدية ، لكنه الواصل الكامل لا يمكن وصفه فلا هو صامت ولا هو متحدث ولا اسم هناك يعبر عنه ، وهو لا يستوعب وصفه حديث، على كل حال ، ليكن معلوماً لكن أنني أعتبر ما تسمعه من كلام هنا تعبيراً ركيكاً عما أريد قوله ، لكن هذا هو أفضل ما وجدته من العالم المحسوس .

(٤٦٤٨ - ٤٦٧١) : يلتقى الابن الأوسط بالملك في جنازة أخيه ، ومع أن الملك يعرفه إلا أنه يسأل متعمداً "من يكون هذا ؟ يبدو أنه سمكة من نفس البحر" أى يبدو أنه أيضاً سالك يريد أن يصل إلى بحر الغيب ويكرامه لذلك الأخ الأوسط صاده أيضاً وجعله مفتوناً بالوجود المطلق ، وذلك الملتاع في مصيبة أخيه ، رأى أن روحاً جديدة قد نفثت في جسده ، لقد كانت العطية عظيمة ، مجرد التفات من الوجود الحقيقي ، وهو التفات بلا حول ولا طول ولا جهد ، لقد قامت ضجة عالية في قلبه ، فلم يكن قلبه متوقفاً لها ، وانعكست مشاعره هذه على كل ما حوله ، فحتى الجمادات اكتسبت روحاً جديدة ووصلها فيض العطاء ، كل ذرة أخذت تتضخم أمامه وتكشف عن أسرارها ، وكل شيء مما هو موجود حوله أخذ يكتسب معنى جديداً ، لقد انقلب إلى روح منفصل عن الجسد ، والروح عندما تنفصل عن الجسد يصبح العالم كله أمامها جديداً ، ليس هذا فحسب بل إن كثيراً مما لم تكن تراه تبدأ تراه من جديد ، لقد كان يقرأ في الكتب عن هذه الأحوال ، لكنه خبرها عياناً الآن وتجلت أمامه ، وليس ذلك إلا من عناية ذلك الملك العظيم الذى كحل عينيه بكحل المعرفة ، لم يكن الكحل من يده ، بل من غبار مطيته ، فكأنه قبض قبضة من أثر الرسول ، وأخذت الفيوضات تنهمر عليه وهو يصيح : هل من مزيد ، لقد كان في روضة من المعانى تختلف عن تلك الرياض التى ترونها والتى يمكن أن تصبح صعيداً زلقاً أو يصبح مأوها غوراً ، إنها روضة نامية من القلب ، دائماً فى ازدياد ، ربيعها دائم ومتجدد ، وكل ما تعلمه من علوم ، حتى العلوم التى تعترف بها والتى ترى أنها ذات طعم ، حتى علوم القلب هى مجرد باقة أو باقتان من هذه الرياض فليس كل من ذاق منها استطاع أن يعبر عن كل ما ذاقه ، وإنما نشعر بالضعف تجاه هذه الباقيات ، لأنك لم تدرك هذه الروضة ولم تدرك قيمتها ، وأغلقت أبواب الروضة أمامك لأن مفاتيح هذه الأبواب ضاعت منك وأنت مشغول بهوم العيش وإن فرغت منها لحظة ، انصرفت باحثاً عن النساء ، ثم طف عندك هذا الميل وهذا الهوس فانقلبت من حية إلى تنين ذى سبعة رؤوس إلى

جهنم ، تحتاج إلى مدينة من الخبز والنساء (انظر النفس تتين ١٠٥٣/٣) .

(٤٦٧٢ - ٤٦٨١) : مزق شبكة الدنيا التي تحيط بك ، واحرق حبوب الحرص وافتح أبواباً جديدة لهذه الدار ، كن عاشقاً ، ولا تكن شحاذاً ملحاحاً يعتمد على تنغيم صوته وتباكيه ورفع هذا الصوت ، ولا تكن كالصدي مردداً لأقوال الآخرين بل ذق أنت وأعرف أنت ، كل ما لديك انعكاسات وردود أفعال ، تقليد ، تسر لأسباب شهوانية "مما تجلبه القوادة" وتغضب لأسباب خارجية "غضب الشرطي" الذي يظهر إخلاصه لسيده بالتجبر على الضعفاء ، إنك تتبهر بشيء ، تتبهر بآراء الآخرين وأقوال الآخرين بل ونجاح الآخرين "وأحياناً مظاهر الآخرين" وتحاول تقليدهم ، متى تصبح "نفسك" متى يكون اعتمادك على نفسك ؟ بحيث يكون كل ما تحصل عليه لك ولا ينال أحد منه شيئاً ، كل ما تحصل عليه يكون لك ولا يشاركك فيه أحد . يقول الأنقروى (٥١١/٢-٦) وكان شيخنا أبو مدين يقول فى فتوح الغير أطعمونا لحماً قديداً أى لا تتقلوا إلينا من فتوح غيركم إلا ما يفتح عليكم فى قلوبكم يرفع بهذا همة أصحابه لطلب الأخذ من الله) .

(٤٦٨٢ - ٤٦٨٦) : الكلام لا يخرج عن نوعين : إما وحى وإما هوى ، وما لا يكون من الوحى فهو من الهوى ، وإن كان هذا القول لا يبدو لك صحيحاً ، فهيا اقرأ من سورة النجم ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ (النجم ٣-٤) ، فليكن لك الوحي يا أحمد فأنت جدير به "وما للكنايا يكون للأولياء" ، أما أرباب الجسد فتصلح لهم وسائلهم من تحر وقياس ودرس وقراءة وقال وقيل ، فهؤلاء لا يدركون الوحي ، فهم مضطرون ، والمضطر يأكل الميتة ، لكن من يقبل الوحي يكون كمن هو داخل الكعبة ، لا يتحرى عن جهة القبلة (لا رسم للقبلة داخل الكعبة ١١٧٢ من الكتاب الثانى) .

(٤٦٨٧ - ٤٧١٧) : ماذا يحدث لو أن القياس والتحرى لم يعط نتيجة ؟ حرقه البدعة والضيايع فى السبل والطرق ، وطالما ضربت لكم الأمثال ، سيروا فى القرون وانظروا ،

واستخدموا القياس فهل كانت كل ریح حمالة للعرش كما حملت سليمان عليه السلام ؟ لا بل حملت قوم عاد ، كما يحمل القصاب الحمل ، يحمله لينذحه ، ثم قلبت الفراء من وجهه الجميل إلى وجهه القبيح وشتان ما بين الوجهين (التعبير مأخوذ من الإمام علي رضي الله عنه " لبس الإسلام لبس الفرو مقلوباً" (من الخطبة ١٠٧ من نهج البلاغة تحقيق وترجمة فيض الإسلام ص ٣٢٤) فكانت دماراً حطمهم ، وحطم الذبول التي يتشبثون بها ، بعد أن أمنتهم (انظر الكتاب الرابع الأبيات ١٢٥-١٣٠ وشروحها والكتاب الذي بين أيدينا الأبيات ٢١٩٨-٢٢٠٠ وشروحها والأبيات ٤٨٣١-٤٨٣٦ وشروحها) فهيا حطم الهوى قبل أن يحطمك الهوى كما حطم قوم عاد ، والرياح أنواع يا بني يسرها الله سبحانه وتعالى كيف يشاء "ريح للظفر وريح للحراسة ريح للطلق وريح للولادة ريح تسير السفن وريح تؤلم الأسنان" (انظر الكتاب الرابع الأبيات ١٣٠-١٤٩).

(٤٧١٨ - ٤٧٣٦) : الدنيا بمثابة حلق ييصق علينا جميعا ، وأفواهنا لا تأكل إلا التراب ، ليس الطعام الذي نأكله مهما كان شهيا والشراب الذي نشربه يتحول إلى لحم وجلد ، ليس اللحم والجلد هو في النهاية تراب طريق ، ما أشبه الطعام بتراب يرتق الطين ثم يتحول إلى تراب، مثلما تتحول كل الألوان والصور والجنسيات إلى تراب ، كل الألوان وزينات الدنيا تتحول إلى تراب ، كلها أفتنة وثمة لون واحد يبقى ، ما كان لله ، صبغة الله (البقرة / ١٣٨ والبيت ٧٧٠ من الكتاب الأول و ١٣٤٩ من الكتاب الثاني) أو اللون الواحد (البيت ٥٠٤ الأول) أو اللا لون (٢٤٧٩ و ٣٤٩٠ من الكتاب الثاني) أو اتحاد اللون (١٣١٦ من الكتاب الخامس) وهي كلها ليست واحدا من هذه الألوان لأنها لا ألوان ، معنى ممتد على كل الخليقة ليس له لفظ يعبر عنه ، وكل الألوان غيره أعراض ، مثل الألوان التي تطل على رقاب الإبل، ومن الواضح أن صبغة الله لا لون لها ، هل هناك لون للتقوى والصدق واليقين ؟! هل هناك لون للكفر والشك والنفاق ؟! إن الحسن والقبح لا لون ولا مفهوم صوري لهما ، إن

انعكاسهما فقط هو الذي يبدو على الوجه، سرور دائم أو عبوس دائم ، وما أشبه هذه الصور بتماثيل من عجين يلعب بها الطفل ، ويعض عليها بالنواجذ ، ثم يأكلها ، إنه دائما في عناد من أجلها ، والله الحمد إنه في عناده هذا لا قوة له .

(٤٧٣٧ - ٤٧٥٤) : انظر إلى الأطفال و (الرجال الأطفال) ، وماذا يصنعون في الدنيا من شر وقتة وظلم ؟ انظر عندما يجتمع الجهل والسلاح معاً !! " سيف في زنجى ثمل ، البيت ١٤٣٨ من الكتاب الرابع " إن من العصمة ألا تجد في طلب البسطة لا تجتهد أو كما قال علي رضي الله عنه " من العصمة تعذر المعاصي (انظر الكتاب الثالث ، البيت ٣٣٨٢) والإنسان الجائع المحتاج متجه دائما إلى الله ، ويبعد عن وساوس الشيطان (الجوع طعام الله ، الكتاب الخامس ، البيت ٢٩٧) ، انظر إلى أولئك الذين امتلأت بطونهم كيف يعرض عليهم تجار السوء بضائعهم (من جنس ومخدرات وخمر وشنوذ يجعل البطن المليئة تشتهي!!) فيضيع العقل كما ضاع الجسد، فياله من خالق عظيم ذلك الذي يجعلنا نتقاتل على تراب " وأحيانا على وهم وخيال وأحيانا على ما يدمرنا " ، يجعلنا كالأطفال نتشاجر على التراب ، وشتان ما بين الطفل والبالغ : الطفل مهما كان ضخما وكبيرا المتعلق بهذا التراب الملون ، والبالغ الذي وصل إلى كماله الروحي والمعنوي ، شتان ما بين الفاكهة الناضجة وما بين الحصرم ، (انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ١٧٩٥ - ١٨٠٠ وشروحها) . إنه في شك وتردد ، ترى هل يصل إلى مرتبة أن يكون غنبا ناضجا ، هل يترك مرحلة الفجاجة والحصرمية !!؟

(٤٧٥٥ - ٤٧٧٢) : لا يزال المتردد الذي يرى نفسه حصرما ويتوق إلى الوصول إلى النضج يتساءل : ليس لي رجاء في شيء قط ، لكن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ لا تيأسوا من روح الله ﴾ (يوسف / ٨٧) وانظر البيت ٩٨٤ من الكتاب الثالث) وطالما مد لنا موائد كرمه ونعمه وقال لنا ﴿ لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ (الزمر / ٥٣) ، ومهما كنا يائسين من أنفسنا ، نسقط في حفر الكآبة والقنوط ، لكنه عندما ينادينا بالعطاء علينا أن نمضي إليه

راقصين سعداء مسرورين ، كأننا جياد تسرع إلى مرعاهما ، هنالك يكون الإسراع بلا خطو ،
والشراب بلا كأس ، ليست حركة الجسد بل حركة الروح ، إلى عالم الروح ، حيث المعاني
ولا أجسام ، والشموس ولا ظلال ، ليست الجدران العالية تحجب أنوار القمر ١٢ فإن انهارت
وصار خلاء ، سطع القمر (انظر ٥٥٣ - ٥٥٩ من الكتاب الثالث) . وما القصور ، وما
الجدران ، وما الشرف ، وما الأسوار ، إن الجبل ليندك إن سطع عليه هذا النور ، بل ليندك
من شوقه إلى هذا النور ، لقد اندك لأنه تجلى على ظاهره (الأعراف / ١٤٣) والبيتان ٢٥ و
٢٦ من الكتاب الأول) فما بالك إذا كان قد سطع على باطنه ، لكان قد تفتت لتتال كل ذرة فيه
نصيبتها من النور ، انظر إلى الجائع يتفتح عندما يجد رغيف خبز ، فما بالك بالنور والغذاء
الروحي وقوت الملائكة والأبدال ، إن هذا النور يساوي أيتها الأرض التمزق إلى آلاف القطع
، فانهضي من بين الفلك ، ترى هل كان مولانا جلال الدين يعتبر الأرض كرة معلقة في
فضاء الفلك ، كرة معتمة إن تمزقت سطع عليها النور ؟! الله أعلم ، الخلاصة هنا إنه إن لم
يكن ثم حياة مادية ، تراب ، يسطع النور على كل شيء ، لكن الأرض على كل حال هي مهد
الأطفال (طه / ٥٣) ، (المهد متأرجح ومتحرك) وهي لازمة طالما كان البشر أطفالا ، فإن
نضجوا وبلغوا مبلغ الرجال ضاقت بهم الأرض. ويا أيها المليك ، وسع عليهم هذه الدار ، فإن
فيها أيضاً بعض الناضجين البالغين ، وهم في حاجة أيضاً إلى الحركة .

(٤٧٧٣ - ٤٧٩١) : عودة إلى قصة الأمراء الثلاثة وقلعة ذات الصور : وما هو الأمير
الثاني الذي تعرض لعناية ملك الصين ونال من لطفه ، يدخل في " الحال " الذي أرداه : ما
هو يسقط صريعا للوسوسة وأن ما وصل إليه إنما بحوله هو ووحى قلبه هو ، ويصبح "
مستغنيا " عن عنايات ملك الصين ﴿ إن الإنسان ليظفى أن راه استغنى ﴾ (العلق / ٦-٧)
(انظر قصة كاتب الوحي وسطوع نور الوحي المحمدي عليه ، البيت ٣٢٤١ وما بعده من
الكتاب الأول) ويشير مولانا في العنوان إلى ملك القلب ويقصد به ملك الصين أو الوجود

المطلق ، ومعنى لا علم له عن صورة الملك أي أن الجرح الذي أصابه لم يكن هناك دخل لوجود الملك الصوري فيه ، لقد كان الراتب للروحي يصل إليه دون دخل منه ، كان قوتا مستطابا ، لأنه لو كان الرزق الذي وعد به المؤمن هو الطعام والشراب لما رزق غير المؤمن منه (انظر ١٥٦٣ و ١٨٦٢ من الكتاب الرابع) لقد ظن الأمير نفسه قمرا ، ناسيا أن القمر نفسه يستمد ضياءه من الشمس ذات البهاء ، وأن الأنبياء والأولياء فحسب هم الشمس الساطعة ذات الأنوار المستمدة من نواتها ، لقد استغنى الأمير وانتهى الأمر ، ولم يعد الملك ذو الألفاظ في رأيه إلا مانعا في الطريق (غبار يقف على وجه القمر) ، لقد أحس الأمير " بأنيته " ، وتولدت فيه نفسه الأمانة بالسوء ، ظن أن المعرفة (الماء) نابعة من داخله (جدوله) وحين تتولد النفس داخل الإنسان ، فنها تفتح كل أبواب الشرور ألعن من الحرص وألعن من الحسد ، ثم نفس السوء التي تنظر إلى كل الوجود قتراه شيئا قبيحا ، لكن الملك كان يعلم بكل ما يدور في داخله ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ ، ولقد تأمل الملك من هذا الجحود لعطاياه الغيبية وأخذ يخاطب الأمير الجحود (الإنسان المنكر على وجه العموم) بخطابه القاسي : لماذا هذا الشر الصاعد برغم العطاء النازل .

(٤٧٩٢ - ٤٨١٠) : حذار من غيرة المليك التي تثار عندما يتوجه العشاق إلى أنفسهم وإلى كل ما سواه وانعكس هذا على الأمير ، وحسر طائر الدولة ظله عنه ، واقتضح كل شيء وتمزق حجابيه ، وضربه بجناح غضبه ، وانصرف عنه منتحيا جانبيا ، وبدأ يحس بأن هذا الاتعامت التي تتوالى ، وأفاق الأمير من سقطته وزال عنه سكر الكبرياء ، وبدأ الذنب يدق رأسه، وبعد السكر يكون الخمار ، وهكذا كان آدم عندما أكل من الشجرة المحرمة شجرة الحنطة (البقرة / ٢٥) فبنت له سوءته ، وطرد من جنة الله ، لقد شرب الأمير شربة النقص والغرور ، فانتقل من طاووس يتبخر في رياض الجنة ، إلى يوم ينق في خرابة الدنيا ، لقد انقلب عز آدم إلى مجرد حراث يسوق بقرة ، وأخذ يخاطب نفسه : أيتها الكافرة " الهندية " ،

لقد جعلت أسد الروح مجرد أسيراً لنيل بقرة النفس الأمارة ، لقد اخترت قمح الغرور ،
فانقلبت كل حبة منه إلى عقرب لادغ ، وتغلّبت عليك الأنية ، فعقدت قدمك عن الانطلاق بقيد
يزن خمسين مناً ، لماذا انقلبت على مليكى ؟! لماذا كفرت بالنعمة التى صبها على صبا ؟ لقد
أفاق ، واستغفر ، وتاب وأناب واستعلن على هذا كله بالألم والإيمان ، فلا كانت هناك
للإنسان قوة واستغناء ، فهو عندما ينجيه الله من الصبر على الحرمان يطمع في الزيادة
وصدارة المجلس ، ولا كان للإنسان قدرة على الظلم ، فهو حينئذ يظلوم جهول لا يؤدي حقاً
لله ولا للناس ، وأولى بالإنسان إذا أراد أن ينجو أن يكون مبتلى مشغولاً ببلائه ، ذلك أن نفسه
كافرة بالنعمة ميالة إلى الشر (انظر عن صفات النفس ، الكتاب الثالث الأبيات ٢٥٥٠ -
٢٥٥٨ وشروحها) .

(٤٨١١) : نموذج آخر لمن اتصبت عليه الأنعام الإلهية ثم صار نموذجاً في الكفر والضلال :
النمرود مدعى الألوهية والواقف في وجه أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام ، والحكاية المروية هنا
يرى فروزانفر أنها ترجع إلى الكتاب المسمى عجائب نامه ، كما نقل رواية شبيهة بها وردت
في كتاب جوامع الحكايات ولوامع الروايات لمحمد عوفى (مأخذ / ٢٢٦-٢٢٨) وعن
عزرائيل ودوره في قبض أرواح الأموات ، لتفصيلات انظر : الكتاب الخامس الأبيات ١٦٥١
- ١٦٨٤ وشروحها) .

(٤٨٢٩) : الرواية المذكورة هنا عن شييان الراعى ذكرت رواية شبيهة بها عن أبى حليم
حبيب بن سالم الراعى (انظر كشف المحجوب ، الترجمة العربية لكاتب هذه السطور وآخرين
، ص ١١٣ - ١١٤) أما شييان الراعى فهو أبو محمد الدمشقى وكان صديقاً لسفيان الثورى
ومعاصراً للشافعى وأحمد بن حنبل رضى الله عنهما (انظر تعليقات كفاى على ترجمة
الكتاب الأول ، ص ٤٨٤) والكرامة المنسوبة هنا ، والحكاية هنا أيضاً ، مذكورة فى الكتاب
الأول أيضاً فى معرض ذكر دائرة هود حول المؤمنين (انظر الكتاب الأول الأبيات ٨٦٠ -

(٨٦٣) وأشار فروزانفر (مأخذ ١٠-١١) إلى أصل الحكاية أنها وردت في حلية الأولياء لأبي نعيم ط مصر ج ٨/٣١٨) وبالنسبة لهود الطه ودائرته انظر تعليقات كفاي على البيت ٨٥٥ من الكتاب الأول وانظر تعليقات الأبيات ٤٦٨٧-٤٧١٧ من الكتاب الذي بين أيدينا) .

(٤٨٣٧ - ٤٨٤٤) : يخاطب مولانا المؤمن بالطبيعة ، اعلم أن الطبيعة هي الأخرى في حكم التصريف الإلهي ، ولا تتكرر نص القرآن الكريم ، أو أن استطعت فامنع قراءته ، واقض على كل من يعلمه ويقرأه ويتدبر آياته ويفهمها بقلبه ، إن كل هذا من ضللك وعجزك ، وكم كن لك من قبل من أصناف العجز ، نجاك الله منها مرحلة بعد مرحلة وأنت لا تدرك ولا تفهم ، ويوم أن تفهم ، سيفتضح عجزك على الملأ ولا تملك له رداً ، اعترف إذن بعجزك ، وتحرير في الخليقة ، فالحيرة عبادة ، تجعلك في ظل الحبيب الحي الباقي ، وافهم عجزك في الدنيا ، وعجزك في الآخرة ومت قبل الموت ، واختر دين العجائز متمثلاً بقول رسول الله ﷺ {عليكم بدين العجائز} (مولوى ٦/٦٤١) وانظر إلى زليخا امرأة العزيز ، لقد تردت شابة بدعاء يوسف (يوسف وزليخا للجامي استفادت من هذا ، انظر الترجمة العربية لعبد العزيز مصطفى) والرواية ذكر فروزانفر أنها وردت في كتاب بحر المحبة المنسوب إلى أحمد الغزالي "تحرير يوسف من ضعفها وعجزها وكبر سنّها لأنه كان لا يعلم أنّها حية أو ميتة ، فقال له جبريل إن الله تعالى يقول اقض حاجتها، فقال لها ما حاجتك؟ قالت: أني أريد أن أكون لك زوجة وأنت لى زوجاً، قال ما أصنع بك فانك عجوز فقيرة عمياء كافرة فنزل جبريل عليه السلام فقال يا يوسف إن الله تعالى يقول إن كانت عجوزاً فأنا أجعلها صبيبة وإن كانت فقيرة فأنا أجعلها غنية وإن كانت عمياء فأنا أجعلها بصيرة وإن كانت كافرة فأنا أجعلها مؤمنة لأنها تحب من يحبنا بلا واسطة فمسح جبريل عليها فصارت أحسن من زمانها وهي بكر فأمنت بالله القدير وأسلمت" (عن فروزانفر مأخذ ٢٢٧) وعن الحياة في الموت انظر مقدمة الترجمة العربية الكتاب الثالث . و "مت بالإرادة تحيا بالسعادة" انقروى (٦-٢/٥٣٦) .

(٤٨٤٥ - ٤٨٧٨) : عودة إلى قصة تربية النمرود "وفى رواية شداد بن غاد" لقد ربي النمرود كما يري العارفون ، يربيه الله سبحانه وتعالى بلا واسطة ، وهكذا لطفه وكرمه جل شأنه ، انظر إلى أيوب عليه السلام ، لم يقض عليه الدود بأمر الله تعالى "حتى أن الدود لما يقع على جراحة كان يرفعه عن الأرض ويضعه على جراحه ليأكل" (مولوى ٦/٦٤٢) ، (وعن تعليم الأمهات وصناعة الله في حنان الأم انظر للكتاب الثالث الأبيات ٣٢٨ - ٣٣٠ وشروحها) ويعود إلى حكاية النمرود : لقد يسر الله تعالى له كل شيء وهو الذي كان بلا والد ولا والدة ولا إني حوله ، كان يريد أن يعلم أن كل ما فيه من تربية الله سبحانه وتعالى ، ثم ماذا كانت النتيجة؟ لقد صار محرقاً للخليل عليه السلام ، وهكذا الأمير في محضر ملك الصين لقد تجبر فختم الله على قلبه فخفيت عليه أطاقه ، تماماً مثل النمرود (انظر الحكاية البيت ٣٧٨ والبيت ٤١٤٠ وشرحيهما من الكتاب الذي بين أيدينا) ، وفى الأبيات التالية يخلط مولانا بين رواية إبراهيم عليه السلام والنمرود ورواية موسى وفرعون (انظر الكتاب الثالث الأبيات ٨٤٠ وما بعده وشروحها) ، ترى إذا كان الآخرون من الكفار يقولون وجدنا آباءنا ، ما حجة هذا النمرود الذي لم يعرف له أباً أو أمّاً ، وبم يحتج : إنه لم يرث الملك عن أبيه حتى نقول : ظلم ابن ظلم ، لقد وجد الانعامات الإلهية مباشرة ، أتدري ما السر ، إنه النفس الغشوم ، هي كلب وخنزير وثقب مفترس وأفعى (انظر شروح الأبيات ٤٧٩٢-٤٨١٠ من الكتاب الذي بين أيدينا) فليت المرء يقرأ الحديث النبوي {طوبى لمن ذلت نفسه وطاب كسبه وحسنت سريرته وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره} (جامع ٢/٥٤) ، لكن وأسفاه إنك جلد لم يدبغ بعد ولم يصبح أديماً طائفاً يصلح لأن يكون خفاً للمحبوب (قرينا للحق) ، والسهيل هو رجل الحق وقد ورد تشبيه رجل الحق بالسهيل ، والصورة كلها في ديوان شمس تبريز "يلمع سهيل شمس الدين التبريزي في اليمن وإلا لصار الجلد غير المدبوغ أديماً طائفاً في كل مكان" (عن استعلامي : ٦/٤٦٧) وكان أهل الطائف يدبغون الجلد في

شعاع نجم السهيل ومنه يأخذ لونه (انظر لغت نامه على أكبر دهمخدا الطبعة الأولى من النسخة الجديدة المعدلة ج ١ ص ١٣٥١ تهران انتشارت دانشگاه تهران - خريف ١٣٧٢ هـ.ش) ولماذا أطيل عليك في الكلام إن القرآن الكريم كله شرح لخبث النفس ، وهلاك القرون ، وفساد الدنيا من جراء فسادها .

(٤٨٧٩ - ٤٨٩٠) : كان مصير الأمير الثاني قد حسم ، لقد تحركت غيرة الملك ، لقد كان محواً ، وجوداً غير مرئى ، وتسير الحكاية بين الوجود المطلق والوجود الصورى للملك بشكل متواز ، وقتل الأمير بسهم من الملك ، عندما تجلى غضب "المريخ" فى وجوده ، لكن القتل كان بشكل غير متعمد ، وهذا الوجود المتوازى جعل مفسراً مثل همائى يفسره بأنه الغوث والقطب ، وهو أكثر إقناعاً لأن الله لا يقتل ، ولا يقتل دون أن يدري ﴿ قتل الإنسان ما أكفره ﴾ (فى رواية سابقة عن البسطامى قتل مريدوه أنفسهم دون أن يدرون انظر الكتاب الرابع الأبيات ٢١٠٢-٢١٣٩ وشروحها) ، المهم أن الملك علم بأن السالك المغرور قد قتل بعد أن رأى سهماً ناقصاً من كنانته ، لقد سأل الحق ، فقال الله إن السهم الذى أصمأه من كنانته ، وهنا يتجلى الوجه الآخر ، وجه الرحمة ، لقد عفا عنه للمليك ، لكن السهم كان قد قضى عليه ، ومن هنا أخذ ينوح عليه ويبكيه ، إن العاشق والمعشوق فى الحقيقة واحد ، وإن لم يكن كذلك ، فكيف يكون كلياً ، كيف يجمع بين الأوصاف المتناقضة ، كلها تجليات أوصاف الحق ، يتجلى على أحدهم باللطف ويتجلى على الآخر بالقهر ، وقد يتجلى على أحدهم باللطف وبالقهر الواحد تلو الآخر ، وربما يكون مولانا ناظراً إلى حديث يرويه الصوفية "من احبنى قتلته ومن قتلته فأنا ديته ، (استعلامى ٤٦٧/٦ وانظر الكتاب الرابع البيت ٢٩٦٦ وشروحه) ، والعاشق القليل مع أنه قتل ، أخذ يردد الشكر ، لقد فنى الجسد ولم تفن الروح ، فنى الجسد ، وأصبح المعنى باتصاله بالحق خالداً ، لقد أودى الجلد وكان ثمن إيذائه الوصول إلى الحبيب ، لقد تمسك بأهداب سرج الملك (الغوث) ومن هذا التمسك وصل إلى الكمال ، وفى بيت واحد

يعبر مولانا عن مصير الأمير الأصغر ، كان أكثرهم استسلاماً لم بيد فنا ولا حيلة ، فاختطف الصورة والمعنى ، وفي نسخة جعفرى (٦٠٧/١٤) أبيات زائدة (ومعظم المفسرين والباحثين لا يعتبرونها) أن الأصغر أخذ الفتاة والملك والخلافة ، وليس ذلك إلا نتيجة للذلة والعجز والضراعة ، وإن كان مولانا يشير في الحكاية التالية مجرد إشارة إلى أن هذا بالفعل كان مصير الابن الأصغر .

(٤٨٩١ - ٤٩١٦) : هنا لطيفة يقصها مولانا ويرى استعلامي أنها لا توجد في مصدر قبل المثنوى (٤٦٨/٦) ، لكن الأبناء الثلاثة هنا لم يقصوا أية حكاية عن كسلهم ليثبتوا للقاضى أنهم أكسل الجميع ، والمعنى المفهوم ضمناً أن الأصغر لم يقص أية حكاية لإبداء كسله أنه حتى لا يريد أن يقص حكاية من أجل الحصول على الثروة والميراث كله لأن معظم الأبيات التالية تتحدث عن فضيلة الصمت ، ويعلق مولانا بأن العارفين هم أكثر من فى الدارين كسلاً ، فهم فى أطفاف الله بمجرد تسليم القلوب له ، ولا يحسبون حساباً لفعلهم وكسبهم ، فهم فى انتظار الأمر ، وبما أن العوام يفتقدون هذه الصلة فهم فى كد ليل نهار وليس معنى هذا أن مولانا يدعو إلى عدم العمل فهو يقول ازرع ثم توكل (انظر الكتاب الأول الأبيات ٩٥١ ، ٦٢١ - ٦٤٥ ، ١٤٧٣-١٥٠٣ والكتاب الرابع ١٣٨٤-١٤٠٢ والكتاب الخامس من ٢٩٦٥ وما يليه والبيت ٦٥٠ ، ١٤٤٨ من الكتاب الذى بين أيدينا) وهكذا يطلب القاضى من الأبناء الوارثين الثلاثة الكلام "مما يؤكد ما ذهبت إليه فى أول تفسير هذه الأبيات ، ويحمل كلام مولانا هنا مضمون قول الإمام على رضى الله عنه "تكلّموا تعرفوا فإن المرء مخبوء تحت لسانه" فإن اللسان "وهو الحجاب الصغير لا يستطيع أن يغطى مئات المعانى الموجودة داخل القلب ، والصدق له رائحة ، والكذب أيضاً له رائحته (انظر الكتاب الثالث الأبيات ١٦٠-١٧١ وشروحها) هذا مثلما ينبئ كل نسيم عن المكان الذى يهب منه ، مثلما تنبئ رائحة القدر عما فيه ، قال تعالى ﴿ ولتعرفنهم فى لحن القول ﴾ محمد ٣٠ وانظر الكتاب الثالث البيت

٧٩٠ وما يليه وشروحها) ، وإن لم يكن في القدر شيء ، فإن صوت الحق عليه ينبئ عما إذا كان سليماً أو مكسوراً . والمقصود بالمعرفة في ثلاثة أيام من مقارنة أحواله وتصرفاته .

(٤٩١٧ - ٤٩٣٢) : يرى استعلامي أن المثال هنا غير مرتبط بتيار الحديث (٤٦٩/٦) عن الصمت وعن كسل العارفين . والواقع أنه مرتبط أشد الارتباط ، فنصيحة الأم نصيحة من جانب واحد متناسية أن للشبح أيضاً أمّاً ، وهو ما فطن إليه الطفل الصغير بتلقائية ودون تعلم . ثم يواصل مولانا حديثه عن الصمت وكيفية معرفة الشخص إن صمت والحيلة هي الصمت أمامه أيضاً (انظر الكتاب الثالث : الصبر مجن الأبيات ١٨٣٧-١٨٥٦ وشروحها) والإشارة في الأبيات إلى التواصل الإيحائي أو التلباتي في المصطلح الحديث فعندما تصمت الألسنة تكون القلوب في تواصل (هذا لمن سلموا أمورهم لله فإنه يلقي في قلب كل منهم ما يقوله الآخر) حين ذاك يكون الضمير مساعداً على التواصل لأنه يكون في نور سهيل اليماني والمقصود باليمين هنا يمين القلب موضع الصدق . ترى هل كان يريد أن يبلغ رسالة أخيرة!!! إذا كنت قد صمت عن الكلام في هذا الجزء من المثوى فإنك تستطيع إن إستتار قلبك أن تواصل معي الحديث عن طريق القلب! .

تمت الشروح بحمد تعالى

المحتويات

- 3 مقدمة
- سؤال سائل عن طائر حط على ريش المدينة رأسه أفضل وأعز وأشرف
واكرم؟ أم ننبه؟! وجواب واعظ عليه بقدر فهمه..... 41
- ثم النظم العتيقة التي تمنع لذة الإيمان وهي دليل على ضعف الصدق وقاطعة
لطريق ألف أبله، كما قطعت الخراف طريق ذلك المخنث ولم يستطع العبور
وسؤال المخنث الراعي: عجباً هل خرافك تعض؟ فأجاب: إذا كنت رجلاً وفيك
عرق الرجولة فكلها فداء لك وإذا كنت مخنثاً فكل واحد منها أفعى بالنسبة لك...
وهناك مخنث آخر عندما يرى الخراف يعود في الحال عن الطريق ولا يجرو
على السؤال ويخاف.. ويقول: ربما لو سألت تقع في الخرف وتعضني..... 45
- مناجاة، والتجاء إلى الله من فتنة الاختيار وفتنة أسباب الاختيار، فإن السموات
والأرضين جارت بالشكوى من الاختيار وأسباب الاختيار، وخافت ثم جاءت
خلقة الأسمى مولعة بطلب الاختيار وأسباب الاختيار عنده، كما يكون مريضاً
ويرى لنفسه اختياراً قليلاً فيريد الصحة وهي سبب الاختيار حتى يزيد اختياره،
ويريد المنصب حتى يزيد اختياره، ومهبط القهر في الأمم الماضية كان فرط
الاختيار وأسباب الاختيار، فلم ير أحد فرعون متضرعاً قط..... 47
- حكاية الغلام الهندي الذي أحب ابنة سيده في السر وعندما عقدوا للفتاة على ابن
عظيم وعلم الغلام مرض وأخذ يذوب، ولم يكن للطبيب قط أن يعرف علته ولم
تكن له جرأة على الحديث..... 51

- أمر السيد لأم الفتاة بالصبر قائلاً: لا تنهري للغلام فسوف أردّه عن هذا الطمع
 53 دون عقاب بحيث لا يحترق السفود ولا يبقى الشواء نيئاً.....
- في بيان أن هذا الغرور لم يكن عند هذا الهندي وحده بل إن كل إنسان مبتلى
 56 بهذا الغرور في كل مرحلة إلا من عصمه الله.....
- في عموم تأويل هذه الآية: ﴿ كَلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ ﴾
 59
- قصة في تقرير هذا المعنى أيضاً.....
 59
- إظهار الملك للأمراء والمعتصمين بالنسبة لإياز سبب فضله ومرتبته وقربه
 61 وراتبه عليهم، على وجه لا تبقى معه حجة أو اعتراض عندهم.....
- احتجاج الأمراء بشبهة جبرية وجواب الملك عليهم.....
 62
- حكاية ذلك الصياد الذي كان قد لف نفسه في العشب ووضع باقة ورد وشقائق
 كالقنسوة فوق رأسه حتى تظنه الطيور عشياً، وذلك الطائر الذكي فهم بعض
 الفهم أنه إنسان وقال في نفسه: لم أر نباتاً على هذا الشكل، لكن لأنه لم يكن تام
 الفهم اغتر بوسوسته ذلك أنه لم يكن يقطع في البداية للإدراك الأول، وقطع
 بإدراك المكر الثاني وهو الحرص والطمع لا سيما عند فرط الحاجة والفقر، قال
 66 النبي ﷺ: كاد الفقر أن يكون كفراً!!.....
- حكاية ذلك الشخص الذي سرق اللصوص كبشه ولم يكتفوا بذلك بل سرقوا ثيابه
 68 أيضاً بالحيلة.....

69 مناظرة الطائر مع الصيد عن الترهّب ومعنى الترهّب وأن المصطفى ﷺ نهى عنه قائلا: "لا رهبانية في الإسلام".....

75 حكاية ذلك الحارس الذي صمت حتى سلب اللصوص بضائع التجار تماما وبعد ذلك أخذ يطلق الصيحات ويقوم بواجب الحراسة.....

77 تحويل الطائر وقوعه في الفخ إلى فعل الزاهد ومكره واحتياله، وجواب الزاهد على الطائر.....

79 حكاية ذلك العاشق الذي جاء ذات ليلة إلى تلك الحجرة على أمل وعد المعشوق إذ واعدته فيها، وانتظر شطرا من الليل ثم غلبه النوم، وجاءت المعشوقة لإنجاز وعدها فوجدته نائما فملأت جيبه بالجوز وتركته نائما ومضت.....

استدعاء الأمير التركي المغمور للمطرب وقت الصبح وتفسير هذا الحديث: (إن الله تعالى شرابا أعده لأوليائه إذا شربوا سكروا وإذا سكروا طابوا) ... إلى آخره:

83 إن الخمر لتجيش في دن الأسرار ليشرب كل مجرد من تلك الخمر
قال تعالى: ﴿ إن الأبرار يشربون... ﴾
هذه الخمر التي تشربها أنت حرام ونحن لا نشرب إلا الخمر الحلال
جاهد حتى تصير وجودا من العدم وتصير ثملا بشراب الله.....

85 دخول ضرير إلى منزل المصطفى ﷺ وهرب عائشة رضي الله عنها من أمام الضرير... وقول الرسول ﷺ: لماذا تقرين... إنه لا يراك، وجواب عائشة رضي الله عنها على الرسول ﷺ.....

86 امتحان المصطفى ﷺ لعائشة رضي الله عنها قائلا لها: لماذا تحتجبين؟! لا تحتجبي فهو أعمى لا يراك، حتى يظهر له: تفهم عائشة ضمير الرسول ﷺ أو أنها تقلد القول الظاهر.....

حكاية ذلك المطرب الذى بدأ فى مجلس الأمير التركى بهذا الغزل:
أأنت وردة أو سوسنة أو سروة أو قمر لا أدرى
وماذا تريد من هذا الموله مسلوب القلب لا أدرى
وصياح الأمير التركى له: قل ما تدريه... وجواب المطرب على الأمير..... 88

تفسير قوله ﷺ: موتوا قبل أن تموتوا
مت أيها الصديق قبل الموت إن كنت تريد الحياة
فإن إدريس من مثل هذا الموت صار إلى الجنة قبلنا..... 89

تشبيه المغفل الذى يضيع العمر، وعند الموت فى تلك الشدة يأخذ فى التوبة
والاستغفار، بقيام شعبة حلب بالتعزية كل سنة فى أيام عاشوراء على بوابة
إنطاكية، ووصول شاعر غريب من السفر وسؤاله قائلاً: هذه الضجة أى تعزية
تكون؟!..... 94

قول الشاعر لنقطة دقيقة طعنا لشعبة حلب..... 95

تمثيل الرجل الحريص الذى لا يرى رزق الحق وخزائن الرحمة بنملة تكدح من
أجل حبة وهى فى بيدر عظيم وتسعى وترتعد وتسحبها بعجلة ولا ترى سعة ذلك
البيدر..... 96

قصة ذلك الشخص الذى كان يذوق للسحر على باب قصر فى منتصف الليل..
فقال له الجار: إن الوقت هو منتصف الليل آخر الأمر، وليس وقت السحر،
وثانية فإنه لا أحد فى القصر، من أجل من تدق، وجواب "المطرب" عليه!!..... 99

قصة قول بلال ؓ أحد أحد في حر الحجاز محبة للمصطفى ﷺ في تلك
الظهيرات، إذ كان سيده خلالها يضربه من تعصبه لليهودى بفروع الشوك تحت
شمس الحجاز، ومن الجراح كان الدم يفور من جسد بلال وكان يصيح أحد أحد
بلا قصد كما يخرج الأنين من المتألمين الآخرين بلا قصد، لأنه كان ممثلنا بألم
العشق ولم يكن هناك اهتمام بدفع ألم الشوك سحرة فرعون ومثل جرجيس عليه
السلام وغيرهم لا يعد ولا يحصى..... 103

روية الصديق ؓ واقعة بلال ؓ وجور "اليهود" عليه وقوله "أحد أحد" وازدياد
حق لليهود عليه ورواية هذا الأمر للمصطفى ﷺ واستئذانه في شرائه من
اليهود!!..... 108

وصية المصطفى ﷺ للصديق ؓ قائلا: عندما تصبح مشتريا لبلال مهما زادوا
من غضبهم في الثمن، فاجعلنى شريكك في هذا الفضل وكن وكيلى وخذ منى
نصف الثمن..... 111

ضحك اليهودى وظنه أن الصديق مغبون في هذه الصفقة..... 115

عتاب المصطفى ﷺ للصديق ؓ قائلا: ألم أوصك أن تشتريه مشاركة بيننا، فلماذا
اشتريته من أجلك وحدك؟! واعتذاره..... 118

قصة هلال الذى عبدا مخلصا لله صاحب بصيرة، غير مقلد، اختفى فى عبودية
البشر للمصلحة لا للعجز مثل يوسف ولقمان وغيرهما فى الظاهر، وذلك أنه كان
عبدا سائسا عند أحد الأمراء، وكان ذلك الأمير مسلما إلا أنه كان أعمى:
يعلم الأعمى أن له أمما لكنه لا يستطيع أن يتصور كيف تكون
فإن قام بتعظيم هذه الأم على أساس هذا العلم ربما نجا من العمى: مصداقا
لقوله ﷺ: إذا أراد بعد خيرا فتح عينى قلبه ليبصره بها الغيب..... 121

- 122حكاية في تقرير هذا الكلام
- 122مثـل
- مرض هلال هذا، وعدم معرفة سيده بمرضه احتقارا لشأنه وجهلا به، ووقوف قلب المصطفى ﷺ على مرضه وحاله، وافتقاده له، وعبادة الرسول ﷺ لهلال هذا.....
- 124دخول المصطفى ﷺ إلى إصطبل ذلك الأمير من أجل عبادة هلال، وملاطفة المصطفى ﷺ لهلال ﷺ
- 126في بيان أن المصطفى ﷺ سمع أن عيسى عليه السلام سار فوق الماء؛ فقال: لو ازداد يقينه لمشى على الهواء.....
- 127قصة تلك العجوز التي كانت تخضب وجهها بالخضاب والأحمر، ولم يكن ينفع فيه أو يكون مقبولا.....
- 129قصة ذلك الدرويش الذي دعا لذلك الجبلاني قائلاً: رذك الله إلى أهلك ودارك سالماً!!.....
- 131وصف تلك العجوز.....
- 131قصة الدرويش الذي كان كلما طلب شيئاً من تلك الدار قيل له: لا يوجد!.....
- 132عودة إلى قصة تلك العجوز.....
- 133

- 135 حكاية ذلك المريض الذى لم ير فيه الطبيب أمل الصحة.....
- 137 عودة إلى قصة المريض.....
- 141 قصة السلطان محمود والغلام الهندى.....
- 146 ليس للماضين هم الموت إنما لهم حسرة الفوت.....
- 148 العودة مرة أخرى إلى قصة الصوفى والقاضى.....
- 155 غضب القاضى من صفع الدرويش ولوم الصوفى للقاضى.....
- 156 جواب القاضى على الصوفى.....
- 158 سؤال الصوفى للقاضى.....
- 159 جواب ذلك القاضى على الصوفى.....
- 162 سؤال الصوفى ذلك القاضى ثانية.....
- 162 جواب القاضى على سؤال الصوفى وضربه المثل بقصة التركى والخياط.....
- قال النبى ﷺ: (إن الله تعالى يلقن الحكمة على لسان الواعظين بقدر همهم
المستمعين).....
- 163 ادعاء التركى ومراهنته على أن التترزى لا يستطيع أن يسرق منه شيئاً.....
- 164

- قول الخياط للفكاهات، وإغماض التركي لعينه من شدة الضحك واهتبال الخياط
للفرص..... 166
- قول الخياط للتركي: انتبه واصمت فلو قلت فكاهة أخرى لضاق قباؤك 168
- بيان أن العاطلين وطالبي المزاح مثل ذلك التركي، والدنيا الغرورة الغادرة مثل
ذلك الخياط والشهوات والنساء هي مزاح هذه الدنيا، والعمر مثل ذلك الأطلس
أمام ذلك الخياط من أجل صنع قباء البكاء ولباس القوى..... 168
- مثـل..... 169
- تكرار الصوفي للسؤال..... 170
- جواب القاضي على الصوفي..... 170
- حكاية في بيان أن الصبر على الشدة أيسر من الصبر على فراق المحبوب..... 171
- مثـل..... 173
- بقية قصة الفقير طالب الرزق دون واسطة الكسب..... 177
- قصة تلك الخريطة للكنز التي تقول: قف إلى جوار القبة متجها إلى القبلة وضع
سهما في القوس.. وألقه وحيثما يسقط... هناك كنز!!..... 183
- بقية قصة ذلك الفقير وعلامة مكان ذلك الكنز..... 185

- 186 شيوخ خبر هذا الكنز وبلوغه سمع الملك
- 187 يأس ذلك الملك من العثور على الكنز ومثله من طلبه
- 188 رد الملك خريطة الكنز للفقير قائلاً: خذها لقد انصرفنا عن هذا الأمر
- 193 حكاية مريد الشيخ أبي الحسن الخرقاني قدس الله سره
- سؤال ذلك القادم حرم الشيخ، أين الشيخ؟ وأين أطلبه؟ وجواب الزوجة بفحاش
194 القول
- 195 جواب المريد وزجره لتلك الشتامة عن الكفر وعابث القول
- عودة المريد من منزل الشيخ وسؤاله الناس حتى دلوه على أن الشيخ ذهب إلى
198 غابة كذا
- 199 بلوغ المريد المراد ولقاؤه مع الشيخ بالقرب من تلك الأجمة
- 202 حكمة: إني جاعل في الأرض خليفة
- 204 معجزة هود عليه السلام في تخلص مؤمنى الأمة عند نزول الريح
- 209 عودة إلى قصة القبة والكنز
- إنابة طالب الكنز إلى الحق بعد طلب شديد وعجز واضطرار قائلاً: يا ولي
211 الإظهار اكشف عن هذه الأسرار

- نداء الهاتف لطالب الكنز وإعلامه بحقيقة أسرار..... 214
- حكاية المسافرين الثلاثة: المسلم والمسيحي واليهودي الذين تلقوا صدقة بأحد المنازل، وكان المسيحي واليهودي شبعين، فقالا: لنأكل هذه الصدقة غداً، وكان المسلم جائعاً فبقى جائعاً، إذ كان مضطراً!!!..... 216
- حكاية الجمل والثور والكبش الذين وجدوا في الطريق بعض العشب، وأخذ كل منهم يقول: أنا آكله..... 220
- مثـل..... 221
- جواب المسلم بما رآه على رفيقيه اليهودي والمسيحي وحسرتهما على الطعام.... 222
- نداء سيد ملك ترند أن كل من يذهب إلى سمرقند في ثلاثة أو أربعة أيام في مهمة كذا أعطيه خلعة وجواذاً وعلماً وجارية وذهباً كثيراً، وسماع المهرج خبر هذا المنادى في القرية ومجيئه في خيل البريد إلى الملك قائلاً: أنا لا أستطيع الذهاب..... 224
- حكاية تعلق الفأر بالضفدعة. وربطها لرجليهما معاً بخيط طويل واختطاف الغراب للفأر وبقاء الضفدع معلقاً في الفضاء وعويلها وتدلها على تعلقها بمن هو من غير جنسها، وعدم تجانسها مع من هم من جنسها..... 232
- تدبير الفأر مع الضفدع وقوله: إنني لا أستطيع أن أجيء إليك في الماء عندما أريدك، فينبغي أن تكون بيننا صلة بحيث أستطيع عندما أجيء إلى حافة الجدول أن أخبرك بقدمي كما تستطيع أنت أن تخبرني عندما تجيء إلى فوهة الحجر.... إلى آخره..... 234

إسراف للفأر فى التضرع والعجز وطلب الاتصال بالضفدع المائى..... 236

تضرع الفأر للضفدع قاتلاً: لا تتعلل ولا تؤجل لإنجاح هذه الحاجة، ففى التأخير آفات، والصوفى ابن الوقت والابن لا يكف يده عن طرف ثوب أبيه، والأب المشفق للصوفى وهو وقته لا يحوجه إلى الانتظار للغد مهما يجعله مستغرقاً فى روضته سريعة الحساب، لا كالعوام ينتظر المستقبل، إنه نهري وليس دهرى فلا صباح عنده ولا مساء ولا ماض ولا مستقبل ولا أزال ولا أبد هناك، لا يكون آدم السابق ولا النجال المسبوق فهذه الرسوم فى خطة العقل الجزئى والروح الحيوانية، وفى عالم اللازمان واللامكان لا توجد هذه الرسوم، إذن فهو ابن الوقت أى لا يفهم منه إلا نفى تفرقة الأزمنة كما نفهم من أن الله واحد نفى الإثنية لا حقيقة الواحدية..... 239

حكاية لصوص الليل الذين وقع بينهم السلطان محمود ذات ليلة، وقال لهم: أنا واحد منكم، واطلاعه على أحوالهم، إلى آخره..... 246

قصة ذلك الثور البحرى الذى أخرج لؤلؤة شاهانية من قساع البحر... وكان يضعها ليلاً على ساحل البحر ويرعى فى ضوئها وإشعاعها، والتاجر الذى يخرج من مكنه فيخفى الجوهرة بالطمى الأسود والطين الكدر ويهرب أعلى شجرة... إلى آخر القصة، والتقرير..... 253

العودة إلى قصة طلب ذلك الفأر لذلك الضفدع على شاطئ الجدول وجر طرف الخيط حتى يعلم الضفدع وهو فى الماء أنه يطلبه..... 255

قصة عبد الغوث واختطاف الجن له وإقامته سنوات بين الجن ومجيئه إلى بلده وأهله بعد سنين ثم عدم تعجبه من الجان، تحكم بحكم التجانس فى المعنى واتحاد قلبه معهم..... 258

قصة ذلك الرجل الذي كان يتقاضى راتباً من محتسب تبريز واقترض كثيراً على أمل ذلك الراتب دون أن يعلم بوفاته... والنتيجة أن ديونه لم يقضها حتى قط ولم تقض إلا من المحتسب المتوفى كما قيل:
ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء..... 261

مجيء جعفر عليه السلام للاستيلاء على قلعة وحده، واستشارة ملك تلك القلعة وزيره في دفعه، وقول ذلك الوزير للملك: احذر وسالم ولا تتهور جهلاً فهذا الرجل مؤيد وله من الحق جمع عظيم في روحه... إلى آخره..... 262

عودة إلى حكاية ذلك الشخص المدين ومجيئه إلى تبريز على أمل عناية ذلك المحتسب..... 268

علم ذلك الغريب ب وفاة المحتسب واستغفاره عن الاعتماد على المخلوق وتعويله على عطاء المخلوق وتذكره للنعم التي أنعم الله بها عليه وإنابته إلى الحق من جرمه (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون)..... 269

مثل الأحوال مثل ذلك الغريب في مدينة كاشان المسمى بعمر، ولهذا السبب حولوه من هذا الدكان إلى ذلك الدكان ولم يفهم أن كل الحوانيت واحدة في أنها لا تباع لمن يسمى عمر، فقال في نفسه: لأتدارك الأمر في التو واللحظة وأقول: لقد أخطأت، ليس اسمي عمر، وعندما أتوب وأتدارك الأمر أمام هذا الحانوت فإني أحصل على الخبز من كل حوانيت هذه المدينة، وإذا لم أتدارك الأمر وأظل أسمى بعمر، أمر من هذا الحانوت محروماً، وأكون أحول إذا اعتبرت كل هذه الحوانيت مختلفة عن بعضها!!!..... 276

طواف رجل شهم بكل مدينة تبريز وجمعه لشيء قليل وذهاب ذلك الغريب إلى قبر المحتسب زائراً وروايته لقصته على قبره نائحاً... إلى آخره..... 279

رؤية خوارزمشاه رحمه الله وهو في موكبه لجواد نادر جدًا وتعلق قلب الملك بحسن ذلك الجواد وخفته، وتسخيف عماد الملك لذلك الجواد في قلب الملك واختيار الملك قوله على رؤيته مصداقا لما قاله الحكيم عليه الرحمة في "الهي نامه": عندما يصير لسان الحسد نخاسا تجد مثيل يوسف بذراع من الكرباس فمن دلالة إخوة يوسف بحسد خفي ذلك الحسن الشديد في قلوب المشتريين. وأخذ القبح في الظهور ومصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ 287

عقاب يوسف الصديق صلوات الله عليه بالحبس بضع سنين بسبب طلبه العون من غير الحق وقوله ﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ وشرحه 290

العودة إلى قصة ذلك الرجل الشهم وذلك الغريب المدين وعودتهما من قبر السيد ورؤية الرجل الشهم للسيد في النوم... إلى آخره 298

قول السيد في النوم لذلك الرجل الشهم من أي موضع تقضى ديون ذلك الصديق ودلالته لمكان دفن ذلك المال ورسالة إلى ورثته قائلا: لا تنظروا إليه على أنه كثير إطلاقا، ولا تمنعوا منه شيئا وحتى إن لم يقبله أو يقبل بعضه دعوه في مكانه يأخذه من يريد إذ نذرت لله ألا تعود حبة من هذه الفضة إلى أو إلى ورثتي 300

حكاية ذلك الملك ووصيته لأولاده الثلاثة قائلا: في سفركم هذا إلى ممالك، رتبوا مكان كذا على هذا النسق، ومكان كذا نصبوا النواب على هذا النسق، لكن بالله عليكم لا تذهبوا إلى قلعة كذا ولا تحرموا حولها 303

بيان استمداد العارف من نبع الحياة الأبدية واستغنائه عن الاستمداد والجذب من عيون الماء التي لا وفاء لها، وأن أمارة ذلك التجافي عن دار الغرور، إذ إن الإنسان عندما يعتمد على إمدادات تلك العيون يهن في قلب العين الباقية الدائمة: ينبغي أن يكون العمل من داخل روحك بحيث لا يفتح أمامك باب على سبيل العارية فإن نبعا واحدا من الماء في داخل الدار أفضل من ذلك النهر الذي يأتي من الخارج 304

سير الأمراء فى الممالك بعد توديعهم للملك وإعادة الملك لوصيته عند الوداع.... 307

ذهاب أبناء السلطان بحكم زن الإنسان حريص على ما منع نحو تلك القلعة
الملعونة: لقد أبدينا عبوديتنا... لكن طبعك السيئ لم يعرف شراء العبيد لقد أهملوا
كل وصايا والدهم ونصائحه حتى سقطوا فى بئر البلاء وأخذت النفوس اللوامة
تقول لهم ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾، فأخذوا يقولون باكين دامعين: ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا
كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾!!! 313

رؤيتهم فى هذه القلعة ذات الصور صورة وجه بنت ملك الصين وفقدان الثلاثة
للوعى وافتنانهم وبحثهم عن صورة من هذه!!! 318

حكاية صدر جهان بخارى الذى كان يحرم كل سائل يسأل بلسانه من صدقته
العامة التى لا تتقطع، وذلك العالم الفقير الذى سأل بلسانه فى الموكب لنسيانه من
فرط حرصه وعجلته، فأشاح عنه صدر جهان بوجهه، وكان كل يوم يقوم بحيلة،
فحينما يجعل نفسه امرأة تحت الملاءة، وحينما يتظاهر بالعمى ويخفى عينه ووجهه
فكان يعرفه بفراسته... إلى آخره..... 321

حكاية أخوين أحدهما أجرد والآخر أمرد، ناما فى منزل للعزاب وذات ليلة،
وكدس الأمرد طوب اللبن على مقعده، لكن رجلاً دب عليه، وحمل من فوقه تلك
اللبنات بالحيلة والخفة، فاستيقظ الولد وتشاجر، وقال: أين تلك اللبنات؟! وإلى أين
حملتها؟! ولماذا أخذتها؟! فقال له: وأنت لماذا وضعت هذه اللبنات؟! إلى آخره... 324

فى تفسير هذا الخبر عن المصطفى ﷺ إذ قال: منهومان لا يشبعان طالب الدنيا
وطالب العلم، وأن هذا العلم ينبغى أن يكون غير علم الدنيا حتى يكونا قسامين،
لأن علم الدنيا دنياً... وإذا كان هو المقصود لكان الأمر تكرار، طالب الدنيا
وطالب الدنيا ولما كان تقسيماً.... مع بيانه..... 327

تباحث هؤلاء الأمراء الثلاثة فى تدبير تلك الواقعة..... 328

مقال الأخ الأكبر..... 328

ذكر ذلك الملك الذي أتى بذلك العالم إلى مجلسه بالإكراه وأجلسه، وعرض
الساقى الشراب على للعالم ووضع الكأس أمامه فأعرض بوجهه وبدأ فى العبوس
والحدة، فقال الملك للساقى: هيا... اجعله على طبيعته فضربه الساقى بضلع
لكمات على رأسه وجرعه الشراب... إلى آخره..... 330

مضى الأمراء بعد تمام المناقشة وما جرى صوب الصين حيث المعشوق
والمقصود حتى يكونوا بقدر الإمكان أقرب إلى المقصود، فإذا كان طريق
الوصل مسدودا فالقرب بقدر الإمكان محمود.... إلى آخره..... 335

حكاية امرئ القيس الذى كان ملكا على العرب وكان على قدر كبير من الجمال
فى خلقته، وكان نسوة العرب كزليخا قتيلات هواه، كما كان شاعرا موهوبا نظم:
قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل. وإذا كن النسوة يبحثن عنه بأرواحهن فعجبا
مما كان غزله وتوجهه؟! تراه علم أنهن كلهن تماثيل مصورة نقشت على لوح
التراب؟! وفي النهاية وجد امرئ القيس هذا حالا بحيث هرب فى منتصف الليل
من ملكه وهجر ولده وأخفى نفسه فى خرقه درويش وتلق من ذلك الإقليم إلى
إقليم آخر فى طلب ذلك الذى يكون منزها عن الإقليم ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾
إلى آخره..... 336

بعد مكثهم متوارين فى بلاد الصين فى حاضرة الملك وبعد طول الصبر، ونفاد
صبر الأخ الأكبر وقوله: إني ذاهب أعرض نفسى على الملك فوداعا:
إما قدمى تتيلنى مقصودى أو ألقى رأسى كفؤادى ثمة
إما توصلنى قنمى إلى المقصود والمراد أو أفقد رأسى هناك كما فقدت قلبى
وعدم جدوى نصيحة أخويه له:
يا عاذل العاشقين دع فنة أضلها الله كيف ترشدها..... 342

بيان المجاهد الذى لا يكف عن المجاهدة بالرغم من أنه يعلم أن بسطة عطاء الحق وهى المقصود تصل إليه من جهة أخرى وبسبب نوع آخر من العمل ربما ليس فى حسبانته، وكل همه ورجائه ربما يكون معقوداً على طريق معين، فهو يدق حلقة نفس الباب وربما يوصل إليه الحق ذلك الرزق من باب آخر، ربما لم يكن قد دبر له ويرزقه من حيث لا يحتسب، العبد يدبر والله يقدر، وربما يكون عند العبد وهم العبودية فيقول: إنه يصلنى من غير هذا الباب بالرغم من أننى أدق هذا الباب، فيوصل إليه الحق تعالى الرزق من نفس هذا الباب والخلاصة أنها كلها أبواب لدار واحدة.... مع تقريره..... 351

حكاية ذلك الشخص الذى رأى فى النوم هاتفا يقول له: إن ما تطلبه من يسار موجود فى مصر فهناك كنز فى محلة كذا... ومنزل كذا... وعندما جاء إلى مصر قال له أحدهم لقد رأيت فى النوم أن هناك كنزا فى بغداد فى محلة كذا فى منزل كذا. وذكر اسم محلة ذلك الشخص ومنزله وفهم ذلك الشخص أن المراد بذكر أن الكنز موجود فى مصر حتى أتقن أنه لا محل للبحث فى غير منزلى لكن هذا الكنز لن يتحقق لك يقينا إلا فى مصر..... 354

فى سبب تأخير دعاء المؤمن..... 355

عودة إلى قصة ذلك الشخص الذى دلوه على كنز فى مصر وبيان تضرعه من الفقر فى حضرة الحق..... 356

وصول ذلك الشخص إلى مصر وخروجه ليلا إلى الحى من أجل التكدى وإمساك العسس به ووصوله من العسس إلى المراد بعد ضربه كثيرا، ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ وقوله تعالى ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾، وقوله ﷺ: (استندى أزمة تنفرجى) وجميع القرآن والكتب المنزلة فى تقرير هذا..... 358

بيان هذا الخبر، الكذب ريبة والصدق طمأنينة..... 359

مثل..... 365

عودة ذلك الشخص فرحا موقفا شاكرا لله ساجدا له وحائرا في غرائب إشارات الحق وظهور تأويلاتها على وجه لا يصل إليه عقل وفهم أبدا..... 365

تكرار الأخوين النصيحة للأخ الأكبر وعدم تحمله لتلك النصيحة وفراره منها، وذهابه مفتونا مسلوب النفس وإلقائه بنفسه في بلاط الملك دون طلب للإذن بالمثل، لكن من فرط العشق وليس من الوقاحة أو اللامبالاة... إلى آخره..... 369

افتتان القاضي بامرأة جحا وبقاؤه في صندوق وشراء نائب القاضي للصندوق، ثم مجيء زوجة جحا في السنة التالية للقيام بنفس اللعبة لسابقة وقول القاضي لها، لا، اتركيني وابحثي عن آخر.... إلى آخر القصة..... 373

ذهاب القاضي إلى منزل امرأة جحا وبق جحا الباب بغضب وهروب القاضي إلى داخل الصندوق.... إلى آخره..... 376

مجيء نائب القاضي وسط السوق وشراء الصندوق من جحا، إلى آخره..... 379

في تفسير هذا الخبر عن المصطفى ﷺ إذ قال: (من كنت مولاه فعلى مولاه) فاعترض المنافقون وقالوا: لم يكفه أن نصير له تبعا مطيعين ويأمرنا أيضا بأن نتبع طفلا ملوثا بالمخاط،..... إلى آخره..... 381

عودة امرأة جحا إلى محكمة القاضي في السنة التالية على أمل الظفر بمبلغ السنة السابقة وتعرف القاضي عليها.... إلى آخره..... 382

- 385 عودة إلى تفاصيل قصة الأمير وملازمته لحضرة الملك
- في بيان أن النار التي توجد قنطرة الصراط فوقها تقول: أيها المؤمن، اعبّر الصراط، عجل حتى لا تطفئ عظمة نورك نارنا، جز يا مؤمن فإن نورك أطفأ نارى..... 386
- وفاة الأكبر من الأمراء ومجيء الأخ الأوسط إلى جنازة أخيه، لأن الأصغر كان طريح الفراش لمرضه، وإكرام الملك للأوسط حتى صار هو أيضاً أسير الإحسان، فبقى عند الملك، ووصله بمائة ألف من الغنائم الغيبية والعينية من دولة ذلك الملك ونظره، مع تقرير بعضه..... 389
- الوسوسة التي حدثت لدى الأمير بسبب الاستغناء والكشف الذي كان قد وصل لقلبه من الملك، وانتوائه الجحود والعصيان، ومعرفة الملك نواياه عن طريق الإلهام والسر وتآلم قلبه، وإصابة الأمير بضربة بحيث لا يكون عنده خبر عن صورة الملك....، إلى آخره..... 398
- خطاب الحق لعزرائيل: أي الناس الذين قبضت أرواحهم أشقت عليهم أكثر؟ وجواب عزرائيل على الحضرة الإلهية..... 401
- كرامات الشيخ شيبان الراعى قدس الله روحه العزيز..... 403
- عودة إلى قصة تربية الحق تعالى للنمرود في طفولته دون أم أو حاضنة..... 404
- عودة إلى تلك القصة حيث تلقى الأمير ضربة خفية من خاطر الملك فغادر الدنيا قبل استكمال الفضائل..... 406

- وصية ذلك الشخص الذي قال إنه بعد وفاتي يؤول مالي إلى أكثر أولادي الثلاثة
كسلاً..... 408
- مثـل..... 410
- شروح وهوامش..... 412

الإشراف اللغوى : حسام عبد العزيز
الإشراف الفنى : حسن كامل

تم طبع هذا الكتاب من نسخة قديمة مطبوعة



الآن
وقد حل ليل الأجل
خل هذا اللعب
كفاك
لا تعد.

